

محمود عيسى السليم

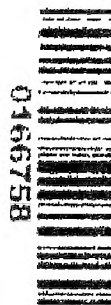
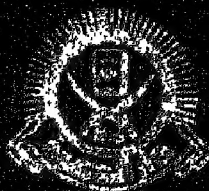
الزمان والسكان

أحداث صنعت التاريخ

روية من الداخل

الجزء الثاني

١٩٥٢ - ١٩٨٨



0166758

Библиотека Александрия

الاخوان المسلمون
أحداث صنعت التاريخ

محمود عبد الحليم

عضو الهيئة التأسيسية

الإخوان المسلمون

أحداثٌ صيغتُ التاريخ

رؤية من الداخل

الجزء الثاني

١٩٤٨ - ١٩٥٢

دار الدعوة

للطباعة والنشر والتوزيع

١ شارع منشأ - محرم بك - القاهرة

الطبعة الخامسة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لما ظهر الجزء الاول من هذا الكتاب ، تلقيت آراء بعض الذين طالعوه . فقال بعضهم انه تاريخ ممتع ، وقال بعض آخر انه أسلوب في التأليف يغرى بالقراءة لما فيه من تنقل بالقارئ من ميدان الى ميدان ومن موضوع الى موضوع . وقال آخرون انه ليس تاريخا محسب بل هو برنامج ومنهج بين المعالم محدد الخطوات ...

وهكذا تنوعت الآراء .. وأرجو أن يكون الكتاب جديرا بها جميعا . فانها جميعا كانت اهدافا متوخاة - ولكن الهدف الاول الذي كنت حريصا على ابرازه في هذا الكتاب باجزائه ، هو أن أوضح للقارئ حقيقة غائبة عن أكثر الناس ، هي أن دعوة الاخوان المسلمين هي التي صنعت تاريخ مصر خاصة والامة الاسلامية عامة في هذا العصر الذي نعيشه صناعا جديدا ، وحولت مسار هذا التاريخ الى مسار آخر ... ولولا ظهور هذه الدعوة في هذه الحقبة من الزمان ، لتوقف التاريخ بنا حتى اليوم عند الحال التي كنا عليها في أواخر العشرينيات من هذا القرن .

فلقد عاجنا في الجزء الاول من الكتاب توضيح الحالة الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة خلال العشرينيات والثلاثينيات للشعب المصري خاصة وللشعوب العربية والاسلامية عامة .. وكيف واجهت دعوة الاخوان المسلمين الناشئة هذه الحالة التي كانت نبوء للمصلحين بيائسة مؤتمة .. فالشعوب في هذه البلاد تغط في نوم عميق ، فاقدة الوعي ، مقطعة الاوصال ، مستسلمة للغاصبين ، مسترخية ، لا تدري ما يفعل بها ولا ما تفعل - سواء في ذلك عامة هذه الشعوب وزعمائها . ورحم الله الشاعر العظيم أحمد محرم اذ يصف حال هذه الامم الاسلامية في ذلك الوقت في الياخته المشهورة فيقول :

يا ويح للامم الضعاف انتنقضى	في دولة للمسلمين تشوقهم
أمم هوائك ، ما لمست جراحها	دنيا الشعوب وما انقضت بلواها ؟
لم أدر اذ ذهب الزمان يريدها	الابكت وبكيت من جراحها
ان الذي خلق السهام لئلا	ماذا من القدر المتاح دهاها ؟
	جمع المصائب كلها فرماها

وبينا للقارىء كيف استطاعت هذه الدعوة - بقيادة ملهمة حكيمة بارعة ، وجهود مضيئة خالصة مخلصه ، وبتكتيك وثيد منسق منظم راسخ الخطوات ، بعيد الاهداف ، لا يسنح المستبطنون ، ولا يستخفه المعجبون ، ولا ينهه من عزمه المعوقون - استطاعت أن نبث روح الحياة في هذه الشعوب من جديد ، فأيقظتها من رقادها ، وبعثتها من سباتها .. فقامت تنفض عن نفسها غبار نوم طال أمده ، وأخذت تتعرف على نفسها ، وتستعيد هويتها ، وتحن الى أصلها ، وتأسف على ما فرط منها في حق هذا الاصل الكريم ، عاقدة العزم على استرداد ما سلبته من حقوق ، وما ضيعته من أمجاد .

وبهذه الامة الجديدة الفتية المستيقظة المثوبة ، واجهت الدعوة بعقيدتها المستقرة في أعماق النفوس ، الممتزجة بشغاف القلوب مآسى الامة الاسلامية التى تقطعت معها اربا ، وقوزعت تحت وطأتها شيعة ، وأخذت بدنها على مر الايام طعنات وجراحا ، وديست أرضها بنعال المحتلين من المستغلين وشذاذ الآفاق .

واجهت ذلك كله بأسلوب جديد لا عهد للمتصدين للقيادة في أنحاء العالم الاسلامى كله به . . . أسلوب الواثق بنفسه ، المطالب بحقه ، المقتنع بعدالة قضيته ، المنبعث من سويداء قلبه ، المستند الى عدل رسالة ، الداعى الى أقوم سبيل ، المنحفع بآمال أوسع من رحاب الدنيا ، المؤثر الموت الكريم على العيش الذليل .

وكما أيقظت الوعى في النفوس والعقول في مصر ، أيقظته أيضا فيما سوى مصر من البلاد العربية والاسلامية ، فامتد أثرها حتى وصل الى اندونيسيا وباكستان - وتعهدت القضية الفلسطينية فوصلت بها من حالة كانت فيها مجهولة تماما من البلاد العربية والاسلامية نفسها - سواء في ذلك شعوبها وحكامها - الى حالة صارت فيها القضية الاولى لهذه البلاد شعوبا وحكاما .

وتجاوب مع الدعوة في القاهرة كل الطبقات المثقفة المستنيرة في أنحاء العالم الاسلامى ، متخزين القاهرة منارتهم الهادية وسط الظلام الدامس الذى كان مخيما على هذا العالم الاسلامى . . فواجه الاستعمار العالمى لأول مرة منذ قرون انتفاضات واعية ، وحركات مواجهة جادة عارمة ، تؤججها روح اسلامية شابة ملتهبة ، سواء في مصر وفي الشرق العربى والمغرب العربى ، وفي الهند وفي جنوب شرقى آسيا . . حركات وانتفاضات ، ليست من الطراز المهود للاستعمار من قبل ، تلك التى كان يمتص حذتها بوعود

تبذل أو بمناصب تسند ٠٠٠ وانتهت هذه الانتفاضات بتحرير هذه الشعوب من ربة الاستعمار .

وبحث الاستعمار العالمى هذه الظاهرة الخطيرة التى هددت وجوده فى كل مكان ٠٠ فلم يجد أن جديدا قد طرأ على هذه البلاد - منذ وطئت أقدامه أرضها وتم له احتواء كل ما نشأ فيها من هيئات وأحزاب - لم يجد جديدا قد جد سوى « دعوة الإخوان المسلمين » ٠٠ فجمع الاستعمار شمله ، وأعد عدته ، ووضع خططا خطيرة مأكرة لمواجهة السيل الجارف المثل فى هذه الدعوة ، وقرر معاجلتها بضربة قاضية قبل أن تسبق فى بضربه هذه الضربة .

كل هذه المعانى التى أدركنا الحديث حولها فى الجزء الاول كانت واضحة تمام الوضوح فى خاطرى وفى مخيلتى حين سطرتها ، لأننى لابتستها وعاشتتها واعتقد أنه قد كان لها نفس الوضوح فى مخيلة القراء من جيلنا حين طالعوها لأنهم عايشوها كذلك ٠٠ ولكن السؤال الحائر الذى يبحث عن جواب هو : هل كان لهذه المعانى بالذات الوضوح الكافى فى نفوس الذين قرأوها من الاجيال الجديدة التى لم تعايش هذه الاحداث ، والذين نشأوا ولقنوا تاريخا مزورا ممسوخا وهم لا يشعرون ؟

ان على هذه الاجيال أن تعلم أن كل ما سردناه فى الجزء الاول إنما هو الا مجموعة من الحقائق التاريخية الثابتة التى لا تجحد . ولكن الذى حجبها وموه عليها تواطؤ متعمد بين الاستعمار الخارجى والاستبداد الداخلى ٠٠ واذا كان لهذين القدرة على حجب الحقائق ، فانه لا قدرة لهما على تغييرها أو محوها الى الابد ، فان الاحداث التاريخية جزء من الزمن .

* * *

واذا كانت احداث الجزء الاول قد وقع أكثرها والعالم الاسلامى لا يزال فى غفوة ، وكان من طبيعتها أن لم يكن لها الصخب الكافى الذى يلفت اليها الانظار ، فسهل بذلك على المغرضين حجبها ، فان احداث الجزء الثانى هذا جاءت صاخبة متوججة مدوية ٠٠ ولكنها مع ذلك لم تكن الا نتيجة الاحداث التى سردناها من قبل ، والتى لا يعيبها انها كانت مائدة رزينة ، والمثل العربى يقول : « اول الحرب الكلام » .

فماذا يقول الجاحدون حين ننقل للقراء احداث الجزء الثانى المثيرة المشتعلة من مظانها ، وقد سجلتها اصابير المحاكم ، وسانت بذكرها والتعليق

عليها أنهار الصحف في الداخل والخارج ، ورددت صداها اذاعات العالم ،
وشهدت لها سجون البلاد ومعتقلاتها ؟

••• وهل كانت هذه الاحداث انصاحية التي يطالعها القراء ان شاء الله
في هذا الجزء الا صدى للعمل الهادي الوثيد المخطط الدوب الذي استمر
عشرين عاما دون ملل ولا صخب ولا هواة •• وبفضل الحكمة ومهارة القائد
أمكن أن تحجب الدعوة الوليدة عن أعين المتربصين من الخونة
والمستعمرين ، فلم يتنبهوا لها الا وقد صارت ماردا جبارا يجتاح الظلم
والظالمين •

* * *

ونحب هنا أن نقف وقفة قصيرة امام قضية قد يثيرها بعض الناس
••• ذلك أن الجزء الاول من هذا الكتاب - بطبيعة مسيرته لاطوار الدعوة
منذ كانت فكرة يجب الاقتناع بها - قد استعرض كثيرا من آي الكتاب العزيز
وبعضا من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ••• وقد لا يجد القارئ
في هذا الجزء مثل ذلك فيقول بعضهم : أين موضع هذا الجزء من الدين ، ولم
نقرأ فيه تفسيراً لآيات ولا شرحاً لاحاديث ولا تعرضاً لاحكام فقهية تتصل
بالعبادات ؟

ولهؤلاء الاخوة الكرام نقول : ان المسلمين قد درجوا في عهودهم التي
طمست فيها معالم دينهم على أن يروا أن الكتب التي تتعلق بالدين هي الكتب
التي تنحو بالقارئ ناحية علمية نظرية ، تزيد من معلوماته الدينية وتثريها •
أما ما سوى ذلك من الكتب فانها في نظرهم كتب ليست من الدين في شيء ••
مع أن الدين ممارسة عملية قبل أن يكون دراسة علمية •

ذلك أن الاسلام شقان : أحدهما المعلومات والآخـر التنفيذ والتطبيق
••• ولم يشغل الشق الاول بكل ما فيه - من حياة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحياة الرعيل الاول معه - الا جزءا من ألف جزء شغلها الشق
الآخر • حيث كانت حياتهم كلها مرصودة للنهوض بأعباء نشر افكرة
الاسلامية وتنشيتها في النفوس ، وللعمل المتواصل لاقامة الدولة الاسلامية
على النهج الذي جاء به القرآن ، والجهاد الذي لا يفتقر لتحرير الشعوب من
ربقة الظلم والاستبداد ، وانقاذ الناس من عبادة العباد الى عبادة الله -
ولقد دخل الجنة رجل عاهد النبي صلى الله عليه وسلم على أن يضرب
ببهم من هنا فيخرج من هنا ، والمركة قائمة ، فصدق الله فصدق الله ،
ودخل الجنة قبل أن يركع لله ركعة •

وليس معنى هذا أننا نغض من قيمه الشق العلمى فى الاسلام . وانما قصدنا أن نلفت النظر الى أن هذا الشق - مع عظيم قيمته - لا ينبغي أن يستوعب من حياة المسلم الا القليل ، على أن يخصص الجزء الاكبر من حياته لتنفيذ ما حازه من معلومات . وأكثر من تسعين فى المائة من المعلومات فى الاسلام تتصل بالمجتمع وتطالب المسلم أن يساهم بكل ما أوتى من قدرات ومواهب فى اصلاح هذا المجتمع حتى يستقيم على أمر الله مهما كلفه من تضحيات « يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور » .

وما كان الصحابة رضوان الله عليهم - على علو قدرهم - يعرفون من الاحكام الفرعية فى الدين عشر ما يعرفه الآن طلاب المراحل الاولى من الدراسة الازهرية ، ولكن حياتهم مع ذلك كانت ممارسة عملية لما تعلموه من المعلومات الاساسية القليلة من أحكام الدين ، فكانوا يتحركون للدين ، ويسكنون للدين ، ويفرحون للدين ، ويغضبون للدين . . . ويعيشون للدين ، ويموتون للدين ، وكانوا هم الذين حققوا قول الله تعالى « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

ولقد مد الله تعالى فى عمر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حتى رأى أجيالا - لا شك انها كانت أحسن منا حالا وأقرب الى الدين منا - ومع ذلك قال عنهم : « أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا - ان أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به » .

فالاسلام ممارسة وعمل وصبر وجهاد قبل أن يكون معلومات يتعمق فى جملتها ، ويتبحر فى الخوض فيها . . . واذا أنت طالعت كتابا فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تقرا الا عن سلسلة متصلة الحلقات من الصبر والمصابرة والتجلد والثبات أمام شآبيب من نار التنكيل والتعذيب والسجن والمقتل والاضطهاد والتشريد والاعفان . . . وهذا هو الرسول الذى خاطبنا الله فى شأنه فقال « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ان كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

والتاريخ يعيد نفسه . . . ولا يزال المقتدون برسول الله صلى الله عليه وسلم يشقون نفس الطريق الذى شق ، ويعانون الآلام التى عانى ، ويواجهون الاضطهاد الذى واجه . . . حتى تقوم الساعة . الم . احسب الناس

ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » .

والذى يطالعه القراء فى هذا الجزء من هذا الكتاب هو حلقة من حلقات هذه السلسلة التى كان الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الحلقة الاولى فيها . فالاهداف هى الاهداف ، والوسائل هى الوسائل ، والعقبات هى العقبات . . وان اختلفت شكلا فقد اتفقت موضوعا .

* * *

هذه وقفة . . وهناك وقفة أخرى من حق الاخوة الذين طالعوا الجزء الاول ان نعرض لها حتى تطمئن نفوسهم ، تلك هى أن هذا الكتاب هو مذكرات تسجل أحداثا تاريخية . والاحداث التاريخية لا تخرج عن كونها مواقف لاشخاص . . ولا يمكن فصل المواقف عن الاشخاص الذين اتخذوها . فاذا كان الحدث التاريخي موقفا كريما ، فأمانة التاريخ تقتضى تسجيله لصاحبه دون أدنى محاولة للغرض منه ، أو غمز لصاحبه ، أو إفراغ ما قد يكون فى نفس الكاتب من شعور نحوه « ولا يجرمكم شأن قوم على أن لا تعملوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » .

ومكذا جاءت مواقف سجلناها لاصحابها . مرهونة بأوقاتها التى اتخذت فيها ، مشدودة الى الظروف التى أحاطت بها . مستحقة من الثناء أو الذم ما أوجت به هذه الاوقات وما حكمت به هذه الظروف .

وإذا كان الله تعالى ذكره قد قطع على نفسه عهدا فى حسابه لعباده ان لا يغفل لعبده منهم عملا صخر عنه مهما صغر هذا العمل فقال « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » ثم زاد هذه القاعدة وضوحا فقال « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ثم تعالى فضله وكرمه فوق أعلى مستويات العدل فقال « ان الله لا يظلم مثقال ذرة ، وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما » .

ونحن - معشر المؤمنين - مطالبون بان نتخلق باخلاق الله . . . فكيف نصيق ذرعا بذكر موقف كريم - على سبيل التسجيل التاريخي - لانسان رأينا له فيها بعد مواقف قد لا نتواءم مع هذا الموقف ؟

أحب أن يكون مستقرا فى خلد الاخوة القراء أن امانة التاريخ ، ونقل

صور الاحداث ، وتسجيل المواقف .. أمر يجب أن يؤدي دون أن يتأثر
بعاطفة الكاتب من حب للشخصيات التي يكتب عنها أو كراهية .

وإذا كان شريط التسجيل عند الله يسجل الاحداث والمواقف ظاهرها
وباطنها ، فإن شريط التسجيل البشرى يسجل الاحداث والمواقف بظاهرها
دون بواطنها ، ذلك أن الله تعالى وحده هو المحيط بكل شيء علما وهو العالم
بالسر وأخفى .. أما نحن فلا ندرك الا ما يقع في مجال حواسنا .

وليس معنى أن انسانا كان في وقت من الاوقات على حال ما ، أن يظل
على هذه الحال في كل وقت

على أنني ما رأيت صديقا فتنه منصب أو أبطره جاء الا وكان شعورى
نحوه شعور الاشفاق .. لا الاشفاق عليه وحده ، بل الاشفاق على نفسه
أيضا أن لو وضعت في موضعه فقد يغلبني ما غلبه ، وقد يستهويني
ما استهواه ... وقلب العبد المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن « فمن
يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم » ونسأل مقلب القلوب
ونضرع اليه أن يثبت قلوبنا على دينه .

* * *

وبعد هاتين الوقفتين القصيرتين نرجع الى ما كنا بصيحه فنقول :
ان الاحداث التاريخية الكبرى تجرى في احداثها سنة الكون ، فتبدأ حياتها
جنيها صغيرا يخلق خلقا من بعد خلق في بطون الامم في ظلمات ثلاث ..
حتى اذا تكاملت أسباب الحياة فيه أخذ الحمل تنبت أوجاعه ، وتتفاقم
آلامه ، وتتصعد آهاته ، بالضجر من ثقله .. حتى اذا تمت للحمل ساعاته
وأيامه وشهوره بدأ المخاض .. وما أشق المخاض ، وما أصعب لحظاته ..
حتى تكون الولادة .

وإذا كان الحدث البشرى تجرى عليه هذه الاطوار في بطن أمه حتى
يولد في أشهر معدودة ، فإن الحدث التاريخى يستغرق لاستكمال أطواره
هذه في بطن الأمة سنين عددا .

وهكذا سائر القراء في الجزء الاول من هذا الكتاب الحدث التاريخى
الذى بدأ والأمة الاسلامية ساهية لاهية تائهة ، ثم التقت بالدعوة الناشئة
فاحتضنتها ، فبدأ الحدث التاريخى الكبير أول اطواره ، وأخذ ينمو في بطن
الأمة ويتطور عشرين عاما ... وعلى حين غرة فوجيء الغاصبون الذين كانوا
قد أوهموا هذه الأمة بانها عقيم ووضعوا أيديهم على كل مقدراتها من ثروة

ومتاع - فوجئوا بأن الامة على وشك ولادة حدث خطير ، يزلزل أقدامهم ، ويسلبهم كل ما يستمتعون به من ثروة أمة ومتاعها .. فأتوا مذعورين ، وأجمعوا كيدهم على اجهاضها متغاضين في ذلك عن كل مبادئ الاخلاق والانسانية والرحمة والقانون .

وانتهى القارىء في الجزء الاول مع استعراض ثمانى محاولات من هؤلاء الغاصبين لهذا الاجهاض .. فلما فشلت هذه المحاولات لجأوا الى محاولتين وحشيتين قصدوا بهما قتل الجئين والام معا .

والاحداث التى تصنع التاريخ لايد لها من أن تمر بهذا الطور البالغ العنف والشدة والقسوة والوحشية .. وقد رأينا أن نفرد لهذا الطور بابين في هذا الجزء الثانى من الكتاب ، حيث عملت أيد خفية على حجبها ، لايهام الاجيال الجديدة التى لم تعيش أيامه أن التاريخ الذى يعيشونه هو من صنع صور تحركها أمامهم هذه الايدى .. وهذه النصور المحركة من وراء هم الدين قال الله تعالى في شأنهم « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم » .

يطالع القارىء في هذا الجزء مجابهة صريحة بين الدعوة الفتية وبين القوة الغاشمة . وكيف فعلت القوة الغاشمة بشباب هذه الدعوة وزجالها ونسائها من نظائع ترتجف لهولها النفوس وتتشعر الابدان .. وكيف تلقى هذا الشباب الطاهر المؤمن هذه الوحشية بالصبر والايمان والثبات .. وكما أذهل هذا الشباب العالم أجمع بشجاعة وفدائية منقطعة النظير في ميدان انتقاله ، أذهله كذلك بصبره وجلده وثباته في ميدان المحنة والابتلاء .

كانت هذه الفترة هي أشد ما مر بالدعوة من محن وما اعترض طريقها من شدائد .. انها كانت جائحة لا يقف أمامها شيء الا اقتلعت من جذوره .. والدولة كلها بكل ما تملك من قدرات قد سخرت نفسها وقدراتها لاجتثاث هذه الدعوة من أعماق أعماقها .. وقد تخلت هذه الدولة فعلا قرابة عام كامل عن كل مهمات الدول وتفرغت لهذه المهمة ، مستبiche جميع الوسائل المشروعة وغير المشروعة .

ولقد كنا نحن - الاخوان المسلمين - في ذلك الوقت ، لشدة ما نرى من تضافر جميع القوى ضحنا ، نلتفت يميننا وشمالا فلا نرى الا أعداء أو شامتين .. حتى الشعب المسكين بدأ يتأثر بما لم يعد يسمع غيره مما تكيهه لنا وسائل الاعلام من تهمة وافتراءات . فالتنكيل والتعذيب يتم في خفاء ومن

وراء ستار ، والتهم والافتراءات تكال ملء الصفحات وفي الاذاعة الساعات
تلقوا الساعات ، وبالسنة حداد وبلاذع انعبارات ٠٠ فكانما كنا المخاطبين
بقوله تعالى « اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا » هنالك ابتلى المؤمنين
وزلزلوا زلزالا شديدا » .

ولم نكن ندرى بعد ، ان هذا الذى نعانيه هو طور لابد منه لافراز
حدث تاريخى جديد ٠٠ لم نكن ندرى ان هذا هو طور المخاض لحمل تكون فى
بطن الامة خلال عشرين عاما وقد آن للمولود ان يولد - واذا كانت فترة
المخاض لافراز المولود النبشرى لا تعدو ان تكون ساعة او نحوها ، فانها
تمتد لافراز الحدث التاريخى شهورا وسنين .

* * *

ولعمري انها لحقائق تاريخية لسنيا فى ايرادها متخيلين ولا متوهمين
ولا مدعين ٠٠ واذا كان هناك من يدعون ان لهم فضلا فى صنع هذا التاريخ
غلياتونا بما سجله التاريخ لهم من فكرة محددة المعالم بثوها ادة عشرين
عاما فى اذهان الشعب المصرى والشعوب العربية والاسلامية ، فاحيت هذه
الشعوب من موات ، وأيقظتها من سبات ، وجمعتها بعد شتات ، وواجهت
بها - بعد تربية على أعلى المستويات - الفساد فى الداخل والاعتصاب
والاستعمار فى الخارج .

ولو كان الاستبداد الداخلى والاستعمار الخارجى قد وجدا امامهما من
يعترض طريقهما أو من يخشيان على وجودهما منه ، لكان لهما معه موقف
شبيه بموقفهما من الاخوان المسلمين :

اولئك آيائى فجئنى بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير الجامع

* * *

لقد نكلت الحكومة الحاكمة المؤيدة بكل قوى البغى الداخلية والخارجية
برجال هذه الدعوة وشبابها ونسائها ومزقتهم كل ممزق ٠٠٠ ثم لم تكتف
بذلك بل أرادت ان تمحو هذه الدعوة من التاريخ ، فتقدمت بالحطام الذى
أبقى عليه التنكيل والتعذيب من هؤلاء الشباب الابطال الى القضاء ،
بقضايا مجهزة بأخطر التهم وباعترافات خطية مفصلة ٠٠ فكانت هذه
الخطوة هى اشد علينا من كل ما لقينا من غت وظلم وافتراء وتعذيب ٠٠ ذلك
ان كلمة القضاء هى الكلمة الفاصلة التى يتلقاها التاريخ بتجلة وثقة

واحترام .. واذا ضلل القضاء فقال كلمته - بناء على ما قدم اليه من أدلة مزورة والقضاة بشر لا يعلمون الغيب - فان كلمته هذه تدمخ المقضى في شأنه دمعا يمحو تاريخه ويقضى على مستقبله .. ان كلمة القضاء قبر يوارى فيه من دمغته كلمته الى الابد .

ولكن الله جلت قدرته صدق وعده اذ قال « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، ولنبيدنهم من بعد خوفهم أمنا » فقد تكفل هذا العليم الخبير القدير بأن يجعل هذا القبر الذي أعدوه لهذه الدعوة قبرا لهم .. أو ليس هو سبحانه الذى وصف قدرته فقال « ويخلق ما لا تعلمون » وسجل وعده فقال « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . انهم لهم المنصورون » وان جنحنا لهم الغالبون ، وقال « وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين » ؟

ولا يحسبن القارىء الكريم أن الغلبة والنصر اللذين وعد الله بهما لا يتحققان الا بتولى الموعودين مناصب الحكم .. فمناصب الحكم عارضة وزائلة ، وصنفسى على الايام وينفسى من شغلوعا ، ولا يبسقى في أذهان الناس الا رذائلهم وسخافاتهم وطيشهم .. وانما النصر هو التمكين في الارض .. هو تغلغل الفكرة التى تدعو اليها في عقول الناس وقلوبهم ، وامتزاجها بدماء مهجهم ، وصياغتها الاجيال تلو الاجيال على انمط الذى توحى به والطراز الذى تنشده . مهما تعاقبت الايام وتغيرت الظروف .. لا تعترف بالعقبات ، ولا تكثرث بالمعوقات .. فهي ماضية في طريقها كوكبا هاديا في ظلمات ليل بهيم حتى ينبجل الفجر فتكون هي شمس المشرق التى ينعم الجميع بنورها ويستمتعون بدفئها وحيويتها .

كان لابد للشعب ان يشهد ويقرأ ويسمع - بعد أن طال أمد تضليله - عن طريق ساحات القضاء ما حجب عنه من بطولات أبنائه وشجاعتهم وفدائيتهم ، وأن يشهد ويقرأ ويسمع ما أخفى عنه - من مخازى تلك اليهود وخياناتها وتواطئها مع المستعمر - ما يحرك شعور هذا الشعب ويشير حفيظته ، وما يعده اعدادا عقليا ونفسيا وعاطفيا لثورة عاصفة لا تبقى من هذه اليهود على اثر ..

والمستعمرون وآلاتهم من حكام الشعوب المستضعفة لا يملون ولا يياسون مهما فشلت خططهم ، ومهما حبطت مؤامراتهم ، فلقد لجأوا اخيرا والدعوة

لا تزال في طور ما بين الحياة والموت الى تطويقها عن طريق التشريعات والقوانين ٠٠٠ وهذا باب من أخطر الابواب الخبيثة الماكرة ، فهو أسلوب هادئ للاعدام بالسم الزعاف الذي لا يسمع له صوت ولا يحس له ضجيج ٠٠ هذا هو أسلوب الاحتواء الذي يقضى على شخصية الهيئات والانكار والدعوات دون أن تحس هي أو يحس غيرها - ولا يلجأ اليه عادة الا الحكام الماكرون المفتونون بخرور السلطة ، الذين يعميهم الغرور فيفسون أنهم زائلون ٠٠ وقد عانت الدعوة أيضا هذا النوع من طرق الإبادة ، وأفرغنا له فصلا كاملا لما له من خطورة بالغة على حياة الدعوات وعلى حياة الامم نفسها .

* * *

وقد لا يعيب الاخوان المسلمين أن يعترفوا بأن اغتيال المرشد العام بالطريقة التي رتبتم لاغتياله كان أشد أثرا في تعريض الدعوة للتجبد والفناء من كل ما ووجهت به من أساليب القهر والكبت والعسف والتعذيب - ذلك أن دعوة بلا قيادة هي جسم بلا رأس ٠٠ ولا يعيبيهم اذا قالوا أنهم عانوا من هذا الموقف طويلا أشد المعاناة .

فلقد كان حال الاخوان في ذلك الوقت حال سفينة غاصة بركابها ، عصفت بها الرياح الهوج وهي وسط بحر صاخب مائج موجه كالجبال . فاختطفت الرياح الهوج أول ما اختطفت ربابها الذي كان ساهرا على قيادتها وتوجيهها ٠٠ ثم أخذت الرياح تلعب بجفاتها فترنحت السفينة يمينا وشمالا حتى ألقي بها على صخرة عاتية متشعبة فتحطمت، وصار ركابها حيارى لا يرون لانفسهم من الهلاك منجى ولا مهربا ٠٠

كل ذلك والحشد الحاشد الواقفون على الشاطئ يرقبون السفينة منذ عصفت بها الرياح ومزقتها الامواج ، ويرون الركاب يغالبون الموت وهو محيط بهم من كل جانب ٠٠ ولم يعد من بريق أمل في نجاتهم ٠٠ وثبت المراقبون أنظارهم على السفينة المحطمة ليروها حين تهوى ويبتلعها اليم وتغوص بمن فيها الى العمق السحيق .

وبينما هم يترقبون هذه اللحظة الاخيرة ، اذا بهم يرون واحدا من هؤلاء المغالبيين قد غلب الموج حتى غلبه ، وشق طريقه الى الدفة المترنحة فأمسك بها بيدين قويتين ، فأوقفه تنبذها ، ووجه ما بقى من حطام السفينة بمن فيه الى بر الامان .

فما كان من الحشد الحاشد على الشاطئ الا أن تلقوهم بالعناق

والاحضان • وقد اقنعهم ما رأوا بأعينهم أن هذا الربان الذى أنقذ السفينة
بمن فيها من الهلاك المحقق ، جدير أن يتخذوه فى البر قائدًا ومرشدًا وأميرًا ••

وهكذا استطاع الاخوان أن يخرجوا من محتهم ومن حيرتهم ، ومن
ضيق كان محيطًا بهم ، ومن تشتت كاد يأتى عليهم - بالتفافهم حول مرشد
جديد رشحته لهم العناية الالهية فى أقسى الظروف وأحرج الاحوال •

وهكذا خرج الاخوان من محتهم ، لا ليستردوا حريتهم فحسب ، بل
لينسلموا لواء القيادة فى السلوك ببلادهم الى طريق جديد •• فلقد كان فى
خروجهم من أتون المحنة سالمين ، فى أتم عافية ، ما أذهل الذين أوقدوا لهم
هذا الاتون •• فأسقط فى أيديهم ، ولم يملكوا الا أن يقفوا أمام هذه الآية
خاشعين •

ومع ذلك فإن القيادة الجديدة لم تسلم من عقبات المعوقين من داخل
البناء الاخوانى ، كما لم تسلم من مكر الكائدين من خارجه •• ولكن هذه
القيادة - بحكمة خطواتها ، وبصلابة عودها ، وبإخلاص نياتها ، والتفاف
الاخوان من حولها - استطاعت بفضل الله أن تتفادى هذه العقبات ، وأن
تشق طريقها بهذه الامة الى الغاية التى كان الشعب يتمناها ، وهى تحريره
من تاريخ طويل مظلم مستبد ، الى تاريخ مشرق جديد •• وقد نجحت هذه
القيادة فى تحقيق هذا الامل العظيم ، وزحفت بالشعب حتى بلغت به نهاية
الشوط ، ووضعت على أول الطريق الجديد •

محمود عبد الحليم

٢٥ من صفر الخير سنة ١٤٠١
أول يناير سنة ١٩٨١ م } الاسكندرية فى

الباب الأول

آخِرُ مَا كَانَ فِي جَعْبَةِ التَّائِمِ الْعَالِمِيِّ وَهُمَا : خُطَّتَا الْإِبَادَةِ

● الخطة الاولى : الحل

● الخطة الاخيرة : جريمة القرن العشرين

مقدمة

وقفنا في الفصل الاخير من الجزء الاول من هذه المذكرات في استعراضنا لخطط التآمر العالمي على دعوة الاخوان المسلمين عند الخطة الثامنة ، وارجأنا تناول الخطتين الاخيرتين من هذه الخطط الى هذا الجزء من المذكرات . . .

وما كان المتآمرون يعتقدون انهم سيحتاجون الى اللجوء الى هاتين الخطتين في يوم من الايام ، فالخطط الثماني السابقة كانت كافية - في نظرهم وحسب تجاربهم - لسحق اعظم هيئة تقف في طريقهم . . . ولكنهم فوجئوا بما لم يكونوا يحتسبون ، من فشل الخطط الثماني في النيل - ولو خدشا - من البناء الاخواني المتين .

وجدوا انفسهم - حينئذ - مضطرين الى اللجوء الى الخطتين المخدرتين ، وهم يعلمون انهما خطتا إبادة ومحو من الوجود ، لانهما من الفظاعة والجراة والعنف والتوحش بحيث يرتاع العالم لفظاعتهما وتوحشهما ، وبحيث يغطى دويهما على أصداء الاحداث الجسام التي كانت تجرى على أرض مصر والبلاد العربية في ذلك الوقت .

ولم يقدم المتآمرون على النزول بهاتين الخطتين الى ميدان المعركة الا بعد أن وثقوا من توفر جميع أسباب نجاحهما . . . ومما يؤسف له ، ومما يدمى القلب أن أهم هذه الاسباب أن يكون تنفيذهما بأيدٍ مصرية . . . وقد اطمأنوا تمام الاطمئنان الى وجود هذه الايدى مستعدة. متلهفة .

وقد يختلف المطلون للاحداث في تعليل التوقيت الذي اختاره المتآمرون للاقدام على ارتكابهما ، فيعلل بعضهم الاقدام عليهما في ذلك الوقت بأنه كان تغطية لفشل الحكومة المصرية في تحقيق الاهداف الوطنية ، ولعجزها عن احراز أي نجاح في الوصول بالقضية المصرية الى ادنى ما يؤمله المصريون .

ويعلل آخرون هذا التوقيت بأنه كان لاسدال ستار على مهازل هذه الحكومة في قضية فلسطين ، ولصرف أنظار المصريين عن النهاية الاليمة للجيش المصري فيها نتيجة السياسة الخرقاء التي عالجتها بها هذه الحكومة شئون هذه الحرب ، وتخبطها وتناقضها واستبدادها بآرائها ، ورفضها الاستماع الى نصائح الناصحين وتحذير الخبراء الخالصين .

واطلاقا لضباب كثيف يحجب الرؤية عما تخلل هذه الحرب من خيانات ، ظهر اثرها في الاسلحة الفاسدة التي امد بها الجيش ، فكانت

الذخيرة الموجهة الى العدو - بدلا من أن تنفجر فيه - تنفجر في جنودنا وضباطنا فتفتك بهم وتقضى عليهم .

ويرى بعض المحللين أن ثورة اليمن التي نشبت ضد الامام يحيى حميد الدين كانت الدافع الحقيقى الى هذا التوقيت ، فقد نشبت هذه الثورة في أوائل عام ١٩٤٨ وقرار الحل صدر في أواخر العام نفسه .

وهناك من يرى أن ظهور القوة المذهبة للروح انفدائية لمتطوعى الاخوان المسلمين في فلسطين هي التي حددت هذا التوقيت ، وحملت مديرى المؤامرة العالمية على التعجيل بما كانوا يدخرون من خطط الابداء .

على أننا نرى أن هذه التعليقات كلها مجتمعة هي التي تضافرت معا على تحديد هذا التوقيت .

الخطبة الأولى للإمام
الحل
صُدور أمر عسكري بالحل

- صدور أمر عسكري بالحل
- من هو الأمر الحقيقي بالحل ؟
- تنفيذ أسباب الحل

الفصل الاول

صُدور أمر عسكري بالحل

صدور أمر عسكري بالحل كان هو الخطوة التاسعة في سلسلة خطط التآمر العالمي على الدعوة ، الا أنه كان خطوة بعيدة المدى ، فادحة الآثار ، بالغة العنف ، لما اقترنت بها من أساليب فاقت في التوائها وغلبيتها وتجافيها عن الذوق والعقل والقانون والمنطق والانسانية أساليب اللصوص والمجرمين وقطاع الطريق .

ويبدو أن المتآمرين قد اختاروا لتنفيذ هذه الحلقة من السلسلة النفراتشي رئيس الوزراء في ذلك الوقت ، لما يعلمون عنه من ضيق الافق وقصر النظر وبلادة التفكير . وهي مؤهلات تضمن لهم أن يكون التنفيذ بطريق الطاعة العمياء . . . ولا يصلح لهذه المهمة الا رجل اجتمعت فيه كل هذه الخصال . . وقد وثقوا من ذلك بعد أن أثبتته موافقه السياسية الداخلية والخارجية خلال سنوات ثلاث تولى خلالها رئاسة الوزارة مرتين . . فكان هو طلبتهم والشخصية التي يندر وجودها بل وقد يستحيل وجودها . . فكل البلاد المقهورة لا يصل الى رئاسة الوزارة فيها الا الرجل الكفء التقدير البعيد النظر الواسع الافق الذي يجمع بين الذكاء والمرونة التي هي محصلة كل صفات الكفاءة .

أما في مصر ، وفي تلك الحقبة من الزمان ، فإن استهتار الملك بالشعب وانغماسه في شهواته ، قد اقتضى أن يستدعى الى سدة الحكم ؛ ويحكم في رقاب الشعب ، حزبا من الاحزاب المصطنعة ، ما كان له ان يصل الى الحكم فاذا استدعاه الملك ، ضمن هذا الملك ان يجد تحت قدميه حكاما يصدعون بأمره ، ويذعنون لصلافه ، ويلهجون بذكره ، ويسبحون بحمده ، ويتنافسون على اشباع قزواته .

وقتل رئيس هذا الحزب (١) - المسمى حزب السعديين - فخلفه على كرسي الوزارة نائيه في الحزب . . وكثيرا ما يكون نائب الرئيس في

(١) أحمد ماهر .

التجمعات السياسية صالحا لممارسة كل الاعمال الا الرياسة .. وكان النفراشى باشا من هذا الطراز .. فتولى الوزارة مرتين جر خلالهما على البلاد نكبات لم تمن بمثلها من قبل ، ففي عهده هوجم الطلبة بالمدافع الرشاشة فحصدوا حصدا - اذ هو صاحب موقعة كوبرى عباس الثانية التى نوهنا عن فظاعتها فى الجزء الاول من هذا الكتاب .. وفى عهده ثبت الاحتلال البريطانى اقدامه فى ارض مصر .. وفى عهده فقدنا السودان وانقطعت آخر الروابط بيننا وبينه .. وفى عهده ضاعت فلسطين وسلمت الى اليهود وتأسست دولتهم على ارضها ، وجلل الجيش المصرى الباسل بالخزى والعار لهزائم لا دخل له فيها ، ولا ذنب عليه فيما حاق به منها ، ولكنها هزائم ورط فيها هذا الجيش نتيجة سوء تصرف هذا الحاكم وقصر نظره وفساد تقديره وتحجر عقله ، وارتضائه ان يكون العوبة فى يد المستعمر -

وظهرت براعة المتآمرين فى اختيارهم منفذ المؤامرة . واقتصرت مهمتهم بعد ذلك على وضع هذا المنفذ على قمة النحدر ، وارتضى هو لنفسه هذا الوضع واحما - لقصر نظره - انه يقعد على ارض منبسطة .. وأخذ فى الانطلاق فاذا به يتدهور ، وكل تدهور يسلمه لما هو أنكى منه ، وهو لا يملك من أمر نفسه شيئا ، ولا يجد حاجزا يحجزه فيقف بتدهوره عند حد .. حتى تحطم وتحطمت معه البلاد ، والمتآمرون يتفرجون فرحين جثلين .

وكان الوهم الذى سلط على العقلية القاصرة للنفراشى باشا أنه - وقد أيد بسلطة الملك ، لا سيما ومستشار الملك ورئيس ديوانه هو ابراهيم عبد الهادى صنوا النفراشى ونائبه فى الحزب .. ومن ورائه مجلس نواب صنعه بيده وأعضاؤه من صنائعه .. ثم انه مسلح بامضى سلاح يشهره فى وجه من يشاء وكيفما شاء هو سلاح الاحكام العرفية - فقد ظن اذن انه فى مأمن من عوادي الدهر وكوارث الايام ، وفى حصن منيع تنقطع دونه الرقاب ، ويرجع عنه كل هجوم عليه وهو كسير حسير .

وهكذا يعمى هيلمان السلطة من يقف فى شركها من قصار النظر من الحكام عن رؤية الحقائق فى الوقت المناسب ، فيعيشون فى دائرة الوهم ، ويدورون معه حيث يدور ، ويندفعون فى تياره حيث يدفعهم ، حتى يرتطموا أخيرا بصخرة الواقع فيتحطمون ، وحينئذ يفيقون بعد قوات الاوان .. وخطورة هذا التحطم انه يجر معه الخراب والدمار على البلاد التى ابتليت بهذا النوع من الحكام .

ومما يضاعف من أضرار هذا النوع من الحكام أنهم لا يحيطون أنفسهم في الحكم الا بأمثالهم من قصيرى النظر من هواة السلطة وعشاق المناصب - وقد قيل من قبل : شبيه الشيء منجذب اليه - فيكملون بذلك حلقة الظلام المطبقة حولهم - فترى الذين يصلون الى المناصب الحساسة المحيطة بهم أحد رجلين ، أما متسلق ميت الضمير ، وأما من هو على شاكلتهم من ضيقى الافق وقاصرى الادارة وممن لا يتعدى مدى بصرهم أطراف أنوفهم - مع أن هذا النوع من الحكام هم أحوج أن يكون بجانبهم مساعدون على أعلى مستوى من الذكاء والمرونة وبعد النظر حتى يكملوا ما بهؤلاء الحكام من نقص ، وحتى يبصروهم بما لا يرون من عواقب الامور ، فتصدر القرارات بذلك مجانية للخطأ قريبة من الصواب .

ولكن هكذا كان ٠٠٠ أن تولى الفقراشى - قيادة البلاد في إخراج ظروفها - وهو ما هو مما وصفنا - واستعان مع ذلك بمن هم شر منه من أمثال عبد الرحمن عمار الذى اختاره وكيلا لوزارة الداخلية للامن العام - وسوف يرى القارىء في صفحات قادمة ان شاء الله مدى ادراك هذا الرجل أيضا ونصيبه من الفهم والبصيرة والذكاء .

صورة تخطيطية لهيئة الاخوان في ذلك الوقت :

وقبل أن ننقل للقارىء نص قرار الحل ومذكرته التفسيرية نضع بين يديه صورة تخطيطية مجملة لهيئة الاخوان المسلمين في ذلك الوقت ، حتى يتصور القارىء عظم الجريمة التى اقدم عليها اللاعبون بالنار ممن أصدروا هذا القرار وهم عامدون .

كانت صورة هذه الهيئة تضم فيما تضم ما يأتى :

١ - المركز العام للاخوان المسلمين بالقاهرة .

٢ - أكثر من ٢٠٠٠ (ألفى) شعبة في أنحاء القاهرة والاقاليم .

٣ - ما يقارب هذا العدد من جمعيات البر والخدمة الاجتماعية للاخوان المسلمين في أنحاء القطر ، وبالكثير منها مستوصفات ومدارس ونواد رياضية .

٤ - جيش من الفدائيين يحارب في فلسطين ، وكان في تلك الفترة يحمى مؤخرة الجيش المصرى ، وكان القائد العام للجيش المصرى بفلسطين يطالب الحكومة المصرية في نفس تلك الفترة بالانعام بأوسمة البطولة ونياشينها على ضباط هذا الجيش الفدائي وجنوده لما اظهروا من بطولات

فاقت كل تقدير ، ولما قدموا من خدمات الجيش المصرى لا يستطيعها
غيرهم .

٥ - شركة دار الاخوان للصحافة ، شركة مساهمة مصرية مركزها
القاهرة ، وتصدر جريدة يومية ومجلة أسبوعية عدا مجلتين شهريتين .

٦ - شركة دار الاخوان للطباعة - شركة مساهمة مصرية مركزها
القاهرة .

٧ - دار الطباعة والنشر الاسلامية بالقاهرة ، وهى تصدر سيلا من
الكتب الاسلامية القيمة والرسائل النافعة .

٨ - شركة المناجم والحاجر العربية - شركة تضامن ، ومنضم اليها
شركة المعاملات الاسلامية بالقاهرة .

٩ - شركة الاخوان للنسيج بشبرا .

١٠ - شركة الاعلانات العربية بالقاهرة .

١١ - شركة الاخوان للتجارة بميت غمر .

١٢ - شركة لاصلاح الاراضى بنجع حمادى و ٠٠٠ وغير ذلك من
المؤسسات .

ثم ننقل فيما يلى نص الامر العسكرى الهمجى الذى أصدره النقراشى
باشا للقضاء على أعظم هيئة نافعة فى تاريخ مصر ، فكان كالطفل الذى أوقد
النار فى بيتهم وهو يلعب غانت عليه وعلى أبيه وأمة وأسرته .

نص الامر العسكرى رقم ٦٣ لسنة ١٩٤٨

بحل الاخوان المسلمين

الاربعاء ٧ صفر ١٣٦٨ - ٨ ديسمبر ١٩٤٨

أمر عسكرى

بحل جمعية الاخوان المسلمين وجميع شعبها

بعد الاطلاع على الرسوم الصادر فى ٣١ مايو ١٩٤٨ باعلان الاحكام
العرقية .

وعلى المادة الثالثة (بند ٨) من القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٣ الخاص
بنظام الاحكام العرقية والقوانين المعدلة له .

وبمقتضى السلطات المخولة بنا بناء على الرسوم المتقدم ذكره

تقرر ما هو آت : .

مادة ١ - تحل فوراً الجمعية المعروفة باسم جماعة الاخوان المسلمين

بشعبها في جميع أنحاء المملكة المصرية وتغلق الامكنة المخصصة لنشاطها .
وتضبط الاوراق والوثائق والسجلات والمطبوعات والمبالغ والاموال . وعلى
العموم كافة الاشياء المملوكة للجمعية .

ويحظر على اعضاء مجلس ادارة الجمعية المذكورة وشعبها ومديريها
واعضائها والمنتخبين اليها باية صفة كانت مواصلة نشاط الجمعية . وبوجه
خاص عقد اجتماعات لها او لاحدى شعبها او تنظيم مثل هذه الاجتماعات
او الدعوة اليها . او جمع الاعانات او الاشتراكات او المشروع في شيء من ذلك .
ويعد من الاجتماعات المحظورة في تطبيق هذا الحكم اجتماع خمسة فاكتر من
الاشخاص الذين كانوا اعضاء بالجمعية المذكورة .

كما يحظر على كل شخص طبيعي او معنوي السماح باستعمال اى
مكان تابع له لعقد مثل هذه الاجتماعات او تقديم اية مساعدة مادية او ادبية
اخرى .

مادة ٢ - يحظر انشاء جمعية او هيئة من اى نوع كانت او تحويل
طبيعة جمعية او هيئة قائمة اذا كان الغرض من الانشاء او التحويل القيام
بطريق مباشر او غير مباشر بالنشاط الذى كانت تتولاها الجمعية المنحلة او
احياء هذه الجمعية على اية صورة من الصور . كما يحظر الاشتراك في كل
ذلك او المشروع فيه .

مادة ٣ - على كل شخص كان عضوا في الجمعية المنحلة او منتميا
اليها وكان مؤتمنا على اوراق او مستندات او ذفاتر او سجلات او اقوات
او اشياء من اى نوع كانت متعلقة بالجمعية او باحدى شعبها ان يقدم تلك
الاوراق والاشياء الى مركز البوليس المقيم في دائرته في خلال خمسة ايام
من تاريخ نشر هذا الامر .

مادة ٤ - يعين بقرار من وزير الداخلية مندوب خاص تكون مهمته
استلام جميع اموال الجمعية المنحلة وتصفية ما يرى تصفية منها .
ويخصص الناتج من التصفية للاعمال الخيرية او الاجتماعية التى يحددها
وزير الشؤون الاجتماعية بقرار منه .

مادة ٥ - على كل شخص كان عضوا في الجمعية المنحلة او منتميا
اليها وكان مؤتمنا على اموال - ايا كان نوعها - خص الجمعية او احدى
شعبها ان يقدم عنها اقرارا للمندوب الخاص المشار اليه في المادة السابقة
في خلال اسبوع من تاريخ نشر هذا الامر . وعليه ان يسلمها الى ذلك
المندوب في الميعاد الذى يحدده لهذا الغرض او في تاريخ استحقاقها على حسب
الاحوال .

مادة ٦ - يجب على كل شخص طبيعى او معنوى كانت له معاملات مالية من اى نوع كانت ان يقدم عنها اقرارا مبينا به طبيعة هذه المعاملات والمستندات المؤيدة لها ، وما اذا كان مدينا او دائنا باى مبلغ وموعد الاستحقاق الى غير ذلك من البيانات التى تسمح بتعرف مع الجمعية او احدى تلك المعاملات . ويقدم هذا الاقرار الى المنسوب الخاص المعين طبقا للمادة الرابعة بكتاب موصى عليه فى خلال اسبوع من تاريخ نشر هذا الامر .

ويجوز دائما للمنسوب الخاص الفاء جميع العقود التى كانت الجمعية المنحلة او احدى شعبها مرتبطة بها ولم يبدأ او لم يتم تنفيذها دون ان يترقب على هذا الالفاء اى حق فى التعويض للمتعاقدين معها .

مادة ٧ - كل مخالفة لاحكام المواد ١ ، ٢ ، ٣ يعاقب مرتكبها بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر ولا تزيد على سنتين وبغرامة لا تقل عن مائتى جنيه ولا تجاوز ألف جنيه او باحدى هاتين العقوبتين ، وذلك مع عدم الاخلال بتطبيق اى عقوبة أشد ينص عليها قانون العقوبات او اى قانون أو امر آخر ، فضلا عن مصادرة الاموال موضوع الجريمة ، ويجوز لرجال البوليس ان يغلqوا بالطريق الادارى الامكنة التى وقعت فيها الجريمة .

مادة ٨ - كل مخالفة لاحكام المادة الخامسة يعاقب مرتكبها بالحبس وبغرامة قدرها خمسون جنيهًا ، فاذا كانت قيمة المبلغ الذى لم يقدم عنه الاقرار المشار اليه فى المادة الخامسة تزيد على خمسين جنيهًا كانت العقوبة الحبس وغرامة تعادل قيمة المبلغ المذكور بحيث لا تزيد على ٤٠٠٠ (اربعة آلاف) جنيه .

مادة ٩ - اذا كان الشخص المحكوم عليه فى احدى الجرائم السابقة موظفا او مستخدما عموميا او بمجالس المديرىات او المجالس البلدية او القروية او اية هيئة عامة أخرى او كان عمدة او شيخا تحكم المحكمة أيضا بفصله من وظيفته ، وإذا كان طالبا فى احدى معاهد التعليم الحكومية او الواقعة تحت اشراف الحكومة تحكم أيضا بفصله منها وحرمانه من الالتحاق بها لمدة لا تقل عن سنة .

مادة ١٠ - يكون للمنسوب الخاص المعين طبقا للمادة الرابعة صفة رجال الضبطية القضائية فى تنفيذ احكام المادتين ٣ ، ٥ وله فى هذا السبيل حق دخول المنازل وتفتيشها كما ان له تفويض من يندبه لهذا الغرض فى اجراء عمل معين من تلك الاعمال .

ويعنى المنسوب المذكور والمفوضون عنه وكذلك رجال الضبطية

القضائية في مباشرة تلك الاجراءات من التقيد بالاحكام الموضوعية لهذا
الغرض في قانونى تحقيق الجنايات .

المذكرة التفسيرية

وفيما يلى نص المذكرة المرفوعة الى دولة رئيس الوزراء بطلب حل
جمعية الاخوان المسلمين :

تألفت منذ سنوات جمعية اتخذت لنفسها اسم « الاخوان المسلمون »
وأعلنت على الملأ أن لها أهدافا دينية واجتماعية دون أن تحدد لها هدفا
سياسيا معيناً ترمى اليه ، وعلى هذا الاساس نشطت الجمعية وبثت
دعايتها ، ولكن ما كادت تجد لها أنصارا وتشعر بانها اكتسبت شيئا من
رضا بعض الناس عنها حتى أسفر القائمون على أمرها عن أغراضهم
الحقيقية ، وهى أغراض سياسية ترمى الى وصولهم الى الحكم وقلب النظم
المقررة في البلاد .

وقد اتخذت هذه الجماعة - في سبيل الوصول الى أغراضها - طرقا
شتى يسودها طابع العنف ، فدربت أفرارا من الشباب أطلقت عليهم اسم
« الجواله » وأنشأت مراكز رياضية تقوم بتدريبات عسكرية مستترة وراء
الرياضة . كما أخذت تجمع الاسلحة والقنابل والمفرقات وتخزنها
لتستعملها في الوقت الذى تنتخيره ، وساعدها على ذلك ما كانت تقوم به
بعض الهيئات من جمع الاسلحة والعتاد بمناسبة قضية فلسطين . وأنشأت
مجلات أسبوعية وجريدة سياسية يومية تنطق باسمها سرعان ما انغمست
في تيار النضال السياسى متغافلة عن الاغراض الدينية والاجتماعية التى
أعلنت الجماعة أنها قامت لتحقيقها .

ولا أدل على هذا مما أثبتته ممثل النيابة العسكرية العليا في مذكرة
له في شأن ما أسفر عنه تحقيق قضية الجناية العسكرية رقم ٨٨٢ لسنة
١٩٤٢ قسم الجمرک ، اذ قال عن جمعية الاخوان المسلمين « وبفحص المكاتب
الآخري اتضح من الاطلاع على التقرير المرسل من بعض أعضاء
الجماعة في طنطا أنهم يعيرون على الجمعية سياستها الحالية التى تصطبغ
بصبغة دينية بحتة ، ويطلبون أن تكشف الجمعية للجمهور عن حقيقة
مراميها وعن الغرض الاساسى من تكوينها الذى ينصب بالذات على أن
الجمعية ليست جمعية دينية بالمعنى الذى يفهمه الجمهور ، وإنما هى جمعية
سياسية دينية اجتماعية تنادى بتغيير القوانين واساليب الحكم الحالية ،
وأن الخطب الدينية لا تنفيد في توجيه الجمهور الى تفهم غرضها الحقيقى ،
وأن الوسيلة لبلوغ هذا هو اثاره الجمهور بطريقة طرق مشاعره وحساسيته

لا عقله وتقديره ، اذ أن هذه الناحية الاخيرة هي ناحية ضامرة فيه
الخ » وقد كتب الشيخ حسن البنا رئيس الجماعة بخط-يده علي هذا التقرير
انه مؤمن بما ورد فيه موافق على ما تضمنه من مقترحات .

ومما يؤيد هذا الاتجاه ما حدث في ٨ فبراير ١٩٤٦ باحدى قرى مركز
اجا اذ قام طالب يخطب الناس حاثا اياهم على الانضمام لشعبة الاخوان
المسلمين في تلك القرية ، ومحرضا على مقاومة كل من يتعرض لهذه الجماعة
من رجال الادارة وغيرهم ، ولو أدى ذلك الى استعمال السلاح .

وقد استمر قادة الجماعة ورؤساؤها يعالجون الامور السياسية في
خطبهم واحاديثهم ونشراتهم جهرة متابعين الاحداث السياسية ، منتهزين
كل فرصة تسنح لهم للوصول الى اغراضهم .

وكان بعض الموظفين قد استهوتهم الاهداف الاجتماعية والدينية التي
اتخذتها الجماعة ستارا لاجراضها الحقيقية فأصبح موقفهم بالخ الحرج
لان القانون لا يسمح بانتساب الموظفين لاجزاب سياسية .

كما امتدت دعوة الجماعة الى اوساط الطلبة ، واجتذبت فريقا منهم ،
فأفسدت عليهم أمر تعليمهم وجعلت من بينهم من يجاهر بانتسابه اليها
ويأتمر بأمرها فيحدث الشغب ، ويثير الاضطراب في معاهد التعليم ، مما
أخل بالنظام فيها اخلاا واضح الاثر .

ولقد تجاوزت الجماعة الاغراض السياسية المشروعة الى اغراض
يجرمها الدستور وقوانين البلاد ، فهدفت الى تغيير النظم الاساسية للهيئة
الاجتماعية بالقوة والارهاب ، ولقد أمعنت في نشاطها فاتخذت الاجرام
وسيلة لتنفيذ مراميها - وفيما يلي بعض أمثلة قليلة لهذا النشاط الاجرامى
كما سجلته التحقيقات الرسمية في السنوات الاخيرة :-

١ - أولا - أوضحت تحقيقات الجناية العسكرية الغنيا سنة ١٩٤٢ قسم
الجمرك حقيقة اغراض هذه الجماعة ، وأنها تهدف الى قلب النظم الاساسية
للهيئة الاجتماعية متخذة طرقا ارهابية بواسطة فريق من أعضائها دربوا
تدريباً عسكرياً وأطلق عليهم اسم « فريق الجواله » .

ثانيا - وبتاريخ ٦ يونيو ١٩٤٦ وقع اصطدام في مدينة بور سعيد بين
أعضاء هذه الجماعة وخصوم لهم استعملت فيه القنابل والأسلحة ، وأسفر عن
قتل أحد خصومهم واصابة آخرين . وضبطت لذلك واقعة الجناية رقم ٦٧٩
لسنة ١٩٤٦ قسم ثان بور سعيد .

ثالثا - وبتاريخ ١٠ ديسمبر ١٩٤٦ ضبط بعض افراد هذه الجماعة بمدينة الاسماعيلية يقومون بنجارب لصنع القنابل والمفرقات .

رابعا - كما وقعت بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٩٤٦ حوادث القاء قنابل انفجرت في عدة اماكن بمدينة القاهرة وضبط من مرتكبيها اثنان من هذه الجماعة ، قدما لحكمة الجنايات فقضت بادانة احدهما (قضية الجناية رقم ٧٦٧ لسنة ١٩٤٦ قسم عابدين - ١١٧ سنة ١٩٤٦ كلى) .

خامسا - وقد تعددت حوادث استتباك افراد هذه الجماعة مع رجال البوليس ومقاومتهم لهم بل والاعتداء عليهم وهم يؤدون واجبهم في سبيل حفظ الامن وصيانة النظام ، مثال ذلك ما حدث في يوم ٢٩ يونيه ١٩٤٧ بدائرة قسم الخليفة من اعتداء فريق جواله الاخوان المسلمين على مأمور هذا القسم ورجاله .

سادسا - وقد ثبت من تحقيق الجناية رقم ٤٧٢٦ لسنة ١٩٤٧ الاسماعيلية ان أحد افراد هذه الجماعة ألقى قنبلة بفندق الملك جورج بتلك المدينة فانفجرت وأصيب من شظاياها عدة أشخاص ، كما أصيب ملقبها نفسه باصابات بالغة .

سابعا - وحدث في ١٩ يناير ١٩٤٨ أن ضبط خمسة عشر شخصا من جماعة الاخوان المسلمين بمنطقة جبل المقطم يتدربون على استعمال الاسلحة النارية والمفرقات والقنابل ، وكانوا يحرزون كميات كبيرة من هذه الانواع وغيرها من أدوات التدمير والقتل .

ثامنا - وفي ١٧ فبراير ١٩٤٨ اعتدى فريق من هذه الجماعة على خصوم لهم في الراى بأن أطلقوا عليهم أعيرة نارية قتلت أحدهم ، وكان ذلك بناحية كوم التور مركز ميت غمر وضبطت لذلك واقعة الجناية رقم ١٤٠٧ لسنة ١٩٤٨ .

تاسعا - كما عثر بتاريخ ٢٢ أكتوبر ١٩٤٨ بعزبة مرغلى رئيس شعبة الاخوان المسلمين بالاسماعيلية على صندوق يحتوى على قنابل ، مما استدعى تفقيش منزله ، فاذا بأرض إحدى الغرف سردابان بهما كميات ضخمة من القنابل المختلفة والمفرقات والمقنوقات النارية والبنائق والمسحسات واحد عشر مدفعا . كما عثر في فجوة بأرض الغرفة على وثائق تقطع بان هذه الجماعة تعد العدة للقيام بأعمال ارهابية واسعة النطاق .

عاشرا - وحرقت في ١٨ يناير ١٩٤٧ احطاب لحد الملاك بناحية كفر بجواى ، واتهم بوضع النار فيها فريق من شعبة الاخوان المسلمين بتلك

القرية • ولما قام البوليس بالفحص عن احوال تلك الشعبة تبين ان احد اعضائها مقدم لمحكمة الجنايات في جريمة قتل شيخ خفراء البلدة •

حادى عشر - وبتاريخ ٣ فبراير ١٩٤٨ قام بعض افراد شعبة الاخوان المسلمين بناحية اليرامون بايهاام الاهالى بأنهم سيعملون على زيادة أجورهم وارغام تفتيش أفيروف الذى يقع بزممام القرية على تأجير اراضيه مقسمة على الاهالى بايجار معتدل ، وقاموا بمظاهرات طافت بالقرية تردد هتافات مثيرة ، ولما أقبل رجال البوليس لقمع الفتنة اعتدوا عليهم باطلاق النار وقذف الاحجار •

وقد وقع شجار بعد ذلك بنفس القرية في يوم ١٣ مارس ١٩٤٨ بين جماعة الاخوان المسلمين ومث اليهم وبين خصوم نهم فأسفر عن قتل أحد الاشخاص واصابة آخرين •

ثانى عشر - وفي يوم ٢٦ يونيه ١٩٤٨ حرض الاخوان المسلمون عمال تفتيش زراعة محطة موسى التابع لوزارة الزراعة على التوقف عن العمل مطالبين بتملك اراضى هذا التفتيش ، الامر الذى سجلته القضية رقم ٩٢١ لسنة ١٩٤٨ جنح كفر الشيخ •

ثالث عشر - من الاساليب التى لجأت اليها الجماعة ارسال خطابات تهديد لبعض الشركات والمحال التجارية لابتزاز أموال منها على زعم أنها مقابل الاشتراك في جريدتهم ، واقتنصوا بالفعل أموالا بهذه الوسيلة • وقد تقدمت بعض هذه الشركات بالشكوى من هذا التهديد طالبة حمايتها من اذى هذه الجماعة •

ولم تقف شؤر هذه الجماعة عند هذا الحد • بل عمدت الى افساد النشء ، فبذرت بذور الاجرام وسط الطلبة والتلاميذ ، فاذا بمعاهد التعليم وقد انقلبت مسرحا للشغب والاخلال بالامن وميدانا للمعارك والجرائم • ومن أمثلة ذلك الحوادث التالية :

١ - حدث ببندر دمنهور في يوم ٢٥ مايو ١٩٤٧ بمدرسة الصنائع ان اعتدى تلاميذ الاخوان المسلمين على احد المخالفين لهم في الراى وشرعوا في قتله بطعنة سكين • وضبطت لذلك واقعة الجناية رقم ١٢٤٨ لسنة ١٩٤٧ ببندر دمنهور •

ب - وفي يوم ٣ فبراير ١٩٤٨ حرض بعض التلاميذ من اعضاء هذه الجماعة زملاءهم تلاميذ مدرسة الزقازيق الثانوية على الاضراب ، والسقى

أحدهم قنبلة يدوية انفجرت وأصابت بعض رجال البوليس ، كما ضبط مع آخر منهم قنبلة يدوية قبل أن يتمكن من استخدامها في الاعتداء .

ج - ويوم ٢٤ يناير ١٩٤٨ تحرش بعض تلاميذ مدرسة شبين الكوم الثانوية من المنتهين الى الاخوان المسلمين بزملاء لهم ، الامر الذى أدى الى حادث قتل .

ولم تتورع هذه الجماعة عن أن يمتد اجرامها الى القضاء الذى ظل رجاله في محراب العدل خيرا للمصريين ، وملاذا لهم ، ينعمون بثقة المتقاضين وطمانينتهم - اذ قصدوا الى ارباب القضاة عن طريق قتل علم منهم هو المغفور له أحمد الخازندار بك وكيل محكمة استئناف مصر ، الذى حكم بإدانة بعض أعضاء الجماعة لجرائم قارفوها باستخدام القنابل - وقد ثبت أن أحد المجرمين القاتلين كان سكرتيرا خاصا للشيخ حسن البنا .

ولقد أدركت الحكومات المتعاقبة خطورة الاهداف والمقاصد التى تسعى هذه الجماعة لتحقيقها فحاولت - في حدود القوانين القائمة - أن تحد من ضرورها وساعدت الاحكام العرفية التى أعلنت خلال الحرب العالمية الاخيرة على اعتقال بعض قادة هذه الجماعة ، وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت الجماعة ساهرة في جرائمها ، الامر الذى استوجب اصدار الامر العسكرى بحل شعبتي الاخوان المسلمين بالاسماعيلية وبور سعيد .

ولقد وقعت في يوم ٤ ديسمبر ١٩٤٨ حوادث مؤلة بجامعة فؤاد الاول بالجيزة ، القى فيها الطلاب قنابل على رجال البوليس وأطلقوا عليهم الرصاص وقذفهم بالاحجار فأصيب عدد منهم ، كما حدث في نفس اليوم أن اعتصم بعض طلبة كلية الطب بأسطح مبنى الكلية ، وأشعلوا النار في أماكن متفرقة وقذفوا رجال البوليس الذين كانوا يحافظون على النظام ببعض القنابل وكميات هائلة من الاحجار وقطع الاخشاب وزجاجات ملوئة بالاحماض ثم اتقوا على حكمدار بوليس العاصمة قنبلة أودت بحياته .

وحدث في يوم ٦ ديسمبر ١٩٤٨ أن تجمع طلبة المدرسة الخديوية واندس بينهم بعض الغرباء والقوا قنبلتين على رجال البوليس الذين كانوا خارج اسوار المدرسة ، فأصيب ضابط وسبعة من العساكر - وكان مقترفو هذه الحوادث المروعة من المنتهين لجماعة الاخوان المسلمين .

ولا تزال النيابة العامة ماضية في تحقيق حادث ضبط سيارة بها مواد متفجرة وذخائر ومستندات خطيرة ، بدائرة قسم الوايلى يوم ١٥ نوفمبر ١٩٤٨ . وقد أدى التقصى عن ظروف هذا الحادث الى ضبط كميات

هائلة من القنابل والمفرقات جاءت أضعافا مضاعفة لما ضبط في تلك السيارة . وقد كشفت ملبسات هذا الحادث حتى الآن عن أن جماعة من الإخوان المسلمين يكونون عصابات إجرامية هي المسئولة عن حوادث الانفجارات الخطيرة التي حدثت في مدينة القاهرة خلال الشهور الستة الأخيرة ، وكان آخرها حادث نسف شركة الاعلانات الشرقية يوم ١٢ نوفمبر ١٩٤٨ وما نجم عنه من هدم وتخريب في المباني وقتل بعض الاهالي ورجال البوليس وجرح عدد غير قليل من الأشخاص .

وبما أنه يتبين بجلاء من استعراض هذه الحوادث - وهي قليل من كثير - أن هذه الجماعة قد أمعنت في شرورها بخيث أصبح وجودها يهدد الأمن العام والنظام تهديدا بالغ الخطر ، لذلك أرى أنه بات من الضروري اتخاذ التدابير الحاسمة لوقف نشاط هذه الجماعة التي تروع أمن البلاد في وقت هي أحوج ما تكون فيه الى هدوء كامل وأمن شامل ضامنا لسلامة أهلها في الداخل وجيوشها في الخارج .

وكيل الداخلية
عبد الرحمن عمار

اجراءات اشد شذوذا

بعد أن أوردنا نص قرار الحل ومذكرته التفسيرية نقول : ان قرار الحل في ذاته - متسترا برداء الاحكام العرفية - أمر شاذ ، ومع ذلك فان مصدرى هذا الامر لم يكتفوا به بل اتبعوه باجراءات اشد شذوذا . فالامر العسكري ببنوده العشرة مع ما فيها من اعتداء صارخ على الحريات وحرمان من الحقوق ، قد تم تنفيذه دون ان يتعرض أحد من أعضاء الجماعة للمنفذين . فلم اذن تعدى مصدرى الامر حدود بنوده ؟ هل هو استمرار للظلم ؟ هل هو اشباع لغريزة الانتقام ؟ هل هو استهتار بالشعب ؟ هل هو تفان منهم في محاولة ارضاء سادة لهم دفعوهم وهم عن ورائهم يرقبون ؟ هل هو اثبات لهؤلاء السادة أن المنفذين يستحقون أن تضاعف لهم المكافاة بعد ان برهنوا على أنهم ملكيون أكثر من الملك وانجليزيون أكثر من الانجليز ؟

لقد اتبعوا تنفيذ بنود الامر العسكري بأساليب مبتكرة لم يكن لهذا الشعب بها عهد من قبل ، من اعتقالات هوجاء ، ومصادرات عمياء ، وبطش عنيف دون مبرر

على أن كل هذه الاجراءات الجائرة - مع كل ما فيها من شذوذ - فان هناك من يستطيع أن ينتحل لها مبررا مما سبق أن سقناه على سبيل الاستفهام - اما الاجراء الذى لا يمكن تبريره ، ومن أجل ذلك يمكن اعتباره أخطر اجراء اتخذوه فهو أنهم حالوا بين المرشد العام وبين الإخوان ، فلا هو مسموح له أن يتصل ولو بفرد واحد منهم ولا يستطيع أحد منهم أن يتصل به حتى بالتليفون الذى قطعوه عن منزله ، بل أن أى انسان يقترب من منزله كان يقبض عليه ولو كان من غير الإخوان .

خطورة هذا الاجراء :

وانى لاتعجب لأولئك الذين قرروا هذا الاجراء - الذى أن دل على شيء فانما يدل على التناقض والتخبط وسوء التصرف وقصر الإدراك ، فنصوص الامر العسكرى الذى أصدره ، ونصوص مذكرته التفسيرية التى جنوه عليها ، توحى إلى القارئ بأن مصدرى هذا الامر ينظرون إلى الإخوان المسلمين على أنهم مجموعة ضخمة من الشباب المتهور الذى لا يبالي بشيء . . . وهم يعلمون أنهم - مهما بالغوا فى البطش والاعتقال - فإن الإخوان المسلمين من الكثرة بحيث يكون الباقون منهم خارج أسوار المعتقلات والسجون أضعاضا مضاعفة لمن هم فى داخلها ، والكثرة الغالبة منهم من الشباب المتحمس الثائر . . كما أنهم يفهمون أن الامر العسكرى الذى أصدره هو تحدى مباشر لمشاعر هذا الشباب واستفزاز له ، وأنه بمثابة اعلان للحرب عليهم ، وحكم صهر باعدامهم بل باعدام ما هو أعز عليهم من أنفسهم . . .

وفى الوقت نفسه يفهم هؤلاء المسئولون ويعلمون تمام العلم أن الانسان الوحيد الذى يستطيع أن يواجه هذا الشباب ، والذى بيده زمام هذا الشباب هو المرشد العام . . .

فما معنى الحيلولة بين المرشد العام وبين هذا الشباب إذن ؟ . . . لقد شاع فى ذلك الوقت وعقب اذاعة الامر العسكرى بحل الإخوان مباشرة وحين أحس الناس بما تضمنه هذا الامر من عنف وضراوة لم يعهد مثلها - من قبل - شاع على السنة الخاصة والعامة أن هذا التحدى البالغ العنف لابد أن تكون حياة النقراشى ثمنا له .

ولقد خبرت الحكومة المصرية على اختلاف ألوانها وأحزابها مقبرة المرشد العام الخارقة فى التأثير فى هذا الشباب ، واستطاعته أن يقنعهم برايه مهما كان رايه معارضا لاتجاههم ومصادما لعواطفهم . . . خبروا ذلك فى موقفين خطيرين . أحدهما حين قررت إحدى الحكومات الجزبية نقله إلى قننا ، والآخر حين طلبت منه إحدى الحكومات الوفدية التنازل عن ترشيح نفسه

لمجلس النواب - وقد تحدثنا عن هذين الموقفين بتفصيل في الجزء الاول من هذا الكتاب ٠٠٠ المرشد العام وحده اذن هو القادر على كبح جماح هؤلاء الشباب اذا لم يحل بينه وبينهم .

فما معنى هذا الاجراء الغريب الموغل في الغرابة ؟ والذي قد لا نجد له تعليلا ولا تحليلا ولا تبريرا الا أن يكون حقد أسود قد غشى على بصائر هؤلاء الناس وأبصارهم فهم في ضلالهم يعمهون .

وهناك رؤية قد يراها الحاذقون من المراقبين للاحداث الذين لا يكتفون من الاحداث بظواهرها دون بواطنها ، يلخصها هؤلاء الحذاق في أن مخططي المؤامرة من غير المصريين - وهم على أعلى مستوى في الخبرة النفسية - خططوها بحيث يكون دورهم فيها مقتصر على اشعال فتيلها ثم تركها بعد ذلك متأججة يأكل بعضها بعضا حتى تتحقق كل أهدافهم دون حاجة الى ظهورهم على المسرح في أى دور من أدوارها . وقد راوا في اختيار النقراشى بالذات - كما شرحنا ذلك من قبل - الضمان الكامل للوصول الى النهاية التى يأملون .

ومع ذلك فان المرشد العام لم يأل جهدا في الاتصال بهم ، وأخذ يبصرهم بخطأ تصرفهم في الحيلولة بينه وبين الاتصال بالاخوان ، وحذرهم مغبة هذا الاجراء الذى تدعو مصلحة البلاد الى العدول عنه ، ولكنه لم يتلق على الحاحه المستمر جوابا الا وعودا في الهواء .

فكان من نتيجة تمسك الحكومة بهذا الاجراء الاخرق أن وجد هذا الشباب النائر المجروح المضطهد المطارد نفسه بغير قيادة ، فتصرف من تلقاء نفسه وبدافع من عاطفته . . فكانت أحداث جسام بدأت بما كان يتوقعه الجميع من اغتيال النقراشى في حصنه الحصين بوزارة الداخلية ثم تفاقمت بعد ذلك الاحداث تفاقما لم يخطر ببال احد اذ أقلت الزمام .

اغتيال النقراشى باشا :

بعد عشرين يوما من صدور الامر العسكرى بحل الاخوان المسلمين ، وفى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ اغتيل النقراشى باشا في وزارة الداخلية وهو محاط بحراسة مكثفة لا ينفذ من خلالها الهواء . . فكان هذا مصداق قوله تعالى « اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » ودليلا على أن الحاكم لا يحميه الا عدله وتجاوبه مع شعبه .

جاء في مرافعة الاستاذ احمد حسين أمام المحكمة العسكرية العليا في قضية اغتيال النقراشى فى ١٩٤٩/٩/٢٠ قوله : « نشرت جريدة اخبار

اليوم أن مصطفى أمين قابل النقراشى باشا وحذره من الاقدام على حل
الاخوان لانه سيقتل ، فلما أصر ، خرج باكيا عليه . فلما قتل بعد ذلك
بأسبوع لم يبك عليه فقد بكاه من قبل - وكل من كان حول النقراشى باشا
كانوا يشعرون هذا الشعور - اذن كان هناك شبه اجماع وصل الى حد
النشر على صفحات الجرائد ان حل الاخوان كان معناه قتل النقراشى .
فما معنى هذا التلازم ومن أين جاء هذا الشعور ؟

هل جاء فقط من ناحية خطورة الاخوان المسلمين ؟ ولكن مهما بلغ خطر
الاخوان فهل يمكن أن يقاس بقوة الدولة ؟ لقد كان النقراشى باشا حاكما
عسكريا ، ولديه من السلطات مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر . . ففيم كانت هذه العقيدة التي تكونت بأن القتل سيكون مصيره ؟

اننى أخشى أن يكون ذلك هو مظهر الشعور بالاقدام على أمر غير
طبيعى ، وأمر شاذ ، وأمر متناه فى القوة والعجلة ، فضلا عن أنه ضد القانون
وضد الدستور وضد سلامة الشعب .

هذا ما قاله الاستاذ أحمد حسين . ونحن نقول : ان هذا الرجل قد
ذهب ضحية صلفه وحقده وضيق أفقه ، واستبداده برأيه واستسلامه
للغاصب المستعمر ، وتآليهه للكه الغارق فى شهواته . مما سوف نضعه ان
شاء الله موضع المناقشة بعد قليل .

ابراهيم عبد الهادى باشا يخلف النقراشى باشا :

وفى اليوم التالى أسند الملك رياسة الوزراء الى ابراهيم عبد الهادى
باشا . وهو من النقراشى بمثابة النقراشى من أحمد ماهر ، يبوء بسائم
ميراث وبىء من التفريط فى حقوق البلاد ، والتواطؤ مع المستعمر ، والتهالك
على منصب الحكم ، والتسابق الى أن يكون فى خدمة نزوات الملك وفى عبادته
من دون الله .

جاء هذا الرجل الى الحكم كالذئب المتعطش للدماء . جاء ومعه تفويض
الهى من الهه فاروق بأن يفعل ما يشاء ولن يسأل عما يفعل « يخبج أبناءهم
ويستحيى نساءهم ، بحيث يبيد هذه العصبة الوحيدة المتمردة على عبادة
فاروق والسير فى ركابه . . . »

ولا بد أن ابراهيم عبد الهادى هذا كان يعتقد فى ذلك الوقت أن فاروقا
قادر على كل شيء . وغاب عنه أن هناك الها آخر غير فاروق هو الاله الحق
الذى يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء . . . ذلك أن ما فعله هذا

الرجل ، وما ارتكبه من آثام لا يمكن أن يقدم عليه انسان في قلبه مثقال ذرة
من ايمان. . . .

ففى عهد هذا الرجل بلغت الاحداث الجسام ذروتها ، وارتكبت افظح
جريمة فى هذا القرن بتدبير حكومته وهى اغتيال المرشد المام .

وقبل أن نشرع فى استعراض أيام هذا الرجل السوداء ، وما سجلته
من مآثم يندى لها جبين الانسانية خجلا ، نتناول بالتمحيص موضوعا
خطيرا ذا دلالات جوهرية فى تاريخ هذه البلاد ، لا ينبغى أن يسبقه فى صدد
ما نحن فيه موضوع آخر . وهو ما نفرد له الفصل الآتى ان شاء الله .

الفصل الثانی

من هو الأمر الحقيقي بالحل؟

خرج الامر العسكري بحل « جمعية الاخوان المسلمين » - فعلا - من دار رئاسة مجلس الوزراء ، ممهورا بتوقيع النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء ٠٠٠ وعند انصراف دولته من دار الرئاسة في مساء يوم ٨ ديسمبر ١٩٤٨ صرح للصحفيين قائلا : اننى أصدرت أمرا عسكريا بحل جماعة الاخوان المسلمين .

ويدعى النقراشى باشا ويصر على أنه هو الذى أصدر هذا الامر من تلقاء نفسه وأن أحدا غيره لم يتدخل فيه ولم يوعز به .

ولكن هناك ما يلقي ظللا كثيفة من الشك على هذا الادعاء ، بل هناك ما يعارضه وينقضه ويظهر زيفه ٠٠٠ ونورد هنا ما جاء في هذا الصدد في مرافعة الاستاذ شمس الدين الشناوى في قضية السيارة الجيب أمام محكمة الجنايات بالقاهرة في ٢١-١-١٩٥١ كما نشرته جريدة « المصرى » في ذلك اليوم حيث قال :

« انهم ادخلوا الجيش المصرى فلسطين حتى يتذرعوا بذلك لاعلان الاحكام العرفية ، حتى يتمكنوا في ظلها من ارتكاب جريمة حل الاخوان المسلمين .

وثيقة

وهنا رفع يده ملوحا وبها ورقة في حجم الكارت البوستال وقال : « هذه هي الفضيحة الكبرى ، وهذا هو الدليل المادى الذى ينطق بالحق . هذه هي وثيقة مكتوبة باللغة الانجليزية ، وسلمها للمحكمة ٠٠

• وأخذ يتلو نص الوثيقة باللغة العربية • وهى عبارة عن رد من القيادة العليا للقوات البريطانية في الشرق الاوسط على اشارة وردت اليها من السفارة البريطانية • وتقول القيادة في الوثيقة :

« لقد أخطرت هذه القيادة رسميا بأن خطوات دبلوماسية ستتخذ لاقناع السلطات المصرية بحل الاخوان المسلمين في أقرب وقت ممكن » .

وقد ذيلت الوثيقة بامضاء رئيس ادارة قوات القيادة العليا الحربية
للبريطانية في الشرق الاوسط .

وبعد ان تلا هذه الوثيقة اخذت المحكمة في مناقشتها . وهنا وقف
الاستاذ محمد عبد السلام بك ممثل النيابة وتساءل عن المصدر الذى أتت عنه
هذه الوثيقة - فرد الاستاذ الشناوى مداعبا وقال : ان جاسوسية الاخوان هي
التي أتت بهذه الوثيقة - فقال ممثل النيابة : لا يمكن التمسك بمثل هذه
الوثيقة الا اذا صح ما جاء فيها .

وهنا قال سعادة رئيس المحكمة : الى أن تقرر السفارة البريطانية بأن
هذه الوثيقة مزورة وغير صحيحة ، فانها يجب أن نعد صحيحة . (وقبل أن
يفتخى الرئيس من كلامه سمع تصفيق هائل وتعالى الهتافات : يحيا القضاء
العادل . يحيا القضاء النزيه)

وفي جلسة المحكمة في ١٠-٢-١٩٥١ قدم ممثل النيابة كتابا من السفارة
البريطانية يكذب الوثيقة ونصه : عزيزى وحيد رأفت بك (مستشار الرأى
لوزارتى الخارجية والعدل)

طلب الى سفير حضرة صاحب الجلالة بأن أقرر أن نظره قد استرعى
أخيرا الى خبر نشر بالصحف بشأن محاكمة قائمة أمام المحاكم جاء فيها أن
محاميا يدعى الاستاذ شمس الدين الشناوى حاضرا عن المتهم أحمد عادل كمال
صرح بأن الحكومة البريطانية أوعزت الى الحكومة المصرية في ١٩٤٨ بإلغاء
وحل الاخوان المسلمين . وأن الاستاذ الشناوى دلل على ذلك بصورة كتاب
مؤرخ في ٢٠ نوفمبر ١٩٤٨ زعم أنه موقع عليه بمعرفة الكولونيل أ . م . ماك
درموث نيابة عن السلطات العسكرية البريطانية .

وأرى من واجبي اخباركم بأن هذه الوثيقة ان وجدت تكون مصطنعة
فضلا عن أن أمحل الاخوان المسلمين أو ما شابه ذلك كما زعم الاستاذ الشناوى
لم يثر ولم يكن محل حديث بين هذه السفارة والحكومة المصرية . ولعلكم
ترزون أن من الضروري لمصلحة العدالة احاطة المحكمة علما بما تقدم .

التوقيع

مورى جراهام

المستشار القانونى للسفارة البريطانية

وهنا قام الاستاذ الشناوى وقال : ان تكذيب السفارة لهذه الوثيقة
لا يفيد من قريب أو من بعيد ، لان السفارة لم ترسل بهذه الوثيقة ، وانما
هى صدرت من القيادة العليا للقوات البريطانية في الشرق الاوسط ، وهى

مذيلة بامضاء السير ماك درموث قائد القوات البريطانية - وأضاف قائلاً بأن المهم هو معرفة حقيقة هذا الامضاء - وأمام هذا الامر لا يصدر التكذيب الا من صاحب التوقيع الفعلى ، وهو بنفسه الذى يحق له انكار الوثيقة •

وثائق اخرى

واستطرد قائلاً : نحن واثقون من صحة الوثيقة التى تقدمنا بها ، ولدينا من الادلة ما يؤيدها ويعززها ولسوف نقدمه لكم فى القريب •

يستتصر الانجليز

وأضاف أن السبب فى تكذيب السفارة لهذه الوثيقة هو أن دولة ابراهيم عبد الهادى باشا وجد السفارة لا تحرك ساكناً ، وقد مضت قرابة العشرة الايام ، فطلب منهم أن ينصروه كما نصروهم أخ له من قبل •• وقد طالعنا جريدة أخبار اليوم بأن هناك اتصالات حدثت وأن ابراهيم عبد الهادى ألح فى مقابلة المستر أندروز وتمت مقابلته فى منزل عبد الهادى باشا بالمعادي •

وقال : انه ظاهر أن المستر أندروز طلب من عبد الهادى باشا أن يكذب الوثيقة بنفسه ، ولكن عبد الهادى قال ان الوثيقة صدرت من الانجليز فيجب أن يكون تكذيبها من جانبهم •• وأشار الى أن عدد « المصور » أول أمس نشر أن عبد الهادى سئل عن سبب المقابلة الطويلة فقرر أنها لم تتناول مسائل سياسية ولكنها كانت خاصة بتكذيب الوثيقة •

ممثّل النيابة : ان الوضع الطبيعى هو أن يكون عبء اثبات صحة الوثيقة وصحة التوقيع عليها على عاتق الدفاع • ومن القواعد المقررة أنه اذا أنكر المستند فان على الذى يتمسك به أن يثبت أن الكتابة والتوقيع صادران من خصمه •

المحكمة : الدفاع يقول ان الجهة التى أصدرت التكذيب ليست هى الجهة التى صدرت عنها الوثيقة •

النيابة : السفارة مختصة • والتوقيع ولو أنه صادر عن غيرها الا أنى أرى أن المستر ماك درموث وهو الموقع على الوثيقة يتكلم فيها باسم السفارة البريطانية •

الدفاع : ان هذا الطعن غير منتج • وهذا التكذيب ان هو الا مؤامرة سياسية لا تجدى ولا تفيد •

المحكمة : يرجأ البحث في الوثيقة حتى يطلع الدفاع على رد السفارة ويقدم المستندات التي يراها .

وفي جلسة ١٥-٢-١٩٥١ وقف الاستاذ شمس الدين الشناوى وتكلم بشأن الخطاب الوارد من السفارة الانجليزية وقرر أن هذه الوثيقة رسمية صادرة من موظف رسمى مختص بتحريرها وهو المستر ماك درموث ، وقال : ان الورقة الرسمية لا يطعن فيها الا بالتزوير ، وكذلك الصورة الفوتوغرافية المأخوذة لهذه الوثيقة ، بخلاف الورقة العرفية فان صورتها الفوتوغرافية تكون مجرد قرينة ، وذلك تطبيقا للمادة ٣٩٠ من القانون المدنى . ولذلك يكون الطريق الذى سلكته السفارة غير سليم ، ولا يمكن أن يؤثر في صحة الورقة أو ينال منها .

دليل على تدخل الانجليز

وأشار بعد ذلك الى تدخل الانجليز في شئون البلاد الداخلية وقال : ان بيده الآن أحد أعداد جريدة الاساس (جريدة الحزب السعدى) وأخذ يتلو منه مقالا تحت عنوان : « لماذا يتلکاون ؟ » جاء فيه :

« ان الحكومة السعدية تعجب لعدم تسليم الثلاثة من الاخوان الذين هربوا الى برقة ، في حين أن السفارة الانجليزية هي التي كانت تطلب الى السلطات المصرية وضع حد لنشاطهم بمصر . فلما اشتدت وطأة البوليس المصرى على الارهابيين حمتهم السلطات البريطانية في برقة . والسلطات المصرية في انتظار تغير موقف السلطات البريطانية في برقة حتى ينسجم مع موقف السفارة البريطانية في القاهرة . »

تدخل سافر

ثم قدم الاستاذ الشناوى هذا العدد الى المحكمة قائلا : ان هذا هو اعتراف صريح من السعديين بالتدخل البريطانى السافر لا في شئوننا الخارجية فحسب ، وانما في شئوننا الداخلية أيضا .

قرائن تؤيد صحة الوثيقة :

هذا ما كان من أمر الوثيقة . وليس يعنينا بعد ايرادها وايراد مادار حولها من نقاش أن نقيم هذا النقاش ، وأن نتعقب ما كان من شأن الوثيقة بعد ذلك ، وهل تقدم موقعها السير ماك درموث بتكذيبها والطمعن في توقيعه بالتزوير أم وقف الامر عند هذا الحد وهو تكذيب السفارة - واصدار

السفارات تكذيبا هو عرف متبع في جميع السفارات حين يفتضح تدبيره بمره بلد ضد بلد آخر ، تقوم سفارة البلد المتهم بإصدار تكذيب ٠٠٠ ومبلغ علمنا أن صاحب التوقيع لم يكذب الوثيقة ولم يطعن بالتزوير في توقيعه ولو كان قد فعل لوصل نبأه الى هيئة المحكمة ٠٠ على أن شيئا من ذلك لم يصل اليها حتى انتهت من نظر القضية - كما أننا لم نر ولم نسمع أن الموقع تقدم الى أية جهة قضائية بمثل هذا الطعن .

وانما الذى يعنيننا هو أن نحرس الظروف والقرائن التى تحيط بهذا الاتهام ، وتتصل به من قريب أو من بعيد ، حتى يستطيع القارئ أن يركن في هذه القضية الخطيرة الى قرار تطمئن اليه نفسه . وهانذا أضع بين يدي القارئ بعض هذه الظروف والقرائن :

القرينة الاولى - ذكرنا في الجزء الاول من هذا الكتاب ، وفي الفصل الاخير منه ، كيف أن اليهود كانوا يستعدون علنا لحلفاءهم الاوربيين والامريكيين على الاخوان المسلمين ، مما كانت تسيل به أنهار الصحف في أوروبا وأمريكا في ذلك الوقت . وأوردنا جزءا من مقال كتبتة فتاه صهيونية تدعى « روث كاريف » ونشرته جريدة الصنداي ميرور في مطلع عام ١٩٤٨ . وقد يحسن بنا أن نعيد نقل بعض سطور منه الآن حيث قالت بعد هجوم عنيف على مفتى فلسطين وعلى المرشد العام للاخوان المسلمين : « واذا كان المدافعون عن فلسطين - أى اليهود - يطالبون الآن مجلس الامن بارسال قوة دولية لتنفيذ مشروع التقسيم الذى أقرته هيئة الامم المتحدة ، فانهم لا يطالبون بذلك لان الدولة اليهودية في حاجة الى الدفاع عن نفسها ،

ولكنهم يريدون ارسال هذه القوة الدولية الى فلسطين لتواجه رجال الاخوان المسلمين وجها لوجه ، وبذلك يدرك العالم كله الخطر الحقيقي الذى تمثله هذه الحركة ٠٠٠ واذا لم يدرك العالم هذه الحقيقة في وقت قريب فان أوروبا ستشهد ما شهدته في العقد الماضى من القرن الحالى اذ واجهتها حركة فاشية نازية ، فقد تواجها في العقد الحالى امبراطورية اسلامية فاشية تمتد من شمال افريقيا الى الباكستان ومن تركيا الى المحيط الهندى ، اه .

واذا عرف أن اليهود هم طليعة جيوش الحلفاء وعيونهم في الشرق الاوسط ، فان ما يكتبونه في هذا الشأن لا يكون من قبيل الاستجداء وطلب المعونة ، وانما بمثابة اعطاء مقدمة الجيش اشارة البدء للجيش كله ليقوم بالهجوم .

والا فكيف نحل أن يكون استعداد اليهود الغرب ضد الاخوان بهذا الاسلوب الذى ينم عن الفزع والهلع منذ مطلع عام ١٩٤٨ حيث لم يكن مجهود الاخوان يتعدى مجرد تدريب بعض المنظمات العسكرية للمجاهدين الفلسطينيين ٠٠ فلما انتصف ذلك العام كانت قوات الاخوان قد دخلت فلسطين وأذهلت العالم كله بشجاعة منقطعة النظر ، ودخلت الجيوش العربية ، فكانت تلجأ الى قوات الاخوان فى أخرج المواقف ٠٠ ثم لا ينتهى العام نفسه الا يصدر أمر حل الاخوان المسلمين وتطويق قواتهم فى فلسطين ونقلها الى المعتقلات فى مصر ٠

وهل كان من الممكن أن تفرض الاحكام العرفية لو أن الجيوش العربية لم تدخل فلسطين ؟ ٠٠ واذا علم أن هذه الجيوش قد دخلت فلسطين فجأة وهوئ أدنى استعداد - وقد أثبتت التحقيقات ذلك فيما بعد - فما تعليل دخولها وهى فى هذه الحالة الا أن يكون هناك ايحاء خارجى بذلك ليكون دخولها مجرد تبرير لاجراءات معدة تبدأ باعلان الاحكام العرفية وتنتهى بحل الاخوان واثباتتهم ٠

والدليل على ذلك أن أصحاب الامر - دول الغرب - حين رأوا جيش مصر - الذى كان مفروضا أن يهزم من أول معركة - بتعاونه مع قوات الاخوان قد حقق انتصارات على اليهود ، عملوا على إتاحة فرصة لتزويد اليهود بعتاد كثيف ، فأوعزوا بطلب الهدنة ٠٠ وسرعان ما وافق عليها النفرأشى رغم تحذيرات الخبراء وابتهاال الاخوان له أن لا يوافق عليها ٠٠٠

ثم وجد أصحاب الامر أن هذه الهدنة لم تكن كافية لقلب ميزان المعركة فأوعزوا بهدنة ثانية لم يتوان النفرأشى عن قبولها ضاربا بالتحذيرات والابتهاال عرض الحائط ، مما يدل على أنه كان ينفذ خطة متفقا عليها لامع المصريين - فقد كانوا جميعا ضد فكرة الهدنتين - بل مع آخرين !!!

القرينة الثانية - على أن انتمار حكام مصر بأمر الانجليز لم يكن شيئا غريبا ، فلقد أشرنا الى طرف من ذلك عند الكلام على ترشيح المرشد العام لمجلس النواب فى عهدى النحاس وأحمد ماهر ٠ فقد صرح النحاس للمرشد العام بما ذكرنا نصه من قبل ، كما أن أحمد ماهر اطلع « على البرير » على تبليغ السفارة البريطانية للحكومة المصرية بوجوب منع المرشد العام وعلى البرير من الترشيح ٠

كما ان المتهم باغتيال أحمد ماهر أثبت امام المحكمة أن اعلان أحمد ماهر الحرب ضد المحور كان بناء على تدخل الانجليز ، وأن أحمد ماهر

والنقراشى كانا عند السفير البريطانى فى يوم الحادث ، وهو اليوم الذى كان مزمعا اعلان الحرب فيه . وقد طلب المتهم الاستشهاد بالنقراشى على ذلك .

القريفة الثالثة - فى اثناء نظر قضية قنابل ٦ مايو - وهى قضية سياسية ليست من قضايا الاخوان - امام محكمة الجنايات بالقاهرة دائرة حسن فهمى بسيونى بك وفى جلسة ٩-١١-١٩٤٨ نودى على صالح حرب باشا (رئيس جمعية الشبان المسلمين فى ذلك الوقت) باعتباره شاهدا ٠٠ وردا على سؤال من المحامى اسطفان باسيلى بك عما دار بينه وبين المتهم الاستاذ عبد السلام وفا باعتباره صحفيا فقال : اننى أعرف الاستاذ وفا لانه انضم الى جمعية الشبان المسلمين فى سنة ١٩٤١ ثم انقطع عنها بعد ابعادى الى أسوان . ثم قال : اذا كان المقصود ما دار بينى وبين دولة النقراشى باشا بشأن رئاسة جمعية الشبان المسلمين فاننى أردت أن أقول له : أن الانجليز لم يحملوا النقراشى باشا وحده على طلب تنحيته عن رئاسة جمعية الشبان المسلمين بل ان هذا الطلب طلب أيضا من أحمد ماهر باشا ومن حكومة الوفد . وهذه المسألة تتصل بحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ .

ولما رأت المحكمة عدم الخوض فى المسائل السياسية طلب المحامى أن يوضح صالح باشا الحديث الذى دار بينه وبين الاستاذ وفا - وقد نشر فى جريدة البلاغ - عن تصرفات النقراشى باشا حول رئاسة صالح باشا لجمعية الشبان المسلمين فقال :

« اننى اذكر هذا الحديث ، وقد اطلعت عليه ، ولاحظت أنه يشمل أشياء لم أقلها . وان الذى حدث فعلا هو أننى كنت فى أسوان ، واتصل بى دولة النقراشى باشا بالتليفون ، وطلب عند حضوري الى القاهرة أن أقابله . فلما حضرت اتصلت به تليفونيا واتفقنا على موعد للمقابلة - وكان دولة النقراشى باشا فى ذلك الوقت رئيس الوزارة ووزير الداخلية - فلما ذهب للقاءه فى الموعد أخرج لى خطابا بالانجليزية من اللورد كليرن السفير البريطانى يقول فيه السفير انه طلب من الحكومات المتعاقبة أن تحمل صالح حرب باشا على الاستقالة من رئاسة جمعية الشبان المسلمين ، ولم ينم شيء من ذلك ، وظل حسن رفعت باشا وكيل الداخلية يكتب له (أى للسفير) أن صالح حرب باشا قد انقطعت صلته بالجمعية ولا شأن له بادارتها . ويقول السفير : ان الذى ترامى الينا أنه لا يزال وثيق الصلة بالجمعية ولا يزال يديرها سواء كان فريبا منها أو بعيدا عنها .

واضاف السفير فى خطابه أنه هو أى السفير والقائد العام للجيش

البريطانية في مصر والقائد العام للطيران في الشرق الاوسط يطلبون من
النقراشي باشا أن يساعد على حمله على الاستقالة من الجمعية .

وقال الشاهد : بعد أن اطلعت على الخطاب سألتني دولة النقراشي
باشا عن رأيي . فقلت له : « اننى أعجب من أن تتدخل السفارة البريطانية
في شئوننا الداخلية حتى في رئاسة جمعية كجمعية الشبان المسلمين » فقال
لى دولة النقراشي باشا : ان الحالة لا تزال حالة حرب وان كانت الحرب قد
انتهت . فقلت له : اننى لن أستقيل . فقال دولة النقراشي باشا: انك
ستسبب لنا مشاكل . فقلت له : أرجو من دولة الباشا أن يكون على الحياد
وان يترك الامر بينى وبين الانجليز لان بيننا خصومة ترجع الى عام ١٩١٥

يضع اصبعه

فقال دولة النقراشي باشا : أرجو أن لا يكون هذا آخر ما عندك . وأن
تعيد النظر في الامر ، والوقت فسيح أمامك ، فقلت له : ان هذا هو آخر
ما عندي لان هذا الطالب طلب منى قبل اليوم ، وأنا لن أستقيل ولا توجد
قوة في الارض تحملنى على الاستقالة وهنا وضع النقراشي باشا
اصبعه على كلمة « قائد قوة الطيران في الشرق الاوسط » التي وردت في
الخطاب وردد لقبه . فقلت له : ان قوة بريطانيا كلها لا تستطيع حملى على
الاستقالة ، وان الذى يحملنى على الاستقالة هو شيء واحد ، هو أن ترغب
جمعية الشبان المسلمين نفسها في ذلك .

ثم سأل المحامى الشاهد : هل كذب دولة النقراشي باشا الحديث
الذى نشر في جريدة البلاغ حول هذه الواقعة ؟ فرد الشاهد : لا أذكر ، ا هـ .
وقد أوردنا هذه الشهادة ليعلم القارىء أن حكام مصر عامة وأن
السعديين منهم بوجه خاص ، وأن النقراشي باشا بوجه أخص ، كانوا
يستوحون تصرفاتهم من وحى المستعمر ، ويتلمسون رضاه في كل عمل
يعملونه ، ويلتزمون أمره في كل ما يأمرهم به حتى في أفقه الامور .

فرياسة جمعية الشبان المسلمين ، وهى جمعية بعيدة كل البعد عن
السياسة ، ويكاد يقتصر عملها على النواحي الرياضية والثقافية ، تصر
السفارة البريطانية والقائد العام للقوات البريطانية في الشرق الاوسط
والقائد العام لقوة الطيران البريطانى بالشرق الاوسط على تنحية فرد عن
رياستها ، وتلج في اصرارها بعد أن حاول وكيل وزارة الداخلية ايهامها بأن
هذا الفرد قد قطع صلته بها دليلا على أن للسفارة عيونا ترصد ما يجرى
في مصر وتتقبه فما بالك بهيئة الاخوان المسلمين التي اقصت مضاجع

بريطانيا ، وهددت وجودها في مصر ، وألبت الشعب ضدها ، وكشفت له عن سواتها وجرائمها ، وكادت تفسد المخطط البريطاني الأمريكي في فلسطين لولا تواطؤ الحكومات العربية ، وأيقظت الوعي الوطني الاسلامى في أنحاء البلاد العربية حتى أصبح عملاء الاستعمار في كل مكان في حرج من أمرهم ١٩٠٠ هل تصبر حكومة بريطانيا هذه على هذا الخطر الداهم لمصالحها دون أن تستغل ولاء حاكم مصر لها في القضاء على ألد أعدائها وأقوى خصومها ؟ وهى لم تنطق بالصبر على وجود فرد ما في رئاسة جمعية الشبان المسلمين ٠٠٠ القرينة الرابعة - وفي ختام مانسوق من ظروف وقرائن ننقل كلمة قصيرة وردت في سياق مرافعة الاستاذ فتحى رضوان أمام محكمة الجنايات في إحدى جلسات قضية السيارة الجيب ، وكان ذلك في ٢٠-٢-١٩٥١ . ولهذه الكلمة أو الواقعة من الدلالات ما نترك للقارئ تصويره لحقيقة حكام مصر في ذلك العهد ، ولحقيقة النقراشى باشا بالذات :

أشار الاستاذ فتحى رضوان الى أسباب دخول الجيش المصرى في فلسطين في ١٥ مايو بالذات فقال : انه أشيع في ذلك الوقت أن « شرق الاردن » (المملكة الاردنية الآن) عازمة على دخول الحرب ولو منفردة اذا كانت مصر والبلاد العربية غير مستعدة ٠٠٠ ومن الغريب أن حافظ رمضان باشا سأل النقراشى باشا تليفونيا عما اذا كانت مصر مستعدة لدخول الحرب ، فطلب اليه أن يتصل به عن طريق تليفون آخر لان تليفونه مراقب من الانجليز .

وقال الاستاذ فتحى رضوان : ان النقراشى باشا لم يكن راغباً في دخول الحرب ، وانما ضغط عليه الانجليز الذين أرادوا أن يؤدبونا لاننا رفضنا شروط المعاهدة التي أرادوا املاءها علينا ، مما اشعرهم أن هناك وعياً قومياً في البلاد العربية لابد أن يموت ويقضى عليه ، وأن يموت حسن البنا زعيم أكبر هيئة اسلامية - وأن يموت النقراشى - وينكل بالاحرار ، وتدبر انقضائهم لينشغل الرأي العام بها عن مطالبه القومية .

الفصل الثالث

تفنيد أسباب كل

لم يكن ممكنا في ظل الحرب الملعنة من الحكومة المصرية على الاخوان المسلمين ، أن يجد الاخوان فرصة للرد على اتهامات الحكومة ، التي سخرت لاذاعتها - باسم الاحكام العرفية - جميع وسائل النشر والاعلام ، وحرمت على الاخوان أن يسمع لهم صوت أو تنشر لهم كلمة ... وكيف لا وقد أصدر الحاكم المفتون بغيرور السلطة حكما باعدامهم .. واذن فهم غير موجودين بحكم أمر الحل ..

ولكن المرشد العام لم يكن الرجل الذي سيسلم مهما أحاط به عدوه من كل جانب ، ومهما جردوه من كل سلاح يمكن الدفاع به .. انهم جردوه فعلا من كل سلاح ، لكن سلاحا واحدا لم يستطيعوا أن يجردوه منه ، ذلك هو ايمانه العميق بدعوته ، وثقته الكاملة في طهرها ونقاؤها ..

ومع أنه كان يعلم أن دفاعه عن دعوته بالحجة والبرهان سيحول هؤلاء الحكام بينه وبين أن يصل الى الشعب .. الشعب المضلل الذي هو في أمس الحاجة الى من ينير له الطريق في هذه القضية المصيرية ، وينتشله من وهدة الذهول والحيرة التي تردى فيها أمام ما فوجئ به من سيل جارف من اتهامات خطيرة قذفت بها هذه الحكومة فجأة في وجه دعوة كانت حتى آخر لحظة مناط أملة ومعقد رجائه .

ثم انه - أي الشعب - لم تعد تقع عينه بعد ذلك ، ولا يقرع سمعه ليلا أو نهارا الا مقالات ضافية واحاديث مستفيضة كلها تسبح بحمد الحكومة وتصب الملعنات على أم رأس الاخوان ...

كان المرشد العام يعلم ذلك . ولكن ذلك لم يقعد بهمته لحظة عن انتهاج كل سبيل يتاح له أن يكتب بقلمه أو ينطق بلسانه ما يستطيعه من دفاع عن دعوته بالحجة والبرهان ، تاركا ذلك للزمن الذي يعتبره جزءا من العلاج ... فاذا كان هذا الشعب قد ابتلى بهؤلاء الاحكام ، فكانوا مرضه الذي غيبه عن رشده ، فان الزمن كفيل أن يكشف عنه هذا البلاء فيصحو ويستعيد قدرته على النظر والادراك « وتلك الايام نداولها بين الناس » . ولقد فعل الزمان فعله ، لم يمض وقت طويل حتى أتيت لهذا الشعب

وللعالم كله أن يقرأ دفاع هذا الرجل المؤمن العظيم عن دعوته ، وخوده بأقوى سلاح من الحجّة والبرهان عن حياضها ٠٠ واستيان للجميع - في ضوء ما سيط في ثنايا هذا الدفاع من أشعة كاشفة - حقيقة الدوافع التي دفعت هؤلاء الحكام الى ارتكاب جريمة اصدار هذا الامر .

واليك الخطوات التي اتخذها الاستاذ المرشد العام في هذا السبيل :

أولا - محاجة باللسان :

لما بلغه أن الحكومة مصممة على اصدار الامر العسكري بحل الاخوان ، تناسى ما يعلمه من أن هذه الحكومة صنّعة المستعمر ، وأنها حكومة فاشلة حاقدة ، وطلب مقابلة النقراشي باشا . فلما حيل بينه وبين ذلك ذهب اليهم في عقر دارهم بوزارة الداخلية في الليلة التي يضعون فيها اللمسات الاخيرة لنصوص الامر العسكري وجلس مع كبيرهم عبد الرحمن عمار . وقارعه الحجة بالحجة ، فأثبت له زيف ما بنوا عليه هذا الامر ، وشرح له ولئن معه ما سوف يحقق بالامة من أضرار بالغة من جراء هذا الامر اذا هم أقدموا عليه ، وناشدهم أن يجنبوا الامة هذه الاخطار بالعدول عن اصداره ٠٠ وقد أبدى لهم استعدادهم أن يتعاون معهم بالوسائل المشروعة على ما يعود على هذه الامة بالخير ٠٠٠ أسلوب رجل أكبر من الاحداث ، وأقوى من أن تجرفه العواطف ٠٠ فهو يكره القوم ، ولكن كرهه اياهم لا يمنعه من أن يبذل جهده في اقاتلهم من عثرة ستودي بالبلاد وتحطم مستقبلها .

انه يعلم أنهم يعدون قرارا بتجريمه ، ولكنه - لثقتة في نفسه وليقينته من براءة ساحته - يذهب اليهم ويمحضهم النصيح ، ويعاملهم معاملة الوالد الذي استبد بأبنائه العقوق فجلسوا يديرون أمرا يعلم هو أن فيه هلاكهم وهلاك أهليهم ، فأخذ يبصرهم بالعواقب ، ويمد لهم يده للتعاون معهم على انقاذهم وانقاذ أهليهم ٠٠٠ ولكن العقوق كان قد بلغ بهم مبلغا لا يدع للنصح الى نفوسهم سبيلا ، وأصروا على مؤامرتهم ، وأخرجوها الى خيز التنفيذ ٠٠٠

ثانيا - تنفيذ مسجل بالكتابة :

لما لم تجد المحاجة باللسان ، وأصدروا الامر العسكري والمذكرة التفسيرية التي بنى عليها هذا الامر ، لجأ الاستاذ المرشد الى اعداد مذكرة فند فيها كل ما نسبته المذكرة التفسيرية الى الاخوان من اتهامات ، وأثبت زيفها ، ووضح فيها دعوة الاخوان المسلمين ومواقفها من الاحداث ، وجهادها

الكريم في مختلف الميادين ، وأشار بأصابع الاتهام الى جهات اجنبية معينة صدر عذا الامر لحسابها . وتعد هذه المذكرة مرجعا شاملا ورائعا وتاريخيا يحرص كل منصف على الاطلاع عليه - واليك نص هذه المذكرة التي لم تنشر الا بعد عام من كتابتها فقد نشرت في ١٢-١٢-١٩٤٩ تحت عنوان :

« رد حسن البنا على مذكرة عمار بك بحل الاخوان »

« عمار بك يقر بأن قرار الحل جاء نتيجة للضغط الاجنبى على النقراشى باشا »
بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله انذى يقول الحق وهو يهدى
السبيل . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد :

فقد تقدم سعادة وكيل الداخلية عبد الرحمن عمار بك بمذكرة ضافية بتاريخ ٢٨-١٢-١٩٤٨ عن تاريخ الاخوان المسلمين وغايتهم ووسيلتهم .
وطالب في نهايتها اتخاذ التدابير الحاسمة لوقف نشاط هذه الجماعة التي تروغ أمن البلاد في وقت هي أحوج ما تكون فيه الى هدوء كامل وأمن شامل ضمانا لسلامة أهلها في الداخل وجيوشها في الخارج .

الامر العسكرى

وقد اتخذ دولة الحاكم العسكرى من هذه المذكرة سببا لاصدار الامر العسكرى بـ (: جمعية الاخوان المسلمين) ومصادرة أنديةهم وأموالهم وأماكنهم ونشاطهم في جميع أنحاء البلاد ، واعتقال رؤسائهم وكثير من أعضاء هيئتهم بالجملة في كل مكان ، وعلان حرب عنيفة لم توجه الى الصهيونيين الذين شرعت الاحكام العسكرية من أجلهم ، وأذن بها من أجل اتقاء شرهم . وقرارا للحق في نصابه أردت أن أناقش ما جاء في هذه المذكرة ليرى الراى العام المصرى والعربى والاسلامى تفاهة هذه الاسباب ، ومدى العدوان الذى وقع على أكبر مؤسسة اسلامية شعبية نافعة في مصر أدت للوطن وللدین أجل الخدمات طوال عشرين عاما كاملة .

بطلان دعوى الاجرام والارهاب

يقول وكيل الداخلية في مذكرته « ولقد تجاوزت الجماعة الاغراض السياسية المشروعة الى اغراض يحرمها الدستور وقوانين البلاد ، فهدفت الى تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والارهاب . ولقد أمعنت في نشاطها فاتخذت الاجرام وسيلة لتنفيذ مراميها ، واخذت سعادته بعد ذلك يستشهد ببعض الحوادث ويورد « بعض أمثلة قليلة لهذا النشاط الاجرامى

كما سجلته التحقيقات الرسمية ، وذكر ثلاث عشرة حادثة كلها مردودة ، ولا توصل الى ما يريد سعادته من ادانة هيئة الاخوان المسلمين ووصف نشاطهم القانونى المثير بأنه نشاط إجرامى .

وهذا القول منقوض من اساسه ، فلم يكن الاجرام يوما من الايام من وسائل هيئة الاخوان المسلمين فان وسائلهم ظاهرة معروفة ، فهذه المحاضرات والدروس ، والرسائل والصحف ، والاندية والحدور ، والمساجد والمنشآت ، ناطقة بأن وسائل هيئة الاخوان المسلمين لم تتعارض مع القانون في يوم من الايام .

حقيقة الحوادث

ويكفى للرد على سعادة الوكيل ان القانون حمى هذا النشاط عشرين سنة ولم يستطع أحد الاعتداء عليه الا في غيبة القانون وفي ظل الحكم العرفى الاستثنائى الفردى البحت - والذي ينص الدستور في المادة (١٥٥) بأنه اذا عطل الحريات فان ذلك لا يكون الا تعطيلاً مؤقتاً ينتهى هذا التعطيل بانتهاء الاحكام العرفية ٠٠٠ أما ما عدد سعادته من الحوادث فيها هي ذى حقيقتها في وضعها الصحيح :

الجناية رقم ٨٨٣ :

أولاً - الجناية العسكرية العليا رقم ٨٨٣ لسنة ١٩٤٢ قسم الجمرک - وقد كان موضوع الاتهام فيها الدعاية للمحور . وتساء ذوو الاعراض أن يقيموا فيها الاخوان المسلمين . وأدعى أحد المتهمين أنه عرض على الاستاذ البنا شخصياً أنواعاً من السلاح والعتاد الالمانى ، وأن الاستاذ البنا سر بذلك ، ورحب بالحصول على هذه الاسلحة ، وأن الوسيط في ذلك اخوان من اخوان طنطا ، وقد قبض عليهما في السجن ثمانية أشهر ٠٠ وماذا كانت النتيجة بعد ذلك ؟

كانت النتيجة ان كذب هذا المدعى نفسه حين ضيق عليه المحقق الخناق وهدده بالمواجهة - وحكم ببراءة الاخوين براءة نقية واضحة كاملة - فهل تصلح مثل هذه النتيجة تكأة للاتهام أمام سعادة وكيل الداخلية وهو من رجال القانون ؟

ويتصل بهذه القضية ما ذكره سعادة الوكيل من موافقة الاستاذ حسن البنا على تقرير ل أحد اخوان طنطا وكتابته بخطه أنه مؤمن بما ورد فيه ٠٠٠ وعرض الموضوع على هذه الصورة فيه انتقاص للحقيقة . فلقد كان التقرير

مطولا ، وكانت اشارتى عليه بالموافقة على بعضه وتعديل بعضه . ولو كان في هذا التقرير ما يؤخذ عليه لحوكم صاحبه ولما صدر قرار المحكمة ببراءته فقد كان أحد المتهمين المقبوض عليهما في الجناية السابقة .

الجناية رقم ٦٧٩ :

ثانيا - الجناية رقم ٦٧٩ لسنة ١٩٤٦ قسم ثان بور سعيد - ويعلم الخاص والعام أن الاخوان المسلمين كانوا معتدى عليهم فيها ولم يكونوا معتدين . فقد أخذوا على غرة ، وحوصرت دارهم ، وحرقت ناديهم الرياضي ولم تثبت ادانة أحد منهم في شيء . ولم يكن القتل الذي قتل خصما من خصوم الاخوان ، ولكنه كان صبيا في الطريق - جعله الله لاهله ذخرا - ولكن سعادة الوكيل يأبى الا أن يجعله خصما من خصوم الاخوان ليوهم الناس أنهم يعتدون على خصومهم بالسلاح .

في ١٠ ديسمبر :

ثالثا - بتاريخ ١٠ ديسمبر ١٩٤٦ ضبط بعض أفراد هذه الهيئة بمدينة الاسماعيلية يقومون بتجارب لصنع القنابل والمفرقعات ٠٠٠ وهي واقعة لا أصل لها بتاتا فيما أذكر . وانى لاسأل سعادة الوكيل من هم هؤلاء الاشخاص ؟ وهل حوكموا ؟ وبماذا حكم عليهم ؟ لان الاخوان بالاسماعيلية معروفون كفتى الصبح ، ولا أذكر أن أحدا منهم وجه اليه مثل هذا الاتهام في يوم من الايام .

الجناية رقم ٧٦٧ :

رابعا - والشخص الذى أدين في قضية الجناية رقم ٧٦٧ لسنة ١٩٤٦ قسم عابدين بمناسبة حوادث ٢٤ ديسمبر ١٩٤٦ لم يثبت أنه أمر بهذا من قبل الاخوان أو اشترك معه فيه أحد منهم . وقد كانت هذه الحوادث شائعة في ذلك الوقت بين الشباب بمناسبة الفورة الوطنية التى لازمت المفاوضات السابقة . ولقد حدث بالاسكندرية أكثر مما حدث بالقاهرة ، وضبط من الشباب عدد أكبر وصدرت ضدهم أحكام مناسبة ، ولم يقل أحد انهم من الاخوان المسلمين فتحمل الهيئة تبعة هذا التصرف لا حق فيه ولا مبرر له .

الجوالة ومأمور الخليفة :

خامسا - حادث اشتباك الجوالة بمأمور قسم الخليفة يوم ٢٩ يونيه ١٩٤٧ حادث عادى ولم يكن فيه اعتداء بالمعنى الذى صورته سعادة الوكيل ،

فقد اعترض المأمور ورجاله سير طابور نظامي من جواله الاخوان المسلمين ، وأراد منعهم بالقوة واشتبك مع قائدهم • وأشيع بينهم أن المأمور مزق المصحف الذي كان يحمله أحدهم • فثارت نفوسهم ، ثم انتهى الامر بالتفاهم كما تنتهي عادة مثل هذه الاحتكاكات بين البوليس والجمهور في أى اجتماع من الاجتماعات يتصرف فيه رجل البوليس بغير الكياسة واللباقة المناسبة للموقف •

الجناية رقم ٤٧٢٦ :

سادسا - الجناية رقم ٤٧٢٦ لسنة ١٩٤٧ • ثبت أن الذي اتهم فيها غير مسئول عن عمله ، وسقط الاتهام ضده ، وما زال في المستشفى الى الآن • فما وجه الاستشهاد بها في مذكرة رسمية ؟ وهل تكون هيئة الاخوان المسلمين مسئولة عن عمل شخص يتبين أنه هو نفسه غير مسئول عن عمله ؟!

في ١٩ يناير :

سابعا - هؤلاء الخمسة عشر الذين ضبطوا في ٩ يناير ١٩٤٨ بعضهم من الاخوان ومعظمهم لا صلة له بالاخوان أصلا • ولقد برروا عملهم بأنهم يستعدون للتطوع لانقاذ فلسطين حينما أبطأت الحكومة في اعداد المتطوعين وحشد المجاهدين الشعبيين • وقد قبلت الحكومة منهم هذا التبرير وأفرجت عنهم النيابة في الحال • فما وجه ادانة الاخوان في عمل هؤلاء الافراد خصوصا وقد لوحظ أنه نص في قرار النيابة بأن الحيف لنبل المقصد وشرف الغاية •

الجناية رقم ١٤٠٧ :

ثامنا - والجناية رقم ١٤٠٧ لسنة ١٩٤٨ كوم النور كان الاشتباك في حادتها لاسباب عائلية بحنة لا صلة لها بالرأى • وإن كان كل فريق ينتمى الى هيئة من الهيئات • وكثيرا ما يقع مثل هذا الاشتباك في القرى بين من لا صلة لهم بحزب أو هيئة •

الشيخ محمد فرغلي :

تاسعا - وما نسب الى الاستاذ الشيخ محمد فرغلي في المفكرة ما زال رهن التحقيق • ومن الانصاف انتظار ما يسفر عنه • ولكن المعروف رسميا وعند الجميع أن الشيخ محمد فرغلي هو رئيس معسكر النصيرات - لا معسكر البريج - بجوار غزة ، وأنه تطوع للجهاد من فبراير ١٩٤٨ الا الآن ، ولازم متطوعي الاخوان في هذه المنطقة طوال هذه الفترة وأسندت اليه قيادتهم ،

وأقرته قيادة الجيش المصرى على ذلك . كما أنه معروف أن فضيلة الشيخ محمد فرغلى كان من أنصار المجاهد الكريم الشهيد عبد القادر بك الحسينى وكان ممن يسهلون له مهمة الحصول على ما يريد . فالإتهام قبل التحقيق ظلم صارخ . وقد سألت النيابة الشيخ محمد فرغلى ثم أفرجت عنه ، وإن كان الأمر العسكرى قد صدر بعد ذلك باعتقاله .

حوادث كفر بجواى :-

عاشرا وحادى عشر - أما مايتصل بحوادث كفر بجواى ومنية البرامونى فالثابت والمعروف أن أساس النزاع وأصل الإتهام فيها أن عمدة كل منهما يريد أن لا تقوم فى القرية أية جماعة يكون لها مظهر وكيان . وكلا العمدين صهر للآخر ، وخطتهما فى ذلك واحدة . وقد كان الاخوان هدفا لاضطهادهما اضطهادا قاسيا لولا ما فى أنفسهم من ايمان لما ثبتوا له ساعة نهار .

تفتيش ميت موسى :

ثانى عشر - وحادثة تفتيش ميت موسى مأساة تستحق الدراسة والثناء ، فقد كان الاخوان عامل تهدة لنفوس هؤلاء المظلومين المحرومين الذين يستغيثون ولا مغيث . فاتهموا بالاثارة والتحريض وقبض على أربعة منهم من خيرة الشهاب ، واستمروا فى الحبس أربعين يوما تحت التحقيق دون مبرر مكبلين بالحديد بين طنطا وكفر الشيخ . وماذا كانت النتيجة بعد ذلك ؟ . . أفرجت عنهم النيابة بلا ضمان - فهل هذه احدى الحجج التى يريد سعادة وكيل الداخلية ادانة الاخوان بها ووصفهم بالاجرام ؟

خطابات التهديد :

ثالث عشر - وخطابات التهديد التى ذكرها سعادة الوكيل تحدث فيها سعادته مع الاسناذ صالح عشاوى فرد عليه مدير الجريدة رسميا بخطاب مسجل نفى فيه بشدة هذا الاتهام ، ورجاه أن يقف موقفا حازما من هذه الشركات التى تتهم المصريين بالباطل . وانا لنرجو أن يتفضل سعادته ببيان مقدار هذه الاموال التى امتصها الاخوان بالفعل . وسعادته يعلم تمام العلم أن الاخوان ليسوا هم الذين يحسنون امتصاص أموال الشركات أو غير الشركات .

اثارة الشغب

وقد انتقل سعادته بعد ذلك الى اتهام الهيئة باثارة الشغب فى معاهد التعليم . وهى تهمة بلاطة ، يشهدبطلانها الاساتذة أولا ورجال الامن بعد . بعد ذلك لو خلوا الى أنفسهم واستنطقوا ضمائرهم غير متأثرين باتجاة

خاص . ولقد كان كثير من الناس يعيبون على طلبة الاخوان الاغراق في الهدوء والمبالغة في الانصراف الى الدرس ، فيجيبون بأن واجبهم الاول أن يكونوا طلابا . ولقد تخرج في ظل الدعوة مئات الطلاب من مختلف المعاهد فكانوا من أوائل الناجحين في شهاداتهم ، وكانوا من أفاضل الموظفين في أعمالهم .

الحوادث لا تنتج ما أريد بها

والحوادث التي ذكرها سعادة الوكيل لا تنتج أبدا ما يريد، ولا تسأل عنها هيئة الاخوان المسلمين . فقد كان ولا يزال معلوما أن عنصرا جديدا طرا على المدارس والمعاهد بعد الحرب الماضية كان له أثر عميق في توسيع هوة الخلاف وتعميقها بين الطلاب ، واستغلال التعصب للحزبية السياسية أسوأ استغلال ، ودفع المواقف الى العنف والاحتكاك . والله يشهد والمثقفون أن طلاب هيئة الاخوان المسلمين كانوا أكبر ملطف لحدة هذه الظاهرة وأول المناهضين والواقفين في وجهها - وفي كل هذه الحوادث كان أعضاء هيئة الاخوان المسلمين في موقف المدافع دائما ، وما زالت جميعا تحت التحقيق . . ومن الثابت أن الطالب الذي استشهد في مدرسة شبين الكوم هو أحد طلاب الاخوان المسلمين . وقد أغفلت المذكرة عمدا هذه النقطة لتظهر الاخوان بمظهر المعتدى مع أنهم هم المعتدى عليهم .

وعرضت بعد ذلك الى حادث الخازندار بك . وكل ذنب الاخوان فيه أن أحد التهمين شاع أنه سكرتير خاص للمرشد العام ، مع أن هذه الصلة لم تثبت في التحقيق ، وإن أصرت المذكرة على وصفها بالثبوت مع أنه على فرض ثبوتها لا يمكن أن تتخذ سببا لادانة هيئة الاخوان المسلمين .

تبعة حوادث ٤ ، ٦ ديسمبر

وقد حمل سعادة الوكيل في مذكرته الاخوان المسلمين تبعة حوادث ٤ ديسمبر ١٩٤٨ في الجامعة وكلية الطب وحوادث ٦ ديسمبر ١٩٤٨ بالمدرسة الخديوية . مع أن المعروف أن هذه الحوادث بدأت بمظاهرة سلمية بمناسبة موقف حاكم السودان العام من مصر والمصريين وبعثة المحامين ، ثم تطورت بعد الاحتكاك برجال البوليس الى تلك النتائج المؤسفة حقا . . ولم يكن دور الاخوان فيها أظهر من دور غيرهم من الطلاب . والمقبوض عليهم الآن معظمهم من غير الاخوان ، ولم يعلن بعد قرار الاتهام ، ولم يثبت أن لهيئة الاخوان يدا في التحريض على هذا الذي حدث - فتحميل الاخوان هذه التبعة سبق لكمة القضاء .

حادث سيارة الجيب

أما حادث سيارة الجيب فقد ضبط فيه عدد كبير من مختلف الهيئات . وما زال التحقيق يدور في تكتم شديد . ويقول وكيل الداخلية « ان ملابسات هذا الحادث كشفت عن أن جماعة من الاخوان المسلمين يكونون عصابة إجرامية ... الخ » ومقتضى هذا القول لو أن الامور تسير في حدودها الطبيعية أن تنتظر الحكومة نتيجة التحقيق فاذا ثبت على هؤلاء المقبوض عليهم أخذوا بجرمهم . ومن غير المعقول أن تؤخذ الهيئة بتصرفات بعض أعضائها ... وتقول المذكرة نفسها انهم كونوا من أنفسهم عصابة أخرى تتنافى أغراضها ووسائلها مع أغراض الجماعة ووسائلها القانونية السليمة .



ومن هذه المناقشة الهادئة يتضح لكل منصف أن جميع هذه الحوادث العادية الفردية لا يمكن أن تلون دعوة الاخوان المسلمين بهذا اللون ، وقبح مكثت عشرين عاما صافية نقية . أو تنهض دليلا على أنهم عدلوا عن وسائلهم القانونية الى وسيلة إجرامية . وبالتالي لا يمكن أن تكون بمفرداتها أو بمجموعها - وقد حشدتها المذكرة هذا الحشد المقصود - سببا في هدم بناء اصلاحي ضخم جنت منه مصر والبلاد العربية والاسلامية أبرك الثمرات . بل ان الدليل القاطع الدامغ ينادى ببراءة الاخوان من هذا الاتهام ، فهذه دورهم وشعبهم وأوراقهم وسجلاتهم ومنشآتهم قد وضعت كلها تحت يد البوليس في جميع أنحاء المملكة المصرية فلم يعثر في شيء منها على ورقة واحدة تصلح أن تكون دليلا أو شبه دليل على هذا الانحراف المزعوم - بل لم تجد الحكومة أمامها الا المدارس تقدمها للمعارف ، والشافى والمستوصفات تقدمها لوزارة الصحة ، والمصانع والمعامل تقدمها لوزارة التجارة والصناعة ... وكفى بهذا شرفا واشادة بجهود الاخوان الاصلاحية النافعة لهذا الوطن العزيز .

وبعد ... فمن تمام الفائدة بعد هذه المناقشة الهادئة أن نتناول بعض هذه النقاط التكميلية بشيء من البيان والتوضيح .

بين الدين والسياسة

أشارت مذكرة وكيل الداخلية الى أن الاخوان اتخذوا من الدين وسيلة لخوض غمار السياسة ، وانهم أرادوا بذلك الوصول الى الحكم وقلب النظم المقررة في البلاد - وكل من اتصل بالاخوان ودرس نظمهم يعلم تمام العلم بطلان هذا الاتهام . وكل ما هناك ان الاخوان كهيئة اسلامية جامعة مزجت

الوطنية بروح الدين ، واستمدت من روح الدين اسمى معانى الوطنية . ولم تبتدع ذلك ابتداء ، ولم تخرعه اختراعا ، وانما هي طبيعة الاسلام الحنيف الذى جاء للناس ديناً ودولة . وكل مواقف الاخوان فى ميدان السياسة مواقف وطنية خالصة بريئة كل البراءة عن حب الخنيا او الرغبة فى الوصول الى الحكم او الغنيمة - تهدف الى اصلاح النظم المقررة فى البلاد حتى تتفق مع دينها وعقيدتها ونص دستورها الذى ينادى بأن دينها الرسمى هو الاسلام .

الاوراق ليست حجة

وليست الاوراق التى توجد بايذى الافراد وفى حيازتهم حجة على هيئة عاشت تعمل وتجاهد فى حدود ظاهرة عشرين عاما كاملة . ولكن الحجة هى قرانين هذه الهيئة ولوائحها ونشراتها التى اعتمبتها جهات الاختصاص . ومنذ صدور القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٤٥ الخاص بتنظيم جماعات البر والاعمال الخيرية حدد الاخوان نواحي نشاطهم تحديدا واضحا دقيقا ، وفصلوا بين العمل للبر والخدمة الاجتماعية وبين العمل للوطنية ونشر الدعوة الاسلامية . ووضعوا لكلتا الناحيتين نظاما دقيقا ولوائح مفصلة اعتمدتها وزارة الشؤون الاجتماعية ، وفيها بيان غايتهم ووسائلهم كاملة - رساروا فى حدود هذه الاوضاع يلتزمون بها بكل دقة الى الآن ، وليس من هذه الوسائل الجريمة ولا الارهاب كما تريد المذكرة أن نقول .

الاخوان وفلسطين

ولعل الذى يسر للحكومة سبيل هذا الاتهام وسهله عليها واوجد بين يديها بعض الشبهات - لا الادلة - عليه ، هو عمل الاخوان وجهادهم فى سبيل فلسطين ، وان كان هذا العمل من انصح الصفحات وامجدها فى تاريخ دعوتهم - فقد احتاجت فلسطين الشقيقة الى السلاح قبل التقسيم بأشهر ، ونشطات فى جمعه بعض الهيئات ، وأذنت الجهات المختصة من طرف خفى بهذا الجمع ، وشجعت الاخوان على التعاون مع تلك الهيئات باعتبارهم اقصر الناس على بذل هذه المعونة لانتشار شعبيهم وامتداد دعوتهم الى كل مكان قابلى الاخوان فى ذلك أحسن البلاء وكانوا عند حسن الظن .

جهاد الاخوان

واعلن التقسيم ونشبت الثورة فى فلسطين ، وانتحم العرب واليهود ومعارك شعبية ، وللاخوان فى فلسطين أكثر من عشرين شعبة فى الشمال والوسط والجنوب . وتحقق سبيل الاهلين من الفلسطينيين يريدون شراء الاسلحة من مصر ، وفتحت الحكومة المصرية لهم الباب . وعقدت الجامعة

العربية عدة إجتماعات ، وألفت لجنة لمساعدة هؤلاء الاهلين حتى يحصلوا على ما يريدون . وقبل الاخوان رسميا في هذه اللجنة وتطوع بعض شبابهم لهذه الغاية ، وتركوا مصالحهم وراءهم ظهريا ، وبذلوا في ذلك غاية المجهود ، وقدموا كل ما يستطيعون ، واحتملوا كثيرا من التضحيات المالية في هذه السبيل ، وبخاصة بعد أن عدلت الحكومة عن خطتها وصادرت كثيرا من المشتريات التي اشترت لاهل فلسطين بمعرفتهم أو عن طريق الاخوان وكان جزاء هؤلاء الاخوان أخيرا السجن وسوء الحساب . . . وأقرت الجامعة العربية فكرة التطوع ، فتقدم اليها الآلاف من شباب الاخوان يريدون الموت في سبيل الله . وظلت الجامعة والحكومة مترددتين بين الاقدام والاحجام . والحماسة تشتد ، والنفوس تغلى . مما دعا المركز العام الى أن يبعث بمائة الى معسكر قظنة بسورية ، وهم كل ما استطاع أن يقنع المسئولين هناك بقبوله . ولكن ذلك لم يشف غلة الاخوان فاستأذنوا في اقامة معسكر خاص بهم بالقرب من العريش ، يمارسون فيه التدريب استعدادا لدخول فلسطين ، واذن لهم بذلك . وأقاموا معسكرا كبيرا لعدد منهم يزيد على المائتين . يمدهم فيه المركز العام بكل ما يحتاجون من أدوات وتموين وسلاح وعتاد باذن الحكومة وعلمها ، حتى تم تدريبهم ، ودخلوا فلسطين في مارس ١٩٤٨ أى قبل دخول القوات النظامية بأكثر من شهرين . واحتلوا هناك معسكرا النصيرات جنوبى غزة . . . وكان لوجودهم هناك أحسن الاثر في رد عنوان اليهود وطمانينة السكان .

وتحركت الحكومة وهيئة وادى النيل العليا لانقاذ فلسطين ، وأعدت معسكر هاكستيب لتدريب المتطوعين . تقدم اليه أكثر من ألف أخ ، انتخب منهم أكثر من ستمائة على دفعات . جهزتهم الحكومة ودخلوا مع القوات النظامية . ووزعوا على مختلف الجهات . وظفروا بحمد الله بتقدير كل من عرفهم أو اتصل بهم أو رأى حسن بلائهم واخلاص جهادهم ، فقد رابط الاخوان في « صور باهر » وفي « بيت لحم » وعلى مشارف القدس ، واقتحموا « رامات راحيل » في جبهة الوسط ، واحتلوا معسكر النصيرات ومعسكر البريج ، وتسفوا مستعمرة « ديروم » ، واشتركوا في معارك عسلاج ، وحاصروا « المسنة » وبيروت اسحق ، وترددت نقطهم الثابتة والمتحركة في كل مكان في جبهة الجنوب ، واستشهد منهم قرابة المائة وجرح نحو ذلك ، وأسرو بعضهم . . . وكاثفوا مثال البسالة والبطولة والعفة والشرف والنزاهة وحب الاستشهاد فكان طبيعيا أن تحصل الحكومة على بعض عتاد لم ينقل ، وأن تجد في بعض الأماكن بقايا من هذه الخلفات . . . ولكن ليس معنى ذلك أبدا أن الاخوان المسلمين المؤمنين المجاهدين المحسنين قد أصبحوا

خطرا يهدد سلامة الاهلين في الداخل وعم دعائهم ، وسلامة الجيوش في
في اخارج وهم زملائهم .

الدوافع الحقيقية في موقف الحكومة

مستحيل أن يكون الدافع الحقيقي لهذه الخطوة الجريئة من الحكومة
مجرد الاهتمام في مقاصد الاخوان أو اعتبارهم مصدر تهديد للامن والسلام -
وهو ما لم يقم عليه دليل ولا برهان - ولكن الدافع الحقيقي فيما نظن هو
انتهاز الاجانب فرصة وقوع بعض الحوادث ، مع اضطرابات السياسة
الدولية ، وقلق الموقف في فلسطين ، وتردد سياسة مصر بين الازدحام
والاحجام - فشددوا الضغط على الحكومة . وقد صرح بذلك عماد بك
نفسه ، وأقر بأن سفراء بريطانيا وأمريكا وفرنسا قد اجتمعوا في فايد
وكتبوا لحولة النقراسي باشا في صراحة بأنه لابد من حل الاخوان
المسلمين . وكان في وسع دولته أن يزجرهم عن مثل هذا التدخل في شأن داخلي
بحث ، وأن ينظرهم حتى تظهر نتيجة التحقيقات ، وأن يتعاون مع المسؤولين
في الاخوان على ازالة هذا الوهم من أنفسهم . ولكنه بدلا من ذلك استجاب
لهذه الرغبة الاجنبية ، وأصدر قرار الحل فأشمت الاعداء وأحزن المؤمنين
الأتقياء .

وهكذا يقيم الشواهد كل يوم على أن مصر للاجانب قبل ان يكون
لاهلها منها نصيب ، وأن خلاصة شعبها لا مانع من أن تقدم حرياتنا
لارضاء السفراء ورعايا الدول التي طالما ناصبتنا العدا ، وأنزلت بنا البلاء ،
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

ويكون لما يشاع عن قرب الاتفاق بين الحكومة المصرية والحكومة
البريطانية أصل في هذه الخطوة أيضا . كما قد يكون للموقف الحزبي والذاهب
لانتخابات القادمة دخل كذلك . ولا يعلم بالحقيقة غير الله ، والله عاقبة
الامور .

التعسف في التنفيذ

ولقد كان الامر العسكري غريبا في نفسه وفي طريقة تنفيذه . فلا يمكن
أن يقول انسان ان حل هيئة من الهيئات يستلزم اتهام كل ما يتصل بها أو
حمل اسمها بالجرم والعدوان ومصادرتة في حريته وماله وعمله ومهاجمته في
كل مكان . . . ولئن جاز في عرف الاحكام العسكرية ان تحل الهيئات غما بال
الشركات التي لا صلة بينها وبينها الا مجرد الاسم مع بمام الفصل في كل
الاعمال ونواحي النشاط .

شركات لا صلة لها بالهيئة

ان شركة المناجم والمهاجر العربية ، وشركة الاعلانات العربية ، وشركة الاخوان للنسيج ، وشركة دار الاخوان للصحافة ، وشركة دار الاخوان للطباعة ، وشركة مدارس الاخوان بالاسكندرية . . . كلها شركات لا صلة لها بالهيئة . جمعت رؤوس أموالها من أفراد بصفتهم الشخصية . . وكيف يصح في ذهن أحد أن تصدر أموالها لا لشيء الا أنها تحمل اسم الاخوان .

وهذه العشرات من الاخوان من كرام الشباب . . لماذا يعتقلون بغير جريمة ولا سبب ، وتمنع عنهم أنواتهم الضرورية ، ويلقى بكثير منهم في سجون الاقسام مع المجرمين أمثال « صبيحة وغنتر والششتاوى ، وغيرهم من أرباب السوايق ومعتادى الاجرام ، ويتركون فريسة للبرد والجوع ولا يسمح بأن يقدم لهم الغذاء والغطاء .

والصحف أيضا

وهذه الصحف الشخصية التي ليس لها صلة بالهيئة ، ولا تدعو لفكرتها من قريب أو بعيد ، لماذا تصدر ويصادر أصحابها وعمالها في أعمالهم وموارد رزقهم .

ولقد ضربت الرقابة الشديدة حول مسكن المرشد العام ، وأحيط بسيج من البوليس الملكي مزودين بموتوسيكل حتى اذا دخل داخل أو خرج خارج أدركوه فقبضوا عليه كائنًا من كان ، وذهبوا به الى أحد الاقسام ، حيث يقضى ليلة أو ليلتين أو ما شاء له حضرات الضباط ، ثم يعمل له بعد ذلك تشبيه وتحر ويطلق سراحه أو يظل معتقلا الى ما شاء الله .

اسلوب الحرب

هذا الاسلوب من الحرب والتعسف لم تتسلكه الحكومة مع الصهيونيين ولا مع أشد الأعداء عداوة للوطن والحرب على أشدها ، ولم يعتمد اليه الأنجليز ابان الحرب الماضية . ولكن لجأت اليه الحكومة مع الاخوان المسلمين في هذا الوقت .

حكم هذا الحل في فعله وآثاره

ان هذا القرار فيما نعلم باطل شكلا لانه ليست هناك جماعة الاخوان المسلمين وانما هناك جماعات اسمها أقسام البر والخدمة الاجتماعية للاخوان المسلمين وهناك هيئة الاخوان المسلمين العامة .

وباطل موضوعا لانه تجاوز لحقوق الحاكم العسكري الممنوحة له في مرسوم الاحكام العرفية ، ومناف لروح الغاية التي فرضت من أجلها هذه الاحكام . ومحال أن تطبق الاحكام التي فرضت للصهيونيين على خصوم الصهيونية الالقاء .

الحل أوقف نهضة كبرى

لقد أوقف هذا الحل نهضة اجتماعية كبرى تهيأ لها شعب هذا الجيل من أبناء الوطن وأفضل العقائد وترك في النفوس أعمق الآثار .

وسيقول التاريخ كلمته ، ويظهر المستقبل القريب آيته ، ولن تستطيع القوة أن تمحو عقيدة أو تبجل فكرة « كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » ، والعاقبة للمتقين » . (انتهت بذلك مذكره المرشد العام) (١) .

ثالثا - تنفيذ في صدد الاغتيالات :

لم ييأس الاستاذ المرشد - مع تفاقم الاحداث - فلم يقطع صلته برجال الحكومة ، أملا أن يفيثوا الي رشدهم ، ويرجعوا الى جادة الصواب ، ويفرخوا له فرصة الاتصال برجال الاخوان ليعمل على تهدئة خواطر هذا الشباب الذي أثاروه باجرائهم الشاذة فوجد الشباب نفسه بغير قيادة فانطلق لا يلوى على شيء .

وهنا وجد الاستاذ من وزراء الحكومة من يحضر الى دار الشباب المسلمين لمقابلته والتفاهم معه او قل من يتظاهر بأنه جاء من قبل رئيس الوزراء للتفاهم معه وتمخضت الاجتماعات بينه وبينهم عن أن يجاب لطلبه في الافراج عن أعضاء مكتب الارشاد ليستطيع معهم تهدئة الامور اذا هو اصدر بيانا يستنكر فيه اغتيال النقراشي باشا .

واصدر الاستاذ المرشد البيان ، ونشر في الصحف تحت عنوان « بيان للناس » وان كان ممثلو الحكومة قد ألزموه باثبات عبارات معينة في البيان لم يكن هو راضيا عنها . ولكنه - أملا في تدارك الموقف المتفاقم - اجازها كارها واليك هذا البيان الذي نشر في ١١-١-١٩٤٩ :

ملحوظة : الجناية رقم ٨٨٣ لسنة ١٩٤٢ قسم الجمرک التي جاءت في مذكرة وكيل الداخلية . وفي رد الاستاذ المرشد عليها في البند « أولا » في صفحة ٤٦ هي نفسها القضية العسكرية العليا التي تناولناها في الجزء الاول من هذا الكتاب في الفصل الاول من الباب الثالث تحت عنوان « اول محاكمة في تاريخ الدعوة - اتهام بقلب نظام الحكم » .

« كان هدف دعوتنا حين نشأت (العمل لخير الطن واعزاز الدين ومقاومة دعوات الالحاد والاباحية والخروج على احكام الاسلام وفضائله) تلك الدعوات التي دوى بوقها ، وراجت سوقها في تلك الايام . واذ كان ذلك كذلك ، فما كانت الجريمة ولا الارهاب ولا العنف من وسائلها ، لانها تأخذ عن الاسلام ، وتنهج منهجه ، وتلتزم حدوده . ووسيلة الاسلام في الدعوة مسجلة في كتاب الله (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) - والقرآن الكريم هو الكتاب الذي رفع من قدر الفكر ، وأعلى من قيمة العقل ، وجعله مناط التكليف ، وفرض احترام الدليل والبرهان ، وحرّم الاعتداء حتى في القتال فقال (ولا تحتجوا ان الله لا يحب المعتدين) .

والاسلام الحنيف هو دين السلام الشامل ، والطمأنينة الصافية ، والمثل الانسانية الرفيعة . ومن واجب كل مسلم ينتسب اليه أن يكون مظهرا لهذه الحقيقة التي صورها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بقوله (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) .

ولقد حدث أن وقعت أحداث نسبت الى بعض من دخلوا هذه الجماعة دون أن يتشربوا روحها أو يلتزموا نهجها ، مما ألقى عليها ظلا من التشبهة فصدر أمر عسكري بحلها ، وثلا ذلك هذا الحادث المروع حادث اغتيال دولة رئيس الحكومة المصرية محمود فهمى النقراشى باشا الذى أسفت البلاد لوفاته وخسرت بفقده علما من اعلام نهضتها وقائدا من قادة حركتها ومثلا طيبا للنزاهة والوطنية والعفة من أفضل أبنائها ، ولسنا أقل من غيرنا أسفا من أجله ، وتقديرا لجهاده وخلقه .

ولما كانت طبيعة دعوة الاسلام تتنافى مع العنف بل تنكره ، وتمقت الجريمة مهما يكن نوعها ، وتسخط على من يرتكبها ، فنحن نبرأ الى الله من الجرائم ومرتكبيها ولما كانت بلادنا تجتاز الان مرحلة من أدق مراحل حياتها ، مما يوجب أن يتوفر لها كامل الهدوء والطمأنينة والاستقرار - وكان جلالة الملك المعظم حفظه الله قد تفضل فوجه الحكومة القائمة - وفيها هذه الخلاصة من رجالات مصر - هذه الوجهة الصالحة ، وجهة العمل على جمع كلمة الامة وضم صفوفها ، وتوجيه جهودها وكفاياتها مجتمعة لا موزعة الى ما فيه خيرها وصلاح أمرها في الداخل والخارج . وقد أخذت الحكومة من أول لحظة تعمل على تحقيق هذا التوجيه الكريم في اخلاص ودأب وصدق . وكل ذلك يفرض علينا أن نبذل كل جهد ، ونستنفذ كل وسع في أن نعين

الحكومة في مهمتها ، ونوفر لها كل وقت ومجهود للقيام بواجبها والنهوض بعبئها الثقيل ، ولا يتسنى لها ذلك بحق الا اذا وثقت تماما من استتباب الامن واستقرار النظام – والعمل على استتباب الامن واستقرار النظام واجب كل مواطن في الظروف العادية فكيف بهذه الظروف الدقيقة الحاسمة التى لا يستفيد فيها من بلبلية الخواطر وتصادم القوى وتشعب الجهود الا خصوم الوطن واعداً نهضته .

...لهذا أناشد اخوانى الله والمصلحة العامة أن يكون كل منهم عوناً على تحقيق هذا المعنى ، وأن ينصرفوا الى أعمالهم ، ويبتعدوا عن كل عمل يتعارض مع استقرار الامن وشمول الطمأنينة حتى يؤدوا بذلك حق الله والوطن عنهم . والله أسأل أن يحفظ جلالة الملك المعظم ويكلاه بعين رعايته ويسدد خطى البلاد حكومة وشعباً في عهده الموفق الى ما فيه الخير والفلاح آمين .

هذا هو البيان ... والهيئة التى ينشر قائدها هذا البيان ويوضح فيه أهداف دعوته . وكلها أهداف اصلاحية نبيلة . ويصرح فيه بموقفها من الجريمة بوجه عام ومن اغتيال النقراشى لا شك فى أنها ليست الهيئة التى تلصق الحكومة بها الاتهامات التى كالتها بدون حساب ... فكان هذا البيان فى حد ذاته تفنيدياً آخر لما ادعته الحكومة على الاخوان واصدرت أمر الحل بناء عليه .

على أن الظروف التى أحاطت بصدور هذا البيان كانت ظروفها بالغة الحرج والخطورة ، وسنرجى تناولها الى باب قادم ان شاء الله .

الخطبة الأخيرة للإبادة
جريمة القرن العشرين
إغتيال المرشد العام

- التمهيد للجريمة
- التدبير الاثيم
- شخصيات ومواقف كشفت عنها المحنة القاسية
- لوذات سوار لطمنتى ؟ من هم السعديون ؟
- هذه القضية - تطورها الاجرائى امام القضاء -

مقدمة

كانت اقامتى فى عام ١٩٤٨ فى مدينة بمنهور ، حيث نقلت اليها فى منتصف عام ١٩٤٧ . وكان مقر عملى فى أكبر محلج للقطن فيها . . . وكانت علاقات الاخوان مع حكومة السعديين برياسة التقراشى باشا فى خلال تلك الفترة لا تزداد كل يوم الا سوءا ، مع أننا كنا نحاول استرضاء هذه الحكومة - رغم أخطائها الجسيمة فى حق البلاد - من أجل قضية فلسطين التى طغت على جميع القضايا فى البلاد العربية والتى كانت تجتاز فى تلك الايام أخرج مواقفا .

وقد أتاح لى وجودى فى هذا المحلج فرصة التعرف على شخصية لم أكد أتعرف عليها حتى شعرت أنها تبادلنى حبا بحب وتقديرا بتقدير ، تلك هى شخصية الاستاذ (ع . عنان) مهندس مأكينات المحلج .

كان هذا الرجل يكبرنى سنا ، لكنه لم يكن منذ تعرف على يأنس لانسان بالمحلج ولا بمنهور الا لى . وقد صارحنى بذلك . . . وكان وقت فراغه كله يقضيه معى فى مكتبى بالمحلج .

ومع ما بينى وبين الاستاذ (ع) من توافق روحى من أول يوم ، فقد كنا على خلاف كبير فى وجهات النظر الى كثير من المسائل الجوهرية فى الحياة السياسية لبلادنا . وكان الخلاف يشتد بيننا فى بعض الاخيان فى أوائل تعارفنا الى الحد الذى يخيّل لمن يحضر نقاشنا أنه لابد أن يؤدى الى قطيعة ، غير أنه لم يوهن فى يوم من الايام من وشائج الود بيننا .

كان الاستاذ (ع) من الرجال الاتقياء الذين يعتزون بكرامتهم ولا يخافون فى الحق لومة لائم ، وكان على ذكاء وفطنة ، وعلى درجة واسعة من الثقافة العامة ، كما كان من أصل كريم من أسرة عنان وهى أسرة عريقة فى الدقهلية . . . وكان ابراهيم عبد الهادى باشا يمت الى أسرتهم بصلات نسب . وإذا فانه كان بحكم هذه الصلات سعديا . وكان مقتضى ذلك أن يكرمه ما سوى السعديين ، فيكره الوفد ويمقت الاخوان المسلمين . . . ومع أن الرجل قد عرف اننى من الاخوان المسلمين فانه كان يصارحنى برأيه هذا ، ويتعجب من أن يكون شاف مثلى من الاخوان المسلمين . . .

وفى أثناء مناقشاتى معه تبين لى أن الرجل معذور فى كراهيته للاخوان المسلمين ، أولا لان الصورة التى وضع السعديون الاخوان فى اطارها صورة منفرة مخالفة للحقيقة والواقع ، ثم ان الظروف لم تسعف الرجل من قبل

بالتعرف على اشخاص من الاخوان يمثلون الدعوة الاسلامية في اخلاقهم وتصرفاتهم وتعاملهم مع الناس ٠٠٠ وكان الرجل مقتنعا بى كل الاقتناع - وأول شرط لنجاح الداعية الى أية فكرة أن يقتنع به من يخاطبه - ولذا فقد سهل على بعد عدة جلسات معه أن أصبح له صورة الاخوان بوضعها في اطارها الصحيح ٠٠٠ وكان قد أظفنا الايام التي بلغ فيها التواتر بيننا وبين السعديين أشده ٠٠ وكان الرجل على اتصال بأهله وذويه ومنهم إبراهيم عبد الهادي وأسرته .

وأسر الى الرجل بأنه قد اقتنع بالاخوان المسلمين الا أنه يرى أن لا يجهر بذلك ، وأن يظل على ولائه للسعديين ، لانه علم أن أحداثا جساما على وشك الوقوع في البلاد ، وأنه يريد أن يقف بجانبى في خلالها ليذفع عنى ما يستطيع دفعه من شرورها ٠٠ وكنت أعترض أن أكون بمنجى مما يتعرض له اخوانى ، فكان يقول لى : « اننى أعلم أنك لا تبالي في سبيل دعوتك عذابا ولا تنكيلا ، لكنك بوصفك صديقا حالت في قلبى محل الابناء او الاخ الصغير ، وأعلم في نفس الوقت أنك على الحق وأن أعداءكم على الباطل ، فاننى أرى نفسى ملزما - رضيت أم كرهت - أن أؤدى واجبى نحوك ، وأن أخفف من المصائب القادمة ما أستطيع ٠٠ ثم قال : ليتنى أستطيع دفع الولايات عن الاخوان جميعا ، اذن والله لفعلت ولكنه جهد القل ولا يكلف الله نفسا الا وسعها » .

وتحقق الذى أسره الى ، فصدر أمر الحل ، وتبعه ما أشرت اليه من اعتقال الاخوان ، وعجبت أن أترك دون اعتقال ٠٠ ولاحظت منذ اليوم الذى صدر فيه أمر الحل أن الاستاذ (ع) يلازمى طول اليوم لا يكاد يفارقنى ، ولا يدعنى أبارح المطبخ الى بيتى دون أن يرافقنى حتى أدخل باب البيت ٠٠ وكنت أنور عليه في بعض الاحيان فكان يقول لى : يا فلان أليس إيمانك بدعوتك كما هو لم يمس ؟ وما فائدة أن تعتقل اذا كان يمكنك أن لا تعتقل دون أن يمس إيمانك ودون أن يتعرض لك السفهاء بما تكره ؟ أليس النبى صلى الله عليه وسلم يقول « سلوا الله العاقبة » ؟

الفصل الاول

التمهيد للجريمة

ظهر للمحللين فيما بعد ان الاصابع الخفية التي نسجت خيوط المؤامرة العالمية للقضاء على الدعوة الاسلامية في هذا القرن ، كانت قد نسجت هذه الخيوط على ان يكون الخيط الحابك لها جميعا هو اغتيال المرشد العام مؤسس الدعوة وقائدها وروحها ، والرجل الذي اعيانهم الاقتحام اليه بكل ما يملكون من وسائل الترغيب والترهيب ، والجدار الشاهق الصلب المتين الذي تستند اليه هذه الدعوة . فاذا امكن نفسه انهارت بانهار الدعوة بين عشية وضحاها .

ولقد عبر عن هذا المعنى الذي سيطر على أفكارهم الضابط محمد الجزار حين قال لاحد الاخوان المتهمين في احدى القضايا التي لفقوها : لقد كنتم تستندون على وجود الجماعة وعلى وجود المرشد ، فالجماعة حللناها والمرشد قتلناه فأي سند لكم بعد ذلك ؟

وسأحاول ان شاء الله في هذا الفصل ابراز صورة واضحة المعالم للتخطيط الذي وضعه المتآمرون لاتمام هذه الجريمة التاريخية النكراء في الخطوط العريضة التالية :

الخط الاول للتمهيد - حل الاخوان المسلمين :

ويندرج تحت هذا الخط العريض الخطوط التالية :

١ - عدم الوقوف في وجه العمل الفدائي للاخوان في فلسطين ، باعتقاد ان ذلك يستنزف قوتهم ويعين على سهولة القبض عليهم بعد ذلك دفعة واحدة

٢ - عن طريق جمع السلاح للفدائيين وللمجاهدين الفلسطينيين يمكن ضبط مخازن هذا السلاح في مصر ليكون هذا الضبط مبررا للقبض على البقية الباقية من الفدائيين من الاخوان الذين لم يتمكنوا من السفر الى فلسطين وتلقيق قضايا لهم بمحاولة قلب نظام الحكم .

٣ - ادخال الجيوش العربية الى فلسطين لتتحطم روحها المعنوية من جهة - نظرا لضعف تسليحها وعدم تدريبها - ومن جهة أخرى ليكون دخول هذه الجيوش مبررا لاعلان الاحكام العرفية .

٤ - اختيار النقراشى باشا لاصدار أمر الحل لما يعلمون من شدة حقده على الاخوان ولصفاته التى اشرنا اليها من قبل ، حتى ينطبع في بنود هذا الامر آثار هذا الحق من الشراسة والتحدى والاستفزاز ، مما يدفع شباب الاخوان الى القيام بأعمال انتقامية .

٥ - توريط النقراشى في اصدار أمر الحل سيدعوه الى حماية نفسه بلصدار أوامر أخرى باعتقالات يتسع نطاقها يوما بعد يوم حتى يكون الاخوان جميعا تحت يد الحكومة في يوم قريب .

الخط الثانى - عدم اعتقال المرشد العام :

ويندرج تحت هذا الخط العريض الخطوط التالية :

١ - اظهار الحكومة أمام الراى العام بمظهر الاعتدال اذ هى في استطاعتها اعتقاله ومع ذلك فانها تقديرا لشخصيته لا تعتقله - في حين ان عدم اعتقاله لا يجعل الحكومة مسئولة عما قد يتعرض له من اعتداء أو اغتيال .

٢ - وجود المرشد العام حرا - فيما يبدو للناس - يجعله مصيدة لاصطياد من يتصل به من الاخوان الذين قد لا تكون أسماؤهم مدونة في السجلات التى صادروها .

٣ - وجوده حرا دون اعتقال يجعله دائب البحث عن وسيلة للتفاهم مع الحكومة لايجاد مخرج من الازمة التى أوجدها امر انحل ، مما يدعوه الى الاتصال برجال الحكومة ، وعن هذا الطريق يمكن ضبط تحركاته اذ تكون تحت عيونهم .

الخط الثالث - قطع الصلة بينه وبين الاخوان :

ويندرج تحت هذا الخط العريض الخطوط التالية :

١ - ان يفقد الاخوان لا سيما الشباب منهم قيادتهم ، فيندفعوا بحكم حماسهم وبتأثير أعمال الاستفزاز التى تقوم بها الحكومة ضدهم الى ارتكاب أخطاء وأعمال انتقامية تدعينهم امام الراى العام ، وتزيد من تمكن الحكومة منهم وتشديد قبضتها عليهم .

٢ - كان في ذهنهم احتمال كبير لقيام هذا الشباب باغتيال النقراشى باشا ، مما يزيد نار العداة تأججا بين السعديين ومن ورائهم الملك وبين الاخوان ، مما يدفع السعديين الى الانتقام .

الخط الرابع - تجريده من الحماية الشخصية :

ويدخل تحت هذا الخط العريض الخطوط التالية :

- ١ - اعتقال أشقائه جميعا لا سيما عبد الباسط ضابط البوليس .
- ٢ - تجريده من مسدسه الخاص وسحب رخصته .

٣ - الاستيلاء على سيارته الخاصة حتى يحد ذلك من حركته ،
فيضطر الى استخدام وسائل المواصلات العامة مما يسهل لهم أن يكون
تحركه تحت أعينهم .

٤ - عدم السماح له بمغادرة القاهرة الى أى مكان آخر فى داخل البلاد
أو خارجها .

الخط الخامس - اغلاق جميع الطرق أمامه :

ويدخل تحت هذا الخط العريض الخطوط التالية :

١ - حاولوا أولا سد جميع الطرق أمامه ، ولكنه سارع من اول لحظة
وقدم طلبا للعضوية بجمعية الشبان المسلمين . فلما لم يفلحوا فى اغلاق هذا
انطريق جعلوه هو الطريق الوحيد أمامه ، ورسوموا خطة على هذا الاساس .

٢ - استغلوا هذا الطريق الوحيد فى ايهاهه باستعدادهم للتفاهم معه .

٣ - اختارت الحكومة لتمثيل دور الوسطاء بينها وبينه شخصيات
حكومية معروفة بالخداع والاداهنة والالتواء .

٤ - استطاعت هذه الشخصيات أن تحصل منه على البيان الذى اذيع
بعد مقتل النقراشى باشا تحت عنوان « بيان للناس » الذى أشرنا اليه من
قبل ، وقد تأتى الاشارة فيما بعد الى الطريقة التى أخذوه بها .

٥ - استطاعوا بأسلوب الخداع والغدر والالتواء أن يحددوا له موعدا
للقاء بدار الشبان المسلمين فى ساعة محددة من مساء يوم معين لاتمام التفاهم
على حل نهائى للازمة ، مما جعله يسارع متلهفا الى الحضور فى الميعاد
حرصا على مصلحة دعوته . وعلى أساس من هذا التحديد للمكان والزمان
وضعوا خطة الاغتيال .

مزيد من الاضواء على هذه التمهيدات

اولا - المرشد يطلب من الحكومة أن تعتقله :

ان الاستاذ المرشد حين وجد أن الاخوان معتقلون دونه ، شعر بان هذا

الوضع مقدمة لمؤامرة تستهدفه شخصيا ، فطلب من الحكومة والح في طلبه
اما أن تعتقله مع اخوانه واما أن تفرج عنهم ٠٠ ولكن الحكومة أصرت على
هذا الوضع الغريب ، فطلب منها أن تفرج عن أعضاء مكتب الارشاد وهم
اثنا عشر شخصا لتتاح له الفرصة معهم في العمل على تهدئة الخواطر حتى
لا تتفاقم الامور ٠٠ ولكن الحكومة أصرت على الوضع نفسه .

ثانيا : الشعب كله داخله شعور بالارتياح :

ازداد ارتياح المرشد العام في نية الحكومة من تركه دون اعتقال حيث
سحبت منه سلاحه المرخص وسحبت رخصته ، واعتقلت شقيقه عبد الباسط
في الوقت الذي طوقت بيته بنطاق من البوليس الماكي ٠٠ وقد شكوا ذلك
صراحة في مذكرته التي رد بها على مذكرة عمار بك وكيل الداخلية ٠٠ ويبدو
أن شعور الارتياح هذا لم يداخل المرشد العام وحده بل داخل الشعب كله .
لان الاجراءات غريبة كل الغرابة ولا تحتمل الا الارتياح ٠٠ وقد يبدو هذا
الارتياح في اوضح صورة في نقاش دار بين الدكتور عزيز فهمي المحامي وبين
المرشد العام . وقد أوردت هذه الواقعة جريدة المصرى في ٤-٥-١٩٥٢ تحت
عنوان « بين الشهيدين حسن البنا وعزيز فهمي » قالت الجريدة :

« روى أمس بعض الذين قدموا للعزاء بدار عبد السلام فهمي بساشا
(والد الدكتور عزيز) القصة التالية وقد وقعت بين المرحومين الشيخ حسن
البنا والدكتور عزيز فهمي . وتتخلص في أن المغفور له الشيخ حسن البنا
كان قد وكل المغفور له الدكتور عزيز فهمي في قضايا الاخوان بعد حلها .

وكان الشيخ حسن البنا في مكتب الدكتور عزيز قبل اغتياله بيومين
لمراجعات خاصة بالقضايا . وسأل الدكتور عزيز الشيخ حسن البنا : هل
معك سلاح ؟

فرد رحمه الله بقوله : السلاح اخذوه ، والاخ سجنوه

فسأله الدكتور عزيز : وبماذا تدافع عن نفسك ؟

فقال رحمه الله :

أى يومى من الموت أفر يوم لا يقدر أم يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرميه ومن المقدر لا ينجو الحذر

ثم قال رحمه الله للدكتور عزيز : انى أخشى عليك أن تموت صغيرا
فعقلك أكبر من سنك بمراحل . ثم كان ان اغتيال الشيخ حسن البنا بعد
يومين من هذه المقابلة ، وتوفي الدكتور عزيز بعد ثلاثة أعوام رحمهما الله .

ثالثا - اللواء صالح حرب بالثمة يكشف عن خبيث نيات الحكومة

كأد ارتياح المرشد العام في شية الحكومة تحوه أن يكون يقينا ، فطلب من الحكومة السماح له بمغادرة القاهرة الى أى مكان آخر ، فلم تحر الحكومة على هذا الطلب جوابا . . . و اترك القاء الضوء على هذا الخطأ أو على هذه الخطة الاثيمة من المؤامرة الدنيئة للرجل الذى كان ملابسا لظروفها ، ومحيطا بأبعادها ، والذى سجل له التاريخ موقف رجولة نادرة ، وبطولة انعدم مثلها في تلك الايام الملهمة ، ذلك هو اللواء صالح حرب باشا رئيس جمعية الشبان المسلمين في ذلك الوقت . . . ونقتطف باقة من خطاب ألقاه في عيد الجهاد الموافق ١٥-١١-١٩٤٩ حيث قال :

« في مثل هذا اليوم من العام الماضي ، وقفت موقفى هذا أنعى فيه على الحكومة القائمة يومذاك موقفها السلبي من قضية البلاد وأهدافها الوطنية ، متمسرة خلف ما أسمته تجاهل وجود الغاصبين - وما كان أسعد الغاصبين بهذا التجاهل . . . وهل اذا سئلوا أن يتمنوا فهل كانوا يتمنون أكثر من ذلك التجاهل الذى ترجمته الواقعية هي التسليم لهم بلا قيد ولا شرط في حقوق البلاد ، وكانت نتيجته ما وصلت اليه الحالة اليوم في السودان وبقاء جيش الاحتلال في أرض الوطن ، ثم قتل الروح الوطنية ، وتعويد الشعب على أن يذسى قضاياء القومية ، وصرفه عنها بشتى الوسائل ، وكان أفتكها سلاحا سيف الاحكام العرفية المصلت على الرقاب ، والارهاب الحكومى الذى صير كل مصرى مشغولا بنفسه ، لا يدرى ما مصيره ولا ما يأتى به الغد . . . فعشش الخوف في النفوس وأفرخ . . . وفي غمرة هذه الاحداث وصل الغاصبون الى غاياتهم وهم في أمن وسلام . »

أما الامن والسلام فلا رعى الله أمنا يمشى فيه المصرى ولا يجرى أن كان سيصبح في بيته أو في معتقل ، ويصبح فلا يجرى أن كان سيمسى بين أهله أو بين المجرمين في سجن . . . أما نزاهة الحكم فيها لسخرية القدر . . . أين هي ؟ دلونا عليها يازعماء البلاد وساسة الحكم ، فإن لم تستطيعوا فاسألوا عنها سمعة مصر في بلاد العالمين ، وسلوا عنها كساد الحال وركود الاعمال وارتفاع الاسعار ، واثراء ذوى النعمة وقد كانوا من المفلسين . »

لقاؤه بالاستاذ البنا بعد قرار الحل :

ثم قال : وأرى من واجبى في هذه المناسبة أن أميط اللثام عن موقف المغفور له الشهيد الشيخ حسن البنا بعد صدور الامر بحل الاخوان . وقد زرته في منزله ، وكان المنزل مراقبا عقب حل الجماعة فقال لى : لقد سمعت عقب الحل مباشرة للاتصال بالانقراشى باشا فتعذر ذلك بل استحال ، وكتبت له عندما أمعنوا في القبض على كبار الرجال في الجماعة اننى مستعد أن

أتعاون مع الحكومة تعاوناً صادقاً لتهدئة الحال وإقرار الأمن والسلام . . فلم يعبأ بما كتبت له . ولجأت الى بعض الوزراء أستعين بهم لديه ولم يتم شيء . وسعيت هنا وهناك حتى كدت أنتعل الدم فلم يبال أحد بمساعي ورجائي . . . ولست أدري لماذا يتركوننى اليوم طليقا وقد اعتقلوا جميع أصحابي ماداموا لا يرغبون في إشراكي معهم لتهدئة الخواطر بل ولا يرغبون في الاتصال بي . . لماذا إذن لا يعتقلوننى كما اعتقلوا غيرى . والاعتقال خير لى من الحال التى أصبحت فيها بين توجع النساء ، ولوعة الشيوخ ، وبكاء الاطفال ، واحتياجهم جميعا لأن يعولهم ومن يعينهم . ومن أين لى وقد جمدوا ووضعوا يدهم على كل ما يملك الاخوان ؟

ثم قال اللواء صالح حرب : وقد بقيت له : ثق يا فضيلة المرشد أن دار الشبان المسلمين دارك ، وهى مفتوحة لك دائما . . . وتردد الشيخ على الدار ، فامتعضت الجهات الرسمية وخطبوا الجمعية في ذلك فكان الجواب أن هذه الدار دار المسلمين جميعا ، لن يوصد بابها في وجه مسلم ، ومن باب أولى لا يوصد في وجه الاستاذ الشيخ حسن البنا ، وستظل هذه الدار داره مادام راعيا في زيارتها .

أساليب ملتوية كشفت نية الحكومة

وأخيرا بدت من الحكومة رغبة في الاتصال به . وطلبوا اليه أن يخضع بيانا يدعو فيه الى الهدوء والسكينة حتى تعود الطمأنينة الى النفوس . فكتب بيانه وعرضه على المسئولين . فطلبوا انيه أن يستنكر بصراحة الاعتداء على النقراشى باشا ففعل . . وظل البيان بين المحو والاثبات حتى أقروه ونشر تحت عنوان « بيان للناس » والشيخ في كل هذه الايام لا يشغله شاغل غير الرغبة الصادقة في التعاون مع الحكومة على اقرار السلام ، ولا يشترط غير اطلاق سراح كبار الاخوان ليعاونوه .

وكم كانت دهشتى عندما قرأت في أثناء محاكمة قاتل النقراشى باشا أن هذا البيان كان وسيلة من الوسائل التى استعملت في زلزلة معنويات القاتل وإضعاف عقيدته . . فقلت عفء على أخلاق عظماء الرجال في مصر .

واطمأن الشيخ على أنه بعد هذا البيان سوف يتغير الموقف ، ويسود التفاهم ، وتتوالى الخطوات في سبيل تهدئة الخواطر وإقرار السلام . ولكن لسوء الطالع لم يمض يومان على صدور البيان حتى وقع حادث الشروع في نسف محكمة الاستئناف . فجاءنى الشيخ في حالة من الجزع والنفزع لم يسبق أن رأيته عليها ، وقد عقد لسانه ، وجف ريقه ، وملكه ألم كاذ يفقده

صوابه ٠٠ وأنا أقسم بعد أن شاهدت الشيخ المرشد على تلك الحال انه مستحيل على مثله أن يدعو الى الاجرام أو يأمر به أو يشارك فيه . وظللت وقتا طويلا أهدى من روعه حتى سكن قليلا واستطاع الكلام فقال : أرايت هذا المفتون ماذا كان ينوى أن يفعل ؟ والله ما هذا الشقى مسلما ولا مسر الاخوان ٠٠ ولما خطب الشيخ من الجهات الرسمية في هذا الحادث تبرأ من هذا الشاب واستنكر بكل شدة فعلته ، وأظهر استعداداه لان ينشر بياننا آخر يذيع فيه أن هذا المفتون وأمثاله ليسوا مسلمين .

بعد هذا الحادث ظهر أن نيات الجهات الرسمية من ابتدائها لم تكن مخلصه في مفاوضاتها مع الشيخ . وبدأ القلق يساوره فقلت له : من الخير أن تطلب من الحكومة الرحيل من القاهرة الى جهة نائية تقيم فيها حتى تنقش غياص الاحداث .

فقال : انى خيرت المسئولين في واحدة من أربع : اما أن يطنقوا سراج كبار الاخوان لنعمل معا جادين مخلصين حسب توجيه الحكومة حتى تطمئن ويزول ما في النفوس وتهدا الخواطر - واما أن يخناروا قرية ألبا ليها ولو كانت في مكان قفر - واما أن يسمحوا لي بمغادرة القطر الى أى بلد عربى أو اسلامى - واما أن يعتقلونى كما اعتقلوا أصحابى - ولكنهم الى الآن لم يستجيبوا الى واحدة من هذه الأربع .

فتبينت العيب ظاهرا في هذه المعاملة ، وطلبت من الشيخ بالحاح أن يغادر القاهرة من تلقاء نفسه الى أى قرية بعيدة يختارها ، ويخطر الحكومة مانقله اليها - وقمت الى أسوان متألما من الموقف بعد أن وثقت من أن الشيخ سيغادر القاهرة غداة سفرى الى قرية بها شيخ كبير السن من الاخوان يعيش بجواره ٠٠ ولست أدري ما الذى أخر سفره ؟ ، ومرت الايام وأنا بأسوان حتى سمعت بمقتله ٠٠٠ واين ؟ على باب الشبان المسلمين التى قدم طلبا بالانضمام الى عضويتها ٠٠ فيا للخيانة ويا للغدر ٠٠ مات الشيخ حسن البنا فمات بموته خلق كثير .

شهادة محافظ القاهرة تلقى أضواء أكثر :

ويحسن في هذا المقام زيادة في الأيضاح بعد هذا البيان الجامع للواء صالح حرب أن نورد ما يتصل بهذا الموضوع من شهادة الاستاذ فؤاد شيرين محافظ القاهرة في ذلك الوقت أمام دستشار التحقيقات محمد على جمال الدين في ١٨/٣/١٩٥٣ حيث وجه المحقق اليه سؤالا على الوجه الآتى :

س : هل تقدم الشيخ حسن البنا لحضرتك بطلب التصريح له بالسفر للخارج ؟

ج : أذكر جيداً أنه وصلني جواب من المرحوم حسن البنا يقول فيه أنه يريد السفر الى بلدة بتاندة قليوبية للإقامة عند قريب له . وحدث بعد ذلك أن قابلت الاستاذ ابراهيم عبد الهادى رئيس الحكومة فى مكتبه ، ووجدت أنه على علم بهذا الخطاب وقال لى : لا ترد عليه . نقلت له : أنه يطلب الرد . فقال لى : أليس هناك أشخاص يكتبون اليك ولا ترد عليهم ؟ فقلت : نعم . فقال : اذن افعل ذلك معه .

وانتهى الحديث عند هذا الحد ، وأظن أن دسرة ابراهيم عبد الهادى يذكر ذلك .. وبناء على ذلك لم أتعصل بالشيخ حسن البنا ، ولم يتصل هو بى لأنه قتل بعد فترة قصيرة .

س : ألم تفهم من حديث ابراهيم عبد الهادى ما هو السبب أو الداعى فى عدم الرد وعدم التصريح للشيخ البنا فى السفر والإقامة مع قريبه فى بنها؟

ج : لا .. لم أفهم شيئاً ، ولكنى تأملت لأنى كنت أريد أن أرد عليه .

س : ألم تعلم باعتقال الشخص الذى كان البنا يريد الإقامة عنده ؟

ج : لا .. لان شئون الاخوان لم تكن تعرض على ولا أخطر بها .

الفصل الثانى

التدبير الأثيم

وقعت هذه الجريمة فى اليوم الذى اعتقد فيه المرشد العام - أمام الواثق التى قدمتها اليه الحكومة عن طريق وسطائها - أنه اليوم الذى ثابت فيه الحكومة الى رشدها ، وأرادت أن تخرج بالبلاد من ورطتها ، وانقاذها مما آل اليه حالها من تدهور فى الامن ، وفقد للطمأنينة والامان ، وتحول البلاد الى ميدان حرب بينها وبين الشعب .

وقد تلمح هذا المعنى فيما جاء بشهادة عيد الانتاح عسماوى أبو النصر حين استدعاه المحقق فى ١٧/٣/١٩٥٣ فقال : انه موظف بوزارة المعارف وانه من الاخوان المسلمين . وقد اتصل به البوليس السياسى ليعمل مرشداً فى خدمته فابلىح ذلك للشيخ حسن البنا الذى طالب منه مساهمة البوليس لمعرفة اغراضه . واستطرد يقول : فاشتغلت بمكتب عبد المجيد العشرى الضابط بالقلم السياسى ، وطلب منى أن أخبره بكل اجتماعات مكتب الارشاد . وكنت اطلع الشيخ البنا على كل أخبار البوليس السياسى .

وفى يوم الحادث كنت أنا والاستاذ أحمد سليمان المحرب بالسعيدية النانوية - وهو من الاخوان وكان مرشداً أيضاً للبوليس السياسى - عند الاستاذ المرشد العام لتبليغه خبر اعتقال الشيخ الجراوى . فاخبرنا أنه سوف لا يخرج فى اليوم المذكور لان الحكومة فى سبيل السماح له بزيارة المعتقلين وتسوية المسائل ... وخرجنا على أن نعود اليه فى اليوم التالى ولكنه اعتقل . وقال لى الضابط عبد المجيد العشرى : احنا اخذنا بالثار . فسأله المحقق : لماذا لم تبلغ هذه الوقائع فى حينها ؟ فقال : كل واحد كان يتقدم للشهادة كان يعتقل .

وهكذا خدع المرشد العام ... وما كان له الا أن يخدع ، فهو انسان لم يعد يملك لنفسه شيئاً أمام حكومة جردته من كل شىء : من اخوانه واهله وسلاحه وسيارته وقلمه ، فى الوقت الذى تجردت عى فيه من جميع القيم ، ومن أبسط قواعد الاخلاق ، ومن أدنى صفات الانسانية . وأباحت لنفسها مالا تبيحه عصابات السطو والاجرام ، فاستباححت اول ما استباححت الكذب والنفاق والخداع والختل والخيانة والفكر .

تطورات الاحداث حتى وصلت الى نهايتها

ولكى يتتبع القارىء تطور الاحداث حتى وصلت الى نهايتها نقول :
مساواة المرشد لتدارك الامر :

١ - عقب صدور امر الحل مباشرة سارع المرشد العام الى مقابلة ابراهيم عبد الهادى باشا رئيس الديوان الملكى فى ذلك الوقت ، وسلمه بياناً أعده لاداعته على الاخوان يناشدهم فيه التزام الهدوء والسكينة ، وأن يتركوا له امر التفاهم مع الحكومة بما يتفق ومصلحة البلاد العليا . .

فلما تسلم النقراشى باشا هذا البيان رفض نشره بالصحف وأنكره على المرشد العام قائلاً : ان اخلاذ الاخوان الى الهدوء والسكينة من شأن انحكومة وليس من شأن حسن البنا .

على نفسها بخت براقش :

٢ - كان من اثر هذا الصلف والغرور والجهل الذى تسلط على عقلية ذلك الرجل النقراشى باشا فاعماه عن الحقائق ، وشرده به عن الواقع ، فصار يعتقد أن الشعب ليس الا قطيعاً من الغنم متى رفع عليه العصا اتجه حيث يريد . . . كان أول أثر أن راح صاحب هذه العقلية الضحية الاولى لصلفه وجهله وغبائه فاغتيل فى سويداء عرينه الذى لم يغن عنه شيئاً .

الحكومة تدفع الشباب الى عمل أهوج :

٣ - قبض على قاتل النقراشى وعلى عدد معه من الاخوان ، واتبع فى التحقيق معهم أساليب لا يقرها القانون ، وانتزعت منهم اعترافات بوسائل دنيئة ، فى ظل نيابة عامة على رأسها النائب العام محمود منصور الذى تحدثنا عنه من قبل . . . وخيل الى شاب ممن ينتسبون الى الاخوان - الذين عزلتهم الحكومة الفاشمة عن قيادة ترشدتهم وتحسن توجيههم - خيل اليه أن انقاذ اخوانه الذين سيموا العذاب فى هذا التحقيق لا يكون الا بنفسه المحكمة التى أجرى فى حجراتها هذا التحقيق وحفظ فى خزاناتها أوراقه .

وناعيك بعقلية شاب فى العشرين ، فاقد الاعصاب لفضاعة ما تتبعه الحكومة من أساليب القهر والاستفزاز ، ويجد نفسه وحيداً ، حيث لا يبيع امر الحل أن يجتمع مع أى آخر من اخوانه ليتبادل معه الراى ، فضلاً عن أن يتاح له لقاء مع المرشد العام . . فهو يفكر وحده ، ويفكر شاردة مطاردة . . فهل يتفقق ذهنه الا على افكار خاطئة ١٩

الحكومة تخادع المرشد العام :

٤ - عقب اغتيال النقراشى باشا تم لرسول الحكومة الحصول من المرشد العام على « بيان للناس » الذى طلبوا اليه أن يستنكر فيه اغتيال النقراشى باشا . ونشروا هذا البيان فى الصحف . . . وتبين بعد ذلك أنهم انما طلبوا هذا البيان ليزلزلوا به عقيدة قاتل النقراشى كما جاء فى خطاب اللواء صالح حرب باشا الذى نشرناه آنفا - وكان فى هذا من معانى النذالة ما فيه .

وعقب محاولة نسف محكمة الاستئناف - وكان المرشد العام فى حالة من التأثير الشديد كما وصف اللواء صالح حرب . . . جاء رسول الحكومة واستطاع الحصول من المرشد العام فى ظل هذه الحالة من التأثير على بيان آخر عنوانه « ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين » .

وقد القى رسول الحكومة فى روع المرشد العام أن الحكومة فى أمس الحاجة الى بيان بهذا المعنى يهدد فيه المرشد العام الاخوان اذا تكرر منهم حادث آخر أن يقدم نفسه للقصاص . . . وألح الرسول فى طلب البيان فى الحال لينشر فى الصحف مباشرة قبل أن يقدم الاخوان على حوادث أخرى .

تصرف مريب ازاء هذا البيان :

٥ - اخذت الحكومة هذا البيان ، وبدلا من أن تنشره فى الحال ، احتفظت به دون نشر نحو شهر . . . ولم يكن مفهوما تعليل لهذه التصرفات المناقضة لنفسها . . . حكومة تلح فى الحصول على البيان بحجة حاجتها الى سرعة نشره ليكون وازعا للاخوان عن الاقدام على أعمال أخرى . . . حتى اذا اخذت البيان حجبته عن النشر لا يوما ولا اسبوعا بل شهرا كاملا . . . ولكن الاحداث تكفلت فيما بعد بالتفسير الواضح والتفسير الوحيد لهذه التصرفات العجيبة مما انفصله فيما بعد ان شاء الله .

رئيس الحكومة يستدرج المرشد الى حيث يفتاله :

٦ - كان المرشد العام دائم الالاح على الحكومة فى كل اجتماع يجتمع فيه برسلها ان تتيج له فرصة الالتقاء بالمستولين من الاخوان . اما بالافراج عنهم واما بالسماح له بزيارتهم فى المعتقل ليستعين بهم على تهدئة الحال وتنقية الجو . . . وكانت الحكومة دائمة الرفض لهذا الطلب . . . ولكنها فجاء ودون مقدمات وافقت وحددت موعدا يقوم فيه المرشد العام بزيارة الاخوان المعتقلين . . . وكان هذا التغير الفجائى فى موقف الحكومة - دون مقدمات ودون أن يطرا عنصر جديد يصلح ان يكون مبررا لهذا التغير - أمرا غير

مفهوم ، يقف العقل أمامه مشدوها متحيرا . . . ولكن الاحداث أيضا تكفلت
فيما بعد بالتفسير الواضح والتفسير الوحيد لهذه المفاجأة المذهلة .

ونورد في هذا الصدد ما جاء في شهادة زكى على باشا الوزير بوزارة
عبد الهادي أمام المحكمة مما يلقي ضوءا باهرا على هذا التغير المفاجيء :

المحكمة - ما معلوماتك فيما يتعلق بحادث الشيخ البنا ؟

الشاهد - الشيخ البنا جاني أثناء كنت وزير دولة . وكان بيني وبينه
علاقة قديمة بصفتي وكيل جمعية الشبان المسلمين ، وقال لى : أنا جيت لك
أحب أن تكلم رئيس الوزراء فيما يتعلق بالاخوان . فقلت له : أنا مش
مختص . وسألته عن طلباته فقال : أنا مضطهد ، وكل مجلس الارشاد معتقل ،
ومافيش داعى لهذا الاعتقال . . فاتصلت برئيس الوزراء فقال : اذا كان هو
حقيقة حسن النية يذكر لنا أسماء الاشخاص اللى يشك فيهم أن عندهم
أسلحة ، ومن جهة أخرى يرشدنا عن محطة الاذاعة السرية التى كانت تذيع
كل يوم الساعة السابعة صباحا . . . فرجعت للشيخ البنا وقلت له عن
المطلوب فقال : ان مسألة محطة الاذاعة لا أعرفها اطلاقا ، وان الاشخاص اللى
بتقول عندهم أسلحة ما أعرفهمش ، واللى يعرف عن هذا مجلس الارشاد ،
كما قال لى : ان أمكننى الاتصال بالمعتقلين يمكن أعرف حاجة . .

فأنا قابلت ابراهيم عبد الهادي باشا وقلت له رغبة الشيخ البنا . فقال
لى : المحطة تذيع أخبارا لايعرفها الا الشيخ البنا . وأما من جهة مسألة
الاخوان ومجلس الارشاد فانه لا يمكن إجابته لطلبه . . فقلت هذا للشيخ
البنا فقال لى : أنا مصر أن أقابل أعضاء مجلس الارشاد بالمعتقل ويمكن
أعرف حاجة فقلت له طيب . . وقابلت رئيس الوزارة وقلت له ، فكان متشجدا
في هذه المرة فخرجت .

وبعد بضعة أيام جه رئيس الوزارة وقال لى : تقدر تقول للشيخ البنا
انه يقابل جماعة الارشاد يوم الاثنين التالى .

وهذا الكلام كان يوم الاربع أو الخميس أى قبل الحادث . فأنا قلت
أنا أروح له يوم الجمعة وأبلغه ، وأنا كنت أعتقد ان هذا الكلام يسره . ويوم
الجمعة لم يحضر الشيخ البنا ، فاتصلت بالاستاذ الناعى سكرتير الجمعية
وقلت له : أعمل معروف اتصل بالشيخ البنا وقل له انه يقدر يقابل الجماعة ،
واظن قلت له يوم الاثنين المقابلة - وبعد كده لم أعرف هل هو بلغ الشيخ
البنا أم لا ، ولم أعرف الحادث الا ثانى يوم الصبح لما قرأت الجرايد .

٧ - كان التغيير الفجائي في موقف الحكومة حيال السماح للمرشد العام بزيارة المعتقلين تطورا هاما جدا وملفتا للنظر ، ومثيرا للاهتمام . لأنه ذو دلالات بعيدة المدى بالنسبة للجريمة حتى ان المحكمة والنيابة استفسرتا من الشاهد عن هذا التغيير على الوجه الآتى :

المحكمة - ما قالش لك الاستاذ البنا انه مراتب وانه مهدد ؟

الشاهد - قال لى انه مراقب وموش متمتع بحريته ، واذا كانوا عايّزينه يترك البلد فهو على استعداد .

المحكمة - ما عرفتش من الناعى الاجراءات التى حدثت قبل الجريمة ؟
الشاهد - الناعى قال لى انه راح قابل رئيس الوزارة واتفق معه على زيارة الشيخ البنا للمعتقل وانه طلب الشيخ البنا فى الجمعية الساعة الخامسة يوم الحادث . وبعدين خرج من الجمعية وانصرف .

المحكمة - هل كنت تعلم أن الاستاذ الناعى كان حلقة اتصال بين الشيخ البنا ورئيس الوزراء بصفته من أقربائه ؟

الشاهد - لا

النيابة - سيادتكم بتقول انك اتصلت بابراهيم عبد الهادى وطرحت عليه انه يسمح للشيخ البنا بمقابلة المعتقلين كان يرفض . وانه بعد كده سمح بذلك . ما الذى جعله يغير رأيه ؟

الشاهد - الى فهمته انه اتخذ احتياطة عند تنفيذ الفكرة .

٨ - ترتب على هذا التغيير الفجائي في موقف الحكومة اخلال عنصر جديد في الموقف بالنسبة للمرشد العام - عنصر فيه بالنسبة له رائحة الامن ، فقد شعر بأنه ظفر أخيرا بما كان يامله ويلج عليه منذ صدور أمر الحل . . وما كان لئلا الاستاذ المرشد ان يحمل هذا التصريح الا على محمل الجد ، فانه تصريح من رئيس الحكومة الى وزير من وزرائها ثم أكدته لاحد أقربائه الذى يشغل منصبا كبيرا فى الحياة الاجتماعية للبلاد هو الاستاذ الناعى العضو المؤسس لجمعية الشبان المسلمين . . مما جعل هذا الاخير يرسل اقرب شخصيات جمعية الشبان المسلمين الى نفس المرشد العام وهو الاستاذ محمد يوسف الليثى رئيس قسم الشباب بالجمعية الى بيت المرشد العام ليلقى اليه بالنبا السار ، الذى يؤمل المرشد من ورائه حل الازمة كلها ، ويطلب اليه الحضور الى دار الجمعية فى الساعة الخامسة من مساء ذلك

اليوم السبت الموافق ١٤ ربيع الثاني ١٣٦٨ - ١٢ فبراير ١٩٤٩ للتفاهم معه في هذا الموضوع .

٩ - عنصر الامن هذا الذي ولده التغيير الانساجي ، في موقف رئيس الحكومة هو الذي جعل المرشد العام يغير من خطته ، ويعدل عن عزمه الذي اتفق عليه مع اللواء صالح حرب من مغادرة القاهرة الى مكان آخر من تلقاء نفسه - دون استئذان الحكومة - ثم يبلغها بمكانه الجديد .

حتى ان سروره بتلقى هذا النبا وما يؤمله من ورائه من خير قد طفى على شعوره بعكس ذلك مما تؤيده الوقائع ، وما تبعته في النفس الظروف الغامضة المسيطرة .

فلقد كان شعور الريبة الذي أشرت اليه آنفا هو الشعور الذي تنطق به الظروف ، لافي نفس المرشد العام وحده ، بل في نفس كل من كان يعايش هذه الظروف . فقد جاء في شهادة الاستاذ محمود محمد جبر شاعر الشبان المسلمين قوله :

« قبل الحادث بيوم ، رأيت رؤيا قصصتها على الاستاذ البنا : شفته بيصلي أمام بيتنا ، وبعد الانتهاء من الصلاة رحت أسلم عليه . وأخذته وخرجنا من الجامع فقال : أنا عاوز أشرب . فلقيت واحدة في الحارة طلبت منها شوية ميه . فأحضرت لى ميه في كوز . ولاحظت دماء على ذراع المرشد فبعد أن شرب مسحت له الدم من على ايده باليه ومشيت » .

بل ان المرشد العام نفسه رأى في تلك الليلة غيما يرى النائم أنه سيقتل في اليوم التالي . وأخبر أسرته وأولاده بما رأى . فلما جاء الاستاذ الليثي ونزل اليه ما أخبره به الاستاذ الناعى اخذ في التاهب للخروج للموعد ، فتوسل اليه أولاده وبكوا أن لا يخرج في ذلك اليوم ، ولكنه أصر على الخروج قائلا : كيف نهاب الموت والله تعالى يقول « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » .

طفى شعوره بالامل في اصلاح الامور عن طريق لقائه بالاخوان المعتقلين على ذلك كله . حتى انه حين جاءه الاخوان اللذان وكل اليهما موافاته بأنباء البوليس السياسى وأخبراه بأن الحكومة اعتقلت الشيخ النبراوى الذى كان سبأوى اليه في بنها لم يكثرث بهذا معتقدا أن هذه المسألة الجديدة ستعالج ضمن معالجة الموضوع كله ، ورد عليهما الرد الذى أشرنا اليه في مسنهل هذا الفصل .

١٠ - كان الذى أوصل النبا الى الاستاذ المرشد هو الاستاذ محمد الليثى ، والذى كلفه بهذه المهمة هو الاستاذ الناعى . ويبدو أن توصيل النبا عن طريق الاستاذ الليثى شخصيا كان أمرا مقصودا ، لما يعلمون من ثقة الاستاذ المرشد فيه . وكان اهتمام الاستاذ الناعى واضحا حتى انه قال لليثى : اننى قابلت ابراهيم عبد الهادى باشا فى الصباح وعقدت أخبار سارة ، روح ائده لى بالشيخ البنا وأنا لن أطلع ملابسى الا بعد أن تخبرنى بالنتيجة بعد الظهر . فقال له الليثى : تذهب أنت اليه فى البيت . فرفض فذهب الليثى وألح على الاستاذ المرشد ببناء على إلحاح الاستاذ الناعى . . . ولا بد أن إلحاح الناعى كان بناء على إلحاح قريبه ابراهيم عبد الهادى .

والله وحده يعلم هل كان الناعى فى ذلك ساعيا فى الخير أم كان يتواطأ مع قريبه . ولكننا نستبعد ذلك ونقدم حسن الظن ونقول ان ابراهيم عبد الهادى على عادته فى استمرار النذالة قد استغل فريبه الناعى أسوأ استغلال . . . وان كانت هناك أقوال فى شهادة الاستاذ الليثى تلقى ظلالة من الشك على حسن الظن فقد قال : ان الناعى نزل من الجمعية الساعة الثامنة الا عشر دقائق ، وبعدها قعدت مع الشيخ وقال لى « ان الحديث مكرر وليس هناك جديد » . ولما سألته المحكمة : هل كان الناعى مستعجل عندما أرسلك فى طلب الشيخ البنا ؟ اجاب : كان مهتم جدا ومتضايق لتأخير الشيخ .

ولكن غياهب الشك هذه تنقشح حين نسمع اجابة الاستاذ عبد الكريم منصور - المحامى وزوج شقيقة الاستاذ المرشد العام وكان مرافقه فى تلك الليلة - على رئيس المحكمة حين سأل : واية معلوماتك عن الاستاذ الناعى ؟ فيقول : أنا أعتقد بما أحسه بقلبي أنه برئ ورجل طيب ، ولكن هو كتم بعض الأقوال اللى قالها ابراهيم عبد الهادى وكان عايز الامام ييجى الجمعية . ولكن مظهره وتقواه وشكله باين انه لا يرتكب جريمة .

مراقبة دائمة على منزل المرشد العام :

١١ - كانت هناك مراقبة دائمة من البليس السياسى على منزل المرشد العام سأل المحقق عنها الاستاذ فؤاد شيرين محافظ القاهرة فى ذلك الوقت فقال انه ليس لديه معلومات عن الرقابة على الشيخ البنا ، اذ كان ذلك من اختصاص القسم السياسى بالاتفاق مع رئيس الحكومة ووزاره الداخلية . . . فلما بدأ التحقيق فى هذا الموضوع انكر ضبط البليس السياسى وجود هذه الرقابة . وقد سأل المحقق المخبر عبد المنعم ابراهيم الذى كان يراقب منزل الاستاذ البنا فأكد انه ظل يراقبه حتى ليلة اغتياله - فسئل :

س - هل تتبعت الشيخ البنا في اليوم الذى وقع فيه الحادث ؟

ج - أبوه

س - من أصدر اليك أمر المراقبة ؟

ج - البوليس السياسى • وأنا كنت فى مكتب الصاغ محمد كمال عبد النعم ومحمد على صالح ، والاخير هو الذى كلفنى شخصيا بذلك •

س - هل كنت ترفع تقارير ؟

ج - نعم كنت أعمل تقارير توزع فى ملف خاص بالمكتب •

س - ألم يصدر لكم الامر فى ذلك اليوم بالكف عن المراقبة ؟

ج - أبدا . . . أبدا •

س - هل قدمت تقريراً كالمتبع فى ذلك اليوم ؟

ج - لم يطلب منى أحد تقريراً ، وأنا ذهلت من حادث اغتياله •

وقام المستشار المحقق بالاطلاع على تقارير مراقبة منزل الشيخ حسن البنا ، فتبين أنها كانت ترفع يوميا موقعة من المخبر السابق سؤانه وزميله ، وأنه مؤثر عليها تارة من الصاغ توفيق السعيد أو الجزار أو محمد على صالح ، وأنه لا يوجد تقرير عن مراقبة يوم الحادث •

مواجهة : واستدعى البكباشى محمد على صالح فنفى أنه هو الذى كلف المخبر بمراقبة الشيخ حسن البنا ، وقال ان مسائل الاخوان كانت من اختصاص الجزار وتوفيق السعيد • فلما ووجه بامضائه على أحد التقارير أصر على كلامه ، كما أصر على تكذيب المخبر • نووجه به وتمسك المخبر بأن الضابط المذكور هو الذى كلفه بحراسة منزل الشيخ حسن البنا •

ارتكاب الجريمة :

١٢ - بعد مقابلة المرشد العام للاستاذ الناعى ، غادر الناعى الجمعية فى الساعة الثامنة الا عشر دقائق من مساء ذلك اليوم ١٢ فبراير ١٩٤٩ • وحوالى الساعة الثامنة والنصف خرج الاستاذ المرشد العام والاستاذ عبد الكريم منصور ومعهما الاستاذ الليثى الذى طالب من أحد سعاة الجمعية أن يقادى على سيارة أجرة • فجاءت السيارة وركب فيها الاستاذ المرشد وعلى بساره الاستاذ عبد الكريم منصور - ولم تكد السيارة تبدأ السير حتى انقض عليها الجناة • • وخير وصف لما حدث ما جاء فى شهادة الاستاذ عبد الكريم منصور حيث طلبت منه المحكمة وصف ما حدث فقال :

« واحنا خارجين من الجمعية شفت ثلاثة اشخاص على ناصية الشارع الفاصل بين الجمعية ووابور المياه ، ولم أشك في الامر . وركبنا السيارة ، وبعدين بدأ الضرب من الجانبين . وحاول أحد الجناة أن يفتح الباب من ناحيتي فأنا قاومته فتغلب على وفتح الباب وضربني بالسدس ، والرصاص جه في الاول في الزجاج وتهشم ولم يصب . ولما فتح وضربني بالرصاص جت الرصاص في ساعدي . . . وفي هذه اللحظة لاحظت أن الجاني الثاني بيحاول فتح الباب وتمكن من فتح الباب اللي ناخية الامام الشهيد وضرب الامام بالرصاص فجرى الامام وراه . وتبين انه أصيب . ولما رجع سألته هل مسكت الجاني فقال : لا دول ركبوا عربية نمرة ٩٩٧٩ ، فسألته هو أنت اخذتها فقال أيوه وبعدين رحنا الاسعاف .

١٣ - يقول الاستاذ الليثي في شهادته : لما دخلت الجمعية بعد وقوع الضرب لاطلب الاسعاف وجدت السماعه مرفوعة ، ونذكرت أن التليفون منتظرني للمكالمة . وما ان رفعت السماعه حتى عرفت أن المتكلم هو الصاغ محمد الجزار . فقلت له ان الشيخ البنا قتل الآن . فقال بصوت هادئ : لا ياشيخ مات ولا لا ؟ - وهنا لاحظت أن التاكسي تحرك فجريت خلفه حتى وصلت الاسعاف . وهناك وجدت شابا أسمر يلبس جلبابا وطربوشا وقال لي : أنا شفت نمرة العربية التي ارتكبت الحادث وفكر لي رقم ٩٩٧٩ فكتبت النمرة على ورقة - وأثناء ذلك أخرج الشيخ البنا على نقانة الى القصر العيني . وطلبت من هذا الشاب التوجه للجمعية لانتظارى هناك .

عدت الى الجمعية لمقابلة الشاب الذي صرح اى برقم السيارة ، ولابلاغ النيابة بالامر ، فممنعت من دخول الجمعية حيث كانت محاصرة بقوات كبيرة من البوليس ، وأخيرا استطعت الدخول .

بيان « ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين » الآخر :

١٤ - البيان الذي عنوانه « ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين » الذي أخذوه من المرشد العام عقب محاولة نسف محكمة الاستئناف التي وقعت يوم ١٢ يناير ١٩٤٩ ، لم ينشروه الا بعد وقوع الجريمة في ١٢ فبراير ١٩٤٩

اى بعد شهر . وكان حجه هذه المدة ونشره بعد الحادث نوعا من أنواع الخداع والتمويه التي رتبوها لايهام الناس أن الاخوان هم الذين ارتكبوا هذا الحادث - ونكتفى الآن بهذه الاشارة ولنا تعليق على هذه النقطة فيما بعد ان شاء الله .

طرف الخيط أو الدليل الوحيد :

١٥ - يقول العلماء المتخصصون : ان أية جريمة ترتكب مهما اتخذ مرتكبوها من وسائل الاحتياط والحذر ، ومهما أوتوا من ذكاء وبراعة ، فاذهم لابد أن يتركوا أثرا يستدل منه عليهم . وهذه الجريمة قد توفر لارتكبيها جميع أسباب الحذر والاحتياط ، فواضعو الخطة هم رئيس الحكومة ووزير الداخلية بتوجيه من الملك وحاشيته ووكيل الداخلية للأمن العام الذي كان من قبل مديرا (محافظا) لجرجا ، وكان خبيرا في معرفة من يكل إليه أمر تنفيذ مثل هذه الجريمة ، فاختار رجلا من كبار رجال الوزارة له تاريخ هو يعرفه . وهذا الرجل هو مدير المباحث الجنائية بالوزارة - وتداول الرجلان بما لهما من خبرة لاختيار مخبرين عريقين في الاجرام ممن عملوا تحت رياستهما في جرجا ، وقد وقع اختيارهما على ثلاثة مخبرين .

وقد استقدا هؤلاء الثلاثة الى القاهرة منتدبين للعمل بالوزارة - دون اسناد أى عمل اليهم - وكان دور رئيس الحكومة ووكيل الداخلية في الجريمة هو ما أسلفنا في الفصل السابق من اخلاء جو البلاد من الاخوان بطلهم واعتقالهم وبتجريد المرشد العام من كل سلاح أو حراسة . وتكفل رئيس الحكومة وحده باحضار المرشد العام الى دار جمعية الشبان المسلمين في يوم معين وفي ساعة معينة بحيث لا يفادها الا ليلا .

وكانت مهمة مخطط التنفيذ مدير المباحث الجنائية أن يخصص سيارته الحكومية لتوصيل الجناة الحكوميين الى مكان الجريمة ثم نقلهم - بعد ارتكابها بأسلحة وزارة الداخلية - بعيدا عن مسرح الحادث بأخر سرعة .

وكل هذا يتم تحت رعاية السراى الملكية التى كان هؤلاء جميعا في ذلك الوقت يعتبرونها المعبود القادر على كل شيء . ويتم هذا في ظل الاحكام العرفية بعد تشبيع الجو مدة شهرين - عن طريق الصحف ووسائل الإعلام - بروح القهر الحكومى والارهاب الرسمى ، حتى ان أحدا مهما رأى أو سمع لا يجرؤ أن يخاطر بنفسه فيتقدم للشهادة .

ونورد هنا شهادة اليوزباشى عبد الباسط البنا شقيق الامام الشهيد حيث يقول امام المحقق :

« كنت ملازما لشقيقى حتى اعتقلونى عندما وجدونى اننى أتبعه بمسدسى لحراسته . وقال : اننى اعتقد أن ما تم حتى الآن في القضية هو تحقيق مع فريق من ثلاث فرق أو عصابة من ثلاث عصابات تسمى عصابة التنفيذ . اما العصابتان الباقيتان فهما عصابة الزامرة وعصابة التمويه .

أما عصابة المؤامرة فتتكون من الملك السابق وإبراهيم عبد الهادى الذى اعتقل جميع الإخوان ولم يعتقل حسن البنا الذى كان يقول « أنتم تقتلونى بعدم اعتقالى » ، واتخذ عبد الهادى مع الشهيد سياسة تقبىء بخبيث النوايا ، فكان يتظاهر بأنه يريد أن يصل معه الى اتفاق لانتهاء التوتر بين الحكومة والإخوان ، وكلف اثنين من الوزراء للمفاوضة معه ، بينما كان يمهد لتنفيذ ما بيت عليه العزم مع بقية العصابة ، ثم استدعاه بواسطة قريبه الاستاذ الناعى الى جمعية الشبان المسلمين حيث تم تنفيذ الخطة .

وقال : وكذلك اشترك فى الجريمة الاستاذ حامد جوده ، فعندما كان رئيسا لبعثة الحج سنة ١٩٤٨ كان الشهيد يؤدى فريضة الحج ، دبرت مؤامرة لاغتياله ، فطن اليها جلاله الملك عبد العزيز آل سعود فعين له حراسة قوية ، وأعطاه سيارة مسلحة لحراسته مما أنهى هذه المؤامرة بالفشل - وقد علمت من تحرياتى الخاصة أن حامد جوده استصحب معه أفرادا من عصابة له من بلده « درنكة » ليقوموا بهذا العمل ، وأنه كان ينوى أن يمويه بأن جناة من أقطار أخرى ارتكبوا الحادث . ولعل مما يؤيد ذلك ما جاء بأقوال عبد الرحمن عمار من أن القتلة من قبل امام اليمن .

وعبد الرحمن عمار هو الذى أعد للجريمة عدتها ، واستخدم سلطته لتنفيذها ، فقد أجرى نقل الجناة جميعا كما هو واضح ، وجمعهم حول رئيسهم محمود عبد المجيد . وقد اتضح من غير هذه القضية أن مهمة هؤلاء انما هى القتل . وآخر أفراد عصابة المؤامرة هو مندوب السراى وصفى الذى فضل أن ينتحر .

أما عصابة التمويه لابعاد التهمة عن الجناة فيشارك فيها عبد الرحمن عمار واللواء عبد الهادى الحكمدار وقتئذ واللواء احمد طلعت ، ا هـ .

ويتضح من ذلك أن الظروف المواتية ، والوسائل المتاحة التى توفرت لمخطي هذه الجريمة ولمرتكبيها لم يتوفر مثلها لمرتكبي الجرائم من قبل . . . ولكنهم مع كل هذه الاحتياطات وكل هذا الحذر قد أغفلوا طرفا واحدا لخيط رفيع لم يخفوه حين أخفوا باتقان جميع أطراف الخيوط - وكان هذا الطرف هو رقم السيارة .

محنة الاستاذ الليثى برقم السيارة :

١٦ - لقد لقي هذا الشاب محمد يوسف الليثى من العنف والارهاق ، وعانى من فتنة الاغراء ورعب التهديد ، مالا يصبر عليه الا من تولاه الله وربط

على قلبه من اهل الايمان واليقين .. وكان هذا كله من اجل عزمه على أداء الشهادة ، وابلاغ المحقق برقم السيارة الذى أخذه من الشاب الاسمر الذى قابله في دار الاسعاف .

جبهات البوليس الضالعة في الجريمة :

كان هناك من جبهات البوليس - غير الجبهة التى أسند اليها دور ارتكاب الجريمة - جبهتان أخريان دورهما حراسة هذه الجبهة ، واتمام اسدال الستار عليها . وهاتان الجبهتان هما :

١ - البوليس السياسى .

٢ - الحرس الحديدى .

أما البوليس السياسى فمعروف وتحدثنا عنه في الجزء الاول من هذا الكتاب حديثا موجزا وحديثه موصول بإسهاب في هذا الجزء ان شاء الله .

وأما الحرس الحديدى فقد تبين أن الملك غاروقا كان قد ألف عصابة من رجال البوليس ورجال الجيش مهمتها حراسته واغتيال من يعتقد أنه ينفذ في طريق عبئه ومجونه . وكان على رأس هذه العصابة الضابط الاميرلاى محمد وصفى الذى كانت وظيفته الرسمية قائد حرس الوزارات .

وهاتان الجبهتان تصدتا للشاب محمد اللبى حين علمتا أنه عرف رقم السيارة . واليك بعض الاساليب التى لجأت اليها العصابتان في التصدي له .. وهو بعض ماقصه هذا الشاب على المحكمة فيما بعد :

الضابط محمد الجزار :

١ - محاولاته في التأثير بالاغراء :

يقول الاستاذ الليثى للمحكمة : وحوالى الساعة العاشرة والنصف من ليلة الحادث ، حضر القائم مقام مصطفى حلمى الى الجمعية وسأل عنى وأخذنى الى حجرة السكرتيرية فوجدت السماعه مرفوعة ، وطلب منى أن اتكلم في التليفون ، وعرفت أن المتكلم هو الصاغ محمد الجزار ، الذى طلب منى أن أكلمه من تليفون آخر بعيد عن الناس ، وسألنى عن معلوماتى ، وطلب منى عدم الادلاء بمعلومات امام النيابة ، ونصحنى بعدم الشهادة خالص . وقال لى : سارسل لك عربة لتوصيلك الى منزلك حتى تكون مطمئنا وان شهادتك سوف تسبب لك متاعب كثيرة .

وحوالى الساعة ١٢ مساء حضر مصطفى حلمى مرة أخرى وقال : شوف مين عاوزك على الباب • فوجدت الجزار نفسه • تال لى : الف ميسروك لنجاتك •• أنت مجنون تعرض نفسك لضرب الرصاص؟ وأنا جاى مخصوص علشان أنصحك بعدم الشهادة • فقلت لايمكن لان النيابة تعلم أنى شاهد - فقال : لا دى مسألة فى ايدينا ، والاخوان المسلمين مش حينفعوك ، واحنا قتلنا راس التعبان والسم انتهى • فقلت له : أنا تلت للصحفيين على نمره العربية ، وأنا اللى أحضرت الشيخ البنا من بيته والناس تقول على لابسك شريك فى الجريمة • فقال : سأعينك حراسة تمشى وراك ولا تخاف • والصحافة فى ايدينا •• فشككت فى الامر فقلت له : أنا يمكن أختلف فى رقم واحد فأقول النمره ٩٩٧٩ أو ٩٩٩٧ - فقال لى : لازم تغير الرقم كله • فرفضت وأخرجت الورقة التى بها رقم السيارة من جيبى فخطفها من يدي ومزقها وقال : هات ايدك واقرا الفاتحة وأنا سأفرج لك عن توفيق بلال ومحمود شكرى اللى كلمتني عنهم •

وبعد ذلك حضرت مجموعة من الضباط من بينهم محمد وصفى ، وحضر المحقق • وكنت كلما استرسلت فى الحديث عن نمره العربية واحد يضربنى بالكرسى من الخلف ، فقلت النمره ٩٩٧٩ أو ٩٩٩٧ والسيارة سوداء على العموم ، فلقيت وصفى قال : لا النمره ماهش كده • زلما نزلت حضر لى الضابط ماهر رشدى وهددنى وقال لى : انت ارهابى كبير من الاخوان •

والحق أنى كنت فى أشد ضيق بعد أن غيرت رقم العربيه ، حتى أنى كنت أشاهد صورة الشيخ البنا أمامى أينما ذهبت ، كأنما يعقب على لتغيير شهادتى • وبعد ذلك انتظرنا حتى حضر النائب العمومى محمود منصور (أشرنا اليه من قبل) وقال لى : شرفت يا حضرة شاهد الاثبات • وبعد ذلك حضر عبد العزيز حلمى المحقق، فقلت له : أنى غيرت النمره تحت ضغط الجزار والنمره الحقيقية هي ٩٩٧٩ فأثبت ذلك •

وبعد نصف ساعة اتصل بى الجزار وقال : ببروك أفرجنا عن أصحابك وطلب منى أن أقابله فى محل نيوزيار خلف الجمعية • ولما تقابلنا هناك قال لى : أنت أعصابك تعبانة وهيا نشرب كاسين ويسكى ونفرفش •• وطلب من الجرسون احضار عشاء وكاسين ويسكى فأتوا ورفضت الشرب •• واخذ يسب فى الشيخ البنا ويقول انه راجل ساحر ، وهو الذى قتل الخازندار والنقراشى وسليم زكى ، وسيبك من الجماعة دول ، ومحدث حينفعك ، وخليك تعيش لاولادك ، ويلا نقضى ليلة كويسة •• ولزم تروح قسم

عابدين وتغير أقوالك ، وتطلع من جيبك ورقة مكتوب فيها النمرة غلط وتصر عليها .. فرفضت .

وأثناء الحديث التفتت الجزار الى فتاة كانت تجلس بجوارنا وابتسم لها وبادلته الابتسام وقال لى : اضحك لها فرفضت وقلت أنا متزوج فقال لى ولا يهمك أنا متزوج كمان .. وأخرج من جيبه رزمة فلوس وقال لى دى هدية لك من الحكومة مبلغ ٥٠٠ جنيه (خمسمائة جنيه) علشان تروح القسم ، ولو أردت أى مبلغ آخر لما تروح النيابة أنا مستعد .. فاعتبرت ذلك جرحا لشعورى ورفضت . وبعدين عرض على الفلوس نازى للذهاب للقسم ساعتها فرفضت . وقبل ما أقوم أخرج ورقة وقال لى . اكتب رقم العربية ٧٩٩٩ احسن تنساها ، فأنا قلت له : لا أنا فاكرها واحنا على العموم حنتقابل بكره وروحت .

وفى هذا اليوم نمت خارج البيت . وخفت عنه لانه ضابط بوليس ، وتذكرت حديثه معى وتهديده لى - ونزلت الصبح بدرى ، وقعدت على القهوة ، وطلبت حرم اللواء صالح حرب فى التليفون ، وقلت لها : أنا عاوز أقابلك فى أمر هام نظرا لسفر اللواء صالح فى أسوان . ورحلت لها البيت وسألتنى عن الحادث فذكرت لها ما حدث بينى وبين الجزار . فقالت لى : اتصل بالاستاذ مصطفى الشربجى فاتصلت به فقال : أنت نروح للاستاذ فتحنى رضوان وتفهمه الموضوع لانه هو الذى ماسك قضايا الاخوان وتقول له الشوربجى هو الذى قال لى أروح لك ويروح معك النيابة .

وبعد كده رحلت الجمعية وقابلت السكرتير والمراقب بها ، وقلت لهما القصة . فاتصلوا بزكى على وكيل الجمعية فرحت له الوزارة لانه كان وزير فى وزارة عبد الهادى وقصيت له القصة فقال لى . مافيش مانع تقول الحقيقة . واتصلت بالاستاذ فتحنى رضوان فقال لى . تعال عندى المنزل بمصر الجديدة .. لما ذهبت اليه اعتذر عن الذهاب معى للنيابة لعدم جواز حضور المحامى مع شاهد . فاتصلت بعد ذلك بالاستاذ أبو الخير نجيب وكان محررا بجريدة الاهرام ، فاقترح على الاتصال بعمر عمر نقيب المحامين لاخذ رأيه فى الموضوع فاتصلت به فلم أجده .

فذهبت الى النيابة وأدليت لها بأقوالى ، وذكرت لهم كل التفاصيل التى دارت بينى وبين الجزار سواء بالتليفون أو أثناء مقابلاتى له .. ولقد دهشت يا حضرات المستشارين عندما علمت على لسان الجزار أن شاهدا هو الاستاذ حسنى عباس الحرس بكنية التجارة مد ذكر رقما للسيارة التى

ارتكبت الحادث يُخالف الرقم الحقيقي الذي تأكدت منه ، وطلب منى الجزار أن أتوجه لقسم عابدين لأؤيد رواية هذا الشاهد غاعتقدت أن هذا الكلام غير صحيح والمقصود هو تغيير رأيى بأى وجه من الوجوه .

ولقد أرسلت تلغرافا الى النيابة اطلب منها حمايتى نظرا لما أدليت به فى حق البوليس السياسى .

ب - أسلوب فاجر لوصم الشرفاء :

كان ضباط البوليس السياسى يختارون من بين ضباط البوليس الذين لا ضمير لهم ولا حياء عندهم ولا خلق ولا دين . ولذا فانهم كانوا يستبيحون كل منكر ، ويرون اللجوء الى الكذب والافتراء والاصاق التهم بالبراءة وسائل مشروعة لا يؤنبهم عليها الضمير لانهم خلوا من الضمير . . .

ومن هذه الوسائل أنهم اذا حاولوا تجنيد انسان لخدمة أهدافهم الدنيئة ففشلوا فى تجنيده . . يرمونه بأنه كان عميلا لهم ، وأنه كان يأخذ من الاموال السرية . . وهذه التهمة من السهل عليهم رمى أى انسان بها . لانه كان من حق أى ضابط فى البوليس السياسى أن يطلب من الاموال السرية ما يشاء وينفقها كما يشاء ، دون أن يطلب بتسجيل طريقة انفاقها فى سجل معين . . فاذا رمى ضابط منهم انسانا بأنه كان عميلا له ، لم يجد عذا المتهم وثيقة يرجع اليها فى دفع هذا الاتهام .

وقد حاول الضابط الجزار - من قبل حل الاخوان بزمان طويل - تجنيد الليثى لينقل اليه اخبار جمعية الشبان المسلمين وأسرارها فلم يفلح . وكان الليثى يخبر اللواء صانع حرب اولا بأول بمحاولات الجزار معه . . فلما لم يفلح وجاء حل الاخوان ، وفتحت جمعية الشبان المسلمين دارها للمرشد العام ، ووضعت الحكومة خطة لاغتياله ، وارتكبت الجريمة ، وحصل الليثى على رقم السيارة . . أعاد الجزار محاولاته مع الليثى بالاسلوب الذى رواه امام المحكمة . ولما انتهت محاولاته بالفشل أيضا وأسقط فى يده ، لجأ الى الاسلوب الذى أشرنا اليه ، وهو الاسلوب الوضيع من رمى الليثى بالعمالة للبوليس السياسى . . ولكن الليثى استطاع أن يثبت زيفه ، ويبين كذب ادعائه وتناقضه مع نفسه اذ قال فى شهادته :

« وفى النيابة فوجئت بانهم يبتروننى من رجال البوليس السياسى . وكان المحقق ليس من رجال النيابة بل هو توفيق السعيد زميل الجزار . ودهشت حين قال لى السعيد : ان الجزار استغنى عن خدماتك لانك لا تقدم تقارير عن الجمعية فانا استغربت لانه لو كنت من البوليس السياسى حقيقة

لما أمكن للجزار الاستغناء عنى وخصوصا في هذه الفترة التي كان يتردد فيها الشيخ البنا على الجمعية وكان في حاجة الى من يمده بالمعلومات .

الاميرلاى محمد وصفى ممثل الملك في الجريمة :

حتى بعد أن تم ارتكاب الجريمة ، أرادت الجبهتان الاطمئنان الى ما تحقق مما هدفوا اليه من خطتهم وهو ازهاق روح حسن البنا لا مجرد الاعتداء عليه . يقول الاستاذ الليثى في شهادته : « ذهبت الى القصر العيني ورأيت الاستاذ الامام حين ادخل حجرة العمليات ، وكانت حالته في نظري غير خطيرة ، بدليل أنه حينما طلب الدكتور من التومرجى خلع ملابس الشيخ البنا هب الشيخ وجلس وخلع ملابسه بنفسه ، كما أنهم لما طلبوا أخذ عنوان الاستاذ عبد الكريم منصور رد الشيخ البنا وقال : اتركوا عبد الكريم لان حالته خطيرة وأعطاهم هو العنوان .

وبعد ذلك وجدت شخصا يقول للدكتور : انا جاى من قبل الحكمدار لاعرف حالة الشيخ البنا . فرد الدكتور بأن حالته ليست خطيرة .. فانتهزت الفرصة وقلت لذلك الشخص انى أعرف نمرة السيارة ، فنظر الى بسخريه دون أن يتكلم . وعرفت بعد ذلك أنه الاميرلاى محمد وصفى ، .

هذه الجبهات كانت تعد للجريمة منذ زمن طويل :

ويجدر بنا هنا أن نلفت النظر الى أمرين من الاهمية بمكان :

اولهما : أن هذه الجبهات كانت تمهد للجريمة من قبل وقوعها بزمن طويل ، فبعد صدور أمر الحل وما تبعه من اعتقال ومن عزل الاستاذ المرشد العام عن الاخوان وتجييده من كل سلاح يدافع به عن نفسه، صور لهم الوهم انه قد يكون مرتديا تحت ملابسه درعا يحميه من وصول الرصاص الى جسمه اذا ما هو ضرب بالرصاص .

يقول الاستاذ عبد الكريم منصور في شهادته :

« بعد صدور قرار الحل ، قرر الاستاذ الامام رفع دعوى امام مجلس الدولة يطالب فيها بالغاء أمر الحل . وعند دخولى انا والاستاذ مجلس الدولة فتشنا ، وجاء شخص فتش الاستاذ الامام تفتيشا عجيبا كأنه يبحث هل هو يلبس درعا . ولما سألت عن هذا الشخص قيل لى : انه شخص غريب وانه مرسل من قبل الاستاذ الدماطى مدير مكتب رئيس الوزراء .

وثانيهما : تعيين من وصف الاستاذ الليثى لحالة الاستاذ الامام وهو

في حجرة العمليات بالقصر العيني ومن رد الدكتور الذي كشف عن جسم الاستاذ الامام - على استفسار محمد وصفى عن حالته « ان حالته ليست خطيرة » ٠٠٠ ومعنى ذلك أن علاجه ممكن وميسور ٠٠ في حين أن حالة الاستاذ عبد الكريم منصور هي التي كانت خطيرة بدليل أنه لم يستطع الاجابة عن عنوانه حين سألته الطبيب عنه وتولى الامام الاجابة عنه ٠٠٠ فكيف يستقيم هذا مع النتيجة التي انتهت اليها حانة هذين المصابين ٩٠٠٠

بعد ساعات تعلن وفاة الاستاذ الامام وشفاء الاستاذ عبد الكريم منصور ٠٠٠ ما هذه المفارقات المذهلة ؟ ٠٠٠ ان التحليل الذي يسيغه العقل ، والذي تناقته الناس في ذلك الوقت عن شهود عيان من موظفين وعمال كانوا يباشرون عملهم بالقصر العيني في تلك الليلة أن أمرا عاليا صدر - بعد تبليغ تلك الجهة العالية بحالة الاستاذ الامام عن طريق محمد وصفى - بأن يتترك الاستاذ البنا بالقصر العيني تنزفه جراحه حتى يموت .

١٧ - الدرك الاسفل من التذلة والخسة :

بلغ من خسة هذه الحكومة بعد ان ارتكبت الجريمة انكراء ان ادخلت جثمان الامام الشهيد الى منزله وسط مظاهرة من رجال البوليس شاهرة المسدسات والبنادق في وجه سيدات أسرته العزل من كل سلاح . وأرغمت السيدات على حمل الجثمان الى النعش . ولم يسمح لواحد من رجال هذه الاسرة بالاقتراب من الجثة ٠٠٠ حتى القرآن حرم عليهم تلاوته .

ثم نقل النعش وسط هذه المظاهرة المسلحة الى مسجد قيسون القريب من المنزل ، ولم يسمح لاحد بالصلاة عليه ولا بالدخول الى المسجد الا لوالده . ثم نقل الجثمان الى المقابر ، ولم يسمح لاحد بتشييعه ، حتى ان البوليس كان اذا رأى أحد المارة يقرأ الفاتحة باعتباره يرى ميّتا أي ميت ، كانوا يلقون انقبض عليه ٠٠ وقد خاطر بعض الناس بزيارة قبره فاعتقلوا ٠٠٠ ولم يستطع أحد من تقديم العزاء فيه الا مكرم عبيد باشا ٠٠٠ وظلت الحراسة المسلحة قائمة على القبر حتى تغير العهد .

عنصر الزمن :

١٨ - قلنا في البند الخامس عشر ان مخططي الجريمة - بالرغم من توفر جميع وسائل الحذر والحيلة والذكاء لهم قد اغفلوا شيئا واحدا هو طرف خيط رفيع تمثل في رقم السيارة التي ارتكب بها الحادث ٠٠ ونقول الآن ان اغفالهم هذا الطرف لم يكن وحده كافيا لكشف جريمتهم ولا لفصح مؤامرتهم

•• ولكن العنصر الذى أغفلوه حقا وكان كافيا لكشف جريمتهم وتعيرية
سوءاتهم هو عنصر الزمن •

وهذا العنصر مع بالغ أهميته ، وخطير أثره يغفله أكثر
مخطئى الجرائم ويتمامون عنه مع انه ظاهر ملموس • وكلما
كانت امكانات المخططين أعظم كان اغفالهم لهذا العنصر أكثر •• فاذا كان
المخططون أصحاب السلطة كان اغفالهم له اغفالا تاما ، لانهم فى هذه الحالة
يكون قد سيطر عليهم الشعور الذى صورته الآية الكريمة « حتى اذا أخذت
الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها » •

فالسطة التى كانت تتمتع بها حكومة السعديين فى ذلك الوقت كانت
سلطة مطلقة ، فهى تباشر الحكم وهى تحس أنها ربيبة واحبى السلطات
جميعا ابتداء من الملك وانتهاء بالدول العظمى فى العالم ، ويتخلل ذلك برلمان
مصنوع يدين لها بالولاء •• ذلك أنها تنفذ الخطة التى أجمعت عليها كل هذه
السلطات •• ولقد كانت هذه السلطات دائبة البحث عن منفذ مصرى فاجر
لخطةها •• فاذا وجدوه فى هذه الوزارة ، فلم لا يمنحونها السلطة المطلقة
والتايد الابدى ؟ !

ولو اطلع مطلع على مخيلة ابراهيم عبد الهادى فى ذلك الوقت ، لما وجد
فيها أثارة باحتمال فقدته للسلطة المطلقة التى كان يتمتع بها او حتى الانتقاص
منها •• وكيف تفقد أو تنقص وهو على الولاء التام الكامل لواعبى السلطات
وتحت يده برلمان لا يعصى له أمرا ؟ !

ولهذا ، فحين أوشكت فترة الاحكام العرفية على الانتهاء ، طلب من
هذا البرلمان مداه لمدة سنة أخرى ، فاستجاب له مجلس النواب بما يشبه
الاجماع ، كما استجاب له مجلس الشيوخ ولم يعارض فيه الا ثلاثة عشر
عضوا •

ومن العجيب أن هؤلاء الذين لا يعترفون بعنصر الزمن هم أولى الناس
بالاعتراف به •• فحسبهم أن ينظروا الى أنفسهم ويسائلوها : كيف آل
الينا الحكم ؟ ألم يؤل الينا على انقراض آخرين سبقونا ؟ واذن فلابد أننا
تاركوا هذا الحكم لغيرنا راضين او كارهين •• وهذا هو الذى قرعت به
الآيات المحكمات آذان هؤلاء الغافلين فى قول الله تبارك وتعالى « أو لم تكونوا
أقسمتم من قبل ما لكم من زوال؟ وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، وتبين
لكم كيف فعلنا بهم ، وضربنا لكم الامثال • وقد مكروا مكروهم وعغد الله
مكروهم وان كان مكروهم لتزول منه الجبال • فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله
ان الله عزيز ذو انتقام » •

وهكذا شهد الاستاذ محمد الليثى امام المحقق برقم السيارة ، وأبلغ

جريدة « المصرى » بالرقم فنشرته ٠٠ وكان هذا هو كل ما فعله طرف الخيط .
الرفيع الذى أغفلوه ٠٠٠ فهل أجدى وحده ؟

لم يستطع وحده أن يغنى فتيلاً ٠٠ فقد صودرت جريدة « المصرى » .
وقد سأل المحقق الاستاذ محمود يوسف الموظف بدار الكتب والذى كان رقيباً
للنشر بجريدة « المصرى » فى ذلك الوقت فقال انه حذف ما حذف عن مقتل
الاستاذ حسن البنا ورقم السيارة بناء على تعليمات تليفونية من الاستاذ
توفيق صليب مدير الرقابة . وسئل الاستاذ أنور حبيب فى ذلك فأحضر
الملف الخاص بالرقابة على « المصرى » يوم الحادث - وقد قام المستشار
المحقق بالاطلاع على مجلد الرقابة المذكور فتبين فيما يختص بيوم الحادث
انه يحوى البيانات الآتية :

« تعليمات لحضرات الرقباء الساعة الحادية عشرة والنصف مساء ١٢
فبراير ١٩٤٩ . حادث اطلاق الرصاص أمام جمعية الشبان المسلمين ، ينشر
الحادث كما وقع أى مجرد وقائع مجردة عن المقدمات والتعليقات والعنوانات
الكثيرة ولا تنشر صور فوتوغرافية بتاتاً ، ولا شئ عن جماعة الإخوان
المسلمين المنحلة . وكل ما يراد نشره بعد تنفيذ هذه التعليمات يعرض قبل
التوقيع باجازة النشر . وكل ما هو معروف الى الآن » أن الشيخ حسن البنا
كان خارجاً من جمعية الشبان المسلمين ومعه آخر فأطلق مجهول الرصاص
عليهما ونقلوا الى القصر العينى . وقد أرفق بها بروفات « المصرى » التى
أشر عليها الرقيب بالحذف .

هذا هو ما كان من أمر رقم السيارة ونشره بجريدة « المصرى » - كما أن
النائب العام فى ذلك الوقت كان صفيحة العهد محمود منصور وقد أمر بحفظ
التحقيق وتقييد الجناية ضد مجهول . ولم يستطع أحد - تحت سيف
الارهاب الحكومى الفاجر - أن يحل بشهادة أو أن ينبس ببنت شفة ٠٠٠
وقتل حسن البنا ووورى التراب ووورى معه قضيته ، واعتقد الجناة انهم
قد دفنوا هذه القضية فى اعماق الاعماق وتحت أطباق الثرى يوم دفنوا جثة
فريستهم دون أن يراها أحد أو يشيعها أحد .

وهنا صفا لهم الجو « وظنوا أنهم قادرون عليها » وإخذوا فى مكانة
كبير المنفذين للجريمة صاحب السيارة التى نشر رقمها فى جريدة « المصرى »
وشهد به الشاب المخاطر الاستاذ الليثى ٠٠ فقد ظهر فى الصحف علناً فى يوم
١٩٤٩/٧/٤ ما يأتى :

« تفضل جلالة الملك فأنعم برتبة البكوية من الدرجة الثانية على
حضرة الاميرالاي محمود بك عبد الجيد مدير الباحت الجنائية بوزارة

الداخلية - وقد قوبل الانعام السامى بالاغتيال لما يبدى حضرته من جهود
في خدمة الامن ، *

طغيان مسعود :

١٩ - هذا الشعور الذى اسنولى على تفكير هذه الحكومة ، والذى
أُسْرنا اليه بقوله تعالى « وظنوا أنهم قادرون عليها » دفع بهم الى طغيان
مسعود ، فملأوا السجون والمعتقلات * وقد فتح ابراهيم عبد الهادى خزانة
الدولة على مصراعيها لرجال البوليس ، يكافأ الواحد منهم بقدر ما يورد
للمعتقلات من أفراد الشعب * حتى ان الصحف نشرت في ١٩٤٩/٥/٤ أن
شابا كان ماشيا في حي السيدة زينب بالقاهرة فاعترضه رجال البوليس
وسأله عن اسمه فارتبك - كشأن أى شاب صغير يفاجأ بمثل ذلك -
وبتفتيشه وجدوا في جيبه ورقة بها أبيات من الشعر تزم رئيس الوزراء ،
فاعتقلوه واعتقلوا الطالب الذى قال الشعر * والطالبان هما عبد الله الخياوى
وزميله الشاعر مهدى محمد يوسف الطالبان بمدرسة الخيرة الثانوية *

ومع دلالة هذه الحادثة الصغيرة على مدى تشوف رجال البوليس في
تلك الحقبة من الزمن الى الاعتراف من خزينة الدولة المفتوحة لهم ، والمشروط
الاعتراف منها بمدى التهجم على الشعب ، فانها تدل أيضا على مقدار ما يكنه
الشعب لهذه الحكومة من كراهية ومقت وما تحسه هي نحوه من شكوك
وفزع *

وبدافع من هذا التشوف ، قام البوليس - تحت قيادة البوليس
السياسى - بحملات مكثفة على بيوت الاخوان لاعتقالهم بغير مبرر * وقد
أدى هذا الاعتداء وهذا التحدى الى ترك كثير من الاخوان بيوت اهلهم الى
بيوت أخرى استأجروها ، هربا من الاعتقال واشفاقا على اهلهم من غارات
البوليس - ولكن البوليس مع ذلك تتبعهم وطاردتهم فقتل بعضهم وقبض على
بعض آخر ، ناسيا اليهم تدبير مؤامرات لقلب نظام الحكم ، مدعيا عليهم
حيازتهم لاسلحة ومتفجرات ، وسمى المنازل التى اختفوا فيها هربا من
الاعتقال سماها أوكارا *

ولما رأى شباب الاخوان المطارد أن الحكومة قد فعلت بالاستاذ المرشد
ما فعلت ، وأنها تواطأت ودبرت مؤامرة اغتياله ، ثم انها بعد ذلك حفظت
التحقيق وقيدت القضية جنائية ضد مجهول - أثار ذلك بعض هذا الشباب
فأرادوا أن يقتصوا بأنفسهم من القاتل الحقيقى ابراهيم عبد الهادى *
فتربص عدد منهم له في طريق عودته الى منزله - مع علمهم بأنه لا يتحرك

الاوسط جيش لجب من الحراس ٠٠ ولكن تبين أن الذى مر فى ذلك الوقت كان حامد جود مرئيس مجلس النواب وقبض على هؤلاء الشباب ٠

وسنفرد أن شاء الله لهذه القضايا وما تم فيها من محاكمات وتحقيقات وتلفيات وأساليب وحشية تكشف عن حقيقة هذا العهد ومخازيه ففضلا خاصا ٠

وقد جاء وصف لهذا الطغيان المسعور فى الكلمة التى أوردناها فى الفصل السابق للواء صالح حرب ، ونورد وصفا آخر لهذا الطغيان جاء فى بيان نشره فى ١٩٤٩/٧/٥ بجريدة « المصرى » الأستاذ أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة بعد رجوعه من لندن قال فيه :

« وفى وسط هذا الجو الذى عشت فى إنجلترا ، تلقيت من الوطن انباء تجديد الاحكام العرفية التى يعتبر العالم مجرد اسمها يرمز الى طراز من الحكم قد انقضت ايامه الى غير رجعة ٠٠ فوق على هذا النبا موقع الساعة . ولم يزدنى السبب الذى أعلن تبريرا لهذا الاجراء الشاذ الا فزعا واستنكارا ، فقد قيل ان الاحكام العرفية جددت بسبب حوادث الارهاب ٠

ان الجميع يعلمون أن هذه الحوادث الارهابية لم تنفشا الا فى ظل الاحكام انعرفية وما تخوله للحكام العسكريين من سلطة مطلقة من شأن مزاولتها ايغار الصور ٠ فهل سنظل ندور فى دائرة مفرغة ، بمعنى أن يشتد القمع فيولد الارهاب ، فنبقى محكومين بالاحكام العرفية الى ما شاء الله دون عباد الله اجمعين ؟ !

وعدت الى مصر فوجدت آلافا من الشباب لا تزال المعتقلات تغض بهم ٠ ولا يكاد الانسان يفتح اليوم صحيفة من الصحف الا ويطلع فيها نبا الهجوم على أوكار ارهابية جديدة او خلايا شيوعية ، والقبض على الناس بالجملة ، وتفتيش البيوت بالعشرات والمئات ٠٠ وليست هذه البيوت التى تفتش فى نهاية الامر الا بيوتا مصرية ، وليس هؤلاء الذين يقبض عليهم سوى نفر من ابناء الامة المتعلمين ٠٠ والتسليم بأن هؤلاء جميعا ارهابيون او شيوعيون معناه أن شباب مصر كله قد تحول الى شيوعى او ارهابى ، ويكون هذا فى حد ذاته قضاء على الحكم الحاضر بالافلاس ٠

وتوضع الآن قوانين تجعل مجرد حيازة كتاب من الكتب جريمة ، وتفرض عشر سنوات من الاشغال الشاقة لا على المشتغلين بالشوعية والى حددها القضاء المصرى تحديدا فنيا ممتازا فانها صورة من العمل على قلب نظام الحكم بالقوة ، ولكن هذه العقوبة تشمل عبارات واقتولا ما فتئنا ننادى

بها جميعا منذ سنوات لا فرق فينا بين حزب وحزب أو بين جماعة وجماعة ، دون أن يعتبر هذا اثما أو أمرا غير مشروع .

أى أن الامر قد تحول كله الى سد الثغرات والمنافذ التى يمكن للناس أن يتكلموا من خلالها أو أن يعبروا عن أفكارهم فى حرية واطمئنان . والامر كله هو قمع وبطش على كافة الصور والاشكال فى سائر الاتجاهات يمينا وشمالا .

واننى أرى أن ذلك كله دليل على أننا نعيش فى أوضاع خاطئة ، وأن الاستمرار فى هذه الأوضاع لا يعود على أحد بالخير أو الفائدة ، بما فى ذلك الذين يظنون اليوم أنهم يستفيدون بهذه الأوضاع .

وحسبى الى أن أشير الى ما قاله ممثل اسرائيل فى هيئة الامم المتحدة، وسط تصفيق دول العالم عندما قبلت دولة اسرائيل عضوا بالهيئة حيث قال : اننا لم نذهب الى فلسطين لتأليف دولة يهودية فحسب ، ولكننا ذهبنا لنحمل الى الشرق الاوسط الحرية والديمقراطية التى لم يستمتع بها أهله منذ أجيال وقرون ، ونرفع مستوى حياتهم الى مصاف الامم الراقية .

ثم قال الاستاذ أحمد حسين : ولما كنت لا أملك من الامر شيئا الا ايمانى واخلاصى لبلادى ، فلم يبق أمامى الا الاعتكاف فى الريف ، والابتعاد عن الحياة السياسية فى الوقت الحاضر ، حتى يقتنع الجميع بأن استمرار هذه الحالة الحاضرة وتجاهل ارادة الشعب ، بل ومناوآته بهذه الاساليب من شأنه أن يعمق فى العودة بمصر القهقرى ، .

ولعل قد استبان للقارىء من الاشارات التى وردت فى هذه الكلمة صورة الحالة التى آلت اليها البلاد فى تلك الايام السوداء .. حتى لقد بلغ انهلح بهذه احكومة ازاء ما تشعر به من معاداتها للشعب ومقت الشعب لها ان صارت تشقبه فى كل مصرى وفى كل مواطن حتى ان رئيس الوزارة اصدر أمرا فى ١٩٤٩/٧/٦ بتفتيش السفن فى ميناء الاسكندرية للقبض على المشتبه فيهم ... ويجندر بنا هنا أن نشير الى أن الاستاذ أحمد حسين قد تمكن من اصدار هذا البيان وأن جريدة « المصرى » قد تمكنت من نشره ، لان الاحكام العرفية كان ينتهى العمل بها فى منتصف شهر مايو ١٩٤٩ وتعمل الحكومة على مد العمل بها سنة أخرى . وتحت ضغط المعارضة فى مجلس الشيوخ تقرر تخفيف هذه الاحكام فى أثناء فترة اجراء الانتخابات التى كان قد حان ميعادها ، وقد تناول التخفيف فى خلال هذه الفترة موضوع الرقابة على الصحف .

اطمئنان الى الخلود في الحكم :

٢٠ - مع أن البرلمان بمجلسيه كان العوبة في يد هذه الحكومة ، تستصدر منه ما تشاء من قوانين استثنائية شاذة ، فان أقلية ضئيلة في مجلس النواب من أعضاء أحرار يمثلون الحزب الوطني والمستقلين ، وأقلية أخرى من أعضاء حزب الوفد في مجلس الشيوخ ، بدأت تثير غبارا في وجه هذه الحكومة .

ففي مجلس الشيوخ قدم استجواب عن استغلال الاحكام العرفية في التضييق على حرية النشر والصحافة ، وفي مجلس النواب قدم استجواب بهذا المعنى . كما قدم طلب مناقشة في موضوع الحكم العرفي ومبرراته بعد عقد الهدنة الدائمة في فلسطين واتفاق رودس والموقف العسكري والسياسي في فلسطين .

ومع أن رئيس الحكومة قد استطاع بأغلبه العديدة المساحقة في المجلسين أن يتفادى تأثير ذلك كله على حكومته ، فانه رأى أن تكرار مثل هذا الهجوم قد يخرجه في يوم من الايام ، لا سيما وهو - وان كان يعتقد انه مخلص في الحكم - فانه لا يستطيع مع ذلك ان يبقى على الاحكام العرفية الى الابد واذا فلابد من حل مآكر يواجه به هذا التحدي ويضمن له الاطمئنان الى أن هذه السلطة المطلقة التي يتمتع بها ستنظر في يده في المستقبل .

وتلخص الجل الذي اهدى اليه في وسيلتين احدهما مؤقتة والاخرى دائمة :

أما الوسيلة المؤقتة فهي أن يطلب مد الاحكام العرفية مدة عام . وسيحل موعد الانتخابات في خلال ذلك العام ، وسيجريها بنفسه ، وسيحصل طبعاً على الاغلبية الساحقة ويظل في الحكم وقد يستطيع بمجلسه الجديد - الذي قد لا يدع لغير أتباعه فرصة دخوله - أن يمد الاحكام العرفية سنة اخرى او سنتين .

وأما الوسيلة الدائمة ، فهي أن يسن تشريعا يسميه في تشريع تنظيم الجمعيات ، يودعه كل ما في الاحكام العرفية من قيود ، بحيث يكون تكوين الجمعيات في مصر مستحيلا الا ان تكون فرعا من فروع الحزب الحاكم تحت اسم مغاير لاسم الحزب . وسنفرد لهذا التشريع فصلا مستقلا لبالغ أهميته ان شاء الله .

وتقدم الى برلمانها الحالى يطلب مد الاحكام العرفية لمدة سنة اخرى
غوافق البرلمان في الحال . وتقدم اليه ايضا بمشروع قانون لتنظيم الجمعيات
فأحيل الى اللجنة التشريعية بمجلس النواب لاعداد تقريرها عنه . . ولم
تطلب الحكومة الى برلمانها نظر هذا التشريع على وجه الاستعجال ، حيث
لا داعي في نظرها لذلك اذ امامها عام كامل ستحكم البلاد خلاله بالاحكام
العرفية .

في انتظار المكافاة :

٢١ - صفا الجو لحكومة ابراهيم عبد الهادى بعد أن أدت المهمة الكبرى
التي كان عليها انجازها ، فقد أزلت العقبة الكثود من طريق أولياء نعمتها ،
بالتنكيل بالاخوان المسلمين واعتقالهم ، واعتقالهم المرشد انعام في جنح
الظلام ، والقاء ستار كثيف من الضباب حول هذه الجريمة مما حجب الرؤية
حجبا كاملا . . ثم أمنت بعد ذلك ظهورها للمستقبل ، فمدت الاحكام العرفية
سنة جديدة ، وبدأت في وضع مشروع لتنظيم الجمعيات . . . ثم جلست بعد
ذلك تنتظر من أولياء نعمتها المكافاة .

ولم يخطر ببال عبد الهادى أن تكون مكافاة تجديد فترة حكمه لحمس
سنوات اخرى . فهذا كان في نظره وفي نظر الناس المعاصرين أمرا مفروغا
منه ، كما أنه لم يفكر في أن تكون المكافاة توسيع رقعة أملاكه من الارض
الزراعية ، فهذا أمر في يده هو باعتباره رئيس الحكومة وقد زاد الرقعة التي
يملكها حتى صارت عشرة أضعاف ما كان يملك .

أما ما كان ينتظره مكافاة له ، فهو أن تأتيه المكافاة في صورة انعام
ملكي سام بالرتبة التي طامح بها لتضعه في البروتوكول وفي التاريخ في
مصاف النخاس باشا وعلى ماهر وحسين سري باشا ، رتبة « حضرة صاحب
المقام الرفيع » .

ولا يعجب القارئ لهذا النوع من الآمال . فلكل عهد سماته وأوضاعه
وآماله . وكان من سمات هذا العهد التهاك على الرتب والالقب ، وماتصقيه
هذه الالقب على صاحبها من أبهة وانتفاخ في المجتمع الذي يعيش فيه ، مما
يذكرنا بقول الشاعر الاندلسي :

مما يزهدنى في أرض أندلس ألقاب معتمد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالأهر يحكى انتفاخا صولة الاسد

أما الشعب المسكين المغلوب على أمره ، المنكوب بزعمائته ورؤسائه ، فلم يكن أمله الذى يحلم به يتعدى أن يرى هذه الحكومة - حكومة الملك - قد خفقت من وطأة ظلمها ، ورفعت عن ظهور المواطنين سياط جلاديتها ... أما تغيير الحكومة فأمر لا يخطر بخیال أحد ، لأنها حكومة الملك ، جاء بها لتوطد أقدامه ، وقد وطدتها بتحقيق ما كان يأمله ، فأمنته من خوف كان يقض مضجعه ومضجع سادته الانجليز .

ولكن فريقا واحدا من هذا الشعب كانت آماله أوسع من ذلك مدى ، وأرحب أفقا ، وأبعد طموحا ... وكان هذا الفريق هو « الاخوان المسلمون » ، الذين كانوا يتربصون بهذه الحكومة وأولياء نعمتها عنصر الزمن ، فكانت آمالهم معقودة بخالق الزمن والمتصرف فيه ... ولو أن الاخوان المسلمين غفلوا لحظة عن ايمانهم بخالق الزمن الذى « يخلق مالا تعلمون » لما ثبتوا في موقفهم لحظة ، ولما واصلوا كفاحهم للطغيان شرن هواده ساعة من نهار ... وهل يستطيع من مالا اليأس قلبه أن يثبت على قدميه ؟ ...

وسوف يرى القارئ في فصل قادم ان شاء الله أن الاخوان المسلمين قد تحملوا في خلال هذا العهد الاسود المنكود ما نعرز بحملة الجبال ، « فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا » ... وكما بهروا العالم بشجاعته المنقطعة النظير في حرب فلسطين ، فقد أخذوا بلبه بثباتهم على مبدئهم واستمسكهم بمعتقدتهم وهم في أتون التعذيب والتهر والاهانة والتكيل .

وعلى حين غرة من الجميع فعل عنصر الزمن فعله . فوقف الشعب كله مشحوها فاعرا فاه شاخصة أبصاره لهول ما رأى وما سمع ... لقد خفف مصروف الزمن وخائق كل شيء بمفاجأة خبيث ظنون الظالمين ، وقضت على أحلامهم ، وشتتت النوم من عيونهم ، فقد جاءهم الشر من حيث انتظروا الخير ، وأتاهم العذاب من حيث كانوا يترقبون المكافأة ... فإذا الخير الذى ينتظرون ، والغيث الذى يترقبون ... ريحا صرصرا عاتية ، اقتلعتهم من مقاعدهم وألقت بهم بعيدا في عالم النسيان فكان حالهم كما قال الشاعر الحكيم :

إذا كان غير الله للمرء عمدة اتته الرزايا من وجوه الفوائد

وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون

ثم كان عاقبة الذين أساءوا السواى

٢٢ - كان الاخوان في ذلك الوقت في معتقلاتهم وفي سجونهم وكنت انا

في منفأى الذى اختاروه لى - مما يأتى ببيانہ بعد قليل ان شاء الله - وكنا نتلقى في كل يوم من الحكومة مطارق جديدة على رؤوسنا ، ففى كل يوم مطاردة ، وفى كل يوم قبض ، وفى كل يوم مؤامرة ، وفى كل يوم تهم جديدة ومحاكمة ، وفى كل يوم أوامر متلاحقة بالتضييق والتهديد والتفكيك .. وقد وظنا أنفسنا على ذلك نستقبله استقبال الامر المتوقع .. ولكننا مع ذلك ، ومع انغلاق جميع المنافذ امامنا لم يخامرنا اليأس من رحمة الله .. ولكن كيف تنفذ الينا هذه الرحمة والمنافذ كلها محكمة الاغلاق ؟ هذا ما كنا نتركه لبقرة الله وارايدته .

رؤيا لى نادرة : وقد كنت انسانا قليل الرؤى بل اكاد اكون عديمها .. وظالما شكوت ذلك الى الاستاذ الامام فكان يطمئننى بان هذا ليس عيبا بعيب المؤمن .. وقد مكثت الفترة الاولى التى مكثتها في منفأى - أكثر من خمسة أشهر - لم أر خلالها رؤيا واحدة .. ولكننى في احدى ليالى الثلث الاخير من شهر يوليو ١٩٤٩ وكان ذلك موافقا لاحدى ليالى العشر الاواخر من شهر رمضان رأيت رؤيا طويلة زاخرة اذهلتنى وأطارت لى وأثارت وجدلنى وأرسلت دموعى .

وحين أحاول الآن - بعد ثلاثين عاما - أن اتذكر تفاصيل هذه الرؤيا أجد أكثر هذه التفاصيل قد بهتت في خاطرى حتى لا أكاد أراها .. ولكن الذى لا يزال ماثلا امامى منها حتى الآن هو منظر الاستاذ الامام واقفا على منصة عالية . ونحن - عددا غير قليل من الاخوان - بين يديه يحدثنا ويوجهنا ويوصينا وكأنه يريد أن يشعرنا بأنه مغادرنا . ووصاياہ كلها في الحرص على الاخوة والترابط والحث على الصبر .. وكان شعورى بما يعتزمه من مفارقتنا قد جعل دموعى تنهمر لا أقوى على مدافعتها .. وقد أكثرت انا وزملائى من الاستفسار منه عن أمور كثيرة ، وكنا في عجلة في توجيه الاسئلة اليه قبل أن يغادرنا المغادرة التى نشعر أن لا لقاء بعدها ... وكنت حريصا على أن ألتزمه وأعانقه عناقا حارا طويلا ثم أمسك به حتى لا يفارقنا .. ولكنه كان يشعر بهذا الشعور منا فيمهلنا حتى يتم وصاياہ الينا .. وكان ارتفاع المنصة ارتفاعا لا يتيح لاحد منا أن نصلد اليه الا أن ينزل هو الينا .

وكان مما لفت نظرى واسترعى انتباهى في هذه الرؤيا أن الاستاذ المرشد كان خلالها حليق اللحية ، وهو منظر لم نره فيه من قبل . كما أنه كان حين يتكلم ويوجه نصحه الينا ويسدى وصاياہ كان يفتح فمه ويحرك شفثيه ولسانه كالتكلم تماما ولكنه لا يصدر صوتا ، ومع ذلك كنا نفهم كل ما يقول ... وفجأة التفتنا فاذا بنا لا نراه .

وفي مساء اليوم التالي ، أتاحت لى فرصة عجيبة - وسط اجتماع أخوى حبيب - أن ألتقى بضيف طارئ لم أره من قبل ، وكان شيخا وقورا ذا لحية ضخمة وفي سن يناهز السبعين - وقد انسيت اسمه - وقد علمت أنه عالم أديب ومن المجاهدين غير المصريين المطاردين ... فلما قصصت رؤيائى على اخوانى فى هذا الاجتماع ابتسم هذا الشيخ ابتسامة عريضة وقال لى ولان حولى من الاخوان : أبشروا فان الله سيغير الاوضاع ، وهذه رؤيا صادقة ودليل صحتها وصدقها أمران ، أولهما رؤيتك الاستاذ المرشد بغير لحية مما لفت نظرك ، والثانى كلامه المفهوم بغير صوت ، فالاستاذ الآن فى حياة البرزخ ، وهى الحياة التى بين الحياتين الدنيا والآخرة ، ومن مميزاتنا أن يكون الناس فيها فى سن واحدة وبدون لحي .

وقد يكون من القول المعاد أن أقول أن الفترة التى رايت فيها هذه الرؤيا لم يكن يخطر ببال أحد فيها فى مصر لا سيما فى بال رئيس الوزراء أن تتغير الوزارة ، وكان أى محال يبدو ممكنا إلا أن يخلع ابراهيم عبد الهادى من الوزارة وهو أقرب المقربين الى الملك ، ويؤيده مجلسا البرلمان بلا تحفظ وهو الخادم الطيع للحضرة الملكية التى كانت معبودا لهم من دون الله . وبعد أيام من هذه الرؤيا وقع النبأ الذى لم يكن متوقعا . واحتزت البلاد من أقصاها الى أقصاها ، لان الحدث كان أبعد الاحداث عن الاحتمال . وأعلن سقوط وزارة عبد الهادى وتآليف وزارة سميت « محايدة » وأعلن فى خطاب تآليفها أن مهمتها النظر فى الافراج عن المعتقلين .

وتدل مجريات الاحوال على أن اسقاط وزارة عبد الهادى وتآليف وزارة محايدة لم يكن من بنات أفكار الملك وحاشيته ، كما لا يمكن أن يكون من تفكير عبد الهادى وحزبه ، وانما كان من تفكير الانجليز وسعة دمائهم ، وأنهم أمروا الملك بذلك لانهم خشوا لو طال بقاء عبد الهادى أكثر من ذلك لادى الى انفجار الموقف انفجارا قد لاتسهل السيطرة عليه .

وقد يتطلع القارئ الى معرفة الصورة الرسمية التى تم هذا التغيير فى اطارها فنقول - نقلا عن الصحف فى ذلك الوقت - أن الملك أوفد حيدر باشا - وكان قائدا عاما للقوات المسلحة ومن المقربين الى الملك - الى ابراهيم عبد الهادى لايلاغه رغبة الملك فى استقالته ، كما أوفد حيدر باشا الى حسين سرى لايلاغه بتكليف الملك اياه لتآليف الوزارة الجديدة .

ولما كان ابراهيم عبد الهادى لايملك ازاء هذه الصفعة القاتلة الا الخضوع والاذعان ، فقد قدم استقالته ونصها :

« مولاي - تفضلتم فعهدتم الى بالحكم فى ظروف دقيقة . وقد استطعنا بفضل سامى توجيهكم ، وكريم ارشادكم ورعايتكم ان نفهض

بالامانة وأن نؤديها على خير ما نرجو - والان وقد أوشكت الدورة البرلمانية على النهاية فان الحكومة تضع استقالتها بين يدي جلالته ، لتوجهوا البلاد وفق ما نرجوه لها من خير ، *

وقبل أن يكتب هذه الاستقالة رد على حيدر باشا بقوله : اننى اتلقى هذا التوجيه الملكى بالاحترام والاحلال وسأبلغه الى زملائى وننزل على هذه الرغبة الكريمة .

وقد رد الملك فى نفس اليوم على عبد الهادى بقبول استقالته وجاء فى الرد : وانا اذ نجيبكم الى ملتسمكم لنذكر بالتقدير تلك المهمة العالية والوطنية الصادقة التى سستم بها امور البلاد ، فى حرص على طمأنينتها وسعى لتوطيد الامن فى ربوعها .

هدية الملك الى الشعب : ولما كانت اقالة هذه الوزارة قد تمت فى ٣٠ رمضان ١٣٦٨ ، فقد أصدر الملك نطقا ملكيا بأن الملك قد جعل هذه الاقالة هدية الملك الى شعبه بمناسبة عيد الفطر المبارك .

وفى أول جلسة لمجلس النواب حضرها حسين سرى باشا رئيس الوزارة الجديدةلقى حسين سرى بيانا مقتضبا لم يشير فيه الى المعتقلين ، فقام مكرم عبيد باشا عضو المجلس وطالب بإلغاء الاحكام العرفية والافراج عن جميع المعتقلين فى الحال ، فصاح النائب السعدى نعى المسلمى قائلا : اذا أفرج عن المعتقلين فستكون أنت أول ضحاياهم .

وكان الدليل المادى على كذب هذا النائب السعدى وحزبه هو أن رئيس الوزراء الجديد فى الوقت الذى قرر فيه أن تبقى الحراسة حول دار إبراهيم عبد الهادى كما كانت بدون تغيير ، لم يصحب هو بعهد تكليفه بتشكيل الوزارة سوى ياور رئيس الوزراء وترك الحرس الكبير الذى كان يحرس رئيس الوزراء السابق - ورفع بوليس حرس الوزارات الذى كان قائما حول مبنى ديوان الرئاسة وديوان المالية ولم يبق سوى ثلاثة جنود موزعين فى أماكن متباعدة .

ولما قدم له عبد الرحمن عمار وكيل الداخلية للامن العام بعد عشرة أيام من تشكيل الوزارة كشوفا بأسماء من تمنحهم ادارة الامن العام مكافآت شهرية من المصاريف السرية أعاد اليه الكشوف مؤشرا عليها بعدم الصرف والغاء هذا النوع من المكافآت - ونقله هو شخصا من وزارة الداخلية وكيلا لوزارة المواصلات . . . ومع ذلك لم تحدث حادثة واحدة تعكر صفو الامن .

تنفس الناس الصعداء ، واخذت التحقيقات فى القضية المراد طمورها تشق طريقها من جديد ولكن على استحياء .

الفصل الثالث

شخصيات ومواقف كشفت عنها المحنة القاسية

مقدمة

كنت - منذ بدأت مؤامرة الحل - في دمنهور تحت الحراسة الاخوية النبيلة من الرجل الكريم الاستاذ (ع) - فلما ارتكبت الجريمة الشنعاء كاد الحزن يقتلني . . ومع أنه كان فيما أسر الى به الاستاذ (ع) من قبل اشارة الى احتمال وقوع هذه الجريمة ، فان ذلك لم يخفف من أثر وقوعها فعلا في نفسي . . ولم أفهم الحديث الذي كنت أقرأه ومعناه أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا عظمت مصيبة أحكمكم في عزيز فليذكر مصيبته لى قتهون عليه مصيبته » الا حين وقعت هذه المصيبة ووجدتني عاجزا عن احتمالها ، فقدرت مدى مصيبة المسلمين بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنها حقا أعظم مصيبة يصاب بها مسلم الى يوم القيامة .

لقد كانت مصيبتى باستشهاد حسن البنا اعظم مما يتحملة قلب ، لقد صار الموت أحب الى من الحياة ، ولقد بدأت أفهم معنى قول الله تعالى « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من أبيه وأمه ومن نفسه التي بين جنبيه » . . وبدأت أفهم معنى قول الصحابي الجليل : كنا اذا أحمر الحرق ، وحمل الوطيس لحتميننا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم هو صاحب الدعوة ، تلقاها بالوحي عن ربه . . وقد قرر القرآن له حقا على المؤمنين أنه أولى بهم من أنفسهم . . وحين قرر القرآن هذا الحق لم يكن مقررا الا أمرا واقعا ، وشعورا متملكا قلب كل مؤمن نحو هذا الرسول الكريم . . وبعد أن أدى مهمته ، وبلغ رسالته ، اختار الرفيق الاعلى ، فكانت المصيبة التي أذهلت أثبت المؤمنين جنانا ، وأصلبهم عودا ، وأقواهم شكيمة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ثم كان على مر الزمن ، بين الفينة والفينة ، دعاة يقومون على اثر محمد صلى الله عليه وسلم ، يجددون دعوته ، ويجمعون الناس على لب رسالته . . وهؤلاء الدعاة قلة على طول الزمن . . لا يكاد الزمن يجود بواحد منهم الا بعد مرور اجيال واجيال ، يكون الدين في خلالها قد درست معالمه ، وطمست

قسماته ، وذهبت نضارته ، وغابت تحت أكداس الزيف والترهات حقيقته . .
حتى صار أصحاب العقول يتلمسون من ينقذ الدين مما ألم به ، ومن يأخذ
بيد الامة الاسلامية الضالة الحائرة فيقفها على اول الطريق . . فيمن الله
الرءوف الرحيم بواحد من هؤلاء الدعاة، فيتسابق أصحاب العقول الى مبايعته،
ثم يستجيب له الناس طوائف طوائف ، فيسير فيهم سيرة النبي الكريم في
صاحبته فيحبهم يحبونه، ويؤثرهم على نفسه ويؤثرونه ، ويعرفون له فضله في
هدايتهم الى الحق ، ويحسون السعادة في عمق تأثيره في نفوسهم باعراضه
عن متاع الدنيا ، ويتعلمون بين يديه التضحية في سبيل الحق حين يرونه
يخوض الغمرات في سبيله ، يتعلمون بين يديه صناعة الموت . . وما أعظم
الفرق بين الموت وبين صناعة الموت ، فكل الناس يموتون . . ولكن الذين
تعلموا صناعة الموت لا يموتون الا اذا رغبوا لموتهم ثمنا غاليا وربحا كبيرا
يموتون في المواقف التي يحيى موتهم فيها أمهم وعشائهم حيث يرجون
لأنفسهم في الآخرة مكانا عليا .

هؤلاء الدعاة ، تكون المصيبة في فقدانهم قريبة في فدايتها على المؤمنين من
مصيبة المؤمنين في فقد رسل الله صلى الله عليه وسلم . . وكأنما كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقصد هؤلاء الدعاة والمستجيبين لهم حين قال
لأصحابه « ما أشوقني الى اخواني » فقال الحاضرون : ألسنا اخوانك ؟
قال : لا . . بل أنتم أصحابي . اخواني قوم يأتون بعدكم ، أجر الواحد
منهم كاجر اربعين . قالوا : وكيف استحقوا هذا الاجر ؟ قال : انكم تجدون
على الخير أعوانا ، أما هم فلا يجدون على الخير أعوانا ، أو كما قال صلى
الله عليه وسلم .

أدركت الحديث حول الدعوة والدعاة لاقرب الى خيال القارئ مدى فداية
الرزاء الذي ينزل بالمؤمنين حين يفقدون مرشدهم وقائدهم . . ولم يكن هذا
شعوري وحدي ، وإنما كان شعور مئات الألوف من الناس ، لافي مصر وحدها،
بل في العام الاسلامي كله . . لقد أذهلني المصاب عن أهلي وعن اولادي وعن
بيتي وعن عملي وعن حولي وعن نفسي . . . وإذا كانت الخنساء تقول حين
فقدت اخاها صخرا وهو رجل كسائر الرجال :

ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل اخي ولكن اعزى النفس منهم بالتأسي

فأني لنا ان نجد عزاء في فقد حسن البنا الذي قلما تجود الايام بمثله!

لم اجد بجانبى في ذلك الوقت العصيب الا الرجل الطيب الدمث

الاخلاق الكريم المحتد الاستاذ (ع) ، قضيت معه بعد المصاب أياما لا تعدو الاربعة ، لم يكن يفارقنى فيها الا وقت النوم - ان كان هناك نوم - ثم وصلنى امر بالنقل فورا الى « أبو تيج » . وقد تبين لى انه ليس نقلا بالمعنى المألوف بل هو تحديد اقامة ، فقد طلب الى أن أسافر وحدى دون أسرته واولادى ، فلما وصلت الى هناك علمت أننى ممنوع من مغادرة ذلك البلد الى أى مكان آخر وقد ودعنى الرجل الكريم الاسناذ (ع) والدموع تفرق فى عينيه ، وهو يقول لى معتبرا : لا تؤاخذنى ياغلان فان هذا النقل هو أخف إجراء استطعت أن أصل اليه معهم فيما يختص بك .

أولا - شخصيات ومواقف خاصة

لما حملنى القطار الى « أبو تيج » وكنا فى المساء نزلت فى فندق بها ووجدتني مضطرا لقضاء هزيع من الليل فى مكان آخر حتى يغلبنى النوم حيث حالة الفندق تقتضى ذلك ، فأتخذت لى مجلسا فى مقهى أمام الفندق - ولما كنت وجها غريبا فقد تقدم نحوى شابان ظريفان كانا يجلسان معا فى المقهى قريبا منى وتم التعارف بينى وبينهما . ولما علما بأننى نزلت بالفندق - وكانا يعرفان حالة الفناحق فى هذا البلد - أصرا على استضافتى فى شقتهم ذات الحجرتين الواسعتين القريبة من الفندق .

والحق ان الشابين - سعد وحسن - الموظفين بالمحكمة وأولهما من الفيوم والآخر من بنها ، كانا معى غاية فى الكرم ، فلقد حضر الاخ الكريم الحاج هاشم محمد خليل صبيحة اليوم التالى - حين علم بحضورى - وحاول انتزاعى منهما فرفضا بكل شهامة ، فأمدتى الحاج هاشم - أكرمه الله - بكل ما يلزمنى من الفراش ، وشاركتهما السكن . . . وكانت حجرة حسن أوسع فشاركته فيها .

ومعذرة الى القارئ فى هذا الاستطراد فساقص طرفا من قصتى مع هذين الشابين ومع غيرهما ممن صادفنى فى تلك الفترة من حياتى بهذا البلد الطيب ، فلقد تعلمت على يد هذين الشابين أمورا فى حياة بلادنا الاجتماعية من الخير ان يلم بها القارئ وكانما نحن - الاخوان المسلمين - أراد الله أن يطلعنا على خبايا من الحياة الاجتماعية للجمهور الذى هو هذا ونحن منه حتى اذا تحدثنا اليه تحدثنا الى من نعرف عنه الكثير .

خطورة القمار :

لاحظت ان « حسنا » قد كرر اقتراضه منى حتى اقترض منى أربع

مرات في خلال أسبوعين • فسألت « سعدا » عن ظروفه التي دعتة الى هذا الاقتراض ففاجأني بأن « حسنا » يلعب القمار • فلما واجهت « حسنا » بذلك أنكر •

وكان من عادتي أن أستسلم للنوم بعد العشاء • فلفت « سعد » نظري الى أن « حسنا » ييسهر معظم الليل في لعب القمار ، وحدد سعد المكان الذي يباشر فيه هذا اللعب • فلما سألت « حسنا » عن ذلك أنكر • فلما علم سعد بهذا الانكار طلب الى أن أخالف عادتي وأسهر الليلة القادمة • وصحبني نحو منتصف الليل الى مكان ناء خارج المدينة وأشار الى حجرة مغلقة الباب والنوافذ في الدور الارضى • وكنا اذ ذاك في ليالي الشتاء الباردة • وقال هذه هي الحجرة •

وطرقنا باب الغرفة • وفتحوا لنا الباب بعد أن اطمأنوا الى أننا لسنا من رجال البوايس ، فاندفع نحونا من الباب هبة نكتة من هواء ساخن فاسد، مما حمننا على التراجع قليلا منحرفين عن الباب حتى خفت حدة هذه الهبة ، ودخلنا فاذا هي غرفة صغيرة تتوسطها منضدة ، والغرفة مكتظة بالاشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين الشباب والكهولة ، ورأيت بينهم صديقنا «حسنا» الذي بدا على وجهه الخجل - ولا أقول احمر وجهه خجلا ، لان اكتظاظ الغرفة بهذا العدد مع الانفعال المستمر اثناء اللعب جعل الدم مرفعا الى وجوههم فهي حمراء دائما • وبعد أن صافحنا حسنا انسحبنا من الغرفة •

ولما التقيت بحسن بعد ذلك اعتذر الى من هذه « الهبة » التي حاول أن يقنعني بأنها غلطة لن تتكرر •• وقد انتهزت الفرصة وشرحت لحسن خطورة مجرد وجوده داخل مثل هذه الحجرة وتنفس هذا الهواء النتن ، وحذرت من أن خروجه من هذا الهواء الساخن ومقابلة الجو البارد قد يعرضه لمرض خطير •• فأقسم لي أن هذا لن يتكرر •

ولكن سعدا لفت نظري الى أن حسنا مستمر في خطته ، وأنه في أكثر الليالي لا يأوى الى المنزل لينام الا بعد منتصف الليل ، وفي بعض الليالي لا يأتي الا قبيل الفجر ، وأنه حريص حين يدخل الشقة أن لا يحس به أحد فهو يمشي على أطراف أصابعه •• أما أنا فكانت أصحو من النوم لأصلي الفجر فأراه نائما في سريره •• ومع ذلك فقد كنت حريصا على أن اسدى اليه انتصح من الناحية العامة المرة بعد المرة ، وهو يقنعني في كل مرة بأنه أمتنع منذ الليلة التي رأيناه فيها في معمان اللعب •• وكان حريصا على أن يصلي صلاة الصبح أمامي كل يوم •

وفي صباح أحد الايام حين استيقظت لصلاة الفجر رأيت سرير حسن خاليا ، فخشيت أن يكون قد أصابه مكروه ، ولكنني بعد أن صليت الفجر واتخذت مضجعي في السرير ثانية ، وكادت الشمس تشرق ، أحسست أن أحدا قد فتح باب الشقة بخفة ، فتظاهرت بالنوم ورأيت صاحبنا قد خلف الى الحجرة في هدوء وأوى الى فراشه .

ولما حان الموعد انذى نتأهب فيه للذهاب لعمالنا ، استيقظ حسن وهو معتقد أنني لم أشعر بدخوله ولكنني أفهمته أنني أحسست به فانتحل بعض الاعذار . . . وشددت عليه النصح حتى بكى ووعد بالحضور مبكرا . . . وما هي الا أيام حتى عاد الى ما كان عليه ، ووصل الحال آخر الامر الى أنه لا يحضر الى المنزل ويستغرقه اللعب في الحجرة الملعونة طول الليل حتى يحين موعد الذهاب الى عمله في الصباح فيهرول ولا يصل الى عمله الا متأخرا . . . ويخبرني سعد بذلك ولا أراه أياما متتالية . . . ثم يتفاقم الامر ويخبرني سعد بأنه قد اكتشف عجز في خزانة الحكمة وأن حسنا يواجه تحقيقا قد يؤدي الى فصله (كان حسن أمين خزانة الحكمة) ولكن زملاء من موظفي الحكمة تعاونوا معا وانقذوا الموقف .

وهنا طلبت من سعد أن يحضر لي حسنا الى المنزل بعد صلاة العشاء مباشرة حيث جلست معه جلسة طالت الى جوف الليل . . . واجهته فيها بكل ما في نفسي وشرحت له خطورة ما هو منغمس فيه من ضلال وكذب ، وما هو مقبل عليه من دمار وتحطيم . . . وبينت له أن لاداعي للكذب أمام انسان يتمنى انخير لك وهو لا يملك لك ضررا ولا نفعا . . . ويبدو أن حالة من الانفعال في النصح لبستني وكانما لمست أخيرا موضع الاحساس من قلبي ، فتغيرت لهجته فجأة واتجه الى بقلبي لأول مرة وقال : يا فلان . . . أنت الآن أعز عندي من أبي ودعني أصارك لأول مرة بما لم أصارك به أحدا من قبل : كان والدي مدرسا في ثانوية بنها وكنت طفلا مدلا ، فكنت ألعب « البلي » مع الاطفال في الشارع فلم ينهني والدي ، والبلي ليس الا نوعا من القمار فانغرس في نفسي منذ ذلك العهد حب القمار ، فلما كبرت باشرت أنواعا أخرى من القمار دون أن أجد من ينهاني فصار الشغف بالقمار مختلطا بدمي - وأحب أن أقرر بين يديك أن القمار مهما أقسم لك أنه امتنع عن القمار فهو كاذب لان القمار داء من تمكن منه استعبد واستولى على قلبه ومشاعره بحيث لا يستطيع التخلص منه طواعية فقد يستدين ويبيع ما يملك ويسرق الا أن يجد من يحبسه عنه بالقوة ولادة طويلة .

فقلت له يا حسن ليتني أملك أن أحبك ولكنك تعرف الظروف التي تحيط بي أنا الآن أبكى لاني أعرف النهاية التي تقترب منها كل يوم .
وليتني أستطيع أن أدفع عنك .

وتطورت الايام بعد ذلك ، وغادرت « أبو تيج » الى بلاد أخرى ، وبعد سنوات التقيت بسعد صدفة فسألته عن « حسن » فقال لي : ان « حسنا » قد اغتاله « السل » والعياذ بالله ومات به . . فكان ما توقعته وحضرته منه ، أسأل الله تعالى أن يتغمده برحمته .

من أضرار الحشيش :

أما « سعد » فلم يكن يلعب القمار ، وكان يبدو لي شابا مستقيما ، بل انه كان يلفت نظري الى انغماس « حسن » في القمار رجاء اصلاحه . وقد ظللت على ظني هذا حتى كانت ليلة أيقظني على غير عادتي في منتصف الليل حصر بول ، فقممت من سريري متجها الى دورة المياه التي كان بابها قبالة باب حجرة سعد . . وقد استوقفني عندما استيقظت أصوات منبعثة من حجرة سعد الملاصقة لحجرتنا ، ولاحظت أن الاصوات لاكثر من شخص وأكثر من شخصين ، كما لاحظت أن الالفاظ التي تبينتها من هذه الاصوات ألفاظ غير مهذبة . . فتريثت لحظات ثم أرغمني البول على مفادرة الحجرة الى الصالة حتى اذا وصلت الى باب دورة المياه وجدت حجرة سعد مضاءة ووجدت بابها مفتوحا ورأيت منظرا مهينا . . رأيت هؤلاء الاشخاص بعد أن لعب الحشيش - الذي فاحت رائحة دخانه - بعقولهم وقفوا جميعا كل امام الآخر وقد رفعوا ثيابهم وكشفوا عن عوراتهم وكل منهم يتبول على الآخر متفوها بالفاظ مزرية .

وفي الصباح قررت أن أنقل سريري الى مسكن آخر مع صديق . وقد عارض سعد في ذلك أشد المعارضة ، لكنه أحس من شدة اصراري أنني اطلعت على مالم يجب أن اطلع عليه من امره مع أصحابه المنحرفين - ويعلم الله أنني ما قصدت الى الاطلاع - فاضطر أسفا أن ينزل على رغبتى . . ولعله بعد ذلك قد اقلع وتاب .

هذا ولعلى بهذه الكلمات القصار قد القيت بعض الضوء على مرضيين خطيرين من امراضنا الاجتماعية ما كنت قبل تجربتي هذه أقدر خطورتها هذا القدر .

في النار ولا يحترق :

قدمت من قبل أنني كنت أثق كل الثقة في مقدره الاستاذ الامام على اختيار الرجال . كان الاخ الحاج هاشم محمد خليل من اوائل من وقع اختيار الاستاذ عليهم لعضوية الهيئة التأسيسية ، ولم تكن معرفتي به تتعدى فترات اللقاء في اجتماعات الهيئة القليلة العدد . . فلما اختارت وزارة

السعديين « أبو تيج » لتكون لى منفى ، كان هذا المنفى الذى ارادوه هو احب مكان الى بفضل تعرفى عن قرب على شخصية الاخ الحاج هاشم .

كان الحاج هاشم تاجرا وعالما وأديبا ، وكان أكبر تاجر للدخان فى الوجه القبلى ، يستورد أوراقه الشجرية من الخارج ويوزعه على التجار والمصانع ، وعلمت أنه ورث هذه التجارة عن أهله كائبرا عن كابر . وكانت شركات السجاير الكبيرة عندما تفكر فى انتاج توليفة لسجارة جديدة ترسل اليه مندوبا يعرض عليه التوليفة ليبدى رأيه فيها . . ومع هذا كله فهو لا يدخن مطلقا حتى انه حين يختبر التوليفة المقترحة كان يتذوقها بأن يدخن منها عدة أنفاس دون أن يبتلع أى دخان منها . . وقد سألته فى هذه المفارقة العجيبة ؟ كيف يكون أكبر تاجر للدخان وفى الوقت نفسه لا يدخن . . فكانت اجابته كالآتى :

تناول نوعا من السجاير كان يعد فى ذلك الوقت أغلى وأرقى أنواع السجاير ويسمى « سيجار التوسكانى » والسجارة عبارة عن ورق شجر الدخان بحالته الطبيعية ملتف بعضه على بعض ولا يغلفه ورق عادى كالذى يغلف جميع أنواع السجاير . تناول واحدة منها وأشعلها وسحب منها عدة أنفاس وتركها حتى انطفأت (طبيعة هذا النوع أنه ينطفى من تلقاء نفسه عدة مرات ويعيد محبته اشعال السيجار فى كل مرة) فلما انطفأت كسر السجارة نصفين وقربهما من أنفى فشمنت رائحة نكتة لم اطقها - فقال لى: لهذا أنا لا ادخن . . . هذه شجرة نكتة ، ولولا أنفى ورثت هذه التجارة عن اهلى وآبائى ما زاولتها .

قلوب تلطف عصف القوانين :

لما طال غيابى عن اولادى المقيمين فى رشيد عدة أشهر ، وتولانى القلق عليهم . فكرت فى زيارتهم . فتحدثت فى هذا الشأن مع رئيسى المقيم فى اسيوط وكان زميلا لى مسيحيا ، وطلبت منه اجازة لمدة اسبوع . فتلثم وبدا عليه الحرج . ثم كاشفنى بأن هذا النقل هو بأمر وزارة الداخلية ، واطلعنى على الخطاب السرى الخاص بذلك .

ولما كان هذا الرئيس زميلا كما قحمت ، فقد اخذ يفكر معى فى وسيلة للخروج من هذا المازق ، وانتهى التفكير الى ان السفر اذا امكن فلا يكون باجازة رسمية ، وابدى استعداداه للقيام بعملى فى غيبتى ، لكنه لفت نظرى الى ان رقابة من وزارة الداخلية مفروضة على .

وكننت أعلم ان مامور المركز رجل كريم ومن اسرة عريقة . فى العلم

والدين ، فذهبت الى المركز وقابلت ضابط الباحث ، وكان شابا دمى الاخلاق
ذا سيرة طيبة . فكاشفته بالموضوع بصراحة تامة . فقال لى ان الرقابة
المحلية هنا مقدره لظروفكم ونستطيع التهاون فيها ، ولكن هناك رقابة اخرى
من وزارة الداخلية بالقاهرة . . . واتفق معى على أن أسافر فى جنح الظلام ،
وأترك رقم تليفون فى رشيد ، وأن لا أشعر الناس فى رشيد بوجودى . .
فاذا جد فى الامر شئ اتصلنا بك تليفونيا للحضور فى أول قطار .

ونفذت الخطة . وبعد يومين من وصولى الى رشيد جاعنى التليفون
فاستقلت أول قطار وذهبت الى عملى فى أبو تيج حيث اتصل بى فيه تليفونيا
مأمور المركز وطلبنى لمقابلته . . فاطلعتنى على الاشارة التليفونية المرسلة
اليه من وزارة الداخلية يسألونه عما اذا كنت قد غادرت أبو تيج طالبين منه
سرعة الرد - ورد الرجل - أكرمه الله - عليهم ردا كريما ، دافع فيه عنى قرر
أنه كان يتصل بى يوميا فى عملى وأسنى لم أغادره مطلقا . وهكذا يقوم
الرجال الصالحون بتلطيف القوانين مهما بلغت هذه القوانين من الجور
والظلم والعدوان .

وعى فج مقلوب :

فى البلاد الصغيرة التى يعرف الناس فيها بعضهم بعضا لا يكاد
الناس يتأثرون بدعايات الحكومة ولا بما تذيعه أجهزة اعلامها من زور وافتراء،
حيث يسمعون ويقرأون عن الاخوان المسلمين أوصافا يجدون عكسها فيمن
ينتسب الى الاخوان من أهل بلدهم .

ولهذا كان محل الاخ الحاج هاشم - بالرغم من التضييق الحكومى -
ملاذا للمثقفين من أهل « أبو تيج » ومن الطائفتين عليها على اختلاف مبادئهم
واتجاهاتهم وآرائهم .

وفى احدى جلساتنا بمحل الحاج هاشم انطلق أحد الجالسين - وكان
شابا حقوقيا يشغل منصبا اداريا مرموقا بالمدينة - يقول : لقد أثبت النحاس
باشا أنه رجل طيب حقا لانه ضرب بالنار ولكنه لم يصب ، أما حسن البنا
فبيدو أنه كان رجلا شريرا بدليل أنه لما ضرب بالنار أصيب وقتل .
فقلت له : مهلا يا أخى ولا تتسرع بالحكم . . فلو أننا أخذنا بمقياسك
هذا لخرجنا بنتائج عجيبة . . فبهذا المقياس يكون عمر بن الخطاب رجلا
شريرا ، ويكون عثمان بن عفان رجلا شريرا ، ويكون على بن أبى طالب رجلا
شريرا ، ويكون الحسين بن على رجلا شريرا وهكذا . . . فبهت الشاب
واسقط فى يده .

وقد سقت هذه الواقعة ليقف القارئ على مدى سذاجة الناس في نظرهم الى الاحداث ، وفي تقديرهم للرجال ، ومدى فقدانهم للوعي السليم، واقتارهم الى ميزان دقيق يزنون به الامور .

بعثة الازهر للتوعية :

ان كل ما نزل بالاخوان في ذلك العهد من مصائب ، وما انصب على رؤسهم من ويلات ، لم يجرح قلوبهم ، ولم يدم أفئدتهم .. ولكن الذي جرح قلوبهم وأدمى أفئدتهم هو ما سمي « بحملات التوعية الازهرية » .

وظلم ذوى القربى اشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

وينبغي ان لا يتطرق الى ذهن القارئ ان الازهر كان عمداً للدعوة الاسلامية المتمثلة في الاخوان المسلمين ، فان شباب الازهر كانوا هم عماد دعوة الاخوان ، وكانوا في مقحمة من صب على رؤسهم البلاء .. ولكن الذين أقصدهم هم فئة قليلة من كبار الشيوخ عبدوا المناصب ، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم .

في خلال فترة وجودي في « ابو تيج » كان الاخ الكريم الشيخ احمد شريت مفتش الوعظ في محافظة اسيوط . ولم تكن الحكومة قد تيقظت بعد الى انه من الاخوان المسلمين ، فكان لذلك حر الحركة . وكنا حريصين على ان لا يكون اتصاله بنا اتصالاً مباشراً حتى يمكننا الابقاء على حريته ، فكان يتصل بنا عن طريق أشخاص معينين .

وفي يوم من الايام جاء رسول الشيخ احمد ينقل الينا الخبر التالي :

وصلت الى اسيوط بالامس « حملة الازهر للتوعية » مكونة من عدد من العلماء برياسة الشيخ محمد عبد اللطيف دراز (مدير الوعظ والارشاد بالازهر ووكيل الازهر فيما بعد) . ولما كنت المسئول عن الوعظ في المحافظة فقد كنت في استقبالهم ، وطلبوا الى ان ارافقهم لمقابلة المحافظ - كمال الديب باشا - ليستأذنوه في المرور ببلاد المحافظة فرافقتهم .

ولما دخلنا مكتب المحافظ استقبلنا الرجل واخذنا مجالسنا . وشرع الشيخ دراز - باعتباره رئيس الحملة - يتحدث عن الاخوان المسلمين حديثاً يطمئن في ايمانهم .. فلما أحس ان الحديث بهذا الاسلوب لا يلقي قبولا لدى المحافظ اختصر الشيخ الكلام ولجا الى اسلوب آخر فقال : ان الاخوان المسلمين هم السبب في ان فقدت البلاد رجلين من رجالها . فسأله المحافظ : ومن هما الرجلان ؟ فقال الشيخ : النقراشي باشا وحسن البنا . فاذا

بالحافظ ينطلق قائلا : ولكن يا فضيلة الشيخ « حسن البنا » لا يعوض •

وكانما كانت كلمة الحافظ هذه سهما أطلقه على الشيخ فأصاب منه مقتلا ، اذ سكت الشيخ وأرتج عليه ولم يتكلم حتى استأذن وانسحب برجاله •

ولا داعى من ناحيتنا نحن للتعليق على كلمة هذا الرجل الكبير الذى نطق بما نطق به وهو فى منصبه الرسمى ممثلا للحكومة السعدية فى وجه شيخ كبير من شيوخ الازهر معروف بميوله لحزب الحكومة - كما لا أرى داعيا لنشر ما قامت به حملة التوعية هذه من جوب البلاد تنشر الاكاذيب ، وتشيع البهتان ، وتثير الفتن ، مشيعين من أهل الريف الطيب فى كل مكان من أجلها فيه بالاحتقار والازدراء •

ثانيا - شخصيات ومواقف عامة

فى الاسطر القليلة السابقة اشترت الى شخصيات ومواقف لا يستها فى الموضع الذى قضيت فيه اخرج أوقات المحنة • وكانت هناك فى نفس الوقت جهودات تجرى ، وشخصيات تتكشف ، ومواقف تتحدد ، على مستوى القطر كله • فى القاهرة ، حيث حيكت المؤامرة ، وحيث المسرح الذى تنتصارع على خشبته القوى المتآمرة والقوى المتحالفة ، والقوى المتزلفة ، والقوى المؤمنة ، والقوى الشريفة ذات الضمير وذات المبدأ •••

واحاول هنا ان شاء الله أن اضع بين يدي القارىء نماذج من هذه الشخصيات ، وعينات من هذه المواقف ، ليتبين له دورها فيحكم على كل منها الحكم الذى هو جدير به •

الاول :

الهيئات الدينية

وهذه الهيئات اما رسمية ويمثلها الازهر • واما شعبية وهى الهيئات التى تناولنا تفصيلها فى الجزء الاول من هذا الكتاب •• أما الازهر فانه كان يستغل فى بعض المواقف أسوا أهتغال ، وتجد الحكومات فى ضعاف النفوس من بعض شيوخه من يضع نفسه فى خدمتها ، وحسبنا ما ذكرناه آنفا •

وأما الهيئات الشعبية فكانت فى تلك الايام تغط فى نوم عميق ، وترى

دورما قاصرا على تكفير بعضها بعضا لزيارة ضريح او لتفسيرات مختلف عليها آيات معينة . وموقفها بعد ذلك ازاء ما يجرى على أرض هذه البلاد موقف سلبي حيث تعتقد أنها اذ فعلت ما فعلت مما أشرنا اليه فقد أدت حق الله والاسلام والوطن والمروءة .

ولكن الهيئة الاسلامية الشعبية الوحيدة التي لم ترض لنفسها هذا المقف هي جمعية الشبان المسلمين ، وذلك بفضل رئيسها الرجل الشجاع المؤمن المناضل صاحب التاريخ المجيد اللواء صالح حرب - وقد المحنا الى بعض مواقفه المجيدة في مختلف المناسبات - وبفضل رجال حوله أوفياء مثل عبد القادر بك مختار والدكتور يحيى الدرديري . . وان كان يؤسفنا أن نذكر أن من أعضاء مجلس ادارة هذه الجمعية من لم يكونوا على مستوى رئيسهم شجاعة ومروءة ونجدة ووفاء في خلال تلك الايام الملهبة التي كشفت عن معادن الناس . وقد يأتى توضيح ذلك في سطور قادمة ان شاء الله .

الثاني :

الملك

كان يكفى دليلا على تجريم فاروق في هذه المؤامرة الدنيئة انه هو الذى كان محتضنا حزب السعدين منذ حكومة احمد ماهر الى آخر ايام ابراهيم عبد الهادى . . ومعروف ان السعديين حزب لا قاعدة له من النسب ، فهو يستمد سلطته وقوته بل ووجوده من الملك . . وما كان هذا الحزب ليجرؤ على الانتقاض على ما انتقض عليه من مقدرات الشعب وحرياته لولا ثقته المطلقة في تاييد السراى له ، ومباركتها اتجاهه الاثيم . . . ولكننا لن نكتفى بهذا الدليل الدامغ وسوف نلجا ان شاء الله في اثبات الادانة الى ما جاء في التحقيقات التي اجراها القضاء في القضية :

من شهادة الاستاذ فؤاد شيرين :

في ١٨-٢-١٩٥٣ طلب الاستاذ فؤاد شيرين الذى كان محافظا للقاهرة ايام وزارة عبد الهادى للشهادة امام المستشار محمد على جمال الدين الذى انتدب لاجراء التحقيق ، فساله المحقق :

س - الم تعلم باعتقال الشخص الذى كان الشيخ البنا يريد الاقامة عنده ؟
ج - لا . . لان شئون الاخوان لم تكن تعرض على ولا اخطر بها . والسبب في ذلك اننى كنت اختلف في راى السراى والحكومة في موضوع الاخوان . وهذا الخلاف كان ينصب على حل هذه الجماعة . وقد اوضحت للاستاذ حسن يوسف

وكيل الديوان الملكي في ذلك الوقت - وكانت السراى تؤيد الحكومة في موقفها من ضرورة حل الاخوان - فأوضحت له أن ذلك قد يكون له نتائج سيئة ، اذ ان للاخوان هيئة يرجعون اليها في تصرفاتهم ويخشونها ، فاذا حلت الهيئة لم يعد أفرادها يخشون أحدا . . ولكن لم يؤخذ برأىي .

وبعد حل الاخوان ببضعة أيام قابلت الاستاذ حسن يوسف فقال لى : ان جلالة الملك يقول لك « اننا حلينا الاخوان ولم يحدث شيء » . . . وقال المحافظ في التحقيق أيضا انه ليس لديه معلومات عن الرقابة على الشيخ البنا اذ كان ذلك من اختصاص القسم السياسى بالاتفاق مع رئيس الحكومة ووزارة الداخلية .

(ليلاحظ القارئ أن الاستاذ فؤاد شيرين صاحب هذا الرأى المخالف للحكومة والملك ، كان المفروض أن تعزله الحكومة - جريا على سياستها - أو تنقله الى عمل آخر ، لكنها لم تفعل ولم تجرؤ على ذلك حيث كانت تربطة بالسراى صلة قرابة ونسب . . وبهذا نجا الرجل الصالح من بطش الحكومة الغاشمة . وقد يذكرنا موقفه هذا بموقف مؤمن آل فرعون الذى حكى لنا القرآن عنه فقال « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وان بك كاذبا فعليه كذبه ، وان بك صادق يصبكم بعض الذى يعدكم ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب - يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض ، فمن ينصرنا من باس الله ان جاعنا ؟ قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيلا الرشاد) .

من شهادة الاستاذ حسن يوسف وكيل الديوان الملكي

ثم استدعى المحقق الاستاذ حسن يوسف وكيل الديوان الملكي ودار التحقيق معه على الوجه التالى :

س - ألم يدر بينك وبين الاستاذ فؤاد شيرين أى حديث بخصوص جماعة الاخوان ؟

ج - اذكر أن الاستاذ شيرين زارنى وأفهمنى ان من المصلحة تعاون القصر مع الاخوان ، وأنه - بحكم صلته بهم - مستعد لتلقى أى توجيه من الملك . . فأخبرته بأن هذه المهمة تعتبر من المسائل السياسية وأحلتها على رئيس الديوان . . وأذكر اننى بلغت رغباته واقتراحه للملك فقال لى فيما يتعلق باقتراحه الخاص بالاخوان : ان ردك عليه في محله .

س - هل لديك معلومات عن حادث اغتيال الشيخ حسن البنا ؟

ج - أذكر أن الملك انصل بى تليفونيا في مساء يوم الحادث ، وكنت في منزلى . وأظن أننى كنت نائما . وقال لى : هل سمعت الحادث ؟ فقلت له : أى حادث ؟ فقال : الشيخ حسن البنا ضربه بالرصاص . وأذكر أننى قلت لا حول ولا قوة الا بالله وأرجو أن لا يكون قد أصيب وأن يكون الجناة قد نبض عليهم . فقال : لسه ما فيش تفاصيل .

س - هل تعلم ممن تلقى الملك هذا الخبر ؟

ج - أنا ليس لى معلومات بهذا الشأن ، وفيه بوليس سراى لذلك . . وأذكر أنه كان من عادة الملك أن يكون هو البادى بأخبار رجال الديوان بالحوادث الهامة على سبيل الزهو .

من شهادة محمد حسن الامين الخاص للملك :

ثم طلب المحقق محمد حسن الامين الخاص وكان التحقيق على الوجه الآتى :

س - أما كان الملك السابق يبدى تخوفه من الاخوان المسلمين قبل حصول الحادث ؟

ج - ما فيش شك . . انه كان يبدى تخوفه من الاخوان من ناحية ان الجماعة دول راح يقلبوا نظام الحكم .

س - ألم يبد منه ما يدل على رغبته في التخلص من هذا الحزب ومن رئيسه ؟

ج - كان متخونا منهم ، ولكنه لم يبد أمامى رغبة في التخلص منه . وكل ما لاحظته بعد وقوع الحادث انه لم يكن ممتعضا من وقوعه ، بخلاف ما لاحظته عندما قتل النقراشى حيث كان متأثرا جدا في حين انه وقت مقتل الشيخ حسن البنا لم يظهر أى تأثير بتاتا .

س - ذكرت في أقوالك في قضية مقتل الضابط عبد القادر طه أن انضابط محمد وصفى قال انه سينفذ الجريمة أى قتل عبد القادر طه بواسطة ضابط وعسكريين ، فهل ذكر اسم هذا الضابط والعسكريين ؟

ج - لم يذكرهم وإنما أورد هذا في سياق حديثه لاحمد كامل قومندان بوليس السراى ، وسمعت وصفى يقول لاحمد كامل ان دول هم اللى قتلوا الشيخ حسن البنا .

س - ألم تسأله عن أسمائهم ؟

ج - أنا لم أسأله . وما أعرفش. إذا كان أحمد كامل يسأله أم لا . .
ووصفى كان يقول هذا الكلام اعتدادا بنفسه ، ويقول أنا عنيدى رجالة
وفيه عسكريين رايح أنقلهم من الصعيد ، وقال إن دول أولاد قتالين قتله ،
زيقتلوا ولا يهمهم . وقال لنا أهم دول اللي قتلوا حسن البقا عيني عينك
ولم يذكر أسماءهم . . . ووصفى قال كمان إنه بعد ما أصيب حسن البنا هو
راح المستشفى بقصد إنه إذا كان حيا يخلص عليه .

من شهادة أحمد كامل :

ثم استدعى المحقق أحمد كامل قسوم بن بوليس السراي وسأله عن
شعور الملك السابق نحو الإخوان فقال : « كان الملك متخوفا من الإخوان
كثيرا ، لدرجة أنه كلفنى فى ذلك الوقت أن أشدد الحراسة عليه فى تنقلاته ،
وعمل حواجز حديدية على الابواب الرئيسية لسراي القبة وعابدين لاجبار
السيارات انداخنة اليها على الوقوف والتحقق ممن فيها - كما طلب منى
اخراج المستخدمين والموظفين الذين ينتمون الى جماعة الإخوان من
السرايات والتفتيش الملكية - واعتقادتى الشخصى ان هذا الحادث ارتكب
لحساب الملك انسابى والحكومة ،

الثالث :

الاحزاب

[ا] مصر الفتاة :

كان موقف مصر الفتاة موقفا كريما ، وقد وضع للقارىء ذلك من مرافعات
الاستاذ أحمد حسين فى قضايا الإخوان ، كما وضع فى كلمته التى نشرها فى
جريدة المصرى حين رجع الى مصر من زيارة قام بها الى انجلترا .

[ب] اللجنة العليا للحزب الوطنى :

ونحب ان نذكر القارىء بان هذه اللجنة هى شئ آخر غير الحزب
الوطنى . وهى مجموعة من شباب الحزب الوطنى ارادت ان تحصل الحزب
على الاحتفاظ بمبادئه التى وضعها مؤسسها مصطفى كامل فلما يئست من
استجابة كبار رجال الحزب انفصلت عنه وحملت هى مبادئ مصطفى كامل
ورأسها الاستاذ فتحي رضوان .

وهذه اللجنة لم تال جهدا فى الدفاع عن الإخوان حتى فى عفوان المحبة
مخاطرة فى ذلك بمستقبلها ، فلقد كانت الهيئة الوطنية الوحيدة التى تحتاج

لدى حكومة النقراشى باشا على حل الاخوان المسلمين عندما صدر هذا الامر ، فقد نشرت جريدة « المصرى » فى ٨-٢-١٩٥٠ تحت عنوان « اللجنة العليا للحزب الوطنى تعترض على امر حل الاخوان المسلمين » ما يلى :

تلقينا من الاستاذ فتحى رضوان البيان التالى باسم اللجنة العليا للحزب الوطنى :

« حينما نشر الامر العسكرى رقم ٦٣ فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ قاضيا بحل جمعية الاخوان المسلمين ، اذاعت اللجنة العليا للحزب الوطنى بياننا تعترض فيه على هذا الامر على أسس من الدستور . ثم قال : ولم يفت اللجنة أن تقول فى بيانها - الذى لم تاذن الرقابة وقتذاك بنشره - انها لا تحتج على حل هيئة الاخوان المسلمين تشييعا لها ولا تشييعا ضد خصومها ، وانها تصدر فى ذلك الاحتجاج عن حرص على نص الدستور وروحه . . وقد كفل الدستور فى المادة ٢١ للمصريين حق تكوين الجمعيات . . ثم قال :

ونحن نذكر اليوم ما ذكرناه بالامس من أنه لا توجد هيئة سياسية لم ينسب الى أفراد أو جماعات من التابعين لها ارتكاب الجريمة أو الجرائم . وقد صهرت أحكام ضد البارزين فى كل هيئة سياسية فى مصر - ومع ذلك لم يقل احد ان هذه الهيئات تتحمل وزر عشرة أو عشرين من أعضائها .

ولعل من أبلغ الامثلة على أن ما يلقيه التطاحن السياسى على الاحزاب والجماعات السياسية من ظلال الجريمة يكون ظالما أو على الاقل يكون عارضا يزول مع الزمن أن غاندى وهو الداعى الى المساواة قضت عليه محكمة الهند أكثر من مرة على أساس مسئوليته عن جرائم التخريب والشغب والقتل . ونحن لا نزال نذكر أن المرحومين ماهر والنقراشى اتهما بالقتل ولم ترتض بريطانيا الحكم الصادر ببراءتهما . »

[ج] حزب الاحرار الدستوريين :

اما حزب الاحرار الدستوريين ومعه المستوزرون وهم الذين كانوا يسمون بالمستقلين ، فقد سجلوا على انفسهم الخبى والضعف ، لقد كانوا يتهربون من لقاء الاستاذ المرشد العام ، فاذا زار احدهم امضى الجلسة يتلفت يمينا وشمالا خوفا من أن يراه أحد مع الاستاذ المرشد فيبلغ رئيس الوزارة فيغضب عليه . ولقد عبر الاستاذ محمد يوسف الليثى - وقد كان أكثر شخص اتصلا بالاستاذ المرشد فى تلك الحقبة - عن ذلك فقال : ان الاستاذ المرشد كان يحس بمرارة من خسة هؤلاء الناس وجبنهم حين كان يزور بعضهم على أمل ان يجد منهم من يكون وسيط خير بينه وبين الحكومة . ولقد كان يزور واحدا منهم ومعه شقيقه عبد الباسط فاذا بالرجل يفرع ويسال : من هذا الذى يرافقك ؟ فهذا الاستاذ من روعه وقال له لا تفرع انه شقيقى عبد الباسط البنا .

أما موقف حزب الوفد فنرى أن نؤجله حتى توضحه فصول قادمة
إن شاء الله .

[د] الحزب الوطنى :

... والحزب الوطنى - كما سبق لنا الحديث عنه - هو يحكم
نسأله ، وبمقتضى دستوره الذى وضعه مؤسسه مصطفى كامل رحمه الله ،
وارتضاه صحبه وأنصاره . هو أقرب صورة من الاحزاب السياسية - الى
هيئة الاخوان المسلمين - فهو يؤمن بما يؤمن به الاخوان من الرابطة الاسلامية
والامتداد التاريخى الاسلامى والتربية الاسلامية . ولا ازال اذكر حتى
الساعة اننى كنت وأنا صغير اسمع والدى واعمامى - وكانوا يمثلون قيادة
الحزب الوطنى فى رشيد فى ابائه - يتحدثون عن المسرحية التى كلفهم الحزب
بتمثيلها أمام الجمهور ، وقاموا هم بتمثيل الادوار الرئيسية فيها ، وهى
شرح للمشاهدين المعانى الاسلامية العليا والروابط الاخوية بين المسلمين
فى بقاع الارض التى قامت على اساسها الدولة الاسلامية الجامعة الممثلة
فى « الخلافة » .

ولقد تعاقب على زعامة هذا الحزب بعد مؤسسه رجلا ، اولهما محمد
فريد ، وقد سار على نهج زعيمه مصطفى كامل حتى مات مشردا غريبا - ميتة
المجاهدين - وخلفه من بعده حافظ رمضان فتابع سيرة سابقه فى اول الامر
محترزا من فتنة الحكم ، فكان الحزب - مع انحصار عدد مؤيديه - رمزا
للثبات على المبدأ ، وللكناف الحر الشريف العازف عن المغامرات الرخيصة التى
كان الكل فى ذلك الوقت يلهثون وراءها مدعين أنهم يجاهدون .

ومما تجدر الاشارة اليه انه فى خلال هذه الفترة التى نتكلم عنها قد
ظهرت فى أفق السياسة المصرية بدعة المفاوضة فى حقوق البلاد ، فى حين
كانت النغمة التى ضرب على وترها مؤسس الحزب الوطنى وطرب لها الشعب
كله هى « أن لا مفاوضة الا بعد الجلاء » . واقتضى هذا المبدأ أن يقاطع الحزب
مناصب الحكم ما دام الغاصب يحتل البلاد .

فلما ظهر الزعماء الجدد وعلى رأسهم سعد زغلول فتنوا الشعب بنغماتهم
الجديدة ، فتبعوهم مولين ظهورهم للحزب الوطنى آملين أن تتحقق آمال البلاد
بالاسلوب الهين اللين الجديد . ومع توالى الايام صار الوصول الى كراسى
الحكم هو الهدف الاصل للزعماء الجدد ، وتميعت قضية حقوق البلاد .

على أن الحزب الوطنى لم يقف موقفا سلبيًا من الاوضاع الجديدة ، بل
كان له أعضاء فى مجلس النواب من أمثال محمد محمود جلال ، ومحمد فكرى
أبازة ، وعبد اللطيف الصوفانى ، والدكتور عبد الحميد سعيد وعدد آخر من

اضرابهم ، كانوا يزلزلون بمساجلاتهم ومناقشاتهم واستجواباتهم أرجاء هذا المجلس . وكان الناس يترقبون نصوص ما يصدر عنهم في المجلس ليقرأوه بامعان ، حيث مستقر في نفوس الناس أن هذا هو الموقف الجاد . والرأى الاصبوب والتوجيه السليم . . . لانه صادر عن أشخاص عزفوا عن مناصب الحكم وما يلزمها من ضغوط واغراءات - وكان هؤلاء النواب فوق كل هذا موئل كل مظلوم ، وملتجأ لكل من حافت عليه السلطة .

ولكن يبدو أن المسئولين في هذا الحزب قد طال عليهم الامد ، وخيل اليهم أنهم اذا هم ادخلوا بعض التعديل على خطتهم فانهم قد يحققون من أهدافهم الوطنية ما لم يحققوه طيلة عهودهم الماضية - وكان هذا التعديل الذى ادخلوه هو استعدادهم للمشاركة في الحكم مع وجود جيوش المستعمر جائئة على صدر البلاد . وكان في هذا التعديل خروج سافر على شعارهم العتيد ، وتجاوز لمبدئهم القويم . . . ادخلوا هذا التعديل الكبير على خطتهم فانظر ماذا حققوا من وراء هذا التعديل .

ماذا حقق الحزب الوطنى بخروجه على مبدئه الاصيل ؟

١ - كان من اوائل الوزارات التى اشترك فيها الحزب الوطنى وزارة احمد ماهر باشا في ٩/١٠/١٩٤٤ . اشترك فيها رئيس الحزب حافظ رمضان باشا وزيرا للعدل - وكان منحه رتبة الباشوية دليلا على رضا السراى عنه . . . وهذه الوزارة هى الوزارة التى باع بائمين كبيرين : أحدهما داخلى وهو التضامن مع جيش الاحتلال في اسقاط المرشد العام حين رشح نفسه لمجلس النواب في دائرة الاسماعيلية - مما اتينا على تفصيله في الجزء الاول من هذا الكتاب (١) .

والاثم الخارجى الذى باع به هو استجابتها للمستعمر في اعلانها الحرب على المحور ، فكانت بهذا الاعلان قد خرجت على اجماع الامة بجميع احزابها وهيئاتها وطوائفها في وجوب أن تقف بلادنا على الحياد . . . وقد راح رئيس هذه الوزارة ضحية هذا الخروج على اجماع الامة .

فماذا فعل اشترك رئيس الحزب الوطنى في هذه الوزارة ؟ هل استطاع أن يحول بينها وبين التواطؤ مع المستعمر ؟ واذا فرضنا انه حاول ذلك ففشل ، فهل استقال احتجاجا على خطة لا يرضاها ؟ . . . لم يفعل من ذلك شيئا .

٢ - وبعد مقتل احمد ماهر خليفة النقراشى فتولى الرئاسة والداخلية والخارجية ، وأبقى على الوزارة بتكوينها الذى كانت عليه . ومعنى هذا أن

انحزب الوطنى ظل ممثلا فى هذه الوزارة برئيسه ٠٠٠ فماذا فعلت هذه الوزارة
التي تولت الحكم فى اواخر فبراير ١٦٤٥ وماذا سجل التاريخ لها ؟
تم تسجيل لها شيئا وانما سجل عليها اذكرة الزينة المتخاذلة التي
تقدمت بها الى المستعمر للمطالبة بحقوق البلاد بعد نحو عام ضيعته فى
اعدادها ، فكانت على حد قول القائل « سكنت دهرنا ونطق كثيرا » مما أطمع
المستعمر ، وقوى مركزه ، وجعل مصر فى موقف المستجدى لافى موقف المطالب
بحق معتصب - وقد دمغت جميع الهيئات والاحزاب هذه المذكرة بالخزى
والعار .

٣ - ثم ختمت هذه الوزارة النكدة أيامها انغيضة بعار لا يمحى على
الزمن . تلك هى مذبحه كوبرى عباس الثانية التي نوهنا عنها فى الجزء
الاول من هذا الكتاب (٢) ، واصيب فيها ١٦٠ طالبا فقد منهم ثمانية وعشرون
٠٠٠ والفرق بين هذه المذبحه وبين سابقتها فى نفس المكان عام ١٩٣٦ أن
الذى أمر بالضرب فى الاولى ضابط انجليزى ، ولكن انذى أمر بالضرب فى
هذه مصرى هو عبد الرحمن عمار وكيل الداخلية المصرى الذى تتبرأ « المصرية »
منه ومن وزيره الذى فوضه فى ذلك ٠٠٠٠ فماذا فعل رئيس احزب الوطنى
المشترك فى هذه الوزارة ؟

٣ - ثم جاءت بعد ذلك وزارتان اولاهما برياسة اسماعيل صدقى
والاخرى برياسة النقراشى مرة اخرى . ولم يشترك الحزب الوطنى فى
هاتين الوزارتين وان اشترك رئيسه فى وزارة النقراشى ثم استقال - وقد
احسنا الظن آنذاك وقتنا لعل الحزب رأى أنه مخطىء فى العدول عن خطته
الاصيلة بعد أن جرب فعاد عليه الاشتراك فى الحكم بخسران مبين . ولكن
هذا الظن قد اصطدم بتصرف عجيب من الحزب نفسه . فبعد أن أصدر
حزب السبعينين الامر العسكرى بحل الاخوان واغتيال النقراشى على اثره
واسندت الوزارة الى ابراهيم عبد الهادى رأينا الحزب الوطنى يشترك فى
هذه الحكومة بوزيرين هما عبد العزيز الصوفانى سكرتير الحزب ومحمد زكى
على احد كبار أعضائه .

ولا داعى هذه المرة للسؤال الذى نساله فى كل مرة اشترك فيها الحزب
عما فعل اشتراكه الىلاذ من خير ، فان مجرد اشتراكه فى وزارة يعلم الجميع
سمتها والظروف المحيطة بها يثير الفزع ويبعث على الريبة والاشمئزاز ، ثم
ان هذا الاشتراك قد استمر حتى بعد ارتكاب هذه الوزارة جريمة اغتيال
المرشد العام !!!

٤ - ومع كل هذا الذى جنح اليه الحزب من الانغماس فى حماة

(٢) صفحة ٣٦١ .

السياسة المشبوهة فإن الاستاذ المرنشد احام - بما طبع عليه من مرونة ورحابة صدر ، وتقدير لحسن الظن دائما ، والتماس العذر لكل من بدا منه انحراف او تقصير - لم يسيء انظن بهذا الحزب ، ولم يفقد الامل فيه . بل ظل يعتبره في مقام الاقربين الاولى بالمعروف ، والاحق بان يتشاور معهم . . . ثمما صدر الامر الحل كان اول من فكر في التشاور معه حافظ رمضان بابا ، ونحن عن وسيلة لتسوية الامور بين الاخوان والحكومة .

وقبل ان اترك مجال الحديث للاستاذ فتحي رضوان ، الذي كان اشبه انضاء هذا الحزب اتصالا باحداث هذه الفترة ، والصقهم باشخاصها ، واكثرهم معاناة لتناقضها - ارانى مطالبا ان احيط انقارى، علما بما تلاوزارة عبد الهادي من وزارات حتى اصل الى الظروف التي اضطر الاستاذ فتحي رضوان املها الى الكشف عن حقائق كان يجهلها اكثر الناس فيما يتفلسف بقصة الحزب الوطني مع الاخوان وقصته هو ومجموعة من زملائه أعضاء الحزب مع الحزب نفسه .

فقد اسند الحكم بعد سقوط عبد الهادي الى وزارة ائتلافية اشتركت فيها جميع الاحزاب ومنها الحزب الوطني ، كما اشترك فيها مصطفى مرعي مدثلا للمبتدئين ، وكانت برئاسة حسين سري . ثم استقالت هذه الوزارة واثف حسين سري وزارة كل اعضائها محايضون اجرت الانتخابات التي اسفرت عن فوز حزب الوفد ، فانفتت وزارة وفدية برئاسة مصطفى النحاس . فان فؤاد الدين وزير الداخلية بها . . .

وعلى غير ما هو معهود في وزارات الوفد ، ولاسباب لا يعلمها الا الوفد نفسه ، غيرت هذه الوزارة اسلوبها ، واخذت تصانع الملك وتلايئة مما ترضى على السند الوخيد الذي كان يجعل الملك دائما في ضيق من وزارات الوفد حيث كان يتلمس لها الاخطاء ، ويتصيد الفرص لاقالتها والتخلص منها . ولعل هذا الشعور الجديد بين الوفد والملك قد القى في نفوس السعديين واجزاب الاقلية الاخرى الياس من ان تتاح لهم فرصة في المستقبل للاستمتاع بمناصب الحكم ، فمن سيد الوفد المنفذ الذي كانوا ينفخون اليها منه . . . فماذا هم فاعلون ؟

اجتمعوا جميعا وقرروا رفع عريضة موقعة منهم الى الملك . . . يتباحثون فيها على البلاد اما انتشر فيها من فساد في جميع مزارعها ، ويطالبون باصلاحات في كل ناحية . . . ويومنون في خلال فقراتها من طرف خفي الى مواطن ضعف تمس الملك شخصيا . . . وكانت هذه الائمة التي بثها البعديون بالذات بين سطورها هي بيت القصيد والامل الوحيد - كانهم يحددون الملك قائمين : اذا لم تنتبه ايننا وتعرنا التفتاتا فسنجهز بها الى

الشعب - ونحن أعرف الناس بأسرارها لاننا نحن الذين يسرنا لك أمرها
يوم كنا نعمل لحسابك ..

واستطاعت حكومة الوفد أن تحول دون وصول العريضة الى الملك .
فأخذوا في سلوك الطريق الآخر باستجواب قدمه مصطفى مرعى في مجلس
الشيوخ - وهو المستقبل الذى حشر نفسه وسط أصحاب العريضة ولكنه كان
مستوزرا .. وقد كشف هذا الاستجواب حقيقته ، فقد ثبت منذ تلك اللحظة
أنه حليف ابراهيم عبد الهادى ومولاه ويده التى يبطش بها وعقله الذى
يدبر به ويحيك المؤامرات .

وكان الاخوان في ذلك الوقت قد خرجوا من المعتقلات ، وراى الاحزاب
التي نفذت خطة الابداء بعينيها كما رأى غيرهم أن هذه الخطة قد فشلت كل
الفشل . فالاخوان عادوا كما كانوا من قبل قوة وعزما وثباتا وحيوية .. فأخذ
كل حزب يتزلف اليهم ، ويتملص مما هو منسوب اليه من مساهمة في خطة
الابداء أو اعانة عليها .

والآن اترك المجال للاستاذ فتحى رضوان ليروى قصة الحزب الوطنى
مع الاخوان في خلال الفترة العصيبة التى انصهرت في حر نارها المعادن فمازت
الخبث من الطيب :

قصة الحزب الوطنى مع الاخوان

● مساجلة حزبية بين الوفد والحزب الوطنى بصدد الاخوان :

في ٢٦ أكتوبر ١٩٥٠ - في عهد وزارة الوفد - نشرت جريدة الاهرام
تصريحا لفؤاد سراج الدين وزير الداخلية قال فيه : ان الاخوان سيباشرون
نشاطهم قبل مايو المقبل .

وقد سأل مندوب « الاهرام » حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى
في ذلك فجاء في رده : « وقد حاولت جهدى أن أقنع زملائى ممن وقعوا على
« العريضة » المرفوعة الى جلاله الملك بالنص فيها على وجوب الغاء قرار حل
الاخوان ولكنهم لم يوافقوا - ماعدا مكرم باشا - لانهم كانوا في الحكم
عندما صدر قرار الحل .

ولما قلنا لسعادته انه كان عضوا في الوزارة التى أصدرت قرار الحل
اجاب بانه استقال قبل صدور القرار لاسباب سياسية معروفة .. واخذ
يهاجم قرار الحل .

وفي ٢٧ أكتوبر قالت « الاهرام » : تلقينا من الاستاذ عبد العزيز
الصوفانى سكرتير الحزب الوطنى الكلمة التالية « قرات في امرام اليوم

تصريحا لفؤاد سراج الدين باشا نسب فيه الى من يقولون بعودة الاخوان المسلمين الى العمل والبناء أمر حلهم ، أنهم يتملقون هذه الجماعة باعتبارها طائفة من الجماهير - ويسألهم أين كانوا عندما صدر قرار الحل .

ولما كان حضرة صاحب السعادة حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى هو صاحب وجهة النظر بادية الذكر ، فيكون هو المعنى من فؤاد سراج الدين باشا بما قال . ولما كنت سكرتير الحزب الوطنى ، وبحكم هذا المركز كنت أطلع على ما يدور مع رئيس الحزب ، كما كان سعادته يخبرنى أولا بأول بما يجد عنده . . أقرر الآتى :

بعد أن صدر أمر حل جماعة الاخوان المسلمين زار المغفور له الاستاذ حسن البنا المرشد العام سعادة رئيس الحزب الوطنى ليتبادل معه الراى فيما يجب عمله ، وطالب اليه أن يبذل جهده لدى السلطات العليا لصالح الاخوان ، ويعمل على رفع الحيف الذى وقع عليهم بأمر حلهم . . فقام بهذا فعلا . . ورئى أن اللجوء الى الهيئات النيابية قد يضر ضررا بليغا اذا ما وافقت تلك الهيئات على اجراء السلطة التنفيذية فى حل هذه الجماعة .

ان الناس جميعا ومنهم فؤاد سراج الدين باشا يعرفون ان رئيس الحزب الوطنى ليس بالرجل الذى يعمل دون عقيدة حبا فى التملق للجماهير لكسب عطفهم ، لان ما يعمل دائما يصدر عن عقيدة سليمة لوجه الله والمصلحة العامة ، كما يعرف فؤاد سراج الدين باشا بل هو أعرف الناس بهؤلاء الذين يلجأون الى تملق الجماهير والعمل على كسب عطفهم بالطرق الخداعة الملتوية . .

● الاستاذ فتحى رضوان يتصدى لكشف حقيقة موقف الحزب الوطنى من الاخوان فى محنتهم :

وفى ٢٩ أكتوبر جاء بالاهرام ما يلى :

لناسبة مانشرته « الاهرام » عن الاخوان المسلمين لمعالى فؤاد سراج الدين باشا وسعادتى حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى والاستاذ الصوفانى سكرتير الحزب - كتب الينا الاستاذ فتحى رضوان المحامى ورئيس اللجنة العليا لشباب الحزب الوطنى مقالا روى فيه قصة الحزب الوطنى مع الاخوان كما عاصرها . وفيما يلى هذا المقال :

« لما كنت قد اتصلت بالحوادث السابقة على حل الاخوان ، والمعاصرة للامر العسكرى الذى قضى بتصفية نشاطهم ومصادرة اموالهم ، وما تفرغ عن ذلك كله من اضطراب بلغ غايته بمقتل المرحومين النقراشى باشا

والاستاذ حسن البنا ، فقد رأيت أن أضج تحت نظر الناس بعض ما يعين على تاريخ هذه الحقيقة المضطربة حتى يتبين الاخوان المسلمون على ضوءه طريقهم .

في شتاء ١٩٤٨ كنت دائم الاتصال بالمرحوم الاستاذ البنا - وقد أسفر هذا الاتصال عن تفكيره رحمه الله - جديا في أن يكل نشاط الاخوان المسلمين السياسى الى الحزب الوطنى ، وأن يقتصر عمله هو ودعوته على الناحية الدينية البحتة .

ثم وقع الحل فاتخذ المرحوم الاستاذ حسن البنا من مكتبى مكانا يلقي فيه بعض أنصاره ويتصل عن طريقه برجال السياسة والحكومة - وفي أحد الايام أفضى الى أنه يود أن يكل الى هيئة من رجال السياسة المصريين ، حزبين ومستقلين وبعض المستغلين بالشئون العربية والاسلامية بأمر الوساطة بين الاخوان وحكومة النقراشى باشا . وكان يؤمل أن تنجح وساطة هؤلاء الكبار في أن تخفف الحكومة من شدة اجراءات الاعتقال ، وأن تدع نشاط الاخوان الخيرى والدينى وأن تعفى من المصادرة والحل اشركات التى تمارس نشاطا اقتصاديا - وعلم الاستاذ الصوفانى بان الاستاذ البنا عندي بالمكتب ، وأننا نتداول فيما نشأ عن أمر الحل ، فحضر الينا واشترك في الحديث الى ساعة متأخرة .

وأحفظنا علما بما كنا فيه من التفكير في دعوة لجنة من الكبار تبسط للحكومة رأى الاخوان ، وتسعى بينهما بالخير والتوفيق . وأضاف الاستاذ البنا أنه كان يطمح في أن يقوم حافظ رمضان باشا بدعوة هذه اللجنة بداره، وأن يوجه هو الى أعضائها الدعوة . وأخذ الاستاذ الصوفانى كشفا بأسماء أعضاء اللجنة ووضع في جيبه . وفي اليوم التالى ذهب الى حافظ رمضان باشا وعرض عليه الفكرة والكشف . فنصح حافظ باشا بان يصرف النظر عن المشروع كله - وكان هذا آخر عهد المرحوم الاستاذ البنا بالاستاذ الصوفانى ورئيسه حافظ باشا .

وكان رحمه الله يتفضل بزيارتي كل ليلة بالمكتب . وكانت بداية الحديث بيننا قوله لى مداعبا « ماذا فعل الباشا لنا وبنا . . نسينا أم غضب علينا ؟ » وكنا نضحك . وكنت أقول له : أما قلت لك ان الخلاف بينك وبين الحكومة خلاف مبدئى لا تنفع فيه وساطة الوسطاء . وكنت نقول : هذا باب مفتوح يجب أن نطرقه حتى لا نكون في نظر الناس قد قصرنا في شىء .

وعين الاستاذ الصوفانى وزيرا بعد مقتل النقراشى باشا ، واشتدت وطاة الحكومة على الاخوان ، وضاق صدرها بمن يتصلون بهم او يدافعون

عنهم • فرأيت من جانبي ان ارجو معالي مصطفى مرعى بك ان يلتقى الاستاذ
البنى ويستمع اليه • وتوسطت في تحديد ميناء لهما • وكان عدان عاتهما في
منزل مصطفى بك • • وذهب المرحوم الاستاذ البنى الى ابيعاد ومعه ستيقه
الاستاذ عبد الباسط • وكان الاستاذ البنى يحمل معه مسدسه الرخص •
فتجمل باعطاء الشهدس لاختيه حتى لا يلتقى انوزير مسلحا • وخصوصا في تلك
الايام الحرجة • وتحدث هو ومصطفى بك طويلا • واستمع اليه مصطفى بك
ونزلا معا • فاذا بهما يجدان العسكري الحارس على دار مصطفى بك فقام القى
القبض على الاستاذ عبد الباسط فامر مصطفى بك العسكري باطلاق سراح
عبد الباسط • • ووصل نبدأ كل هذا الى السلطات فأحرق بعضهما على مصطفى
بك وأحرق الجميع على •

وعين الاستاذ الصوفاني وزيرا • وهو كما مر بك كان يلتقى الاستاذ
البنى • وكان لا يكره ان يتوسط للاخوان عند رئيسه حافظ باشا • وكان يعرف
ان ما بينى وبين الاخوان ومرشدهم قبل وفاته هو الخفاف عن انخريه كميدا •
ومشايعة الاخوان كفكرة وطنية تدفع الاستعمار • • فكم كان غريبا ان اسمح
ان • معاليه • ذهب الى مكتب دولة رئيس الوزراء بنقل اليه ما انصل بعلمه
من أبناء تعاوني مع الارهابيين من الاخوان • •

ولما كانت الاقدار قد ساقطت الاستاذ مصطفى مرعى بك فقد استمع
الى هذا الحديث • وأدهشه أن يكون للاستاذ الصوفاني من مصادر الاخبار
مالم يتوافر لرئيس الوزراء نفسه ووزير الداخلية بالذات • وراى ان خير
ما يصرف به هذا الحديث • الخطير • هو ان يسأل عن راي الاستاذ
الصوفاني في بيان اللجنة العليا - انتهى انتدرف برياستها - في الاحكام
العرفية ومحاولة مدها • • وأدرك رئيس الوزراء ان بين راي اللجنة اعنيا في
الاحكام العرفية والاخبار التي وصلت الى علم انوزير الصوفاني بك صلة
لا تخفى على لبيب •

وعرض امر الاحكام العرفية على مجلس الوزراء • وانقسم المجلس
الى فريقين : فريق يرى مدها ستة أشهر • وفريق يرى اطالة عمرها عاما • •
وكان من راي وزيرى اللجنة الادارية التي يرأسها حافظ باشا رمضان بن
يطول عمر الاحكام العرفية عاما • • وكان معنى ذلك ان تطول مدة اعتقال
المعتقلين عاما على الاقل •

ولا يفونك ان البرر الوحيد عند الحكومة في ذلك الحين لابقاء الحكومة
على الاحكام العرفية هو جهادها ضد الاخوان المسلمين ودعوى اضطراب
الامن • ولم يكن ثمة سبب لأضطراب الامن عند الوزارة الابراهيمية
الا الاخوان ونشاطهم • اللعين • •

فإذا أضفت الى هذا كله أن القبض والاعتقال والتفتيش العسكرى والتشريد العرفى استمر فى عهد وزارة ابراهيم عبد الهادى كله ولم ينقطع يوماً ، وأن وزيرى اللجنة الادارية المتشرفة برياسة حافظ باشا فى وزارة ابراهيم باشا بقيا الى آخر عهدهما - أمكن لك أن تعرف مدى عطف الاستاذ الصوفانى ورئيسه على الاخوان ، ومدى اعتقادهما فى صحة المثل الاعلى الذى تدافع عنه هيئة الاخوان وتؤمن به ، •

● ملاحظات على بعض ما جاء فى حديث الاستاذ فتحى :

أولاً - تفكير الاستاذ المرشد العام فى أن يكل نشاط الاخوان السياسى الى الحزب الوطنى ، واقتصراره هو على الناحية الدينية البحتة ، أمر لم يكن لى به سابق علم حيث كنت فى ذلك الوقت بعيداً عن القاهرة ، ولكننى لا أستبعد ، فالاستاذ رحمه الله كان رجلاً لمببياً مرناً ، واسع الحيلة المعيا ، وكان قد رأى غيوم المؤامرات - التى أومأنا اليها - تتجمع فى الافق حتى أوشكت على سده •• فأراد بهذا الاسلوب أن يشق لدعوته منفذاً تنفذ منه مؤقتاً ، قبل أن تطبق عليها هذه الغيوم اطباقاً كاملاً فلا تجد منفذاً •• حتى اذا أثقلت من هذا الاطباق عملت بعد ذلك على تفتيت هذه الغيوم واسترداد ما وزعته من مسئولياتها الثقالة فى أثناء تفادى الاطباق •

والا فهو - رحمه الله - كان خير من يعلم أن فصل ما يسمونه « السياسة » عن الدين أمر لا يمكن تصوره بالنسبة للإسلام ولا فى الخيال ، كما كان يعلم أيضاً أن الحزب الوطنى بتركيبه الذى كان عليه فى تلك الايام لا يصلح لحمل مثل هذه المسئولية •• ولعله - رحمه الله - كان يهدف من وراء ذلك أن يدخل الطمانينة الى نفس الملك الذى كان أحد الاصابيح المحركة فى جهاز المؤامرات المتريصة بالاخوان خوفاً منهم - ويعلم أيضاً - رحمه الله - أن الحزب الوطنى فى أسلوبه المستورز الجديد أصبح من الاحزاب المرضية عنها من الملك •• ولكنه أى هذا الحزب لا زال على كل حال أقلها سوءاً •

ثانياً - جاء بصدد الوزير مصطفى مرعى فى حديث الاستاذ فتحى ذكر واقعة تعرض لها الاستاذ محمد الليثى فى حديث له نشر « بالاهرام » بعد حديث الاستاذ فتحى •• وربما نقلنا بعض هذا الحديث وشيكا ان شاء الله لما فيه من أضواء القاهما الاستاذ الليثى على شخصية الاستاذ مرعى وما لعبته من أدوار فى قضية اغتيال المرشد العام •• وأستطيع أن أقول ان الواقعة التى أوردتها الاستاذ فتحى فى حديثه عن الاستاذ مرعى •• ربما كانت واقعة بذاتها تمت عن طريق الاستاذ فتحى دون علم الاستاذ الليثى ، وانها وقعت قبل أن تبدأ اللقاءات الرسمية التى كلف بها الاستاذ مرعى من رئيس الوزراء والذى تمت فى منزل اللواء صالح حرب •

ثالثاً - بمناسبة ما ذكره الاستاذ فتحي عن رأى وزيرى الحزب الوطنى فى وزارة عبد الهادى بصدد مد الاحكام العرفية . . نضيف ان أحد هذين الوزيرين وهو محمد زكى على باشا كان وزيراً أيضاً فى وزارة حسين سرى باشا التى خلفت وزارة عبد الهادى . وعلنت هذه الوزارة أنها ستعود بالبلد الى حالتها الطبيعية . وكان مفهوماً أن الحالة الطبيعية هى رفع الاحكام العرفية ، غير أنها توانت فى ذلك . فشنت جريدة المصرى حملة ضد إبقاء الاحكام العرفية . . وكانت هذه الحملة فى صورة استفتاء للرأى العام فى هذه القضية . وقد وجهت السؤال فى هذا الشأن الى عدد كبير من رجال يمثلون قطاعات الرأى العام . وقد استمر الاستفتاء نحو أسبوعين .

وفى نهاية المدة كتبت « المصرى » تلخص نتيجة الاستفتاء فقالت - وكان ذلك فى ٢٥-١٠-١٩٤٩ - :

« الآن بقى ان نذكر من امتنع عن الاجابة على سؤالنا : معالى محمود غالب باشا (سعدى) - معالى على أيوب بك (سعدى) معالى محمد زكى على باشا (وطنى) - الدكتور نجيب محفوظ (طبيب) . . . »

وعلقت الجريدة على اجابة محمد زكى على باشا حين رد على سؤال الجريدة بصدد الاحكام العرفية بقوله : « ليس لى رأى » . . . فقالت الجريدة: كم كنا نتمنى أن يكون لماليه - وهو الوزير المسئول - رأى فى هذه المسألة ، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه .

وهذا الوزير كان فى ذلك الوقت وكيلاً لجمعية الشبان المسلمين . فلما مثل للشهادة أمام المحكمة فى ١٨/١١/١٩٥٣ - بعد طرد معبودهم فاروق - واخذت المحكمة فى توجيه الاسئلة اليه بشأن الاستاذ حسن البنا ، كان هو الشاهد الوحيد الذى أخرج منديله ليمسح دموعه التى ذرفها حزناً على فقده ، وحين سئل فى المحكمة عن أخلاقه قال : أخلاقه . . هو حد يشك فى أخلاقه . . ؟

وكانت مفاجأة أن سمحت المحكمة لشاهد آخر هو الاستاذ محمد الليثى بمواجهة هذا الشاهد . فقال الليثى : « أنا لم أذهب الى الاستاذ محمد زكى على بمكتبه بالوزارة الا بناء على توجيهه من الاستاذ عبد القادر مختار والدكتور يحيى الدرديرى ، لانى أعلم أن الاستاذ زكى على كان غير موافق على حضور الشيخ البنا الى الجمعية بعد حل الاخوان . واننى لم أذهب اليه لاستشيره بل ذهبت اليه لاستعين به بوصفه وزيراً لكى يمكننى من الادلاء بأقوالى فى النيابة . . ولكنه قال لى انه لا يستطيع أن يفعل ذلك لانه وزير . وانه لم يقل لى كل الحقيقة ، بل قال لى انهم يقولون ان هذا رجل مجرم ويقصد بذلك الشيخ البنا - ولكن ما فيش مانع انك تقول الحقيقة . »

ولما استدعته النيابة لسماع اقواله فى هذه الواقعة غضب على وابدى

استيائه لاننى ذكرت اسمه فى التحقيق ، وأعرب عن هذا الشعور عندما طلب منى اللواء صالح حرب فى إحدى المناسبات أن يجلس فى مكتبي فلم يقبل وقال: خذ الله ما بينى وبينه .. وذلك بعد أن سمع شهادتى أمام المحقق . وأنا لما نشرت بيانات عن الحادث فى جريدة مصرى احتج الاستاذ زكى على فى مجلس الإدارة وطلب فصلى فلم يوافقه الاعضاء .

وأما عن زعل الاستاذ زكى منى فلم يكن لاجل تغيير النمرة ، وإنما لاننى عرضته لغضب الاستاذ ابراهيم عبد الهادى عندما كان رئيسا للوزارة .

وهنا رد الاستاذ زكى على قائلا : اننى لم اكن اكره الشيخ البنا بل اننى كنت أعلم أن الشيخ البنا يريد أن يدمج الاخوان والشسيان فى جمعية واحدة ، وأنا كنت ضد هذا رأى لان مبادئنا تختلف عن مبادئهم .

[٥] الاستاذ مصطفى مرعى :

أما وقد أفردنا فصلا لتقييم أشخاص وإبراز مواقف فى صدد ما نعالج من أحداث تلك الفترة ، فما ينبغى لنا أن نغفل شخصية هذا الرجل الذى رضى لنفسه أن ينعب الدور الذى أترك الحكم عليه للقارىء بعد أن أضح بين يديه الوثائق التى لن تكون من الوفرة والوضوح كما كان ينبغى أن تكون ، لأن الدور الذى أتم تمثيله وقع أكثره فى الظلام الدامس الذى غطى رداؤه الاسود سماء البلاد أكثر من عام .

والاستاذ مصطفى مرعى محام كبير اختاره ابراهيم عبد الهادى فى وزارته المشؤومة وزير دولة .. ولم يكن هو وحده وزير الدولة فى هذه الوزارة . ولكنه كان من بين وزراء الدولة فى هذه الوزارة الوحيد الذى اختير لذاته ، فقد كان زملاؤه مرشحين من أحزابهم أما هو فلم يكن متعجبا لحزب .. وإذا اختار ابراهيم عبد الهادى فى وزارته تلك التى يعلم فى وزارة نفسه المهمة المنوط بها انجازها - والتى عرفها الناس فيما بعد - إذا اختار عبد الهادى لهذه الوزارة وزير دولة لذاته - فى ظل تلك الظروف - فانما يفتقيه على أساس من صفات معينة ، ومقدرة خاصة تتلائم والمهمة الموكول الى الوزارة القيام بأعبائها .

ومهمة هذه الوزارة معروفة .. وإذا كان هناك من خامره شك فى معرفتها ، فقد سجل التاريخ وسجل القضاء نوعها ومدى ارتباطها بما تم فى أيامها من جرائم .

● كيف اختار عبد الهادى مرعى وزيرا ؟

اختار عبد الهادى هذا الوزير اختيارا شخصيا بحتا ، لما يعلم من

كفأته الفائقة لما رشحه للنهوض به من أعمال خطيرة ، يتوقف على انجازها مستقبل هذه الوزارة ومستقبل رئيسها . . . وقد اجتهد لنفسه واثمنه على اخص خصائصه ، فكان هو رئيس الوزراء والحاكم العسكري انعام وزير الداخلية ، وكان عبد الرحمن عمار - بطل مذبحة كوبرى عباس الثانية - هو وكيل الداخلية للامن العام ، وكان انور وزير المختار وزير دوله بنوطا به الاشراف على الامن العام . . . وقد اثبت القضاء ان في ديوان هذه الوزارة - وزارة الداخلية - وفي مكاتب ادارات الامن العام بها ، قد حيكت المؤامرة التبنية لاعتقال المرشد العام .

وربما لم يكن في وثائق تاليف وزارة عبد الهادي ما ينص على تعيين مرعى وزير دولة لشئون الأمن العام . ولذا الاحداث ومجريات الامور هي التي وضحت مهمه هذه من بين زملائه وزراء الدولة بالحكومة ، فقد جاء في شهادة الاستاذ محمد زكي على وزير الدولة بهذه الحكومة امام المحكمة قوله : « انشيخ البنا جاني اثناء كفت وزير دولة ، وقال لي : اجب ان تكلم برئيس الوزراء فيما يتعلق بالاخوان فقلت له : انا مش مختص ، وفيه وزير مختص » . فسأله رئيس المحكمة : امال مين اختص ؟ فاجاب : الاستاذ مصطفى مرعى . ومعنى ان وزير دولة بوزارة عبد الهادي هو المختص بشئون الاخوان معنى ذلك انه هو المختص بشئون الامن العام لانهما في عهد هذه الوزارة كانا مترادفين .

● حكومة الوفد مخبت الخبثاء من دسح قضية الامام :

وقد توالت على الحكم بعد سقوط عبد الهادي وزارتان برياسة خنيين سرى ، ثم جاءت وزارة الوفد فوجدت نفسها امام عائلين شديدي الضغط عليها ولكنهما متعارضان : ضغط شعبي جارف يطالبها بفتح باب التحقيق من جديد في قضية اغتيال المرشد العام . . . هذا من ناحية . ومن الناحية الاخرى وجود الموصوف الاول بهذه الجريمة - الملك - على رأس الدولة وهو المسيطر على شئون البلاد . . . وكان خروج هذه الوزارة من المازق ارضاء لمشاعر الناس ومصانعة للملك ان امزت الإنابة باستئناف التحقيق وأوعزت انيها فاصدرت في نفس الوقت امرا بحظر نشر اى شىء عن هذا التحقيق . . . فكان امر الحظر هذا بمثابة إفقاد هذا التحقيق قيمته ، فاذا كان هذا التحقيق قد اتاح لبعض الشهود البراء من كل عرض كالأستاذ الليثى ان يقول ما عنده كما رأى وسمع ، فانه كان مجالا فسيحا في نفس الوقت للمعرضين ان يزيفوا انحقاق ويزوروا الوقائع بالطريقة التي تحقق اغراضهم وتطمس العالم ، بحيث يهيم للمجرمين غرض الافلات ، ويلقى بظلال الجريمة على البراء . . .

كان امر الحظر الذى أصدرته النيابة حماية لهؤلاء المزيفين ، فقد كانوا فى مامن من أن يفتضح زيفهم فأنى للناس أن يكشفوا هذا الزيف مادام محجوبا عنهم ٩ ١

ولكن عاملا جديدا لم يكن بحسبان رجال الحكم قد طرأ على الموقف ، ذلك أن القضايا التى لفقها المسئولون فى عهد عبد الهادى ضد بعض الاخوان قد حل ميعاد نظرها أمام القضاء العادى - بعد أن زالت الاحكام العرفية - وقد طالبت هيئات الدفاع فى هذه القضايا بضم ملف التحقيقات التى أجريت فى قضية اغتيال المرشد العام . وامرت إحدى هذه المحاكم بضم هذا الملف مع طبعه وتوزيعه على أفراد هيئة الدفاع . وعن هذا الطريق افتضح السر الذى كان المتسترون على الجريمة يريدون أن يظل دفيناً .

● المراحل التى مر بها التحقيق فى القضية :

ونحب بهذه المناسبة أن نلفت النظر الى أن التحقيق فى هذه القضية قد تم على ثلاث مراحل :

المرحلة الاولى : فى عهد وزارة عبد الهادى وحين كان محمود منصور نائباً عاما ، وقد طوى التحقيق بعد أيام قلائل حيث لم يجرؤ أحد - أمام الارهاب الحكومى - على التقدم للشهادة . وقيد الحادث جنائية ضد مجهول .

المرحلة الثانية : فى عهد وزارة الوفد . وقد تم التحقيق بالطريقة التى ذكرتها آنفا ، وقد استحق أن يقال عنه انه كان تحقيقا يجرى على استحياء ، فقد تستر صانعو الجريمة وراء قرار النيابة بحظر النشر وراحوا يختلفون قصصا كلها تزوير وكذب واقتراء .

المرحلة الثالثة : بعد أن قامت الثورة وطرد الملك فاروق . وقد تم التحقيق فيها ، ولكن طول المدة التى مرت بين ارتكاب الجريمة وبداية التحقيق فى هذه المرحلة لم يتمكن التحقيق معها أن يصل الى أغوار القضية ، وإن كان كشف الكثير من ظروفها . . . وهو التحقيق المعول عليه ، والذى ننقل عنه فى بحثنا هذا من أقوال وشهادات .

● ادعاءات للاستاذ مرعى داحضة ومريبة :

وقبل أن نورد من أقوال الشهود وأقوال الاستاذ مرعى نفسه ما يلقى ضوءا على حقيقة دوره ، نوجز فى النقاط التالية بعض ادعاءاته التى ادعاها وتبين مخالفتها للحقيقة :

١ - ادعى امام المحقق وامام المحكمة انه لم يكن له سابق معرفة بالمرشد العام الا ما كان ينشر عن نشاطه . . .

وثابت ثبوتا قطعيا أن شقيقه المرحوم الاستاذ أمين مرعى الحامى

بالاسكندرية كان رئيسا للاخوان بها في فترة خلال الاربعينيات ، وانه سرحمه الله - دعا المرشد العام لزيارة موطن أسرتهم وهي قرية من أعمال مركز فوه في البر المقابل لرشيد من النيل ، وكان والدهما رحمه الله عمدة هذه القرية . وقد حضر هذا الحفل جميع آل مرعى كما حضره عدد كبير من اخوان رشيد .

فهل مثل مصطفى مرعى شقيق المرحوم امين مرعى يجوز له ان يدعى انه لا يعرف المرشد العام ولا يعرف عنه الا ما يقرأه في الصحف ؟ نعم ان شقيقه قد فصل من منصبه في الاخوان بعد ذلك ، ولكن ليس معنى هذا ان الفصل من منصب يمحو حقائق التاريخ .

٢ - ادعى امام المحققين ان الاستاذ المرشد هو الذى رغب في مقابلته فوسط اللواء صالح حرب في ذلك . . . وقد كذبه في ذلك الادعاء الاستاذ محمد الليثي كما كذبه اللواء صالح حرب نفسه . اذ قرر ان الاستاذ مرعى هو الذى رجاه ان يهين له مقابلة المرشد العام في بيته ، وقد تمت المقابلة فعلا في بيت اللواء وتكررت ، وكل مرة كانت تتم بناء على طلب الاستاذ مرعى .

٣ - ادعى امام المحكمة انه لم يأخذ من المرشد العام بيانا عنوانه ، ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين ، ثم ادعى انه لا يعرف شيئا عن هذا البيان ولم يسمع عنه . . . وقد كذبه في ذلك الاستاذ محمد الليثي واللواء صالح حرب .

٤ - لما أنكروا انه لم يسمع عن هذا البيان قالت له المحكمة انه نشر في الصحف ، فادعى انه لا يقرأ الصحف . . . ولعل القارى يرى معنى ان هذا ادعاء لا يستحق صاحبه حتى ان يكذب (بتشديد الذال المفتوحة) .

٥ - ادعى امام المحكمة انه انما كان مجرد وزير دولة في وزارة عبد الهادى لا يعرف شيئا عن أعمال الوزارة . وقد كذبه في ذلك الاستاذ الليثي بعبارات صدرت منه تفيد انه كان الوزير المسئول عن الامن العام ، وبشهادة زميله الاستاذ محمد زكى على بانه كان مختصا بشئون الاخوان .

● أضواء كاشفة على دور مرعى من شهادة الشهود ومن شهادته نفسه :
والآن نورد من أقوال الشهود ومن أقوال الاستاذ مرعى نفسه ما يؤيد ما جاء في هذه البنود الخمسة :

□ من شهادة الاستاذ عبد الكريم منصور :

« ان المرشد رغب في السفر الى مكان آخر غير القاهرة ، ولكن الحكومة تعطلت على ابقائه فيها ليسهل اغتياله ، رأتخت مصطفى مرعى كاداء صيد

ثم أخذ مرعى بأساليب ملتوية ممقوتة للعمل على إبقائه في القاهرة . موهما
أياه بأن الحكومة ستلغى أمر الحل وتعيد الأمر إلى ما كان عليه معهم .

فسأله المحكمة : يعنى ايه الطرق الملتوية ؟

فأجاب : كان يومه بأنهم جادون في إعادة الإخوان ويقول له : بس
لو سمحت تكتب بياناً صغيراً لظاهر حسن نية الإخوان . وكان يملأ عليه
بعض اللفاظ ويعارض فيها الشهيد ، وكان يحاول اقناعه بمختلف الأساليب
لكتابة هذا البيان . وبمجرد ما كتب أخذه مرعى وأعطاه لرئيس الحكومة
فعدلوا فيه وأحضره للشهيد وأقنعه بالتعديل ووقعه الشهيد . ثم أخذه
وأعطاه لقاتل النقراشى وقالوا له . شوف الشيخ حسن البنا بيقول ايه
حتى يزلزلوا عقيدته .

ثم قال : ودليل خبث سريرة مصطفى مرعى وسوء نيته أنه كان غير
كريم في موقفه ، فقد افترى على الشهيد أقوالاً لم تحدث إطلاقاً ذكرها في
التحقيقات (في المرحلة الثانية) . والشهود الذين استشهد بهم مصطفى
مرعى مثل صالح حرب كذبوه في أقواله . مما يدل على أن هناك مسألة
مبيتة وأن الأمور لم يكن المقصود منها مفاوضات ، .

□ ومن شهادة الاستاذ محمد الليثى :

« بناء على تكليف اللواء صالح حرب لى ، اتصلت تليفونيا في أوائل
الأمر قبل محاولة نسف المحكمة - بالرموز المتفق عليها - بالاستاذ البنا وقلت
له : ان الباشا (صالح حرب باشا) يطلبك . فحضر وقابل صالح باشا
الذى أفهمه أن مصطفى مرعى اتصل به ويريد مقابلته في منزل اللواء الساعة
الخامسة مساءً . فلما تم هذا الاجتماع علمت أن مرعى طلب من الشيخ
البنا إصدار بيان يستنكر فيه قتل النقراشى ، ووافق الشيخ بشرط أن تنقذ
حركة الاعتقالات . فردت الحكومة البيان طالبة منه التبرؤ من الإخوان . .
وأخيراً صدر البيان لكن الحكومة اعتبرته ناقصاً لايفى بالغرض المطلوب . . .
وبعد وقوع حادث محاولة نسف المحكمة تكررت اتصالات مصطفى مرعى
باللواء صالح حرب للتفاهم على الأوضاع وأمر المعتقلين . . . وتبرم الشيخ
من هذه الاتصالات غير المجدية ورفض مقابلة مرعى خصوصاً بعد حادث
المحكمة . . . واقترح مرعى أن يقابله في منزله . . . وأخيراً اجتمع به وأصدر
الاستاذ البنا أمرى بيان « ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين » - ورغم ذلك كله
زادت حركة الاعتقالات . . . وتضايق الشيخ من مرعى لأنه أحس بأنه يكلمه
بلهجة الأمر لموظف لديه ، وشعر الشيخ بأن الأمور تزداد سوءاً ، .

□ ومن مقال للاستاذ الليثى بجريدة الاهرام :

وقد نشر بتاريخ ١١/٣/١٩٥٠ قال الاستاذ الليثى :

« وقد لعب سعادة مرعى بك في قضية الاخوان دورا خطيرا اكتنفه الغموض التام ، على الرغم من أنه لم يكن له اى اتصال سابق بالاخوان الا ما عرف من أنه شقيق الاستاذ امين مرعى رئيس جمعية الاخوان بالاسكندرية والذي أصدر فضيلة الاستاذ البنا قرارا بفصله من رياسته لهذه الجمعية في عام ١٩٤٧ .

ولقد ترتبت على اتصالات مرعى بك بالاستاذ البنا نتائج خطيرة ، مما جعل الامور تسير من سوء الى أسوأ . ونقل الى الاستاذ البنا أن مرعى ينقل عنه اقوالا لم ترد على لسانه ، مما زاد موقف الاخوان سوءا على سوء . وقد ايد ذلك ما جاء على لسان مرعى في أثناء تحقيق قضية مصرع الشيخ البنا . اذ قال مرعى في ذلك التحقيق اقوالا يمنع حظر النشر في هذه القضية من اذاعتها هنا (نشر هذا المقال في الوقت الذى كان لا يزال ساريا حظر النشر لما يدور في أثناء التحقيق) ولكنها تسمى بغير شك الى ذكرى الاستاذ البنا ، وتهدف الى اهدار دمه ، فقد اراد أن يدخل في روع المحقق أن الاخوان هم الذين قتلوا الاستاذ البنا . »

□ ومن مقال آخر للاستاذ الليثى :

وقد نشر هذا المقال أيضا في جريدة الاهرام في ١١/٧/١٩٥٠ ولكنه تميز بتفصيل ومعالجة امور خطيرة بالغة الاهمية جاء فيه ما يلى :

« وبعد أن وقع حادث محاولة نسف محكمة الاستئناف المؤسف ، والذي كان له أسوأ الاثر في نفس فضيلة المرشد ، طلب مرعى من فضيلته أن يصدر بيانا آخر لنشره بالصحف يقول فيه بصراحة (انه يعتبر اى حادث من هذه الحوادث يقع من اى فرد سبق له الاتصال بجماعة الاخوان موجها الى شخصه ولا يسعه - اى الاستاذ البنا - الا أن يقدم نفسه للقصاص ، أو يطلب الى جهات الاختصاص تجريدته من جنسيته المصرية التى لا يستحقها الا الشرفاء الابرياء) .

ولقد أوجد حادث محاولة نسف المحكمة جوا صالحا مكن مرعى من الوصول الى ما يريد من بيانات يود الحصول عليها . . . وقد صدر البيان موقعا عليه من فضيلته بعنوان « ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين » .

البيان لا ينشر في موعده

وتسلمت الحكومة البيان ، ولكنها بدلا من أن تنشره في اليوم التالى لحادث نسف المحكمة نشرته في اليوم التالى لحادث اغتيال الشيخ البنا . .

ثم قدمته لجهات التحقيق زاعمة أن الاخوان المسلمين هم الذين قتلوا شيخهم
لاصداره هذا البيان .

ولعل هناك حكمة لا يعلمها الا علام الغيوب ثم مرعى بك في ان يظل
هذا البيان حبيسا شهرا كاملا ، وأن لا يفرج عنه الا لى تنشره احدى
الصحف (« الاساس » صحيفة السعديين) بالزنكوغراف تحت عنوان
« النار بدات تأكل بعضها - الارهابيون ينقلبون على شيخهم » .

خطاب مفترى بشأن تسليم الاسلحة

ونشرت هذه الصحيفة أيضا قصة خطاب آخر قالت ان فضيلته ارسله
قبل مصرعه بيومين الى الحكومة ، وأعلن فيه استعدادة لتسليم محطة
الاذاعة السرية التي تتحدث باسم الجماعة واستعدادة لتسليم الذخائر
والاسلحة الباقية لدى بعض اخوانه ولم تقع تحت يد البوليس حتى الآن .

وانى لأعلن هنا أن قصة هذا الخطاب غير صحيحة . وأؤكد أن فضيلته
لم يرسل مثل هذا الخطاب ، وأنه قد صرح لى بأنه أبان لمن تحدثوا اليه من
ممثلى الحكومة في هذا الشأن بأنه لا يعلم شيئا مطلقا عما يسمى أسلحة
ودخائر أو محطة سرية .

لماذا لم ينشر الخطاب المزعوم ؟

وكان من الطبيعى أن تهتم الصحيفة المشار اليها بنشر صورة
زنكوغرافية للخطاب الذى ادعت فيه أن فضيلته أبدى استعدادة لتسليم
الاسلحة ومحطة الاذاعة ان كان لهذا الخطاب وجود - ولكنها لم تفعل .
واذا كان فضيلته قد ارسل هذا الخطاب فما الذى كان يدعو رئيس
الحكومة في ذلك الوقت الى أن يرسل في يوم ١٢ فبراير - وهو يوم مصرع
فضيلته - مندوبا من قبله ليتباحث مع الشيخ في مسألة ضرورة تسليم
الاسلحة والذخائر والمحطة ؟

تهديد الشبان المسلمين

ويقول الاستاذ الميثنى : عقب صدور قرار الحل ذهب اللواء صالح حرب
وعبد القادر بك مختار والدكتور يحيى الدريوى الى الاستاذ البنا في منزله
وقالوا له : اعتبر دار الشبان هي دار الاخوان . وفي اليوم التالى حضر
الاستاذ البنا الى دار الشبان . فلما علمت الحكومة بذلك اتصلوا بصالح
حرب وقالوا له : ان هذا تحد لامر الحل . واذا لم تمنعوه من دخول الدار
فسنطبق عليكم بنود هذا الامر . فاصر صالح حرب وقال لى : اخل حجرة

مكتبك للاستاذ البنا ، ولكن حاول أن لا يجتمع معه في المكتب أكثر من ثلاثة أشخاص حتى لا يجتمع أكثر من خمسة فيطبق عليه قرار الحل . وقال لى : لا تدع الاستاذ البنا يعلم بشيء مما دار بيننا وبين الحكومة بشأنه . . . وقد اشترك الاستاذ البنا في الجمعية ودفع اشتراك خمس سنوات ماضية حيث انه من مؤسسى الجمعية » (انتهى مقال الليثى) .

● ومن شهادة الاستاذ مصطفى مرعى امام المحكمة :

وكان للاستاذ مرعى قد بدأ شهادته بقوله « كنت في وزارة عبد الهادى وزير دولة فقط . وعلى هذا لم يكن لى علم بنشاط الحكومة بخصوص القبض على الاخوان أو غيرهم ، لان هذا هو شأن وزارة الداخلية وحدها . . . وفي الاسبوع الاول من وزارة عبد الهادى اتصل بى السيد صالح حرب وأقهرمنى أن الشيخ البنا يطلب أن يجتمع بى فقلت له لماذا ؟ قال : لاشياء يريد أن يصارحك بها حين يلتاق . . . فانا لم أعرف عن الشيخ البنا الا ما أسمعته عن نشاطه ولم أكن أعرفه شخصيا ، ومع ذلك استجبت لطلب صالح حرب . ثم أنهى الاستاذ مرعى شهادته بأن ادعى أن الاستاذ البنا هو الذى طلب من تلقاء نفسه أن يكتب بيانا . . . وجاء في مناقشة الدفاع له : ألم تقرأ جريدة المصرى بعد حادث الشيخ البنا ؟ .

مرعى - لا أذكر .

الدفاع - ازاي دى أكبر جريدة . . أو لا تذكر واقعة مصادقتها ؟

مرعى - لا . . انما أذكر أن جماعة من نقابة الصحفيين شكوا الى من شدة الرقابة .

المحكمة - ماذا تعرف عن البيان الثانى الذى أذاعه المرشد بعنوان « ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين » ؟

مرعى - لا أعرف عنه شيئا .

المحكمة - ألم تنشر الصحف هذا البيان بعد مقتل البنا ؟

مرعى - أنا مش غاوى قراءة جرايد ، ولا أعرف الا البيان الاول .

المحكمة دا البيان نشر فى جريدة « الاساس » بالذات .

مرعى - هو أنا غاوى « اساس » أنا لم أقرأ « الاساس » فى حياتى الا مرتين . وأنا مندهش كيف يسمح لهذا الانسان المدعو الليثى بنقل التحقيق حرفيا ونشره فى الجرايد فى حين أن التحقيق كان سرى . .

(وهنا وقف الاستاذ الليثى وطلب من المحكمة السماح له بتوضيح هذه النقطة فرفضت المحكمة) .

مرعى - أقول لكم كيف تمكنت من نشر مقالى فى « الاهرام » ردا على
تكاذيب الليثى . . اتصلت بالاستاذ زكى عبد القادر فرحب بنشر المقال .
وفى الساعة الواحدة والنصف بعد نصف الليل اتصل بى زكى عبد القادر
وأخبرنى أن الرقيب منع المقال بأمر سراج الدين . فاتصلت بسراج الدين
فقال لى : انشر محظور فى قضية الشيخ البنا . فسألته كيف يكون محظورا
على ومباحا لليثى ؟ فقال : ما هو شأنك . فقلت له : ما هشى عيب ؟ . .
وذكرته بخدماتى فى أيامه السود . وتمكنت من استرداد عطفه فوافق على
النشر وأدلى بنفسه بحديث « للاهرام » بآنى كنت من أشد المتحمسين
للافراج عن الاخوان .

● عضو اليسار - ايه صلة الموضوع ده بالشهادة ؟

مرعى - انا بأقول انى نجحت فى اثارة الفخوة فى سراج الدين . ومضى
يقول : انه مما ساعد على اثارة الغبار حول أحد أولياء الدم اسمه عبد الكريم
منصور وهو كان موظف حكومة ، فرفع دعوى تعويض والمحكمة قررت ضم
ملف الموظف . وأنا كنت فى ادارة قضايا الحكومة فى ذلك الوقت فغاب
الدوسيه وأجلت القضية ، وفوجئت بعبد الكريم منصور يرفع على دعوى
لانى ساهمت بفعلى فى الضرر الواقع عليه .

المحكمة - هل كنت فى الوزارة عند مقتل البنا ؟

مرعى - نعم

المحكمة - ألم تصل لكم معلومات بخصوص السيارة التى استعملت فى
مقتل البنا ؟

مرعى - لا شأن لى بذلك . وأنا قدمت استقالتى ثلاث مرات من وزارة
عبد الهادى .

المحكمة - لهذه الاسباب ؟

مرعى - لا . . لخلاف بينى وبينهم . وعلشان كده كنت بعيد عن هذه
المعلومات .

المحكمة - يبدو غريبا أنك اطلعت على بيان الليثى سنة ١٩٥٠ ولم
تطلع على الصحف التى كتبت بعد مقتل الشيخ البنا .

مرعى - أبدا . . أبدا . . لان هذا البيان كان يهمنى وله ظروف خاصة .

المحكمة - ألم تذكر يوم قتل الشيخ البنا ؟

مرعى - ما أعرفش .

(وهنا طالبت المحكمة الاستاذ الليثى ليقول ما عنده) فقال :

ان البيانات التي نشرتها في جريدة الاحرام كان الغرض منها الوصول الى معرفة الحقيقة في قضية الشيخ حسن البنا . . ونظرا لانى كنت قد قابلت الاستاذ فؤاد سراج الدين قبل توليه الوزارة ووعدنى في هذه المقابلة بإثارة قضية الشهيد حسن البنا عند عودة الوفد الى الحكم ، فانتهزت فرصة تولى الوفد الحكم ، وكان الاستاذ مفتحى رضوان نشر في ذلك الوقت بيانا أشاد فيه بموقف الاستاذ مصطفى مرعى من الاخوان والمعتقلين . . ونظرا لانى أعرف حقيقة موقف مصطفى مرعى من الاخوان والمعتقلين من الاستاذ البنا ، فضلا عما جاء على لسان الاستاذ مرعى نفسه في تحقيقات قضية الشهيد من انه قال للاستاذ البنا بأننى بحثت حالة جميع المعتقلين فوجدت أن اعتقالهم له ما يبرره . . . كل هذه الامور هي التي دفعتنى الى الكتابة في موضوع القضية ، ولم يكن الاستاذ مرعى هو المقصود بل انه جاء في الطريق لانه له دور في القضية .

ولقد طلبت صراحة في بياناتى التي يدعى الشاهد بأننى نشرتها بناء على ايعاء من الحكومة الوفدية من الاستاذ فؤاد سراج الدين وزير الداخلية أن يفى بوعده ويثير القضية ، خاصة وأن مرتكبيها من رجال وزارة الداخلية التي يتولاها . وقد نشر الاستاذ مرعى بيانا ضدى في الاحرام ، ولما طلبت من الجريدة أن تنشر ردى عليه أبلغتنى بأن وزير الداخلية أمر بعدم نشر أى بيان لك . ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ان الوزير نشر بيانا باسمه أشاد فيه بموقف الاستاذ مرعى من المعتقلين .

وانى أطمئنك (الكلام موجه الى مرعى) وأقول لك بان محكمة الجنايات التي تنظر قضية الاعتداء على حامد جودة قررت ضم أوراق قضية الشيخ البنا استجابة لطلب الدفاع ، ووزعت ملفات هذه القضية على أكثر من عشرين محاميا ، وكان بينهم الاستاذ طاهر الخشاب عضو مكتب الارشاد بالاخوان المسلمين ، فأطلعنى على أقوالك التي سجلتها على نفسك في التحقيق . فنشرتها لتأييد أقوالى التي نشرتها عنك . وأظن أن ذلك يبين لك أننى كنت أستقى معلوماتى من الاخوان وليس من الوفد كما كنت تتخيل .

● شهادة احد الرقباء على الصحف في أيام عبد الهادى :

وقد يكون مناسبا قبل أن أختتم الحديث عن موقف الشخصية التي نعالج الحديث عن موقفها أن نثبت هنا شهادة للاستاذ بكر درويش الذي كان رقبيا في عهد وزارة عبد الهادى . وقد أدلى بها أمام المحكمة بعد أن أنكر الاستاذ مرعى بطريقة مثيرة علمه بهذا البيان بيان « ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين » وقد وصل به التنصل من هذا البيان الى حد قوله انه لا يقرأ الجرائد . . .

الحكمة - ما هي معلوماتك عن الحادث ؟

الشاهد - الذى أعرفه قد يكون متصلا بسر العمل ، ولكن العدالة ...

الحكمة - العدالة لازم تأخذ مجراها .

الشاهد - أثير اليوم موضوع البيان الذى كتبه المرحوم الشيخ حسن

البنا ، ونشر بعد وفاته ...

الحكمة - بيان « ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين » ؟

الشاهد - أيوه .. وأنا كنت فى ذلك الوقت رقيباً بمراقبة النشر بوزارة

الداخلية . وكنت أقوم بمراقبة جريدة « صوت الامة » - وبعد الحادث بيوم

أو يومين على ما أذكر طلب منا اعطاء البيان للصحف لنشره على أساس أن

يلقى فى الاذعان أن الحادث كان مرجعه الى تدمير بعض الاخوان المسلمين

تفمرا أدى الى ارتكابهم الحادث .

الحكمة - هل طلب منك الايحاء بهذا لجريدة « صوت الامة » ؟

الشاهد - الذى أذكره أنه طلب منا هذا .

الحكمة - من كان الرقيب العام ؟

الشاهد - كان الاستاذ عبد الرحمن عمار ، وكان مدير الرقابة هو

الاستاذ توفيق صليب .

الحكمة - ومن كنتم تتلقون التعليمات ؟

الشاهد - كان اتصالنا بمدير الرقابة . وكان هو يتلقى التعليمات من

الجهات التى يتلقى منها . ولكن كان اتصال الرقباء بمدير الرقابة دائماً .

الحكمة - وهل أوصيت أنت الى « صوت الامة » بذلك ؟

الشاهد - الذى أذكره أنني نسخت التعليمات . وأذكر أنى أعطيت

البيان للجريدة ونشرته . ولكنى أظن أنها لم تنشر تعليقا عليه .

[و] جريدة « المصرى » :

من حق هذه الجريدة - ونحن بصدد ما نعالج من قضية - أن تذكر

وإن يشاد بذكرها .. ومع أن هذه الجريدة كانت جريدة حزبية ، فانها كانت

طيلة حياتها الصحفية تتلمس طريق الحق وتنتهجه لنفسها طريقا حتى مع

حزبها الذى تنتسب إليه وتطلق باسمه .. رايناها فى مواقف هامة تشغب

عليه ، وتقف فى وجهه تريد أن تسدده لانها ترى الحق فى غير موقفه - ولا زلنا

حتى اليوم نذكر بالدهشة والاعجاب المقالات الضافية الصارخة التى دججها

يراع الاستاذ احمد ابو الفتاح على صفحات جريدته الايام تلو الايام ، رافعا

لواء العصيان حين أعلنت حكومة الوفد فى عام ١٩٥٠ عزمها على اصدار

تشريع يقيد حرية الصحافة .. وظل الاستاذ أحمد أبو الفتح يوالى مقالاته
النارية حتى أحبط المشروع .

ولقد كانت هذه الجريدة تكرر نحو الاخوان عاطفة من الود - لاسيما
بعد أن برزت دعوة الاخوان في أفق الحياة المصرية ، فكانت تنتهز الفرص
السانحة للتعبير عن هذه العاطفة بنشر منجزات الاخوان في مختلف المناسبات
والتنويه بها .. كما أنها كانت تمتنع عن أن يسطر على صفحاتها ما يعد
نيلا من الاخوان اذا ما اقتضت الشهوة الحزبية ذلك .

ولو لم تخاطر هذه الجريدة ، ويغش مندوبها ميدان المعركة الخبيثة
التي وقعت أمام باب جمعية الشبان المسلمين في الليلة السوداء ، ويلتقط
رقم السيارة ممن رآها .. ولولا مسارعة هذه الجريدة الى طبع كمية من هذا
العدد أنذى به رقم السيارة وتسريب بعضها قبل أن تنتبه الرقابة .. لو لم
تقدم هذه الجريدة على هذه المخاطرة لاستطاع المجرمون أن يطمسوا معالم
الجريمة الى الابد .

● شهادة مدير ومحرر « بالمصرى » أمام المحكمة :

ونورد بهذه المناسبة الشهادة التي أدلى بها الى المحكمة الاستاذان
محى الدين فكرى المحرر « بالمصرى » ومرسى الشافعى مدير تحريرهما :

قال الاول : كنا موجودين في « المصرى » الساعة الثامنة مساء فبلغنا
الحادث ، فنزلت واخذت معى المصور . فوجدنا عربة الاسعاف ووراءها سيارة
بوليس - ووصلنا الجمعية وجمعنا معلومات . وبعد خمس دقائق أخرجنا
البوليس ، ثم عرفنا نمرة السيارة التي هرب بها الجناة من كونستابلين
لابسين ملكى وقالوا انهما اخذا النمرة من الاستاذ الليثى ، مع أننا لم نكن
نعرف الليثى في ذلك الوقت .

وقال الاستاذ الشافعى : كان فيه رقابة على الصحف . فافهمت الرقيب
المعلومات التي عندي . فاتصل برؤسائه وكان البوليس مهتم ليلتها
« بالمصرى » على غير العادة وبينزلوا المطبعة ، وكنا ابتدنا نطبع العدد
وفيه صورة للشيخ حسن البنا ورقم السيارة . وبعدين صودر العدد وتسرب
منه بعض النسخ وحصل معنا تحقيق بعد ذلك .

الرئيس - ما تعرفش النسخ اللى تسربت قد ايه ؟

الشاهد - حوالى ستة آلاف نسخة .. مش متأكد .

الرئيس - والنسخ الثانية صدرت من غير النمرة ؟

الشاهد - أيوه ٠٠ نفقنا تعليمات البوليس فثسيلنا النمرة والصور
لأنها تثير الشعور .

الرئيس - طيب وما عرفتش ليه منع نشر الرقم بتاع السيارة ؟
عرفنا ان الصورة انشالت علشان تثير الشعور ٠٠ طيب والذمرة ١٩

الشاهد - في الوقت ده ماكانش يمكننا مناقشة الرقيب ٠٠ واحضر
فوجئنا بالبوليس داخل الجريدة . (انتهت الشهادة) .

أقول : ثم تابعت « المصرى » بالرغم من وجود الاحكام العرفية جهوده
في نفس الاتجاه ٠٠ وقد طالع القارىء في فصل سابق من هذا الجزء من الكتاب
حديث الاستاذ المرشد العام الذى كتبه مفندا أسانيد مذكرة الحل ٠٠ وقف
نقلناها عن « المصرى » وسيقرأ القارىء حديثا آخر بعد قليل ان شاء الله
نقلناه أيضا عن « المصرى » .

فلما زالت الغمة عن البلاد بسقوط عبد الهادى . أخذت « المصرى » تدعى
الى رفع الاحكام العرفية ٠٠ حتى اذا خفت وطأتها - أى وطأة الاحكام
العرفية - وقفت بجانب الاخوان في موضوع بالغ الاهمية يتصل بهذه الاحكام
وبكيان الاخوان بعد رفعها مما نفرد له فصلا خاصا ان شاء الله تعالى .

وقد تابعت قضايا الاخوان منذ عرضت على القضاء فكانت حريصة علم
نشر ما يجرى خلالها ، مبرزة ما يتصل من مناقشاتها بالتعذيب وانتزاع
الاعترافات بالارهاب أو بالاغراء .

● « المصرى » تحاول كشف دور مرعى :

وكان مما حرصت « المصرى » على التنبيه اليه واماطة اللثام عنه لخطر
الخطر الذى مثله الوزير مصطفى مرعى الذى كان موضع سر عبد الهادى
فيما يتصل بما تم في أيامه من اجرام ٠٠ وقد بدأت « المصرى » في ذلك في
٢٨ أكتوبر ١٩٥٠ بجعلها « كلمة المصرى » في ذلك اليوم بعنوان « الاخوان
المسلمون » وكتبت تحته ما يلى :

« كان الاخوان المسلمون أصحاب صيحة دينية عالية ، استطاعوا به
أن يشغلوا الازهان فترة غير قصيرة ، وأن ينفقوا كثيرا من الشباب من
برائن الفراغ المقيت ، ومن ممارسة حياة اجتماعية فاسدة قد تدفع اليه
ضرورات شباب متعطل .

ولا يفكر منكر أنهم استطاعوا - على هدى من ايمانهم - أن يكونوا
أولى الطلائع المصرية بل والعربية جمعا في الذهاب الى ارض فلسطين عز

طواعية لاحدى الحسينيين : استخلاص فلسطين أو الاستشهاد في سبيل
استخلاصها من أيدي الصهيونيين ٠٠٠ وأنهت « المصرى » كلمتها بالمطالبة
بإعادة حقوقهم اليهم .

وفي ٢ نوفمبر كتبت تحت عنوان « مصطفى مرعى بك وعد الاخوان
المسلمين بائتفاع عنهم ثم أعد مذكرة كانت سبب تسريدهم » قالت « كان
مصطفى مرعى بك في وزارة النقراتى باشا رئيسا لاقلام قضايا الحكومة ،
واتصل به المرشد العام فتظاهر بأنه معارض للإجراءات التى اتخذتها
الحكومة ضد الاخوان ، ووعد بإعداد مذكرة في ذلك . فتبين أنه حتى بعد أن
صار وزيرا في وزارة عبد الهادى كتب مذكرة معاكسة لذلك . ولما صار وزيرا
في وزارة حسين سرى باشا كان هو معارضا في الافراج عن المعتقلين . ثم
أوردت حديثا لزميل له في الوزارة هو عبد العزيز الصوفانى بك يقرر هذا
المعنى بالنسبة له وبأنه كان معارضا حتى في رفع الاحكام العرفية » .

ثم نشرت « المصرى » ردا من مصطفى مرعى تحت عنوان « مصطفى
مرعى يقول : لم أهاجم الاخوان المسلمين ولم أكن ضدهم - كنت لهم السفير
الداعى الى الهودة والرفق والمطالب بحريتهم » . وفي رده هذا حاول أن ينقى
عن نفسه ما نشر عنه من موقف معاد للاخوان .

ولكن « المصرى » نشرت في نفس الصفحة ردا على رده تحت عنوان
« كيف اصدر الشهيد حسن البنا « بيان للناس » منع تلاوة القرآن الكريم عند
دفن المرشد العام » وقالت :

هذا هو رد مصطفى مرعى بك على ما نشرناه بالامس . وكنا نود ان
يتضمن هذا ارد اجابة او ايضاحا على ما اثاره عبد العزيز الصوفانى بك عن
موقف سماعته من الاحكام العرفية ومن جمعيه الاخوان المسلمين ٠٠ ولا شك
في أن الصوفانى بك عندما تكلم في هذه المسائل انما كان يتكلم عن معرفة
حقيقية بحكم زمالته لمرعى بك في وزارة عبد الهادى .

ثم نشرت بعد ذلك تحت عنوان « معلومات الاستاذ الليثى » ما يلى :

جاءنا من الاستاذ محمد الليثى رئيس قسم الشباب بجمعية الشبان
المسلمين ، والذي اتيج له أن يرافق الشيخ حسن البنا في أيامه الاخيرة منذ
حلت جمعية الاخوان حتى يوم مصرعه . وقد اطلع بحكم هذا الاتصال على
جميع ما دار في الاتصالات التى تمت بين المغفور له الشيخ حسن البنا
والمستولين في ذلك الوقت ومن بينهم مصطفى مرعى بك - يقول الاستاذ
الليثى عن رايه في حقيقة موقف مصطفى مرعى من الاخوان المسلمين والشيخ
حسن البنا عندما كان وزيرا للدولة في وزارة عبد الهادى :

رغبة مرعى بك نفسه

« أحب أن أؤكد أن اتصال مرعى بك بالشيخ حسن البنا لم يتم بناء على رغبة من الشيخ حسن البنا ، بل تم هذا الاتصال بناء على رغبة من مرعى بك ، وكان في اتصاله هذا ممثلا للحكومة ومتكلما باسمها ، ولذا وسط سعادة صالح حرب باشا الرئيس العام لجمعية الشبان المسلمين ليساعده على الاجتماع بالشيخ البنا » .

وكان مفهوما في أول الامر أن مرعى بك بوصفه وزير الدولة المشرف على شؤون الأمن في ذلك الوقت - كما ذكر هو بنفسه - إنما أراد الاتصال بالشيخ البنا ليتفاهم معه على إنهاء حالة التوتر التي كانت قائمة بين الإخوان والحكومة ولكن اتضح بعد ذلك من المناقشات التي دارت في اجتماعاتهما أن غرض سعادته كان ينحصر في الرغبة في الحصول على بيان من الشيخ يستنكر فيه مقتل النقراشي ويفدد بحركة الارهاب ومرتكبيها .

ولكى يحصل على هذا البيان بسط وعودا طمأنت الشيخ البنا، اذ صرح له بأنه وهو الوزير المسئول سيوقف بمجرد اصدار البيان حركة الاعتقال والتفكيك بالإخوان ، بل ذهب الى أبعد من هذا ووعد بأنه سيبحث من جديد مع ابراهيم عبد الهادي مسألة الامر العسكري الصادر بحل الجمعية ، وسيعمل أيضا على الافراج عن المعتقلين على دفعات . وطلب من الشيخ البنا كشفا بمن يرى الاسراع في الافراج عنهم لظروفهم الخاصة .

ولما كان الشيخ موافقا من ناحية المبدأ على اصدار إنبیان اذ انه رحمه الله كان لا يقر الحركات العنيفة ، علاوة على أن الوعود التي تقدم بها مرعى بك كانت ستؤدي كما فهم الشيخ الى الكف عن حركات الاعتقال بل والافراج عن المعتقلين ، فانه أقر فكرة اصدار بيان رغم ما جاء في بعض فقراته من نصوص لم تكن ترضيه . . وصدر البيان بعد ثلاثة اجتماعات متوالية عقدت بمنزل صالح حرب باشا ونشر تحت عنوان « بيان للناس » .

وما ان صدر البيان حتى تعذر على الشيخ البنا مقابلة مرعى بك الذي كان يعتذر دائما عن المقابلة بانشغاله في العمل .

المعتقلون

اما عن المعتقلين الذين وعد سعادته بالافراج عنهم فقد نقلوا من معسكر هاكستيب بالقاهرة الى معتقل الطور . . وكانت اول دفعة تصل الى الطور تضم - بين من رحلوا فيها - جميع من طلب الشيخ الافراج عنهم لظروفهم الخاصة . . وفتح معتقل الهاكستيب لاستقبال معتقلين جدد .

كيف دخل الجثمان منزله ؟

وأين كان سعادته عندما أدخل جثمان الشيخ البنا منزله وسط مظاهرة مسلحة من رجال البوليس شاهرة المسدسات والبنادق في وجه سيدات أسرته العزل من كل سلاح ٠٠ وأرغمت السيدات على حمل الجثمان الى النعش ، ولم يسمح لواحد من رجال هذه الاسرة بالاقتراب من الجثة ٠٠ حتى القرآن حرمت عليهم تلاوته ، كما حرم على أسرته وأقاربه زيارة قبره ، بل اعتقل بعض محبيه ممن زاروا قبره ٠٠٠

وأين كان سعادته يوم كانت الحرية تهدد بهذا الشكل الخطير ؟ وما له ينسى كل هذا ويتقدم اليوم الصفوف محاولا أن يظهر بمظهر المدافع عن الحرية ؟ (انتهى) ٠

هذا ٠٠ ولعل القارىء قد لاحظ أننا في تناولنا تجلية موقف جريدة « المصرى » في قضيتنا قد جاءت هذه التجلية في معظمها امتدادا لتجلية موقف الوزير مصطفى مرعى ٠٠

وأرجو بعد هذه العجالة الخاطفة ان اكون قد وفقت الى جمع شتات ما تنافرت هنا وهناك من « فتافيت » هذه الصورة التى أراد صاحبها أن يمزقها عن قصد الى « فتافيت » صغيرة ويرسلها مع الرياح في كل جانب ، حتى لا يقوى احد على جمعها ٠٠ فتظل بذلك صورته الحقيقية مجهولة المعالم ، ليظهر هو بالصورة التى تروقه مما يناسب كل وقت ، ويتلاءم مع كل مقام ٠٠٠ وانى لادع للقارىء بعد ذلك أن يصدر حكمه على هذه الصورة بما يوحي به اليه ضميره ٠

الفصل الرابع

لماذا سوارطتني؟.. من هم السعديون؟

قد يكون فيا أسلفنا في هذه المذكرات من سرد لتاريخ القضية الوطنية وقضية فلسطين ما يكفي لدمغ حكومات السعديين بالخزى والخيانة والعار، ولكن رأينا مع ذلك أن نختم هذه الفصول التي استأسدوا فيها على بنى جلدتهم من أبناء هذا الوطن بنبذة تكشف عما كان تحت جلود الاسود التي تناولوا بها على مواطنيهم من قلوب الذئاب واحلام العصفير .

ومن حق القارىء أن يعرف الحقائق المجردة عن الشخصيات التي لعبت في تاريخه أدوارا خطيرة لا زال الشعب يعاني من آثارها ويكتوى بنارها . . . ومما يؤسى له أن الظروف السياسية لم تنح الى اليوم أن يتصدى للكتابة عن هذه الشخصيات الا للكتاب الذين تمرغوا فيما كان هؤلاء الحكام يعتصرونه من أقوات الشعب ليشتروا به الضمان والاقلام . . . فكان هم هؤلاء الكتاب حتى اليوم أن يحجبوا عن الشعب ما يعرفونه من آثامهم وجرائمهم . . . وبات الشعب بعد ذلك مضللا تائها ، لا يميز بين المحسن والمسيء ، ويتقلب في المصائب يصطلى بنارها ، ويحترق في لهيبها وهو يسبح بحمد من أشعلوا منذ ثلاثين عاما فتيلها . . .

فكان حقا علينا أن نميط الالائمة عن الوجوه حتى تبدو على حقيقتها دون زيف أو تمويه أو تزوير . . . وحين نحاول هذه المحاولة لن نلجأ الى أسلوب القذح والقذف بجارج اللفظ ، فهذا ليس أسلوب المؤمنين ، ولكننا سننقل الحقائق المادية من سطور التاريخ المجمع عليه دون تحوير ولا تجميل ولا زيادة ولا نقصان . . . ونترك الحكم بعد ذلك للقارىء حيفئذ على بيته من الامر .

والتاريخ الذى ننقل عنه قد سطر ما سطر في فترتين مختلفتين : اولاهما كتب فيها ما كُتب في عهد السلطة الملكية ، وهو عهد كان يحتضن هؤلاء السعديين ويحميهم حتى بعد أن أبعدهم عن الحكم ، فقد يسمح بنشر بعض أخطائهم وفصح بعض جرائمهم ، ولكنه مع ذلك لا يسمح بمؤاخذتهم ولا حتى بمساءلتهم ، لانه يعتبرهم من جملة خدمه ، وقد يحتاج اليهم في يوم من الايام . . .

والفترة الاخرى من التاريخ هي تلك التي انقشع فيها ستار الحماية الملكية عن السياسيين المحترفين عامة بزوال الطاغوت الذى كان يحتضنهم

وهى مستهل أيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وهى فترة زالت فيها الحوائل التى كانت تحول دون أخذ المجرمين بجرائمهم .

أولا - فترة ما قبل الثورة :

كانت وزارة ابراهيم عبد الهادى قد سقطت ، وتنفس الناس الصعداء ، وأخذوا يتنفسون فى شوق أنفاسا عميقة - بعد أن كتمت أنفاسهم ردحا طويلا - وان كان الهواء الذى يتنفسونه ليس الهواء النقى الذى تهفو اليه نفوسهم ، بل هو هواء مشوب بأذى وكدر ، ولكنه على كل حال هواء مسموح بتنفسه ، يزيل بعض مافى الصدور من حرج ... بدأت بعض الاوراق المحجوبة تتكشف وبعض الالسنه تفصح وتتكلم ... واليك بعضا مما تكشف :

(١) سفير يشرح كيف جنى الجهل والانانية على قضية البلاد :

كان محمود حسن باشا سفيرا لمصر فى الولايات المتحدة الامريكية فى خلال الفترة التى كان النقراشى باشا رئيسا لوزارته الثانية التى قررت عرض قضية مصر على مجلس الامن ، وقد استقال هذا السفير فى عهد الوزارة نفسها بعد الانتهاء من عرض القضية على المجلس ... والآن أترك له الحديث الذى نشره « المصرى » يوم ١٣-١٢-١٩٤٩ وهو يعالج موضوعا سبق لنا أن عالجناه ، ولكنه يعالجه بأسهاب فعالة الاخصائى المتمرس ، وباعتباره أحد المحاور التى كان يدور عليها الموضوع الذى يعالجه فيقول :-

« ان من حق مواطنى أن يطالبونى بما أعرفه فى صدد قضيتنا ، ولكنى رأيت أن الوقت لم يكن مناسباً وقتئذ لتلييتهم ، لان الجمهور عند عودتى لم يكن قد هدا من اثر الصدمة التى أصابته بسبب فشلنا فى مجلس الامن ، حتى جاءت حوادث فلسطين ومأساتها فى جمعية الامم المتحدة ، وانخفاضا بسببها الى حرب أكدت الحكومة - رغم ملاحظاتى المتكررة - انها على اتم الاستعداد لها ، وهى فى تأكيدها هذا لم تكن الا مخدعة او مخدوعة .

ثم أعلنت الاحكام العرفية فقيدت الحريات ، وفرضت الرقابة على الصحف ، وفلت أقلام الكتاب ، فحال ذلك بينى وبين سرد تفاصيل القضية المصرية ، رغم ما كنت أشعر به من حق الخاصة والعامة على ولا سيما والقضية ما زالت معلقة فى مهب الرياح ... وقد يكون لذكر تفاصيلها نفع لمن يريد مخلصا أن يخطط خطة سليمة ناجحة او محتملة النجاح لحل هذه المسألة التى ما عقدتها الا النزاعات الحزبية ، والمآرب الشخصية ، والرغبة فى الاعلان عن النفس ، واكتساب المجد الكاذب .

ثم ذكر كيف أفادت سورية ولبنان وإيران من عرض قضائهما على مجلس الأمن ، منتهزة الفرص المناسبة ، منتفعة من اختلاف الدول الكبرى فيما بينها ، مكتسبة الدول إلى جانبها . . أما مصر فقد أهملت كل ذلك . . وركزت كل جهدها في مفاوضات طال أمدها كما لو كانت تعيش في عام ١٩٣٦ . . وكان خليقا بها أن تعرف أن انتحاءها زاوية وحدها مع إنجلترا في عزلة عن الدول الأخرى لن تفترق بعدها إلا ونحن من الخاسرين .

ولعل فيما جاء على لسان وزارة الخارجية الإنجليزية في ختام فترة المفاوضات الأخيرة « أن هذا هو أقصى ما تستطيع أن تعطيه إنجلترا لمصر » ما يفيد أن إنجلترا تنظر إلينا نظرها إلى المستجدي لأصحاب الحق .

لكننا وبكل أسف لم نلجأ إلى مجلس الأمن إلا بعد أن أمضت (رتحت) الحكومة - بالأحرف الأولى - مشروع اتفاقية مع الحكومة الإنجليزية . فأصبحنا في وضع شاذ . . وأكثر منه شذوذاً أن يتولى الدفاع عن قضيتنا رجال قبلوا هذا المشروع ودعوا إليه ودافعوا عنه بل وخاصموا غيرهم من أجله .

إن الحكومة القائمة في ذلك الوقت لم تكن جادة في الالتجاء إلى الهيئة الدولية ، بل هي اضطرت إلى ذلك تحت ضغط المعارضة والأي العالم الذي اتسمرها بأنها لن تستطيع البقاء في الحكم وهي واقفة ذلك الموقف السلبي الذي كانت نقفه بعد المفاوضات .

وليس أدل على ذلك من أنها أخذت تسوف وتؤجل - تارة تحت ستار السعي في اختيار أشخاص ممثلينها أو اختيار الهيئة المختصة - وأخرى في انتظار انتهاء الدورة البرلمانية - حتى كان صيف سنة ١٩٤٧ رأت أن تتحرك بعد أن ضيعت الفرصة تلو الفرصة ، فلا هي نجحت في ضم الصفوف في الداخل ، ولا هي طرحت القضية في الوقت المناسب ، بل لعل الوقت الذي اتت فيه إلى نيويورك كان أبعد الظروف ملائمة .

وبعد أن أثبت سيادته نصوص الخطابات التي أرسلها إلى النقراشي باشا براهيه في عرض القضية من ناحية الشروط والظروف المناسبة قال : وكان آخر خطاب مني بعد ما وصلت إلى شبه الياس وتغيرت الظروف ، حيث عرضت قضية فلسطين على هيئة الأمم ، وصاحب عرضها دعاية واسعة لصالح اليهود ضد العرب وضد مصر ، والالتجاء الأمير عبد الكريم لمصر وما في ذلك من إثارة خواطر الفرنسيين ، ثم الانقلاب الذي حدث في المجر وما صاحبه من شعور متزايد بضرورة التضامن والتكاتف بين الولايات المتحدة وبريطانيا إزاء الخطر الروسي المتفقم .

يقول : ومع ذلك أصر النقراشى باشا على المجئ الى نيو يورك ،
وتمسك ببقائى فى منصبى مع ما طلبته من اعفائى . . . فرحت أستشير ذوى
الرأى فيما يجب اتخاذه من التدابير ، واقترحت استشارة محام ذى خبرة
دولية فوافقت الوزارة على هذا الطلب . فرأيت أن أجا الى أكبر مكتب فى
العاصمة ، وهو المكتب الذى تولى مسألتى ايران واليونان عند عرضهما على
مجلس الامن . وكان هذا المحامى يعرفنى حيث كنت ممثل مصر فى مجلس
الامن عند عرض هاتين القضيتين ، فرحب بى وطلب الى أن أزوده بالمعلومات
اللازمة عن قضيتنا ووعدنى بالرد فى أقرب فرصة . . وراح بدوره يدرس
القضية وظروفها وملابساتها ، ثم اتصل بى ليبدى جوابه ، فأحاطنى علما
بأن مكتبهم يرى بعد الاتصالات العديدة ، وبعد جس نبض الرأى العام
بالعاصمة ونيويورك بأن عرض القضية فى القريب العاجل هو أسوأ الاوقات
اختيارا ، وأن قضيتنا يجب لتوافر نجاحها أن يكون بجانبها الرأى العام
الامريكى ، ولكن الوقت الحاضر غير مناسب لذلك ، اذ كل البيئات متخوفة
من الاتحاد السوفييتى واتجاهه نحو المجر وبلغاريا الخ . . فعرض القضية
ليس فقط بعيدا عن المصلحة فحسب بل هو مضر لمصر . وان مكتب المحامى
على كل حال لا يقبل التوكيل فى هذه القضية فى الوقت الحاضر . . ومع كل
هذا فقد أصر النقراشى باشا على عرض القضية فى ذلك الوقت وأن يكون هو
وحدّه المتقدم بها الى المجلس .

ملحوظة : كان من بين المقترحات التى اقترحها السفير على النقراشى
باشا لما رآه مصرا على عرض القضية فى ذلك الوقت غير المناسب ، أن تقوم
بعرضها على المجلس هيئة تضم ممثلين عن جميع الجبهات السياسية فى
مصر ، لعل ذلك يكسب القضية شيئا من القوة ويبطل حجة الانجليز فى أن
الذى يتقدم بالقضية شخص سبق أن وافق ووقع على معاهدة بينه وبينهم
وهو ملزم بتوقيعه . . . وقد حدث هذا فعلا وكان من أهم الاسباب التى
اعتمد عليها المجلس فى رفض القضية . وان كان المجلس قد سمي هذا الرفض
تعليقا .

(٢) التستر على خيانة الجيش :

لعل القارىء الكريم يذكر أن من أهم اسباب هزيمة الجيش المصرى فى
فلسطين أنه أمد يأسلحة وذخيرة فاسدة . . وقد قامت احدى الوزارات التى
تولت الحكم بعد ابراهيم عبد الهادى باجراء تحقيقات فى هذا الشأن كانت
على جانب كبير من الاهمية بإبثرتها النيابة العامة . . وقد كشفت هذه
التحقيقات عن وقائع خطيرة وجنايات جسيمة . . ولكن السراى الملكية
تدخلت فى التحقيقات لصالح المتهمين حيث تبين أن بعضهم كان يعمل

لحسابها ٠٠ فأخفيت الحقائق حتى انها لما عرضت على القضاء لم يجد بين يديه من الأدلة ما يكفى لادانة المتهمين ، فحكمت المحكمة ببراءة جميع المتهمين ما عدا اثنين حكمت بتغريم كل منهما مائة جنيه ٠٠ وقد جاء في حيثيات هذه القضية التى جاءت فى مائتى صفحة وحكم فيها فى ٥-٧-١٩٥٣ ما يلى :

« ثبت أن فاروق هو الجانى الاول ، جعل لنفسه حسابا خاصا باسم ادمون جهلان - أحد سماسرة الاسلحة - وأوفد ناظر خاصته أثناء تفتيش خزانة جهلان يفرض على سلطة التحقيق أخذ أوراقه من الخزانة ٠٠٠ ،

وفى ١٨ أكتوبر ١٩٥٠ وتحت عنوان « النقراشى باشا وعبد الهادى باشا تسترا على جرائم الجيش » كتبت جريدة « المصرى » ما يلى :

« فى الوقت الذى تعددت فيه الاجتماعات من بعض أفراد المعارضة وبعض المستقلين لوضع العريضة التى قرروا رفعها الى جلالة الملك ٠٠ وفى الوقت الذى يريد فيه موقعو هذه العريضة أن يوهموا الناس بالحرص على مصالح البلاد وتطهيرها من الفساد ٠٠ الى آخر ما جاء فى عريضتهم ٠٠ تسلم سعادة الأستاذ محمد عزمى بك النائب العام ملفا رسميا من الملفات التى تحتفظ بها وزارة الداخلية منذ عام ١٩٤٨ ، احتوى على مستندات على جانب كبير من الاهمية والخطورة ، تشير الى أن النقراشى باشا وخليفته عبد الهادى باشا تسترا واحدا بعد الآخر فى منصبيهما كرئيسين للوزارة ووزيرين لداخلية وحاكمين عسكريين على كثير من الجرائم التى ارتكبت فى حق الجيش ويدور بشأنها التحقيق الآن .

● تفاصيل التستر :

وترجع تفاصيل هذا التستر من جانبهما واحدا بعد الآخر الى عام ١٩٤٨ ، فقد أعلنت الاحكام العرفية فى صبيحة دخول قوات الجيش المصرى الى فلسطين ، وكان من نتائج اعلانها أن فرضت الرقابة الدقيقة على المراسلات والمخابرات التليفونية والبرقية الداخلة الى مصر والخارجة منها .

وقد حدث فى خلال أكتوبر ونوعمبر وديسمبر ١٩٤٨ ويناير وفبراير ومارس وابريل ويونيه ١٩٤٩ - حدث خلال هذه الشهور على وجه التحديد أن ضبطت وسجلت فى محاضر رسمية مخاطبات تليفونية ورسائل تبودلت فى الداخل ومع الخارج بين ضباط من المتهمين فى التحقيقات الدائرة وعملاء وسماسرة لتوريد الاسلحة . وقد تضمنت هذه المخاطبات والمراسلات المسجلة فى احد ملفات وزارة الداخلية الرسمية اعترافات صريحة بعدد من الجرائم التى يحقق فيها الآن - كما ضبطت مراسلات هى عبارة عن خطابات بأيدى بعض المتهمين تتضمن هى الاخرى عبارات تثبت الجريمة ، وضعت كلها فى

ملف المضبوطات التي تعرض على وزير الداخلية والحاكم العسكري للبيت فيها .

وكان النقراشى باشا وعبد الهادى باشا من بعده يطلعان بحكم منصبيهما كوزيرين للداخلية وحاكمين عسكريين على كل هذه المضبوطات . ومع ذلك بقيت هذه المستندات الخطيرة في الملف الذي احتواها دون أن يفكر أحد منهما في كشف ما انطوت عليه .

(٣) حالة الجيش المصرى عند ادخاله فلسطين :

في ٢٨ أكتوبر ١٩٥٠ نشرت المصرى هذا التحقيق البالغ الخطورة في صفحتها الاولى فقالت :

« وفي الحقائق التي سنوردها هنا تفاصيل جديدة على جانب كبير من الخطورة تكشف كيف كانت حكومة السعديين تهزل في معالجتها لمصائر البلاد :

قبل بدء حملة فلسطين ببضعة أيام سافر سعادة اللواء الماوى بك الى الحدود للاشراف على القوات المصرية هناك التي كان قد بدى في ترحيلها الى مراكزها بالتحريج .

وقد عكف سعادته بعد وصوله الى الحدود على تفقد القوات المصرية والاطلاع على ما تملكه من أسلحة وعتاد وهال سعادته أن تكشف له أن هذه القوات ليست مستعدة بالمرة لاي احتمال بالاشتراك في الحرب . ولما كانت الانباء تتحدث في ذلك الوقت بصراحة عن استعداد الدول العربية ومشاوراتها لشن حملة تأديبية على فلسطين ، فقد رأى سعادته ان الواجب يحتم عليه أن يصارح المسؤولين بحقيقة الاحوال بالنسبة للقوات المصرية التي تستعد على الحدود ، فوضع سعادته ما يسميه العسكريون « أمر تقدير » أسار فيه بصراحة تامة الى أن حالة القوات من حيث العتاد والاسلحة سيئة جدا ، ولا سيما اذا كانت الحكومة تفكر في الاعتماد عليها في حملة ضد الصهيونيين في فلسطين .

وعود

وسارعت الحكومة السعدية القائمة تطمئن قواد الجيش المسؤولين عند الحدود . وتؤكد لهم أنه اذا تطور الامر وأصبح من اللازم أن تشتبك القوات المصرية في حرب ضد الصهيونيين غستنهل الاسلحة الثقيلة والخفيفة على الميدان ، وستمتلىء سماء المعركة بطائرات القتال المصرية التي ستكون كثيرة الى حد « يحجب الشمس عن العيون » .

السيارات

وكان مما أشار به القواد في ذلك الوقت وجوب مد القوات المراقبة عند الحدود بانيسيارات ، وقبل أن تصدر الاوامر الى القوات المصرية بدخول فلسطين بليلة واحدة وصلت الى القوات المصرية في الميدان ١٧ سيارة فقط من أكثر من ١٥٠ سيارة تعطلت في رمال الصحراء أثناء اتجاهها الى الحدود .
فاذا تصورنا أن هذا العدد الضخم من السيارات لم يتحمل عبء السفر من القاهرة الى الحدود لادركنا تفاهة الرجاء في أن تعتمد القوات المصرية على السيارات التي تيسر لها الوصول .

بدء القتال

وبينما القوات المصرية على هذه الحال من العجز والحاجة الماسة الى العتاد والسلاح والسيارات ، صدرت الاوامر من القاهرة ببدء الزحف لتأديب الصهيونيين في فلسطين .

روح معنوية عالية

ولم يسع قواد الجيش الا اطاعة الاوامر ، وبدأ الجيش المصرى الحرب وكل اعتماد قواته على الروح المعنوية وحدها التي كانت مرتفعة الى اقصى حد بين رجال الجيش ضباطه وجنوده ، وعلى أمل أن تبو الحكومة بوعدها فتطمح الميدان بما وعدت به من أسلحة .

أول هدف

وكان من أول أهداف الجيش المصرى الزحف نحو مستعمرة يهودية . وقد قدرت المسافة بينها وبين العريش بأربعة كيلو مترات . وكان العجز في السيارات واضحا . ولكن الروح المعنوية المرتفعة بتت في الموقف فتقرر أن يكون اتجاه الجيش الى المستعمرة مشيا على الاقدام .

وسار الجنود البواسل يجرون ما تيسر لهم من مدافع وراهم . وكان عليهم أن يشقوا طريقهم في حذر حتى لا تقع عليهم عيون العدو ، فاضطروا الى أن يسلكوا مناطق صحراوية وجداول نضبت فيها المياه ، وهكذا حتى طاللت المسافة بينهم وبين الهدف . . . وشعر الجنود بالعطش بعد أن فرغ ما يحملونه من ماء ، وانهكهم المشى على الاقدام حتى ان بعض الجنود قد اضطر الى التخفيف من حملهم ، كما اضطر بعضهم الآخر الى ترك بعض المدافع التي يجرونها وراهم .

العودة

ووصل الجنود الى المستعمرة فعلا بعد أن قطعوا عشرة كيلو مترات ، ولكنهم كانوا في حالة من التعب والاجهاد لم يسعهم معها الا العودة من حيث

اتوا ٠٠ وكانت هذه البداية بمثابة صدمة عنيفة لم يخفف من حدتها الا ايمان الجميع بسمو الرسالة التي وكل اليهم امر اداؤها .

العدو يشهد

واستمرت المعارك التي يشترك فيها الجيش المصرى ، واثبت الجيش خلالها جميعا أنه قوة فعالة جعلت الخصوم أنفسهم يخشونها ، حتى ان بعض الصهيونيين في هذا الوقت طبعوا منشورا يقع في ٣١ صفحة يتحدثون فيه عن بسالة ضباط الجيش المصرى وجنوده . ووقعت بعض النسخ من هذا المنشور في أيدي انقوات المصرية في ذلك الحين ، وكان لها أثر كبير في مضاعفة الروح المعنوية وتحبيب الجنود في التضحية والاقدام .

٢٥ / ٠

وبقى قواد الجيش المصرى ينتظرون أن تبر الحكومة بوعودها ، ولم يترددوا مع هذا في مواصلة الحرب بما يملكون من عتاد كان في مجموعه لايزيد على ٢٥ ٪ مما تحتاج اليه القوات فعلا .

معركة دير سنيد

وجاءت معركة دير سنيد . وقد اشتركت فيها القوات المصرية بروح معنوية عالية يمكن وصفها بأنها كانت رقما قياسيا من ارتفاع المعنوية . وكان سبب هذا هو فرح الضباط والجنود وسعادتهم البالغة بتلك الدبابة التي تسير وهم يسيرون خلفها ، فكانت اول دبابة تطلا « جنازيرها » أرض المعركة في فلسطين من جانب القوات المصرية .

الدبابة

وهكذا كان حال الضباط والجنود يوم معركة « دير سنيد » . أما حال الدبابة نفسها فكان مصيبة بل مهزلة مبكية . كانت دبابة ايطالية قديمة نركتها فلول الجيش الايطالى المنهزم أمام انبريطانيين في الصحراء الغربية . وكانت خالية من كل ما تزود به الدبابات من مدافع وسلاح ، ولم يكن فيها غير « الموتور » الذى يجعلها تتحرك . ولا يعلم الا الله وحده كيف نقلت هذه الدبابة من مكانها في الصحراء الغربية الى القوات المصرية المحاربة في فلسطين .

ومع هذا كانت هذه الدبابة - بحالها هذا - مصدر فزع ورعب كبيرين للصهيونيين المدافعين عن « دير سنيد » ومعنى هذا انه لو كانت الحكومة القائمة في ذلك الوقت ساهرة بجد على حاجات الجيش في الميدان لكان في

وسعها أن ندرك أن شيئاً من عدا الاهتمام بأعداد عدد غير كبير من الدبابات المزودة فعلاً بالسلاح كان من شأنه أن يمكن الجيش المصري من القضاء على عدوه في الأيام الأولى من المعركة ، وفيل أن يتمكن من الاستعداد والتزود بالأسلحة التي مكنته فيما بعد من الوقوف في وجه الجيش المصري .

وكانت نتيجة « معركة الدبابة الواحدة » هذه أن انحصرت القوات المصرية وتمكنت من أسر ١١٢ صهيونيا كان من بينهم طبيب اعتمدت عليه القوات المصرية بعد دخولها « دير سنيد » .

خطر جديد

وبعد أن استنب الامر للقوات المصرية في دير سنيد بدأ الضباط والجنود يتفقدون الحصن وما حوله . وهنا تقدم الطبيب الصهيوني الاسير قائلا : هل احميكم من الموت مقابل تمكينى من انقاذ ابنتى الجريحة ؟ فقبل له : لك هذا اذا صدقت الوعد . فاصطحب بعض الضباط والجنود المصريين وارشدتهم الى حقول الألغام التي ثبتت بالقرب من الحصن في طرق كانت القوات المصرية لا شك ستطرقها في تقدمها وتجوّلها في هذه المنطقة .

عجز في مجسات الألغام

ولولا هذا الطبيب الصهيوني الاسير وابنته الجريحة لمعرضت القوات المصرية لخطر داهم نتيجة لهذه الألغام ، فقد كانت القوات المصرية في ذلك الوقت لا تملك حتى مجسات الألغام اللازمة للكشف عن حقوله التي بها العدو .

الخبرة الفاسدة

وحديث الخبرة الفاسدة حديث طويل . ويكفى أن نذكر منه الآن طلقات المدافع زنة ٢٥ رطلا . وكانت هذه المدافع بالذات هي التي يملكها الجيش في الميدان .

ولقد سببت الطلقات الفاسدة التي تلقتها القوات في الميدان لهذا النوع من المدافع أن شرح عدد كبير منها ، بل أن حادنا معينا ونع - وعلمته الحكومة في حينه في تقرير مفصل - يتلخص في أن أحد تلك المدافع قد انجر أثناء إطلاق قذيفة فاسدة فيه فاودى بحياة كل من كانوا حوله بسرعون على إطلاقه .

وبنى القواد مع هذا ينتظرون أن يبر الحكومة بوعدها أملا في تسليمهم أسلحة وذخائر غير فاسدة، ولكن الحكومة مضت في تصرفاتها فراح يرسل إلى

الميدان نخيرة فاسدة تفتك بأرواح الابطال من أبناء البلاد .

(٤) مادة اعداء البلاد :

لما تولت الحكم في عام ١٩٥٠ وزارة حزب الوفد برياسة مصطفى النحاس باشا أخذت تعالج القضية الوطنية بالاساليب المعتادة التي تعتمد على التفاوض مع المستعمر واستجدائه . فلما يئست من جدوى هذه الاساليب استجابت أخيرا لصوت الشعب وأقدمت على خطوة جريئة باعلانها بطلان معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتي ١٨٩٩ وحملت لواء مقاطعة الانجليز ، والتف حولها الشعب ، واستجاب لدعوتها جميع الزعماء على اختلاف ألوانهم ونزعاتهم . . وكان اجماعا رائعا قلما تحقق مثله في يوم من الايام .

ولكن مصريا واحدا خرج على هذا الاجماع ، وشذ عن الشعب الثائر على المستعمر ، وذهب يقترب الى هذا المستعمر متحديا ارادة الشعب واجماع الامة ، ذلك هو ابراهيم عبد الهادي باشا الذي انتهز فرصة عيد الميلاد في تلك السنة وأرسل الى السفير البريطاني برقية يهنئه فيها بالعيد ويبعث اليه بأحسن التمنيات .

ويبدو أن عبد الهادي أراد أن يمثل الدور الذي تضمنه المثل العربي الذي يقول « رمتى بدائها وانسلت » فأوعز الى جريدة « أخبار اليوم » أن تنشر خبرا مؤداه أن النحاس باشا أبرق الى المسنر تشرشل يهنئه . . فلم يكتفه النحاس باشا بتكذيب هذا الخبر بل استطاع أن يحصل من الجهات المختصة على أصول البرقيات التي أرسلت الى الخارج في خلال تلك الفترة واستخرج منها السر الدفين ، فقد نشرت جريدة « المصري » في ٣٠ ديسمبر ١٩٥١ ما يلي : أدعت « أخبار اليوم » أن النحاس باشا أرسل برقية يهنئ فيها تشرشل رئيس وزراء بريطانيا بمناسبة عيد الميلاد - ولكن النحاس باشا كذبها وقال ان الذي أرسل البرقية هو ابراهيم عبد الهادي وهذا نصها:

سيد رونالد كامبل

ادمبره - موراى بليس

عيد سعيد وأحسن التمنيات. بالعام الجديد

امضاء

ابراهيم عبد الهادي

العنوان - ابراهيم عبد الهادي باشا بالقاهرة المعادي

٥ - الخروج على اجماع الامة وتحدي شعورها :

في ٢٦ يناير ١٩٥٢ وقع حريق القاهرة . وهو حدث تاريخي كبير سياتى الحديث عنه في حينه ان شاء الله ، ولكن حسب القارىء الآن ان يعلم

أن هذا الحريق قد قوض الجهود العظيمة التي كتلت الأمة جمعاء خلف الحكومة ضد الانجليز ٠٠ والفاعل انحقى لهذا الحريق هم الانجليز ٠٠٠

وقد زاد هذا الحدث الخطير المصريين على اختلاف نزعاتهم حقدا على الانجليز ومقتا لهم حتى انهم قاطعواهم ورفضوا التعامل معهم ٠٠٠ ولا عجب في ذلك فلا زانت دماء المصريين الذين قتلوا برصاص الجيش البريطاني تخضب شوارع الاسماعيلية ومسند القناة ٠٠٠ فانظر ماذا كان موقف ابراهيم عبد الهادي وسط هذه المقاطعة الجماعية ؟

في ٢٠-٢-١٩٥٢ تحت عنوان « شكر بريطاني لعبد الهادي باشا » نشرت جريدة « المصري » صورة لعبد الهادي باشا وهو في الكنيسة الانجليزية بالقاهرة وكتبت تحتها ما يلي :

« نشرنا منذ بضعة أيام نبأ مبادرة ابراهيم عبد الهادي باشا الى الاشتراك في الصلاة على روح جلالة الملك جورج السادس ملك بريطانيا . وأشرنا الى التعليقات التي اثارها تلك المبادرة من جانب دولته في الوقت الذي امتنع فيه عن الاشتراك في أية مظاهرة قومية ، كما أدى الى ثورة أحد أعضاء الهيئة السعيدة وتهديده بالاعتكاف »

وقد أعادت مجلة « الدعوة » التي يصدرها الاستاذ صالح عشاوي وفريق كبير من كبار الاخوان المسلمين نشر ما جاء « بالمصري » أول أمس في هذا العدد . وقد علقت عليه المجلة بقولها : « ليس هذا غريبا على ابراهيم عبد الهادي باشا ، ولكن الغريب أن يبقى هذا الرجل على رأس حزب ولو من الوجهة الرسمية »

ونضيف الى ذلك أن دولته قد تلقى من السفير البريطاني كتابا رقيقا يشكر فيه دولته على اشتراكه في الصلاة » .

وفي ٢٥-٢-١٩٥٢ نشرت « المصري » تحت عنوان « عبد الهادي باشا يستضيف الانجليز » ونشرت صورة له وكتبت ما يلي :

« عندما علم دولة ابراهيم عبد الهادي باشا بأن كثيرا من أصحاب المباني في القاهرة رفضوا تاجير محال أو غرف مكتبة « سميث » التي احترق محلها يوم ٢٦ يناير ، وأن أصحاب المباني بنوا رفضهم على أساس أن مكتبة « سميث » يملكها انجليز - عندما علم دولته بذلك بادر فأصدر أمرا باخلاء ثلاث غرف من الدور الثالث الذي تشغله جريدة « الاساس » - جريدة حزب السعديين - واستضاف المكتبة في هذه الغرف »

وقد كان لهذا التصرف اعظم الاثر في نفس الجالية الانجليزية في مصر

•• وقد اتصل كثير من الانجليز بدولته وعبروا له عن عظيم امتنانهم لدولته
لعواطفه نحوهم في كل مناسبة •

هذا وقد اقترح بعض أفراد الجالية اقامة حفل تكريم لدولته ولكن رؤى
أن الوقت غير مناسب لذلك •

أما أنا فتعليقا على هذا أقول : صدق الله العظيم اذ يقول :

« لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ » •

ثانيا - بعد قيام الثورة :

مع عدم اقرارنا للمحاكمات العسكرية والمحاكمات الخاصة باعتبارها
وسيلة من وسائل التقاضى ، فان النصوص التى نستشهد بها مما جرى
على السنة رجال النياية والشهود فيها هي نصوص من صميم الواقع
التاريخى • لا علاقة لها باجراءات التقاضى •

وكل الذى فعلته الثورة - فى ابانها - هي أنها أزلت السلطة المتحكمة
فى البلاد ، التى كانت تحمى اللصوص والخونة والفساحين من رجال الحكم
باعتبارهم من أدوات تحكمها ولا تسمح لسلطة القانون أن تمتد اليهم -
وبإزالتها وجد هؤلاء المجرمون من الحكام أنفسهم فجأة أمام سلطة المسألة
وجها لوجه •

وقد نجد أكثر التهم الموجهة الى حكام السعديين بعد قيام الثورة هي
نفس التهم التى وجهها اليهم من قبل حكام الوفد ، ولكنهم وقفوا بها عند حد
الاتهام دون أن يجرؤا على محاكمتهم عليها •• وحتى تلك التى جرؤوا على
محاكمتهم عليها - خوفا من ثورة الجيش - تدخلت القوة المسيطرة وقتئذ
وعلى رأسها الملك فسلبت التحقيقات فاعليتها - كما أشرنا آنفا - حتى لم يعد
الاتهام حين قدم الى القضاء يقوم على قوائم من القانون •

أما عند قيام الثورة فان الجو كان خاليا من العوائق ، فوجهت الاتهامات
مدعومة بإسانيدها ، وانطلقت السنة الشهود التى كان ملجأ من قبل بلجام
من الخوف ، وأدلى كل انسان بما عنده •

واليك بعض الحقائق التاريخية التى تكشف خلال هذه المحاكمة
حيث كان ابراهيم عبد الهادى هو أول سياسى قدم للمحاكمة وحكم عليه
بالاعدام ثم خفف الحكم الى الاشغال الشاقة المؤبدة • وكانت محاكمته فى
حقيقتها هي محاكمة عهد حزبه قبل أن تكون محاكمة شخصية له •• ولو أن
سلفه النقراشى كان على قيد الحياة وقتئذ لقدم معه فى نفس المحاكمة :

١ - تضاعف ثروة عبد الهادى عشرة أضعاف :

جاء فى مرافعة النيابة أن ثروة ابراهيم عبد الهادى - مستقاة من - المصادر الرسمية - تضاعفت احدى عشرة مرة فى ظل المناصب الحكومية التى نولها ، فقد صارت ٩٩٠ (تسعمائة وتسعين) فدانا وثلاثين ألف جنيه وكانت فى الاصل تسعين فدانا .

٢ - الزج بالجيش فى الحرب دون أدنى استعداد :

قرر الفريق محمد حيدر القائد العام للقوات المسلحة فى ايام حرب فلسطين وأيده فى ذلك اللواء موسى لطفى مدير العمليات الحربية آنذاك « أن موقف القوات المصرية بانعريش لا يسمح لها بالدخول فى المعركة بالنسبة للنقص الكبير فى العربات ، ولان الموجود منها وان كان صالحا للسير الا انه غير صالح للقتال - والاسلحة والذخائر الموجود منها لا يكفى للبدء فى العمليات ويجب التاكيد من وجود مورد ثابت مضمون لاستعاضة المستهلك منها ولتسليم الوحدات التى ستستدعى من الاحتياط للخدمة العاملة .

وقرر اللواء أحمد المواوى - القائد العام للجيش المصرى بفلسطين - حين سئل فى اللجنة التى جمعت الضباط يوم ١٠-٥-١٩٤٨ بصراحة تامة عما يفتقر اليه الجيش وما كان يعانى به من نقص فقال :

« لاتوجد وحدة ما فى الجيش كاملة المعدات والتسليح ، وأذكر أننى فتشت على الوحدات بمجرد وصولى للعريش وقدمت لرياسة الجيش كشوفا بالنقص وهى مريعة وتجعل الوحدات عاجزة تماما عن الدخول لاية معركة » .

ويقول الفريق محمد حيدر فى التحقيق وفى لجنة الجيش « بينت للنقراشى الحالة - وعلى الرغم من أنى عارضته صمم على دخول الحرب . وكان فى ذلك تحقيق رغبة الملك بدليل حضور رئيس الديوان ، اى أن الامر كان من السراى ، وكان فاروق يريد تزعم الدول العربية ، وهو الذى دعا رؤساء هذه الدول الى انشاء ولم تعلم الحكومة بأمر هذه الدعوة . وأول من اشتهى دخول الحرب هو فاروق والمسؤولون عن تحقيق هذه الشهوة اثنان هما رئيس الديوان ابراهيم عبد الهادى ورئيس الحكومة النقراشى . ولو سمعنا كلام اللجنة المختصة وعملا به لاقتنا فاروق بوجهة النظر الصحيحة ، ولما دخل الجيش الحرب ، ولكنهما عملا على تحقيق شهوته - كما أيد هذا اللواء أحمد المواوى فى شهادته الموجودة بهذا الملف وكذلك اللواء موسى لطفى .

ومما يجب ان لا ينسى أن اللواء موسى لطفى بعد ان قرر امام النقراشى

الامر الواقع للجيش قال له النقراشى « لا تنهيب » ثم قال له « أنتم تحت أوامرنا » .

٣ - تضليل البرلمان :

قرر شاهد النفى الدكتور نجيب اسكندر - عضو حزب السعديين واحد وزرائهم - أن رئيس الحكومة النقراشى لم يكن من رأيه دخول الحرب بعد ما رأى في مؤتمر بلودان ٠٠ ومع ذلك أعلن في جلسات مجلس الشيوخ والنواب يوم ١٢ مايو ١٩٤٨ ما جاء بالحرف الواحد في المضبطة السرية لمجلس النواب يوم ١٣ مايو ١٩٤٨ : « ان في الجيش المصرى كفاية كاملة ، وأسلحة وافية ، ونخيرة متوفرة ، وان الذى يقدم على مثل هذا الامر يتخذ له عذته » .

٤ - اغفال المؤسسات المختصة :

قرر مجلس الجهاد الاعلى ان موضوع الدخول في حرب فلسطين لم يعرض على المجلس ٠٠٠ كما قرر المحققون في هذه القضية انه بالبحث عن قرار مجلس الوزراء في شأن دخول هذه الحرب تبين ان مجلس الوزراء لم يصدر قرارا في هذا الشأن ، ولم يرد ذكر لهذا الموضوع في محاضر جلسات المجلس أمه ان الامر تقرر شفويا .

٥ - نماذج من طريقتهم في الحكم :

[١] يؤله أن يسمع « ان واحد ماشى بالقانون » :

في اثناء محاكمة ابراهيم عبد الهادى طالب شاهدى نفى هما الاستاذ حسين رأفت واللواء أحمد عبد الهادى . وقد استدعى الاستاذ حسين رأفت وجرت شهادته على النحو التالى وكان السائل هو المدعى :

س - في أى عهد كنت مديرا (محافظا) للدقهلية ؟

ج - نقلت اليها ومكثت مديرا لها ثلاث سنوات في عهد النقراشى وعبد الهادى .

س - لماذا نقلت ومتى من الدقهلية ؟

ج - نقلت في مايو ١٩٤٩ الى مديرو عام اللوائح والرخص ، وانا حاولت معرفة السبب الحقيقى فلم اعرف . ولكن الظروف التى كنت فيها جايئ تنفير الطريق - حصل بينى وبين النواب والشيوخ في الحزب السعدى سوء تفاهم ووصل لرئيس الحزب وكان رئيسا للحكومة وهو السيد ابراهيم عبد الهادى وكان سببه قرب موعد الانتخابات ، فكان لهم بعض طلبات كنت أؤخرها ،

نمثلا كانوا عاوزين نقل رؤساء المدارس الاولية والمدرسين في دائرة المديرية (المحافظة) ، فانا قلت لهم فاضل ثلاثة أو أربعة أشهر • وفيه طلبات أخرى بالعمد والمشايخ وبعض الموظفين •• وكانوا بيقولوا احنا عاوزين نهى أنفسنا ، وقلت لهم لسه بدرى ولازم أعرف سبب كل شىء - وقمت باجازتى السنوية ، وبعدها طلبنى رئيس الوزارة وقال لى انه طلب منه كشف بتعديل الدوائر فقلت له : لماذا عملت هذا التعديل قبل حضورى ؟ فقال : انت حر في تعديلها • وعلمت انه أرسل صورة منها لرئيس الديوان ، ويظهر ان ذلك كان بناء على طلب النواب والشيوخ •• فقلت له : ما دامت أرسلت لرئيس الديوان حراجع ايه ؟

والسبب الثانى في نقلى ان ابراهيم عبد الهادى كان يطلب منى طلبات ما اقترش أجيبها •• وأنا كنت أسمع انه بيقول انى عامل قانونى •• وكان بيؤله أن يسمح ان واحد ماشى بالقانون •• وهو اتصل بى مرة وقال: انت اعتقلت أد ايه من الاخوان ؟ فقلت له • سبعة • فقال : سبعة ولا سبعين •• انت منتظر لما ييجو يقتلونى ؟ •• وبعد كده قال لى : انت بتطبطب على المعتقلين وتوديعهم المعتقل كده ؟

فقلت له : امال تعمل ايه ؟ فقال : يا أخى اسأل اخوانك •

فقلت له : اسأل اخوانى ليه •• انك اتلقى أوامرى منك بس تكون في حبود القانون •

فقال لى : يا أخى انت دايمًا تقول لى •• قانون قانون •• ؟ ••

س - هل نقلت وحدك أم في حركة ؟

ج - وحدى • وكان ذلك في عيد الجلوس •

س - وهل المركز الذى نقلت اليه كان يساوى مركزك ؟

ج - مركز المدير (المحافظ) أكبر من الناحية الادارية •

[ب] عبد الهادى يتصل مباشرة بالضابط السنباطى متجاهلا المحافظ :

كان سعد الدين السنباطى أحد الضباط العريقين في الاجرام في عهد ابراهيم عبد الهادى •• وجاء دوره في المحاكمة بعد قيام الثورة عما اقترفه من جرائم التعذيب •• وقد طلب هذا المتهم الاستاذ أحمد راغب الدكرورى مساعد نفى ، فاستدعته المحكمة وجرت شهادته على النحو التالى :

س - متى كنت مديرا (محافظا) للغربية ؟

ج - في نوفمبر ١٩٤٧ الى سبتمبر ١٩٤٩ حيث نقلت الى الداخلية •

س - ما هى الوظيفة التى كان يشغلها سعد الدين السنباطى فى عام ١٩٤٩ ؟

ج - كان فى وظيفة رئيس القسم المخصوص بمديرية (محافظة) الغربية .

س - هل حصلت اعتقالات فى هذا العهد ؟

ج - احب ان اوجه النظر الى ان السنباطى عندما نقلت للغربية كان من الموظفين الذين وثقت فيهم كل انشقة ، لانى لمست فيه الكفاية والاخلاص والجد والاجتهاد ، فقربته منى . حتى ان كثيرا من اخوانه حققوا عليه هذه المنزلة وحذرونى منه كثيرا ، وقالولى انه رجل خطر . . ولكنى حملت هذا على انه حقد . . وظل على هذا وانا واثق فيه الى ان قتل المرحوم انفراشى وظفر ابراهيم عبد الهادى بالحكم . وصحب هذا كله موجة من الارهاب والطغيان ارسلها ابراهيم عبد الهادى فى القطر كله . . وليس هناك من يجهل هذه الموجة . . وكان الغرض من هذه الحملات الارهابية الانتقام من الاخوان المسلمين لقتل انفراشى .

فى هذا الوقت تغير السنباطى ومشى فى ركاب الطغيان والارهاب ، وخرج عن وفائه لى ، لانه كان اذنى الى ابراهيم عبد الهادى منه لى ، لانه صنيعته فى الاصل . . وكما علمت منه فيما بعد انه من اخلص المخلصين له ، وانه يضحى بنفسه وماله واولاده فى سبيل ارضائه .

فكنت المس ان ابراهيم عبد الهادى كان يتصل مباشرة بسعد الدين السنباطى فى كل ما يتصل بالاخوان المسلمين والاعتقالات والحبس وغير ذلك ، ويتجاهلنى تماما . . وكلنا فى هذا الوقت كنا نرهب هذا العهد لا لشيء الا لانه كان عهدا لا عقل له ، ويجوز انه كان ينال من الابرياء .

فكان السنباطى - بصفته رئيس القسم المخصوص ، وبحكم اتصاله بابراهيم عبد الهادى - يتصرف كيفما يشاء ، ويعتقل كيفما يشاء ، ولا معقب لتصرفاته ، فكان يعتقل ويقبض كما يريد ، وما عليه الا ان يقدم مذكرة بمعلوماته - وفيها الكفاية - على ان هؤلاء الناس من اخطر الناس على الامن وكان يحصل بهذا على اوامر الاعتقال .

وقد لاحظت ان الحملة الارهابية كان يصاحبها دائما تفتيشات وضبط اسلحة ومهمات كثيرة مثل الاجهزة اللاسلكية . فلما تكررت العملية بدأت اتشكك فى انها صحيحة ، ولكن تشككى لم يذهب الى حد اليقين . وكنت غير مرتاح لهذا . . ولهذه اللحظة ما اقدرش اقول انى متيقن من ان هذه الاشياء كانت تضبط فعلا ام انها كانت للفتنة .

وفيما يختص باتصال سعد الدين السنباطي بإبراهيم عبد الهادي واستسلام عبد الهادي لطلباته .. وكان سعد الدين صاغا (رائدا) في ذلك الوقت .. فيه حادثة أقول لكم عليها :

سعد الدين في موجة الارهاب أدعى أن هناك مؤامرة على قتله من الاخوان المسلمين . ليه ؟ لانه داير يقبض عليهم .. بلغنى هذا . واتخذ هو بنفسه اجراءات فيها فكان محقق ومجنى عليه .. فانا أشرت ان المسألة لازم تروح النيابة .. وبدأ التحقيق فيها رئيس النيابة .. ولان القضية فيها مؤامرة على قتل موظف كبير ، حببت أشوف التحقيق ماشى ازاي . فذهبت الى البندر ووجدت رئيس النيابة أمامه أحد المتهمين وكان يسأله عن نقطة معينة أنكرها المتهم . فرئيس النيابة قال له : ان زميلك اعترف بها . فأجابه بأنه يمكن اعترف لانهم عذبوه كما عذبونى . فأراد رئيس النيابة أن يسأله عن وقائع تعذيبه . فهاج سعد الدين السنباطي ونار وترك التحقيق وانصرف قائلاً لرئيس النيابة : انت بتسيب التحقيق الاصلى وعاوز تحقق في التعذيب ؟ ..

أنا الحقيقة ذهلت .. ماذا أستطيع أن أفعله .. بعد ما سابنا ومشى حاولنا أن نعيده مارضيئش الا بعد نصف ساعة محايله .. وأنا وجدت اني احسن ما أقعدش فخرجت ورحت قعدت في النادى .. ثم قابلت سعد الدين فقال لى : هذا ليس بتحقيق لان رئيس النيابة يترك الموضوع الاصلى ويحقق ضدنا في التعذيب ... ومع ذلك هو مش رايح يحقق القضية ، أنا اتصلت بإبراهيم عبد الهادي ووعدنى ان النائب العمومى سيصل باكراً صباحاً لسحب التحقيق منه ..

لم استغرب ولكنى برضه استكثرتها .. فقعدت أفكر وأنا زعلان منه لانه أسأنى ومس كرامتى وجت الحكاية دى .. ولو تم ما قاله سعد الدين تنقى هذه الجريمة - جريمة سحب التحقيق من رئيس النيابة - لانى أعتبرها جريمة - تقع على عاتق مين ؟ سعد الدين السنباطى ولا إبراهيم عبد الهادى ولا النائب العام ؟

انتظرت للصبح فسمعت أن النائب العام وصل للأسف .. رحى أشوف النائب العام فوجدت النائب العام بنفسه ومعه ثلاثة من مفتشى النيابة - سلمت عليه ثم فهمت منه بانه جاى يفتش فوجد أن رئيس النيابة مشغول بقضية كبيرة وفيه شغل ثانى كتير ، وانه راي من صالح العدالة انه يسحب التحقيق منه ويعطيه لفتش النيابة ليتفرغ هو الى الشغل العادى .. وقد كان وبكل أسف وسحبت القضية من رئيس النيابة .

رئيس المحكمة - من هو النائب العام في ذلك الوقت ؟

ج - الاستاذ محمود منصور .

بعد كده دلنى هذا على شىء هو أن فيه تعذيب .. ولو لم يكن فيه تعذيب ماكانش سعد الدين ثار واتصل برئيس الحكومة ، ولا كانش رئيس الحكومة يسوغ له العبث بالعدالة . لكن من المسئول ؟ ... هذه مسألة أتركها لكم .

س - ألم يصل الى علمك أن رئيس الحكومة نكل برئيس النيابة وعطل ترقيته ؟

ج - سمعت فيما بعد من رئيس النيابة أنه كان مدرجا ضمن المرشحين للترقية ، ولما عرض على ابراهيم عبد الهادى شطبه وأخر ترقيته . وأنا شككت لرئيس النيابة - ولم يكن يعرف السبب الحقيقى - لا يا استاذ حصل كذا وكذا وحكى له حقيقة اللى حصل .

[ج] البوليس السياسى فى عهدهم :

وجاء دور اللواء أحمد عبد الهادى حكامدار القاهرة (مدير أمن القاهرة) فى عهد عبد الهادى لاداء الشهادة فسل عن البوليس السياسى (وكان يسمى أيضا بالقسم المخصوص) فأجاب :

« ضبط البوليس السياسى لم يكونوا خاضعين للحكمدار ، وانهم يكتبون تقاريرهم من ثلاث صور : احداها ترسل للسفارة البريطانية والثانية للسراى والثالثة للوزارة » .

وبعد

فهؤلاء هم الذين كانوا يحكمون البلاد فى تلك الايام ...

ومن هؤلاء جاءت مذمتنا ...

ورحم الله ابا الطيب اذ يقول :

واذا أتتك مذمتى من ناقص فهي الشهادة لى بانى كامل .

الفصل الخامس

هذه القضية .. تطورها الاجرائي أمام القضاء

في سجلات النيابة العامة والقضاء نقرا اطوار هذه القضية في الخطوط الرئيسية التالية :

اولا - وقعت الجريمة في الساعة الثامنة والنصف من مساء يوم السبت الموافق ١٢ فبراير ١٩٤٩ أمام مبنى جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة .

ثانيا - أجريت تحريات وتحقيقات وتفتّذ لم نسفر عن معرفة الجناة ، وانتهى الامر بحفظ التحقيق مؤقتا ، وكان ذلك في عهد النائب العام محمود منصور .

ثالثا - استأنفت النيابة التحقيق في عهد وزارة حسين سرى ثم في عهد وزارة الوفد ، وأصدرت النيابة أمرا بحظر النشر عن هذا التحقيق فلم تسفر هذه التحقيقات عن الوصول الى الجناة .

رابعا - لما قامت الثورة ، أمرت القيادة بالقبض على الاميرالاي (العميد) محمود عبد المجيد وكان مديرا (محافظا) لجرجا في ذلك الوقت وذلك في ٢٩ يوليو ١٩٥٢ ، كما أمرت بالقبض على المتهمين الآخرين ، وأودعوا السجن الحربى ، حيث تولى التحقيق معهم نائب الاحكام البكباشى (المقدم) ابراهيم سامى جاد الحق .

خامسا - احالة القضية الى غرفة الاتهام :

ثم أحيل التحقيق الى القضاء ، وندب الاستاذ حسن داود المستشار بمحكمة الاستئناف للقيام به . وأحيلت القضية الى غرفة الاتهام برياسة الاستاذ مرسى فرحات رئيس محكمة الاستئناف وعضوية الاستاذين محمد على جمال الدين وعبد الرحمن جنيته . ومثل النيابة الاستاذ فؤاد سرى - فقررت الغرفة الافراج عن اليوزباشى عبده ارمانىوس والبكباشى حسين كامل والامباشى حسن محمدى رضوان والجاويش محمد سعيد اسماعيل وانكبباشى محمد الجزار - واستمرار حبس الاومباشى احمد حسين جاد ومصطفى محمد ابو الليل غريب والباشجاويش محمد محفوظ السائق والاميرالاي محمود عبد المجيد . كما قررت احالة جميع المتهمين الى محكمة

الجنايات - وقررت أن لا محل لاثامة الدعوى على ابراهيم عبد الهادى
وعبد الرحمن عمار .

سادسا - أول دائرة جنایات تنظر القضية :

ثم تولت دائرة الجنايات برئاسة الدكتور كامل ثابت نظر القضية في
١٠ نوفمبر ١٩٥٣ ، فبدأت بسماع شهود (الاثبات) فاستمعت الى الاستاذ
د محمد يوسف الليثى وهو الشاهد الرئيسى في القضية ، وقد أوردنا نتقا من
شهادته .

شهادة عبد الله خليل فوز : -

ثم استمعت الى شهادة عبد الله خليل فوز من أعيان جرجا ، وكان
على صلة وثيقة بالمتهم الاميرالاي محمود عبد المجيد - وجاء في شهادته : أنه
حضر الى القاهرة في شهر فبراير ١٩٤٩ لزيارة المعرض ، وفي يوم ١٢ فبراير
دعا مدير الشرقية السابق ومعه محمود عبد المجيد للغداء في مطعم ٠٠ وفي
الساعة التاسعة مساء دخل عليهم محمد محفوظ سائق محمود عبد المجيد
وتحدث معه حديثا خاصا نحو عشر دقائق ثم خرجا معا .

وفي اليوم التالي قابله محمود عبد المجيد وأخبره بمقتل الشيخ البنا
فقال له : اننى سمعت هذه الاشاعة بعد ما نركتمونى أمس بربع ساعة - وقال:
ان محمود عبد المجيد قال لى : ان البعض أعطى نمره سيارتى على أنهم راوها
عند الحادث ٠٠ وحدثت مناقشة بيننا حاول خلالها أن يحملنى على أن اعترف
بان سيارته كانت تقف أمام اللوكاندة وقت الحادث ٠ الا اننى نظرا لاننى لم
أرها قلت له : والله أنا لا أعرف حاجة ، ورفضت أن أشهد بذلك ٠٠ وطلب
منى عدم السفر حتى أدلى بأقوالى التى يريدھا .

وفي اليوم التالي قابله بالوزارة وسالته عما تم فقال : مافيش داعى ٠٠
سافر أنت ٠٠٠

● اعتراف السائق محمد محفوظ بارنكاب الجريمة :

وبعد أسبوع رجعت الى القاهرة مرة أخرى وركبت سيارة محمود عبد
المجيد مع السائق محمد محفوظ ٠٠ واثنا الطريق طلب منى محفوظ أن
أتوسط لدى محمود عبد المجيد لترقيته فرفضت ٠٠٠ وفوجئت به يقول :
٣٠٠ جنيه ايه ٠٠ دى حاجة ليس لها قيمة - وانا كنت خالى الذهن من هذا
الموضوع ٠٠ الا أنه لا اعتقاده بصلى بمحمود عبد المجيد ظن أننى اعرف كل
شئ ، فبدأ يصارحنى واعترف بكل شئ وقال : انا ركبت السيارة ومعى
أرمانفوس ومحمدين وأشخاص آخرون لا أذكر أسمائهم ، وتوجهنا الى

جمعية الشبان المسلمين ، ووقفنا في مكان مقابل لها ، ونزل احمد حسين -
المتهم الاول - ومعه شخص لا اذكر اسمه وراحوا الجمعية وارتركبوا حادث
مقتل الشيخ البنا ، وعادوا وركبوا السيارة ٠٠ والجماعة التي كانوا معاهم
كانوا حاميين ظهورهم - وبعد الحادث ركبوا معي وأمروني بالاتجاه لوزارة
الداخلية ٠٠٠ وهناك غيروا ملابسهم ٠٠ وعاد محمد محفوظ الى اللوكاندة
حيث قابل الاميرالاي محمود عبد المجيد ٠٠٠ فانا دهشت وقلت له : هذه
مسائل خطيرة وتضرك كثيرا .

● شهادة محمد حسنين عضو جمعية الشبان :

وسمعت الحكومة ايضا الشاهد محمد حسنين وجاء في شهادته انه كان
المتهم (وأشار الى احمد حسين جاد) يتردد كثيرا على الجمعية . كما أنه
شاهد المتهم محمددين يجلس القرفصاء على الرصيف امام الدار ، وذلك قبل
مصرع الشهيد بأيام - وقد أمرت المحكمة المتهمين بالوقوف فتعرف عليهما
الشاهد وأصر على أقواله .

● حرم النقراشي تعطى القاتل بقشيشا :

ثم سمعت المحكمة الشاهد سعد الله مصطفى السيد من اهالي أبو دومة
بسوهاج وجاء في شهادته ما يلي :

كنت موجودا بسوهاج بعد الحادث بشهر . وقابلني احمد حسين جاد -
وأشار الى المتهم الاول - فعرض على قطعتين من الصوف لبيعهما ٠٠ واحنا
في سياق الحديث سألفاه عن مصدر الصوف فقال : « ده هديه من ناس كبار ٠٠
من حرم النقراشي باشا ، لانى اخذت لها ثار زوجها ٠٠ ومحمود عبد المجيد
وعبد الرحمن عمار أخذونا في المهمة وقتلنا البنا ٠٠ واخذونا عابدين » ثم
أخذني ابراهيم عبد الهادي لحرم النقراشي باشا فأعطتني الهدية ، وأعطوني
بقشيش ٦٠٠ جنيه .

فقلت له : مادام صاحب القماش قتل أنا لا آخذه . وتركته .

وسألته المحكمة : هل رايت شيئا آخر مع المتهم ؟

فقال : ورانى صورة النقراشي مكتوب عليها « هدية لبطل الصعيد
وجرجا » وموقع عليها من حرم النقراشي باشا .

ثم سمعت المحكمة الشاهد على محمد يونس تاجر وترزى بطما ٠٠
شهد بان سعد الله مصطفى اخذه الى القاهرة وحضر الخبر احمد حسن ومعه
القماش وصورة النقراشي ، وايد شهادة سعد الله .

● اعتراف السائق محمد محفوظ مرة أخرى :

وسمعت المحكمة أيضا شهادة الباشجاويش محمد فرج على الوجه الآتي :

المحكمة : هل حدث حديث بينك وبين محمد محفوظ ؟

الشاهد - بعد الحادث بثلاثة أو أربعة أيام الاميرالاي محمود عبيد المجيد كان عاوز يركب ويروح مجلس الوزراء فلم يجد سيارته ، فركب في سيارتي الحكومية ووصلته وانتظرتة هناك . وفي هذه اللحظة جه محمد محفوظ . وأنا قلت له ان الشيخ البنا قتلوه أول امبارح ومحدث عمل حاجه وان واحد سفرجى ضربيه . فرد على وقال : الحكاية ماهيش كده . . أقول لك الحكاية وماتقولش لحد ؟ فحلفت له انى لا أقول ولكن لم يصدقنى الا بعد ان حلفت يمين الطلاق .

فقال لى : احنا كنا في الحادث وضربناه احنا والعيال المخبرين اللي جايين من جرجا ، وكان ويانا سعادة محمود بك عبد المجيد وقت ما ضربوه . ه نال لى : ان محمود عبد المجيد كان يلبس الجلابية ولافف تلفيعة على دماغه وفألوا عليه سفرجى وهو اللي ضرب أول طلقة ، وأحمد حسين هو اللي ضرب المطلقات الثانية .

وقلت له : ازاي تعمل كده ؟ فقال : احنا نعمل ايه ؟ رغبة الحكومة كده والسراى راضية لان الاخوان قتلوا الثقراشى .

وقال كمان ان عبده أرمانىوس وحسين كامل والمخبر محمد السعيد كانوا موجودين معنا ، وكان محمد سعيد يلبس بدلة ، وكان واقف بالشارع وكانوا دول حارسين .

وقال الشاهد : ان هذه المعلومات لم أقلها الا في القيادة بعد ان قامت حركة الجيش وعلمت أن محمد محفوظ جابوه من جرجا .

المحكمة - محمد محفوظ ماقالش لك انه أخذ فلوس ؟

الشاهد - بعد اعترافه لى بعشرين يوم تقابلنا بالوزارة . وأخذت أنستكى له الضيق وكثرة المصاريف ، فأخرج محفظة من جيبه وبها ثلاث ورقات ، ورقة بمائة جنيه والاثنين التانيين كل واحدة بمبلغ خمسين جنيه . فقلت له : ليه شاييل المبالغ دى كلها ؟ قال لى : لو كان معايا فكة كنت أعطيتك لك اللي انت عاوزه .

كما سمعت المحكمة شهادة آخرين مثهم الاستاذ مصطفى مرعى والاستاذ

محمد زكى على واللواء صالح حرب ومطلقة والاستاذ مصطفى الشوربجي .
وقد عرضنا في الفصول السابقة لبعض ما جاء في شهادتهم .

سابعا - رد هيئة المحكمة التي تنتظر القضية :

في نهاية جلسة ١٩-١١-١٩٥٣ وفي أثناء أداء اللواء صالح حرب لشهادته طلب المتهم محمد محمد الجزار عقد الجلسة سرية لانه يريد أن يقول أشياء تتصل بالليثي والشاهد وزوجته لا يجوز ذكرها في جلسة علنية . فأصر الشاهد على أن يقول الجزار ما يشاء علنا . ولكن محامي الجزار قال للمحكمة ان موكله عدل عن طلبه . . . فاذا برئيس المحكمة يقول للمحامي : هل رجعت الى موكلك في شأن العدول عن السرية ؟

وهنا ثار الاستاذ عبد القادر عوده من المحامين المطالبين بالحق المدني وقال :

ان المطالبين بالحق المدني يرون في تصرف رئيس المحكمة في قوله للمحامي عن الجزار : هل رجعت الى موكلك بعد أن قرر العدول عن الجلسة السرية وموكله بجانبه ، يرون في ذلك نوعا من التحيز ، لا سيما وقد سمح رئيس المحكمة للدفاع بمناقشة الشهود قبل المطالبين بالحق المدني ، مع أن القانون يجعل للمطالبين بالحق المدني الاولوية في توجيه الاسئلة الى الشهود - وقال : ان رئيس المحكمة تربطه بابراهيم عبد الهادي روابط معينة ، كما أنني حين كنت قاضيا كنت لا أشعر في ثقة من ناحيته وأشعر بحرج . . وأساس القضاء ليس هو العدانة ولكن الثقة في نفوس المتقاضين - وطلب تنحيه .

وقررت المحكمة - بعد المداولة - احالة الاستاذ عبد القادر عوده لقاضي التحقيق على أن يتخذ هو من جانبه اجراءات الرد .

واستغرقت اجراءات رد المحكمة زمنا طويلا ، فقد عرض طلب الرد أولا على دائرة برياسة محكمة الاستئناف ، فطلب الاستاذ عبد القادر رد هذه الهيئة . فعرض بعد ذلك على هيئة برياسة اكبر مستشاري محكمة الاستئناف سنا فرفضت طلب الرد .

فاستأنفه الاستاذ عبد القادر القرار أمام محكمة النقض - الدائرة المدنية - ثم الدائرة الجنائية فقررت كلتاهما عدم الاختصاص .

فظل قرار رفض طلب الرد قائما . . . وحينئذ تتحت هيئة المحكمة من تلقاء نفسها عن نظر القضية .

ثامنا - هيئة جنایات أخرى تعيد نظر القضية :

انعقدت الجمعية العمومية للمستشارين وعهدت الى دائرة الاستاذ محمود عبد الرازق وعضوية الاستاذين محمد شفيح الصيرفي ومحمد متولى عنلم بنظر القضية ، ومثل النيابة الإستاذ على نور الدين . وبدأت أولى جلساتها يوم ١٦-٤-١٩٥٤ .

وحضر عن المدعين بالحق المدنى الاساتذة عبد القادر عوده ومحمد عزمى وعبد الكريم منصور والدكتور عبد الله رشوان وعلى طمان وأحمد كامل . وطلبوا ٣٠ ألف جنيه لزوجة الشيخ البنا وأولاده . ٣٠ ألف جنيه للاستاذ عبد الكريم منصور . كما طلب والدا الجنى عليه قرشا صاغا من المتهمين والحكومة .

وحضر عن الحكومة الاستاذ أحمد محمد آغا المستشار بقسم قضايا الحكومة وطلب رفض الدعوى المدنية وبرائة المتهمين وتألفت هيئة الدفاع عن المتهمين من الاساتذة فريد أبو شادى وأحمد الحضرى وشوكت التونى ومحمد على رشدى وعبد الجليل العمرى وسيد مصطفى وحماه انناحل وعبد الحميد رستم وحسن ادريس وعبد أبو شقة وعبد المجيد الشرقاوى والظاهر حسن ومختار قطب .

تاسعا : شهود جدد استمعت اليهم الهيئة الجديدة :

● موظف بالداخلية يقرر أن الخبرين جاءوا من جرجا مهمة سرية :

بعد أن استمعت المحكمة الى الشهود الذين أدلوا بشهاداتهم أمام الهيئة السابقة ، أخذت في الاستماع الى شهود آخرين لم يكونوا قد أدلوا بعد بشهاداتهم . ومنهم الاستاذ زكى عبد التواب الموظف بوزارة الداخلية وعضو جمعية الشبان المسلمين . وجاء في شهادته ما يلى :

قال : انه كان في جمعية الشبان المسلمين لانه سكرتير القسم الاجتماعى بها فسمع فرقة ، ونظر من نافذة الدور الثانى فرأى رجلا شكله شاذ يلبس جلابية وعلى رأسه تلفيحة كان واقفا عند محطة الترام . وشهد بأنه رأى غلاما أسمر يقول انه أخذ نمره السيارة . ثم قال : وكان واحد اسمه محمد عثمان عفدنا في الجمعية نادانى قائلا : يا زكى يا زكى . فرحت وقال لى : ان الولد ده معاه نمره السيارة . فسالت الولد فذكر لى النمره وواحد من الواقفين كتبها ومش متذكره . وبعدين الولد ركب على رفرف العربية وراح معاهم الاسعاف . وأنا قلت للعسكرى هناك : بقى ترتكب امامكم جريمة ولا تمسكوش الجانى واحنا نمسكه . روح يا شيخ ما هو انتو الى قتلتموه

٠٠٠ ورحت أنا ومحمد مصطفى ومجموعة كبيرة الاسعاف وما وجدناش الشيخ
البناء لانه كان راح القصر العيني .

وفي اليوم التالي رحت الوزارة - وزارة الداخلية - وسمعت مخبرين
بيقولوا ما حدس ارتكب الحادث ده الا المخبرين دول . وأنا تذكرت شكل
الشخص اللي شفته عند الترامواي . ولما شفتهم في الوزارة عرفتهم وسألت
عنهم فقل لي انهم من جرجا والمدير جاييهم علشان مهمة سرية . فقلت
لازم هم اللي عملوا الحادث ، فنزلت علشان اتأكد من الشخص اللي شفته فلم
أجدهم لانهم كانوا مشيوا . وربطت بين الحوادث دي كلها . وبعد كده بدا
محمد محفوظ يتكلم مع مخبري الوزارة .

وفيه واحد اسمه فهمي مصطفى سأل المخبر أحمد حسين قائلا : هو
الشيخ البناء فين النهارده ؟ فقال له : انت بتسألني ليه . هو انت بتجسس
على ؟ . والمخبرين اللي في الادارة قالوا ان محمد محفوظ بيقول لهم : احنا
رحنا واستنتهم بالعربية وارتكبنا الحادث ، وأنا بيتها لي كل ما أروح الحقبة
دي أشوف شبح الشيخ البناء .

الرئيس - مين اللي قال كده من المخبرين ؟

الشاهد - واحد اسمه محمدين . . . ومرة حصل ان محمد محفوظ كان
مدين لفهمي هذا في خمسة قروش صاغ فطلع له محفوظ ورقة بمائة جنيه .
ومضى الشاهد يقول انه حذر الليثي أكثر من مرة نظرا لاهتمامه
بالحادث وقال له : يجب ان تكون حذرا لان هؤلاء الناس خطرين وان
الجهودات التي يقوم بها ستضيع هباء .

الرئيس - وده اذن اللي خلاك امتنعت عن الشهادة ؟

الشاهد - أيوه . . أنا شخصيا كنت خايف ، وعارف ان السمحيين
خطرين ، وهم حاولوا نقل خمسة مخبرين مرة واحدة وظهر على شان كانوا
بيتكلموا كتير في الموضوع - ومرة طلب مني الليثي ان اتقدم للشهادة فقلت
نه : مش ممكن لانه ما فيش ضمان للواحد . وأنا كان ضميري يؤنبني لاني
عايز أقول الحاجة اللي شفتها فكتبت جواب من غير امضاء وبعته لليثي
ونكرت فيه المعلومات اللي اعرفها .

الرئيس - واشم عنى بتبعته لليثي ؟

الشاهد - أنا خفت أرسله للنيابة يخطفوه فبعته لليثي لانه متحمس
الرئيس - من هو الشخص الذي اشتبهت في رقبته أمام محطة الترام ؟

الشاهد - (أشار الى أحمد حسين) وقال : هو ده ٨٠ ٪ هو ده .
وبعدين شفته في الداخلية مع المخبرين الثلاثة .

الرئيس - ما شفتش حد غيره من المخبرين اتلى شفقتهم في الداخلية
بعد الحادث عند باب الجمعية ؟
الشاهد - أيوه شفت وهم دول (وأشار الى محمد اسماعيل وحسين
محمد) .

الرئيس - هل بينك وبين الاميرالاي محمود عبد المجيد حزازات ؟
الشاهد أبدا .. أبدا وأنا احترمه .

الرئيس - لما سمعت انهم جابوا مخبرين من جرجا ما عرفتش مين
جاييهم ؟

الشاهد - اللي سمعته ان عبد الرحمن عمار هو صاحب الفكرة والموعز
باحضارهم لانه كان مدير جرجا وعارفهم من زمان .
الرئيس - عرفت منين كده ؟

الشاهد - من الوزارة .. كان الموظفين بيتكلموا وقالوا ان عبد الرحمن
عمار خايف على نفسه بعد حل الجمعية .

الرئيس - ايه اللي خلاك فاكر نمرة السيارة ؟

الشاهد - لانه رقم سهل جدا ٩٩٧٩ .

● شاهد آخر سمع اعتراف محمد محفوظ :

ثم سمعت المحكمة محمد حسن ندا صاحب محل حلوى قال :
أنا في مطي فوجدت عربية الاميرالاي محمود عبد المجيد وقفت امام بيت
أحمد سليم جابر اللي جنب المحل ، ونزل الاميرالاي عبد المجيد وفضل
السواق محمد محفوظ والمخبرين ثلاثة لا أعرفهم . ومحمد محفوظ دخل جوه
المحل عندي فقلت له : انتم جايين منين كده ؟ فقال : جايين من حاجة جامده
.. اجنا قتلنا الشيخ حسن البنا . فقلت له : ازاي ؟ فحكى لى عن الدور
وانهم ضربوه بالمسدس وانكسر الزجاج والسواق اتزنى على الارض ،
وواحد فتح الباب من انيمين والثاني فتح الباب من الشمال - وكان الكلام
ده يوم الحادث الساعة تسعة تسعة ونصف تقريبا .

الرئيس - هل كان محمد محفوظ يتردد عليك قبل كده ، وشفقت المخبرين
قبل كده ؟

الشاهد - أنا شفت محمد محفوظ كتير قبل كده ، لكن المخبرين
ما شفتهمش .

الرئيس - ما شفتش حت يتردد على بيت سليم جابر غير محمود عبد المجيد ؟

الشاهد - كان بيجيله على حسنين المتهم في قضية عبد القادر طه .

● ومن شهادة الوصول محمد الميهي شرف :

وهو موظف بإدارة المباحث الجنائية يقول :

في خلال شهر يناير ١٩٤٩ وجدت الثلاثة المخبرين دول في بوفيه الوزارة تحت ، وكنت لاحظت أنهم بيترددوا على انصاغ حسين كامل فسهلتهم انتم مين ؟ فقالوا : احنا مخبرين وجايين نشتغل في الوزارة هنا . فدخلت أبحث عن أوراق عن كيفية نقلهم فلم أجد ، فسألت انصاغ حسين كامل عنهم فقال : أيوه . . ثم عاد وطلب مني أن أنتظر حتى يسأل الأميرالاي محمود عبد المجيد ثم دخل محمود عبد المجيد وخرج بعد شوية وقال لي : دول جايين في مأهورية خاصة وما لكش دعوة بيههم .

الرئيس - ألم تثبت اسم أحد من المخبرين دول في الدفاتر ؟

الشاهد - أظن أثبت اسم أحمد حسين جاد في الوقت اللي سألت فيه انصاغ حسين كامل وما أثبتش الباقي علشان الامر اللي صدر لي .

● جاكته الوصول للسائق محمد محفوظ :

وجاء في شهادة القائم مقام طه زغلول أن السائق محمدى الحركى أطلعه على جاكته وصول فصلها محمد محفوظ مقدما ، حيث وعدوه بالترقية مكافأة له . فأخذه طه زغلول فأوصله الى القيادة بالسجن الحربى وسلم الجاكته للقيادة .

فطلبت المحكمة احضار السائق محمدى الحركى في الحال فأحضر وبسؤاله قرر ما قاله طه زغلول . فلما ووجه بمحمد محفوظ وحاول محفوظ على الانكار ، قال محمدى للمحكمة : اذا أصر على الانكار قساذكر اسم الترتزى الذى فصلها . . وقد اعتبرت المحكمة موضوع الجاكته هذا من أهم نقط القضية .

عاشرا - من مراقبة النيابة في القضية :

بدأت النيابة مراقبتها بالسطور التالية :

١ - الجريمة المقدمة اليوم تعد من أخطر الجرائم التي نكبت بها البلاد في العهد الاخير . وتتمثل خطورتها في ناحيتين : أولا - أنها جريمة اغتيال رجل من اكبر رجال الدين في العصر الحديث هو المغفور له الشيخ حسن البنا

المرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين - وثانيا - انها جريمة قتل دببرنها واشرفت عليها ونفذتها الدولة في سبيل القضاء على فكرة معينة او دعوة معينة كان ينادى بها الفقيده ، وكانت تلقى التأييد من عدد من المواطنين .

وكانت الدولة ترى في هذه الدعوة ما يهدد كيانها ، فأرادت أن تقضى عليها بالتخلص من صاحبها ، وذلك باغتياله . . . وهكذا سخرت الدولة قوتها وسلطاتها في ارتكاب جريمة قتل رجل أعزل مجرد من القوة والحماية ، لا لشئ الا للرغبة في ارضاء الحاكمين الذين رأوا أن بقاء هذا الرجل الأعزل يهدد نظام دولتهم وحكمهم ، فدبرت هذه الجريمة بواسطة رجال الامن المفروض فيهم المحافظة على ارواح المواطنين وحمايتهم .

وهكذا عادت بنا هذه الحكومة الى عصور البربرية الاولى ، حين كانت شريعة الغاب هي القانون الوحيد وحيث كان السيف هو اللغة الوحيدة لمناقشة رأى معارض أو فكرة لا تروق الحاكم - كيف لا وقد أهدرت هذه الحكومة كل القوانين السماوية والوضعية ، ونسيت وظيفتها الاولى في حماية الناس وتمكينهم من التعبير عن آرائهم وأفكارهم .

الحادى عشر - نص الحكم الذى أصدرته المحكمة :

بدأت هذه الدائرة في نظر القضية يوم ١٦ من ابريل ١٩٥٤ ، وانتهت من نظرها يوم ٧ يوليو ١٩٥٤ ، وقررت تأجيل النطق بالحكم الى جلسة ٢ من أغسطس ١٩٥٤ .

وبلغ عدد الجلسات التى عقدتها المحكمة ٣٤ جلسة سمعت خلالها ٣٣ شاهدا . وبلغ عدد صفحات محاضر الجلسات ١١٠٠ ألف ومائة صفحة عدا أوراق القضية وتبلغ نحو أربعة آلاف صفحة .

وقد عقدت الجلسة يوم ٢ من أغسطس وأصدرت الاحكام التالية :

حكمت المحكمة حضوريا :

أولا - بمعاقبة أحمد حسين جاد بالاشغال الشاقة المؤبدة ، وكل من الباشجاويش محمد محفوظ والاميرالاي محمود عبد المجيد بالاشغال الشاقة لمدة خمس عشرة سنة ، وبإلزامهم بطريق التضامن والتكافل مع الحكومة المسئولة عن الحقوق المدنية :

١ - بأن يدفعوا عشرة آلاف جنيه على سبيل التعويض للسيدة لطيفة حسين الصولى زوجة المرحوم الشيخ حسن ابننا واولاده القصر منها وفاء

وأحمد سيف الاسلام وثناء ورجاء وهالة واستشهاد المشمولين بولاية جدهم
أنشيوخ أحمد عبد الرحمن البنا •

ب - وبأن يدفعوا للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا والسيدة أم السعد
إبراهيم صقر والذى القتل مبلغ قرش صاغ واحد على سبيل التعويض
المؤقت •

ج - وبأن يدفعوا للاستاذ عبد الكريم محمد أحمد منصور مبلغ الفى
جنيه على سبيل التعويض •

وألزمت المتهمين المذكورين بالمصروفات المدنية وثلاثين جنيها مقابل
اتعاب المحاماة للفريقين الاول والثانى المدعين بالحق المدنى و ٢٠ جنيها
لثالث •

ثانيا - بمعاقبة البكباشى محمد محمد الجزار بالحبس مع الشغل لمدة
سنة ، ورفض الدعاوى المدنية قبله •

ثالثا - ببراءة كل من : مصطفى محمد أبو الليل واليوزباشى عبده
أرمانيوس والبكباشى حسين كامل والجاويش محمد سعيد اسماعيل
والاومياشى حسين محمددين رضوان مما أسند اليهم مع رفض الدعوى المدنية
الموجهة لهم •

رابعا - وقدرت المحكمة ٢٠ جنيها لكل من المحامين المنتدبين وهم
الاساتذة أحمد الحصرى وحماده الناحل وعبد الحميد رستم وعبد الفتاح
لطفى تصرف لهم من الخزانة العامة •

وكانت المحكمة خلال هذه الجلسة فى حراسة شديدة • وحضر
المراسلون لوكالات الانباء والصحفيون وقد ازحمت قاعة الجلسة بعدد كبير
من رجال القانون والضباط وأقارب المتهمين والسيدات • ومنع الدخول الا
ببذاكر - وسأل الصحفيون رئيس المحكمة عن حيثيات الحكم فقال انها قد
تم انجازها وهى تقع فى نحو خمسمائة صفحة •

وقد امرت النيابة بائقبض على البكباشى محمد الجزار المحكوم عليه
بسنة حيث قضى منها فى السجن ثلاثة أشهر فقط •

وهكذا كان من حق القارىء علينا أن يكون على تصور كامل واضح

المالم المحاكمة واجراءاتها الرسمية التي انعقدت جلساتها في خلال عامي ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ في قاعة الجنايات بمحكمة القاهرة ، وما دار خلالها وما أسفرت عنه من نصوص الاحكام ٠٠٠ فهذا بلا شك جزء لا غنى عن المالم به أن يريد أن يلقى على القضية نظرة شاملة .

والواقع أن هذه المحاكمة وما جرى فيها وما أسفرت عنه لم تكن في حقيقة أمرها الا مجرد مؤشر ذى دلالة ناطقة أشار بأسلوب رمزى الى الجناة الحقيقيين من بعيد ٠٠ وأوماً من طرف خفى ببدء صامت الى أصحاب الحق أن استرداد حقوقهم من غاصبيها هو أمر فوق طاقة القضاء .

ذلك أن القضية ليست نزاعاً بين أفراد ، بل هي صراع بين أمم ، ونضال مرير بين مبادئ وأفكار ، وأن هذا الخلاف متأصل في النفوس ، واصل الى أعماقها ، وأن الزمن وحده هو الذى يقضى فيه ٠٠ وهو نزاع قديم متجدد ٠٠ انه الصراع بين الحق والباطل ٠٠ هو الصراع الذى بدأت آخر حلقاته برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ٠٠ ولا زالت الحرب منذ ذلك الحين قائمة على قدم وساق ، وان تشكلت في كل مرحلة من مراحلها بشكل معين ، وتزيت بزى مختلف .

ولعل هذا هو ما نحا بنا في معالجة هذه القضية هذا النحو الذى جعلنا نوغل فيما أحاط بها من مؤامرات عالمية ، ومؤشرات سياسية بعيدة الغور ، حللنا في خلالها كثيراً من مواقف الاشخاص والاحزاب والحكومات والدول .

وقد يرى القارىء فيما وقع بعد ذلك من أحداث جسام أن الحكم الحقيقي في هذه القضية لم يصدر بعد . لان الزمن حين يصنر حكمه لا يصدره داخل جدران محكمة ، ولكن يصدره في ميادين تراق فيها الدماء ، وترخص فيها النفوس ، وتزهق فيها الارواح ، وتقوض فيها العروش ، وتداول فيها الدول ، ويتغير معها وجه الدنيا ٠٠ وسيظل الصراع قائماً هكذا حتى يتمخض آخر الامر عن انتصار الافكار التى اغتيل حسن البنا من أجلها فتحتل مكانها في القلوب والعقول ، وتكون هى الفيصل بين الناس في جميع شئون حياتهم ، بعد أن يثبت لهم زيف افكار المتأمرين وافلاس اساليبهم « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . انهم لهم المنصورون . وان جندنا لهم الغالبون ، « لا يغررك تقلب الذين كفروا في البلاد » .

الباب الثاني

محااولات أخيرة للإجهاز على البحر

□ قانون الجمعيات

□ المحاكمات

□ معالم في هذه القضايا

□ البوليس السياسى والتعذيب

الفصل الاول

قانون الجمعيات

مقدمة

اعتقد الاخوان ، واعتقد أكثر الناس بأن معاناتهم ومعاناة الاخوان قد أن لها أن تنتهى بعد أن عملوا بكل جهودهم على اسقاط السعديين وتم ذلك بنجاح ، الوفد ، في الانتخابات ، وتقديمه ليتسلم زمام الحكم غير منازع ، بالاعلبية الساحقة التي أولوه اياها ، وهي أغلبية تكاد تكون اجماعا ٠٠ لاسيما وأن حصوله على هذه الاعلبية قد جاءه على يأس ، وكانت قد سدت أمامه السبل .

ولم يال المستولون في الوفد جهدا في قطع العهود على أنفسهم وعلى حكومتهم المستقبلية أن لا يبقوا من عهد السعديين على أثر ، وأن يردوا الى التسعب والى الاخوان المسلمين كل ما سلب من حقوقهم ، وأن يعوضوهم عما أصابهم .

وكان الجميع يعرفون أن الورقة الرابعة الوحيدة التي لعب بها الوفد في هذه الانتخابات ضد خصومه انما هي ورقة الاخوان المسلمين ، وهي التي جعلته يكتسح اكتساحا ، وجعلت مرشحي خصومه يتوارون من الناس خجلا ، وجعلتهم سخرية للناخبين .

وتسلم الوفد بكل جدارة أزمة الحكم . وأخذ الناس يتطاعون أن توافيهم الاذاعة وتطالعهم الصحف في صبيحة اليوم التالي بالنبا المرتقب الذي ترتبه كل نفس في البلاد وهو انغاء الاحكام العرفية بكل ما نجم عنها وما ترتب عليها ٠٠٠ ولكن طال أمد الانتظار ، ومرت الايام تباعا دون أن يتحقق للناس ما ياملون ٠٠

فكثر القيل والقال ، واستبد بالناس القلق . واخفوا يتساءلون فيما بينهم ، ويوجهون الاسئلة المسوبة بالغضب الى ممثليهم في مجلس النواب ٠٠ ووجد سكرتير الوفد ووزير الداخلية الاستاذ فؤاد سراج الدين ان لابد من اجابة على هذه الاسئلة الملحة ، فصرح سيادته في ١٨ يناير ١٩٥٠ بالتصريح التالي :

« ان الوزارة قبل ان تقدم على رفع الاحكام العرفية ستنتظر حتى تسن

قوانين لحماية البلاد ولحماية الامن ، ومن ضمنها تشريع خاص بالجمعيات بنظمها ويجعلها لا تحيد عن الطريق الذى أنشئت من أجله ، ومن بينها الجمعيات التى تنشأ لأغراض دينية بحتة ، .

تصريح فاجأ الناس ودهمهم وصدمهم وخيب آمالهم ، وزعزع ثقتهم في هذا الحزب لنقضه عهوده أثناء الانتخابات .

وهذا التصريح المخيب للآمال يضطرنا الى أن نرجع بالقارى قليلا الى الوراء . . الى عهد السعديين لنفتش عن أواصر القربى التى ربطت بين حزب الوفد وبينهم ، والتى تدلنا على أنهما - وان اختلفا في المظهر فانهما يستقيان من معين آسن واحد .

قدمنا من قبل أن ابراهيم عبد الهادى حين أذنت الدورة الاخيرة لإبرائه بانتها ، واستقر في علمه أنه مهما طال الزمن وهو على رأس الوزارة غلابد أنه مواجه يوما من الايام ترفع فيه الاحكام العرفية . . ولما كانت الاجراءات الشاذة المعلنة على الاخوان المسلمين مرتبطة بوجود هذه الاحكام - لانها مستمدة منها - فلابد لتأييد هذه الاجراءات من تشريع يسن بالطريق « الديمقراطية » يتضمن كل هذه الاجراءات والقيود . . ومثل هذا التشريع « الديمقراطية » يتطلب أن تضع الحكومة مشروع هذا القانون ، وتضمنه ما تشاء من قيود وشروط ، ثم تعرضه على مجلس النواب فمجلس الشيوخ . . فاذا وافقا عليه وقعه الملك وصار قانونا نافذ المفعول يلتزم به الشعب وتحكم به المحاكم .

ولما كان التشريع لا يكون تشريعا حتى تكون له صفة العموم ، فلا يجوز أن يسن تشريع لفئة خاصة من الشعب او لطائفة معينة منه ، فكان لابد من البحث عن صيغة يكون المقصود منها تقييد نشاط الاخوان المسلمين ووضع العقوبات في طريقهم وتأخذ في نفس الوقت صفة العموم . . . وكان أن نمخض تفكير مستشاريه القانونيين عن سن تشريع للجمعيات عامة .

وطلب عبد الهادى من حكومته وضع المشروع . فوضعت في الاطار الذى يروقه ويستوفى كل ما انطوت عليه جوانحه من ظلام وحقد . . واحيل المشروع الى مجلس النواب ، الذى أحاله بحوره - كالمعتاد - الى هيئة تضم لجنتى الشئون الداخلية والشئون الاجتماعية والعمل . . وكانت هذه الهيئة تفهم أن مهمتها تقتصر على تبرير ما تضمنه المشروع من احكام جائرة ، واستحداث مواد جديدة تضيفها الى المشروع تزيده جورا وظلما وخروجا على العرف والدستور والقانون . . وان سمت ذلك تأكيدا للحريات وحفاظا على الدستور .

ولم يتعجل عبد الهادى برلمانه فى نظر المشروع واققراره - ولو شاء لثم له ذلك فى يوم وليلة - بل تمهل - كما قلنا من قبل - لانه كان واثقا من ان خمس سنوات طوالا هى فى انتظاره ليقتضيه على راس الحكومة القادمة ببرلمانه الجديد .

واتمت هذه الهيئة البرلمانية تقريرها عن هذا المشروع فى النصف الاول من شهر يوليو ١٩٤٩ ، وتوطئة لعرضه على مجلس النواب فمجلس الشيوخ . . . وقد رأينا أن نطلع القارىء على ملخص لهذا التقرير حتى يرى بنفسه ماكان بعده هذا العهد البغيض للاخوان المسلمين خاصة وللشعب عامة من اغلال تشل يديه ورجليه ، وتكتم أنفاسه ، وتقتل إنسانيته ، وتلغى شخصيته :

مشروع قانون الجمعيات فى عهد عبد الهادى وتعديلات لجنة النواب عليه

« انتهت الهيئة المكونة من لجنة الشؤون الداخلية ولجنة الشؤون الاجتماعية والعمل فى مجلس النواب من نظر القانون الخاص بالجمعيات ، وأدخلت عليه بعض التعديلات . وفيما يلى نص تقرير اللجنة :

دعا منطق الحوادث الى وجوب تلافى النقص فى التشريع لتنظيم الجمعيات . فلا يظل أمر تكوينها فوضى ، تتحسس فيها العناصر الخطرة فتتحرف بها عن الطريق السوى ، وتطوح بها الى هوة الجريمة السحيقة فتقوض أركان الامن والنظام . فالتحرز فى أمر تكوينها ، والتأكد من أنها أمينة على الغرض الذى قامت من أجله أمر لا جدال فيه ، لتأمين الجرائم التى تدبر فى انخفاء ، والتى لو تركت لاستشرى خطرهما ، وهزت كيان الامة هذا ، فتعوقها من اللحاق بركب التقدم والازدهار الذى أخذت نفسها به .

وهذا التشريع انما هو استكمال حق مقرر بمقتضى الدستور ، والذى مؤداه : « أن للمصريين حق تكوين الجمعيات . وكيفية استعمال هذا الحق يبينها القانون » .

لم يتعرض هذا المشروع للجمعيات الا بالقدر اللازم لوقاية الامن والنظام ، لذا نراه لا يتعرض للجمعيات التى ترمى للربح المادى لاعضائها ، ولا للجمعيات والمؤسسات المنظمة بقوانين اخرى ، ولا للهيئات المركزية للأحزاب السياسية الحالية لوضوح أغراض تلك الأحزاب . ولقيامها منذ فجر الحركة الوطنية - وان كان يجدر وضع تشريع خاص بها أسوة بما هو متبع فى أكثر البلاد الاجنبية ، لما لها من أكبر الاثر فى حياة البلاد ابرلمانية والاجتماعية .

● استصدار إذن :

وقد نص على اشتراط استصدار إذن في حالة انضمام الموظفين والطلبة للجمعيات يكون من رئيس المصلحة بالنسبة للاولين ومن دور التعليم بالنسبة للآخرين ، حتى لا يكون التحاق الموظف بجمعية مدعاة لاضرار أهونها عدم قيامه بعمله على خير وجه ، وللطالب انصرافه عن الدرس والتحصيل ، فتتضرب ثروة الامة المرتقبة من جهود شبابها المحزر الذين ينمقد عليهم مستقبلها ومجدما .

● مقرر ثابت :

وقد فرض المشروع على الجمعيات اخطار المحافظة أو المديرية عند انشائها وموافاتها بالبيانات التي يهم السلطات العلم بها ، فاذا لم تعترض المحافظة أو المديرية في المدة المقررة كان للجمعية الحق أن تبأشر عملها . كما نص على أن يكون لتلك الجمعية مقرر ثابت توجد فيه جميع أوراقها ، وأن تنشىء سجلات تدون فيها جميع قراراتها وكل ما يتعلق بنشاطها لتكون واضحة الغرض ، بيئة المرمى ، وأيسهل على رجال الأمن أمر الاشراف على تلك الاغراض ووسائل تحقيقها .

● قرار الحل :

والجمعية التي لا تلتزم أحكام هذا المشروع ، أو التي ترتكب مخالفة جسيمة ، أو تحيد عن هدفها ، تستهدف لقرار الحل من مجلس الوزراء . كذلك اذا قامت الجمعية بتكوين بيانات غير مطابقة للحقيقة في الابلاغ أو الاخطار ، أو اذا قامت بما يخالف الآداب والنظام العام ، أو تعدت أغراضها الأساسية . ولا يعفى هذا من تطبيق العقوبات الاشد المنصوص عليها في القوانين الاخرى .

وقد رأت الهيئة في المادة (٣) اشراك رئيس الجمعية في المسؤولية عن الاحكام المنوه عنها في المادة الثالثة امعانا في الحيطة والحذر ، فقد لا يكون الرئيس من الداعين الى تأسيس الجمعية أو المؤسسين لها أو عضوا في مجلس ادارتها فيفلت من المسؤولية المقررة في تلك المادة .

كما اضافت الهيئة فقرة أخيرة الى المادة (١٤) هذا نصها :

« اذا كان مرتكب هذه الجرائم كلها أو بعضها من الداعين لتأسيس الجمعية أو المؤسسين لها أو رئيسا لها أو عضوا في مجلس ادارتها حسب الاحوال ، وجب أن لا تقل عقوبة الحبس عن ستة اشهر والغرامة عن مائة

جنبيه ، وذلك بفرض حد أدنى لعضوية من يرتكب جريمة من الجرائم المشار إليها في تلك المادة ، اذ أن مسئوليتهم في الواقع أشد ، وجريرتهم أنكى من باقى الاعضاء ، فلا أقل من أن ينص على أخذهم بالشدة لضمان حد أدنى لعقوبتهم فيكونون عبرة لغيرهم ، .

ولنفس السبب المتقدم أضافت الهيئة فقرة أخيرة للمادة (١٥) هي :

« فإذا كان مرتكب الجريمة من المنصوص عليهم في الفقرة الأخيرة من المادة السابقة وجب أن لا تقل عقوبة الحبس عن شهر والغرامة عن عشرين جنيتها ، .

● رجال الضبط :

ورأت اللجنة بشأن المادة (١٦) الاكتفاء برجال الضبط القضائي في انقيام باثبات الجرائم التي ترتكب مخالفة لاحكام هذا القانون تمشيا مع نصوص مشروع قانون الاجراءات الجنائية .

● القضاء العادى :

ولاحظت اللجنة أنه قد يرد على الخاطر لاول وهلة أن تقدير ركن العمد ن تلك الجرائم وحق التحل كان يحسن إخضاعه للقضاء العادى أو الادارى تحقيقا للعدالة ، وتوكيدا للظمانينة ، ودفعاً لمظنتى الشطط والاضطهاد ، ولكن هذا الحق المعطى لمجلس الوزراء روعى فيه اتصاله بسياسة البلاد ومصيرها فوق اتصاله بآمنها ونظامها . فهو اذن مقرر لعلاج أمر يستدعى سرعة البت وقوة الحزم . وهذا الحق لا يتأتى الا لمجلس الوزراء المنوط به مصالح البلاد انعليا ، ولا شك أنه في حكمه على تلك الامور سيكون مستهدفا الصالح العام وحده .

● قطع السبيل :

وقد رأى التشريع قطع السبيل على الجمعيات التي يصدر قرار بحلها من ان تعود بصورة من الصور ، وتحرز في ذلك بشنى الوسائل . كما اعطى مهلة شهرين للجمعيات التي يسرى عليها احكام هذا المشروع ومن انضم من الموظفين والطلبة الى جمعية من الجمعيات لمراعاة تلك الاحكام ، واستيفاء البيانات والاجراءات التي أوجبها .

وفي هذا المشروع دعم للامن ، فينتشر علم الصفاء على ربوع الوادى ، وتتصافر جهود الجمعيات لاقامة بناء مجده شامخا عزيز الجانب ، .

هذا ما اعدده عبد الهادى لتقييد الحريات

فما الذى فعله الوفد ؟

كان هذا هو تقرير الهيئة البرلمانية في عهد السعديين عن مشروع قانون الجمعيات الذى قدمه عبد الهادى الى مجلس نوابه . . وكان مفروضا أن يعرض على المجلس الذى كان سيسارع بكل قوة الى اقراره . . ولكن ارادة الله وقضائه الذى لا يرد داهم عبد الهادى فجأة في يوم ٢٦ يوليو ١٩٤٩ بما لم يكن يحتسب ، فأقصى عن الحكم هو وجهازه الحكومى ، وهو في أوج سلطانه ، وعنفوان تمكنه ، وكذلك أخذ ربك اذا أخذا لفرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شديد ، .

وجاءت وزارة انتقالية برياسة حسين سرى كانت مهمتها تجميد أعمال برلمان عبد الهادى حتى أصدرت مرسوما في ٥ نوفمبر بحله وحددت ٢ يناير ١٩٥٠ لأجراء انتخابات جديدة ، وأجريت الانتخابات التى تمخضت عن فوز حزب الوفد الفوز المكتسح الذى أشرنا اليه .

وجاءت وزارة الوفد . . فانظر ماذا فعلت ، وماذا اتخذت من موقف . . موقف مثير للالام ، ازاء هذا الموضوع الخطير الذى كاد الناس يتهمون أسماعهم وأبصارهم حين رأوا تصرفات هذه الحكومة وسمعوا تصريحات المسئولين فيها . . ونحاول ان شاء الله في السطور التالية احاطة القارىء علما بهذه التصريحات :

اولا : تصريح مذهل :

أصدرت الوزارة بلسان وزير داخليتها وسكرتير حزب الوفد التصريح الذى أشرنا اليه من قبل والذى صدم مشاعر الناس وأذهلهم .

ثانيا : الوفد يحمى ظهر عبد الهادى ويتحدى الشعب :

في ٢٠ فبراير ١٩٥٠ تقدمت حكومة الوفد الى مجلس النواب بمشروع قانون لالغاء الاحكام العرفية ، وكانت المادة الثانية منه تنص على :

« عدم سماع أى دعوى او طلب او دفع يكون الفرض منه الطعن في تصرفات الحاكم او السلطة القائمة على اجراء الاحكام العرفية » .

ومعنى هذا النص ان تهدر حقوق جميع الذين أضيروا وعذبوا واضطهدوا وشردوا واعتدى عليهم وعلى ابنائهم وزوجاتهم وأهليهم ، فلا يكون لواحد من هؤلاء الحق في مقاضاة هذا الحاكم الظالم المعتدى حيث يحميه هذا النص ، ويجعله في حصانة من ان يطلب للمثول امام القضاء .

ولسنا ندرى ما هى مصلحة حزب الوفد فى حماية اجرام السعديين
وتحصينهم ضد القضاء وضد من اُضربوا من هذا الشعب الذى بواهم
مناصب الحكومة ليستردوا له حقوقه التى اغتصبها السعديون وداسوها
بالنعال ؟

ولقد كان تضمين الحكومة مشروع القانون هذا النص صدمة للنواب
الوفديين أنفسهم ، حتى ان أكثر من نائب منهم طالب بإلغاء هذه المادة •
ولكن سراج الدين أصدر عليها • فلما رأى الضغط شديدا من جانب النواب
اقترح ابدالها بنص آخر تضمن نفس المعنى بل انه كان أشد ابرازا للمعنى
المرغول وهو :

« أنه لا تسمع شكوى الشاكين أمام الجهة القضائية ضد أى عمل
تولته السلطة القائمة على اجراء الاحكام العرفية أو مندوبوها عملا بالسلطة
المخولة لهم بمقتضى نظام الاحكام العرفية وفى حدود تلك الاحكام » •

وتكلم عدة نواب فعارضوا ذلك ، حتى ان العضو الدكتور محمد مندور
- رحمه الله - استحلفه النواب أن يؤيدوه فى اعطاء الحق فى مقاضاة الحاكم
العسكرى وعماله اذا ثبت أنهم أساءوا استعمال السلطة التى خولت لهم •

ولكن مصيبتنا فى مصر هى أن مجالسنا النيابية التى كان مفروضا -
كدأب البرلمانات - أن تكون رقيبىة على الحكومة ، لا يعرف أعضاؤها مهمة لهم
ألا الولاء للحكومة ، والخضوع لها ، والتزلف اليها ، وخدمة أغراضها ،
والتفانى فى إرضائها مهما نعارض إرضاءها مع مصلحة البلاد ومع حريات
الشعب •• ولذا فقد نسي أعضاء هذا المجلس تعهداتهم لاهل دوائهم
الانتخابية ، ونسوا حق بلادهم ، وأعرضوا عن استحلاف زميلهم لهم ،
وانطلقوا مؤيدين سيدهم وزير الداخلية •

● الوفد يستبقى الامر العسكرى بحل الاخوان :

اما المادة الثامنة من مشروع قانون إلغاء الاحكام العرفية ، فانها
تستبقى أو تنص على استبقاء عدد من الاوامر العسكرية منها الامر العسكرى
بحل الاخوان المسلمين • •

وقد نوقشت هذه المادة طويلا فى مجلس النواب ، نظرا لما فيها من
تحد ظاهر لمشاعر النخبين ، ومن حرج بالتالى لنواب هذا المجلس •• وطالب
كثير من أعضاء المجلس بإلغاء هذا الامر بالذات مباشرة ومن الآن • ولكن سراج
الدين وزير الداخلية وعبد الفتاح الطويل وزير العدل قررا ان هذا الامر
العسكرى سيستمر حتى يصدر قانون الجمعيات - ومما قاله سراج الدين :

« لقد كانت هذه الجماعة على صلة طيبة بنا ، ولكننا لا ندرى من الذى
زج بها فى ميدان السياسة ؟ » .

ثم طلب سراج الدين اقفال باب المناقشة فى هذا الموضوع . فصدع
المجلس بالامر .

ولما نظر مشروع قانون الغاء الاحكام العرفية امام اللجنة التشريعية
بمجلس الشيوخ عدلت المادة الثامنة على الوجه التالى . « استبقاء الامر
العسكرى بحل الاخوان المسلمين لمدة سنة ، او حتى ينم سن قانون الجمعيات
أيهما تقدم . فاذا لم يصدر قانون الجمعيات فى خلال هذه السنة ألغى الامر
العسكرى تلقائيا » .

ثالثا - حادث تافه ولكن ذو دلالة :

فى ٢٩-٣-١٩٥٠ وقع حادث عو فى ذاته تافه الا أن له دلالات كبيرة ،
ذلك انه امام مسجد المنيرة بالقاهرة - وهو مسجد كان يؤمه كثير من الاخوان
فى صلاة الجمعة - فبعد صلاة الجمعة فى ذلك اليوم وزعت شارات الاخوان ٠٠٠
وقد قامت الحكومة لهذا الحادث التافه كانه جريمة نكراء ، وأمرت الحكومة
باجراء تحقيق ، واعتبرت هذا التصرف مقصودا به احراج حكومة انوفد مع
الاخوان ٠٠ ولا ندرى ما وجه الاحراج فى هذا مع حكومة تعهدت من قبل أنها
سترد للاخوان جميع حقوقهم حين تلى مناصب الحكم ؟ !

رابعا : الاخوان يبجدون استيائهم من مشروع القانون :

حين وجد الاخوان أن الحكومة مصممة على سن قانون للجمعيات طلبوا
اليها فى ١٦-٤-١٩٥٠ أن تتمهل فى اصداره ، وتعرضه أولا على الهيئات
والجمعيات لابداء ملاحظاتها عليه قبل عرضه على مجلس الوزراء والبرلمان .
وختم الاخوان مذكرتهم التى تقدموا بها الى الحكومة بقولهم :

« وكيفما كان الامر فلن يتزحزح الاخوان عن أداء رسالتهم الكبرى
كأصحاب دعوة تعمل لخير الوطن والاسلام ، » .

لم تستجب الحكومة لاقتراح الاخوان ، فتصدى احد جهابذة القانون
لمناقشة هذا المشروع على صفحات الجرائد فنشرت « الاهرام » مقالا ضافيا
للاستاذ محمد حسن العشماوى باشا ، وهو وزير معارف سابق ومن كبار
رجال القانون فى مصر ، وكان عنوان المقال « حول تشريع الجمعيات » اثبت
فيه ان القانون المزمع اصداره يتنافى مع الدستور ، وأن التشريع المصرى فى
وضعه الحالى كفيل بضمان الامن والنظام وعدم الانحراف عن النشاط
المشروع ، وأنه كفل بذلك الحرية كما كفل الجزاء على سوء استعمالها .

وبعد نشر هذا المقال بيومين نشر « الاهرام » الكلمة التالية :

تلقينا كلمة من الاستاذين أحمد حسن الباقوري وكيل جمعية الاخوان المسلمين ومحمد طاهر الخشاب المحامي وعضو مكتب الارشاد بالجمعية جاء فيها مايلي :

« اذا كنا لا نملك حق الحديث عن الاخوان المسلمين لان رئيس اية هيئة هو الذي يملك الحديث عنها ، لكن هناك امورا حُخل في لب التفصيلات والخطط الجزئية ، وهي أشبه بالمبادئ العامة ، ويجوز لكل منتقم الى تلك الهيئة أن يتناولها بالحديث . ومن عذا الجانب نستطيع أن نقول : ان عودة الاخوان المسلمين حق لهم وليس منحة من أحد الناس . والأخوان المسلمون موجودون فعلا ، وهم يؤدون رسالتهم الخالصة في حدود ما يعتقدون أن فيه مصلحة لوطنهم – أداء كاملا لا ينقص منه عدم الاعتراف بهم من الناحية الرسمية . »

أما قانون الجمعيات الذي تزمع الحكومة – كما قال معالي وزير الداخلية – اصداره فقد قال أحد كبار رجال القانون قوله فيه . ولعل الحكومة تنصف نفسها فتعيد الى الاخوان حقهم المسلوب كاملا ، .

خامسا : نواطؤ الاحزاب التقليدية :

كان هناك اتفاق بل تواطؤ بين جميع الاحزاب التقليدية بما فيها الحزب الوطني على اصدار هذا التشريع القاتل للحريات . فتصدت حكومة الوفد – ناكثة عهودها – لمهمة اصداره ، وومنت الاحزاب الاخرى موقف الشيطان الاخرس لا تتكلم ولا تعترض بل تؤيد من صميم قلبها كل خطوة تخطوها الحكومة . . .

● اللجنة العليا للحزب الوطني تشجب المشروع :

ولم يبق بعد ذلك الا القلة القليلة من الاحرار من الشباب الذي يمثله حزب مصر الفتاة والمجموعة التي يرأسها فتحي رضوان وتضم محمد زهير جرانه ومصطفى المنزلاوي واندكتور نور الدين طراف والتي اعتبرها الحزب الوطني شاغبة عليه واصدر هذا الحزب في ٢٩ يناير ١٩٥٠ قرارا بفصلها ، فأعلنت عن نفسها أنها « اللجنة العليا للحزب الوطني » وانها صاحبة الحق في الكلام باسم الحزب الوطني . . . وقد أصدرت هذه اللجنة بمناسبة تصميم الحكومة على اصدار هذا التشريع بيانا في ٢٨-١٩٥٠ جاء فيه :

« ولذلك ترى اللجنة أن التشريع الذي تنوى الحكومة اصداره لتحويل الامر العسكري الرقيم ٦٣ من اجراء اقتضته ضرورات النزاع القائم بين الحكومة السابقة وجماعة الاخوان المسلمين الى قانون دائم ، هو تشريع مخالف لروح الدستور ، وأن الاحكام العرفية تعتبر باقية طالما أن هذا القانون لم يلغ ، لان المصريين لم يحسوا بوطاة الحكم العرفي فيما يخص

حملة فلسطين ، وانما احسوا بوطاته في حملة الحكومة ضد الاخوان المسلمين
وانصارهم ومن اخذ بشبهة الاتصال بهم أو معاونتهم •

ولا يفوت اللجنة أن تشير الى أن التشريع المزمع اصداره قد نص على
منح وزير الداخلية حق مراقبة الاشخاص الذن كانوا معتقلين في ظل الاحكام
العرفية الملغاة ، وأن من حق هؤلاء أن يعارضوا في قرار المراقبة أمام لجنة
مكونة من رئيس محكمة ورئيس نيابة ومدوب عن قسم الرأى في مجلس
الدولة •

واللجنة - اللجنة العليا للحزب الوطنى - ترى أن مراقبة السياسيين
هى ابتكار جديد تسبق به الدولة المصرية جميع الدول • ولعل ذلك مما
يصمنا في وقت تعلق فيه النصيحة للحرية في كل مكان • وترى اللجنة أن
الحكومة قد أخطأها التوفيق حتى في اختيار الهيئة التى يعارض امامها هؤلاء
انتعساء الذين اعتقلوا لشبهات وظنون ، والذين يراد استمرار تعذيبهم لنفس
هذه الشبهات والظنون ، فقد كان ممكنا ان يلجأوا بشكاياتهم وظلاماتهم
للمحاكم العادية على اختلاف درجاتها •• فالحد من حقهم القانونى وخلق
محاكم مصرية خصوصية يعيد الى الذهن ذكريات الاحتلال البريطانى
القديمة ، التى لا نظن أن الحكومة ترد احياءها •

لقد عاهدنا أنفسنا أن نخلص النصيح للحكومة في هوادة ورفق • وها نحن
اولاء نناشدها مناشدة المواطن لآخيه أن تعدل عن اصدار هذا التشريع ، لتلتئم
جروح الماضى ، ولتسدل على مآسيه وآلامه ستارا كثيفا ، عسانا نستطيع
أن نقف في وجه ما تدبره لنا الايام من مخاطر صفا واحدا ، ملء قلوبنا الثقة
بالوطن ، وبرحمة وعدل أبنائه •

هذه هى مذكرة اللجنة العليا للحزب الوطنى •• أما موقف مصر انفتاة
فلعل سطورا تالية ان شاء الله تجليه •

سادسا : مجلس الوزراء يصدر ويقر مشروع القانون :

لم تعر الحكومة اقتراح الاخوان ولا نصيحة الناصحين اعتمادا •
وفوجىء الشعب باقرار مجلس الوزراء لمشروع القانون واحالته الى مجلس
الانواب •• وقبل أن نعرض لما قوبل به هذا المشروع من مختلف الجهات ،
نرى أن نقتطف منه البنود الهامة حتى يوازن بين هذا المشروع وبين مشروع
السعديين ، وربما خرج القارىء من الموازنة بالفتيجة الأولى ، وهى أن
المشروعين مشروع واحد ، كانت ستقدمه يد أثيمة ملطخة بالحماء والعار •
وارتضت لنفسها أن تنوب عنها في تقديمه يد كنا نعتقد أنها تربأ بنفسها ان

تنفوب عنها في تقديمه يد كنا نعتقد أنها تربا بنفسها أن ترضى بذلك . . واليك أهم بنود هذا المشروع ثم نتبعها بالذاكرة الايضاحية له :

من مواد مشروع قانون الجمعيات لحكومة الوفد

المادة الاولى - يسرى هذا القانون على الجمعيات التي تسمى الى تحقيق اغراض اجتماعية أو دينية أو علمية أو أدبية اذا كان عدد أعضائها يزيد على عشرين شخصا طبيعيا .

المادة الثالثة - لا يجوز أن يشترك في تأسيس الجمعية أو ينضم الى عضويتها :

(أ) المحكوم عليهم بعقوبة جنائية (ب) المشنبه فيهم (ج) القصر .

المادة الخامسة - يجوز للمحافظ بقرار مسبب أن يعارض في إنشاء الجمعية أو فروعها خلال الثلاثين يوما التالية لوصول إخطارها الى المحافظة .

المادة السادسة - يجب على من يناط بهم إدارة الجمعية أن يخطرخوا المحافظ خلال ثلاثين يوما بكل تعديل في النظام وبالقرار الذي يصدر بحل الجمعية وأسبابه - وفي حالة عدم توفر حكم من أحكام هذا القانون يجوز للمحافظ أن يعارض في التعديل بقرار مسبب خلال ثلاثين يوما من تاريخ الإخطار .

المادة السابعة - على الجمعية أن تحتفظ في مركزها بالوثائق والاوراق والسجلات الخاصة بها والصور الفوتوغرافية للاعضاء وبمعلومات كاملة عن كل عضو ، وتحتون محاضرها وحساباتها في دفاتر مفصلة .

المادة الثامنة - يحظر على غير أعضاء الجمعية المقيدة أسماؤهم في سجلاتها أن يشتركوا في إدارتها أو في مداولات الجمعية العمومية .

المادة التاسعة - لا يجوز للجمعية أن تتجاوز في نشاطها الغرض الذي أنشئت من أجله .

المادة العاشرة - يحظر على الجمعية أن يكون لها تشكيلات عسكرية أو شبه عسكرية .

المادة الحادية عشرة - مع عدم الإخلال بأحكام المادة ٦٦ من القانون المدني يجوز لوزير الداخلية عند مخالفة أحكام المواد ٣ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ أن يطلب حل الجمعية أو فروعها أو إبطال الاجراء المخالف . ويقدم الطلب الى المحكمة الابتدائية التابع لها مركز الجمعية أو الفرع ويكون الحكم الصادر منها نهائيا .

المادة الثالثة عشرة - عقوبات بالحبس والغرامة ٦ شهور ومائة جنيه لمن يخالف هذا القانون .

المادة السادسة عشرة - يكون لرجال الضبط القضائي في سبيل اثبات الجرائم التي تقع بالمخالفة لاحكام هذا القانون أو القرارات المنفذة له حق الاطلاع على دفاتر الجمعية وحساباتها وأوراقها .

المذكرة الايضاحية للمشروع

نصت المادة ٢١ من الدستور على أن للمصريين حق تكوين الجمعيات وأن كيفية استعمال هذا الحق يبينها القانون . وبناء على هذا النص فان حق المصريين في تكوين الجمعيات أصبح مقررا في الدستور بحيث لا يجوز المساس به . وانما تكون مهمة المشرع مقصورة على تنظيم استعمال هذا الحق ومراقبة السلطة التنفيذية لاستعماله ، ضمانا لعدم تجاوز الجمعيات في نشاطها الحد المشروع .

ثم قالت المذكرة : انه يبدو أن القانون المحدث بما تضمنه من احكام خاصة بالجمعيات في المواد من ٥٤ الى ٦٨ وفي المادة ٧٩ قد سد فراغا في هذه الناحية ، وانما الواقع أن هذا القانون لم يعن وما كان له أن يعنى باكثر من تنظيم الجمعيات عموما من الناحية المدنية وحقوق الاعضاء قبلها ، وكيفية التصرف في أموالها عند حلها ، وتقييد حق ملكيتها في العقارات ، وتمتعها بالشخصية الاعتبارية بمجرد انشائها وشهرها ، وما يترتب على عدم الشهر ، وجواز ابطال القرارات التي تصدرها بالمخالفة للقانون أو لنظام الجمعية ، والجهة التي تصدر حكمها بابطال هذه القرارات ، وكذلك جواز ابطال التصرفات التي يقوم بها مديرو الجمعية متجاوزين حدود اختصاصاتهم .

وليس في هذه الاحكام أى غناء عن اصدار تشريع آخر بتنظيم هذه الجمعيات من حيث خضوعها لمراقبة السلطة التنفيذية ، ضمانا لعدم خروجها في نشاطها عن الحد المشروع ، والاتيان بما ينطوى على اخلال بالنظام العام أو الامن العام أو الآداب العامة مما يدخل في نطاق القانون العام .

وتحقيقا لهذه الغاية قامت الحكومة بما وعدت به البرلمان في دور انعقاده السابق بوضع مشروع القانون المرافق ، وضمنته احكاما تسرى على الجمعيات التي تنظم بقوانين خاصة . ويجرى العمل بمقتضاه جنبا الى جنب مع تلك القوانين الخاصة .

وختمت المذكرة بالقول انه من المفهوم ان احكام القانون المحدث في شأن

الجمعية تسرى على الجمعيات المنظمة بهذا المشروع باعتبارها احكام القانون العام في هذا الشأن . ولتأكيد ذلك المعنى بوضوح روى النص في المادة (١٧) على أنه (فيما عدا الاحكام الخاصة الواردة في هذا القانون تسرى على الجمعيات المنصوص عليها فيه احكام انقانون المدني) .

ومن المفهوم كذلك ان هذا المشروع لا يسرى على الجمعيات السياسية وعبارة أخرى الاحزاب السياسية وذلك لان هذه الاحزاب لها من الاهمية وانخواس ما يجعلها محلا لتنظيم خاص بتشريع يصدر مستقبلا في المستقبل اذا روى لزوم ذلك - وهذا فضلا عن أن المصريين يمارسون حقوقهم السياسية التي خولها لهم الدستور في حدود القوانين القائمة ، وحسبنا أن نذكر أنهم يشتركون بمآلهم من تشكيلات سياسية في حكم البلاد ، وفي توجيه سياستها عن طريق الاشتراك في الانتخابات العامة وفي البرلمان .

سابعاً : قانون الجمعيات أمام لجنتى الشئون التشريعية والداخلية بمجلس النواب

في ١٧-٤-١٩٥٠ عرضت الحكومة مشروع هذا القانون على مجلس النواب فاحيل الى لجنتى الشئون التشريعية والداخلية . وطلبت الحكومة مناقشته في اليوم التالي . فعارض بعض النواب في هذا التعجل الذى لا داعى له .

وفي يوم ١٨ منه بدأت اللجنة في مناقشته . وكان المفروض ان لا تستغرق مناقشة مواد القانون السبع عشرة وقتاً طويلاً ، غير أن المعارضة اتى قوبل بها القانون من فريق من الاعضاء ادت الى أن تستغرق مناقشته سبع ساعات كاملة . وقد عقدت اللجنة اجتماعين احدهما في الصباح والآخر في المساء .

● الحكومة تهدد أعضاء اللجنتين :

ولما كانت المعارضة من الشدة حتى انها دفعت ممثل الحكومة عبد الفتاح حسن بك وكيل وزارة الداخلية البرلمانى الى التهديد بان الحكومة ستضطر الى سحب مشروع القانون في حالة رفض اللجنة له ، وشستعيض عن ذلك بحل الجمعيات بقرارات من مجلس الوزراء .

● معارضة في المبدأ :

وقد حمل لواء المعارضة ثلاثة من أعضاء اللجنة هم الاساتذة فريد زعلوك وعوض الجندى بك ومحمود كمال ابو النصر . فقد أعلنوا في بدء الاجتماع

أنهم يرفضون فكرة القانون من مبدئها ولا يقرونه على الإطلاق لأنه يتنافى والحريات العامة . والليل على ذلك أن القانون المسدنى حدد طرق انشاء الجمعيات المختلفة وكيفية التصرف في مواردها المالية ، كما أن قانون العقوبات نظم طرق المعاقبة على ارتكاب الجرائم . . فلا محل إذن لاستصدار تشريع جديد خاص بالجمعيات وانتخوف من انشائها . وطلبوا من اللجنة أن تقرهم على طلبهم الخاص برفض نظر هذا القانون . . غير أن بقية الاعضاء لم يوافقوا على هذا الرأي .

● شروط العضوية :

وأخذت اللجنة في مناقشة مواد انقانون مادة مادة . وتوقفت طويلا عند المادة الثالثة الخاصة بشروط العضوية . واستغرقت المناقشة فيها أكثر من ساعتين كاملتين ، اذ طلب الاستاذ عوض الجندي استثناء المحكوم عليهم في جرائم الرأي من عدم جواز اشتراكهم في الجمعيات . غير أن الحكومة رفضت الاخذ بهذا الرأي ، وقالت ان عقوبة جريمة الرأي لا تعتبر جنائية ، أما العقوبات المشددة التي تنزل بالجرائم التي يرتكبها الهدامون كالشيوعيين وأمثالهم فلا يجوز التغاضي عنها والسماح لن صدرت ضدهم أحكام لثل هذه الاسباب بالاشتراك في الجمعيات .

● القصر وعدم جواز اشتراكهم :

وعارض الاستاذ فريد زعلوك في حرمان القصر والمشتبه فيهم من الاشتراك في الجمعيات . غير أن الحكومة خالفت هذا الرأي . وأشار ممثلها الى أن المجال متسع أمام انقصر للاشتراك في الجمعيات المدرسية وما يشابهها . وأخيرا وافقت أغلبية اللجنة على هذه المادة دون تعديل .

● حكم الحل غير نهائي :

وتمت الموافقة بعد ذلك على بنية المواد دون إدخال أى تعديل عليها ما عدا المادة الحادية عشرة التي كانت تنص على أن يكون حكم المحكمة الخاص بحل الجمعيات نافذا ونهائيا ، اذ رأت اللجنة تعديلها غنصت على أن يكون الحكم الذى تصدره المحكمة على أى جمعية حكما غير نهائي وقابلا للاستئناف .

● حق الالتجاء لمجلس الدولة :

وقررت اللجنة أيضا اضافة مادة جديدة بعد المادة السادسة نص فيها على أن اعتراض المحافظ أو المدير على انشاء الجمعية ، وكذلك اعتراضه على كل تعديل في نظامها يمكن التظلم منه أمام مجلس الدولة .

● الاحزاب السياسية :

هذا وقد اعترض الاستاذ فؤاد زعلوك على عبارة وردت في نهاية المذكرة الايضاحية للقانون يفهم منها أن الاحزاب السياسية ستكون محل تنظيم خاص بتشريع سصيدر مستقبلا في المستقبل اذا رؤى لزوم ذلك ، وطلب حذف هذه الفقرة من المذكرة فوافقت الحكومة وأقرت اللجنة على ذلك .

● تسجيل رأى الاقلية :

هذا وستقوم اللجنة بوضع تقرير برأيها في مشروع القانون اليوم في الصباح ليعرض في الجلسة الخاصة التي سيعقدها مجلس النواب في مساء اليوم لهذا الغرض .

وقد اختارت اللجنة الاستاذ محمود فهمى جندية بك مقرا لرأى الاغلبية التي وافقت على المشروع ، والاستاذ فريد زعلوك ليشرح رأى الاقلية لتي رفضته .

وكانزت الحكومة - بعد ان حظيت من هذه اللجنة البرلمانية على ما تبتغى مستغلة في سبيل ذلك كل ما كان متاحا لها من وسائل - كانت حريصة على عرض المشروع في نفس اليوم على المجلس كله .

ثامنا : موقف الاخوان من القانون :

لم يقف الاخوان مكتوفي الايدي أمام هذا التعبير الذي قصد به قتلهم وواد الحرية في البلاد . فقد عقدوا اجتماعا طويلا مساء ذلك اليوم ونظروا فيه في مشروع القانون الذي يناقسه البرلمان في الغد على وجه الاستعجال .

● رفض العودة واعداد مذكرة :

وانتهى اجتماعهم الى قرار أعلنوا فيه رفضهم العودة في ظل هذا القانون وانهم يكتفون بالتزام موقفهم الحالي ، بمعنى أنهم مكونون فعلا ، ولا يضيرهم أن يحرم الشعب من امتداد دعوتهم للاستفادة بخيرها - كما أقر الاجتماع مذكرة ناقشوا فيها المشروع وضمنوها رأيهم فيه ، وقرروا ابلاغها الى المسؤولين وتوزيعها على أعضاء مجلس النواب قبل نظرهم المشروع .

● نص مذكرة الاخوان :

ان الاخوان حين يبدون رأيهم في مشروع قانون الجمعيات لا يرمون من وراء ذلك حماية مصالحهم التي لا صلة لها بهذا القانون .. وانما يريدون

ان ينجبها الشعب المصرى الى ما يحمله هذا المشروع من قيود فرضها على حقوق الافراد التى كفلها الدستور للمصريين فى تكوين الجمعيات ، ومن حد من نشاط هذه الجمعيات ذات الاغراض السامية ، ومن وضع لها تحت سلطان الادارة وتقلباتها الى أبعد الحدود .

ونريد أن يذكر نواب الامة وشيوخها الذين سيتولون مناقشة هذا القانون موقفهم الجيد فى أول الجلسة الماضية حين أريد أن يعبر القانون .جلس دون دراسة أو تمحيص .

وليذكروا دائما أن كل قانون رجعى لن يقنصر ضرره على جماعة من الامة دون جماعة . بل ان مساوئه ستمتد الى جميع المصريين بما فيهم حضرات الشيوخ والنواب أنفسهم ، فان سلطان الحكم اذا كان يعفى من كثير من المتاعب مؤقتا فانه سلطان زائل . أما القانون الرجعى فبإق أثره السىء فى تعويق الامة عن نهضتها .

وانا لفتسأل أولا . ما الداعى الى اصدار هذا القانون ؟ والقانون المدنى وما حوى من مواد تنظم الجمعيات وتراقب نشاطها كفىل بأن يحفظ لها حريتها فى حدود القانون . وما نظنها بحاجة الى اضافة قيود جديدة فى صورة هذا المشروع المقدم من الحكومة أخيرا .

ثم نتسأل ثانيا عن المقصود بعبارة « أغراض دينية » الواردة فى المادة الاولى من المشروع ؟ . فانها على هذا النحو لا تتفق مع الاسلام وهو دين الدولة الرسمى ، لان الاسلام من العموم فى معناه وشموله لكافة نواحي النشاط ، بحيث لا يتفق اطلاقا مع الفكرة السائدة فى الغرب من انتفريق بين الدين والتربية والسياسة . فان كان قصد القانون من هذه العبارة - وهو مالا يتصور غيره - هى تلك التى تدعو الى مكارم الاخلاق ، والتمسك بالفضائل فليحدد الشارع اذن هذا الغرض على أساس « الاغراض الخلقية » . خلا فيزيل اللبس ويتجنب ما قد يثور من اعتراض .

ونظرة خاصة الى نصوص هذا القانون تكشف عن العجلة التى صاحبت اعداده ، والرغبة فى اصداره على اى وضع ، حتى جاء مجافيا لاولويات المبادئ التشريعية ، منافيا لابسطة أسس العدالة ، مهذرا للكثير من حريات الافراد وحقوقهم :

١ : الشباب احوج الى التربية :

تنص المادة الثالثة من المشروع على حرمان القصر اى الشبان من

الانضمام الى عضوية الجمعيات ذات الفرض الاجتماعى او الخلقى او
الادبى او العلمى .

وهذا التحريم امر غير مفهوم وغير مقبول ، اذ ان الشباب اخرج الناس
الى الانضمام لجمعيات تلك اغراضها : تربيتهم وتفتش بينهم العلم . وكيف
تستسيغ أن يحرم على الشباب الانضمام لجمعيات تربوية وثقافية بينما
يجوز لهم قانونا الانضمام الى الاحزاب السياسية ، التى تعرضهم للفساد ،
وتترج بهم فى مضمار الحزبية التى تضربهم دون أن تعود عليهم منها أية فائدة
خلقية او تربوية او علمية . . هذا امر غير مستساغ الا اذا كان المقصود
حماية مصالح الاحزاب دون الشباب

ولا يمكن أن يقبل الاحتجاج بأن القاصر غير مكتمل الاهلية . فهذه
حجة لا صلة لها بالتربية والتثقيف عن طريق الجمعيات ، بل هو ادعى لابطاح
انضمام القصر للجمعيات . فضلا عن أن تشريعاتنا تحمل القصر - واهليتهم
غير مكتملة - امانة الوظائف العامة حتى الخطير منها مثل النيابة العامة .

ب : ما شأن وزير الداخلية ؟

يقضى المشروع بأن وزير الداخلية هو صاحب الاشراف على الجمعيات،
اذ يطلب حلها ويصدر اللوائح التنفيذية للقانون الخاص بها . ولا ندرى
صلة الاغراض التى تسعى اليها هذه الجمعيات بوزارة الداخلية . . فكلها
اغراض اجتماعية وخلقية وعلمية وأدبية يعم نفعها المجموع . . فكان من
الطبيعى أن يكون الاشراف على القانون الخاص بها لوزارة تشجعها وترعى
مصالحها وتتفق واغراضها كوزارة الشؤون الاجتماعية ووزارة المعارف
العمومية .

ج : البوليس :

اذا كان القانون قد نظم الجمعيات فى بضع مواد فقد قضى عليها فى مادة
واحدة ، الا وهى المادة السادسة عشرة ، التى تجعل لرجال البوليس حق
الاطلاع على سجلات الجمعية وكافة أوراقها لاثبات المخالفات القانونية . .
فهل يمكن أن تدلنا الحكومة على الصلة بين البوليس وهذه الجمعيات ذات
الاغراض السامية التى تتبع فى تحقيق اغراضها أسسا علمية ؟ . اما كان
الناطق يقضى بترك هذا الاطلاع لفنيين متخصصين ؟ أم ترى أريد أن يترك
لرجال البوليس الذين يخدمون اغراضا حزبية وسياسية ؟

د : اسباب طلب حلال :

يبدو أن الفرض الاساسى من هذا المشروع هو منح الحكومات أوسع

سلطة ممكنة في قتل الجمعيات بواسطة طلب حلها - ولا أدل على ذلك من أن المادة الحادية عشرة أعطت وزير الداخلية الحق المطلق في طلب حل الجمعيات عند وقوع أى مخالفة للمواد ١٠،٩،٨،٧،٦،٣ من القانون - أى أغلب نصوصه ٠٠ مع أن طلب حل الجمعية يجب أن يراعى فيه أنه طلب خطير واستثنائي يعادل طلب الاعدام للشخص الطبيعي ٠

والمنطقي من الامر أن يقصر طلب هذا الجزاء على المخالفات الخطيرة الجوهرية لأحكام القانون والتي تنسب الى الجمعية ذاتها ٠٠ أما المخالفات القانونية أو العرضية والتي ترجع الى الاشخاص فيكفى فيها الحكم بإبطال الاجراء وتصحيح الوضع ٠

هـ : الحل بحكم نهائى :

واريد أن أسأل أخيرا عن الداعى لجعل الحكم الذى يصدر من المحكمة الابتدائية بحل الجمعية بناء على طلب وزير الداخلية حكما نهائيا لا يجوز الطعن فيه بأى طريق من طرق الطعن فى الاجكام ٠٠ فى حين أن العقوبات الأخرى التى نص عليها القانون فى مادته الثالثة عشرة مثلا تسرى عليها القواعد فيجوز الطعن فيها بالاستئناف حتى لو لم تكن العقوبة الا بغرامة قروش معدودة ٠

فهل يرى واضح المشروع أن حل جمعية أى حكم بإعدامها أمر أهون من حكم الغرامة ٠٠ فلا يترك الباب مفتوحا أمام الجمعية للطعن فى الحكم بطرق الطعن التى قصد بها فى التشريع التامين لسلامة الاحكام ؟

و : لا حاجة بنا للقانون اطلاقا :

ان الاخوان المسلمين وان كانوا قد درسوا مشروع قانون الجمعيات وأدلو برأيهم القانونى فيه ، فانهم لا يزالون عند رأيهم من أن أوضاعنا التشريعية ليست بحاجة اطلاقا لصدور أى قانون يضيف جديدا الى ما ضم القانون المبنى من نصوص كاملة لا تحتاج الى مزيد ٠

تاسعا : محاولة أخيرة للانتقاد :

فى ١٩-٤-١٩٥٠ نشرت الصحف بيانا عما تم فى مجلس النواب بالامس تحت العنوان التالى :

« ثلاثة آلاف متظاهر من الاخوان المسلمين أمام مجلس النواب امس ، « فؤاد سراج الدين باشا يفند أقوال المعارضين للمشروع - المجلس يقر القانون » ٠

وكانت المظاهرة الاخوانية تهتف « الاسلام دين وديننا » « الاسلام نظام لا يحتاج الى نظام » « الاسلام قانون لا يحتاج الى قانون » وهم يحملون الاصاحف - وخطب الجموع صالح عشاوى ثم فريد عبد الخالق . ثم سمح لوفد منهم بمقابلة رئيس المجلس وتقديم مذكرة اليه ، وكان الوفد من صالح عشاوى وسعد الوليلي وفريد عبد الخالق وأمين اسماعيل .

● مناقشة في المجلس بين احرار قائلين وحكومة مستبدة :

وأهم ما دار في المجلس من مناقشات في هذا اليوم هو الآتي :
قال الاستاذ فريد زعلوك : لا حاجة قط الى هذا القانون المعروض علينا الآن ما دام القانون المدنى قد نص فيه على تنظيم الجمعيات من الناحية المدنية ، كما أن القانون الجنائى قد نص فيه على تنظيم الجمعيات من الناحية الجنائية . أما الجرائم السياسية فشانها كشأن الاحزاب السياسية التى لا تخضع لى نوع من أنواع التنظيم أو الرقابة - وقال : ان الضمانات التى وردت في مشروع القانون ومنها رفع الامر الى مجلس الدولة ، تشبه رجلا نسرق نقوده ثم يقال له : اذهب الى المحكمة - في حين أن الاصل أن لا تسرق نقوده .

وتكلم الاستاذ عبد الحميد السنوسى فقال :
ان الهيئة التى بحثت مشروع القانون قالت في تقريرها ان هذا المشروع مماثل لارقى التشريعات في العالم . وقد رجعت الى القانون الانجليزى والى القانون البلجيكي وبعض القوانين الاجنبية فلم أجد فيها قانونا مماثلا أو شبيها بهذا القانون . وقال : ان مجلس الدولة قد انحرف عن طريق الدستور باقراره هذا التشريع .

فقال عبد الفتاح حسن الوكيل البرلمانى : لا أخفي سرا اذا قلت ان سعادة رئيس مجلس الدولة وواضع القانون المدنى العام قد شارك في وضع نصوص مشروع القانون المعروض عليكم .

وتكلم الاستاذ ابراهيم شكرى - مصر الفتاة - فقال :
ان هذا الاستعجال في نظر مشروع القانون ، والظروف التى تحتم أن يصدر في وقت معين ، قبل أن ينتهى تاريخ الامر العسكرى الذى حل جمعية الاخوان المسلمين . . . يؤيد أنه تشريع خاص أريد به حالة خاصة ، وهى حالة « الاخوان المسلمين » - وان هذا القانون يخالف روح الدستور لأنه قصد به تنظيم بوليسى للاشراف على الجمعيات .

وقال : ان معالى وزير الداخلية واثق من أن هذا المجلس يرى ما يراه
معاليه .

وثار المجلس - كالمعتاد - وعد هذا الخلام اهانة له فاعتذر ابراهيم
تسكرى .

وانتهى الامر بموافقة البرلمان بمجلسيه على القانون ٠٠ واستغرق
الموضوع كله منذ بدء تقديم المشروع الى مجلس النواب حتى التصديق عليه
من المجلسين الفترة من ١٨-٤ حتى ٢٥-٤

● تعقيب على هذا التشريع :

أوردنا هذا القانون ، وأوليناه اهتماما خاصا ، وفصلناه تفصيلا . مع
أنه - وقد أراد الذين أوحوا به وأراد الذين تحملوا اصر تمريره بالخطوات
التي جعلته قانونا ، أن يجعلوه غلا دائما في عنق الشعب - أراد الله الذى بيده
الامر كله أن يئده حيا ، وأن يجعل الجهد الذى بذلوه فى انجازه كما قال فى
كتابه : « وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » .

بعد انجاز هذا القانون ، واستوائه تشريعا فعلا كما يقولون ، لم
يستمتع الذين أنجزوه ولا الذين أوحوا به بيوم واحد ذاقوا فيه لذة ما كانوا
يأملون من لذع ظهور الشعب بسياطه ٠٠٠ فلقد تعاظمت الامور وتفاقت
ووجدت الحكومة نفسها فى أمس الحاجة الى سند يسندها من الشعب ،
فتناست هزلها الذى كانت تهزله ، وراحت تلتمس من الشعب العون والتأييد
والحماية والتسديد .

فلم اذن كان اهتمامنا هذا الشديد بقانون لم يعمل به ، واندر فيما
اندر من مئات القوانين ؟ ٠٠٠ لقد كان اهتمامنا لدواع منها :

أولا : الالام بالتاريخ : وعى فترة مرت بها الدعوة ، وكانت من أعصب
فتراتنا ، فكان لابد من الكتابة عنها والابانة عما احاط بها ٠٠ وهو امر لا غنى
عنه .

ثانيا : لفت النظر الى صفحات مطوية : فمن أخطر الامور أن يهمل
أصحاب الدعوات النظر فى صفحات التاريخ المطوية ، وأن لا يولوا اهتمامهم
الا للصفحات المنشورة ٠٠ ظنا منهم أن صفحة ما كادت تفتح حتى طويت
هى صفحة عقيم ، بجليل أنها كانت عديمة الاثر فى أيامها ، فهى فى غير أيامها
أشد عما ٠٠ فى حين أن مثل هذه الصفحات لم تطو لان احداثا أكبر منها فى
أيامها طغت عليها وحجبتها ، ولكنها لا تلبث - وعى مستكنة - حين تجد

البيئة المناسبة لنموها أن تنطلق من سبباتها وتكشف عن أنيائها .

ثالثا : أن يتنبه أصحاب الدعوات الى أن المناصب الحكم سحرها الذى لا يقاوم ، فقد يكون الرجل كريما نبيلًا ، يتحقق رقة ووطنية وإخلاصا ..
فاذا احتل منصة الحكم صار شيئا آخر ، ونفسى ما كان يدعو اليه من قبل .
رابعًا : أن يعرف دعاة الدعوة الاسلامية أن جميع القوى العاملة في ميدان السياسة والاجتماع - مهما اختلفت وجهاتها ، وتباينت مناهجها ، وناصب كل منها الآخر العداء - تتفق جميعا وتنسى خلافاتها في مواجهة الدعوة الاسلامية .

خامسا : انها لحقيقة ثابتة ، جديرة بالاعتبار والتدبر .. تلك هي « أن التاريخ يعيد نفسه » . وعلى المؤمنين الكيسين الفطنين أن ينتفعوا بهذه الحقيقة .

وتوضيحا لهذه الدواعى الخمسة نقول :

● الجولة الاولى لمحاولة فرض هذا انتشاريخ الخانق :

ليست هذه هي المرة الاولى أو بالتعبير الادق ليست هذه هي المحاولة الاولى التي حاولت فيها حكومة مصرية انشاء انقيود ، وخلق العقبات أمام تكوين الجمعيات .. فلقد بدأت هذه المحاولات وزارة الوفد التي تولت أمام الحكم في فبراير ١٩٤٢ .. اذ وضعت هذه الحكومة مشروع قانون سمته « قانون تنظيم الجمعيات الخيرية » وعرضته على مجلس وزرائها ثم على مجلس نوابها . وناقشه هذا المجلس . وفي ٢٠-٦-١٩٤٤ اعتمد هذا المجلس من هذا المشروع النص التالي .

« تعد جمعية خيرية كل جماعة من الافراد تسعى الى تحقيق غرض من اغراض البر ، سواء أكان ذلك عن طريق المعاونة المادية أو المعنوية . وتعد مؤسسة اجتماعية كل مؤسسة تنشأ بتخصيص مال لمدة غير معينة سواء أكانت هذه المؤسسة تقوم بأداء خدمة انسانية أو دينية أو علمية أو فنية أو زراعية أو رياضية أو أى غرض آخر من اغراض النفع العام دون قصد الى تحقيق ربح مادي لاجنائها - ويشترط في جميع الاحوال أن لا تكون الجمعية أو المؤسسة ووسائلها في تحقيق هذه الاغراض مخالفة للنظام أو الامن العام أو الآداب العامة » .

واقيلت حكومة الوفد في ٩-١٠-١٩٤٤ قبل أن يستكمل مشروع القانون خطوات إصداره . وجاءت حكومة السعديين برياسة احمد ماهر الذى اغتيل فجاء من بعده النقراشى ..

ومعروف أن وزاراتنا الحزبية في مصر تأتي كل وزارة منها الى الحكم وهمها الاول أن تنقض ما بذنته سابقتها ان خيرا وان شرا ٠٠ ولكن وزارة السعديين نقضت ما بنه الوعد في وزارته الا « قانون تنظيم الجمعيات الخيرية » فانها أبقت عليه ، وتبنته ، وأخذت في استكمال خطواته ، حتى أصدرته على نفس الاسس ، وبخمس الصياغة التي تركته بها الوزارة الوفدية وكل الذي فعلته وزارة السعديين أن عرضت على البرلمان بقية المواد التي لم تكن قد عرضت بعد .

ووافق برلمان السعديين على التشريع وصدر قانونا في أبريل ١٩٤٥ ٠٠ وكانت إحدى موادها تجعل للحكومة حق حل الجمعية اذا اشتغلت بالسياسة . ٠٠ وهو بيت القصيد ٠٠

ولا شك في أن القارئ الكريم مدرك من مجرد ما أشرنا اليه من بنود هذا القانون أنه انما كان المقصود به هيئة واحدة وجمعية معينة ٠٠ أرادوا أن يقذفوا بها بعيدا عن ميدان السياسة ، ويضعوا كل أنشطتها تحت رقابتهم ، حتى يظل ميدان السياسة دولة بينهم ، محتكرا لهم ، خاليا الا منهم .

ان دخول عنصر الاخوان المسلمين ميدان السياسة في مصر كان حدثا تاريخيا ٠٠ وكان مثار غضب وفزع لدى محتكرى السياسة في مصر من رجال الاحزاب ، وخدام المستعمر ، وعباد القصر الملكي ٠٠٠ ذلك أن هذا العنصر الجديد أراد أن يجعل للسياسة مقاييس جديدة ، وأهدافا جديدة ، ووسائل جديدة ، لا يتقبلها هؤلاء المحتكرون ولا يستطيعونها ٠٠ فهو يطالب السياسة بالشجاعة في مواجهة الغاصب ، وبالتضحية بالمال والجهد والدم فضلا عن المناصب ٠٠ وهذه أمور لا قبل لهم بها ، وفيها قضاء على آمالهم ، ومصادرة لشهواتهم .

ولهذا قرر هؤلاء المحتكرون أن يتعاونوا - والحكم في أيديهم - على حصر هذه الهيئة الناشئة في أضيق نطاق ، وضربها ضربة تبعد شملها ، وتشغلها بنفسها ، وتقضي على أحلامها ٠٠ وانتهى تفكيرهم الى سن هذا القانون .

ولا يعني أن نعترف بأن هذا القانون الذي بدء الوفديون ، واكمل اصداره السعديون ، كان تحديا صارخا لبناء دعوة الاخوان المسلمين ٠٠ ولقد شغلنا بأنفسنا فعلا عدة أشهر . فلقد واجهتنا به حكومة السعديين بعد انجازه مباشرة سنة ١٩٤٥ ، وخيرتنا بمقتضاه بين أن تكون جمعية خيرية تحت اشراف وزارة الشؤون الاجتماعية أو أن تكون حزبا سياسيا .

وبوقف الاستاذ المرشد العام امام هذه المواجهة حائرا فترة من الزمن وعقدت الهيئة التأسيسية أكثر من اجتماع لاتخاذ قرار في هذه المواجهة

الخطيرة . وكان القرار الوحيد الذى اتخذته الهيئة بعد أول دراسة للقانون هو رفض فكرة الحزب السياسى ، وفوضت الهيئة الاستاذ المرشد العام فى اتخاذ ما يراه من قرار بعد ذلك . . . واجتمع مكتب الارشاد العام عشرات المرات ، وتباحث المتخصصون فى القانون من الاخوان ، واستعان المرشد العام بالمتخصصين من غير الاخوان . . ومع ذلك ، وبعد كل هذه البحوث والاجتماعات ظل القرار الوحيد الذى أمكن اتخاذه هو قرار رفض الحزبية دون الوصول الى صيغة تخرجنا من الحيرة والحرج . .

واخيرا تفرغ الاستاذ المرشد الى نفسه ، مسترشدا بما قدم اليه من بحوث ، مستعينا بما عوده ربه من هداية وبما يسكبه فى نفسه من الهام . . وخرج علينا بعد ذلك بمشروع انتشلنا به من وهدة الحيرة ، وقادنا به الى بر الامان . . وعرض المشروع على مكتب الارشاد ثم عرض على الهيئة انتاسيسية فنال الثقة الكاملة . . وحمد الجميع ربهم أن وفق مرشدهم الى هذا انقرار اللهم المنقذ .

● الخطوط العريضة للقرار المنقذ :

وينبغى للقارئ الكريم ان يعلم أن هذا القرار كان من أخطر القرارات التى اتخذها الاخوان المسلمون فى حياتهم العملية ، فكان فاصلا بين عهدين فى تاريخهم ، وكان بمثابة تجربة قاسية كان على الدعوة أن تخوضها وهى راغمة لتستبقى لنفسها حق مواصلة الحياة . . ولذا فان القرار لم يقف عند حد تعديل فى بعض مواد قانون الاخوان المسلمين ، بل تناول القانون الاساسى كله بالتغيير ، بحيث اتخذ صورة جديدة . . وكان ذلك على الوجه الآتى :

١ - تعريف الاسلام بأنه نظام شامل لجميع شئون الحياة ، وأهدافه النهوض بكل هذه الشئون .

٢ - ما اختص من أهداف الاسلام بالشئون الاجتماعية تؤسس له هيئة مستقلة مركزها القاهرة تسمى « المركز العام لجمعيات البر والخدمة الاجتماعية للاخوان المسلمين » . لها أعضاؤها الذين يكونون جمعيتها العمومية ولها اشتراكاتها ومالياتها الخاصة بها . ولها دفاترها وحساباتها التى تخصها - ويقوم أعضاء جمعيتها العمومية بانتخاب مجلس الادارة الخاص بها . وتكون مسجلة فى وزارة الشئون الاجتماعية ، وتحت اشراف مندوبيها فى جميع أعمالها وتصرفاتها - ولهذا المركز العام أن ينفش، فروعاً تابعة له فى مختلف الاحياء والبلاد ، وتكون فروع مسجلة بوزارة الشئون الاجتماعية وتحت اشراف مندوبيها .

٣ - اغراض الاسلام الاخرى التى لا تدخل فى نطاق اعمال البر والخدمة الاجتماعية كنشر الدعوة الاسلامية ، وبث الروح الوطنية ، والقيام بالاعمال الاقتصادية . . تقوم بها « هيئة الاخوان المسلمين العامة » .

وبذلك تفادى الاخوان الشراك انذى نصبته الدولة لاصطيادهم
وقد ذهل رجال القانون الحكوميون حين تلقوا رد الاخوان . . وكانوا يعتقدون
ان الاخوان سيعجزون عن الجواب الا أن يأتوا مذعنين ، فلقد أحكموا الخناق
القانونى حول عنقهم فاما الاستسلام واما الاختناق وكلاهما فناء .

وكانت هذه احدى عبقريات حسن البنا التى أياست أعداءه أن يستطيعوا
النيل منه مهما أحكموا من خطط اصطياده . . ما دامت هذه الخطط فى حدود
العرف والقانون ، فما كانت مشكلة يستعصى عليه حلها مهما تعاظم أمرها
ونفاقم خطرهما وتعمقت خيوطها وما ذلك الا بتوفيق الله تعالى له .

وكان هذا القانون محنة اجتازها الاخوان بسلام ، وتفادوا بمعونة الله
وتوقيته ما اعد لهم من هزالق ومهانك . ومنذ ذلك اليوم كنت تدخل المركز
العام بالحلمية الجديدة فتجد على يمينك فى فناءه مبنى صغيرا مستقلا ، عليه
لافتة كتب عليها « المركز العام لجمعيات البر والخدمة الاجتماعية للاخوان
المسلمين » ولهذا المركز مجلس ادارة مستقل على رأسه الاخ الكريم الاستاذ
عبد الرحمن البنا - شقيق الاستاذ ارشد العام - وتجد انقانون الخاص بهذا
المركز مطبوعا فى كتيب صغير مستقل كما أنك واجد فى كل شعبة من
شعب الاخوان تقريبا فى مختلف البلاد فروعا للبر والخدمة الاجتماعية على
نسق هذا المركز وتابعة له .

ولا اعتقد أن وزارة الشؤون الاجتماعية تبناها فى يوم من الايام جمعيات
لها عشر معشار ما كان لهذا المركز وفروعه من نشاط فى ميادين البر والخدمة
الاجتماعية من أنشطة صحية وثقافية ورياضية واجتماعية واصلاحية وبر
واحسان .

● الجولة الثانية :

كانت هذه هى الجولة الاولى من جولات هذا النوع من الصراع . وقد
راى القارىء أنها لم تكن صراعا بين حزب معين وبين الاخوان ، بل كانت بين
الباطل الحزبى كله على اختلاف أحزابه والوانه وبين الاخوان وحدهم ، فنقد
اشترك فى وضع هذا القانون حزب الوفد وحزب السعديين ومن معه من
الاحزاب الاخرى

ثم كانت الجولة الثانية . . وكانت بتدبير نفس المحبرين الا أنها
كانت نابعة هذه المرة من احط ما فى نفوسهم من خسة ونذالة . . . فاذا قلنا
- تجاوزا - ان الجولة الاولى كانت اشبه بالمواجهة بين خصمين ، فماذا نقول
فى جولة كانت اجهازا على جريح ؟ . . . هاجموا الاخوان هذه المرة وهم

يترنحون من شدة طعنات حكومة غادرة متواطئة غاشمة ، ودماؤهم تتفجر من كل جانب ، ولا يجدون من يضمدهم الجراح ...

ان الاعداء الشرفاء يترفعون عن شهر السلاح على عدوهم اذا وقع مشخفا بالجراح ، ولكن الاخساء يهتبلونها فرصة فيتكالبون عليه وهو في الرمق الاخير لا يدفع عن نفسه .

وكانت الجولة الثانية من هذا النوع الخسيس الذى تأباه النفوس الشريفة .. أخفوا في سن هذا القانون والاخوان ممزقون كل ممزق ، بين معتقل ومسجون ومطارد ومعذب ، وبعد أن امتدت يد الغدر والخيانة الى مرستهم العام .

● هل هناك جولات أخرى ؟

وقد رأيت أن أتناول بشيء من الاسهاب الحديث عن هذا القانون بجولتيه ، لتتضح أمام أعين هذا الجيل والاجيال القادمة صورة حقيقية غير مزيفة لطبيعة الرجال ، وطبيعة الزعماء ، وطبيعة المجتمعات في بلادنا .. حتى لا يتمادى بهم حسن انظن فيؤخذوا على غرة ، وحتى لا ينخدعوا بالمظاهر المصطنعة ، والخطب الرنانة ، والاحاديث المنمقة .. الا فليعلموا أن من ورائها نفوس لا تنطوى الا على الانانية والاثرة والغدر .. ولا هدف لها الا التسلق على أكتاف المخدوعين حتى يتسنى قمة السلطة فيخلفوا وعودهم ويستنكروا لماضيهم ولشعبهم ولوطنهم .. وينحصر همهم بعد ذلك في العمل على تثبيت أقدامهم في مراكز السلطة .. ويتحول معنى الاخلاص في نظرهم حينئذ الى مظاهر الخضوع لهم والاذعان لامرهم، ومعنى الوطنية الى التقانى في خدمتهم والاشادة بفضلهم ، ومعنى الشجاعة الى الدفاع عن باطلهم وتبرير أخطائهم .. أما من خرج على هذا الخط الذى حددوا به معانى الاخلاص والوطنية والشجاعة ، واستنكف أن يعبد أحدا من دون الله ، فإنه يعد خارجا وخائنا وارهابيا ، وتزرع أمامه الطرق بالعقبات ، وتكال له التهم ، وتلفق له العيوب ، ويلاحق بأساليب القهر والمطاردة .

وهذا الذى تسنم قمة السلطة ، وذاق حلاوتها ، فتشبت بأسبابها لا يريد لها فراقا ... أول ما يلجأ اليه في محاربة من ارتفع على اكتافهم - ويعلم أنهم لا يقبلون بأماله الجديدة - هو أن يستغل ما تتيحه له هذه السلطة من وسائل .. وأول هذه الوسائل هى التشريعات والقوانين ، التى تجعل الحلال حراما والحرام حلالا .. وهكذا تأتى جولات وجولات .. والله من من ورائهم محيط .

المحاكمات

مقدمة

كانت ثمرة السياسة الحاقدة الخرقاء التى انتهجتها الطغمة الحاكمة التى كانت واجهتها هى وزارات السعديين ، أن اضطربت أحوال البلاد ، وخيم عليها ظلام دامس ، لا يأمن فيه مواطن على نفسه . وكيف يأمن والحكومة التى وظيفتها أن تحميه وتوفر له أسباب الامن رأى أنها صارت هى التى تدبر المؤامرات بل وترتكب الجرائم . . .

وأخطر من هذا وأدهى وأمر أن هذه الحكومة - وقد تلوثت يداها بدماء أفراد الشعب . . أضحت فريسة للوساوس والهواجس والاهوام ، فقد صور لها شعورها بجريمتها أن كل فرد يمشى فى الشارع أو يأوى إلى بيت أو يدرس فى معهد أو يلهو فى مقهى أو يتكلم مع أصدقائه ، خيل لها أن هؤلاء جميعا يعملون على فضح جريمتها والكشف عن مؤامرتها . . فبثت عيونها فى كل مكان ينتصبون السائرين ، ويتصننون على المتحدثين ، ويهاجمون الأمنيين . . وتفرغت بكل مقوماتها وامكاناتها لهذا الأسلوب المثير .

وتحولت صورة الموقف فى مصر من حكومة ترعى مصالح الشعب الى حكومة تتحدى شعبا وتقف له بالمرصاد ، تتبدع كل يوم أسلوبا جديدا لاستفزازه وإثارته . . مدعية - زورا وبهتانا - أنها تحميه من الاخوان المسلمين . . . فهل شكا إليها الشعب يوما من الاخوان المسلمين ؟ . . . وهل الاخوان المسلمون الا أبناء هذا الشعب واخوته وأخواته وآبأؤه وأمهاته وأعمامه وأخواله ؟ لم يكن الاخوان المسلمون فئة محدودة تعد على الاصابع كما هو الحال فى حزب السعديين وأمثالهم حتى يقال انها عصابة تفزع الناس فى قرية من القرى أو فى حى من الاحياء ، فتقوم الحكومة بمحاصرتها حتى تنتضى عليها وتوفر لهذه الجهات الامن والامان .

وانما الامر شئ آخر تماما . . . الاخوان المسلمون فكرة وعقيدة سرت فى قلوب الشعب من أقصاه الى أقصاه . . دخلت كل بيت ، واستقرت فى كل نفس ، لانها فطرة الله التى فطر الناس عليها . وما من مكان دخلته هذه الفكرة الا ولس امله والمقيمون فيه من آثارها ما سرهم وأسعدهم ، من تقريب بين

النفوس ، وتثقيف للعقول ، وتصحيح للابدان ، وتطهير للقلوب ، وأخذ بيد الضعيف ٠٠٠ فكيف يشكو الناس من هذا الفيض الرباني الذي غمرهم فنقلهم من الظلمات الى النور ؟

لم يشك أحد من هذا الشعب المفتري عليه ٠٠ ولكن الذين شكوا هم سكان القصور في القبة وعابدين ، ومرضى النفوس من الساسة المحترفين ، الذين رأوا في هذه الفكرة تدمير آمالهم ، وتحطيم رفاهيتهم انقائمة على استعباد الشعب ، واستغلال جهوده لانفسهم ٠٠٠

لم يكن يد أمام هذا الشعب المغلوب على أمره - ممثلا في شبابه الطاهر- الا أن تثور نفسه ازاء الاستفزاز المستمر ، فيقدم على أعمال يعلم أنها مهالك، ولكنه يقدم عليها املا في أن تضع حدا لهذا الاستفزاز المتوقع ، والظلم الجائر، والاستبداد الفاجر .

هي طبيعة النفوس البشرية ٠٠ لها طاقة محدودة من التحمل وانصبر، فاذا زاد الضغط على حد التحمل انفجرت غير عابئة بسىء « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم ، وكان الله سميعا عليما » .

وقعت أحداث خطيرة ٠٠ كانت تعبيرا نرد الفعل لا ردا للفعل ، فان رد الفعل الذي كان يجب أن يقع - وهو كما تقول القوانين يضاد الفعل ويساويه- أن تنلح في البلاد ثورة عاتية تقتلع الظلم والظالمين ٠٠٠ ولكن يبدو أن ارادة الله قدرت ان تؤجلها - كما يتضح ذلك في ثنايا الحديث عن المحاكمات - او لعل هذه الثورة لم تكن قد استكملت بعد كل عناصر اندلاعها ، فكانت هذه الاحداث مقدمة لها ، ونذيرا بها ، وارهاسا بقومها ٠٠

واذا اردنا أن نحصى هذه الاحداث ، هالتنا كثرة عددها ، ولذا فاننا نختار منها ما استطاعت أن تصل به تلك العصاية الحاكمة الى الحد الذي صورته للشعب في صورة الاعداد للثورة عليها ، والعمل على قلب نظام الحكم، وشكلته في هيئة قضايا خطيرة ، أمضى القضاء الجنائي في نظرها بضع سنين ، وقامت الدنيا لها وقعدت لما أثير فيها من أسرار ومفاجآت .

ولما كنا بصدد الحديث عن المحاكمات ، فنرى علينا أولا وقبل الخوض فيها أن نعرض لقضية نسبت الى الاخوان كهيئة زورا وبهتانا ، لانها لم تكن الا عملا فرديا ، وتصرفا شخصيا ، ووحى انفعال ذاتي ، كما ينفع اي فرد من الناس على آخر في الطريق أو في العمل أو في البيت نتيجة كلمة نابية أو تصرف يمس كرامته ٠٠ فهل اذا أسفر هذا الانفعال عن ضرر يكون كل الجهة المنتسب اليها هذا الفرد مؤاخذ بآثار انفعاله ؟ ٠٠٠ كان هذا الانفعال

الفردى ، وما نجم عنه من تصرف شخصى بحت هو ما سمي « قضية اغتيال الخازندار » .

● قضية اغتيال الخازندار :

وقعت هذه الجريمة في ٢٢ فبراير ١٩٤٨ . واتهم فيها طالبان من المنتسبين الى الاخوان المسلمين من بين عشرات الآلاف من الطلبة المنتسبين الى الاخوان ٠٠٠ ولا أزال أذكر كيف وقع نبا هذه الجريمة على الاستاذ الامام وعلينا جميعا موقع الصاعقة ٠٠ حتى ان الاستاذ - رحمه الله - تنهد طويلا وأخذ يشكو الى الله من هذا التصرف الاحمق والحماس الاعمى الذى شبهه باخلاص الدب لصاحبه ، اذ أراد أن يخلصه من مضايقة ذبابة على وجهه وهو نائم ، فأتى بحجر ضخيم وألقاه على الذبابة فلم يصيبها ولكنه قتل صاحبه .

تبين فيما بعد أن هذين الشابين - وكانا بعد في الدراسة الثانوية - كانا صديقين لشابين في مثل سنهما من الاخوان هما حسين محمد عبد السميع ومحمود نفيس حمدي ، اتهما - في معمران ثورة الشعب على طغيان العسكريين الانجليز وتعتديهم على أفراد الشعب - بالقاء قنبلة يدوية على نادى الضباط الانجليز بالقاهرة في ليلة عيد الميلاد من عام ١٩٤٧ ولم يصب أحد من هذه القنبلة ، ولم يقبض عليهما في مكان الحادث بل ضبطا في أثناء سيرهما . وبفتيشهما وجد في جيب الاول قنبلة لما سئل عنها قال انه وجدها في الطريق . ولما عرضت هذه القنبلة على ضابط استكشاف القنابل قدم تقريراً بأنها ليست من النوع الذى ألقى في تلك الليلة ٠٠ وقد قدم هذان الشابان الى محكمة الجنايات برئاسة المستشار أحمد الخازندار بك فأصدرت حكمها في ١٨ يناير ١٩٤٨ بحبس حسين عبد السميع ثلاث سنوات مع الشغل وغرامة مائة جنيه - وقد سبق أن أشرنا الى هذه الحادثة في موضعها في الجزء الاول من هذا الكتاب .

وفي خلال ذلك العام نفسه عام ١٩٤٧ كانت هناك أمام القضاء قضية هامة لجريمة بشعة مروعة وقعت في الاسكندرية وقد هزت أرجاء البلاد ، سميت بجريمة سفاح الاسكندرية وكان يدعى حسن قناوى . وقد راح ضحية هذه الجريمة أكثر من قتيل . وكانت دوافع ارتكاب جرائم القتل هذه دوافع جنسية قذرة ٠٠ وكانت تفاصيل هذه القضية وما دار في جلساتها من شهادات مما يزكم الانوف ، ويؤذى المشاعر ، من بهيمية منحطة ووحشية مرعبة ٠٠ وكان ما تنقله الصحف مما يدور في جلسات هذه القضية يثير الذعر والاشمئزاز في نفس كل مصرى ومصرية ٠٠ وتمنى الشعب كله أن لو استطاع

القضاء أن يخلص الانسانية من هذا الوحش الكاسر الدنيء ٠٠ وطالب
الاستاذ أنور حبيب وكيل النيابة في مرافعته برقبة المتهم فجاء طلبه مترجما
لشعور الناس جميعا في أنحاء البلاد ٠

ولكن الحكم الذى أصدرته محكمة الجنايات برئاسة احمد الخازندار
بك كان صدمة لمشاعر الناس ، فقد أصدرت المحكمة في ١٢ مارس ١٩٤٧ حكما
على سقاح الاسكندرية بسبع سنوات من الاشغال الشاقة ، تلقاها المتهم -
كما جاء بالصحف في ذلك الوقت - بالابتسام بعد أن كان واجما ٠

تبين أن هذين الشابين حقا على رئيس المحكمة أن لا يراعى في حكمه
الدوافع الوطنية النبيلة في القضية الاولى ، وأن يساوى بينها وبين الدوافع
القذرة الاثيمة في القضية الثانية ، فأقدا على ما أقدا عليه ٠

كانت هذه الجريمة في ذاتها - مع كل ما قيل فيها من اعتبارات وظروف
- جريمة شائنة ، ولكنها بالنسبة للاخوان المسلمين - وهم متقيدون بالمثل
الاسلامية العليا - كانت صدمة قاسية ، وكارثة اليمة ٠٠٠ وما كان الاخوان
في ذلك الوقت يملكون ازاءها أكثر من أن يعلنوا استنكارهم أشد استنكار ،
وتبرؤهم منها ومن مرتكبيها ٠

ومع أن محاكمة الشابين أثبتت أنهما لم يستوحيا اقدامهما على
الجريمة من أية جهة غير تصورهما الشخصى ، ومع أن الفحص الطبى أثبت
أن بهما لوثة من الجنون ، وأصدرت المحكمة بناء على ذلك حكما عليهما
بالاشغال الشاقة المؤبدة دون الاعدام ٠٠٠ مع كل هذا فان هذه الجريمة
تركت أثرها في نفوس الرأى العام بأن كل ذلك لم يكن كافيا لبراءة دمة
هى في نظر الناس أظهر من ماء السماء ٠٠٠ وليس معنى هذا أن الرأى العام
قد وصم الاخوان بهذه الجريمة ، أو اعتقد أن لهم فيها يدا ، وإنما كان يتمنى
أن لا يكون مرتكبا هذه الجريمة قد ائتسبأ الى هذه الدعوة في يوم من الايام ٠٠
وكما أن هذا الشعور كان شعور الرأى العام فانه أيضا كان شعور الاخوان
أنفسهم لا سيما الاستاذ الامام ، الذى دفعه هذا الشعور الى اعداد العدة
لإعادة النظر في صفوف المنتسبين الى الدعوة ٠٠٠ ولولا معالجة الاحداث له
لنفذ الخطة التى أعدها لذلك ، وأن كان المسئولون عن الدعوة من بعده قد
وضعوا خطته هذه موضع التنفيذ ٠٠ مما يأتى بيانه في فصول قادمة
إن شاء الله ٠

عذا بيان موجز غاية الإيجاز عن هذه القضية كان لابد من تقديمه قبل
الحديث عن موضوع هذا الفصل - فان هذه القضية - وإن لم تكن من قضايا

الاخوان - الا انها كانت من ابعد القضايا اثرا في دعوة الاخوان المسلمين بحيث انجبت بها اتجاها خاصا ، وشكلتها بتشكيل معين .

● أهم القضايا المسماة بقضايا الاخوان :

ثم نرجع الى ما كنا بصددہ مما تمخضت عنه جهود حكومة عبد الهادي، اذ تمخضت عن عدد وافر من القضايا أهمها هذه الخمس :

- ١ - قضية اغتيال النقراشي .
- ٢ - قضية محاولة نسف محكمة الاستئناف .
- ٣ - قضية السيارة الجيب .
- ٤ - قضية محاولة اغتيال حامد جوده (رئيس مجلس النواب) .
- ٥ - قضية الاوكار .

وكل هذه القضايا وقعت أحداثها في عهد عبد الهادي ماعدا قضية السيارة الجيب فقد وقعت أحداثها في عهد انقراشي . . وقد تعارف الناس كما تعارفت الصحافة على تسمية هذه القضايا الخمس بقضايا الاخوان . . وقد استغرق نظر هذه القضايا الفترة الزمنية ما بين أيام عبد الهادي سنة ١٩٤٩ حتى بعد قيام الثورة الى عام ١٩٥٤ حيث لم يكن القضاء قد أنهى بعد نظر قضيتي حامد جوده والاوكار - أما القضايا الثلاث الأخرى فقد صدر حكم قضائي عسكري في اثنين منها وهما قضية اغتيال النقراشي وقضية محاولة نسف محكمة الاستئناف في عهد وزارة عبد الهادي . . أما القضية الباقية وهي قضية السيارة الجيب فقد نقلت من القضاء العسكري بعد أن نظرهما حيناً الى القضاء العادي حيث ألغيت الاحكام العرفية ، وأصدر القضاء حكمه فيها في عهد وزارة الوفد سنة ١٩٥١ .

وفي معالجتنا لموضوع المحاكمات لن نقصد الى تناول هذه القضايا تناولاً موضوعياً مفصلاً ، وانما سوف نقتصر في هذا التناول على النواحي الشكلية منها . . تلك النواحي التي جعلت من هذه القضايا بدلا من أن تكون محاكمة لافراد على تهم وجهت اليهم . . جعلت منها محاكمة تاريخية لعهد ، ولأسلوب حكم ، ولفترة مظلمة من حياة هذه البلاد .

ولهذا فقد حشدت حكومات ذلك العهد كل ما تملك من قوة ومال وسلطة وبطش ، وفرغت المسؤولين فيها في جميع المواقع لجمع العناصر التي لا بد من جمعها لخلق هذه القضايا وتكوينها . . وكانت غايتها من وراء ذلك أن تجد بين

يجبها آخر الامر من احكام القضاء ما يدفع الاخوان المسلمين بالجريمة ، فيكون هذا الدفع القضائي مبررا لما اتخذته ضدهم من اجراءات انتقامية شاذة فاجرة .. ويكون في هذا الاجهاز التام على الجريح المثلن بالجراح ولكنه لا يزال يغالب الموت .

ومع ان معالجتنا لهذه المحاكمات هي على النحو الذى بيناه ، فاننا مطالبون مع ذلك بأن نضع بين يدي القارئ فكرة موجزة عن كل واحدة من هذه القضايا حتى يساير الحديث الذى نسوقه بعد ذلك فيما يتصل بها ان شاء الله .

نبذة موجزة عن هذه القضايا

١ - قضية اغتيال القراشى :

وقعت هذه الجريمة في ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ ، وقبض فيها على الجاني عبد المجيد احمد حسن الطالب بكلية الطب البيطرى ٠٠٠ وحسب هذه القضية ما كتبناه في الفصول الاولى من هذا الجزء من الكتاب ، فقد اطلنا الحديث فيها عن ظروف هذه الجريمة واسبابها ودواعيها وعن المسئول الحقيقي عن وقوعها - كما اشرنا الى « بيان للناس » الذى اخذوه من الاستاذ الامام بدعى أنه وسيلة لتحسين العلاقات بين الاخوان والحكومة ، ولكنهم استعملوه لزلزلة عقيدة المتهم في هذه القضية .. وقد تزلزلت عقيدته فعلا فبعد أن اعترف بأنه أقدم على هذه الجريمة من تلقاء نفسه تراجع وأخذ يتهم آخرين بالتأثير عليه .

● قرار الاتهام :

وكان محمود منصور بك في ذلك الوقت هو النائب العام ، وكان من المتفانين في خدمة أغراض الطغمة الحاكمة ، حتى انه كان يريد ضم جميع قضايا الاخوان في قضية واحدة ، وتقديمها الى القضاء العسكرى .. ولكن نظرا لطول التحقيق وكثرة عدد المتهمين ، مما يحتاج الى وقت طويل في النسخ والاطلاع والاستعداد ، فقد رأوا أن الوقت لا يتسع لنظر هذه القضية في العام القضائي الحالي الذى ينتهى في منتصف يونيه - وان كان هذا لا يمنع من نظرها خلال العطلة ، على اعتبار أن القضايا العسكرية من القضايا التى تنظر على وجه الاستعجال ، فلا تحول العطلة القضائية دون نظرها - ولكن رثى اخيرا - لتعذر تنفيذ هذه الخطة - العدول عنها .

واكتفى النائب العام بعد ذلك بضم بعض المتهمين في قضية السيارة الجيب وقضية حامد جوده الى المتهمين في قضية اغتيال النقراشي ، ووضع تقرير الاتهام في هذه القضية في ٨ مايو ١٩٤٩ ، وجعل المتهمين فيها ٢٤ متهما ، منهم خمسة متهمون بالاشتراك في قتل النقراشي ، والتسعة عشر الباقون متهمون بالاتفاق الجنائي مع الخمسة للاستيلاء على الحكم بالقوة . وأصدر قرار الاتهام على الصورة الآتية :

- ١ - عبد المجيد أحمد حسن سن ٢٢ سنة
طالب بكلية الطب البيطرى بسجن الاجانب
- ٢ - السيد فايز عبد المطلب سن ٢٩ سنة
مهندس ومقاول مبانى بسجن مصر
- ٣ - محمد مالك يوسف محمد مالك - موظف بمطار القاهرة هارب
- ٤ - عاطف عطية حلمى سن ٢٥ سنة
طالب بكلية الطب بسجن مصر
- ٥ - سيد سابق محمد التهامى سن ٢٤ سنة
مقرئ دلائل بسجن مصر
- ٦ - أحمد عادل كمال سن ٢٣ سنة
موظف بالبنك الاهلى بسجن مصر
- ٧ - طاهر عماد الدين سن ٢٥ سنة
مهندس بشركة كوكينوس بسجن مصر
- ٨ - ابراهيم محمود على سن ٣٠ سنة ترزى بسجن مصر
- ٩ - مصطفى كمال عبد المجيد أيوب سن ٢٦ سنة
ميكانيكى بسجن الاجانب
- ١٠ - مصطفى مشهور مشهور سن ٢٧ سنة
مهندس بالارصاد الجوية بسجن مصر
- ١١ - محمود السيد خليل الصباغ سن ٢٨ سنة
مهندس بالارصاد الجوية بسجن مصر
- ١٢ - أحمد زكى حسن سن ٢٥ سنة
مدرس بمدرسة الجيزة الابتدائية بسجن مصر
- ١٣ - أحمد محمد حسنين سن ٢٨ سنة
مراقب حسابات شركة المعادن بسجن مصر
- ١٤ - محمد فرغلى النخيلي سن ٢٩ سنة
تاجر معادن بسجن مصر

- ١٥- عبد الرحمن على فراج السندى سن ٣٢ سنة
موظف بوزارة الزراعة بسجن مصر
- ١٦- محمد حسنى أحمد عبد الباقي سن ٣٣ سنة
عضو مجلس مديرية الجيزة بسجن مصر
- ١٧- أحمد قدرى البهى الحارثى سن ٢١ سنة
مهندس بمصلحة الطيران المدني بسجن مصر
- ١٨- محمد بكر سليمان سن ٢٦ سنة
نساج بشركة النيل للمنسوجات بسجن مصر
- ١٩- أسعد السيد أحمد سن ٢٦ سنة
ميكانيكى بسجن مصر
- ٢٠- محمد سعد الدين السنانيرى سن ٢٨ سنة
مقاول نقل بسجن مصر
- ٢١- على محمد حسنين سن ٢٧ سنة
قوموسيونجى بسجن مصر
- ٢٢- سعد محمد جبر سن ٢٨ سنة
مهندس لاسلكى بسجن مصر
- ٢٣- محمد محمد فرغلى سن ٤٢ سنة
واعظ الاسماعيلية بسجن مصر
- ٢٤- محمد ابراهيم سويلم سن ٢٢ سنة
فلاح بسجن مصر

الاول متهم بقتل النقراشى باشا والاربعة التالون اشتركوا معه
بطريق الاتفاق والتخريض والمساعدة ، والجميع حتى ٢٤ متهمون بالاشتراك
في اتفاق جنائى الغرض منه ارتكاب الجنايات والجنح المذكورة بعد ،
واتخاذها وسائل للوصول الى الاستيلاء على الحكم بالقوة . واتحنت
ارادتهم على الاعمال المسهلة والمجهزة لارتكابها . وهذه الجرائم هى :

- ١ - قلب وتغيير دستور الدولة وشكل الحكومة بواسطة عصابات
مسلحة ٠٠ المائتين ٨٧ ، ٨٨ عقوبات .
- ٢ - ائتلاف سيارات وأسلحة الجيش المصرى المعدة للدفاع عن البلاد ،
الامر المنطبق عليه المادة ٨١ عقوبات .
- ٣ - تخريب المنشآت الحكومية وأقسام ومراكز البوليس ومحطات
الاضاءة والمياه وغيرها - المادة ٩٠ عقوبات .

٤ - قتل عدد كبير من المصريين والاجانب المبينة اسماؤهم بالكشف المرفق عمدا مع سبق الاصرار والترصد ، مما ينطبق عليه المواد ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ عقوبات .

٥ - تعريض اموال الناس وحياتهم عمدا للخطر باستعمال القنابل والمفرقات في عدد من السفارات والقنصليات الاجنبية وغيرها من الاماكن العامة وانخاصة المأهولة بالسكان والمبينة بالكشف - المادة ٢٥٨ عقوبات

٦ - تعطيل وسائل النقل العامة بنسف قطارات السكة الحديدية وجسورها وخطوطها ونسف الطرق والكبارى العامة وسيارات الاوتوبيس، وتعطيل انقوى الكهربائية المولدة لحركة الترام - المادة ١٦٧ عقوبات .

٧ - ائتلاف الخطوط التلغرافية والتليفونية الحكومية عمدا في زمن فتنة ، بقطع اسلاكها وقوائمها ونسف أدواتها - المادتين ١٦٥ ، ١٦٦ عقوبات .

٨ - سرقة البنك الاهلى وبعض المحال التجارية بطريق الاكراه ، باقتحامها بأشخاص مسلحين .

٩ - ائتلاف مبانى شركة قنال السويس .

١٠ - قتل خيول البوليس عمدا .

١١ - اقامة واستعمال محطات اذاعة سرية .

ثم طلبت النيابة بناء على مواد الاحكام العرفية احالة القضية الى المحكمة العسكرية .

● قائمة الشهود :

طاقفة للشهادة في حادث قتل الفرأشى باشا ، والطائفة اثنائية عن حادث ضبط السيارة الجيب . والثالثة عن ضبط حافظة جاذية مع اتهم مصطفى مشهور وبها باقى اوراق الجماعة ، والرابعة عن ضبط محطة الاذاعة ، والخامسة عن ضبط اسلحة ومفرقات في دكان السنانيى بمصر القديمة ، والسادسة عن ضبط اسلحة ومفرقات واوراق الجماعة الارهابية في مزرعة الشيخ محمد محمد فرغلى بالاسماعيلية .

كما وجدت اوراق لتكوين جماعة لغرض التجسس على جميع الاحزاب انسياسية وغيرها من الهيئات كالبوليس السياسى ونفادات العمال وحزب العمال الاشتراكي .

وقد بلغت ملفات التحقيق ألفى صفحة • وتولى التحقيق فيها محمود منصور باشا - الذى استحق أن ينعم عليه بالباشوية - ومعه كبار رجال النيابة - وتنتظر القضية فى دورة يوليو ويتراجع فيها محمود منصور باشا بنفسه •

ومعذرة الى القارىء ، فقد أتعبت نفسى بنقل كل هذه البنود ، ولا بد أنه قد أرهاق أيضا بقراءتها ، ولكنى تحملت وإياه هذه المشقة مرة واحدة ، لأغنيه من قراءتها مرات بعدد القضايا • فان هذه البنود التى تتبثق عنها ذهن موظف النيابة الذى وكل اليه أمر اختراعها هى التى تضمنتها قرارات الاتهام فى جميع القضايا •• ولقد كان مؤسفا ، وسنة سيئة ، اقتفت أثرها الحكومات التى جاءت بعد ذلك حين أرادت أن تنكل بخصومها السياسيين •

وأحيلت هذه القضية الى القضاء العسكرى أمام دائرة عسكرية عليا برياسة محمد مختار عبد الله بك وعضوية غالب عطية بك ومحمد عبد العزيز كامل بك واثنين من العسكريين ، ومثل النيابة الاستاذ محمد عبد السلام •

طلب رد رئيس المحكمة :

وقد تقدم المتهمان السابع السيد فايز والخامس عشر محمد نسائل طائبين رد رئيس المحكمة •• فتفتحى مؤقتا ونظر أسباب الرد العضوان الاخران فى حجرة الدائرة • وبعد ساعتين نطقت الهيئة برفض طلب الرد • وأخذ الدفاع على رئيس المحكمة أنه قام بدور قاضى التحقيق فى هذه القضية مما يبطل هذا التحقيق ، ولكنه رفض رأى الدفاع وأصر على مواصلة نظر القضية •• وكان لهذا الرجل مواقف غريبة فى أثناء نظر هذه القضية سنشير اليها فى موضعها ان شاء الله •

وقد استمعت المحكمة قimen استمعت اليهم من الشهود الى عبد انرحمن عمار •• وقد ناقشة الدفاع فى مذكرة الحل التى كان قد أعدها •• وألقى مرافعة النيابة محمد عزمى بك النائب العام فى ذلك الوقت ، حيث سقطت فى خلال هذه الفترة فجأة وزارة عبد الهادى ، فلم يعد محمود منصور مكان فى الحكومة الجديدة انتهى أرادت أن تظهر للشعب بمظهر المطهر •

وبدأت جلسات هذه القضية فى ٢٧-٨-١٩٤٩ وكانت آخر جلساتها فى ٢٥-٩-١٩٤٩ • ومعنى هذا أنها لم تستغرق الا أقل من شهر • وصدر الحكم فيها فى ٩-١٠-١٩٤٩ بإعدام المتهم الاول وبأحكام دون ذلك لبقية المتهمين ومنها البراءة لبعضهم •

٢ - قضية محاولة نسف محكمة الاستئناف :

وهي تعتبر ملحقه بالقضية السابقة لانها مرتبطة بها في ظروفها ودواعيها التي وضحتها من قبل . وقد وقعت هذه المحاولة في ١٢-١-١٩٤٩ والمتهم فيها هو شفيق ابراهيم أنس سنة ٢٢ سنة يعمل موظفا في ارشيف وزارة الزراعة .٠٠ وقد أراد أن ينسف المحكمة انتقاما لما كان يجري بين جدرانها من تزيف وتلفيق واكراه وتعذيب لآخوانه .٠٠ على أن احدا لم يصب والحمد لله .

وقد نظرت هذه القضية امام نفس المحكمة التي نظرت قضية اغتيال النقراشي . وكان ممثل الاتهام فيها هو محمد كامل القاويش .٠٠ ولم تستغرق المحاكمة الا اياما قليلة صدر بعدها الحكم على المتهم بالاشغال الشاقة المؤبدة .

٣ - قضية السيارة الجيب :

في يوم ٢١-١١-١٩٤٨ نشرت الصحف نبأ اذاعته وزارة الداخلية يقول : انه قد تم ضبط سيارة جيب بها كميات كبيرة جدا من المتفجرات الخطرة والاوراق في دائرة قسم الوايلي امام أحد المنازل . وتبين أن راكبي السيارة الذين جروا وقبض عليهم من جماعة الاخوان المسلمين .

وفي ٢٥-٩-١٩٤٩ وضع النائب العام محمد عزمي بك تقرير الاتهام في هذه القضية ، فقدم ٣٢ متهما بتهمة الاتفاق الجنائي على قلب نظام الحكم - ولا داعي لإعادة اثبات البنود الاحد عشر التي دأبت النيابة على رصها رصا في هذه القضايا امام القضاء - اما التهمون فهم :

- ١ - عبد الرحمن على السندی سنة ٣٢ موظف بوزارة الزراعة
- ٢ - مصطفى مشهور سنة ٢٧ مهندس بالارصاد الجوية
- ٣ - محمود الصياغ سنة ٢٨ مهندس بالارصاد الجوية
- ٤ - احمد زكي حسن سنة ٢٥ مدرس ابتدائي
- ٥ - احمد محمد حسنين سنة ٢٨ مراقب حسابات شركة المعادن
- ٦ - محمد فرغلي النخيلي سنة ٢٩ تاجر معادن
- ٧ - احمد قدرى الحازتى سنة ٢١ مهندس بالطيران المدني
- محمد حسنى عبد الباقي سنة ٣٣ عضو مجلس مديرية الجيزة
- ٩ - احمد متولى حجازى سنة ٢٩ تاجر راديو
- ١٠- السيد فايز عبد المطلب سنة ٢٩ مهندس ومقاول مباني

١١- احمد عادل كمال	٢٣ سنة	موظف بالبنك الاهلى
١٢- طاهر عماد الدين	٢٥ سنة	مهندس
١٣- ابراهيم محمود على	٣٠ سنة	ترزى
١٤- دكتور احمد الملط	٣٢ سنة	طبيب بوزارة الصحة
١٥- جمال الدين فوزى	٣٩ سنة	موظف بالبريد
١٦- محمود حلمى فرغلى	٢٧ سنة	موظف بالداخلية
١٧- محمد احمد على	٢٥ سنة	موظف بالاشغال
١٨- عبد الرحمن عثمان	٢٢ سنة	طالب حقوق
١٩- السيد اسماعيل شلبى	٤٤ سنة	تاجر
٢٠- اسعد السيد احمد	٢٦ سنة	ميكانيكى
٢١- محمد بكر سليمان	٢٦ سنة	نساج
٢٢- صلاح الدين عبد المتعال	١٨ سنة	طالب ثانوى
٢٣- جمال الدين الشامى	٢٦ سنة	مهندس رى
٢٤- جلال الدين ياسين	٢٤ سنة	موظف وطالب بالتجارة
٢٥- محمد الطاهر حجازى	٢٤ سنة	طالب بالزراعة
٢٦- عبد العزيز البقلى	٢٤ سنة	ترزى
٢٧- كمال القزاز	٢٧ سنة	نجار
٢٨- محمد سعد الدين السناني	٢٧ سنة	مقاول نقل
٢٩- على حسنين الحريرى	٢٧ سنة	قوموسيونجى
٣٠- محمد محمد فرغلى	٤٢ سنة	واعظ بالاسماعيلية
٣١- محمد ابراهيم سويلم	٢٢ سنة	فلاح بالاسماعيلية
٣٢- سليمان مصطفى عيسى	٢٢ سنة	فلاح بالاسماعيلية

وجاء فى ملاحظات النيابة على هذه القضية وجود رسم خارة لليهود ورسم للسفارتين الامريكية والبريطانية وتقرير عن حسن رفعت باشا (يبدو أنه كان الاستاذ الاعظم للماسونية فى ذلك الوقت) ومحل اقامته والاشخاص الذين يترددون عليه والامكنة التى يتردد هو عليها ، وتقدير عن نصف مصنع النيل للمنسوجات بشبرا ٠٠ وقد قرر المتهم محمد بكر سليمان أنه حرر هذه الاوراق بخطه ، وزعم أنه حررها من نسج الخيال لتحسين خطه .

والمحوظة الاخيرة هي انه ضبط في دار المركز العام للاخوان المسلمين مشروع اعترف المتهم سليمان مصطفى عيسى بأنه حرره ، وجاء فيه أنه يقترح أن يكون هذا النظام جمهوريا اشتراكيا ، وأن ينتخب رئيس الجمهورية لدى الحياة .

وقد احيلت القضية الى دائرة جنائية عسكرية عليا . ولما رفعت الاحكام العرفية احيلت الى دائرة جنائيات عادية برياسة أحمد كامل بك وعضوية محمد عبد النظيف بك وزكي شرف بك . ومثل النيابة محمد عبد السلام بك . . . وعقدت هذه المحكمة لنظر هذه القضية جلسات متوالية . وكانت اول جلسة لنظرها في هذه الدائرة يوم ٢-١٢-١٩٥٠ .

وقد استدعت المحكمة بناء على طلب الدفاع في هذه القضية ابراهيم عبد انهادى واستجوبته باعتباره شاهدا ، كما استدعت كثيرين من كبار رجال الدولة وقواد الجيش ومن كبار رجالات العرب .

وفي أثناء نظر هذه القضية قام الاستاذ شمس الدين الشناوى - أحد أفراد هيئة الدفاع - بتقديم الوثيقة التى أشرنا اليها في فصل سابق ، فكانت مفاجأة اهتزت لها الاوساط البريطانية والدوائر السياسية وفى أثناء نظر هذه القضية تكشفت أسرار كثيرة داخلية وخارجية .

وكانت آخر جلسة لهذه القضية في ٢٦-٢-١٩٥١ . وتقرر النطق بالحكم يوم ١٧ مارس ١٩٥١ ، وبذلك يكون نظر هذه القضية قد استغرق أمام هذه الدائرة نحو ثلاثة أشهر ونصف شهر . وكان للحكم الذى أصدرته هذه المحكمة في هذه القضية ، وإحيينات هذا الحكم ، دوى كبير في الاوساط القانونية والاوساط السياسية في مصر وفى خارج مصر .

٤ - قضية محاولة الاعتداء على حامد جوده :

رؤى في أول الامر نظر هذه القضية وحدها . ونظرت عدة جلسات منها فعلا أمام محكمة عسكرية عليا - ولم يكن المقصود من هذا الحادث اذى وقع في ٦ مايو ١٩٤٩ هو حامد جوده ، بل كان المقصود هو ابراهيم عبد انهادى ، ولكن هذا تخلف عن موعده ، ومر حامد جوده فالحقيقت على سيارته قنبلة وهو يمر عند جامع عمرو ، ولكنها لم تصبه .

وقدمت النيابة عشرة متهمين في هذه القضية الى القضاء الاسكرى وهم:

١ - مصطفى كمال عبد الجيد (ميكانيكى)

- ٢ - محمد نجيب جويفل (طالب)
- ٣ - عبد الفتاح ثروت (راصد جوى)
- ٤ - فتحى محمد علام (طالب)
- ٥ - سمير جلال شهنندر
- ٦ - مصطفى محمد الجابرى
- ٧ - عبد الكريم محمد السيد (عامل)
- ٨ - محمد شحاته عبد الجواد (طباع)
- ٩ - سعيد جلال شهنندر (طالب)
- ١٠ - على صديق السيد فراج (طالب)

والمحكمة العسكرية العليا التى نظرت هذه القضية فى اول الامر كانت برياسة رياض رزق الله بك وعضوية عبده المليجى بك وقطب عمر بك واثنتين من العسكريين ٠٠ ثم احيلت الى دائرة عسكريه اخرى برياسة مرسى فرحات بك وعضوية محمود صبرى بك وعبد الرحمن جنيئة بك واثنتين من العسكريين ٠

وقد ظلت هذه القضية تنظر أمام هذه الهيئة حتى جاءت وزارة الوفد وأسندت وزارة التموين انى مرسى فرحات بك فاجلت جلساتها ٠ ولا رفعت الاحكام العرفية احيلت الى دائرة جنائية غير عسكريه برياسة حسين طنطاوى بك ٠٠ وفى الجلسة الرابعة لهذه الدائرة وافقت المحكمة على ضم هذه القضية انى قضية الاوكار واعتبارهما قضية واحدة ٠٠ وسمعت هذه الدائرة الاستاذ حامد جوده باعتباره شاهدا ٠

وفى أثناء نظر هذه القضية أمام المحكمة العسكرية الثانية وافقت المحكمة على طلب للدفاع بضم ملف قضية اغتيال الاستاذ الامام حسن البنا، فكان هذا هو اول تحريك لهذه القضية ٠

٥ - قضية الاوكار :

هى قضية حشروا فيها كل من أرادوا حشره من الاخوان - الخطرين فى نظرهم - وأسندوا اليهم تهما باتخاذهم اوكارا جمعوا فيها أسلحة ونخائر ومحطات اذاعة لقلب نظام الحكم ٠٠ وقد ضمت هذه القضية اكبر عدد من التهمين حيث بلغ عددهم خمسين متهما. وهم العشرة المتهمون فى قضية حامد جوده ، مضافا اليهم من يأتى :

- ١١ - حلمى محمد الفيومى
- ١٢ - حسين حامد عوده
- ١٣ - محمد محمود دعبس
- ١٤ - فؤاد أحمد الصادق
- ١٥ - عبد الفتاح اسماعيل علم الدين
- ١٦ - دسوقي ابراهيم ضيف
- ١٧ - محمد عبد الحكيم عبد العليم
- ١٨ - صلاح الدين أحمد على
- ١٩ - ابراهيم عامر محمد
- ٢٠ - محمد حلمى الكاشف
- ٢١ - اسماعيل على السيد
- ٢٢ - جمال الدين عطية محمد
- ٢٣ - وائل محمد زكى شاهين
- ٢٤ - مختار حسين ابراهيم
- ٢٥ - محمود على حطية
- ٢٦ - حسن أحمد يوسف
- ٢٧ - يوسف عبد المعطى شرك
- ٢٨ - ابراهيم أحمد محرم
- ٢٩ - محمد طه عبد النبى
- ٣٠ - عبد الفتاح محمد سوقي
- ٣١ - أحمد على يوسف
- ٣٢ - كمال عبد المجيد مرسى
- ٣٣ - حسن يوسف طويلة
- ٣٤ - مصطفى أمين البطاوى
- ٣٥ - محمد جلال ابراهيم بسعه
- ٣٦ - صالح محمد محمد انجايى
- ٣٧ - يحيى أمين البطاوى
- ٣٨ - مصطفى محمد محمود البساطى

- ٣٩ - سعد محمد جبر التميمي
 ٤٠ - محمد عبد العزيز على خالد
 ٤١ - محمد عبد المتعال محمد مدني
 ٤٢ - محمد نايل محمود ابراهيم
 ٤٣ - محمود يونس الشربيني
 ٤٤ - عز الدين ابراهيم
 ٤٥ - عصام الدين حامد الشربيني
 ٤٦ - يوسف على يوسف
 ٤٧ - أحمد محمد البساطي
 ٤٨ - أحمد نجيب الفوال
 ٤٩ - بيسومي مرسى جعفر
 ٥٠ - على أحمد رياض

وجاء في تقرير النيابة أن هؤلاء المتهمين قد قبض عليهم في اوكار : وكر
 روض الفرج وكر شبرا وكر شارع السندوبى وكر آخر بروض الفرج
 وكر الجيزة • وعثروا في هذه الاوكار على محطة اذاعة وأسلحة وذخيرة •
 واتهمتهم النيابة باتفاق جنائى لمحاولة قتل ابراهيم عبد الهادى •

ومن هؤلاء الخمسين متهما أربعة افلتوا من أيدي البوليس السياسى
 ونمكنوا من الهرب الى ليبيا وهم : محمود يونس الشربيني وعز الدين
 ابراهيم ويوسف على وسف ومحمد جلال سعه •••

وقد قبض البوليس بعد نحو شهر في الاسكندرية على أحدهم وهو
 يوسف على يوسف - أما الثلاثة الآخرون فقد تمكنوا من الفرار الى ليبيا
 قبل انقبض عليهم • وقد نشرت الصحف صورهم بأمر الطغمة الحاكمة ،
 وطالبت الطغمة حكومة ليبيا بتسليمهم مهددة بقطع العلاقات اذا لم يسلموا،
 ولكن عاهل ليبيا الملك ادريس السنوسى رفض تسليمهم ، فكان موقفا
 اسلاميا بطوليا لهذا الرجل العظيم •

وهذه القضية - قضية الاوكار - هى التى اغتال البوليس السياسى
 في أثناء تتبع الاخوان فيها الاخ الشهيد أحمد شرف الدين بأحد منازل حى
 روض الفرج •

ولما ضمت هذه القضية وقضية محاولة اغتيال حامد جودة في قضية

واحدة امام الدائرة التي يرأسها حسين طنطاوى بك ، وافقت هذه الدائرة - بناء على الحاج الدفاع - على تحقيق التعذيب ٠٠٠ وجاء ذكر « المسكرى الاسود » فى سياق ما ذكره المتهمون من أنوان التعذيب اننى كانوا يسامونها مما نبسط الحديث عنه فى صفحات قادمة ان شاء الله ٠٠٠ وقد افترضت أساليب التعذيب فى أثناء نظر هذه القضية بحيث صارت جريمة ثابتة بالأدلة المادية .

وهنا وفى جلسة يوم ٦-٩-١٩٥١ طالب الدفاع بالإجماع المحكمة بأن تفصل أولا فى بطلان الاجراءات نظرا لما سمعته من شهادات قاطعة بحدوث التعذيب واشتراك النيابة فى تزوير القضية . وأصر الدفاع بإجماع أعضائه على هذا الطلب ٠٠ ثم عقدت الجلسة وقام رئيس المحكمة وهو فى حالة نفسية تسترعى النظر وقرر تأجيل القضية لنور مقبل ، بعد ان اتهم الدفاع بوضع العراقيل أمام المحكمة .

وفى ٢٤ أكتوبر ١٩٥١ عقدت المحكمة جلسة قررت فيها الافراج عن ٢٥ منهما وهم : سمير جلال شهنندر ومصطفى الجابرى وسعيد شاهيندر وعلى صديق والمتهمين ارقام ١٢ و١٣ و١٩ و٢١ و٢٢ و٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦ و٢٧ و٢٩ و٣٠ و٣١ و٣٢ و٣٦ و٣٩ و٤٠ و٤١ و٤٢ و٤٥ و٤٧ - وكان قد أفرج من قبل عن ستة من المتهمين . واستمر حبس ١٩ متهما هم الباقون . وأجلت القضية الى دور مقبل ٠٠ وظلت القضية معلقة حتى اول أكتوبر ١٩٥٤ حيث تقرر اعادة عرضها من جديد على محكمة الجنائيات .

وكان هذا هو السبب فى ان هذه القضية لم تتم جلساتها ولم يصدر فيها حكم حتى قامت الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

هيئات الدفاع

فى قضية افسياره الجيب : المحامون الاساتذة : (مرتبون حسب ترتيب المتهمين) :

محمود كامل احمد رشدى بك عبده ابو شقة حسن الجداوى
على منصور ابراهيم رياض فتحى رضوان الدكتور عزيز فهمى
زكى عريبي يوسف حلمى فهمى ابو غدير عبد المجيد نافع
فهمى القلعاوى مختار عبد العليم على حسين بك على بدوى بك
سمس الدين الشناوى الدكتور مصطفى القللى بك صلاح توفيق
جمال عبد الفتاح طاهر الخشاب محمد السمارى اسماعيل وهبى
حسن العشماوى حنفى عبود هنرى فارس

في قضية الاوكار وجودة : الحامون الاساتذة : (بحسب ترتيب
المتهمين أيضا)

عبد المجيد نافع عبد الفتاح حسن أحمد حسين مختار عبد العليم
عمر التلمساني طاهر الخشاب عبد الرحمن الوكيل الدكتور عزيز فهمي
جلال شاهين فتحي رضوان سامي عازر جبران زكي البهنيهي بك
شمس الدين الشناوي أحمد السادة سمير حيدر

أما القضيتان الاخرتان فكانت هيئة الدفاع فيهما بعض أفراد هاتين
الهيئتين مضافا اليهم في قضية الفقراشي محامون آخرون منهم الاساتذة
محمود سليمان غنام وحنا أنطون وعطية البقلي .

علما بأن هيئات الدفاع في هذه القضايا قد ضمت أعظم الحامين
وأكبر رجال القانون في مصر في تلك الايام .

الفصل الثالث

معالم في هذه القضايا

ان القضايا التي استغرق نظرها امام القضاء زهاء أربعة أعوام ، ومئات محاضرها عشرات الآلاف من الصفحات ، وتشعبت في كل اتجاه ٠٠ ليس من اليسير الاحاطة بكل ما دار فيها ، ولا الاام بكل ما تشعب منها ، ولكننا نحاول في هذا الفصل ان شاء الله التقاط عدة صور لابرز المواقف في هذه القضايا ، بحيث يستطيع القارئ اذا هو أنعم النظر في هذه الصور ان تكون له رؤية واضحة لهذه القضايا .

ولا يخفى على القارئ ان هذه المحاكمات قد بدأت والمستنون في الدولة ينظرون انى الافكار التي حاكموا عليها هذه المجموعة من الشباب عى . انها هى الكفر بعينه ، وعى الخبل والعتة والجنون . وسعاشت عى هذه النظرة في هذه المحاكمات خمس حكومات مصرية ٠٠ وشايح اشعب هؤلاء المسئولين في نظرتهم ردحا من الزمن ، ولكن المحاكمات نفسها - بما دار فيها وبما تكشف في أثنائها - أخذت كل يوم تغير من نظرة الشعب ٠٠ فما كادت تنتهى المحاكمات حتى كان الشعب قد اقتنع تمام الاقتناع بأنه كان مضللا ٠٠ وحينئذ قام مع الجيش يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٢ لتحقيق الافكار التي حوكم من اجلها هؤلاء المتهمون ، والتي طأنا تهكم عليها حكام البلاد ٠٠ وهكذا كانت هذه القضايا وما تكشف عنها من افكار وبطولات وفداية ووعى جديد نتيجة تكوين وتربية استمرت عشرين عاما ٠٠ كانت تمهيدا لا بد منه لاعداد الشعب للقيام بالثورة وتغيير الاوضاع .

اولا - في قضية النقراشى :

● رأى رئيس المحكمة في القضية :

في جلسة ٢٩-٨-١٩٤٩ جاء على لسان بعض المحامين ان هذه القضية قضية سياسية ، فاعترض رئيس المحكمة على ذلك وقال : ان هذه القضية ليست سياسية . فتصدى له الاستاذ أحمد حسين وقال : ان هذه القضية سياسية مائة في المائة ، وانا اطلب سماع اقوال ابراهيم عبد الهادى وحامد جوده وعبد الرحمن عزام لكى أبرهن على أننى لست متسفا ، وأقرر

اننى اريد أن أصل الى أكثر من أن شخصا قتل شخصا . وانى احمل
ابراهيم عبد الهادى والآخرين نتيجة هذه الجريمة .

● تبجح عمار وانحياز رئيس المحكمة له :

في جلسة ٤-٩-١٩٤٩ استمعت المحكمة لشهود النفى ومنهم عبد
الرحمن عمار . ومن أسئلة الدفاع له :

الدفاع - هل زارك الاستاذ البنا قبيل صدور أمر الحل بساعات ،
وتحدث معك في شأن اجتماع سفراء انجلترا وأمريكا وفرنسا في ٦ ديسمبر
الماضى ، وتقديمهم مذكرة بجل الاخوان ، وكان اجتماعهم في فايد ؟

الرئيس - هل سفراء يجتمعون في وسط الصحراء ؟ بلاش يا عمار بك
الاجابة .

عمار - هذه المسألة في مذكرة سرية طبعها الاخوان بعد الحل لكى
يظهروا انقراشى بأنه خاضع للتأثير الاجنبى ، وهى واقعة لا ظل لها من
الحقيقة .

الدفاع - لقد أوردت في مذكرتك كثيرا من الحوادث منسوبة للاخوان ،
مع حفظ التحقيق فيها أو صدور البراءة . فكيف تفسر ذلك ؟

عمار - لم أكن مقيدا بالتصرفات القضائية التى تصدر فى القضايا
سواء بالبراءة أو الادانة ، وانما كنت اذكر الوقائع التى تنطق بها
التحقيقات ، لان لها دلالتها ومراميها ، فانا أتصرف فى هذا تصرف رجل
الامن .

ولما واجهه الدفاع بأنه كان يحضر فى أثناء اجراء تحقيقات النيابة
قال انه حضر بعض التحقيقات لينفذ ما تشير به النيابة العمومية من
اجراءات . ونفى أنه شهد أو سمع أو اشترك فى حوارات تعذيب للمتهمين .

ولما واجهه الدفاع بأنه اورد فى مذكرته حادث مقتل طالب شابين الكوم
رغم أن هذا الطالب هو القتل وهو من الاخوان المسلمين ، غرد على ذلك
بأنه اورد هذا الحادث فى مذكرته لان الاشتباك الذى نجم عنه الحادث كان
الاخوان طرفا فيه .

وناقشه الاستاذ عبد الكريم منصور المحامى فيما أورده فى مذكرته
من حادث اشتباك البوليس مع الجواله وساله : ألم تسمح ادارة الامن العام
للاخوان باقامة حفلة فى نفس المكان الذى حدث فيه صدام الجواله ترضية

لهم ؟ فقال عمار : لم يحصل . . ولو عرض على لرغضته . فقال الاستاذ عبد الكريم منصور : ولكن الحفل اقيم فعلا وانا حضرته .

وتعليقا على شهادة عمار جاء في مرافعة الاستاذ على منصور في جلسة ١٤-٩-١٩٤٩ ما يلي :

« وما وقعت الجريمة حتى احتدمت انفيران التي كانت تاكل صدور معظم رجال الادارة بالنسبة لهذه الجماعة . وظهر منها امام المحكمة الروح التي ما استطاع كبير رجال الامن في ذلك العهد وهو عبد الرحمن عمار ان يخفيها ، فقد اندفع ملكيا أكثر من الملك . ممثلا حقدا هو بعض ما كان في صدور أعوانه وأتباعه . ثم قال :

« ان النيابة صورت الاخوان في الصورة التي ارتأتها في نظرها ، وهي ادخال كل من مت لهذه الجماعة بصلة الى داخل نطاق هذه الصورة . . وفي امكان الدفاع ان يقارع قول النيابة في تكييف الاطار الخاص بالاخوان بأن يستشهد بأقوال ذات كبراء البلد ووزرائها يوما في الجماعة المكونة لهذا الاطار . . ولكنه (الدفاع) لا يقر مبدأ الجمع بين هذه القضية كقضية قتل مستقلة وبين غيرها حتى لا ينحدر الى مبدأ أخذ هؤلاء المتهمين كجماعة .

وهاجم على منصور قرار الحل فقال : نبتت الجريمة في جو تمهيد الطعن في جماعة الاخوان ، وجنى على رئيس الوزراء في خلال ذلك سياسته ومريعوه . وأعقب الحادث تشريد وتشديد ، ثم تلت ذلك سلسلة من الوقائع والاجراءات التي تدور بين الترغيب والترهيب .

فلا يضار المتهمون بما يعزى اليهم من انتمائهم لجماعة الاخوان . على تثريب على هذه الحفنة من الشباب في انصوائها تحت اواء جمعية أزرتها يوما الطبقات المختلفة في البلد ، واحتضنها لفيف من الكبراء ذوى الراى فينا .

حتى ان مذكرة الحل التي بنى عليها القرار الذى انهى شكل الجماعة استندت الى أمور كانت مبررة في نظر ولاية الامور يوما ما ، وانتهت هذه الامور رسميا وقانونا بما يؤخذ للجماعة لا عليها ، وهو أكثر حجية مما لهذه المذكرة من حجية .

● اين قتلة حسن البنا ؟

طالب الاستاذ احمد حسين بالتحقيق وكشف قتلة حسن البنا . والذين حاولوا قتل النحاس . وقال انفى اتهم السلطات بالتمصّب الحزبى مقارنا

بين تتبعها قتلة النفراسى واغتيالها ذلك فى الفحاس وحسن البنا • وطالب
باحضار عبد الهادى ومصطفى مرعى للشهادة لسؤالهما عن الظروف التى
صدر فيها بيان الشيخ حسن البنا فى وقت كان كل من ينطق بكلمة يشتم
منها رائحة النشاط للاخوان يرتكب جريمة • وقد كان البيان ثمرة مفاوضات
طويلة متصلة بين الشيخ البنا وبين معالى مرعى بك وزير الدولة ، وكان
أساسها أن يذيع الشيخ ابننا هذا النداء تمهيدا للنظر فى إعادة الاخوان بعد
ادخال اصلاحات على نظمهم •

ولقد دهش الناس وقتئذ لصدور هذا البيان الذى يدل على قرب عودة
الاياء الى مجاريها بين البنا والحكومة •• فلما سألت واحدا من كبار
السعديين العاملين عن تفسير هذا البيان وهل هو مقدمة لعودة الاخوان ؟
ادا به يقهقه ساخرا ويقول : لقد غررنا بحسن البنا لنحصل منه على هذا
البيان للتأثير به على عبد المجيد من ناحية وليكون مقدمة لما سيحل بعد
ذلك بحسن البنا •

● شخصية حسن البنا :

وكان مسلك الختام فى هذه القضية كلمة ختم بها الدكتور عزيز فهمى
مرافعته حيث قال :

« ولقد افترى على الشيخ حسن البنا كثيرون فى حياته ، وظلمه كثيرون
بعد قتله • ولكنه كان مؤمنا برسائلته الاسلاميه ، ولم يكن له مطمع سوى
تحقيقها • لذلك لم يحقد رحمه الله يوما على خصومه ، بل كان يتمثل بقول
الرسول عليه الصلاة والسلام « اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون » •

واغتاله المجرمون • وليس فى مصر من يجهلهم بعد ابام فى أكبر شارع
من شوارع العاصمة ، •• وخطف مشيعوه وأرسلوا الى الطور •• وقيّد
الحادث ضد مجهول •• وأصبح الصباح وليس فى بيته كسرة من الخبز يتزود
بها أهله - ذلك هو الرجل وهذه رسالته • ولئن قتل فى سبيلها فان رسالته
لم تمت بموته ، فهي خالدة لانها رسالة الاسلام • وانها لابقى على الزمن الباقي
من الزمن • •

ثانيا - فى قضية السيارة الجيب :

طلب الدفاع من المحكمة ان تأمر بتوزيع ملف القضية على هيئة الدفاع
مجانا نظرا لفداحة ثمنه ، وأكثر المتهمين لا يتحملون هذا الثمن • واجابت
المحكمة الطلب •

● علاقة هذه القضية بحرب فلسطين :

قال الاستاذ طاهر الخشاب المحامي : حيث ان السيارة ضبطت في ١٥ نوفمبر ١٩٤٨ أى بعد دخول حرب فلسطين ، فانفسا نطلب شهودا كثيرين ليشهدوا بأن هذه الاسلحة كانت تجمع لحساب فلسطين . ومن طلبهم للشهادة اللواتى احمد المواوى وفؤاد صادق وسيد طه ، والصاغات كمال الدين حسين وصلاح سالم وحسن فهمى واليوزباشيات معروفه الحضرى وخالد فوزى وصلاح متولى ، كما طلب مفتى فلسطين ومأمور مركز الحمام .

وطلب ابراهيم عبد الهادى ليشهد على أن البوليس السياسى اخذ المتهم عبد الرحمن عثمان المعترف لقابله عبد الهادى فى صالونه الخاص بالقطار بمحطة القاهرة ، فقابله وركب معه حتى الاسكندرية .

(أ) من شهادة الشهود

١ - مصر جمهورية اسلامية :

فى الجلسة الثانية فى ٤-١٢-١٩٥٠ سمعت المحكمة أقوال الصاغ (١) محمد الجزار والساغ توفيق السعيد اللذين قالا انهما وجدا فى أوراق المركز العام مذكرة على هيئة دستور مادته الاولى أن مصر جمهورية اسلامية .

٢ - شهادة ابراهيم عبد الهادى :

وفى الجلسة الرابعة فى ١٩-١٢-١٩٥٠ سمعت شهادة ابراهيم عبد الهادى - ولما كانت هذه الشهادة من أهم ما أدى من شهادات فى هذه القضية بالرغم من كل ما فيها من اعتصام بالانكار وحذف فى المراوغة فاننا نثبتها بنصها لبالغ أهميتها :

المحكمة - عبد الرحمن عثمان أحد المتهمين فى القضية يقول انه اخذ من السجن الى محطة القاهرة ، وانه سافر معك الى الاسكندرية ، واختليت به فى صالونك الخاص ، فإيه الحكاية ؟

الشاهد - قبل سفرى الى الاسكندرية بيوم ، وكان ذلك فى شهر يوليه ١٩٤٩ كنت أسأل عن مجريات التحقيق فى القضية - فقبل لى أن أحد المتهمين له اعتراف جديد . فطلبت اللواء احمد طلعت بك وسألته عن هذا الاعتراف ، فقال أن هذا المتهم يعترف على ابن خالته وهو نجل محمود يوسف باشا وكيل الخاصة الملكية وكان وقتئذ طالبا فى الكلية الحربية او البوليس ، فأحببت أن أسمع هذا الاعتراف من المتهم نفسه ، فطلبت الى طلعت بك أن يحضره لى لأسمع أقواله .

(١) الرتب العسكرية عميد وعقيد ومقدم ورائد ونقيب كانت مسمياتها اميرالاي وقائمقام وبكباشى وساغ ويوزباشى .

وفي اليوم التالي جد أمر استوجب سفرى للاسكندرية ، فنزلت من مكتبى وقصدت الى المحطة لاستقل قطار الظهر ، فلقى بى طلعت بك وذكرنى برغبتي فى مقابلة هذا المتهم . وقال انه جاء به الى المحطة فطلبت اليه أن يحضره الى فى القطار . وفعل ركب المتهم القطار واستمعت لاعترافه . ولا أدري ماذا حدث بعد ذلك ، هل استمر فى القطار مع الضابط المرافق له الى الاسكندرية أم غادره فى الطريق ؟

الحكمة - لماذا طلبتم سماع أقوال هذا المتهم ؟

الشاهد - لكى أوجه التعليمات اللازمة . فمثلا طلب الى اعتقال الشخص الذى ذكره هذا المتهم فلم أوافق على ذلك ، وأحببت أن أعرف الحكاية اية .

محمود كامل المحامى - من الذى يعرض على دولة الشاهد نتائج التحقيق وتطوراتها ؟

الشاهد - (يجيب فى حدة) لم يعرض على أحد نتائج تحقيق ولا خلافه . ولا يعرض على شىء الا حين أسأل أنا عن شىء . فلم يعرض الحكمدار على حلقات التحقيق . وكل ما فى الامر لما يكون فيه حاجة مهمة أسأل أنا عنها أو يطلعونى عليها .

ونفى دولته اختلاءه بالمتهم فى القطار ، وقال ان احمد طلعت بك كان حاضرا الاجتماع . وكذلك نفى أنه تحدث مع المتهم فى أى شىء آخر غير موضوع اعترافه . وقال انه لا يعرف الاستاذ عبد الحكيم عابدين .

وأجاب دولته على سؤال خاص بتمويل جماعة الإخوان بأنه لا يذكر أنه سأل المتهم عبد الرحمن عثمان عن مصدر هذا التمويل ، وأنه لم يتحدث اليه بشأن حل الجماعة ، ولم يعرض عليه بعض المرطبات ، وان كان قد قدم طعاما الى متهم آخر فى قضية أخرى .

وسئل الشاهد هل علم أن هناك تغريبا وقع على المتهمين فأجاب بالنفى وقال ان هذه مجرد اشاعات . وهذا ذكر الاستاذ محمود كامل أن المتهم عبيد الرحمن عثمان قال انه فى يوم ١٠ يوليو ١٩٤٩ أثناء تولي دولتك الحكم جىء به الى المحافظة وعذبه الضابط محمود طلعت والضابط محمد الجزار بوضع ساقيه فى فلكة وضربه بالسياط . وأن الطبيب الشرعى اثبتت الاصابات الاصابات التى فى جسمه . فهل سمعت دولتك بذلك ؟

فاجاب دولته - لم اسمع .

وذكر الدفاع واقعة تعذيب أخرى حدثت لهذا المتهم ، فنفى دولته حدوث
أى تعذيب بعلمه ، وأنه لم يكن يحضر الى المحافظة فى أثناء التحقيق .

وسئل دولته هل رأى مصطفى كمال عبد المجيد ؟

فقال : انه فى ليلة وقوع حادث محاولة الاعتداء على الاستاذ حامد جودة
قصد الى قسم مصر القديمة ، فوجد هناك مصطفى كمال عبد المجيد . وبمجرد
أن رأى دولته صاح مستغيثا به . فسأله دولته لماذا فعل ذلك فأجابه انه
فعل ذلك تحت تأثير العقيدة وأنه سيعترف بكل شئ . ثم صعد الى الطابق
العلوى وظل فى القسم حتى حضر المحققون وباشروا التحقيق .

وأقسم إبراهيم عبد الهادى بشرفه أن مصطفى كمال عبد المجيد لم
يمضب أمامه . وقال دولته ردا على سؤال انه ذهب الى المحافظة بضع مرات
أثناء تحقيق قضية حامد جودة . والليلة الوحيدة التى سهر فيها بالمحافظة
الى الخامسة صباحا هى ليلة اعتقال محمد مالك .

ومنا أراد عبد الرحمن عثمان أن يوجه أسئلة الى دولة الشاهد ،
فاعترضت المحكمة قائلة ان لكل متهم محاميا يسأل عنه ما يشاء - فتدخل
سعادة محمد هاشم باشا المحامى ورجا المحكمة أن تفسح صدرها للمتهمين
فهم أولى بالسؤال من المحامين - وبعد مناقشة سمحت المحكمة للمتهم بالقاء
أسئلته عليها أولا . وتبين من القائها أن دولة الشاهد سبق أن سئل عنها
وأجاب عليها وأكثر هذه الأسئلة كانت خاصة بتعذيب هذا المتهم .

ثم سأله المتهم : ألم تقل لى دولتك ان الشيخ حسن البنا قتل
واسترحنا منه وأنت تدرس القانون ومن مصلحتك أن تنجو بنفسك وهذه
قضية عسكرية ؟

الشاهد - ماكانش فيه موجب لكل هذا .

وسال الاستاذ زكى عريبي دولة الشاهد : تؤكد لنا دولتك ان النيابة
لم تكن تتلقى وحيا ؟

الشاهد - نعم . . ثم قال انه يأمر باعتقال شخص أو الامراج عن
شخص بحكم كونه حاكما عسكريا لا يعرف ان كان القبض نتيجة تحريرات
البوليس أو تحقيق النيابة ، انما تعرض عليه أسماء مطلوب اعتقال
اصحابها ، كان لا بد أن يسأل عن سبب اعتقاله ، فالمسألة ليست مسألة
توجيه النيابة ولكنها مسألة حفظ امن البلاد .

وسأل الاستاذ مختار عبد العليم دولة الشاهد عن سبب استغاثة مصطفى كمال عبد المجيد حين رآه في القسم .

الشاهد - كان يستغيث أنا عطشان . عايز أشرب (ضحك) .

وأجاب على سؤال بأنه لا يعرف جمال فوزى - وهو أحد المتهمين في القضية - ولا يذكر هذا الاسم . ولا يعرف ان كان أحمد طلعت بك استأذن النيابة في خروج عبد الرحمن عثمان من السجن أم لا .

ونفى دولته أنه تحدث الى الشيخ حسن البنا في شأن جمع الاسلحة في اثناء توليه رئاسة الديوان الملكي . وقال ان كل ما حدث أن الشيخ حسين البنا كان يريد السفر الى اليمن اثناء الثورة اليمنية فنصحه بالعدول عن ذلك

وهنا انتهت شهادة ابراهيم عبد الهادي . وحدث اثناء خروجه من القاعة أن أخذ المتهمون يهتفون : « رحم الله شهيدا أعزل » و « يحيا الشعب وبسقط الظلم » . وقد غضبت المحكمة لهذا الهتاف وأثبتت المتهمين عليه ، واعتذر الدكتور هاشم باشا بالنيابة عن المتهمين فصفت المحكمة :

● طلب ممثل الاتهام للشهادة :

وطالب الاستاذ زكى عريبي المحامى الاستشهاد بالاستاذ محمد عبد السلام بك ممثل النيابة في القضية عن واقعة خروج عبد الرحمن عثمان من السجن لمقابلة عبد الهادي ، اذ أنه ثابت في دفتر احوال السجن أنه خرج للنيابة للتحقيق . وعبثا حاول الاستاذ محمد عبد السلام ثنيه عن طلبه قائلا انا سيعرض لهذه النقطة في مرافعته - كما طلب أعضاء من الدفاع آخرون سماع ممثل النيابة كشاهد ، والسؤال الذى سيوجه اليه هو :

« بعد ان قابل المتهم عبد الهادي قال له الاستاذ محمد عبد السلام في اليوم التالى د هل قابلت الباشا ووعده خيرا ؟ » كما أنه قال له « ان الباشا قابل مصطفى كمال عبد المجيد ووعده خيرا وان شاء الله يعيدك أنت الآخر خيرا » . فطلبت المحكمة أن يجتمع الدفاع لاعداد الاسئلة المراد توجيهها الى النيابة وتعرض على المحكمة للنظر فيها .

..... وفي الجلسة التالية قررت المحكمة عدم الموافقة على ادخال رئيس النيابة شاهدا في القضية .

٣ - شهادة الصاغ محمود لبيب :

قرر ان التطوع لفلسطين يرجع الى سنة ١٩٤٧ عندما عينته الهيئة

العربية العليا قائدا عاما لمنظمة الشباب الفلسطيني . و اراد الانجليز اخراجه من فلسطين فرفض لانه عربى فى ارض عربية . وفى عودته اتصل بالفتى وبصالح حرب . . وانتهى تشاورهم الى أن العرب لا ينقصهم العدد وانما ينقصهم العدة . . فأخذت الهيئات العربية ومنها الاخوان فى الحصول على نصاريح بجمع السلاح .

وقد بدأ المتطوعون اعمالهم فى فلسطين تحت قيادته بمهاجمة قوافل اليهود ومستعمرانهم ونسف أنابيب المياه ، وهاجموا دير البلح لعجم قوة اليهود . .

الاستاذ زكى عريبي (محام مصرى يهودى) - بلاش تسمية اليهود قتل الصهيونيين .

الشاهد - صحيح الصهيونيين استغفر الله .

وقال ان المتطوعين وزعوا انفسهم على المستعمرات الصهيونية ، فكان دخول الجيش المصرى من رفح الى غزة بدون اطلاق رصاصة واحدة . كما تمكن الفدائيون بقيادة الشهيد أحمد عبد العزيز من غزو هذه المستعمرات ، لدرجة أنهم دخلوا حدود القدس الجديدة بثلاثة كيلو مترات . . كل ذلك فى ١٣ يوما .

وروى كيف تمكن المتطوعون ببسالتهم قبل دخول الجيوش النظامية بثلاثة أيام من تدمير ثمانى مصفحات يهودية ، وغنم أربع مصفحات ، كما غنموا كميات كبيرة من الاسلحة والخيرة والمؤن .

● كيف سقطت رامات راحيل ؟

وقال انه فى خلال معركة القدس روى وجوب الاستيلاء على مستعمرة رامات راحيل التى كانت تمون القدس باللبن والدواجن . فتسلل الاخوان المتطوعون اليها واحتلوها . ولكنهم فوجئوا بجيش الملك عبد الله (ملك الاردن) يحضر اليها ومعه فرقة اسمها (النهاده) جعلوا ينهاون ويتشاجرون مع بعضهم ويثيرون الفوضى ، فانسحب الاخوان من المستعمرة وتمكن الاغداء من استردادها من جيش الملك عبد الله .

وعاد الاخوان واحتلوها للمرة الثانية ، وفوجئوا بجيش الملك عبد الله والنهاده الذين كانوا يقتتلون على بقر المستعمرة ، وهو من النوع الهولاندى الكبير . فترك الاخوان المزرعة مخلفين النهاده يقتل بعضهم بعضا للفوز ببقرة هولندية . وعاد الاخوان للمرة الثالثة واحتلوا المستعمرة ، ولكنهم

لم يفاجأوا هذه المرة بظهور جنود الملك عبد الله لانهم يمكن « اختشوا على
دمهم » .

● محاولة تفك حصار الفالوجة :

وقال انه حدث في نوفمبر ١٩٤٨ أن أرسل اليه عزام باشا (الامين
العام للجامعة العربية) وقابله باللواء أحمد منصور بك ضابط الاتصال ،
وأخبره بان اشارة ورجت للجامعة العربية بضرورة ارسال كتيبتين من
الاخوان بالذات لفك حصار الفالوجة . وتوجه به الى صلاح هجرى مدير
مكتب وزير العربية ، وتم الاتفاق على اعداد الكتيبتين . وأعد هو ١٦٠٠
(ألف وستمئة متطوع) واحدا من كل شعبة اخوانية في القطر : ٠٠٠ ثم اذا
به يفاجأ بأن النقراشى باشا رفض هذا الرأى .

وقرر الشاهد أن الجيش المصرى فى فلسطين حدث أن طلب من الاخوان
امداده ببعض المتفجرات لان الجيش لم يكن لديه سوى أسلحة انجليزية ، فى
حين أن المتطوعين كانوا يملكون أسلحة ونخائر المانية وايطالية . وقرر أن
هيئة الاخوان المسلمين وزعت منشورات على المتطوعين بالحث على القتال
والجهاد .

● قطار اللاجئين :

وقال الشاهد ان المتطوعين كانوا يقتسمون مئونتهم مع اللاجئين .
ولقد رأوا أن يطلب من أهل الخير فى جميع أنحاء القطر التبرع بما يفيض عن
حاجتهم من مؤن وغيرها . وأعد لذلك قطار يدعى قطار اللاجئين . واستطاعوا
أن يجمعوا من القاهرة فى ليلة واحدة ما حمولته ألف عربة يد وعشرات
السيارات ولكنهم فوجئوا بأن وزارة الداخلية منعت ذلك . فكانت صدمة
حيث حظروا عملا انسانيا خيرا .

ملحوظة : اللاجئين هم ضحاف الاسر الفلسطينية التى اخرجهم
اليهود من ديارهم ففروا بأبنائهم ونسائهم وأطفالهم الى القرى والمدن
الفلسطينية التى يسيطر عليها الجيوش العربية وقوات المتطوعين .

● وسائل خاصة :

وأجاب الشاهد بناء على اسئلة من النيابة انه بعد دخول الجيوش
النظامية فلسطين كان الجيش يمد المتطوعين بالمؤن . أما الأسلحة فكانت
ترسل الى المتطوعين بوسائلهم الخاصة عن طريق الهيئة العربية العليا
وغيرها لا عن طريق الحكومة .

٤ - شهادة اللواء أحمد الماوى بك :

كان اللواء أحمد الماوى أول قائد للجيش المصرى فى فلسطين . وجاء فى شهادته ما يلى :

● جيش بلا معدات :

قرر الشاهد أن مؤلاء المتطوعين كانت روحهم المعنوية قوية ، واشتركوا فى معارك كثيرة ، وقاموا بانتزاع الألغام من النطاق الخارجى للمستعمرات اليهودية . واستعملوا هذه الألغام ضد اليهود الذين تكبدوا بسببها الخسائر حتى أنهم تقدموا إلى مراقبى الهدنة الأولى شاكين . وكان هذا العمل من الأخوان له أهميته إذ لم يكن لدى الجيوش النظامية الغام .

الرئيس - هذا شيء عجيب . كيف لا يكون لدى جيش الغام ؟

الشاهد - من المعروف أن الجيش دخل الحرب بدون معدات .

ثم ذكر الشاهد كيف استمات الأخوان حتى استردوا المصلوح بهم أن فقدوا الجيش . وكانت رئاسة الجيش قد أرسلت أمرا باستردادها مهما كان الثمن لخطورة موقعها .

وأجاب على سؤال عن الشروط التى يجب توفرها فى رجل المصائبات « الكوماندوز » فقال أنه يجب أن يكون مثل هؤلاء الرجال الأذكياء الذين يمتازون بالجرأة وحسن التصرف بسرعة ، ولا يعتمد الواحد منهم إلا على نفسه . . هذا إلى المهارة فى استعمال السلاح والتسلل والتخفى وتسليق الأشجار ، فضلا عن اعتياده على أعمال الكشافة . وقال أن نظام الفرق انفدائية قد استحدث فى الحرب الأخيرة وأصبح لا غنى عنه .

الحكمة - هل فى جيشنا هذه الفرق ؟

الشاهد - لا . . ولكن الفكرة موجودة .

● عشرة آلاف متطوع :

وقرر الشاهد أن عدد المتطوعين كان حوالى عشرة آلاف شخص من مختلف البلدان والأديان ومعظمهم من الأخوان . وكانت الجامعة العربية هى التى تتولى مدهم بالسلاح ، وقد حدث مرة أن أعطيتهم بعض الذخيرة .

● متطوع فى المائة من عمره :

واستطرد قائلا : كان فيه مشايخ متطوعون عمر الواحد مائة سنة . الرئيس - مائة سنة ويحارب . . ده تطوع لدخول الجنة بسرعة .

الشاهد - ان الروح المعنوية كانت عظيمة جدا حقا .

وقال ان اسلحة المتطوعين كانت مدافع خفيفة ورشاشة وتومي وقنابل بحوية ايطالية .

ثم سمعت المحكمة شهادة اللواء فؤاد صادق باشا ثانى قائد للجيش المصرى فى فلسطين فكانت شهادته مطابقة لشهادة اللواء الماوى . وكانت شهادتهما قد أدليا بها فى جلسة ٢٠-١٢-١٩٥٠ .

٥ - شهادة الحاج عبد الرحمن على :

هو مقال فلسطينى . وجاء فى شهادته النى أدلى بها فى جلسة ٢١-١٢-١٩٥٠ أنه كلف من الهيئة العربية العليا بجمع الاسلحة من انصحاء الغربية من ابريل ١٩٤٧ ، واستعان على ذلك ببعض الاخوان ، ومنهم الصباغ المتهم ، حتى منعه رجال الحدود من دخول الصحراء على اثر مصادرة حكومة النقراسى باشا لمخازن الاسلحة .

فما كان من سماحة مفتى فلسطين الا أن راجع النقراسى باشا فى هذه التصرفات ، فلم يبد النقراسى باشا استعدادة لتسليمها الا على الحدود وحتى ذلك اليوم لم يتم . فرؤى أن يكون ارسال السلاح من مرسى مطروح عن طريق اللاذقية بدلا من العريش .

وسأله الاستاذ مختار عبد العليم المحامى عن أسماء الاشخاص الذين كانوا يساعدونه فتقرس الشاهد فى وجه المحامى وقال : أنت نفسك كنت منهم . وقرر أن الشهيد عيد القادر الحسينى كان يدرّب المتطوعين فى جهاته عديدة بالقطر المصرى كطوان والهرم .

٦ - شهادة السيد امين الحسينى مفتى فلسطين :

سأله الاستاذ حسن العشملاوى المحامى عن دور الاخوان فى حريب فلسطين فأجاب بأن الاخوان كان لهم دور كبير منذ البداية ، تقاموا بالدعاية للقضية الفلسطينية منذ عام ١٩٣٦ . واتقاء الجهاد جمعوا اسلحة وتخيرة واستمروا على خدمة القضية بأقصى جهدهم .

وقال : كانوا يعاوتون للرحوم عيد القادر بك الحسينى فى جمع الذخائر وييساهمون فى دفع ثمنها - ومنهم الصباغ (المتهم) فقد اشترى بثلاثة آلاف جنيه اسلحة وقام بتسليمها للهيئة العربية العليا ، كما استشهد فريق منهم فى معركة القسطل .

ولقد استمروا على ذلك بعد دخول الجيوش النظامية ، كما استمرت
الهيئة العربية في جمع الاسلحة ، فبعد دخول الجيوش العربية فلسطين زارني
المرحوم الشيخ حسن البنا وقال لي ما ينم عن قلقه من موقف التخاذل الذي
اتخذته جيوش بعض الدول العربية ، وما لحسه من دسائس تحاك في الظلام ،
لتودي بقضية فلسطين بسبب الدسائس والتخاذل من « البعض » .

وابتسم سعادة رئيس المحكمة لكلمة « البعض » فابتسم سماحة
الشهاد بدوره .

● عشرة آلاف متطوع :

ومضى سماحته يقول : ان الشيخ البنا قال انه لابد من عمل حاسم .،
وانه سيقوم على الفور باعداد عشرة آلاف متطوع من الاخوان ليشتبكوا مع
المجاهدين في الميدان ، وانه سيعرض الامر على الحكومة حتى تدمهم بالاسلح ،
فاذا تعذر ذلك فانه سيصدر أوامر الى كل شعبة للاخوان بان تتولى تسليم
متطوعيها بسلح تشتريه .

● لم يمكن ارسالهم :

وتابع كلامه بقوله : انه متأكد من أن الشيخ البنا كان مصيها على
تنفيذ هذه الفكرة ، وانه في سبيل تنفيذها اتصل بكافة الشعب لتجمع
الاسلحة ولتدريب المتطوعين . ويبدو أن العقبة كانت في انه لم يكن من
المستطاع ارسالهم .

وقال : ان الاخوان عملوا على شراء الاسلحة حتى بعد دخول الجيوش
النظامية فلسطين ، وذلك بسبب خيبة الآمال في بعض الجيوش العربية
لتخاذلها .

● لا تتوسل بالعنف :

وسأله الاستاذ مختار عبد العليم عن رأيه في هيئة الاخوان المسلمين
وأهدافها وأسائلها وعما اذا كان من بين وسائلها العنف والارهاب ؟ فقال :
أعتقد أن الاخوان المسلمين هيئة اسلامية تعتنق المبادئ الاسلامية وتحمل
دعوتها : وتعمل على انشاء جيل على مبادئ الاسلام وأخلاقه ، وذلك لصالح
المسلمين وغير المسلمين ، ولا أعتقد انها تتوسل بأي عمل يخالف الشريعة
كاستعمال العنف .

● كيف يمكن انتقاد فلسطين ؟

ووجه اليه الاستاذ مختار عبد العليم السؤال الآتي :

بوصفكم المسئول الاول عن القضية الفلسطينية هل يمكن أن تشرحوا لنا الطريقة المثلى لانتقاد فلسطين ؟

عضو اليمين - يعنى الجهاد الشعبى هو الافضل ام المجهود الحكومى ؟

الشاهد - ان اللجنة العسكرية المختصة قررت سنة ١٩٤٧ الخطة المثلى ، وذلك فى اجتماع الجامعة العربية فى عالية بلبنان . واسبس هذه الخطة هى التمويل على عرب فلسطين أنفسهم فى الدفاع عنها ، على أن تعاونهم الدول العربية بتسليحهم وتدريبهم وتحصين قراهم . أى تضعهم فى نفس الوضع الموضوع فيه اليهود فى فلسطين .

ولقد وافق مجلس الجامعة على تقرير هذه الخطة بالتمويل على عرب فلسطين ثم المتطوعين ، أما الجيوش العربية فتقف على الحدود مترقبة .

لماذا عدل عن هذه الخطة ؟

كانت هذه هى الخطة المثلى المتفق عليها . . ولكن حدث بعد ذلك أن قدمت احدى الدول الاجنبية مذكرة تحتج فيها على هذه الخطة . وبذلك أوقف تسليح عرب فلسطين وتدريبهم وتحصينهم ، وترتب على ذلك المدحول عن الخطة المثلى .

ومضى سماحته فقال : ان كفاح فلسطين بين عقيدتين متعارضتين ، العقيدة العربية والعقيدة الصهيونية ، فالسلاح الاول فى هذه المعركة انما هو الايمان والعقيدة .

ولقد نطن الاعداء الى هذه الحقيقة ، فوجهوا كل همهم الى ابعاد العناصر المؤمنة عن ميدان المعركة . ثم ثنوا بالسعى لابعاد الفريق الثانى فى الاهمية وهم المتطوعون من العرب كالاخوان وغيرهم ، وذلك حتى يخلو الميدان فلا يبقى فيه الا الجنود النظامية . وبذلك استطاعوا أن يأمنوا . . اذ ابعدها العناصر المصممة تصميما أبديا على الكفاح .

ثم اجاب سماحته بناء على مناقشة الدفاع انه لم يفهم من النقراشى باشا حقيقة الدافع الى مصادرة السلاح ، وان النقراشى باشا لم يخبره أنه ينحس من تسرب جانب من اسلحة مخازن الهيئة العربية لاستعمالها فى حوادث داخلية .

٧ - شهادة صلاح أمين الحسيني :

وهو نجل سماحة مفتي فلسطين وطالب بكلية الحقوق . وقد قرر أن بعض الاخوان كانوا يقومون فعلا بجمع السلاح للهيئة العربية العليا ، وأن الهيئة تراقب استلامها حتى لا تتسرب الى جهة أخرى ، وأنه اشترك في مسترى محطة كهربائية للهيئة .

٨ - تقرير خبير الخطوط :

وهو الاستاذ محمد وهبي . انتدبته المحكمة خبيرا استشاريا لمضاهاة الاوراق المضبوطة بسيارة الجيب بخطوط المتهمين عبد الرحمن عثمان وابراهيم سوبلم ومحمد أحمد على . فقدم تقريره الى المحكمة ويقول فيه ان هذه الاوراق المضبوطة ليست بخطهم .

(ب) من المرافعات

جاء في مرافعة النيابة تهجم على هيئة الاخوان المسلمين في نقطتين :

الاولى - في موضوع اغتيال الخازندار بك والثانية في شعار الهيئة
السيوف والمصحف والآية .

وجاء في مرافعة الاستاذ عبد المجيد نافع وكانت هي المرافعة الاولى رد على النيابة في هذين التهجمين كما تعرضت المرافعة لنقاط اخرى لها اهميتها . ونورد فيما يلي نقتا من هذه المرافعة .

١ - من مرافعة الاستاذ عبد المجيد نافع :

كان اول المترافعين من هيئة الدفاع في هذه القضية واستغرقت مرافعته عدة جلسات . وقد بدأ مرافعته في جلسة ١٦-١-١٩٥١ وجاء فيها :

● حسن قناوى والبواعث الوطنية :

واذا كان عبد الحافظ قد قتل الخازندار بك ، فما كان ذلك الا لان المتهم اخطا النظر في الامور . وفي ذلك الحين كانت تدور مفاوضات بين مصر وانجلترا في سبيل تحقيق الاهداف الوطنية وهي الجلاء الناجز ووحدة وادى النيل تحت انتاج المصرى . واعتقد الشبان انهم يستطيعون تقوية مركز المفاوضات المصرى حين يجلس على المائدة الخضراء وجها لوجه مع المفاوضات البريطانية ، فالتوا القنابل التي القوها (هذه قضية اخرى غير التي اشرنا اليها قبلا وكانت في القاهرة) .

ونظرت قضايا هذه القنابل أمام الخازن دار بك وأصدر فيها أحكاما قاسية بلغت عشر سنوات في جريمة سياسية يحدوها باعث شريف هو تخليص مضر من الاستعمار .. وذلك في نفس الوقت الذي حكم فيه على سفاح الاسكندرية حسن فتاوى بالاشغال الشاقة سبع سنوات .

ولا شك أن لهذه الاحكام ما يبررها من وجهة النظر القانونية تماما ولكن الشبان الصغار الذين تختل لديهم الموازين لا يدركون ذلك .. ومع ذلك فانه لا يرجد منطق في عدالة السماء والارض يخفل الاخوان المسلمين مسئولية هذه الجرائم .

● عهد ملوث :

انه في الوقت الذي تسند فيه النيابة الى الاخوان الجرائم التي عدتها ، يتوافد الى ذهن مصرع الشهيد حسن البنا ، ينادى بأعلى الصوت وملء الفم : ان الدماء عالقة بهذا العهد ، وان يده مخضبة بدم الشهيد وغيره من الشهداء .

● الموت لحسن البنا :

ولقد هدد بذلك في جنازة النقراشي باشا على ملا من الناس في هتافات مدوية . فكان الشبان يصيحون من حناجرهم في هتافات تنوى فتبلع غنان السماء ، ويتوعدون بالويل والثبور وعظائم الامور جماعة الاخوان المسلمين بل لقد كانوا يملأون أفواههم بهتافات « الموت لحسن البنا » .

● تنفيذ الوعيد :

وكان هذا في ختام عام ١٩٤٨ وبالتحديد في يوم وفاة المغفور له في ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ . وبعد ذلك في مستهل عام ١٩٤٩ وبالتحديد يوم ١٢ فبراير ١٩٤٩ استشهد حسن البنا الزعيم السياسي والروحي لجماعة الاخوان المسلمين على باب جمعين الشبان المسلمين ، في ظروف غامضة تثير الشكوك والشبهات ، وتوحى الى أية جهة أو أية جهات تنتج الشكوك وهذه الشبهات .

● السيفان والمصحف :

تقول النيابة : ان حسن البنا جعل شعار الجماعة سيفين بينهما مصحف وزود الشعار بهذه الآية « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .. ولا يمكن ان يكون السيف رمزا للعنف وعنوانا للجريمة ، ولكنه رمز للقوة لان الامم الإسلامية لا ينبغي أن تكون مستضعنة أمام الاستعمار الاجنبي .

والسيف رمز للحرب الملعنة • أما الجريمة فترتكب في الظلام وفي غفلة من الناس •

● الحمد لرب مقتدر :

ثم تلا ما استشهدت به النيابة من قول حسن البنا « أنتم لستم جمعية خيرية محدودة المقاصد » فقال : انه يقول لهم أنتم لستم جمعية خيرية .. وهذا صحيح فهم ليسوا جمعية مكارم الاخلاق ولا جمعية مواساة ولا جمعية عروة وثقى ولا جماعة الحمد لرب مقتدر ..

● لن نقتلوا دعوته :

واستطرد فقال : انهم قتلوا حسن البنا : ولكنهم لم ولن يستطيعوا ان يقتلوا دعوته في سبيل انتشال الاسلام مما وصل اليه من ذلة وخضوع وهو دين عزة وقوة •

● الشيخ المراغى يقرظه :

يقول الشيخ المراغى عن حسن البنا « ان الأستاذ البنا رجل مسلم غير على دينه ، يفهم الوسط الذى يعيش فيه ، ويعرف مواضع الداء في جسم الامة الاسلامية » •

● شهادة مكرم عبيد باشا :

وقال مكرم باشا « انى لا ادرى لماذا ثار جدل عنيف حول اشتراك الاخوان في السياسة وهم في ذلك على دينهم ، والدين هو المظهر الاول للسياسة الوطنية » •

● رئيس المحكمة يطلب قانون الاخوان :

وبعد ان تحدث الأستاذ نافع طويلا عن نظم الاخوان وقوانينها طلب الرئيس قانون الجماعة ، فقدمه اليه الأستاذ طاهر الخشاب - واستطرد الأستاذ نافع في مرافعته فقال : ان حسن البنا لم يبيع الى قلب نظام الحكم ، وانما كان يقصد الى اصلاح الحكم فحسب .. وهذا ما دل عليه في جميع خطبه ومقالاته ونصح لاهوانه ، فقد قال : « لقد نادينا بدعوة الحكومات الى عمل الاصلاح ، لان الهوة بين الغنى الفاحش والفقير المدقع اتسعت حتى كاد الشعب المصرى يخرج عن طوره ، وقد عصرت تلك المظاهر الضاخبة التى يظهر بها الاغنياء واغلب الشعب يتضور جوعا وعريا • وانى لاقوالها باعلى

صوتنى وملء فمى : ارحموا الشعب يرحمكم خالقهم ، فالشعب من حقه ان يعيش ولا أقل من ان يعيش .

● الاسلام دين ودولة :

وخلص من ذلك الى قوله : ان الاسلام دين ودولة يجمع بين سلطتين ، سلطة دينية وسلطة زمنية ، وهو قسمان : معاملات وعبادات . وهو يوضح الاصول والكليات ، ويترك الجزئيات والتفاصيل تتطور مع تطور الأزمان . وان الفصل بين الدين والدولة ضلالة . وقد وضع القرآن أسس الحكم ، وتنظيم الحكومات والشعوب .

● الانجليز طلبوا حل الاخوان :

واستهل مرافعته في يومها الثالث بالكلام عن العوامل التي دعت الى حل الاخوان المسلمين فقال : ان السلطات البريطانية طلبت من الحكومة المصرية صراحة حل الاخوان . وقد طلبت ذلك من رفعة النحاس باشا في سنة ١٩٤٢ وقوات المحور على مشارف مصر ، ولكن النحاس باشا لم يذهب الى اذى الذى ذهب اليه النقراسى باشا فاكتمنى تحت ضغط ظروف الحرب باغلاق الشعب وأبقى على المركز العام .

● ضحك الاقصاد :

وقال : وفي عهد الظلم والظلام سنة ١٩٤٩ عندما كان ابراهيم عبد الهادى باشا يعتقد انه سيجرى الانتخابات فيسوم البلاد الخسف والهوان خمس سنوات أخرى ، عمل جامدا للتخلص من الاخوان لانه عرف ان قوتهم اشتدت رأنهم سوف يكتسحونه في الانتخابات . ولذلك امعن في تشريحهم وتعذيبهم حتى يذهب ريحهم ويقدررون وتضحك الاقدار .

ثم ختم مرافعته بالحديث عن حقد السعديين حتى منعوا احدا من تشييع جنازة حسن البنا .

٢ - من مرافعة الاستاذ هنرى فاروس :

اتهم النيابة بالتحريف فقال : انها حين نقلت كلام الاستاذ البنا اغفلت كلمة « وسلام » في قوله « نحن دعاة حق » كما انها غيرت ميعاد ضبط السيارة انجيب بدلا من الساعة الثانية ظهرا جعلته الساعة الثالثة .

٣ - من مرافعة الاستاذ شمس الدين الشناوى :

سبق لنا الاشارة اليها في فصل سابق ، وذكرنا فيه موضوع الوثيقة

التي قدمها الى المحكمة والتي تثبت أن القيادة البريطانية للجيش البريطانى
في الشرق الاوسط طلبت الى حكومة النقراسى حل الاخوان .

٤ - من مرافعة الاستاذ حنفى عبود :

قال : ان حسن البنا قد نجح الى حد بعيد في وضع المسمار الاول في
نمى الاستعمار بأن ربى جيلا جديدا .

● الانجليز يخافون :

وقال : وكان آية هذه الرسالة القوية ما سمعوه عن بلاء الاخوان في حرب
فلسطين مما لفت نظر العالم المستعمر وبخاصة الانجليز فعلا الخوف قلوبهم ،
واتجهت نذلك نيتهم الى التخلص من هذه الجماعة عن طريق مخالف القط من
رجالنا الرسميين .

● وثائق التاريخ :

وقال : اننا اذا قلنا الانجليز فلا نحتاج الى وثائق لاثبات ما نقول لان
بيننا الوثيقة الكبرى التي لا يستطيعون الطعن فيها الا وى التاريخ ٠٠ وان
هذا التاريخ يحدثنا عن تدخلهم في فجر الحركة الوطنية لاقالة شيخ الازهر
لانه أفتى بأن الدين يهدر دم كل كافر من أمل الكتاب اذا دخل ديارنا بدون
أمان من الامام .

وقال : ان التجارب قد علمت الانجليز أن الروح الدينية خطر على
كيانهم ، فاذا ما راوا هذه الروح من جديد في حركة الاخوان فلا غرابة في ان
بطالبوا بالحل والتشيت .

● عهد وصم نفسه بالفوضى :

واستطرد فقال : اننا كنا في عهد عجيب وصم نفسه من اول يوم بأنه
عهد الفوضى ٠٠ وان من يرجع بذاكرته الى يوم ٩ من اكتوبر سنة ١٩٤٤
ويذكر ما نشرته الصحف عقب اسناد الحكم الى رجال ذلك العهد من أنهم
ركبوا الى دور الوزارات ولم ينتظروا حتى تفتح لهم الابواب بل حطموها ٠٠
فسجلوا بأنفسهم على أنفسهم ومن اللحظة الاولى بعدهم عن ادراك اصول
الحكم الصالح وما يتطلبه من نظام ووقار ورزانة ، وكشفوا عن خفايا النفس
وما انطوت عليه من فتنة وشهوة متعطشة الى الكراسى . (يقصد اول
وزارة للسعديين برياسة احمد ماهر) .

٥ - من مرافعة الاستاذ طاهر الخشاب :

جاء في مرافعته أن الاخوان اشتروا ٨٠٠ فدان في نجع حمادى من الاراضى غير الصالحة للزراعة وحولوها الى جنة

٦ - من مرافعة الاستاذ فتحى رضوان :

قال : ان الاستاذ البنا بعد أن صدر قرار الحل زاره أكثر من مرة ، فكان يرحب به . وكان الاستاذ البنا يشكر اليه ، ويكرر الشكوى ، فلا يسعنى الا أن أبتسم في وجهه ، لاننى أعلم أن الخلف بين الاخوان والسعديين لا يمكن أن يفلح فيه صلح أو مفاوضة .

وأشار الى الحق الذي كانت تكنه حكومة تلك العهد على كل من يناصر جماعة الاخوان . وقال : انه ذهب ذات يوم الى قنا للمرافعة في إحدى القضايا ، فقابل أحد أصدقائه وقال له : أصبح ما نسب اليك من أن الشيخ البنا قد رارك في ليلة مقتل النقراشى ناشا وقال لك : لقد انتهى الامر ورد الينا اعتبارنا ؟ لقد أشيع هذا الكلام ووصل الى مسامح رئيس الوزراء ، وقال إنه دهن لهذا الحديث قال : ونفيت هذا الحديث لمحدثى ولم أعلق على الامر أهمية ، حتى حدثنى أحد الوزراء بعد ذلك بنفس هذه المعانى قائلا انه لا يستطيع أن يدافع عنى لدى الحكومة بعد ذلك لان رئيس الوزراء غاضب عليك لما نقل إليه من أمر هذا الحديث الذي أكد له أنك ممن يناصرون دعوة الاخوان .

● وطنية صادقة :

وقال : ان التاريخ يشهد على صدق وطنية المصريين . وانه لم يحدث أن حوكم مصرى لانه خان وطنه ، وانما للأسف الشديد يقدم المصريون للمحاكمة لانهم أرادوا أن يقفوا في وجه الانجليز مطالبين بحقوقهم .

* * *

ثالثا - في قضية جودة والاوكار :

لم تكن في هذه القضية معالم ذات بال فيما يتصل بالسياسة العامة والافكار الوطنية والاجتماعية بخلاف القضية السابقة ولكن هذه القضية كانت ذات معلمين بارزين هما تحريك بل احياء التحقيق في قضية اغتيال الاستاذ الامام حسن البنا ثم فضح أساليب التعذيب . . وقد أفردنا لفصح أساليب التعذيب فصلا مستقلا ولذلك نقتصر في هذا المقام على الإشارة الى نقاط في هذه القضية أكثرها يتصل بقضية الاستاذ الامام . :

● طلب ضم قضية اغتيال الامام :

الاستاذ نافع - (في جلسة ٦-١١-١٩٤٩) اطلب ضم أوراق التحقيق في مصرع الشيخ حسن البنا .

رئيس المحكمة - ما هي الحكمة في ضم أوراق هذا التحقيق ؟

الاستاذ نافع - لقد اغتيل الشيخ البنا في ١١ فبراير الماضي ، والحادث المظور أمامنا وقع في ٥ مايو . ومن الطبيعي أنني سأعرض في دفاعي للبائع على الجريمة . ولقد كان الشيخ البنا مرشدا عاما للاخوان . ولقيام الشكوك حول موقف الحكومة من مصرعه وزنه في تقدير البائع في قضيتنا وأنا لا اطلب ضم أوراق حادث مصرع الشيخ البنا فحسب بل اطلب نسحه وتوزيعه . . والشهود قد أدلوا بأن الهدف من الاعتداء لم يكن حامد جوده بل كان ابراهيم عبد الهادي .

ان الشيخ البنا قد قتل في ظروف غامضة للغاية ، ومثيرة للريبة . وهناك شاهد في حادث مصرعه هو محمد الليثي أفندي (رئيس القسم الرياضي بجمعية الشبان المسلمين) فقد قرر عند سؤاله انه عقب اغتيال الشيخ البنا أخبره على الفور شخص برقم السيارة التي ارتكبت بها الجريمة . وان المساعي بل الجهود قد بذلت من جانب البوليس السياسي بالوعد والوعيد والتهديد بأنه اذا لم ينزل عن هذا القول الخاص برقم السيارة فانه سيكون فريسة للاعتقال . . وبرغم ذلك فقد أرشد الليثي أفندي عن رقم السيارة . . وتبين انها خاصة برئيس القلم الجنائي بوزارة الداخلية وهو الضابط محمود عبد المجيد بك - وفجأة طويت أوراق التحقيق . . فالامانة لموكلني على تنقاضي ن الحف في ضم هذه التحقيقات .

الدكتور عزيز فهمي - أريد طلب ضم أوراق مصرع المرحوم الشيخ حسن البنا . وأن ما ذكره الاستاذ عبد المجيد نافع عن محمد الليثي أفندي جعل الليثي في خطر محقق ومن المحتمل قتله - وأنا أحمل في حالة وقوع اعتداء على حياة الليثي أفندي المسؤولية للصاغ الجزار وكذلك مدير المباحث الجنائية الذي استخدمت سيارته في قتل المرحوم الشيخ حسن البنا . . وحيدا لو رأت النيابة عن جانبها أن تعمل على حماية الليثي أفندي .

(وأحني الاستاذ فتحي مرسى ممثل النيابة رأسه بما معناه « حاضر »)

● طلب ضم نسخة من جريدة « المصري » المصادرة :

الاستاذ طاهر الخشاب - اطلب ضم نسخة جريدة « المصري » التي

صدرت صباح يوم مقتل الشيخ البنا وصودرت الطبعة الاولى منها • وهذه النسخة موحودة الآن بإدارة المطبوعات • ولها أهميتها الكبرى لان فيها مفتاح الجريمة • وأؤكد أن هذه النسخة كان بها رقم السيارة التي ارتكبت بها الحادث مصودرت لذلك ، وظهرت الطبعة الاخرى وليس فيها رقم السيارة •

الرئيس - ما هي العلاقة بين ما تذكر والقضية •

الاستاذ طاهر الخشاب - ان جرائم القتل - وانتم ائمة القانون - يبحث فيها عن الباعث • فاذا كان صحيحا ما قيل من أن الحكومة هي التي دبرت اغتيال الشيخ البنا ، وأنها أهملت التحقيق ، وأنها تستقرت على المجرم بمصادرة « المصري » مع أن فيه الدليل المادى الذى كان يمكن ان تسير وراءه النيابة •• فان موقف الحكومة هذا يكشف لنا عن الباعث في هذه القضية • وأنا مصر على طلب هذه النسخة •

ثم قال : ان النيابة تقول عن حادث سيم زكى باشا ان شخصا ابلغ عن نفسه فحقق معه ، ولكنى كنت في المعتقل ، وغد مر على فيه جميع المتهمين وذكروا لى أن هذا الشخص ادلى باعترافات وبأسماء أشخاص خارجة عن المضمر الذى اثبت فيه أقواله ، واتى بسلسلة من الشخصيات نتيجة لنعنييه •

الاسماء البيطاش (ممثل النيابة أيضا) - لا لا •• لقد ذكر في أول بلاغه أنه ارتكب الحادث مع آخرين ذكر أسماءهم •

الاستاذ الخشاب - مصر على أنه اعترف على أشخاص غير الواردين في بلاغه ، وبدأت الاعترافات تنفزع من هؤلاء الاشخاص •

● قضية الاستاذ الامام تصور الجو الذى صدرت فيه الاعترافات :

الاستاذ عبد الفتاح حسن - ان الدفاع يرجو على الاخص ضم قضية مقتل الشيخ حسن البنا لانها ليست متعلقة بالباعث في قضيتنا فحسب ، بل انها تصور الجو الذى صدرت فيه الاعترافات • وما دام المحققون في قضية مقتل الشيخ البنا حاولوا أن يلتوى شاهد عن السبيل القويم ، فلا يكون هناك عجب اذا قيل ان هناك اجراءات قصد بها ابعاد التهمة عن الهيئة الحاكمة وقتئذ •

ولقد فوجئنا باعترافات قال فيها كل معترف « ألقيت قنبلة انفجرت وقصدت بها الاصابة » وهذا الاسلوب لا يعرفه متهم ، وانما يعرفه الذين

يكيفون الواقعة ويصفون التهمة •• وتلك هي وظيفة النيابة العمومية ، فهذه الاعترافات لم يكن للمتهمين بها شأن سوى تحريك السنتهم •

الاستاذ نافع - ان هذه القضية ليست قضية هؤلاء المتهمين ، بل هي قضية حكومة متمدنة أو غير متمدنة لم نر لها مثيلا في عصور الهمجية والوحشية - ان الذى قيل ان الهنف من هذه الجريمة التى نحن بصورها هو ابراهيم عبد الهادى ، لان يده انغمست في جريمة مقتل الشيخ حسن البنا • ويجب أن أقرأ القضية وأبحثها بعناية لكى أرتب دفاعى كما ينبغي ، ويجوز ان اطلب ابراهيم عبد الهادى للشهادة ، وقد يوفى التحقيق بسماع شهادة امثال محمد زكى على ومصطفى مرعى وصالح حرب ومحمد الناعى ومصطفى الشوربجى •

الاستاذ سامى عازر - اطلب التصريح باعلان شهود نفى وهم الواردة اسمائهم في عريضة مصطفى الجابرى السابق تقديمها قبل الجلسة ، ويضاف اليهم والد الشيخ حسن البنا ومعاني مكرم باشا لسماع شهادتهما عن الطريقة التى شيعت بها الجنازة ودفن بها الثقيل • (استجابت المحكمة لهذا الطلب) •

● تليفونات جمعية الشبان المسلمين كانت مراقبة باهر :

الاستاذ طاهر الخشاب - (في جلسة ١٢-٥-١٩٤٩) ان تليفونات جمعية الشبان المسلمين كانت موضوعة تحت المراقبة ، واطلب ضم التقرير الذى ارسل الى المراقبة في هذا الشأن في الفترة ما بين الساعة الخامسة مساء يوم اغتيال الشيخ حسن البنا الى الساعة العاشرة من مساء اليوم التالى :

الرئيس - وما علاقة ذلك بالقضية ؟

الخشاب - ان قضية اغتيال الشيخ البنا ضمت الى قضيتنا •

الرئيس - ذلك لما قد يتناوله الدفاع عن الباعث •

انخشاب - ولكن الاهم ان اقدم مثالا على تصرفات الحكومة في ذلك العهد - تلك الحكومة المفروض فيها المحافظة على الامن - والثابت في تحقيقات مقتل الشيخ البنا انه وقت مصرعه كانت تليفونات جمعية الشبان المسلمين تدوى بأصوات رجال القلم السياسى تسال عما اذا كان الشيخ البنا قضى نحبه أم لا يزال فيه نفس يتردد •

● الحاكم العسكرى استغل الاحكام العرفية لمحاربة خصومه السياسيين:

الاستاذ فتحى رضوان - ; دفع بعدم اختصاص المحكمة العسكرية

بنظر الدعوى وأفاض في البحث القانوني) وجاء في دفعه : ان الدفاع يتهم الحاكم العسكري - ولا داعي لذكر اسمه) - بأنه خرج عن سلطته التي منحها ، ومسخ النص الذي أقامه ، فبدلاً من أن يصدر أوامر حربية للاطمئنان على الجيش المصرى أصدر أوامره لمحاربة خصومه السياسيين .

ولقد أغنانا ذلك الحاكم العسكري عن البرهنة على صحة هذا الاتهام . فقد أذاع عن طريق مكتبه رداً على النحاس باشا رئيس الوفد ، فجعل يتكلم في بيانه عن عصابات الاخوان المسلمين لا عن عصابات الصهيونيين ، وعن الأسلحة والتفانيل في أوكار الاخوان لا عن ذخائر وأسلحة الجيش المصرى . فهو في صراحة يعلن أن الدافع لهذه الاحكام العرفية لا أنه يزيد حماية ظهر الجيش المصرى ، ولا لانه مشغول البال بحركات جيشنا في الميدان ، وإنما يحارب الاخوان المسلمين وغيرهم من خصومه السياسيين .

ولا يصح اطلاقاً أن يأتى رئيس وزراء على خلافات سياسية مع غيره . وهو في هذه الخلافات لا يريد أن يترك مقاعد الحكم . . حتى انتهى الامر به الى ما يشبه الاقالة - لا يصح أن بسخر الاحكام العرفية في مآربه الشخصية .

ان الشعب جميعه كان يعلم ، وكان مقتنعا بأن الاحكام العرفية لم تكن لسلامة الجيش . بل ان هيكل باشا - وهو رئيس حزب مشارك بحق النصف في هذه الوزارة ، وهو أيضاً رئيس مجلس الشيوخ أى رئيس الهيئة التشريعية - هذا المسئول الكبير قال قولاً له قيمته القانونية لنا - فقد قال :

« انه يعلن أنه دائماً كان ضد الاحكام العرفية والرقابة على الصحف . وضرب سعادته مثلاً بأن الحكم في مسألة اعلان الاحكام العرفية إنما كان قائماً على المعلومات التي رأى رئيس مجلس الوزراء وقتئذ شخصياً أن يلقيها على زملائه الوزراء » .

وعلق الاستاذ فتحى على عيث هيكل باشا قائلاً : ان سعادته يعلن ويعنى ان الحاكم العسكري قال كلاماً للوزراء فهموا منه أن الحالة في فلسطين تستدعى مد الاحكام العرفية ، وأنه استطاع بعد ذلك هيكل باشا أن يعترف أنهم كانوا مخدوعين ، وأن الحاكم العسكري أعطى لهم بيانات غير صحيحة . وقال الاستاذ فتحى : ان الحاكم العسكري في هذه الفترة (الانتخابات) في اجازة . ولا يجوز ان تنظر محكمة عسكرية دعوى في خلال هذه الاجازة .

وقد قررت المحكمة ضم الدفع الى الموضوع مع التصريح بتقديم مذكرات .

● من شهادة الاستاذ حامد جودة :

حضر في جلسة ١٨-١٢-١٩٤٩ وقرر في شهادته أن المقصود بالاعتداء لم يكن هو بل كان ابراهيم عبد الهادي . وقال انه لما وصل منزله اتصل بعبد الهادي ليخبره فوجده قد سبقه .

الاستاذ مختار عبد العليم - هل تتولى حضرتك الاشراف على جريدة « الاساس » ؟

الشاهد - تقريبا .

الاستاذ مختار - هل تذكر أنه نشر بها مقال عقب مقتل النقراشي بأشياء بانه يجنب مقاومة العناصر الارهابية بالطرق المشروعة وغير المشروعة ؟

الشاهد - مش متذكر .

الاستاذ مختار - ما السبب في اعتقادك أن المقصود بالحادث هو ابراهيم عبد الهادي ؟

الشاهد - لانه هو الذى يقاوم الاخوان المسلمين .

الحكمة - من الذى تعتقد انه يقوم بهذه الحوادث ؟

الشاهد - الحوادث التى وقعت كانت من فعل خليط من الشيوعيين والصهيونيين والاخوان . وأن الثلاثة امتزجوا ببعض .

الخشاب - ما الدليل على ذلك ؟

الشاهد - لان جمعية الاخوان كانت تصرفه مبالغ كبيرة .

تم سألته المحامون عما اذا كان قد اتهم في حوادث قتل أو أوى مجرما فقال : انا الذى سلمت الخط .

الفصل الرابع

البوليس السياسى والتعذيب

مقدمة

أنشئ البوليس السياسى فى مصر ليكون أداة لتثبيت اقدام الاحتلال البريطانى فيها ، فهو من ناحية الشكل جهاز من أجهزة وزارة الداخلية المصرية ، وأعضاؤه ضباط وجنود وموظفون مصريون جنسية ، ولكن أعمالهم وجهودهم وأمواهم وولاءهم للمستعمر ، الذى يعتقدون فيه ما يعتقد المؤمن فى ربه .

وكانت الرئاسة الرسمية لهذا الجهاز فى أول الامر لغير المصريين ، فلما أبدت شخصيات من العاملين فى هذا الجهاز من المصريين نضوجا فى خيانة بلادهم وتفانيا فى الاخلاص للقائم فى السفارة البريطانية أسندت الرئاسة الرسمية للمصريين ، فبذ هؤلاء الرؤساء المصريون أسلافهم الاجانب فى التسلط الاجرامى على الشرفاء من مواطنيهم تسلطا أذهل سادتهم الانجليز أنفسهم .

والمعجب هو أن الحكومات المصرية المتعاقبة كانت تعلم عن هذا الجهاز هذه المعلومات ، ومع ذلك لم تجرؤ واحدة منها على المساس به أو حتى على الاحتجاج عليه ، بل إن بعضها كان يستخف به فى الكيد لنافسيه على كراسى الحكم . ولم تكن السفارة البريطانية - صاحبة الجهاز الحقيقية - تعارض فى ذلك ، لأن هذا كان لحسابها إذ هو فى نطاق اللعبة التى اخترعتها ليتهاي بها الزعماء عن المطالبة بحقوق بلادهم . ولكن الاساليب التى كان يتبعها الجهاز فى هذه الحالة بالذات لم تكن تتعدى فض اجتماع أو التصفى عليه ، أو مصادرة عدد من صحيفة أو منشور ، أو مضايقة سياسى فى تنقلاته .

وأعمال انبوليس السياسى الآثمة - ومجرد وجوده اثم - كانت موضع سخط الشعب باعتباره أداة للتجسس عليه ، ونقل أخباره وتحركاته بل وعمساته الى المستعمر . ومع ذلك فإن هذا الجهاز كان يحتبر هذه الاعمال ان هى الا مداعبات اذا قيسست بما خول من سلطات لا حدود لها . ولكن

سأدته الانجليز كانوا يرون أن ما بقى فى هذا الشعب من رفق لا تستدعى مكافحته بأكثر من هذه المداعبات . .

فلما فوجئ المستعمر بحيوية مفاجئة فى هذا الشعب ، نمت وترعرعت فى غفلة منه . نمو لم تعد الاساليب المعتادة كافية لمكافحته ، فان وجود المستعمر نفسه أصبح مهددا أمام هذا النمو الفارع المياغت . . اخذ فى استجماع قواته المصرية شكلا ليقابل بها النيل الجارف الجديد من الحيوية المتدفقة . . فإشار الى حكومة عميلة حاقدة ، فأتته طائفة جائئة ، ووضع فى خدمتها وتحت امرتها رجاله الخلاء من البوليس السياسى ، على أن يهيئ رئيس هذه الحكومة لهم الجو الملق باعلان الاحكام العرفية ، وعلى أن تكون أبواب خزانة الدولة مفتوحة لهم على مصاريحها . . لان هذين معا - الجو الملق والخزانة المفتوحة - هما الوقود الدافع لهم ، والمحرك لاحت انغرائز فيهم ، حتى يحققوا الغاية التى من أجلها أنشئ جهازهم ، وهو ازالة كل ما من شأنه أن يهدد وجود المستعمر أو يعكر صفوه .

فاندفعوا بأخط غرائزهم اندفاع الذئاب الجائعة ، ففعلوا بالشباب الطاهر من الوطنيين المؤمنين انشرفاء ما يعجز الخيال عن تصويره من اساليب الاجرام ، وضروب الوحشية ، غير عابئين بشرف ولا مكرثين بعرف ولا قانون .

وقد رأيت حين أفردت هذا الفصل لعرض هذه الاساليب الوحشية أن لا أتحل فى وصفها بكلمات من عندى أو بعبارات من قلمي حتى لا أتزيد فى الوصف ولا أقصر عنه . . ورأيت أن ادع هذا الوصف لاونئك الذين عانوا من هذه الوحشية ، وكانوا فرائس لهذه الوحوش الأدمية الضارية . .

وليس معنى ذلك أننى أتى فى هذا الفصل على كل من عانوا ولا على كل ما عانوا - فهذا ما لا يتسع له الكتاب بجميع صفحاته - لكننى اجتزئ بقليل من كثير على سبيل الامثلة والنماذج التى يهتدى القارى بها الى ما وراءها .
اولا - فى قضية النقراشى :

● المتهم محمد مالك :

فى جلسة ٢٩-٨-١٩٤٩ طلب المتهم محمد مالك من رئيس المحكمة السماح له بالكلام فقال : انه لما اعتقل فى الاسكندرية جاء به موثق اليدين والرجلين الى المحافظة فقال له الاستاذ عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية : أنا عمار عدو الاخوان ، ثم امر رجال البوليس بتعذيبه . فانهاؤا عليه بالضرب المبرح - ولما جىء به الى القاهرة اجتمع عليه ضباط القسم

السياسى ورفعوا رجليه بعد ربطهما وانهاالوا عليه ضربا فى كل جسده ،
وكانوا يدوسون على وجهه بأحذيتهم ، ثم شفعوا ذلك بلفحات من الكرابيچ ،
وكان يغمى عليه ويود أن لا يخرج من اغمائه حتى لا يشعر بهذا العذاب •

وخبروه بين تأييد رواية عبد المجيد وبين التعذيب ، وأعدوا له حجرة
تعذيب •• ولما أدركوا أنه لم يعد يستطيع الشى أجبروه على أن يجرى ،
ولما لم يستطع الوقوف أرغموه أن يقف ساعات ، وكان يترك الاسابيع دون
أن يفتسل أو يبدل ملابسه •

وعنا وقفت والدة مالك وفى يدها رباط شاش وقالت ان ابنها كان كل
جسده جروحا • فأسكتها رئيس الحكمة •

وكان مالك يروى بتأثر وحنق ويقول انه عاجز عن تصور ما كان يمانيه
من عذاب حتى تلفت أعصابه وكان يضرب بالحديد نعله ينطق ، وكان البوليس
يوجه اليه كلمات مقذعة خبيثة ، واستعانوا بصغار اخوته ليرغموه على
الاعتراف •

فسأله الرئيس : ولماذا لم تخطر النياية وقد حقق معك أكثر من مرة ؟
مالك - بلغت اسماعيل عوض بك رئيس النياية بلا جدوى كما بلغت
محمد عبد السلام بك •

محمد عبد السلام - عندما بلغنى المتهم أخلته على الكشف الطبى •
دكتور عزيز فهمى لقد عذب أيضا بعد الكشف •
وقال مالك انه ثم ينبج من التعذيب حتى فى الشوارع أثناء ذهابه
للتحقيق •

الرئيس - وكيف ذلك ؟

الاستاذ احمد حسين - ثابت أن المتهم كان يقاد الى التحقيق وهو
يرتدى جلبابا وحافى القدمين •

● المتهم محمد نايل :

وفى نفس الجلسة قال المتهم محمد نايل أمام الحكمة انه كان يضرب
على ققاء من ضباط القلم السياسى وهو جالس فى الغرفة المجاورة للمحقق ،
وانه اخذ بحجة التحقيق معه فى النياية واقتيد الى قسم عابدين ، حيث
هدده رجال القلم السياسى بتشريح جسده اذا لم يعترف •

وقال انه بعد أن نال ضربا مبرحا أخذ مكبلا الى غرفة الحكماء ، فوجد فيها ابراهيم عبد الهادي باشا ، فدهش لوجوده . . ويظهر أن رئيس الوزراء لاحظ تلك النظرة فقال له « بتبص لي كده ليه ؟ انت عندك حاجة يا واد ؟ » ثم أمر باخراجه حيث ضرب بالفلقه .

وقال المتهم ان لديه شاهدا على هذا التعذيب وهو أمان الله خان .

الرئيس - من ملوك أفغانستان ؟

نايل - فعلا من الاسرة المالكة الافغانية ، وكانت نه قضية يعرفها القلم السياسي .

□ عدم اثبات الاصابات :

وقال نايل انه لما توجه الى سجن مصر ، رفض الطبيب أن يثبت اصاباته . فلما ألج عليه اكتفى بوصفها « قراحت » . وقال ان هذه المعاملة الهمجية الظاهرة جعلته يطعم في حى انيابة - وهو يعتقد أنها ستنصفه - ولكن لما استدعاه اسماعيل عوض بك رفض أن يسجل اصاباته بناء على طلب القلم السياسي .

□ عمليات تعرف مزيفة :

وقال ان عمليات التعرف عليه كانت مزيفة ، فان الشخصين اللذين تعرفا عليه كانا قد اجلسا قبلا بجواره طيلة ساعة كاملة .

□ صمت مخجل :

وقال ان هناك أشياء أخرى يخل من ذكرها أمام الناس .

وقى الجلسة التالية المنعقدة يوم ٢-٩-١٩٤٩ بدأ الحديث الدكتور عزيز فهمى المحامى فقال : ان المحكمة تفضلت في الجلسة السابقة بالاستماع الى أقوال المتهمين مالك ونايل . رة اتضح من هذه الاقوال ان بعض المتهمين كان هدفا للتعذيب لحملهم على الانضاء باعترافات معينة . وقد رأت المحكمة آثار هذا التعذيب على أجسامهم ، ووصف الرئيس هذه الآثار بأنها لا تزول مع الزمن - واستطرد الدكتور عزيز فقال : ولم يكن التعذيب جسمانيا فحسب ، بل كان انبعض هدفا لجرائم من نوع آخر يمس اعراض المتهمين واعراض اخواتهم وامهاتهم وزوجاتهم ، كما اشار الى ذلك كل من مالك ونايل وامسكا اللسان عنها استحياء . ثم طلب الدكتور عزيز من المحكمة أن تسمع

أقوال المتهمين فيما وقع عليهم من اعتداءات نمس الاعراض وتحققها لمحاكمة مرتكبيها طبقا للقانون . (ودارت مناقشة بين الدكتور عزيز في ذلك وبين رئيس المحكمة رفض في نهايتها رئيس المحكمة طلبه بالتحقيق في التعذيب)

□ لا حياة في القانون :

وقال الدكتور عزيز : ان المتهمين يريدان الادلاء بأقوال للمحكمة ، ومن حقهما أن يطلبوا الاستماع الى هذه الاقوال . ولقد منعتهما المحكمة في جلسة الماضية من سرد ما ارتكب ضدهما ويمس الاعراض بحجة أنه يتضمن عبارات نابية ، مع أنه لا حياة في القانون كما أنه لا حياة في الدين . واصر الرئيس على عدم سماع المتهمين . فتسأل الدكتور عزيز عما اذا كانت المحكمة ترفض سماع متهم ولا تريد ان تستنير . وقال ان الجرائم التي أشار اليها المتهمان تحمل مرتكبيها مسئولية جنائية عقوبتها الاشغال الشاقة او السجن . . . ومع ذلك اصر الرئيس .

● المتهم عبد الفتاح ثروت شاهدا :

وفي خلال جلسة ٣-٩ هذه استمعت المحكمة الى ندته من المتهمين في قضية اسيرة الجيب - بناء على رأى رئيس المحكمة - كشهود في هذه القضية ، ومن هؤلاء الشهود عبد الفتاح ثروت الذى قرر انه راصد جوى . وما ان سألته المحكمة عن معلوماته في القضية حتى اندفع يروى قصة تعذيبه . وقد استهل كلامه قائلا انهم عذبوه - وكشف للمحكمة عن آثار التعذيب في قدميه - ثم قال انه ارتكبت معه أعمال منافية للاداب .

الرئيس - بس . . بس .

الدكتور عزيز - نريد ان نسمع الشاهد .

الرئيس - ستسمعون ولكن ليس في جلسة علنية .

واستأنف الشاهد كلامه فقال انه كان يعذب بانضرب في سجن الاجانب والمحافظة . وكانوا يجبرونه في حجرة التعذيب على الوقوف من الصباح الى المساء حتى لا ينام . كما قبضوا على أقاربه ونكلوا بهم .

□ أصبحت محطها :

واستطرد يقول : لا يمكن ان أصور الآلام التي قاسيتها . . لقد كنت في عملى الحكومى نشيطا ، أما الآن فقد تحطمت اعصابى ، وأصبحت فريسة

للنوبيات والاضطرابات ، ولم يعمل لى طبيب السجن شيئاً .. وأنا أتناول أدوية من الخارج .

□ تعذيب أمام النائب العام :

وقال : لقد كان رجال البوليس السياسى يحضرون التحقيق ويهددونى بعد تعذيبى ، وذلك أمام سعادة محمود منصور باشا النائب العام السابق ، وقد شكوت له فقال لى :

« لا تتعب نفسك بالشكوى فنحن نعرف واحكومة تعرف وسوف نشرحك » .

□ ونام ابراهيم عبد الهادى :

واستأنف يقول : وقاموا بضربى يوماً ثلاث مرات فى المحافظة ومرة فى النيابة ، وأخذونى لابراهيم عبد الهادى فقال لى « تكنم أحسن لك علشان تطلع كما طلع غيرك » - وقال الشاهد : انه لانهار أعصابه وقع على أوراق لا يدري ما فيها .

وأجاب الشاهد على سؤال لغنام بك المحامى بأنه دخل على ابراهيم عبد الهادى باشا وملابسه ملوثة بالدماء فقال له « يا ولد انت عارف جنتكنم ازاي ولازم تقول كل حاجة » ثم أخرج بعدها الى غرفة التعذيب . وقال : انهم كانوا يفصحون له بانهم يعرفون كل شىء عن عائلته فقالوا له ان أخته مريضة بالسكر وانهم شردوا والده .. وقال أن البوليس طلب منه أن يذكر

كلما عن مالك وأن يتهمه بالاشتراك فى الحادث .

وأجاب على سؤال آخر لغنام بك بأنه قابل ابراهيم عبد الهادى باشا ثلاث مرات . وكان البوليس يهمس فى أذنه قبل المقابلة أن الباشا فى يده كل شىء . وكان الباشا يلح عليه فى ان يتكلم .

وقد وافقت المحكمة على إحالة الشاهد الى الكشف الطبى .

□ الاستاذ على منصور يطالب المحكمة بتحقيق التعذيب أو إيقاف المحاكمة

وقد طالب الاستاذ على منصور المحكمة بتحقيق التعذيب أو إيقاف المحاكمة حتى تقوم النيابة بهذه المهمة حتى ترى المحكمة ما يلقيه هذا التحقيق من ظل - وغيب على النيابة ان التعذيب تم بحضورها .. كما هاجم تقرير الكشف الطبى على « مالك » حيث قرر أنها مجرد تسليحات بسيطة من

اثر القيد الحديدى وانها لا تحتاج الى علاج بل تزول من نفسها على مرور
الايام .

وقال الاستاذ على منصور : لقد جانب هذا التقرير الحقيقة مجانية
سافرة ، اذ أن الآثار التى يكشف عنها « مالك » أمام المحكمة ليست
بالتسلخات البسيطة ، ومنها ما هو بالفخذ مما لا يعقل أن يكون من القيد
الحديدى .

وقال انه يتمسك بتحقيق التعذيب انشابت من الآثار المادية التى
شاهدها الجميع فى قاعة الجلسة ، كما ان لدى « مالك » شهودا على وقائع
تعذيبه هم الدكتور جمال عامر والشيخ محمد جبر وسيد أفندى شامه ومحمد
أفندى أمين حنفى .

□ يتهم البوليس السياسى بأنهم قتلوا متهمها ودفنوه :

ثم قال الاستاذ على منصور : والدليل على ذلك أيضا انه قد توفى بين
أيدي الجلادين أحد الشقيقتين أحمد عبد النبى أو محمد عبد النبى ، وفك بدار
محافظة الاسكندرية حيث تولت الادارة دفنه فى مكان مجهول ثم أخطرت أهله .

واستطرد يقول : هى حقائق مقتطفة من كثير مما ثبت لدى ولا يستطيع
بيناخه خوفا على مراكز من يعرفنى بها . وفى هذا الكفايه اضعه أمام الضمائر
الحية لحضرات المستشارين والنضباط العظام لتقديرها .

□ الدكتور عزيز فهمى يقول «هذا التعذيب لم يقع مثله فى القرون الوسطى»

فى جلسة ١٩٤٩-٩-٢٦ جاء فى مرافعة الدكتور عزيز فهمى عن التعذيب
قوله :

« ان هذه الجرائم التى يتحدث عنها الناس فى الاندية العامة والخاصة،
لم نسمع لها مثيلا من قبل ، فلقد كان عهد فلبيدس وبدر الدين ومن اليهما
من الطغاة والمستبدين - الذين وصفت محكمة النقض والابرار عهدهم بأنه
كان اجراما فى اجرام - عهدا انسانيا بآنسبة لهذا العهد الاخير .

ولقد كان فلبيدس وبدر الدين ومن اليهما ملائكة رحمة اذا قورنت
جرائمهم بهذه الجرائم - ان هذه الجرائم لا يمكن أن يرتكب مثلها فى بلاد
الهمج ، ويستحيل أن يكون مثلها قد وقع فى القرون الوسطى او فى المجتمعات
البدائية دون أن ينال مرتكبوها جزاءهم الصارم .

ثانيا - فى قضية السيارة الجيب :

فى جلسة ١٩٥٠-١٢-١٩ استتمت المحكمة الى ثلاثة من المتهمين فى

قضية الاوكار وجودة باعتبارهم شهود نفى في هذه القضية وهم سعد جبر التميمي ومصطفى كمال عبد المجيد وعبد الفتاح ثروت .

● سعد جبر - ضريوني بالحذاء في وجهي :

قال انه استأجر فيلا الزيتون ، ولم تكن الاجهزة التي بها هي محطة اذاعة كما أذيع وانما هي أدوات لشروع تجارى خاص بتسجيل اسطوانات المطربين في مصر بدلا من الخارج . وقال انه اعتدى عليه بالضرب حتى منتصف الليل على يد الصاغين (الرائدین) توفيق السعيد وعبد المجيد العشري والجاويش مصطفى التركي الذى كان يضربه بالحذاء في وجهه .

● مصطفى كمال - عقلت كاذبيحة وشووني بالسجاير امام عبد الهادي :

قرر أن كل ما نسب اليه في التحقيقات هو عن املاء اللواء طلعت بك بعد تعذيبه - وقال : علقوني في شباك القسم زى الذبيحة ، ولما صرخت شووني بالسجاير المولعة - وجاء ابراهيم عبد الهادي باشا ماستغنت به ولكنه لم يعبا بي وأشار على ضابط ضخم معه لمواصلة تعذيبى قائلا : شرحوه .

كما انهم لم يسمحوا لى بالنوم ابدا . وقد حاصرني ضابطان كانا يبادرانى بصفعى كلما همت عيني بالنوم وكانوا يجعلونى أوقع على أوراق وأنا كالجثة الهامدة - وقد استغثت بحضرة المحقق محمد عبد السلام بك فلم يعبا بي وتخطى عني .

● عبد الفتاح ثروت مرة أخرى :

ولما كانت حالته لاتمكنه من اداء الشهادة واقفا مقد سمحت نه المحكمة بالجلوس على مقعد . وقد قرر أنه لم يعترف بأى شىء في التحقيق وان التعذيب جعله فاقد الشعور .

□ جردوني من ملايىسى :

وروى بصوت مرتعش ضعيف صنوف التعذيب فقال : ان اللواء طلعت بك عدده بانتشريح اذا لم يعترف قائلا : ان البلد في أحكام عسكرية - ثم قال : واخذونى الى غرفة انضابطين العشري وفاروق كمال وجردونى من ملاسى ونزلوا في ضرب من تسعة مساء الى أربعة صباحا .

□ الفلانة انكسرت :

ولقد قسموا أنفسهم أربع مجموعات ، كل مجموعة من ١٢ عسكري

بضابط ، ووضعوا رجلى فى الفلكة واستمر الضرب حتى ان الفلكة انكسرت .
ثم استعملوا كرابيج الهجانة . . ولما أفقت من اغماثى قال لى طلعت بك :
هذه هى الجولة الاولى والبقية تأتى .

□ أمر بالسوت :

وأخذونى الى ابراهيم عبد الهادى باشا فقال لى : أنا عندى أمر انى
اموتك . . ثم أمر بموالاة تعذيبى . وكان التعذيب على أربع درجات : بالضرب
بالعصى والكرابيج ثم الكى بالنيران ، وأحضروا شيخ حديد محمى ولكن
الضابط محمود طلعت طلب من الضباط ان يكفوا عنى قائلا : ده صاحبى
وسيعترف بكل شئ . . . ثم نمت على الاسفلت فكانوا يطرقون الباب حتى
يهرب النوم من عينى . وما كانوا فى حاجة الى ذاك لاننى لم أكن أستطيع
الرقاد على أى جزء من جسمى المشوى كله .

□ اعتداء منكر :

ثم طالبونى بالاعتراف وهددونى ان لم أفعل أن يعتدوا على اعتداء
منكرا . وفعلنا تقدم واحد يريد الاعتداء على . . فقلت له : أنا أعرف اننى
لا أستطيع مقاومتك . وانت يمكنك أن تفعل معى هذه الجريمة . ويمكنك أن
تنجو من عقاب القانون . . ولكنى أريد أن أقول لك قبل أن تبدأ : ان الله لن
يترك هذه الجريمة بلا حساب . . . فابتعد عنى .

□ هاتوه اخرس : وظل تعذيبى . . وتلفت أعصابى . . وكنت لما اذهب
الى اسماعيل عوض رئيس النيابة وأشكو له يضرب الجرس ويأتى الحرم
فيقول لهم هاتوه لى اخرس خالص .

□ أنا الحاكم العسكرى :

وجاعنى ابراهيم عبدالهادى باشا ٤ مرات وقالى : أنا أبهلك وأبهلك اهلك .
وأنا الحاكم العسكرى . كما جاء النائب العام محمود منصور باشا فلما تقدمت
له شاكيا قال : أنا عارف كل حاجة . وتركنى .

□ حفظة الامن :

وقال : ان من الغريب حقا اننى حينما حضرت اليوم لاداء الشهادة وجئت
بعض رجال البوليس السياسى معهودا اليهم الحافظة على الامن . وكنت
أعتقد أنهم الآن امام المحاكمة لماعتبتهم على ما ارتكبوه من أثام .

الرئيس - هل طلبوا منك أقوالا معينة ؟

الشاهد - نعم . . أن أقول أنني أعرف مالك وعاطف وأننى مشترك فى الاعتداء على حامد جوده .

□ نوبة عصبية :

وما كاد المتهم ينتهى من هذه العبارة حتى ارتجف بدنه وحملق فى الهواء وأصيب بنوبة اغمائية ، وجعل يرسل شهيقا عصبيا مؤلما أبكى معظم الحاضرين فى القاعة - وبادر رجال البوليس برش الماء على وجهه ، كما خف اليه طبيب من الموجودين وحملوه الى الخارج .

وقد وافقت المحكمة على اثبات ذلك فى المحضر .

● عبد المجيد نافع يقول : أقسم ان عبد الهادى كان يحضر التعذيب :

تحدث الاستاذ عبد لمجيد نافع فى مراقبته عن الاعترافات والتعذيب فقال : ان التواتر يعتبر حجة . والذى تواتر على اللسنة أن حوادث تعذيب مروعة كانت تقع على كثير من المتهمين . بل كان الناس يتناقلون فى مجالسهم الخاصة والعامة أن هذا التعذيب كان يقع بأوامر من ابراهيم عبد الهادى باشا أو على الأقل بمعرفة منه أو على أقل القليل كان يصادف هوى فى نفسه .

ولقد مثل ابراهيم عبد الهادى باشا بين أيديكم ، واعتصم بالانكار البات فيما تعلق بوقائع التعذيب ، ولكن عبد الهادى باشا انسان ، وقد كان رئيس حكومة ووزير الداخلية فلا يعقل ان يعترف امام الرأى العام بأنه كان يأمر بالتعذيب .

لقد أقسم عبد الهادى باشا بتسرفه انه لم يشهد التعذيب . والدفاع يقول « لقد قال لكم « بروتس » ذلك ، « بروتس » رجل شريف وكفى » .

□ يمين على أقوال ضابط :

ثم عاد الاستاذ نافع فقال : اننى أقسم يميناً ، ويميناً حقاً بأننى سمعت من أحد كبار الضباط ان ابراهيم عبد الهادى باشا كان يحضر بنفسه عمليات التعذيب .

□ الى متى هذا البوليس السياسى :

ثم قال : : ان البوليس السياسى قد استعمل من صنوف التعذيب للمتهمين ما لم يتصوره احد . حتى ان هيئة الدفاع التى شكلت للدفاع فى

قضية قنابل ٦ مايو (ليست من قضايا الاخوان) كانوا يصرخون ظلما من نصرفات رجال البوليس السياسى ومنهم عبد الفتاح الطويل باشا ومحمود سليمان غنام بك وعمر عمر بك وعبد الفتاح انشقاقى بك (منهم من تولوا منصب الوزارة بعد هذه القضية التى ترافعوا فيها) ونرجو أن يعملوا شيئا لاصلاح هذه الحالة .

ثالثا - فى قضية جودة والاوكار :

فى ٦-١١-١٩٤٩ أثبت الطبيب أن أحد المتهمين خزعت اظافره .

□ أمر عسكرى باخضاع سجن الاستئناف للبوليس السياسى :

الاستاذ فتحى رضوان المحامى - اطلب من المحكمة أن تأذن لى بأن يسلمنى المتهم الثانى التقرير الذى كتبته عن وقائع تعذيبه ومعذبيه وشهود التعذيب ، على أن يكون ذلك مباشرة دون أن تطلع النيابة عنى هذا التقرير .

وقد فهمت عند مقابلة المتهم فى السجن أن أمرا عسكريا صدر لمدبر مصلحة السجون يخرج سجن الاستئناف من سلطة مصلحة السجون ، ويخضعه الحاكم العسكرى ، بمعنى أن احاكم رأى أن يدخل ضباط القسم السياسى سجن الاستئناف وكما يتساءلون ، مع أن لائحة السجون تمنع دخول أحد الا باذن من النيابة . واطلب ضم هذا الامر العسكرى فان صدوره يعنى أن الحاكم العسكرى رأى أن الاجراءات العادية لا تمكنه من سير التحقيق على النحو اذى يرتضيه .

الرئيس - ماذا يهم الدفاع من ذلك ؟

فتحى رضوان - صدور هذا الامر يدل على أن المحقق ضاق ذرعا بالنظام العادى المتبع فى كل قضية وأن الاعترافات صدرت فى ظل اجراءات شاذة مخالفة للقوانين .

الرئيس - ما هو رقم هذا الامر ؟

فتحى رضوان - لم أمكن من معرفة ذلك .

الرئيس - ألا تكون المسألة مهمة ؟

عبد الفتاح حسن المحامى - ان الدفاع مصدق . وفتحى بك يذكر واقعة محددة فى فترة معينة ، ومن حق المحكمة أن تستجليها ، كما أن من حق الدفاع أن يبرز الظروف التى شابته هذه القضية ، ومن بينها العمل على الوصل بين ضباط القلم السياسى وبين المتهمين ، فى سجن الاستئناف .

فتحى رضوان - أن واقعة هذا الامر العسكرى ليست مستنتجة أو مدعاة بل سمعتها من نفس موظفى السجن ، وأطلب ضم قضية مقتل سليم زكى باشا حيث نسبت فيها لبعض المتهمين اعترافات ثم رأت النيابة حفظ القضية مع وجود هذه الاعترافات . والدفاع يستفيد حين يقدم نموذجا من تحقيقات القضايا في ذلك العهد وظروف الاعترافات وحفظ انقضايا رغم وجود اعترافات فيها .

عمر التماسانى المحامى - أطلب ضم ملف قضية مقتل النقراسى باشا لان موكلى (الثالث) كان شاهد نفى أثناء التحقيق فيها ، وقد احيل ومقتذ على الطبيب الشرعى فأثبت وجود آثار تعذيب به ، كما أطلب ضم ملف خدمة المتهم بالارصاد الجوية ، حيث ان البوتيس السياسى استطاع ان ينتزع صورة المتهم من ملف خدمته وأن يعرضها على الذين تعرفوا عليه . وقد ناقشه الرئيس في هذا الطلب فتدخل في المناقشة الاستاذ عبد الفتاح حسن .

عبد الفتاح حسن - ان من مصلحة الدفاع ان يضم ملف خدمة المتهم حتى يتبين للمحكمة الموقرة مدى تزايد هؤلاء الاشخاص الذين عاونوا المحقق . وذلك رصيد نقدمه لان دفاعنا سيستقى من هذا المعين ، وسنقدمه للتدليل على الاكاذيب التى اكتنفت التحقيق .

الاستاذ مختار عبد العليم - أطلب احالة موكلى (الرابع) الى طبيب اخصائى في امراض الاذن لانه فقد سمعه وأصبح (أطرش) نتيجة تعذيبه . الرئيس - لقد احيل على الكشف ولم يثبت به شيء .

مختار - الطبيب الشرعى فحص غقط الاصابات الظاهرة ، ولقد مضى على احداثها عدة شهور فامحت ، أما آثارها فباقية ومنها فقد المتهم سمعه .

عبد الفتاح حسن - ان الذى قام بالتحقيق في قضيتنا هذه هو المحامى العام - ولا أسميه - حقق أيضا القضية المحدد لنظرها ١٥ الجارى بالاسكندرية « قضية اخفاء يوسف على يوسف » وفي القضية المذكورة تقرير من الطبيب الشرعى بأن أحد المتهمين قد انتزعت اظافره انتزاعا ، وعلى الرغم من ذلك لم يثبت المحقق هذا في محاضر تحقيقه .

ومن حق الدفاع ان يحصل على صورة من هذا التقرير الطبى حتى يسعر المحكمة بالدليل المادى بأن التحقيق الذى باشره شخص معين كان كان يغفل الوقائع الخاصة بالتعذيب حتى الاظافر المنتزعة لا يمكن ان يكون تحقيقا أميناً . فارجو ان تاذن لى المحكمة بصورة من هذا التقرير .

(وكان الدفاع قد طلب تقارير استشارية عن بعض المتهمين وقررت المحكمة اجابة جميع طلبات الدفاع) .

□ مكافاة المتواطئين :

في جلسة ١٩٥١-٣-٥ استمعت المحكمة الى اقوال مصطفى كمال عبيد المجيد ونجيب جويل وبقيّة المتهمين . وكان من اقوال عبد الفتاح ثروت أن التعذيب يبتدىء بالفلكة والكرباح وينتهي بالقتل ، وأن ارمباب البوليس السياسى له بلغ حد استعدادة لان يعترف بأنه قتل النقراشى رغم اعتراف قاتله - واعترف شهود الاثبات وأكثرهم من جنود البوليس بأنهم قبضوا مكافآت سخية من ابراهيم عبد الهادى باشا .

□ رئيس النيابة زور التحقيق :

ونكر أحد المتهمين في سياق أقواله بأن اسماعيل عوض بك رئيس النيابة والمحقق في قضية حامد جودة كان متخصصا في التزوير وقلب الحقائق ، فكان لا يثبت في محاضر التحقيق الا ما يمليه عليه رجال القلم السياسى .
وهنا وقف الاستاذ صادق المهدى بك ممثل النيابة وقال انه يحتج على هذه الالفاظ التى يتفوه بها المتهمون . وقال ان المحقق وهو مستشار الآن ينزه عن ذلك الكلام .

وعلى اثر ذلك وقف الاستاذ عبد المجيد نافع الحامى وقال : ان للمتهم ان يخرج المحقق ، وله ان يهدم أدلة الاتهام بما يشاء . ثم التفت الى ممثل النيابة وقال : انى سوف أكون على استعداد لتجريح حضرة ممثل الاتهام بالذات ، وانى سأهاجم ما استطعت المحقق في قضية حامد جودة بالذات ، بل اتى سأهاجمكم أنتم . وانى أعتبر ذلك انذارا لكم . وان الدفاع يعرف واجبه حق المعرفة وسوف يؤديه على أكمل وجه .

□ وزير الزراعة مع متهم :

في جلسة ١٩٥١-٣-١٢ قال المتهم محمود محمد دعبس انه بعد تعذيبه اخلوه حجرة اخرى وقالوا له : ستقابل الباشا . . فرأى عبد الهادى وبجواره شخص لا يعرفه ، فأشار عبد الهادى الى هذا الشخص وقال له : هل تعرف هذا الشخص ؟ فقال لا . فقال انه معالى وزير الزراعة احمد عبد الغفار باشا - فتقدم نحوى وزير الزراعة وقال : نحن بلديات وانا اعمل اصلحتك ، والاجر بك ان تعترف حتى تنقذ من هذا العذاب . ثم قال المتهم : ومن هذه الفترة وقف التعذيب لانى قريب الباشا .

□ البوليس يقيم في مسكنه مع أمه وأخته :

وقال المتهم يوسف عبد المعطى ان ثلاثة من رجال البوليس السياسى أقاموا في مسكنه مع أمه وأخته لمدة أسبوعين بعد اعتقاله واعتقال والده وقد أرسلت أخته (سن ١٢ سنة) برقية الى النائب العام بطالب بإخراج البوليس من الشقة ولكن عهد الارهاب لم يستجب .

□ النائب العام يأمر بعدم اثبات الاصابات :

وقال المتهم محمد نايل الطائب بالهندسة انه لما ناد الى سجن مصر - الذى كان يثبت وقتئذ اصابات كل من يرد اليه - حدثت أزمة استدعت حضور النائب العام السابق محمود منصور باشا الذى أصدر أمرا بأن لا يثبت السجن اصابات أى متهم .

□ عبد الهادى يكذب على مجلس الشيوخ :

وقال المتهم عصام الدين الشريبنى وهو من طنطا : ان الضابط سعد الدين السنباطى رئيس القلم السياسى بطنطا اعتقله وحبسه ونقله الى القاهرة وهدده بأن والده وفدى . وقال المتهم : بعد أن عذبت في القاهرة حملنى الجنود وعرضونى على ابراهيم عبد الهادى باشا وأنا محمول . وقد فكرنى هذا انتظر بالمناظر التى نراها فى السينما عن رئيس انصاابة - هو ينظر مزهوا الى الضحية بهن يدي أعوانه .

ثم قال المتهم : ان فؤاد سراج الدين باشا حين وصلته أنباء اعتقالنا قدم استجوابا فى مجلس الشيوخ ، فاجاب عن الاستجواب ابراهيم عبد الهادى باشا معلنا فى كذب جريء صريح انه لا أنا ولا أى واحد من أسرتنا فى الاعتقال . وقال المتهم ان ذلك ثابت فى مضبطة مجلس الشيوخ ، واننى أطالب بضمها لتروا كيف أن رئيس وزراء بلد وحاكمها العسكرى وكتاتورها قد كذب على مجلس المشيوخ المحترمين . فهل يستبعد عنه ان يلفق لنا التهم؟

□ هذا هو الطبيب الشرعى :

ثم قال : لما أدخلت على اسماعيل عوض بك رئيس النيابة حافى القدمين التمنت منه أن يحيلنى على الطبيب الشرعى . فأظهر سماعته استجابة سريعة لهذا الطلب . واذا به يستدعى الصابط أحمد طلعت بك ويقول : هذا هو الطبيب الشرعى . داويه يا أحمد بك - ومنذ تلك اللحظة (حرمت) أن أطلب بالطبيب الشرعى .

● المطالبة بتحقيق التعذيب :

في جلسة ٩-٤-١٩٥١ طلب المحامون أن تبدأ المحكمة بتحقيق التعذيب، وعارضتهم النيابة . وقررت المحكمة النظر في طلب الدفاع بعد سماع الشهود .

□ تهافت البوليس على الكفاة الحكومية :

وفي جلسة ١٠-٤-١٩٥١ استمعت المحكمة الى شاهد هو على محمد على الطالب بكلية الحقوق قال : انه كان يسكن هو وبعض زملائه فيلا بمنطقة الهرم ثم نقنوا منها الى فيلا مجاورة .

وفي اول فبراير ١٩٤٩ حضر شخص ومعه سمسار لاستئجار الفيلا فارشده الى صاحبها وتم العقد . وبعد مضي شهرين لاحظ الشاهد تغيب السكان ، فذهب ومعه بعض رفقائه للسؤال عنهم ، ولكنهم فوجئوا بوجود باب المسكن مفتوحا . فلما دخلوا لاستطلاع الامر وجدوا في احدى الحجرات اجهزة لاسلكية وأدوات أخرى .

واستطرد الشاهد يقول انهم ارتابوا في الامر وتوجهوا فورا الى بندر الجيزة وأبلغوا المأمور فأحالهم الى ضابط المباحث الذي شكرهم على هذا البلاغ ونصحهم أن لا يذكروا شيئا عنه ، وأنه سوف يجرى التحقيق ويبعدهم عن الشبهات اذا ما قرروا أنهم لم يبلغوا شيئا ، وذكرهم بأن مكافأة الحكومة لا قيمة لها - ومع ذلك فقد اعتقل هو ومن معه واستمروا في السجن خمسة عشر يوما .

فاستدعت المحكمة ضابط المباحث وهو الملازم اول حسن أبو باشا فادعى انه كلف بتفتيش المساكن المتطرفة وأنه هو الذي عثر على هذه الفيلا . وهنا واجهت المحكمة هذا الضابط بالشاهد فأصر كل منهما على أقواله . ولكن الشاهد لم يقنع بهذا وطلب من المحكمة أن يحلف الشاهد على المصحف على صحة أقواله . وأيده الدفاع ولكن النيابة اعترضت بأن هذا القسم لم يرد في القانون .

□ والدة متهم تربط بقيق واحد مع احدى العاهرات :

وقبل ان ينصرف هذا الضابط وقف المتهم صالح الجنائني وأشار اليه قائلا : ان هذا الضابط أحضرني الى بندر الجيزة في ٢٠ مايو ١٩٤٩ وهددني بوجود مظروف سيؤدى بي الى حبل المشنقة اذا لم اعترف . فلما أخبرته بأنى لا اعرف شيئا ، امر الجنود باحضار والدتي - وكان قد استحضرها من بلدي

بمحافظة الشرقية ووضعت في الحجز - ولكنى لم أصدق هذا حتى نبيننت لى الحقيقة المرة ووجدت العسكرى يدخلها علينا وهى مربوطة بقبيل حديدى واحد مع احدى العاهرات ، وكانت العاهرة عارية الثياب • فأشار اليها الضابط

وقال لى : شوف نجعل وانحنك كهذه العاهرة اذا لم تتكلم • واستطرد المتهم يقول : ثم أحضروا أخى الصغير - وهو كفيف البصر - ومعه ابن عمى - وهو مريض بالصرع - والدم ينزف منهما • وقال لى الضابط : انظر بعينيك لتعرف مصيرك ومصير أهلك • ثم أخرجونى وحملت على المحقق الذى أعرض عنى وانشغل بمكالمة تليفونية • ثم دخل هذا الضابط وأخرجنى حيث نصبت لى فلقه من نوع جديد ابتكروه لى وتوالى التعذيب •

وسئل الضابط عن صحة هذه الوقائع فأكرها •

● الدفاع يطلب سماع شهادة محققين فى هذه القضية :

وعلى أثر افتتاح الجلسة التالية للمحكمة فى ١٣-٤-١٩٥١ طلب أحمد حسين المحامى اعفاء من الانتداب وتنزله عن التوكيل عن المتهمين لانه لا يستطيع الاستمرار فى القضية مالم تأخذ المحكمة بما طلبه من اجراء تحقيق فيما تم من تعذيب - فرد عليه رئيس المحكمة بأن المحكمة وافقت على طلبات المحامين • وزملاؤه تقدموا بحوالى خمسين شاهدا للتحقيق فى وقائع التعذيب وطلبت منه تقديم ما عنده فى هذا الشأن - فشكر المحكمة وطلب منها سماع أقوال الاستاذين عصام الدين حسونه وعدلى بغدادى وكيل النيابة لانهما اشتركا فى تحقيق هذه القضية • فأجابته المحكمة الى هذا الطلب •

● هل هناك أدلة قانونية على التعذيب ؟

فى جلسة ١٦-٤-١٩٥١ قال رئيس المحكمة ان المحكمة قررت تحقيق هذه الوقائع بالفعل • وكل متهم يقدم دليلا على تعذيبه فنحن على استعداد لتحقيقه •

البهنيى بك المحامى - المتهمون لا يستطيعون ان يقدموا أدلة ، لان التعذيب كان يحصل بين أربعة جدران • وهم لا يستطيعون الاستشهاد باحد خصوصا وان المحيطين بهم كنهم من رجال البوليس • وكان الاطباء يدعون للكشف عليهم بعد عدة شهور من وقوع التعذيب ، مما يجعل الاطباء يثبتون آثار الاصابات وان كانوا لا يستطيعون الجزم بها •

الرئيس - ان المحكمة ستقدر كل ذلك •

□ كلهم خطرون :

سالت المحكمة الضابط محمد الجزار عن وظيفتهم في هذه القضية ،
فاجاب بأننا نبحت عن جميع الخطرين ونضبطهم .

الرئيس - من من هؤلاء كان خطرا ؟

الجزار - اتضح انهم كلهم كانوا خطرين . ولكن لا أنكر احدا بالذات .

الرئيس - هل يعد من الخطرين في الكشفوف الشيخ عبد اللطيف
الشعشاعي وهو ضريير وانشيخ جبر التميمي وسنه ٧٠ سنة والشيخ احمد
الشناوى القاضى الشرعى والشيخ ابراهيم على سعه المدرس في كلية
الشريعة ؟

الجزار - ما أنا الا ضابط . غلو صدر أمر لى بضبط أحد فأنا أضبطه .

□ اغتيال البوليس السياسى أحمد شرف الدين :

ادعى البوليس السياسى أن أحمد شرف الدين كان في وكر بشبرا وكان
يحمل مدفعا رشاشا وجهه الى القوة التى هاجمت الوكر - ودفاعا عن النفس
ضربوه بالنار فقتلوه ولم يصب منهم أحد . وقد دار النقاش حول هذا
الحادث بين زكى البهنيهي بك وبين الجزار على الوجه الآتى :

البهنيهي - هل كان أحمد شرف الدين يستعمل المدفع الرشاش في
منزل روض الفرج ويوجهه الى القوة في نفس الوقت ؟

الجزار - نعم .

البهنيهي - وكيف لم يصب أحد من القوة ؟

الجزار - هذه ارادة الله . (ضحك)

البهنيهي - بل هي بركة الاخوان تخلت عن الاخوان وحلت على رجال
البوليس - الواقع يا حضرة الصاغ أن المسألة غير معقولة . وقد فهمت أن
استعمال المدفع الرشاش لا يحتاج تصويبه الى أى مجهود فنى اطلاقا .
فكيف وشرف الدين كان ضابطا في الاحتياطى متمرنا على استعمال هذا
المدفع وغيره ؟

● خداع البوليس السياسى للشيخ جبر التميمي وعبد الرحمن عثمان:

في جلسة ٢٢-٤-١٩٥١. استمعت المحكمة الى شهادة احمد طلعت

الضابط بالبوليس السياسى . . فقدم للمحكمة ورقتين ، أحدهما مكتوب فيها شهادة من الشيخ محمد جبر التميمى أنه يثنى على حسن معاملة البوليس السياسى له - فأحضرتة المحكمة وسألتة فاعترف بأنه كتب هذه الورقة ولكنه قال :

ظللت فى القسم حوالى عشرين يوما لم أطلب فيها ، وكانوا يعرضون على بين الفترة والاخرى المعتبين أمثال مانك وأحمد فؤاد الصادق . وكان فى القسم معتقل من الاخوان اسمه على ابراهيم كان يتولى تصميم جراح الاخوان .

وقال الشيخ اجابة على سؤال من المحكمة : ان الاخوان كانوا يؤخذون بغير سؤال ولا جواب . وأنا شخصيا كرهت كلمة « الله أكبر والله الحمد » لأنها كانت تجر الى جحيم لا نهاية له . وقال اننى لم أكتب هذه الشهادة الا بعد أن طلبوها منى .

● عبد الرحمن عثمان شاهدا :

أما الورقة الاخرى فكانت عبارة عن خطاب موجه من المتهم عبد الرحمن عثمان الى أهله مكتوب فيه : « اننى مرتاح وفى حالة جيدة وأطلب ارسال ملابس » فأحضرتة المحكمة كشاهد فى هذه القضية ، فاعترف بكتابة الورقة وقال :

ان الصاغ توفيق السعيد كان يستدعينى ليلا ، ومهمته تحطيم أعصابى . وبدعوى الاشفاق على وقد رأى ملابسى قد تمزقت أن اكتب خطابا لعائلتى بخصوص الملابس ، وكتبت الخطاب . . ومهما كان الانسان فى ضيق فلا بد أن يخبر أهله أنه مرتاح - ولما كنت أعرف عن رجال القلم السياسى المكر والخداع ظنبت من المحقق أن يسمح لى بارسال خطاب . . اذ كنت على يقين بأن الخطاب السابق لن يرسل . فعلا هذا هو الذى حصل ، وظل توفيق السعيد محتفظا بالخطاب حتى قدم للمحكمة ليكون دليلا على أننا كنا مرتاحين فى السجن .

□ جريمة خلقية :

وقال المتهم عبد الرحمن عثمان : اننى اذكر يوم ١١ يوليو ذهبت برفقة الملازم أول فاروق كامل وظللت ست ساعات فى المحافظة ، واعتدى على الصاغ العشرى بالضرب ومعه عسكري أظن أنه رقى لدرجة النصول ويدعى حسب الله . . وما كان الضرب والتعذيب يحملانى على الاعتراف وانما التهديد بجريمة خلقية . وقد است فى ذلك الوقت أن مبادئ القانون قد ديسست .

وفي ١٢ يوليو استدعاني المحقق محمد عبد السلام بك فظنفته حصنا

لى ، ولكنى وجعته عونا لرجال السلطة التنفيذية على .

□ اتهامه عبد الهادى بقتل حسن البنا :

وفي يوم ١٤ يوليو حضر الملازم كمال الرازى وأخرجنى من انسجن لتوصيلى الى نيابة الاستئناف . ولكننى فوجئت بالصاغ محمد على صالح والملازم فاروق كامل يصحبانى الى محطة القاهرة . وصعدت الى القطار الذاعب الى الاسكندرية . وبمجرد تحرك القطار أدخلنى صالونا وجدت به ابراهيم عبد الهادى باشا - واحب ان أسجل ان هذه المقابلة لم تكن كما زعم دولة الباشا بخصوص أحمد محمود يوسف ابن خالى ، وانما كانت بخصوص التحقيقات نفسها وكان مع عبد الهادى باشا محاضر التحقيقات .

وأخذ الباشا يسألنى عدة أسئلة حتى ينس منى لانى لم أجبه على شىء - فقال لى : ما رأيك فى شعور الاخوان بعد قتل مرشدهم ؟ فقلت : ان شعورهم ينحصر فى أن دولتك قاتل حسن البنا . فذهل الباشا ، وكان لهذا الرد وقع اليم فى نفسه ، وطلب منى الافصاح عن هذا القول فقلت له :

اننا نعلم جميعا أن الانوار أمام جمعية الشبان المسلمين اطفئت ، وارتكب الحادث بسيارة محمود بك عبد المجيد رئيس المباحث الجنائية . . . فأتق الباشا مليا ، وطلب لى مشروباً « ساقع » ولكننى رفضت لانى كنت صائما فى رمضان فاذن لى بالخروج فخرجت .

● دماء على الحائط :

ثم قال : وقد فاتنى ان اذكر انى حينما دخلت الحجرة رقم (١٢) فى سجن الاجانب ، وجدت على الحائط آثار دماء مشارا اليها بقوس ومكتوب تحتها عبارات « لقد مزقوني اربا اربا ، وسعادتى فى ايمانى ، وايمانى فى قلبى ، ولا سلطان لاحد على قلبى » ومذيلة بأمضاء اسماعيل على - واطن ان آثار هذه الدماء موجودة حتى الآن .

□ اتيابة تتقتل :

ومنا طلب الدفاع ان تامر المحكمة بتحقيق هذه الواقعة . فكلفت المحكمة الأستاذ صادق المهدى ممثل النيابة بالانتقال مع الشاهد وبصحبه الأستاذ أحمد السادة من هيئة الدفاع الى السجن ومعاينة المكان واثبات حالته .

ثم طلبت المحكمة المتهم اسماعيل على وواجهته بالشاهد ، فقرر انه كان

بهذه الحجرة وظل بها حوالى شهر ثم رحل بعد ذلك الى سجن مصر . وقال انه كتب كلاما كثيرا وآيات قرآنية ومنها نفس الكلام الذى ذكره الشاهد . وقرر انه كتب هذا الكلام بواسطة قطعة من زر جرس كان بالحجرة وحفر به هذا الكلام على الحائط تحت الدم الذى كان يمسحه على الحائط من آثار الضرب والتعذيب والجروح الموجودة بجسمه .

وأضاف الشاهد قوله : انى أتذكر أن هذا الكلام مكتوب على الحائط على يسار الداخل على ارتفاع حوالى متر . وانى أنا شخصيا حفرت على الحائط عبارة « أدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » .

□ نتيجة المعاينة :

وجد أن كل ما قرره المتهم والشاهد صحيح ، حيث وجدت على الحائط عبارة « أيتها العصابة الطاغية ، لكم الجسد البائى فمزقوه ان شئتم أربابا ، فان ذلك لن يشقىنى أبدا أبدا ، لان سعادتى فى إيمانى ، وإيمانى فى قلبى ، وقلوبى لا سلطان لأحد عليه الا الله » وقد وقع على ذلك بامضاء اسماعيل على .

ووجد بجوار هذه العبارة كلمات « ايذاء زائد ضبر زائد بلاء زائد صبر زائد تعذيب زائد صبر ينساوى نصر » - ووجدت آثار الدماء على الحائط فى خطوط سوداء قاتمة اللون . ووجد أن مفتاح الجرس الذى أشار المتهم الى أنه استخدمه فى الحفر على الحائط مخلوع من مكانه وقد ركب بدله جرس آخر . وقد حرر محضر بكل ذلك وختم على الغرفة بالشمع الاحمر .

● العسكرية الاسود :

هو أحد معالم ذلك العهد الدنس . وهو عار لا يحى مهما طال الزمن . وهو الشخص الدنى الذى رضى لنفسه أن يكون آلة فى يد البوليس السياسى فى تهديد المتهمين بهتك عرضهم لحملهم على الاعتراف بما يريدون .

وقد ذكره المتهمون أمام المحاكم التى حاكمتهم . ولكن الأدلة القانونية ، واسمه الحقيقى ، ومكان وجوده وقت المحاكمات ، لم يكن متوفرا . . . ولكن جريدة أسبوعية كانت تصدر فى ذلك الوقت وكانت ذات نشاط صحفى مبتكر تسمى جريدة « الجمهور المصرى » تبنت هذا الموضوع ، وحملت على عاتقها كشف سر هذا الشخص الدنى . . . وجازف اثنان من محرريها هما الأستاذان ابراهيم البهشى وسعد زغلول وقاما برحلة يكتنفها الخطر . بعد أن اثبتت تحرياتهما أن هذا العسكري قد سرح من البوليس وأنه مقيم فى بيلدته الأصلية « أدفو » .

واستطاع هذان الصحفيان - بطريقتهم الخاصة - أن يلتقيا بالعسكري الاسود في بلدته ، ونشرت جريدة « الجمهور المصرى » اسم هذا الشخص ومحل اقامته . . . وبناء على ما نشر في هذه الجريدة أمرت المحكمة النيابة باحضاره لسماع أقواله باعتباره شاهدا .

وفي جلسة ١٠-٥-١٩٥١ حضر هذا الشخص واسمه « أمين محمد محمود مرسى النقيب » في سن دون الثلاثين ، وتمسك بالانكار التام المطبق . . . ولكن الدفاع كان قد علم بأن طريقة احضاره من بلدته وحضوره الى النيابة قد تخللها مناورات خطيرة قام بها البوليس السياسى فى القاهرة .

وقد واجهه الدفاع بما أخرج في كيفية تسفيره من بلدته الى القاهرة ، وفي نزوله أول ما حضر عند ضابط من ضباط القلم السياسى اسمه مرتضى . . . مع أنه كان يجب أن يسلم نفسه مباشرة الى النيابة .

وطلب الدفاع من المحكمة أن تسمع أقوال سعد زغلول الصحفى فى جريدة « الجمهور المصرى » فكان الموجود زميله بالجريدة الاستاذ البعثى فسمعت المحكمة أقواله على سبيل الاستدلال فقال :

« ان زميلى سعد زغلول محاصر الآن بمنزل صديق له هو عبد الرحيم صدقى شقيق اليوزباشى مصطفى كمال صدقى . وقد عمد رجال البوليس الى محاصرة زميلى حتى لا يحضر الجلسة ، ومنعوه من الخروج من المنزل بحجة أن اخوة العسكري الاسود ينوون قتله . ولا زال أربعة من رجال البوليس السياسى يحاصرون المنزل حتى الآن .

وكانت المحكمة قد سألت العسكري الاسود عن تاريخه فى البوليس وعن كيفية لقائه بالاستاذين البعثى وسعد زغلول وعن كيفية حضوره وأجاب اجابات كان البوليس السياسى قد لقنها له قبل مثوله امام المحكمة .

المحكمة - هل ما ذكره الشاهد الآن هو ما حصل فى لدفو ؟

البعثى - لا . . . هناك اختلافات كثيرة فى أقواله . . . أولا أن هذا العسكري قد ظل فى المحافظة سنة كاملة لاسنة أشهر كما يقول - ثم انه لم يكن يعرف شيئا عن القضية لدرجة أن أهالى بلدته جميعا لا يعرفون أن اسمه هو ما نشر فى الجرائد لانه مشهور باسم أمين النقيب .

□ حيدر باشا عاوز راجل صعيدى :

وقد اهديت فى البلدة على الشيخ يوسف ناظر المدرسة لعلاقة سابقة بيننا ، ولما سألته عن أمين قال عنحنا أمين الخطيب . فكلفته باحضاره فى

منزل أحد أقارب الشيخ • ولما حضر كنت متحيرا كيف أبدأ الكلام معه •
وفجأة انطلق زميلي سعد زغلول وقال له : يا أمين ان حيدر باشا في حاجة اليك
لانك رجل سهم وهو في حاجة الى رجل صعيدي زيك •

□ اعترف بالتعذيب :

... ثم تحول الكلام الى رجال القلم السياسى ، ووجدت منه أنه يميل الى
ضباط القلم السياسى ويعرف عنهم الكثير ، حتى انه يعرف أن الضتاغ
العشرى نقل الى البحيرة • ولما سألته عن كان معه أثناء تعذيب الاخوان
ذكر اسم مصطفى التركى وعسكرى آخر بالفيوم ، وأنه هو وذلك العسكرى
كانا مكلفين بارتكاب جرائم تعذيب الاخوان •

ولما توغلنا في الحديث ارتعش وبدت عليه علامات الاضطراب والتفت
الى وقال : أنا عارفك مش كده ؟ فقلت له أيوه أنا كنت أتردد على المحافطة
أحيانا - ومن هذا الوقت بدأ يتخوف ويتهرب من الحديث :

وهنا ارتفع صوت العسكرى ونظر الى الاستاذ البعثى وقال : أنا خفت
منك ؟ أنت يا سلام •• آمال كيف وصلتك المحطة وأنا خايف منك ؟

واستأنف الاستاذ البعثى كلامه فقال : أنا سألت شخصا في البلد عن
أمين فقال لى : ان أمين هذا عفریت •• ده يتط على النبیوت • وأى واحدة
تعجبه في البلد ينط عليها بالليل الساعة ١٢ في منتصف الليل •

واستطرد يقول : انى فهمت أثناء حديثى مع العسكرى في بلعته أنه يكره
الاخوان جدا وحاقده عليهم لاقصى حدود الحقد • وكان يسألنى أثناء الحديث
هل أحد من الاخوان يتهمنى في القضية ، أنا على كل حال كنت عبد المأمور ،
وأنا مالى واحنا في الاول خالص لم نفعل شىء مع الاخوان وانما في الآخر
الحقيقة نفذنا الاوامر ، وعملنا فيهم كثير خالص •

وبعد قضاء هذه الفترة معه في البلدة طلب منا بالحاح ان ننام عنده ليلة
في البلدة ، ولكننا تخوفنا جدا وآثرنا السفر • وودعنا هو حى مغادرة القطار •
وعند قيام القطار من المحطة نظر الى وقال : اذا جرى لى حاجة أنت تكون
المستول •• وقد نفذنا بعمرنا •

□ شبكة ••• وشبكة :

وقد فانتتنى نقطة وهى ان هناك محاميا سعديا اتصل بمأمور المركز
لتهريب العسكرى • ووصل العسكرى الساعة ١٢ ظهر يوم الخميس ، فعملنا
عليه شبكة • كما عمل البوليس السياسى عليه شبكة هو الآخر • وكان

البوليس على اتصال به دائما . وقد عقد البوليس اجتماعا حضره الصاغ
العشرى قرر فيه قتل البعثى وسعد زغلول .

□ جهاز لكشف الكذب :

ولما وجد الدفاع أن الشاهد معتصم بالانكار المستمر وقف الاستاذ
عبد الرحمن الوكيل المحامى وقال : انى أود أن أقدم للمحكمة الآن موضوعا هو
الفريد من نوعه ، ولم يعرض على القضاء المصرى من قبل ٠٠٠ واستطرد
يقول : ان هذه القضية من أخطر القضايا ، وانها تتركز على نقطة وهى : هل
هناك تعذيب أم لا . وهذا لا يثبت الا من أقوال هذا الشاهد .

وهناك من رجال القانون من كرسوا حياتهم وجهودهم لمعرفة حقيقة
أقوال الشهود ومطابقتها للحقيقة . فنرى الدكتور كيلر من شيكاغو ظل ٤٥
عاما يبحث هذه المسألة حتى وصل الى صنع جهاز يوضع عليه المتهم المراد
أخذ أقواله ، ويبدأ فى استجوابه ، فيعمل الجهاز على تسجيل كل حركاته من
ضغط الدم وحركات قلبه وأعصابه . وهناك شريط بالجهاز يسجل كل
ما يحور من مناقشة .

ومن حسن حظنا أن هذا الجهاز الفريد الذى اعتمد عليه القضاء فى امريكا
وقد وجد فى مصر عند أحد المشتغلين بالمسائل النفسية ، ويمكن أن تاهر الحكمة
بوضع هذا الشاهد على هذا الكرسي .

□ شهادة الضابط مصطفى كمال صدقى برؤيته التعذيب :

وكان ضابطا بالجيش وحكم عليه بخمس سنوات بتهمة الاتفاق الجنائى
وصدر عنه عفو ملكى . وقد قرر فى جلسة ١٥-٥-١٩٥١ أنه رأى المتهمين
الاخوان وحدد أسماءهم يأتون محمولين والدماء تنزف من جروحهم وكان هو
يضمدها .

● شهادة جابر لقسم مصر القديمة كشف اكل ما جرى بداخله :

وهى من أهم ما أدلى به من شهادات ، فقد استمعت المحكمة فى نفس
الجلسة الى الاستاذ عبد العزيز الشيرى الموظف بوزارة الحربية وفى سن
الستين ، يسكن بجوار قسم مصر القديمة ، بينه وبين القسم ستة أمتار .

المحكمة - هل كنت موجودا بالمنزل يوم حادث رئيس انواب السابق ؟

الشاهد - نعم . رجعت من مصر حوالى الساعة التاسعة مساء فوجدت
سيارات كثيرة تقف على جانبى الطريق وزعيق وهيصة . ولما دخلت المنزل
سمعت صراخ ينبعث من حجرة سجن القسم الواقعة بجوار منزلى . فصعدت

الى سطح المنزل في الظلام لاتبين الامر . فاذا بى لاحظ أن الحجرة المنبعث منها الصوت مضاءة بنور قوى ، وفيها يقف ابراهيم عبد الهادى باشا وجواره أفندى يمسك ورقة وقلما ، وكثير من الضباط والعساكر ومعهم حزم عصي وكرابيج ، بعضهم يتناوب ضرب شخص لم اتبينه لانه كان تحت الشباك .

جهنم الحمراء - وكان هذا الشخص المصروب يصيح بأعلى صوته ويستغيث ، فلم أتمالك أعصابى فنزلت وخرجت من المنزل ولم أعد اليه الا الساعة الثانية عشرة في منتصف الليل . وعندما صعدت الى سطح المنزل مرة أخرى وجدت منظر جهنم الحمراء في الحجرة ، وظل هذا المنظر المؤلم حتى الفجر .

المحكمة - الثابت أن الحادثة كانت الساعة التاسعة و ابراهيم عبد الهادى باشا لم يكن موجودا في ذلك الوقت .

الشاهد - أنا كنت الساعة دى مأخوذا برهبة الموقف فلم أفكر في ان أنظر في ساعتى حتى أعرف الساعة كام بالضبط ، وعلى كل حال أنا انتابتنى نوبة ولا زالت مؤثرة على أعصابى حتى الآن - وفي صبيحة اليوم التالى منعت اولادى من الخروج لصلاة الجمعة .

وقد فوجئت بعد ذلك بهجوم رجال البوليس وتفتيش منزلى والقبض على وعلى أولادى وهم طبيب ومحام وطالب بالهندسة وأودعنا جميعا القسم بالحجرة نفسها التى كان يجرى بها التعذيب ، وكانت كلها ملطخة بالدماء ، ثم أخرجونا منها وأعادونا مرة أخرى ، ومكثنا بها عشرة أيام .

النيابة - كيف تبينت الحجرة ومن فيها ؟

الشاهد - بمنظار مكبر كان معى ، وسمعت عبد الهادى باشا بأذنى وهو يتقوه بالفاظ بذينة اتنزّه عن ذكرها الآن بل يتنزّه عن ذكرها كل آدمى ، وكنت اسمعه يقول للشخص المطروح تحت الشباك : اخلع الله ٠٠ يا ٠٠٠ يا ٠٠٠

شهود آخرون - وقد شهد شهود آخرون في هذه الجلسة بانهم راوا التعذيب وهم السادة : عمر السيد غانم وعبد الفتاح محمد وحسن الشافعى وفايذ عبد المنعم .

● **البوليس السياسى يمنع اسعاف المعذبين :**

اما الدكتور عبد الحميد زاغو حكيمباشى بوليس مصر والدكتور محمد كمال قاسم طبيب الامراض العصبية والعقلية لصلحة السجون فقد شهدا في

هذه الجلسة برؤيتهم المتهمين في حالات تستدعى الاسعاف ، وكان البوليس السياسى يمنعهما من اسعافهم .

● شهادة اليوزباشى كمال صقر برؤيته التعذيب :

المحكمة - هل عاصرت فترة تحقيق قضايا الاخوان ؟

الشاهد - عاصرت معظمها ثم طلبت نقلى من القلم السياسى وانا الآن بسوارى بوليس مصر .

المحكمة - ما الداعى الى طلب نقلك ؟

الشاهد - لانى لم اوضح في الوضع اللائق بى والذى كنت اطمح فيه حيث كانت وظيفتى هى نقل المتهمين من مكان لآخر .

المحكمة - هل شاهدت وقائع تعذيب ؟

الشاهد - رايت بعض المتهمين معذبين ومضروبين ولكنى لا انكرهم بالضبط ، واذا ذكرنى احدهم باى واقعة فربما اتذكر كل شىء .

(ومنا طلبت المحكمة من المتهمين الوقوف ، واستعرضهم الشاهد) ثم اشار الى مصطفى كمال عبد الجيد وقال ان هذا المتهم عنحما كان يراد نقله الى دورة المياه كان يحمل على الاكتاف لانه لم يكن يقوى على الوقوف على قدميه من آثار الضرب - ثم اشار الى على رياض وقال : ان هذا المتهم رأيت مستلقيا على كنبه بحجرة احد الضباط ورجليه مبتورة خالص - واشار الى نجيب جويفل وقال : رأيت ملقى على الارض بحجرة الصاغ العشرى حوالى الساعة الرابعة مساء والدم ينزف من جسمه .

المحكمة - الا تعرف من كان يشترك في التعذيب ؟

الشاهد - ثلاثة ارباع الضباط كانوا يشتركون في التعذيب ، بل كان يجرى التعذيب من الخبرين على مرأى منهم . وانا على كل حال كنت من الضباط ولكن الحمد لله (ورفع يديه الى اعلى وسكت عن الكلام) .

✽ شهادة رجال القضاء والنيابة ✽

نظروا لما لشهادة رجال القضاء ورجال النيابة من اهمية خاصة ، ولما لها من دلالات خطيرة ، فقد رأينا ان نلفت نظر القارئ اليها بافرادها بعنوان خاص .

● شهادة القاضى محمد اسعد محمود :

سئل عن معلوماته عن التعذيب حين كان يعمل وكيلا للنائب العام سنة

١٩٤٩ فقال :

بعد أن أثبتت إصابات يوسف عبد المعطى ، تحدثت معي الصاغ توفيق السعيد تليفونيا وأخبرني بأن القلم السياسى يتعجب لانى أثبتت إصابات يوسف عبد المعطى ، وأنه بسبيل الذهاب الى النائب العام ليشكونى اليه . . فأحسست وقتها كما قلت أن ضميرى كمحقق قد مس مساً عنيماً ، وأن عوامل خارجية تريد أن تتسلل للتأثير على فى عملى ، فلم أتمالك نفسى من الغضب وقلت : ليشك من يشاء .

وحضر بعد قليل صلاح مرتجى بك وكيل النائب العام وقتئذ وأخبرته بما حدث فقال لى : لانتهم بذلك . وانتظرت لان يحادثنى النائب العام فى ذلك ولكنه لم يفعل .

والذى استطيع الجزم به اننى بدأت فى التحقيق فى قضية السيارة الجيب ، وحيل بينى وبين الاستمرار فيها فى ٤ يناير .

وسئل : هل تذكر اسم جمال الدين عطية كاتب التحقيق ؟

فقال : أيوه . . ارضاء لضميرى أقول : فى الفترة الاخيرة من عملى فى قضية السيارة الجيب حرر معى التحقيق . وأذكر اننى دهشت عندما علمت بعد ذلك انه ضبط فى منزل من منازل الاوكار ، لانه كان فى استطاعته والمستندات فى يده أن يتلفها أو أن يفعل ما يشاء ، ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك .

● شهادة الاستاذ عصام الدين حسونة :

س - هل كنت وكيلاً للنائب العام فى سنة ١٩٤٩ ؟

ج - نعم كنت اعاون النيابة فى قضايا الأخوان .

س - هل تذكر أنك رايت بعض المتهمين ممن لم تحقق معهم حضرتك ؟

ج - كنت اعمل فى نفس الجناح الذى يعمل به حضرات المحققين فى

القضية . وكنت بحكم مكانى وعملى وثيق الصلة بالضباط الذين عهد انيهم بنقل المتهمين ، وبكتبة النيابة ، وبكل من يتصل بهذه القضية . وكنت اسمع من هؤلاء جميعاً يروون ما يقع على المتهمين من تعذيب واعتداء ، وكنت أيضاً أشهد بعينى بعض المتهمين مصابين بإصابات ظاهرة .

□ قصة وكيل النيابة عدلى بك بغدادى :

ثم قال الاستاذ عصام : والذى أذكره من وقائع معينة حتى أغنى الدفاع عن الاسئلة ، انه فى صباح ذات يوم سمعت من زملائى أن خلافاً قام بين عدلى بك بغدادى وبين اسماعيل بك عوض الافوكاتو العمومى ، لأن الاستاذ عدلى وكيل النيابة شاهد فى بعض المتهمين إصابات فاثبتتها وطلب إحالتهم

الى الطبيب الشرعى ، فلم يوافق الافوكاتو على ذلك واخذ عليه هذا العمل ، ونعل هذا الحديث وصل الى جميع أعضاء الهيئة لانه أذيع وقتئذ ان حضرة وكيل النيابة كان محل غضب وأنه نقل بسبب هذا .

□ الافوكاتو العمومى يرفض اثبات الاصابات :

(الافوكاتو العمومى أى المحامى العام) وواصل الاستاذ عصام شهادته فقال : والواقعة الاخيرة التى أعلمها - ولعلها كانت فى نفسى لجسامتها ولائى علمتها من مصدر ليس محل شك فى اعتقادى - هى أن أحد المتهمين واسمه البساطى حمل الى غرفة المحقق حملا لشدة اعيائه بسبب اصابته ، وأن المحقق لم يصف حالته وكان المحقق هو الافوكاتو العمومى اسماعيل بك عوض .

□ مفاجأة :

وقد سألت المحكمة الاستاذ عصام عن المصدر الذى وصلت اليه منه هذه المعلومات فأجاب بقوله « فى سبيل تحقيق العدالة والمصلحة العامة أستبيح لنفسى أن أقول انه حضرة الاستاذ فتحي مرسى ممثل النيابة فى هذه القضية . ممثل النيابة - أنا ؟ ! يظهر أن الذاكرة خانتك يا عصام بك .

□ كان يسبب المتهمين :

وسئل الاستاذ عصام أنم يسمح بأن اسماعيل بك عوض كان يسبب المتهمين ؟ فأجاب بقوله « لم أسمع هذه الواقعة بالتحديد ، وانما كان الحديث المتبادل بين كتبة النيابة ومن يتصل بالتحقيق أن مثل هذه الواقعة تقع أحيانا من هذا المحقق .

□ معاملة الجواميس :

وسئل هل يذكر بعد ضبط محمد مالك أنه سمع من احد رجال البوليس ان تعذيبا غير طبيعى فى بشاعته وقع عليه ؟ فأجاب بقوله « نعم سمعت من احد كبار رجال البوليس أن هذا المتهم ضربوه بما لو أصيبت به جاموسة لنفقت .

صدام بين الدفاع والمحكمة

عند هذا الحد من الشهادات المثيرة التى تقطع بأن هناك تعذيبا بشما قد وقع على المتهمين فى هذه القضية ، لم تستطع هيئة الدفاع أن تفسر فى

القضية السير العادى ، واضعة موضوع التعذيب على الرف فى صورة دفوع كما تريد المحكمة .

ففى جلسة ٢٤-٥-١٩٥١ - وكان الدفاع من قبل قد طلب سماع أقوال محمود اسماعيل بك الذى كان يحقق القضية ثم نزعته منه وأسندت تحقيقاتها الى اسماعيل عوض بك ، كما طلبوا سماع اسماعيل عوض بك أيضا - فى هذه الجلسة قام الدكتور عزيز فهمى المحامى وقال : اننى مصر على سماع شهادة محمود اسماعيل بك ولكننى لا اوافق على سماع شهادة اسماعيل عوض بك لان التهم لا يسمح شاهدا ، وان اسماعيل عوض بك ومحمود منصور باشا النائب العام السابق قد ارتكبا جرائم ومخالفات توقفهما موقف الاتهام . ونحن نترك للمتهمين الراى بعد الانتهاء من القضية فى رفع الدعوى العمومية ضد هذين الشخصين .

ومضى الدكتور عزيز يقول : ان هذه القضية قد اساعت الى سمعة مصر فى الخارج اساءة بالغة ، وما زالت الصحف الاجنبية تتحدث عن العسكرى الاسود وعن وقائع التعذيب ، وتصف التحقيقات بأوصاف لا تليق بالفضل المصرى ، اذ ذكرت احدى الصحف الاوربية ان التحقيقات التى اجريت فى القضية لا تقارن اطلاقا بما كان يحدث فى العصور الوسطى .

ولما رفضت المحكمة طلبات كان قد طلبها قرر الانسحاب من الدفاع .

الجلسة الاخيرة والحاسمة - تاجيل القضية لدور مقبل :

وبعد ان سمعت المحكمة مرافعة النيابة وفى جلسة ١٠-٦-١٩٥١ قام الاستاذ عبد المجيد نافع ، وقبل ان يبدأ دفاعه ، طالب بأن تفصل المحكمة فى بطلان الاجراءات نظرا لما سمعته من شهادات قاطعة بحدوث التعذيب واشتراك النيابة فى تزوير القضية ، وسمى اسماعيل عوض بك « اسماعيل ميكيافيللى » وأبرز شهادة القاضى محمد اسعد محمود وعضوى النيابة على بغدادى وعصام الدين محسونة وتمسك بذلك .

وقد أبدى فى ذلك الاستاذان احمد حسين وفتحي رضوان . وقال احمد حسين :

« ان الدفاع قبل ان تكون المحكمة رأياها فى هذه القضية يسجل ان هذه القضية تحولت من اعتداء على حامد جودة الى قضية اعتداء على الحريات العامة فى شخص المتهمين . ونحن نقول ان هذا التحقيق مبنى على الجريمة ، وان التعذيب وعدم اثباته فى التحقيق هو جريمة التزوير بعينها ، وهو تزوير

وجرائم يقال عنها انها تحقيق - فلم يكن هدف التحقيق الوصول الى الحق وانما هدفه هو تزييف الحق للوصول الى هدف خاص .

وانضم اليه جميع هيئة الدفاع - وقال الاستاذان شمس الدين الشناوى واحمد السادة :

« ان بتكلم محام في موضوع القضية حتى يفصل في هذا الدفع الذى تقوم عليه القضية . وان الدفاع في هذا الطلب ليس متعسفا . »

وقال الاستاذ سمير حيدر : ان المحكمة كانت قد وعدت في جلسة ٨ من ابريل الماضى بالاخذ بما طالب به الدفاع من حق التصدى للتهمة الموجهة الى المحققين . وقررت ارجاء الفصل في هذا الطلب لحين سماع شهادة شهود الاثبات ، وانها ستقوم في خلال سماع هؤلاء الشهود بتنفيذ قرارها فيما يتبع مع هؤلاء الشهود المتهمين . . واصبح الموقف معلقا مبدئيا .

ووقف الاستاذ طاهر الخشاب فايد مطالبة المحكمة بحق التصدى والا فان الدفاع سيستعمل حقه في رد أحد أعضاء المحكمة لقربته بأحد الشهود الذين اتهموا بارتكاب التعذيب .

وهنا فطن عضو اليسار الى انه هو المقصود . فقررت المحكمة رفع الجلسة للنظر في هذه الطلبات . . ثم عقدت الجلسة وقام رئيس المحكمة وهو في حالة نفسية تسترعى النظر وقرر تأجيل القضية لدور مقبل .

ونجب ان نحيط القارئ علما بان هذه القضية حين جاء ميعاد انعقاد جلسة للنظر فيها في دور مقبل .

وكانت هناك مفاوضات تدور في خلال ذلك بين هيئة الدفاع وبين رئاسة محكمة استئناف القاهرة - انعقدت جلساتها لتقرر الافراج عن عدد من المتهمين . . اما الحكم في القضية فلم يصدر الا في سنة ١٩٥٤ .

● عود الى البوليس السياسى :

بداننا هذا الفصل بالاشارة الى البوليس السياسى ونوهنا بدوره في التلقيق والتعذيب . . ثم كانت وقائع هذه القضايا برهانا ساطعا على ان هذا البوليس هو دولة داخل الدولة ، وأنه يتعالى على القانون ، ويرى من حقه ان يسخر اجهزة الدولة لتنفيذ اغراضه ، لا يستثنى منها اجهزة النيابة العامة والتحقيق . . وأنه في تعامله مع المواطنين لا يعترف بحقوق المواطنة ولا الانسانية ولا الادمية .

ولم يكن الاخوان المسلمون أول من عانى من ارهاب هذا الجهاز ومن تساطه واجرامه ، بل عانى منه جميع من عملوا في حقل السياسة المضربية .
وان كان معاناة الاخوان هي أشد أنواع المعاناة . . . غير أن هيئة من هذه الهيئات السياسية حين أتيح لها أن تنصدر منصة الحكم لم تجرؤ كما سبق القول على مس هذا الجهاز أدنى مساس .

رشاءات الاقتدار أن يكون عرض هذه القضايا على القضاء في أيام حكم حزب الوفد ، الذي كان أكبر عامل مهد له الطريق الى الحكم هو ما ارتكبه البوليس السياسى من مآثم ضج لها الشعب وكفر بالقائمين على الحكم في أيامها . . فلما جاءت حكومة الوفد انتظر الناس منها عملا حاسما ازاء هذا الجهاز الاجرامى . . . وطال انتظار الناس وهم يقرؤون في الصحف كل يوم من وقائع تضاييا الاخوان ما يفضح جرائمه ويكشفه عن خفاياه ومآثمه .

● الدفاع يطالب حكومة الوفد بالغاء البوليس السياسى :

وقد تردد هذا الشعور في ثنايا ما كان يدور في جلسات هذه المحاكم من مناقشات وما يلقي فيها من مرافعات ، ومن ذلك ما أشرنا اليه من قبل وما جاء على لسان الاستاذ عبد المجيد نافع المحامى في جلسته ٢٧ مارس ١٩٥٠ في قضية الاوكار حيث قال « إن البوليس السياسى في مصر هو منظمة انجليزية اسما ولحما ودما وعظاما ونخاعا . فلانجليز هم الذين أوجدوه . ولن تغب عن الذاكرة تلك المآسى التى مثلت على السرح السياسى منذ عصر قنبيحس الى اليوم . ثم قال : في قضية قنابل ٦ مايو ترافع فيها أصحاب المعانى والعزة عبد الفتاح الطويل بأشما وسليمان غنام بك وعبد اللطيف محمود بك الوزراء ، وعبد الفتاح حسن بك الوكيل البرلمانى وكامل يوسف صالح بك وكيل مجلس النواب ، والاستاذ مصطفى موسى عضو مجلس النواب كان متهما . . وكل هؤلاء يجارون بالشكوى من البوليس السياسى ، وحدثت متسادات في الجلسة حامية الوطيس . . وها هم الآن قد أصبحوا في الحكم . ويدهم السلطات التشريعية والتنفيذية . . فلماذا لا يلغون القلم السياسى ؟ »

سؤال في مجلس النواب :

وفي ١٦-٤-١٩٥١ تقدم الاستاذ فوزى البرادعى عضو مجلس النواب الى وزير الداخلية بالسؤال التالى :

« ما هي الاجراءات التى اتخذتها الوزارة حيال الجرائم التى ارتكبتها رجال البوليس السياسى في القضايا التى نظرت أمام محاكم الجنايات والتى تنظر الآن ، واعتراقات مالك السجين . وما هي الاجراءات التى تتخذها الوزارة لوقف هذا السيل من الجرائم مستقبلا ؟ » .

ولكن حكومة الوفد كانت في ذلك الوقت منهمكة في اعداد تشريع يقيد حق تكوين الجمعيات الذي بسطنا الحديث فيه في فصل سابق - ومثل هذا التشريع يكون تنفيذه بطبيعة كونه قييدا على الحرية موكولا الى هذا الجهاز ولذا فان الحكومة لم تعر سؤال النائب أدنى اهتمام .

● استجواب لوزير الداخلية :

ولكن النواب الذين قطعوا العهود لناخبيهم على ان يكون اول عمل لحكومتهم ان تستجيب لشعور الشعب وتطهر الاداة الحكومية من هذا الجهاز وجدوا أنفسهم في موقف لا يحسدون عليه ، بين شعب مثلهف وحكومة معرضة ، أنشتها مناصبها ما قطعت للشعب من وعود .

فلما رغبناهم الى غاية العمل باكتافنا حيث الامور بهم تجرى .
لورا رأسهم عنا وعن كل مبدأ .
اليه دعوا اذ هم يعيشون في فقر .
واخيرا تقدم عضو آخر من أعضاء مجلس النواب هو الاستاذ سليمان عبد الفتاح باستجواب لوزير الداخلية نوقش في جلسة المجلس يوم ١٤-٥-١٩٥١ وهاك نص الاستجواب :

« ان تلم البوليس السياسى هو اثر من آثار الانجليز ، فقد انشئ في عهد اللورد كرومر ليكون عوناً للانجليز ، وسوط عذاب على الوطنيين . وفي الميزانية حوالى مائتى ألف جنيه تنفق على هذا البوليس السياسى كل عام . وقال النائب : ان البوليس السياسى أصبح نقمة على هذه البلاد ، ويجب قبل ان نبدأ بجلاء الانجليز عن القنال ان نبدأ بجلاء البوليس السياسى عن مصر .

ثم قال : انه يودع مكتب المجلس كشوفا بأسماء الموظفين الذين تولوا تعذيب المتهمين في القضايا السياسية . وأشار الى حادث كوبرى عباس . فذكر ان طلبة الجامعة خرجوا يوم ٩ فبراير ١٩٤٦ لإعلان غضبهم على تهاون الحكومة في حقوق البلاد وفي تحقيق أهدافها الوطنية ، فصدرت الاوامر من موظف كبير مسئول مازال يشغل منصب وكيل وزارة (وهنا سئل من هو فقال : عبد الرحمن عمار بك) بفتح الكوبرى والهجوم على الطلبة بالمدافع الرشاشة والبنادق والعصى ، وراح الطلبة يتساقطون في النيل كأوراق الشجر في ايام الخريف ، وأسفر الحادث عن اصابة ١٦٠ طالبا بمعامات مستديمة وفقد ٢٨ طالبا لم يعرف مقرهم حتى الآن .

وتلا حضرته بيانا أصدره النحاس باشا حينذاك طالب فيه بضرورة معاقبة الموظفين الذين تسببوا في هذا الحادث وارتكبوا هذه الجرائم . ثم

تواحيثيات حكم صادر في قضية تعويض أقامها طالب ضد الحكومة بسبب
إصابته في المظاهرة .

وتكلم عن محاولة اغتيال النحاس باشا وفؤاد سراج الدين باشا وعن
اغتيال الشيخ حسن البنا وعن حوادث التعذيب في قضايا مقتل النقراشي
باشا وسيارة الجيب - وقال :

« انه اذا عجز مصطفى النحاس باشا وفؤاد سراج الدين باشا في ذلك
الوقت عن اثبات الجرائم ، فليس مستحيلا عليهما الآن ... ولكن الامور
فلت كما هي ، ولم تحرك الحكومة ساكنا » .

وتكلم عن خطاب وضله من متهم يصف فيه كيف عذبه ، ثم جاءوا له
بالمسكري الاسود فاضطر أن يعترف بما أملوه عليه .

وروي النائب أن أحد رؤساء النيابة أثبت في محضره بعض حوادث
التعذيب فكان جزاؤه النقل الى جهة نائية بعد أن سحبوا منه التحقيق . وأن
تبع وكلاء النيابة علم أن بعض المتهمين قد أوحى اليهم أن يقحموا اسم
النحاس باشا في التحقيق حتى يستدعيه المحقق لسعاع أمواله ، وعندئذ
ترتكب جريمة ضده ، وعلى أثر ذلك اتصل وكيل النيابة بالنحاس باشا
ويحذره من الحضور ، فكان جزاؤه النقل الى جهة نائية أيضا .

□ الحكومة تمالي البوليس السياسى :

وقال النائب : ان الحكومة تعتمد ممالأة هؤلاء الموظفين الذين ارتكبوا
هذه الجرائم - ثم اقترح تأليف لجنة برلمانية لتحقيق هذه الجرائم وعرض
تقريرها على المجلس ، ومطالب الحكومة من الآن بحل البوليس السياسى
وبالتحقيق في جرائم التعذيب والقتل .

□ نتيجة الاستجواب :

تكلم عبد الفتاح حسن بك مدافعا عن الحكومة وقال ان وزارة الداخلية
قررت تأليف لجنة يكون واجبها الاطلاع على جميع القضايا المحفوظة والتي
ينطبق عليها وصف هذا الاستجواب ، لتحديد مسئولية الموظفين المشار اليهم
على أن رد عبد الفتاح حسن هذا لم يكن أكثر من مسكن ، فان أى إجراء
ايجابى لم يتخذ حيال هذا الجهاز .

البَابُ الثَّالِثُ

أَخِيرًا المُؤَامَرَةُ تَحْتَطُّمٌ عَلَى صَخْرَةٍ صَدِيدَةٍ مِنْ نِزَاهَةِ الْقَضَاءِ الْمِصْرِيِّ

● مكانة القضاء في الأمم وموضعه في الإسلام

● من الأحكام الخالدة

● تعقيب وتحليل لهذه الأحكام

مكانة القضاء في الأمم وموضعه في الإسلام

القضاء الصالح النزيه هو في حياة الأمم قلبها النابض ، ومركز الاحساس فيها ، الذي يتوقف بقاء حياتها عليه وإذا تطرق الفساد الى مؤسسات دولة من الدول ، وبقي قضاؤها سليما نظيفا ، كان هذا القضاء حصنا لها دون الموت والفناء . . . إذ أن قضاءها النظيف قمين أن يبعث الحياة والنظافة والنقاء في أعصاب بقية المؤسسات . . . ذلك أنه هو صمام الأمان ، فلا تنفجر الدولة من داخلها مهما اختلت أجهزتها ما دام صمام الأمان صالحا وعاملا . . .

• وعند فساد أجهزة الدولة يكون أفراد الأمة هم ضحية هذا الفساد . فإذا وجد هؤلاء الأفراد من يلجأون إليه من ظالمهم ، فإن انصاف القضاء إياهم يكون بمثابة انذار لغتصبي الحقوق بأن فوقهم سلطة تنظم كل فرد - مهما عظم شأنه - حدوده ، وترده الى حجمه ، وتخضعه راعما لطائلة الحق والقانون . . . فلا يجد هؤلاء المتطاولون بمناصبهم على عباد الله بين أيديهم من سبيل إلا أن يرفعوا عن غيبتهم ، ويكفوا من غرب غطرسنهم ، ويفيثوا الى الحق والصواب . . . ومن هنا تجد العدالة طريقها الى كل أجهزة الدولة . . .

• والمقصود بصلاح القضاء صلاح رجاله ، فإن انقانون وجده لا يردع مالم يقم على أعماله انسان . فإذا كان هذا الانسان صالحا أخرج للناس من القانون أداة فعالة وخطا سويا ، وإذا كان غير ذلك أخرج من القانون مسخا متفيرا وخطا مشوها ، وصار القانون في نظر الناس أضحوكة يتندرون عليها ، وأنعوبة يشككونها حسب أهوائهم ، ووفق شهواتهم .

• والقوانين المتحضرة - مهما اختلفت تفاصيلها - كلها تتوخى تحقيق العدالة بين الناس ، وكلها تعتبر المتهم بريئا حتى تثبت ادانته ، وكلها تعطى المتهم الفرص الكاملة للدفاع عن نفسه ، وكلها ترفض الاغراء والاكراه وسيلة للحصول على اعتراف المتهم ، وكلها تعتبر المواطنين جميعا سواء امام القانون .

وهكذا فاصول القوانين واحدة ٠٠ ولكن القوانين على كل حال أجساد هامة حتى ينفخ القاضي فيها روح الحياة فتنبض وتعمل وتتوثر وتوجه ٠٠٠ ولذا كان اهتمام المصلحين ومنشئ الدول منصبا جله على شخصية القاضي وتفكيره وخلقه وأسلوبه ومسلكه ٠

وأعظم دليل على ما لشخصية القاضي من مكانة في الحياة هو أن الله سبحانه وتعالى جعل القاضي خليفة له في الأرض فقال جل شأنه معقبا على حكم أصدره داود عليه السلام في قضية عرضت عليه « يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع أهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » ٠٠ ولم يكن هذا التعقيب الالهي والتحذير الشديد الا لان داود ترك لعواطفه - وان كانت عواطف نبيلة - أن تتدخل في صياغة الحكم ٠٠ فما بالك اذا كانت العواطف انتى ينبعث حكم القاضي منها غير نبيلة ؟ ٠٠! انها تكون البلاء والدمار والخراب ٠٠ اليس القاضي يحكم في دماء الناس وأعراضهم وأموالهم ٠

واذا عرف القاضي مكانته هذه في المجتمع فان عليه اذا جلس مجلس القضاء أن يتجرد من نوازع نفسه ، ومن أهوائه وعواطفه التي كان عليها قبل أن يجلس هذا المجلس ٠٠ وعليه أن يرى نفسه في هذا المكان أعلى مكانة وأرفع قدرا من كل انسان في المجتمع لانه صار خليفة الله في هذا المجتمع ٠

ولقد بلغ تقديس القضاء في الدولة الاسلامية مبلغا لم يبلغه في دولة اخرى على مدى التاريخ ، فلم يكن في هذه الدولة المترامية الاطراف انسان يرى نفسه أكبر من أن يمثل بين يدي القاضي ولو كان هذا الانسان هو أمير المؤمنين ٠٠٠ روى الامام الشعبي أنه كان بين عمر بن الخطاب وأبي بن كعب خصومة ٠ فتقاضيا الى زيد بن ثابت ٠ فلما دخلا عليه أشار لعمر الى وسادته (أي قدم اليه وسادته ليجلس عليها) فقال عمر : هذا أول جورك ٠٠ أجلسني وأباه مجلسا واحدا ٠ فجلسا بين يديه ٠

وكما اشتهد الاسلام في كتابه الكريم وحديث رسوله العظيم في تحذير القضاة من الميل مع الهوى ، فقد عني أيضا بالخصوم فوجه اليهم تحذيرا عنيفا ، حتى تكتمل بذلك العدالة ، التي هي هدف الاسلام وغايته الكبرى ٠ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما أنا بشر ، وانكم تختصمون الي ٠ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فاقضى له بنحو ما أسمع ٠ فمن قضيت له بحق أخيه فانما أقطع له قطعة من النار » ٠

واللحن بالحنة لا ينتهي محلولة عند حد البراعة في الالتقاء ، والافتتان

في تزويق الكلام ، والبلاغة في الأسلوب - كما قد يتبادر الى خاطر - بل انه يذهب الى أبعد من ذلك بكثير . فقد يكون اللحن بالحجة تعبيراً عن خصمين أحدهما حاكم والآخر محكوم ، ولدى الحاكم من وسائل القهر وأساليب التخويف والاعراء ما يلجم به لسان المحكوم فلا يجروء على بسط مظلمته والكشف عما يلقاه من قهر خصمه ، رهبة منه وتوجسا وخوفاً

ورسول الله صلى الله عليه وسلم حين يتحدث في الشئون العامة لا يكون هدفه من الحديث مقتصر على ما يعالج من مشكلة بذاتها في أيامه ، وإنما هو يصوغ الحديث بحيث يتسم لما قد يجد في الأمة الإسلامية على مر الزمن .

قال الامام ابن العربي - فيما أورده القرطبي - في معنى قوله تعالى « وعزنى في الخطاب » التي ختمت بها الآية « ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة » فقال أكفانيها وعزنى في الخطاب ، قال : يعنى غلبنى في شرح الحجة . واختلف في سبب الغلبة فقليل معناه غلبنى ببيانها ، وقيل غلبنى بسلطانه لانه لما سأله لم يستطع خلافة .

ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة حكام المسلمين من بعده انهم كانوا لا يختارون للقضاء بين الناس الا اعظم العلماء ممن اشتهروا بالذكاء ، واتصفوا بالورع ، وتنزهوا عن الشبهات . ولذا فان احكامهم كانت مضرب الامثال . قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : لا يستقضى (أى لا يختار قاضياً) الا من كان عالماً بآثار من مضى ، مستشيراً لذرى الراى ، حليماً نزيها ورعاً . وقال الامام مالك بن أنس رضى الله عنه : ينبغي للقضاة مشاورة العلماء ، وينبغي أن يكون القاضى منقظاً كثير التحذر من الحيل - وقال الامام القرطبي في تفسيره : دل هذا على بيان وجوب الحكم بالحق ، وأن لا يميل الى أحد الخصمين لقراءة أو رجاء نفع أو سبب يقتضى الميل من صحبة أو صداقة أو غيرهما .

روى الامام الليث قال : تقدم الى عمر بن الخطاب خصمان ، فأقامهما (صرفهما) ثم عادا فأقامهما ، ثم عادا ففصل بينهما . فقليل له في ذلك فقال : تقدما الى فوجدت لاحدهما مالم أجد لصاحبه ، فكرمت أن أفصل بينهما على ذلك ، ثم عادا فوجدت بعض ذلك ، ثم عادا وقد ذهب ذلك ففصلت بينهما .

وكان أمير المؤمنين نفسه لا يرى لنفسه الحق في الجلوس مجلس القاضى ليحكم في قضية يعلم هو علم اليقين من هو صاحب الحق فيها ، قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه « لو رأيت رجلاً على حد من حدود الله ما أخذته حتى يشهد على ذلك غيرى - وروى أن امرأة جاءت الى عمر رضى الله عنه

فقلت له : احكم لى على فلان بكذا عانت تعلم مالى عنده فقال لها : ان أردت أن أشهد لك فنعم وأما الحكم فلا .

وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه أعظم من أوتى مواهب القضاء .
شهد له بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « أقضاكم على » .
وكانت أحكامه التى يصدرها فيما يعرض عليه من قضايا يحار ذوو العقول الكبيرة فى فهمها حتى يشرحها لهم ، ويبين لهم كيف استنبط حكمها من كتاب الله وسنة رسوله . . . وهى أحكام رائعة لولا ضيق المقام لاثبتنا هنا طرفا منها ، ولكننا هنا نكتفى - مناسبة للمقام - بنقل فقرات من كتاب له رضى الله عنه فى كيفية اختيار القضاة وكيفية معاملتهم .

● من كتاب على رضى الله عنه الى مالك بن الحارث الاشتر :

وهذا الكتاب هو الذى عهد فيه الى مالك بن الحارث الاشتر بالولاية على مصر - ويعد هذا الكتاب احدى الوثائق التاريخية ، بل احدى الخرائر النادرة ، التى لم يجد الدهر بمثلها ، ولا تفتقت أذهان علماء الادارة المتخصصين حتى اليوم عن شئ يقارنها أو يدانيها .

فكتابه - كرم الله وجهه - هذا جمع فيه طرائق الحكم ، وأساليب الادارة . . . هو دستور كامل جامع مفصل ، فيه كل ما يحتاجه حاكم ليرضى دعائم حكم صالح ، يسعد الناس فى كل نواحي حياتهم . . . ويقع هذا الكتاب فى اثنتى عشرة صفحة . وجدير بكل حاكم من حكام المسلمين اليوم أن يطلب هذا الكتاب ويرجع اليه ويطلعه بنظرة وعقله وقلبه ، ويتخذة مستورا لحكمه ليسعد ويسعد ، ويسير فى حكمه على هدى ونور - وهاك فقرة من هذا الكتاب مما يتصل بكيفية اختيار الحاكم للقضاة وكيف يعاملهم :

« وارجد الى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب ، ويشتبى عليك من الامور ، فقد قال الله تعالى لقوم أحب ارشادهم « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول » فالرد الى الله الاخذ بمحكم كتابه ، والرد الى الرسول الاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة .

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيته فى نفسك ممن لا تضيق به الامور ، ولا تمحكه الخصوم ، ولا يتمادى فى الزلة ، ولا يعصر من أقى الى الحق اذا عرفه (لا يضيق صدره من الرجوع الى الحق) ولا يشرف نفسه على طمع . ولا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاء . . . أوقفهم فى الشبهات ، واتخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم ، وأصبرهم على كشف الامور .

وأصرهم عند اتضاح الحكم . ممن لا يزدهيه اطراء ، ولا يستميله اغراء . .
وأولئك تليل . . ثم أكثر من تعاهد قضائه .

وأفسح له في البذل ما يزيل غلته ، وتقل معه حاجته الى الناس . وأعطه
من المتزلة لديك ما لا يطمح فيه غيره من خاصتك ، ليأمن بذلك اغتيال الرجال
له عندك .

فانظر في ذلك نظرا بليغا فان هذا الدين قد كان أسيرا في أيدي الاشرار
يعمل فيه بأنهى ويطلب به الدنيا .

● انقضاء المصرى :

لا يستطيع أحد أن ينكر أن الفساد كان مستشرياً في جميع مرافق
البلاد ، وأن جهازاً واحداً من أجهزة الدولة لم يكن يخلو من فساد ، حتى
السلطة التشريعية الممثلة في مجلس النواب والشيوخ كشفت بعض الظروف
أنها لم تكن أقل فساداً .

أما الجهاز الذى يحق لمصر أن تفخر به وتعتز ، والذى لم يستطع أن
يتطرق اليه الفساد مع انه ينحدر من أعلى رأس في القولة - فهو جهاز القضاء
... هذا الجهاز قد صان نفسه مع تقلب العهود عن أن يكون مطية لعهد ، أو
حليفاً لحكومة ، أو مشايخاً لنظام ، أو مجاملاً لكبير . بل كان يرى نفسه
أكبر من كل عهد ، وأعظم من كل حكومة ، وأرفع شأنًا ومقاماً من كل كبير .

وينبغي أن يكون مفهوماً أن التزام القضاء لحدود مهمته ، وترفعه عن
مستوى من حوله ، ليس معناه أن يسلم نفسه من الوطنية التى ينتمى اليها ،
أو أن يتعامى عما يدور في بلاده من أحداث . . . فالفرق شاسع بين الوطنية
عامة وبين الحزبية ، كما أن الفرق شاسع بين من يرتكب جريمة دفاعاً عن
النفوس وبين من يرتكبها اعتداءً على الأمنين . . ويقاس على ذلك من يرتكبون
جريمة للتخلص من مستعمر غاصب وبين من يرتكبون الجريمة ضد المسلمين
الشرفاء من أبناء وطنه . . أن مراعاة القضاء لأهداف الجريمة والدوافع اليها
لا يقدر في عدالة القضاء ، ولا ينال من حياده ، ولا يخفض من ترفعه .

ولم يكن القضاء المصرى في يوم من الايام متعامياً عن هذه المعانى
الانسانية والوطنية العامة، بل كان بهيئاً مرهف الحس - لا نحو الاشخاص -
ولكن نحو المعانى السامية . . فكانت أحكامه دائماً مثلجة لصور الوطنيين
المعتدى عليهم من الظلمة والطغاة والمستعمرين . . لم يساؤوا في أحكامهم بين
الدوافع الوطنية النبيلة وبين الدوافع الشخصية الوضيعة . . كان القضاء
المصريون دائماً مكملين لنقص القانون ، سائين لثغراته .

• وإذا لم يكن القاضى كذلك فلا خير فيه ، لانه يكون عديم الشخصية .
 • وإذا كان القاضى مجرد لسان ينطق بنص قانونى على أنه إلهكم أو القوار .
 فانه يكون بلاء على نفسه وعلى الناس . • وكيف لا والمتقاضون ينتظرون أن
 يكون حكم القاضى نتيجة تفاعل بين القانون وظروف القضية وعقل القاضى ؟
 • • وقد يتصل بهذا المجال ما قضى به عمر بن الخطاب حين جاءه الرجل بأجير
 عنده سرق ، فلما أحاط عمر بظروف القضية ، وعلم أن الرجل يظلم أجيره
 وبقتل عليه في الاجر تقتيرا لا يجد معه الاجير ما يسد حاجاته الضرورية . •
 لم يقض عمر بالنص القانونى الذى يقضى بقطع يد السارق ، بل كان قضاؤه
 أن اعفى السارق من العقوبة ووجه انذارا الى صاحب العمل بأن يزيد من اجر
 أجيره ، والا فإذا عاد الاجير الى السرقة مدفوعا اليها بالحاجة فانه سيقطع
 يد صاحب العمل .

• والاهلة كثيرة للقضاة الذين تجاوزوا النص أمام ظروف القضايا •
 جاء في تفسير الامام القرطبي لقوله تعالى « وآتيناه الحكم وفصل الخطاب »
 قوله : قال القاضى أبو بكر بن العربي « فأما علم القضاء فلعمركم (١) انه
 لنوع من العلم مجرد ، وفصل منه مؤكد ، غير معرفة الاحكام ، وانبصر بالحلال
 والحرام ، ففي الحديث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتضاكم على
 وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل » ، وقد يكون الرجل بصيرا بأحكام
 الأفعال ، عارفا بالحلال والحرام ، ولا يقوم بفصل القضاء •

وعلى هذا سار القضاء المصرى الذى استمد أصالته من تاريخه الاسلامى
 الحافل ، ومن الذكاء المصرى الفطرى • وإذا شذ عن هذا الإجماع قاض أو عدد
 قليل من القضاة ، فإن ذلك لا يطمع في الحكم العام على القضاء المصرى • كما
 أن هذا الشذوذ لا يحملنا على افتراض سوء النية فيمن شذوا ملتزمين بحرفية
 النصوص فإن هذا مبلغ علمهم ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ، وفي درجات
 التقاضى متسع لتدارك أخطاء هؤلاء الشاذين •

• صفحة مجيدة للقضاء مع الاخوان :

أما القضاء بالنسبة للاخوان المسلمين فإن له معهم صفحة مجيدة رائعة
 تسجل القضاء المصرى بحروف من نور : فلقد محص القضاء قضائهم
 تمحيصا كثيفا خباياها ، وأوضح ما طمس من معالمها ، واقتحم من غلالاتها
 الى معادل الظلم والقهر والعدوان • وبين للرأى العام المصرى والعالمى من هو
 البرى ومن هو المعتدى •

(١) قسم (بفتح) لعين وتسكين الميم) •

ولقد كان التخطيط مؤسسا على أن يقدم هؤلاء المتهمون الى القضاء في ظل الارهاب الحكومي الذي كان على رأسه ابراهيم عبد الهادي ، والذي سيكون سبحة ماثلا أمام كل متهم فلا يجروا على الافضاء بما سيم من سوء العذاب . ولذا فقد رأينا النائب العام محمود منصور باشا - خادم ذلك العهد - قد أجهد نفسه في ضم جميع قضايا الاخوان مع قضية مقتل النفراسي باشا في قضية واحدة ، تقدم للقضاء في أقرب فرصة ليصدر حكمه فيها مرة واحدة قبل أن ينقشع ظلام الارهاب الحكومي . ولكن أعوانه من رجال النيابة عجزوا عن تلبية طلبه لكثرة عدد المتهمين ، ولما سيكون عليه ملف هذه القضية من ضخامة تعجز من يطلع عليه أن يحيط بكل ما فيه .

فلما أراد الله أن يزلزل أقدام الطاغية . . . وزال الشبح . . . تكلم المتهمون ووجدوا من يستمع انبيهم ، فكشفوا عما كان يقترف من جرائم التعذيب واحداً الكرامة - لا تحت سمع الحكومة وبصرها فحسب - بل وباهر من رئيس حكومتها وتوجيهه . . . ولقد هز الكشف عن هذه الجرائم البلاد من أقصاها الى أقصاها ، لان هذه البلاد بالرغم من شدة وطأة الاستعمار عليها فانها كانت لا تزال تحتفظ بقسط من الشعور والحيوية .

ولقد كانت هذه القضايا فرصة آتت . كشف الدفاع - الذي كان الكثير من أعضائه متطوعا - عن حقيقة الاخوان المسلمين وعن جهادهم وتضحياتهم ، مما كان الاخوان حريصين على إخفائه ايثاراً لما عند الله . فعرف المصريون والعرب لأول مرة ان لهم في تاريخهم الحديث مفاخر تذكر بمفاخرهم في عصورهم الاولى من الدعوة الاسلامية الباكورة ، واستقر في أذهانهم أن هذا الطراز من الرجال هو الذي يرجى على يديه اجلاء اليهود عن البلاد المقدسة التي مكنهم الاستعمار من اغتصابها .

ولقد كان للشهادات التي ادى بها أمام القضاء القائدان العامان للقوات المصرية في فلسطين اللواءان أحمد المواوي وفؤاد صادق صدى مدو في أسماع العالم كله ، لاسيما في أسماع المصريين - المجنى عليهم دائماً - والذين لم يكونوا يسمعون من أبواق الحكومة السعودية الا ذمما وإفتراء وتحقيراً لهذه الفئة الطاهرة المجاهدة .

ولم يكتف القضاء بإصدار احكام تبرئ، ساحة هؤلاء المجاهدين بل كانت الروعة في حيثيات هذه الاحكام التي أشادت بهم ودمغت ذلك العهد بالاستبداد والتعنت والارهاب .

وينبغي أن يكون ماثلاً في ذهن القارئ، أنه ليس معنى أن هذه الاحكام وقد صدرت بعد سقوط وزارة السعديين أن العهد الذي تلا هذه الوزارة كان

عهداً جديداً ٠٠ لا بل ان العهد كان ممتداً ، لم يتغير فيه شيء الا الاشخاص الذين أتى بهم على المسرح ٠٠ أتى بهم المسيطر على المسرح ٠٠ المحرك من المصريين كان هو الملك وكان مؤلف المسرحية هم الانجليز ٠٠ وكان هذان موجودين ، وكانا هما المسيطرين على مقادير البلاد ٠٠ ولكنهما مع ما كان لهما من رهبة في صدور الناس ، وقد استطاعا التدخل في كل شيء واستطاعا افساد كل شيء فانهما عجزا عن ان يقتحما الى ساحة القضاء التي كانت حيالهما أمنع من عقاب الجو .

واذا كان الشيء بالشيء يذكر ونحن بصدد الابانة عن مناعة مقام القضاء حتى ذلك العهد ، أراني مذكرا بمشكلة من هذا القبيل كثر حولها الجدل في خلال عامي ١٩٥١ ، ١٩٥٢ حين وليت الحكم وزارة الوفد مؤيدة بأغلبية شعبية ساحقة ، ومشمولة بتأييد الملك لأول مرة ٠٠ ومعنى هذا أنها كانت وزارة وطيدة الاركان راسخة الاقدام نافذة الكلمة مما لم يتوفر لوزارة على الصعيد المصري من قبل .

وكان الدكتور عبد الرزاق السنهوري في ذلك الوقت رئيساً لمجلس الدولة - وهو العالم القانوني المشهود له من الجميع - غير أن الدكتور السنهوري كانت له صفة أخرى هي أنه كان من قبل عضواً في حزب السعديين وتولى منصب الوزارة في بعض وزاراتهم .

فلما جاءت وزارة الوفد أراد النحاس باشا رئيس الوزراء - بهذه السلطة المطلقة التي يملكها - أن يقتلع السنهوري من منصبه القضائي بدعوى أنه رجل حزبي . وأرسل اليه من يطلب اليه الاستقالة من منصبه ، فكان أن أعلن السنهوري على صفحات الجرائد أنه يوم تولى منصبه في القضاء تخلى عن حزبيته وقطع صلته بها ، وأنه لن يتخلى عن منصبه القضائي إلا أن ينحيه مجلس القضاء الأعلى . . . ولما كان السنهوري كفاءة قانونية نادرة فقد تمسك به مجلس القضاء .

وبذات حكومة الوفد جهوداً جبارة بجهازيها التنفيذي والتشريعي ، وبنفوذها الصحفي والاعلامي ، طيلة عام كامل ٠٠ دون أن تتمكن اقوى حكومة تولت الحكم في مصر في عهد الملكية من زحزحة السنهوري عن منصبه . . . وسقطت الحكومة في عام ١٩٥٢ وظل القاضي في منصبه .

الفصل الثانی

من الأحكام المخالدة

أولا - الحكم في قضية السيارة الجيب :

مقدمة

لعل قد استبان لقارىء من اصفحات السابقة الصورة التي كانت التحقيقات تجري في اطارها ، والمجزرة البشرية التي كانت ترتكب جريمتها باسم هذه التحقيقات بين جنران النسجون ومكاتب اليونبس ، والاعترافات التي كانت تملأ على المتهمين ، ويوقعونها وهم في شبه غيبوبة من اثر الضرب والتعذيب .

وظن المزيون انهم استطاعوا ان يذلوا كل عقبة اعترضت طريقهم بازاحة كل رجل بوليس فيه بقية من شرف أو مسكه من ضمير عن طريقهم . . . وحتى رجال النيابة . . . انتقوا منهم قلة شاذة باعت نفسها للشيطان ، وشردوا الاخرين الذين رفضوا الخضوع لشيئتهم .

وكانوا يعتقدون انهم بذلك قد اتموا المشوار الى آخره ، واكملوا طبخ الطبخة ومهكوا عناصرها بعضها ببعض حتى فقدت هذه العناصر معالمها فلم تعد تميز عنصرا فيها عن آخر ، ثم مزجوا بها السم الزعاف فسرى في كل ذرة من ذراتها واعادوا مهكها مرة بعد مرة ، حتى خرجت من تحت ايديهم عنصرا واحدا يشهد بمهارة الطابخين . . . طبخوها في عزلة وفي تان وهوى ، فقد كان الوقت في ايديهم يتصرفون فيه كما يشاءون . . . ولم يقدموها للقضاء الا بعد ان استكملت تجانسها وصارت مهيأة للالتهام .

فالقضاء واجد امامه اعترافات صريحة مذيلة بتوقيعات المتهمين . وان كان اكراه أو تعذيب فقد كان يجري بين اربعة جدران ، ما من شاهد عليه ولا دليل ، وقد مضى عليه شهور طويلة كادت تذهب بآثاره . . . فماذا يفعل القضاء امام هذه الظروف الا أن يصدر الاحكام التي رتب الظالمون هذه القضايا لتصدر فيها ؟

ولا عجب في هذا ، فقد رأينا في قضية الاوكار حين قررت المحكمة سماع

أبوال الشهود في موضوع التعذيب ، رأينا أحد كبار المحامين في القضية وهو الاستاذ زكى الدهني يقرر للمحكمة أن استجلاء هذا الموضوع بهذا الأسلوب غير مجد لان التعذيب كان يجري بين أربعة جدران ، ولم يكن يحضره الا المتهم والقائمون بتعذيبه .

لم يكن القضاء - كما رأى القارئ - هو القضاء الساذج المتسرع الذي يؤخذ بالظواهر والمناظر فيلتهم الطبخة الناضجة الفاتحة الرائحة التي قدمت اليه . بل انه سد أنفه وأخذ يجيل النظر في محتوياتها . ولفت نظره الاعترافات الكاملة من كل المتهمين والمكتوبة بأسلوب قانوني وبعببارات اصطلاحية لا يحقها الا الاخصائيون المتمرسون بالتحقيقات القانونية . فهل هؤلاء المتهمون جميعا - ومنهم الطبيب والمهندس والمعلم والازهرى والطالب والعامل والميكانيكى والتاجر - كلهم على درجة عالية من الدراية بالاصطلاحات القانونية التي لا يفهمها الا الاخصائيون ؟

لم يكن القضاء اللقمة السائغة للملفقين كما كانوا ينتظرون ، بل انه خيب آمالهم ، فقد أفسح صدره ، وتتبج الآثار حتى وصل الى أصلها . وتعاون مع الدفاع في تقصى الحقائق واستجواب الرؤوس الكبيرة - التي كانت تعتقد أنها أمنح من أن يهبط بها من عليائها - وأوقفها أمام المتهمين وجها لوجه وإمتحهم بسلطانه العادل الى معادل الظلم فعان زنازين للسجون المحصنة التي استقل بها البوليس السياسى وعزلها عن الدولة .

ترك القضاء الطبخة كلها جانبا ، وراح ينظر فيما بين يديه من آثار في أجسام المتهمين ، ويستعين بالاطباء على معرفة أسبابها وأعمارها . وأخذ يبحث تاريخ هؤلاء المتهمين ، وهل هم فئة مرت على الاجرام بطبيعتها أم أن هناك بواعث أخرى كانت هي السبب الاصيل في منولهم بين يديه في تقصى الاتهام ؟ ثم أخذ يقيم هذه البواعث حتى انه قرأ القوانين الضابطة لمسيرة هؤلاء المتهمين في الحياة ، والتي التزموا بها وبايعوا عليها من أول يوم . فوجدها مثلا عليا مستمدة من القرآن الكريم ، ولكنها تتعارض مع أهواء السادة الحاكمين ، وتقف عقبة في طريق شهواتهم .

وكانت القضيتان الكبريان اللتان آلتا آخر الامر الى ساحة القضاء مما قضية السيارة الجيب وقضية الاوكار وحامد جوده . وضمت الاولى اثنتين وثلاثين متهما وضمت الثانية خمسين متهما .

ومع أن القضية الثانية (الاوكار) قد عقدت أكثر من عشرين جلسة تكشفنا في خلالها فضائح واعاجيب - عرضنا لبعض منها في الفصل السابق - فانها انقطعت عن مواصلة الجلسات للأسباب التي أشرنا اليها .

ولهذا فإن القضية الكبيرة والهامة التي صدرت فيها الاحكام هي قضية السيارة الجيب ليس غير . وقد رأينا أن نثبت هنا نص هذا الحكم ، ثم نتبعه بالحيثيات التي بنى عليها ، ليرى القارئ في هذا الحكم وحيثياته وثيقة تاريخية نترك له تقييمها .

ولا يفوتنا - بهذه المناسبة - أن نقول أنه لو أن قضية الاوكار قدر لها أن تنابع جاساتها لانتتهت الى أحكام وحيثيات أبدع وأروع . ولكن يبدو أن ارادة الله قد سبقته بأن تكون احكام هذه القضية وحيثياتها لا مجرد ادانة لحكم فاروق وعصابتة ، بل تقويضا لدولتهم ، وثلا لعرشهم بقيام ثورة يوليو ١٩٥٢ .

● نص الحكم في قضية السيارة الجيب :

نظرا لما كان للحكم في هذه القضية من صدى داخل مصر وخارجها . ونظرا لما لهذا الحكم من دلالات بعيدة المدى ، ولما له من آثار عميقة الغور في تاريخ مصر ومستقبلها ، فقد صدرت أكبر الصحف اليومية في ذلك اليوم ١٨-٣-١٩٥١ وملء صفحاتها الاولى بالخط الاحمر هذا العنوان وكتب تحته : براءة ١٤ متهما من ٣٢ متهما ، - وكتبت تحت ذلك : كان المتهمون ينشدون نشيد السجون الذي ألفه أحدهم وهو :

الله اكبر في سبيل الله أدخلنا السجون
والمخرجون من الديار بلا ذنوب يحبسون
الله اكبر وليكن بعد الحوادث ما يكون
لا نستعين بغير ناصرنا وما نلثى يهون
والله اكبر في سبيل الله أدخلنا السجون

□ نص الحكم :

السجن ثلاث سنوات : مصطفى مشهور - محمود السيد خليل الصباغ
احمد محمد حسنين - احمد قحري الحارثي - السيد فايز عبد المطيب .

الحبس سنتين مع الشغل : عبد الرحمن على فراج السندی - احمد زكى حسن - احمد عادل كمال - طاهر عماد الدين - محمود حلمي فرغلي - محمد احمد على - عبد الرحمن عثمان - صلاح الدين عبد انتعال - جمال الدين طه الشافعي - جلال الدين ياسين - محمد سعد الدين السباني - على محمد حسنين الحريري .

الحبس سنة واحدة : محمد ابراهيم سويلم .

براءة المتهمين جميعا من التهمة الرابعة الخاصة بحيازة أجهزة وأدوات ومحطة اذاعة لاسلكية بدون اخطار .

براءة ١٤ متتهما هم : محمد فرغلى النخيلي - محمد حسنى أحمد عبد الباقي - أحمد متولى حجازى - ابراهيم محمود على - الدكتور أحمد الملط - جمال الدين ابراهيم فوزى - السيد اسماعيل شلبى - أسعد السيد أحمد - محمد بكر سليمان - محمد الطاهرى حجازى - عبد العزيز أحمد البقلى - كمال سيد القزاز - محمد محمد فرغلى - سليمان مصطفى عيسى .

□ تعليق الدكتور محمد هاشم باشا على الحكم :

كان الدكتور محمد هاشم باشا من أكبر المحامين في مصر في ذلك الوقت، وقد تقلد منصب الوزارة في وزارة محايده . . . وقد أدلى لخسود جريدة « المصرى » برأيه في هذا الحكم فقال :

رايى انه حكم سليم ، قد راعى كل الاعتبارات ، وبخاصة فيما يتعلق بالظروف التى أحاطت بالتحقيق ، وعلى الاخص من جهة المعاملة التى عومل بها المتهمون ، وكيفية انتزاع ما أسمته النيابة اعترافات منهم . ومن ناحية أخرى يخيّل الى وأنا لم أقرأ الحثيات بعد ، أن الحكمة راعت الاعتبارات الخلقية والاجتماعية التى كان يقوم بها الاخوان المسلمون بصفة عامة .

والى جانب هذا فان المحكمة كانت واسعة الصدر بتسكل واضح ، وقد أوسعت صدرها للاتهام أولا وللدفاع ثانيا ، ولم تترك كبيرة ولا صغيرة الا حققتها ووزنتها . وقد عشنا - نحن القضاة والنيابة والمحامين - ثلاثة اشهر في بحث هذه القضية . ولم يمل المستشارون بحال من الاحوال ، بل وأرادوا أيضا أن يحققوا أكثر مما دققوا فحجزوا القضية للحكم قرابة ثلاثة اسابيع لمراجعة الاوراق من جديد ، ووزن كل ما جرى في التحقيق وما قيل في المرافعة من جانب الاتهام والدفاع .

ولا شك أن قضاة يظهرون هذا التحقيق والوزن في كل أمر يمس هذه القضية لا يمكن بحال من الاحوال الا أن يجي، حكمهم عادلا سليما لا يرد عليه مطعن .

ويخيّل الى أيضا أن القضاة وهم يباشرون نظر هذه الدعوى كانوا حقيقة بعيدين عن كل شيء يمس الجو العام للقضية كالدعاية وما شابهها .

ثم انسحبوا بعد ذلك الى محراب العدالة يستلهمون فيه حكم القانون اولا والعدل ثانيا . والقضاء ليس الا تحقيقا للعدالة في حدود القانون .

ولعلنا بعد ان نطلع على اسباب الحكم نقتنع تماما بهذا الشعور الذى حكمنا به لاول وهلة عندما سمعنا النطق بالحكم . وهذا من غير شك يجعلنا نردد بحق تلك العبارة التقليدية التى تقول « ان في مصر قضاة » .

● حيثيات الحكم فى قضية السيارة الجيب :

فى ١٣-٤-١٩٥١ نشرت الصحف حيثيات الحكم فى قضية السيارة الجيب على الصورة الآتية :

« المحكمة تعلن « وهى مطمئنة » أن تعنيا وقع على المتهمين ،
« كان التحقيق فوضى ، تارة تتولاه النيابة وأخرى ينولاه عبد الهادى باشا ،
« المحكمة تشيد بمبادئ الاخوان المسلمين ، ولكر المتهمين

انحرفوا عنها بدوافع وطنية كاذبة بلد محتل مغلوب
على أمره » « وتحت تأثير كارثة فلسطين ،

وقسح أمس سعادة أحمد كامل بك رئيس دائرة الجنايات المكونة من
سعادته وعضوية محمود عبد اللطيف بك ومحمد زكى شرف بك حيثيات حكمها
فى قضية السيارة الجيب ، التى كان متهما فيها ٣٢ شخصا من الاخوان
بالاتفاق الجنائى العام على قلب نظام الحكم واحراز الاسلحة ، وقضى ببراءة
١٤ متهما وبحبس الباقيين مددا تتراوح بين ثلاث سنوات وستة واحدة -
ويقع الحكم فى ٣٨٥ صفحة فولسكاب . وقد بدى بأسماء المتهمين والتهم
المنسوبة اليهم وبيان الاوراق والاسلحة التى ضبطت ثم جلسات المحاكمة -
ثم أشار الى اعترافات عبد المجيد حسن قاتل النقراشى - ثم عرض الى
اعترافات عبد الرحمن عثمان .

□ اعترافات مصطفى كمال :

ثم انتقل الحكم الى سرد اعترافات مصطفى كمال عبد المجيد - المتهم
الاول فى قضية الاعتداء على حامد جوده - المتضمنة انه نعرف بالتهمة عادل
كمال ، وأنه كان يتردد على شعبة الظاهر ، وعلم أن محمود الصباغ اشترى
سيارتين من سيارات الجيب عهد باصلاحهما لانيس أنس ، وأنه اشترك مع
أحمد عادل فى نقل اوراق من أحد المنازل بالسيارة - وبعد ذلك ضبط مع بعض
المتهمين اثناء وجودهم فى السيارة الجيب بالوايلية ولكنه استطاع الهرب
الى القاهرة وظل مختفيا تحت أسماء مستعارة - وأنه دبر هو وزملاؤه مؤامرة

لقتل ابراهيم عبد الهادى باشا ، ولكن تصادف مرور سيارة الاستاذ حامد جوده فظنوه عبد الهادى باشا وألقوا على سيارته القنابل بمصر القديمة .

□ عسدم نعرف المعترف :

وأشارت المحكمة الى أنه بناء على هذه الاعترافات سحب المحقق هذا المتهم المعترف للارشاد عن منزل عادل كمال الذى يردده فى اعترافاته ، قاذابة لا يستطيع الارشاد عنه بل أرشد عن منزل آخر تبين أن صاحبه لا صلة له بالحادث .

□ اعترافات صنعها التعذيب :

ثم تناولت المحكمة عدول هذا المتهم عن اعترافاته ، وقوله ان أقواله المذكورة لم تصدر منه على الاطلاق ، وأنه عذب فور القبض عليه فى ٥ مايو ١٩٤٩ على أثر محاولة الاعتداء على الاستاذ حامد جوده رئيس مجلس النواب وقتئذ ، وان التعذيب ترك بجسمه آثارا . وإن المحكمة استجابت لطلب الدفاع بضم التقرير الطبى الشرعى عنه .

□ سبع ندب بعد عدة شهور :

ثم استطرد الحكم يقول : انه بمراجعة التقرير الطبى تبين أن الكشف على المتهم المذكور انما تم بعد خمسة أشهر من وقوع التعذيب المدعى به ، وقد وجد بساعده وعضده سبع ندب لشقوق يتراوح طولها بين سنتيمترين وستة سنتيمترات ، وأنها قد تكون معاصرة للوقت المدعى بحصول الاعتداء . فیه كما قد تكون سابقة لهذا التاريخ ، وأنه لا يوجد لدى الطبيب ما يساعده على الجزم بأن هذه الآثار ناشئة بالذات عن ضرب الكرياج ، ومن الممكن تخلفها من الاحتكاك بأجسام صلبة أيا كانت طبيعتها .

□ لولا قرار المحكمة :

ثم استطردت المحكمة معلنة رأيها فى هذه الواقعة قائلة : انه ثابت فى صدر التقرير الطبى أن هذا المتهم مصطفى كمال عبد الجيد عندما كشف عليه تنفيذاً لقرار المحكمة العسكرية العليا فى ٨ أكتوبر ١٩٤٩ لم يكن أحد قد عنى من قبل ذلك بإحالاته الى الكشف الطبى .

□ فى قبضة البوليس :

وانه لا نزاع فى أن المتهم المذكور كان فى قبضة رجال البوليس وتحت سلطتهم فى الفترة ما بين ٥ مايو ١٩٤٨ وحوالي تاريخ القبض عليه وبين ١٠ من أكتوبر ١٩٤٩ وهو تاريخ الكشف الطبى عليه .

□ خيموتونى يا باشا :

وحيث ان دولة ابراهيم عبد الهادى باشا رئيس مجلس الوزراء، وقتذاك قد أدلى باقواله أمام هذه المحكمة بجلسة ١٨ ديسمبر ١٩٥٠ وجاء فيها أنه عندما وصل الى علمه نبأ محاولة الاعتداء على حياة رئيس مجلس النواب السابق انتقل الى قسم مصر القديمة ، وهناك رأى مصطفى كمال عبد المجيد مفبوضا عليه ، وأنه استنفاث بدولته قائلا : فى عرضك أنا عطشان خيموتونى . فساله دولته عن الحادث واشترآكه فيه فأقر بما ارتكب .

□ الشعب المعتدى :

واضاف عبد الهادى باشا الى اقواله أنه علم أن الاهالى اعتدوا على مصطفى كمال عبد المجيد عقب القبض عليه .

□ استنفاثة لها دلالتها :

وعلقت المحكمة على هذه الشهادة من ابراهيم عبد الهادى باشا قائلة : ان عبارات الاستنفاثة التى أسندها دولة ابراهيم عبد الهادى باشا الى المتهم ان دلت على شىء ، فاما تدل على أن المتهم كان محل اعتداء بعد القبض عليه وبعد ان أصبح تحت سلطان رجال البوليس وحدهم وفى دار القسم وبعيدا عن تناول الافراد .

[] لو كان فى مأمن :

ولو ان هذا المتهم كان بعد القبض عليه فى مأمن من أى اعتداء لكانت استنفاثته بدولة عبد الهادى باشا غير مستساغة ولا معنى لها .

□ من فهم عبد الهادى باشا :

وحيث انه من هذا ترى المحكمة أن هذا المتهم كان محلا للاعتداء فى دار قسم مصر القديمة بعد القبض عليه ، وأن العبارات التى قال رئيس مجلس الوزراء الاسبق انه فاه بها انما تدل على أن الاعتداء كان شديدا .

□ المحكمة تعلن ثبوت التعذيب :

واستطردت المحكمة تعلنها مدوية : ان المحكمة تستطيع أن تقرر وهى مطمئنة ان الآثار التى شوهدت بجسم مصطفى كمال عبد المجيد بعد ما يزيد على خمسة أشهر من وقت ضبطه ، يمكن ارجاءها كلها او بعضها على الاقل الى ما كان يقارنه من تولوا ضبطه والحافطة عليه من رجال البوليس .

□ وتعلن بطلان الاعترافات :

وتطرقت المحكمة مرتبة على هذا الرأي الخطير نتيجة خطيرة فقالت
حبت ان ما أدلى به هذا المتهم في التحقيقات الخاصة بهذه القضية - قضية
السيارة الجيب - عن قيادته لسيارة الجيب مع بعض المتهمين ونقل أوراق
وغير ذلك من وقائع انما كلها أتى بعد وقوع الاعتداء عليه اثر ضبطه ، ولذا
فان المحكمة لا تطمئن الى أقواله جميعها ، وترى أن تسقطها من حسابها عند
الكلام على الدليل .

□ تسليم النيابة بالإصابات :

ولقد أرفق ممثل الاتهام الخطابات التي كتبها أحمد عادل كمال وزملاؤه
بالتحقيقات . وان أرفاق هذه الخطابات دون سؤال مرسلها يدل على أن
ما ورد بها عن اصاباتهم - ايا كان سببها - كان أمرا مسلما به . ويدل على
ذلك شهادة دولة ابراهيم عبد الهادي باشا عن استغاثة مصطفى كمال عبد
المجيد به . ولا محل لسماع شهادة ممثل الاتهام عن هذه الواقعة وقد تبين
المحكمة حصول اعتداء عليه داخل القسم .

□ تعذيب فصالون :

ثم انتقل الحكم بعد ذلك الى الكلام عن المتهم عبد الرحمن عثمان فتناول
الواقعة الخاصة بتعذيبه في ١١ يوليو ١٩٤٩ بقصد الاعتراف امام المحقق في
اليوم التالي ، وواقعة أن ابراهيم عبد الهادي باشا اصطحبه معه في صالونه
الخاص في سفره الى الاسكندرية .

□ ظروف :

ثم استطردت المحكمة تقول : انها ترى قبل الكلام على الادلة القائمة
قبل هذا المتهم أن تعرض للظروف التي تم فيها ضبطه ثم الظروف التي أدلى
فيها بأقواله سواء أكان ذلك في التحقيقات أو بمحضر جلسة قضية مقتل
النفراشي باشا .

□ انكار ينهار فجأة :

وأشارت الى القبض عليه وتمسكه بالانكار ثم تقديمه طلبا الى النيابة
بأنه يريد الاعتراف . وأبرزت ظروف ذلك مقرر أنها تلاحظ أن آخر استجواب
للمتهم قبل اعترافه كان بتاريخ ٢٥ يونيه ١٩٤٩ وقد وجه بجانب من تقرير
الخبراء من أن التقارير المضبوطة في الحافظة بخطه وأصر رغم ذلك على الانكار

ولم يجد جديد في شأنه حتى تقدم بالطلب المؤرخ ١١ يولية ١٩٤٩ عن طريق السجن يريد الاعتراف .

□ تعليل النيابة غير معقول :

وحيث ان النيابة في مرافعتها قالت ان المتهم تبين بعد ورود التقرير بخطه ان انكار الحقيقة لم يعد مجديا . وهذا القول مردود لان المتهم ووجه بتقرير الفحص فاصر على الانكار . ثم كان الطلب بعد أن أصر بنحو ٢٦ يوما دون أن يجد جديد ، فلم يواجه مثلا بأقوال شاهد أو بأقوال متهم معترف عليه بل ان الطلب قدم دون أسباب أو مقدمات .

□ سر له أثر حاسم :

وحيث ان الثابت من الاطلاع على دفتر سجن الاجانب أن المتهم خرج منه مع أحد ضباط القسم السياسى وقضى ٦ ساعات في دار المحافظة ثم ظهر انه قدم الطلب الذى يبدى فيه رغبته للاعتراف في نفس هذا اليوم ، وان الطلب كتب بعد عودته من المحافظة ، وذلك ينطوى على مسألة قد يكون لها أثر حاسم في القضية محل التحقيق .

□ خفايا المحافظة :

وحيث انه لا يوجد في الاوراق ما يكشف عن حقيقة ما دار في الفترة التى قضىها المتهم في دار المحافظة ، ولم يتحدث أحد بما حصل سوى الدفاع عن المتهم الذى قرر أنه عذب واستكتب طلبا بالاعتراف .

□ الاعتداء اقل ما يقال :

وألفت المحكمة برأيها في هذه الواقعة فأعلنت أن اقل ما يقال في هذا الشأن أن المتهم كان تحت تأثير اعتداء أو تحريض من رجال البوليس لدفعه الى كتابة ما كتب وللادلاء بعد ذلك بما ادلى من اعتراف في ١٣ يوليو ١٩٤٩ .

وحيث انه مما يلفت النظر ، أنه في اليوم التالى للاعتراف أخرج عبد الرحمن عثمان من السجن مرة أخرى (لتوصيله لنيابة الاستئناف) ولكنه لم يصل الى النيابة .

وقد دعا الدفاع ابراهيم عبد الهادى باشا لادلاء بأقواله أمام هذه المحكمة . وكان من بين ما قرره أن المتهم ركب معه القطار في ذلك اليوم واستجوبه لفترة قصيرة بشأن اعترافه على قرييب له هو ابن محمود يوسف باشا وكيل الخاصة الملكية ، وذلك لكي يتحقق دولة الشاهد - وهو الحاكم

العسكرى العام - من صحة هذا الاعتراف ويتصرف على مقتضى ما يصسن
النية في هذا الشأن . واستطرد دولة الشاهد فقال أنه بعد أن سمع من المتهم
ما أراد سماعه صرفه ولا يعرف ما تم في أمره بعد ذلك .

وأمسكت المحكمة بهذه الرواية من ابراهيم عبد الهادى باشا لتبدى
رأيها فيها قائلة : ان ما قرره دولة ابراهيم عبد الهادى باشا بشأن ابن محمود
يوسف باشا لم يكن شيئاً في أوراق هذه القضية . ولم يخطر دولته المحقق
بهذه المقابلة وبما تم فيها .

وانطلق الحكم يدوى بكلمة المحكمة : وحيث انه مع التسليم بأن من
حق الحاكم العسكرى أن يدعو الافراد ويستجوبهم بنفسه وبخاصة اذا كان
الامر يتعلق بالمحافظة على الامن العام ، الا أن ما تم بشأن هذا المتهم بالذات
يدعو الى انعام النظر .

فلقد أخرج المتهم من السجن بحجة توصيله الى نيابة الاستئناف -
ولم يصل ذلك اليوم على الاطلاق - واقتيد الى محطة القاهرة حيث ركب
القطار والتقى بدولة رئيس مجلس الوزراء وقتذاك وكان ما كان بينهما مما
رواه دولة الشاهد الذى لم يعن بإثبات ما تم بينه وبين المتهم أو تبليغ
المحقق امر هذه المقابلة .

وواصل الحكم يجهر برأيه عن هذه الواقعة يسجل قائلا :

وحيث انه مهما يكن من سلطان الحاكم العسكرى في هذا الشأن ، فان
حريات الافراد يجب أن يكون لها حدود تقيها من العبث أيا كان مصدره ، وأن
لا يترك امر استجواب المتهمين المقبوض عليهم فوضى يتولاها تارة المحقق ،
وطورا الحاكم العسكرى صاحب السلطان الاكبر . . وذلك في غيبة المحقق وعلى
غير علم منه دون اخطاره بشأن الاستجواب .

□ اعترافات فاسدة :

وانتهت المحكمة من هذه الصيحة المدوية الى القول بأنها ترى أن كتابة
المتهم الطلب الخاص بالاعتراف ثم اعترافه ، كل هذا شابه عواء غير عادية
قد تكون تغذيبا كما زعم المتهم أو على الاقل اغراء وتحريضا . وهذه الاقوال
لا تعمل عليها المحكمة وتعدّها مهكرة .

وحيث ان هذه المحكمة ترى أن اطلاق يد البوليس في مقابلاتهم للمتهمين،
يلقونهم متى يشاءون ، ويخرجونهم من السجن متى أرادوا ، ويعيدونهم ثانيا
طبقا لأهوائهم ، ودون رقابة من رجل النيابة المحقق . . . هذه السلطة الطاقة

لا تتفق مع ما كفله القانون للمتهم من حرية الدفاع عن نفسه والادلاء بأقواله في جو بعيد عن شتى المؤثرات .

□ جماعة الإخوان المسلمين :

وتناول الحكم بعد ذلك الكلام عن جماعة الإخوان المسلمين مشيرا الى نشأتها ومسارعة فريق كبير من الشباب للالتحاق بها ، والسير على المبادئ التي رسمها منشئها ، والتي ترمى الى تطهير النفوس مما علق أو يعمق بها من شوائب ، وإنشاء جيل جديد من اخوان مثقفين ثقافة رياضية عاوية ، مشربة قلوبهم بحب وطنهم ، والتضحية في سبيله بالنفس والمال .

ومضت تقول : وقد كان لابد لمؤسسي هذه الجماعة لكي يصلوا الى أغراضهم أن يعرضوا أمام هذا الشباب مثلاً أعلى يحتذونه ، ووجدوه في الدين الاسلامي وقواعده التي تصلح لكل زمان ومكان ، فاثاروا بهذا المثل العواطف التي كانت قد خبت في النفوس ، وقضوا على الضعف والاستكانة وانتردد .

وهذه الامور تلازم عادة أفراد شعب محتل مغلوب على أمره ، فقام هذا النفر من الشباب يدعو الى التمسك بقواعد الدين والسير على تعاليمه ، وأحياء أصوله ، سواء أكان ذلك متصلا بالعبادات والروحانيات أو بأحكام الدنيا .

ولما وجدوا أن العقبة الوحيدة في سبيل احياء الوعي القومي في هذه الامة هي جيش الاحتلال ، الذي ظل بين المحتل وبين فريق من الوطنيين الذين ولوا امر هذا البلد مباحثات ومفاوضات على اقرار الامور ليخلص الوادى لاهله ، ولم تنفتح هذه المفاوضات والمحاولات الكلامية الى نتيجة طيبة . ثم جاءت مشكلة فلسطين وما صاحبها من ظروف وملابسات .

ولما كان كل هذا . . . اختل ميزان بعض أفراد شباب جماعة الإخوان فبدلا من أن يسيروا على القواعد التي رسمها زعمائهم ، والتي كانت قديرة حنما على تربية فريق كبير من أفراد الشعب وتثقيفهم واعلاء روحهم المعنوية . . بدلا من السير على هدى هذه المبادئ ارادوا أن يختصروا الطريق - فلما منهم أن أعمال العنف تبلغ بهم أهدافهم من سبيل قصير .

فاتحدثت ارادتهم على القيام بأعمال قتل ونسف وغيرها مما قد لا يضر المحتلين بقدر ما يؤذى بمواطنيهم ، وذهبوا في سبيل ذلك مذهبا شائكا ، منحرفين عن الطريق الذي رسمه لهم رؤساؤهم والذي كان أساسا قويا لبلوغهم أهدافهم .

وحيث إنه يتبين من كل هذا أن هذه الفئة الارهابية لم يحترفوا الجريمة وإنما انحرفوا عن الطريق السوى فحق على هذه المحكمة أن تلقنهم درساً .

□ درس رءوف :

على أن المحكمة تراعى في هذا الدرس جانب الرفق ، فتأخذهم بالرأفة تطبيقاً للمادة ١٧ من قانون العقوبات ، لانهم كانوا من ذوى الاغراض السامية التي ترمى أول ما ترمى الي تحقيق الاهداف الوطنية لهذا الشعب المغلوب على أمره .

* * *

ثانياً - الحكم بوقف بيع المركز العام وممتلكات الاخوان :

دعوى رفعها الامام ودعاوى رفعها رؤساء الشعب :

على اثر صدور الامر العسكري في عهد النقراشى باشا بحل هيئة الاخوان ومصادرة أموالها وممتلكاتها في أنحاء القطر ، رفع الاستاذ الامام رحمه الله دعوى أمام مجلس الدولة يطالب فيها بالغاء أمر الحل . فما أغتيل واصل أصهاره - الاستاذ عبد الحكيم عابدين والاستاذ عبد الكريم منصور - الدعوى . كما أقام بعض رؤساء الشعب دعاوى مماثلة يطالبون فيها بوقف تنفيذ مصادرة الشعب وبيع ممتلكاتها .

□ السنهورى يتنحى :

وقد رأى عبد الرزاق السنهورى باشا رئيس مجلس الدولة - لعلاقته السابقة بحزب السعديين - أن يتنحى عن نظر كافة الدعاوى المتعلقة بالاخوان المسلمين ، وعهد بنظرها الى السيد على السيد بك وكيل مجلس الدولة - وكانت هذه كياسة من السنهورى باشا .

وفي يوم ٢٦-١١-١٩٥٠ عرضت بصفة عاجلة احدى هذه الدعاوى . وهى مرفوعة من محمد حمزة الجمعى بصفته رئيساً لشعبة الاخوان بدمهور ضد وزارة الداخلية ومدير البحيرة والمندوب العام لتصفية أموال جمعية الاخوان ، يطالب فيها بالغاء أمر الحل لصدوره مخالفاً للقانون والدستور . ولتضمنه نصوصاً بالالغاء والمصادرة لا يملكها الحاكم العسكري ، كما يطالب بصفة عاجلة بوقف تنفيذ الامر الصادر من مدير البحيرة بناء على أمر الحل ببيع أرض يملكها المدعى بصفته رئيساً للشعبة ونائباً عن المرشد العام ووضعت عليها الحراسة يدها باعتبارها من ممتلكات الجماعة .

□ الوفد ينكث وعده :

وينبغي هنا أن نذكر أنه كان مفروضا حسب وعود حزب الوفد بلسان مرشحيه لمجلس النواب ، وحسب الوعود التي تطعها هؤلاء لناحبيهم ، أن تتخذ حكومة الوفد عند توليها الحكم الاجراءات التي تغنى الاخوان عن السير في هذه الدعاوى التي رفعوها في المحاكم ، وذلك بأن تصدر الحكومة قرارات بالغاء الاوامر العسكرية والقرارات التي صدرت من حكومات السعديين بالاستيلاء على دور الهيئة وأملاكها ، ويرد هذه الاملاك الى اصحابها الشرعيين .

ولكن الذي حدث هو أن وزارة الوفد تلكات في اتخاذ هذه الاجراءات - بالرغم من استنجاز الاخوان هذه الوعود - حتى حان الميعاد الذي حدده الموظف المسئول عن تصفية هذه الاملاك لببيع دار المركز العام .

ومنا اضطر الاخوان الى تحريك دعواهم ، فعرضت الدعوى التي اشرنا اليها في ٢٦-١-١٩٥٠ في جلسة برئاسة السيد على السيد بك . وحضر عن المدعى الاستاذ محمد طاهر الخشاب الذي طلب وقف تنفيذ قرار البيع بصفة عاجلة حيث تحدد يوم الاحد الماضى لاتخاذ اجراء بيعها ، على أن يحدد سعادة الرئيس جلسة لنظر الدعوى امام القضاء الادارى ، اذ يستغرق الفصل فيها وقتا يصعب من المتعذر بعده اصلاح هذه الحالة الطارئة الناجمة عن قرارات الحراسة ، كما طلب ضم قضيتين أخريين مرفوعتين من الاخوان لاهميتهما في الدعوى .

ودفع محامى الحكومة بعدم توافر صفة الاستعجال قائلا انه لا يوجد ضرر غير ممكن تداركه ، فطلب ايقاف التنفيذ متعلق بخدمة مالية ، وخزانة الدولة دائما عامرة يمكنها السداد اذا حكم بتعويض .

ثم نطق الرئيس بالقرار وهو يقضى بتأجيل القضية لجلسة ٦ فبراير القادم مع القضيتين المشار اليهما . وتوالى التأجيل بعد ذلك .

هذا . ثم حدث بعد ذلك أن ركبت حكومة الوفد رأسها ، واصرت على سلوك الطريق اللتوى الذى تحدثنا عنه في باب سابق ، وهو الطريق تجاهلت فيه ما قطعت على نفسها للاخوان من عهود وشرعت في استصدار تشريعات تكبلهم بها ، وتشل حركتهم ، وتلغى وجودهم . وتم لها من ارادت واصدرت التشريعات التي اشرنا اليها .

□ تحت ضغط الظروف فاء الوفد الى رشده اخيرا :

ثم جاء الغاء معاهدة ١٩٣٦ فوجدت هذه الحكومة - كما وضحا من قبل-

أنها في أمس الحاجة الى وقوف الاخوان المسلمين بجانبها ، فتراجعت عن كل ما أجهدت نفسها في اعداده من تشريعات ، وأخذت في اخنهاد سياسة جديدة تذكر معها سكرتير الوفد ووزير المالية موضوع دار المركز العام الذي كان معروضا للبيع منذ أكثر من عام وتعهد هو أن لا يستجيب لرجاء الاخوان بإصدار تعليمات بوقف بيعه - وسأل الوزير رجال وزارته هل بيع المركز العام ؟ فأجيب بأن الاخوان استنظعوا أن يؤجلوا موعد بيعه بدعاوى رفعوها أمام مجلس الدولة وأن الجلسة الأخيرة لمجلس الدولة لإصدار الحكم تنعقد بعد أسبوع . وكان ذلك يوم ١١-٩-١٩٥١ . فانتهاز الوزير الفرصة وسارع بإصدار تصريح ظهر في اليوم التالي بجريدة « المصري » هذا نصه :

« علم مذحوب « المصري » أن فؤاد سراج الحين ياشأ أصدر تعليماته بوقف جميع الاجراءات التي كانت ستتخذ بشأن بيع دار الاخوان الذي كان محدد له يوم ١٧ الجاري - وستتم في القريب اتصالات بينه وبين أقطاب الاخوان لرد ممتلكاتهم » .

ولكن الاخوان لم يعتمدوا على هذا التصريح الذي يعلمون الظروف التي اضطرت الحكومة الى اصداره ، وواصلوا دعواهم في مجلس الدولة .

مجلس الدولة يوقف بيع دار المركز العام

ويقرر أن جمعية الاخوان المسلمين موجودة قانونا

وانعقدت محكمة مجلس الدولة في ١٧-٩-١٩٥١ وأعلن محمد سامي مازن بك المستشار بمجلس الدولة حكم المجلس في هذه الدعوى ، ويقضى بوقف تنفيذ القرار المذكور - وجاءت حيثيات هذا الحكم في اثنين وعشرين ورقة من الحجم الكبير ، وجاء في هذه الحيثيات ما يلي :

□ حق تكوين الجمعيات :

وقد أجابت المحكمة على دفع الحكومة بعدم قبول الدعوى لانتفاء صفة المدعى ولعدم وجود دعوى موضوعية ولخروج طلب وقف التنفيذ عن سلطة رئيس مجلس الدولة وولايته بما يلي :

انه للفصل في ذلك يقتضى بيان الوضع القانوني للجمعية والصفة التي كانت لها قبل الحل ثم ما كان لهذا الامر من أثر عليها :

أما عن المسألة الاولى فان حق تكوين الجمعيات قد ورد في المادة (٢١) من الدستور حيث تقرر ان « المصريين حق تكوين الجمعيات ، وكيفية

استعمال هذا الحق بينه القانون » ثم استشهدت المحكمة بما جاء في محاضر لجنة الدستور عن هذه المادة من أن الدستور قد عهد الى القانون بتنظيم الحق في تكوين الجمعيات بعد أن قرر قيامه - كما أن اللجنة اذ تحدثت عن الباب الذى وضعته في الدستور « حق المصريين وواجباتهم » والذى يعتبر حق تكوين الجمعيات فرعاً منه قالت « وقد كان المصريون يتمتعون بهذه الحقوق تدعمها النظم السياسية التي كانت جارية في مصر وتنظيم مغلظها القوانين المصرية ، غير أن تلك الحقوق لم تكن مجموعة في باب ظاهر منشور بين الناس ، لذلك رأت اللجنة أن توضع ذلك الباب جرياً على ستن الدساتير الأخرى ، وتحقيقاً للغرض الذى يلتبس منه ، وليكون قيماً للشارع المصرى لا يتعداه فيما يسنه من الأحكام » .

ثم عرضت الحثيات لما جاء في مذكرة وزير الحثانية عن الدستور ، وما جرت عليه المحاكم قبل الدستور وبعده لكفالة هذا الحق في اطلاقه - ثم عرضت للقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٤٥ في شأن الجمعيات الخيرية والمؤسسات الاجتماعية ثم للقانون رقم ٦٦ لسنة ١٩٥١ الخاص بالجمعيات .

□ هيئة استوفت عناصرها :

واستطردت المحكمة فقالت « ومن حيث أن جمعية الاخوان المسلمين قد تكونت في ظل ذلك الحق الاصيل في تكوين الجمعيات ، فاكتملت صفتها ، كما تمتعت بشخصيتها المعنوية منذ تكوينها وفقاً للمبادئ المقررة من اسناد هذه الشخصية الى كل هيئة استوفت عناصرها ومقوماتها من ارادة خاصة ونظام تبرز به هذه الارادة ، ومن ذمة مالية مستقلة عن ضم أعضاءها . . وطبقاً لما قضى به القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٤٥ فقد سجلت الجمعية أوجه نشاطها الخيرية في وزارة الشؤون الاجتماعية . . وبذلك تكون قد استوفت - في ظل أصول القانون العام ووفق أحكام القانون الخاص - خلقاً سنوياً متكاملًا ، .

الاخوان يفتحون مركزهم انعام بعد تسلمه

تقدير الممتلكات التي أعادتها الحكومة اليهم بمبلغ (٢٠٠) ألف جنيه نشرت جريدة « المصرى » ، في عددها الصادر يوم ١٧-١٢-١٩٥١ تحت هذا العنوان ما يلى :

كان اول عمل قام به الاخوان حين فتح المركز العام ان أقاموا به صلاة المغرب ، ثم توجهوا الى قبر الاستاذ الامام رحمه الله .

ثالثا - الحكم ببطلان أمر الحل والغائه :

كان أمام مجلس الدولة أربع قضايا كل منها تتطلب الحكم بالغاء قرار الحل . وقد ضمت جميعا الى القضية التي رفعها الاستاذ عبد الحكيم عابدين ، ونظرت أمام محكمة القضاء الإداري بالمجلس برئاسة السيد على السيد بك وكيل المجلس . وكانت آخر جلسة لها استتمعت فيها الى المرافعات هي جلسة يوم ٩-٤-١٩٥٢ .

وقد ترفع فيها الاستاذ عبد القادر عودة رحمه الله ، وفي نهاية مرافعته الطويلة الشاملة قال : ان كل ذلك لا علاقة له بسلامة الجيش . وكما قرر رجال الجيش أنفسهم ان سلامتهم كانت في وجود الاخوان ، وأنهم عندما حصر جزء منهم في القالوجا طلبوا عوننا من الاخوان . وكانوا كلما هدد اليهود مواضلات الجيش لجأوا الى الاخوان ليردوا هذا العدوان ، وكلما احتل اليهود موقعا له أهمية استراتيجية طلبوا من الاخوان اجلاءهم عنه .

وقال ان هذه القضية ليست قضية الاخوان ، وانما هي قضية الامة المصرية . قضية الامس واليوم والغد . . . وان أمر هذه الامة لن ينصلح الا اذا وضع القضاء حدودا ظاهرة بين حق الحاكمين وحق المحكومين ، والا اذا علم الحاكمون ان وراءهم القضاء يحاسبهم حسابا عسيرا كلما اعتدوا على حقوق الامة .

كلمة للاستاذ عبد الحكيم عابدين أمام المحكمة :

واسقأني الاستاذ عبد الحكيم عابدين المحكمة في القاء كلمة في القضية بيبين فيها البواعث الحقيقية لصدور أمر الحل فقال :

ان الوزارة المذكورة في عجزها عن علاج القضية الوطنية ، وفي تهاونها امام طغيان الحاكم العام في السودان ، وفي صغبرها على صفعات اليهود بفلسطين ، وفي تعلقها آخر الامر بكراسي الحكم . . . لم تجد مذكرا لصفوها ، ولا مظهرا للامة على حقيقة مخازيها ، الا جماعة الاخوان المسلمين . الذين كانوا ضوء المصباح يكشف للامة عن حقيقة الحكام الهازلين .

فلا عجب - منطقها الشيطاني السقيم - ان تقدم على اطفاء هذا المصباح ليسود الظلام الذي يحجب الانظار عن مخازيها . . لا عجب في ذلك ، وانما العجب ان تعتمد الحكومة الى محو العار بالعار ، وستر الجريمة بالجريمة . ومحلولة محو الوزر بوزر مثله .

وختم كلمته بقوله : الا ترى أخيرا أن قرار الحل المطلوب منكم الغاؤه وأبطل آثاره لم يكن أبدا في خدمة مصر ، ولا برا بالعروبة ، ولا وفاء للإسلام

وانما كان خخدمة جلى للسياسة البريطانية التى أماتت الوعى فى مصر ،
وقطعت اشواطا فى جلفزة السودان ، ونجحت فى اسكات صوت الحق والقوة
والحرية ولو الى حين .

وبعد انتهاء كلمة الاستاذ عبد الحكيم عابدين قررت ضم الدعاوى الاخرى
وقررت اصدار الحكم بعد سبعة اسابيع .

● حكم مجلس الدولة فى القضية :

فى ١٩٥٢-٦-٣٠ اصدرت الدائرة الثانية لمحكمة القضاء الادارى
برئاسة السيد على السيد بك وكيل مجلس الدولة حكما فى الدعوى المرفوعة
مزا الاستاذ عبد الحكيم عابدين السكرتير العام للاخوان المسلمين . ويقضى
الحكم بالآتى :

أولاً - برفض الدفع الذى تقدمت به الحكومة بعدم جواز سماع الدعوى .

ثانياً - برفض الدفع بعدم الاختصاص .

ثالثاً - برفض الدفع بعدم القبول الذى قدمته الحكومة على أساس أن
الاخوان المسلمين لا وجود لها .

وحكمت المحكمة فى الموضوع بالغاء الامر العسكرى رقم ٦٣ بحل جمعية
الاخوان المسلمين فيما تضمنه من احكام ترمى الى القضاء على ذات الجمعية
وانهاء حياتها القانونية وتصفية الاموال المكونة لخدمتها المالية ، وكذلك
جميع الآثار المترتبة على أمر الحل .

حيثيات حكم مجلس الدولة

بالغاء الامر العسكرى بحل الاخوان المسلمين وببطلانه

فى ١٩٥٢-٧-٤ نشرت حيثيات هذا الحكم ، والى القارىء هذه
الحيثيات لئلا لها من بالغ الاهمية :

□ دفعوى الحكومة ورد المجلس عليها :

كانت الحكومة قد دفعت عند نظر الدعوى بدفعين :

اولهما عدم الاختصاص ، والثانى عدم القبول تاسيسا على أن جمعية
الاخوان لا وجود لها قانونا ٠٠٠ وعادت عندما صدر المرسوم رقم ٦٤ لسنة
١٩٥٢ بمنح سماع الدعاوى والطعون الموجهة الى تصرفات السلطة القائمة
على اجراء الاحكام العرفية ، فدفعت بعدم جواز سماع الدعوى ، مما أدى الى

تأجيل الحكم في الدعوى حتى يوم ٣٠ يونيه الماضى لاستظهار اثر ذلك المرسوم في الدعوى القائمة .

● الدفع بعدم جواز سماع الدعوى :

وقد رفضت المحكمة هذا الدفع استنادا الى حكمها في قضية الاستاذ احمد حسين ، وقد نشرت حيثيات ذلك الدفع ، كما أن ذلك الدفع رفض في دعوى أخرى هامة صدر فيها أخيرا حكم تاريخى خالد . وانتهى مجلس الدولة من مناقشة ذلك الدفع والمرسوم الذى تستند اليه الحكومة بأن المرسوم نفسه باطل من جميع النواحي ويقتضى عدم الاخذ به . وقال مجلس الدولة انه لو كان في معرض دعوى خاصة مباشرة بذلك المرسوم لقضينا بالغائه . . . ويفهم من ذلك أن مجلس الدولة قد حكم ضمنا بالغاء المرسوم المشار اليه .

● الدفع بعدم الاختصاص :

بنت الحكومة هذا الدفع - الدفع بعدم الاختصاص - على أن النظام العرفى في مصر نظام عسكرى وليس نظاما اداريا أو سياسيا ، استحدثته مصر من واقع ما حدث في الحرب العظمى الاولى ومن قواعد القانون الدولى العام ، وشأنه شأن القيود العسكرية التى تفرضها الدول المحاربة على البلاد التى تحتلها جيوشها . . . وأن المشرع المصرى اقتبس النظام العرفى القائم من نظام الاحكام العرفية العسكرية التى أعلنتها إنجلترا في مصر وقت اعلان الحماية ، وأن هذه الطبيعة العسكرية للنظام تجعله أبعد ما يكون عن ولاية القضاء .

وقالت الحكومة ان المشرع المصرى درج على أن يقرن رفع الاحكام العرفية بنظام يحميها عن طريق سن قانون للتضمينات ، وبذلك تمتنع مسالة الحكومة خلال فترة قيام الحكم العرفى بمقتضى طبيعة هذا النظام . كما تمتنع مسالتها بعد انتهائه بمقتضى قانون التضمينات . .

وقالت الحكومة أيضا ان الامر العسكرى رقم ٦٣ لسنة ١٩٤٨ بحل جماعة الاخوان من التدابير العليا للامن الداخلى فيخرج بوضعه من اعمال السيادة عن اختصاص المحكمة .

● رد مفهم من مجلس الدولة على هذا الدفع :

اما مجلس الدولة فقد رد على ذلك بأن نظام الاحكام العرفية في مصر هو نظام يستمد اساسه واصوله واحكامه من الدستور ومن قانون الاحكام العرفية

والقوانين المكمله له ٠٠ فتنص المادة (٤٥) من الدستور على أن « الملك يعلن الاحكام العرفية ، ويجب أن يعرض اعلانها على البرلمان فوراً ليقرر استمرارها أو الغاءها ، فاذا وقع ذلك الاعلان في غير دور انعقاد وجبت دعوة البرلمان للاجتماع على وجه السرعة » .

وتنص المادة (١٥٥) من الدستور على أنه « لا يجوز بأية حال تعطيل حكم من احكام هذا الدستور الا أن يكون ذلك وقتياً في زمن الحرب أو أثناء قيام الاحكام العرفية وعلى الوجه المبين في القانون » وعلى أى حال لا يجوز تعطيل انعقاد البرلمان متى توافرت في انعقاده الشروط المقررة بهذا الدستور ، .

وينظم قانون الاحكام العرفية هذا النظام العرفي تنظيمًا شاملاً ، فبين على وجه الحصر الحالات التي يجوز فيها اعلان الاحكام العرفية ، وكيف يكون اعلان هذه الاحكام ، وكيف يكون رفعها ، وما هي السلطات الاستثنائية التي تخول للقائم على اجرائها . ويعدد القانون هذه السلطات الاستثنائية على سبيل التحديد والحصر ، ثم يجيز تضيقها أو توسيعها بقرار من مجلس الوزراء اذا دعت الحاجة الى ذلك ، بقدر هذه الحاجة ، على أن تبقى دائرة هذه السلطات الاستثنائية دائماً في نطاق محدود هو ما يقتضيه صون الامن والنظام العام من تدابير واجراءات وما دعت اليه الضرورة من اعلان الاحكام العرفية .

● لماذا يجب أن تكون اجراءات الحاكم العسكري خاضعة لرقابة القضاء ؟

وقال مجلس الدولة انه يتبين من ذلك أن نظام الاحكام العرفية في مصر وان كان نظاماً استثنائياً الا أنه ليس بالنظام المطلق ، بل هو نظام خاضع للقانون ، وضع الدستور أساسه ، وبين القانون أصوله واحكامه ، ورسم حدوده وضوابطه ٠٠ فوجب أن يكون اجراؤه على مقتضى هذه الاصول والاحكام ، وفي نطاق هذه الحدود والضوابط ، والا كان ما يتخذ من التدابير والاجراءات مجاوزاً لهذا الحد أو منحرفاً عنه - مخالفاً للقانون - تنبسط عليه رقابة المحكمة ٠٠

وكل نظام للحكم أرسى الدستور أساسه ، ووضع القانون قواعده ، هو نظام يخضع بطبيعته - مهما يكن نظاماً استثنائياً - لبدا سيادة القانون ، ومن ثم لرقابة القضاء .

واضافت حيثيات الحكم تقول : انه مهما كان المصدر التاريخي الذي استقى منه المشرع هذا النظام ، فليس من شك في أن الاختصاصات المخولة للسلطة القائمة على اجراء الاحكام العرفية مصدرها الرسمي هو القانون

الذى تولى تحديد نطاقها ، فلا يجوز بحال أن تخرج عن حدود هذا النطاق . .
واذا كانت اختصاصات القائم على اجراء هذه الاحكام في مصر بالغة السعة ،
فان ذلك ادعى أن تنبسط عليها الرقابة القضائية ، حتى لا يتحول نظام - هو
في حقيقته ومرماه - نظام دستورى يقيد القانون الى نظام مطلق لا عاصم
منه ، وليست له حدود . . اذ رقابة القضاء هي دون غيرها الرقابة الفعالة التى
تكفل للناس حقوقهم الطبيعية وحرياتهم العامة . ويؤكد ذلك ما درجت عليه
الحكومات من سن قانون التضمنيات عند رفع الاحكام العرفية لدفع
المسئولية من جراء التدابير التى اتخذت لتنفيذ هذه الاحكام . وفى سن هذا
القانون اقرار واضح بمبدأ المسئولية الذى لم يسن القانون الا لدفعه .

وانتهت المحكمة من مناقشة ذلك الدفع الى الحكم برفضه .

● الدفع بعدم القبول :

أسست الحكومة هذا الدفع على أن جماعة الاخوان المسلمين لا وجود
لها قانونا ، وبنت الدفع على وجهين :

الاول : أن الجماعة لم تكتسب الشخصية المعنوية أصلا لان القانون
الحضى الجديد بين في المادة (٥٢) منه الاشخاص المعنوية على سبيل الحصر
وان الهيئة المذكورة لا تدخل بما لها من أغراض سياسية واجتماعية ودينية في
أى نوع منها ولا تتسق معه .

والثانى : أن القرار المطعون فيه قد قضى عليها قضا مبرما ، فلم يعد
لها من بعده أى وجوده .

● رد مجلس الدولة على هذا الدفع :

وقد رد مجلس الدولة على ذلك بأن حق تكوين الجمعيات للمصريين حق
مقرر أصيل كان قائما قبل الدستور الذى جاء فأقره وأكد قيامه ، وان عهد الى
القانون بتنظيم استعماله . ومؤدى ذلك أن للمصريين حق تكوين الجمعيات
بلا حاجة الى قانون يستمد منه هذا الحق ، لهم أن يستعملوه في حدود القانون
وما لم يرد قيد على هذا الاستعمال فهو يجرى على إطلاقه .

وقالت الحثيات : ان جمعية الاخوان تكونت في ظل هذا الحق الاصيل،
فاكتسبت الشخصية المعنوية وفق المبادئ المسلمة من اسناد هذه الشخصية
لكل جمعية استوفت مقومات هذه الشخصية ، من ذمة مالية مستقلة عن ذمم
اعضائها ، ومن قيام هيئة منظمة تعبر عن ارادتها .

واسنمرت الحثيات تقول : انه لا اعتداء بما تنعاه الحكومة على

أغراض الجمعية لتدفع به اكتسابها الشخصية المعنوية ، فهي تأخذ عليها انها جمعية سياسية ، وهذا لا يحول دون اكتسابها الشخصية المعنوية . وقد أقر القضاء المصرى للهيئات السياسية بالشخصية المعنوية . هذا فضلا عن أن المصريين يمارسون حقوقهم السياسية التى خولها لهم الدستور فى حدود القوانين . وحسبنا أن نذكر أنهم يشتركون بما لهم من تشكيلات سياسية فى حكم البلاد ، وفى توجيه سياستها عن طويق الاشتراك فى الانتخابات العامة فى البرلمان .

كما تأخذ الحكومة على جمعية الاخوان أنها هيئة خيرية اجتماعية الى جانب أغراضها السياسية . وهذا بدوره لا يمنع اكتسابها الشخصية المعنوية ، فقد اعترف القضاء المصرى للهيئات الخيرية والاجتماعية بالشخصية المعنوية . ثم ان الحكومة اعترفت بها بصفاتها تلك فرخصت لها بإصدار صحيفة تكون لسان حالها ، وأقرت نشاطها من شتى وجوه وأغراضه ، بل منحتها بعض الاعانات المالية فى سبيل تحقيق هذه الأغراض الخيرية .

وبالنسبة للوجه الثانى اذ قالت الحكومة ان الامر رقم ٦٣ لسنة ١٩٤٨ قضى على الجمعية ولم يعد لها وجود قانونى ، فقد قالت الحثيات :

ان الحاكم العسكرى اذا كان يملك بمقتضى قانون الاحكام العرفية تعطيل نشاط الجمعيات تعطيلاً مؤقتاً بمنع اجتماعاتها ، فهو لا يملك القضاء عليها قضاء مبرماً ، بل تبقى قائمة قانوناً وان تعطل نشاطها .

وانتهت المحكمة من مناقشة هذا الدفع الى القول بأنه قائم على غير أساس سليم فى القانون وحكمت برفضه .

موضوع الدعوى : الامر العسكرى رقم ٦٣

● المجلس يستعرض حجج الدفاع :

وانتقلت حثيات الحكم بعد ذلك الى موضوع الدعوى بعد ان رفضت كافة الدفوع التى تقدمت بها الحكومة ، فبدأت بسرد ادفاع الاستاذين محمد طاهر الخشاب وعبد القادر عوده الحاميين وقد جاف فيه : انها هيئة اسلامية جامعة تعمل لتحقيق الأغراض التى جاء من أجلها الاسلام ، وسردا هذه الأغراض ثم الوسائل لتنفيذها ثم الادوار التى قام بها الاخوان الى أن قالوا :

« ولما نشبت الحرب الفلسطينية جندت الجمعية من شبابها جيشاً خاض غمارها ، وكان مثار الاعجاب لما أبدوه من ضروب البسالة . ولكن الحكومة (السعدية) - ازاء حوادث فردية وقعت من بين المنتمين اليها اندفعوا تحت تأثير حماسة جامعة ، فالتوى عليهم القصد - حملت الهيئة

بأجمعها وزر هذه الحوادث ، وألقت عليها اثمها ، فأصدر الحاكم العسكري (دولة محمود فهمى النقراشى باشا) الامر المطعون فيه .

وكان مما قاله الخفاح أيضا : ان دسائس الانجليز والصهيونيين وغيرهم ، الذين ظلوا يرمون الجمعية بالتهم الباطلة ، قد أفلحت في تآليب الحكومة ضد الهيئة ، فحالت الرقابة دون تمكينها من الرد على ما يكال لها من التهم ، بل صدر أمر الرقيب العام بتعطيل جريدة الاخوان الى أجل غير مسمى ، ثم حشدت المعتقلات بالكثيرين من أعضائها بغير ذنب وبدون مبرر ثم صدرت الاوامر المطعون فيها بحل الجمعية وتصفية ممتلكاتها ومصادرة أموالها وتجميد أموال الاعضاء ، مع مخالفة ذلك للقانون ، اذ هي تخرج عن النطاق الذى قرضت من أجله الاحكام العرفية فى ذلك الوقت وهو تأمين سلامة الجيوش المحاربة فى فلسطين ، كما أنها تخرج عن نطاق التدابير التى تدخل فى اختصاص الحاكم العسكري .

● المحكمة تناقش مذكرة الامن العام للنقراشى :

وقد ناقشت المحكمة المذكرة التى رفعتها ادارة الامن العام الى النقراشى باشا رئيس الوزراء وقتئذ ووزير الداخلية والقائم على اجراء الاحكام العرفية ثم قالت :

انه ولئن كان ما جاء فى هذه المذكرة أن الجماعة أعلنت فى أول الامر على الملأ أن لها أهدافا دينية واجتماعية دون أن تحدد لها هدفا سياسيا معيناً ترمى اليه ، ولكنها ما كادت تجد لها أنصارا حتى أسفر القائمون عليها عن أغراضهم الحقيقية وهى أغراض سياسية ترمى الى الوصول الى الحكم وقلب النظم المقررة فى البلاد بوسائل العنف ...

وهذا يخالف الواقع لان الجمعية حددت أغراضها فى المادة الثانية من قانون نظامها الاساسى ومنها أغراض سياسية الى جانب أغراضها الدينية والاجتماعية والرياضية والاقتصادية . . وهذه الاغراض السياسية هى : تحرير وادى النيل والبلاد العربية جميعا والوطن الاسلامى بكل أجزائه من كل سلطان أجنبى ، ومساعدة الاقليات الاسلامية فى كل مكان ، وتأييد الوحدة العربية ، والسير الى الجامعة الاسلامية وقيام الدولة الصالحة التى تنفذ احكام الاسلام وتعاليمه عمليا .

● المحكمة تستأنس بحجتيات حكم قضية السيارة الجيب :

ثم قالت المحكمة : انه مما يخالف الواقع ذلك الذى رمت به الحكومة

تلك الجمعية من أنها كانت ترمى الى قلب نظام الحكم بوسائل العنف .
ولا أدل على ذلك مما ورد في حكم محكمة الجنايات في قضية السيارة الجيب .
اذ بعد أن ذكرت المحكمة أن النيابة العامة قصدت الى تصوير الجماعة بأسرها
على أنها رمت لقلب نظام الحكم وأن أقوال المرشد العام (الشيخ البنا) كانت
تحمل معانى التحريض السافر على القيام بهذه الجريمة ، وأن المتهمين
وزملاءهم فهموا من كلام المرشد أنه يرمى الى ذلك ، وأن الغرض النهائى
هو إقامة جمهورية على رأسها المرشد العام ٠٠٠ استعرضت نشأة الجماعة
وأغراضها ووسائلها ورسائلها وتطورها ثم قالت : أن الاتهام لا يتفق مع
الحقيقة المعروفة من أن الاسلام دين ودولة ، وقد سبق للمرشد العام أن تحدث
في هذا الصدد .

وقالت المحكمة انه ظهر جليا من أقوال المرشد العام أن الجماعة
لا تناهض نظام الحكم القائم في مصر بل تراه متفقا مع النظم الاسلامية .
وأنها كانت تهدف الى تحقيق نظام شامل للنهضة والاصلاح وفقا لاحكام
الدين الاسلامى وبالطرق الدستورية المعروفة .

ثم حضت المحكمة ما عزى الى الجمعية من أنها وقد سعت الى قلب
نظام الحكم أعدت لذلك جماعة اراهبية دربت وأعدت وسميت بالنظام الخاص
وقالت المحكمة ان الاتهام على هذه الصورة خلط بين أمرين :

الاول - التهريب على استعمال الاسلحة وحرب العصابات .

الثانى - ذلك الاتجاه الارهابى الذى انزلق اليه بعض المتطرفين من
أفراد تلك الجماعة .

وكان نتيجة الخلط الاتهام بأن نظام الجماعة بجملته نظام اراهبى .

وقالت المحكمة بوجوب التفريق بين الأمرين ، لان النظام الخاص يرمى
الى اعداد فريق كبير من الشباب اعدادا عسكريا تطبيقا لما دعا اليه مؤسس
الجماعة من أن الامر أصبح جدا لا هزلا ، وأن الخطب ما عادت تجدى ، وأنه
لا بد من الجمع بين الايمان العميق والتكوين الدقيق والعمل المتواصل وان
حركة الاخوان تمر بثلاث مراحل :

الاولى - مرحلة التعريف بنشر الفكرة .

والثانية - التكوين وهى استخلاص العناصر الصالحة لحمل اعباء
الجهاد الدنى من الناحية الروحية والعسكرى من الناحية العملية . وصفات
هاتين الناحيتين دائما أمر وطاعة من غير بحث ولا مراجعة .

والثالثة - مرحلة الاعداد .

واسنطردت المحكمة تقول : انه مما يدل على أن النية لدى افراد النظام الخاص كانت متجهة الى مقاومة جيش الاحتلال ، تلك الاوراق التي ضبطت في السيارة الجيب وهي تحض على اعمال الفدائيين ، وأن الصداقة البريطانية المصرية مهزلة ، وأن الانجليز يظنون شعوب الشرق الاوسط مسالة ساذجة ، ثم تحدثت عن التحريب على استعمال زجاجة مولوتوف وعرقلة المواصلات وتعطيل وسائل النقل الميكانيكى والقوات المدرعة . وانتهى كاتب هذه الاوراق الى القول صراحة بأنهم يقاومون العدو الغاصب .

وقالت المحكمة ان اثر ذلك التحريب الروحي والعسكرى ظهر عنحما قامت مشكلة فلسطين وأرسلت الجماعة الكثيرين من متطوعيهما للقتال .

وبعد استشهاد مجلس الدولة بهذه الفقرات من حيثيات الحكم التي اصبرتها محكمة الجنایات في قضية السيارة الجيب ، خنصت من ذلك ومن مناقشة مذكرة الامن العام الى القول بأن ما نسبته هذه المذكرة الى جماعة الاخوان مخالف للحقيقة والواقع .

● مناقشة امر الحل نفسه والحكم بأنه على غير أساس من القانون :

وانتقلت محكمة القضاء الادارى بعد ذلك الى مناقشة امر الحل نفسه فقالت : انه استند في ديباجته الى البند الثامن من المادة الثالثة من القانون رقم (١٥) لسنة ١٩٢٣ الخاص بنظام الاحكام العرفية . وهذا النص يخول للحاكم العسكرى منع أى اجتماع عام وحله بالقوة - وكذلك منع أى ناد او جمعية او اجتماع وحله بالقوة .

وقالت المحكمة انه ليس من شك في ان المقصود من هذا النص هو تخويل الحاكم العسكرى في سبيل صون الامن وحفظ النظام الاشراف والهيمنة على الاجتماعات لما قد تؤدى اليه من اخلال بالامن والنظام وحفظ ذلك هو الغاية التي من أجلها وسدت اليه السلطة بموجب قانون الاحكام العرفية لمنع الاجتماع قبل عقده كاجراء وقائى ، وله حل الاجتماع وفضه بالقوة بعد عقده كاجراء علاجى .

واضافت المحكمة قائلة : ان المقصود باجتماع او ناد او جمعية هو تواجد لفيف من الناس في مكان معين قد يخل تواجدهم فيه بالامن والنظام . ولذلك خول القانون للحاكم العسكرى منع هذا التواجد ثم حله اذا تم أى تفريقه بالقوة .

وقالت المحكمة : انه على ذلك تكون سلطة الحاكم العسكري في حل الجمعية لا تشمل القضاء على شخصيتها المعنوية واعداد حياتها القانونية وتصفية أموالها التي تتكون منها ذمتها المالية ٠٠ وآية ذلك أن المشرع قرر الحل باستخدام القوة وهي بطبيعتها لا تتوجه الا الى الاجتماع الذي هو مظهر مادي لا الى الشخصية المعنوية التي هي وضع أو تكييف قانوني معنوي ٠

وانتهت المحكمة من ذلك الى القول بأنه لكل هذه الاسباب يكون الامر العسكري رقم ٦٣ لسنة ١٩٤٨ القاضي بحل جمعية الاخوان المسلمين على غير اساس سليم من القانون ويتعين الغاؤه ٠

الفصل الثالث

تعقيب وتحليل لهذه الأحكام الخالدة

أولا - أنشئت هذه القضايا وركبت ورتبت بحيث طمست فيها جميع المعالم التي يمكن الاهتداء بها الى الحق ، وأنشئت فيها معالم أخرى تهدى الى طريق محدد مرسوم في نهايته نهاية هذه الدعوة واعدامها وتلاشيها لا من الوجود القانوني فحسب بل أيضا من نفوس الناس .

ثانيا - وتوضيحا لذلك نقول : ان الذين تعاونوا وتآمروا على خلق هذه القضايا ، وارساء أسسها ، وإقامة بنيانها ، ثم طلائها ، وفتح المنفذ الوحيد بها - هم دولة كاملة بقضها وقضيضها ، منحت نفسها جميع القدرات والامكانيات في الوقت الذي حرمت فيه غيرها من كل وسائل الدفاع عن النفس ، فكان رئيس الوزراء ووزراء الداخلية يخططون على هوى الجالس على العرش ومن وراءه من المستعمرين . وأجهزة الامن مع أجهزة التحقيق تتعاون معا في التنفيذ . . وحسبك أن تعلم أن رئيس جهاز التحقيق في الدولة كان احدى الادوات المسخرة لهذا التنفيذ ، فلم يعد القارئ يجهل محمود منصور باشا النائب العام الذي كان يشرف بنفسه على التحقيقات في هذه القضايا ، ويختار لها المحققين الذين يانس غيهم لين انضمير ، ويستبعد عنها من يبلغه عنه أن عنده اشارة من ميل الى العدالة . . فكان رئيس النيابة الاستاذ محمود اسماعيل هو الذي تولى التحقيق في قضية الاوكار فانترعها منه النائب العام وأسند التحقيق فيها الى اسماعيل عوض الذي كان متهتكا في ارضاء الحكومة .

ثم ان ضباط القسم السياسي لم يكونوا يكتفون بالوان التعذيب التي كانوا يسومونها المتهمين لانتزاع اعترافات محددة منهم ، بل كانوا أيضا يحضرون التحقيقات . وقد منحهم النائب العام حق انتزاع التحقيق من يد محقق الى محقق آخر .

ثالثا - كان المفروض أن يكون عرض هذه القضايا على القضاء لاصدار الحكم فيها هو الحلقة الاخيرة في سلسلة المؤامرات ضد دعوة الاخوان المسلمين . ولما كانت الحلقة الاخيرة في السلسلة هي الحلقة التي يكتمل بها ارتباطها بعضها ببعض لانها هي التي تضم طرفي السلسلة وتغلق الدائرة ، وبدونها تفقد السلسلة ارتباطها وتتعرض بقية حلقاتها للتشتت والتناثر .

فقد يذل المتآمرون أقصى جهدهم لاحكام هذه الحلقة وتأمينها ، اذ كانت كل حلقات المؤامرة خادمة لهذه الحلقة وتحضيرا لها وتمهيدا ، ذلك أن كل ما تم اتخاذه من اجراءات ضد الاخوان من حل واعتقال وتشريد واستيلاء وتشويه سمعة واغتيال لا يكون ذا قيمة مالم يؤدي بحكم قضائى تكتسب منه هذه الاجراءات سرعيتها .

رابعا - كان احراز المتآمرين النجاح فى احكام هذه الحلقة أمرا مفروغا منه ، لا يساورهم فيه شك ، فالجهود التى بذلت فى تحضير هذه القضايا جعلتها - كما قدمنا - كالطبخة الناضجة المشهية أمام من أشرف على الموت من الجوع ، ليس أمامه الا التهامها عن آخرها دون أن يسأل عن مكوناتها .

وان هذا الشعور لم يكن شعور المتآمرين وحدهم بل انه كان شعور كل من عايش هذه الفترة العصبية ، ورأى اكباب كل السلطات فى الدولة على تحضير هذه القضايا ، حتى ان هذا الشعور قد ظهر على لسان أحد هيئات الدفاع فى قضية الاوكار حين أبدى رئيس المحكمة استبعاد المحكمة لسماع شهادات فى موضوع التعذيب فقال الاستاذ زكى البهنيهي المحامي : « المتهمون لا يستطيعون ان يقدموا أدلة ، لان التعذيب كان يحصل بين أربعة جدران ، وهم لا يستطيعون أن يستشهدوا باحد خصوصا وأن المحيطين بهم كلهم من رجال البوليس . وكان الاطباء يدعون للكشف عليهم بعد عدة شهور من وقوع التعذيب ، مما يجعل الاطباء يثبتون آثار الاصابات وان كانوا لا يستطيعون الجزم بها » .

خامسا - يخطئ من يظن انه بعد سقوط وزارة عبد الهادى قد صار الجو مواتيا للاخوان . نعم تغيرت الوزارة ، تارة الى وزارة ائتلافية وتارة الى وزارة محايدة وأخيرا الى وزارة وفدية . . . ونعم أيضا . . . كانت هذه الوزارات على خلاف كبير مع وزارة عبد الهادى ، ولكن هذا الخلاف كان فيما سوى ما يتصل بالاخوان المسلمين ، فلقد كانوا جميعا مختلفين فى كل شئ الا فى عدائهم للاخوان . وقد أفردنا فصلا من قبل لقانون تنظيم الجمعيات حتى لا يداخل القارئ شك فى هذه الحقيقة المؤلمة المزرية .

كان العهد الذى كان يعمل من وراء ستار . . غاية الامر أنه كان كلما علم أن المتفرجين داخلهم المال غير المنظر ، ولكن الهدف من الرواية التى وضعها لا يتغير مهما تغيرت مناظرها أمام المتفرجين ، . . كان هدف الدولة القضاء على الاخوان المسلمين ، وكان يعرف ذلك الخاصة والعامة .

وكان القطاع الاكبر من العامة فى ذلك العهد مضللا ، فقد سلطت على سمعه وبصره وعقله وقلبه وسائل اعلام - كما يقولون تفتن العابد . .

وحسبك أن تعلم أن كتابا كبارا مثل عباس العقاد باعوا ضمائرهم وسخروا أقلامهم للكذب والافك والافتراء ، ورضوا لانفسهم أن يكونوا مطية ذلولا لهذا العهد البغيض .

سادسا - القضية أمام طريق مسدود :

وسط هذه الظروف كلها ، المواتية كل المواتاة لطرف ، والمنعومة كل الانعدام الطرف الآخر . . . طلب الى القضاء أن يقول كلمته في هذه القضايا . . . والقضاة - مهما قيل فيهم - بشر كسائر البشر لهم عقول ولهم قلوب ، ولكن لهم أيضا مصالح وآمالا .

ومع ذلك فقد كان لهم غيما بين ايديهم مندوحة . . فلو أنهم تناولوا هذه القضايا تناولهم لسائر القضايا التي تعرض عليهم واقتصرُوا على الاسباب الظاهرة التي لا يطالب القاضي - باعتباره بشرا - بالنظر الى ما هو أبعد منها ، فحكموا بالحكم الذي تمليه هذه الاسباب فكان الحكم هو ما أراده المتآمرون أو قريبا منه . . لما كانوا في ذلك ملومين بل كانوا معذورين أمام قضايا. أحكم اغلاق كل منافذها . . واذن لتفتحت أمام مصالح هؤلاء القضاة وآمالهم ابواب السعادة والرقى ، ولوجدوا أحضان الحكومة مفتوحة في انتظارهم لتبوثهم أعلى مناصبها .

ولكن الذى حدث هو أن هؤلاء القضاة قد حاك في صدورهم شيء ، حين رأوا بين ايديهم قضايا كل المتهمين فيها معترفون ، وأكثرهم آثار التعذيب بادية على أجسامهم بالرغم من طول المدة منذ انتهاء التحقيق ، فلم تسترح ضمائرهم الى اخذ هذه القضايا مأخذ غيرها من سائر القضايا التي تكفى اسبابها الظاهرة لاصدار حكم فيها يكون عادة أقرب شيء الى الصواب . . فكان قرارهم أن يتأنوا في نظر هذه القضايا وأن يقلبوها على جميع وجوها ، وأن يحاولوا بكل الوسائل المتاحة أن ينفخوا الى داخلها .

سابعا - براعة المحكمة في جر عبد الهادى نقشة :

ولما رأى هؤلاء القضاة أنهم عاجزون عن النفوذ الى داخل هذه القضايا الا عن طريق حائكى خيوطها ، وناسجى الجدار الواقى المنيع من حولها . ولما كان من المستحيل استدعاؤهم كمتهمين في هذه القضايا ، حاولوا استدعاءهم شهودا . . . وضربت المحكمة الاولى - محكمة سيارة الجيب - في هذه المعركة الضربة الاولى - والضربة الاولى نصف المعركة - فافتحمت الى كبيرهم واستدعته شاهدا . . وظهرت مهارة رئيس هذه المحكمة في تهيئته المناسبة التي تقتضى استدعاء هذا الكبير وتبرر سماع شهادته ، حيث استمعت الى

أقوال المتهم عبد الرحمن عثمان الذى جاء فيها أنه أخذ من سجنه بحجة الذهاب الى محكمة الاستئناف للتحقيق معه ولكنه بدلا من ذلك أخذ من سجنه الى محطة سكة حديد القاهرة حيث قابل ابراهيم عبد الهادى باشا فى صالونه الخاص بالافطار وظل معه حتى وصل الى الاسكندرية ، وروى للمحكمة ما دار بينه وبين الباشا من حديث .

فأرأت المحكمة أن فى أقوال هذا المتهم ما يبرر استدعاء ابراهيم عبد الهادى باشا باعتباره شاهدا للاستفسار منه عن مدى صحة أقوال هذا المتهم ولكنها وبناء عن طلب الدفاع أرأت قبل مثوله شاهدا بين يديها ان تستمع الى ثلاثة من المتهمين فى قضية الاوكار وجودة باعتبارهم أيضا شهود نفى فى هذه القضية وهم سعد جبر التميمي ومصطفى كمال عبد المجيد وعبد الله ثروت . وبعد أن أدى هؤلاء الثلاثة شهادتهم طلبت ابراهيم عبد الهادى باشا فمثل أمامها . وكان ذلك كله فى جلسة ١٩-١٢-١٩٥٠ التى تعد بحق جلسة تاريخية .

أتى الباشا للشهادة صاعرا ، وتناوبت عليه المحكمة من جانب والدفاع من جانب آخر ، وأمطروه بالاسئلة ، وطلب المتهم مواجهته بالشاهد وتمت المواجهة .

وانتهز الدفاع الفرصة - والرجل كان يعلم أنه قد جاء للشهادة فى قضية السيارة الجيب ، وهو يعرف كل شئ عنها ، ويعرف المتهمين فيها فاستعد لكل ذلك . ولكز الدفاع فاجأ الباشا من حيث لا يحتسب ، وبأغته بأسئلة تتصل بمتهم من خارج القضية هو مصطفى كمال عبد المجيد المتهم فى قضية حامد جودة ، فكانت مفاجأة للباشا جعلته - رغم مهارته فى تروير الحقائق - فى أخرج موقف ، حتى كان من اجابته ما أضحك الحاضرين ، وقد اضطرتة المفاجأة الى الاعتراف بأمور كانت مفتاح اللغز الغامض للتعذيب .

وكانت حركة التفاف بارعة ماهرة ، ان استدعت المحكمة مصطفى كمال عبد المجيد واستمعت اليه شاهدا قبل أن تستمع الى عبد الهادى وفى جلسة واحدة حتى لا يعرف عبد الهادى ما كان من شهادة مصطفى كمال لو أنها كانت فى جلسة سابقة فيستعد الباشا فى شهادته لترتيب معين فى أقواله يتفادى به المأزق التى أوقعته فيها أسئلة الدفاع المفاجئة .

وأسفرت هذه المظاهرة المفاجئة لأكبر رأس فى المؤامرة عن شق ثقب فى الجدار النيع استطاع القضاء ان يكشفوا عن طريقة ما وورى من سوءات الحبرين .

ما كان أغنى هؤلاء القضاة عن هذا العناء ؟ وقد كانوا في حل من اقتحام هذا الطريق الشائك الوعر ، ولكن القلوب المؤمنة ، والضمائر الحية المرهفة ، لا تنبالي بالعناء ، ولا تنتهني أمام العقبات .. حتى تشعر بالرضا عن نفسها ، وحتى تحس في قرارة ضميرها أنها لم تقصر في حق وأنها قد أبلت بلاء حسنا .

لقد كان مثل هؤلاء القضاة ومثل هذه السلطات المتأمرة في هذه القضايا كممثل نفر من المشهورين بارتياح الغابات ، دعوا لارتياح غابة كثيفة في أعماق الغابات - وقصد الذين دعوهم من دعوتهم أن يسمع الناس من أفواه هؤلاء الخبراء في ارتياح الغابات ما ينفهم من هذه الغابة - فرأى المرتادون أول ما رأوا في الغابة كومة ضخمة من العقارب والافاعي والحيات ومختلف الهوام التي تقشعر لرؤيتها الابدان ... فقال الداعون للخبراء : رأيتم ؟ هيا بنا نرجع أدراجنا قبل أن تفتك بنا وبكم هذه الآفات . ولقد جئنا بكم لتروا بأعينكم أننا على صواب حين حذرنا قومنا من هذه الغابة وقلنا لهم انها غابة الموت والاهوال .. ألسنا على صواب ؟ .. هيا أعلفوا ذلك على الملأ .

ولكن فريقا من خبراء الغابات المدعويين لم يتسرعوا بالحكم على صواب ما سمعوه ممن دعوهم وقالوا لهم : دعونا نقرب من الكومة .. فكرر هؤلاء تحذيرهم ، ولكنهم أصروا مجازفين .. وصاروا يقتربون من الكومة في حذر خطوة خطوة حتى غافل واحد منهم الداعين وفي قفزة واحدة وصل الى حافة الكومة فرأى كبرى الافاعي زابضة على هذه الحافة تتلوى وتنخرم بالالتهايم .. وبشجاعة وحذق ضربها على رأسها بعصاه فولت مذعورة وولى خلفها مئات من الافاعي والهوام . فانكشف جزء من المكان الذي كانت تغطيه هذه الافاعي بأجسامها .. فأخذ هذا الخبير المرتاد ينبش بعصاه في المكان الذي انكشف وظل يحفر حتى رأى فريقا يأخذ بالابصار متبعضا من موضع نبشه .. فدعا زملاءه فنبشوا بعصيتهم فاذا به كنز مدفون قد حجب عن الناس بهذه الكومة الشاهقة المصطنعة من الآفات والافاعي والهوام .

فلما رأى الرواد الخبراء هذا الكنز بأعينهم طلعوا على قومهم أن أبشروا فان غابة الموت والاهوال لم تكن الا خديعة أراد مدبروها أن يجلبوا عن انظاركم كنزا ثميننا لكم فيه الغناء والرخاء والرفاء .. حجبه بهذه الكومة المصطنعة من الهوام التي جمعوها من هنا وهناك .

وهكذا لم يكتف فريق الرواد بفضح الخديعة الكبرى التي طلبوا للمشاركة في حبكها على قومهم بل انهم كشفوا في نفس الوقت لقومهم عن الكنز المدفون تحتها لينتفعوا به .

ثامنا - خسر الاخوان في هذه المحنة الكثير الثمين الغالى من الارواح والاجسام والمال والممتلكات . ولكن اذا وضعنا كل هذه الخسائر في حساب الدعوة الاسلامية في كفة الميزان لجا ما اكتسبه الاخوان من أحكام القضاء في الكفة الاخرى راجحا .

واذا كانت أعظم هذه الخسائر هي بلا شك فقد الاستاذ الامام حسن البنا رحمه الله ، فان فقد القائد في الدعوة الاسلامية في معاركها مع الظلمة والمتآمرين أمر متوقع ، سوابقه في التاريخ الاسلامي معروفة مشهورة فقد فقد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن ابي طالب والحسين بن علي وفقد الكثيرون من القادة والائمة فما توقفت الدعوة بفقدهم بل جادت بخلفاء اهتم رفعوا اللواء وواصلوا المسيرة .

اذا مات منا سيد قام سيد قئول لما قال الكرام فعول

وسوف يرى القارئ في الصفحات التالية ان شاء الله كيف ان الدعوة لم تمت بموت حسن البنا ، بل ان دمه الطاهر قد روى شجرتها فكان اكسير الحياة لها ، بحيث لم تعد قابلة للموت بعد ذلك باذن الله .

خسرت الدعوة ما خسرت في هذه المحنة ولكنها اكتسبت الخلود باحكام القضاء ، واذا عبرت بلفظ الخلود فانما قصدت التعبير عن الطور الجديد الذي تمخضت عنه هذه المحنة ، فقد صارت دعوة الاخوان فكرة عالمية ، واصبحت احدى القوى المؤثرة في هذا العالم سواء اعترف بها رسميا أم تجاهلها الرسميون .

تاسعا - قد يلاحظ القارئ ان حكم المحكمة في قضية السيارة الجيب تناول بعض المتهمين فيها بعقوبات .. فكيف نشيد باحكام تضمنت ادانة لبعض المتهمين ؟

وهذه ملاحظة جديرة بان نعلق عليها في صدد ما نحن فيه ، ذلك ان القضاة - مهما تفاعلوا مع مجتمعهم ، ومهما بلغوا في تقدير الظروف ، ومهما أيقنوا من شرف الغاية - فانهم مقيدون اولا واخيرا بالاسس التي يقوم عليها النظام العام للدولة .. فقضاة هذه المحكمة كانوا على تفهم تام لظروف القضية وظروف المتهمين فيها ، وكانوا مقدرين كل التقدير هذه الظروف ، وكانوا مقتنعين بشرف غاية المتهمين ، ويتمنى كل قاض منهم ان لو اتاحت الفرصة لنجاح هذه الدعوة في تحقيق اهدافها لانقاذ البلاد مما ترزح تحته من احتلال اجنبى واستغلال داخلى .. ولكن - حتى يزول هذا النظام الذى

تقوم عليه مؤسسات الدولة - هم مقيدون بهذا النظام وبالاستناد في احكامهم الى القوانين التي سنها هذا النظام .

لقد كان المطلوب هو الحكم باعدام هؤلاء المتهمين أو الحكم عليهم بالاشغال الشاقة المؤبدة . . . فاذا بالحكم يبرى أربعة عشر متهما ويحكم على الباقيين بأحكام أقصاها ثلاث سنوات . . وما كان لمحكمة مقيدة بنظام الدولة الا أن يكون في حكمها اذانة ، فكانت الادانة في أخف صورها ، مشفوعة بما يشبه التماس العذر لمن أدين ، مع الاشادة بنبل غاية الاخوان المسلمين ، وسمو مقاصدهم ، ورائع جهادهم ، والاقرار بسلامة أسلوبهم في تربية الشباب تربية روحية رياضية عسكرية .

وليس أدل على اقتناع قضاة هذه المحكمة بكل هذا الذي أشرنا اليه مما ضمنوه حيثياتهم ، من أن رئيس هذه المحكمة بعد أن فرغ من هذه القضية ومما كان مقوطا به من قضايا أخرى ، قرر اعتزال القضاء ، وتقدم الى الاخوان المسلمين معلنا انضواءه تحت لوائهم . . وكان احد المتطوعين في عيثة الدفاع عن المطالبين بالحق المدني في قضية اغتيال الاستاذ الامام .

عاشرا - كان الحكم سيكون اروع لو تم نظر قضية الاوكار :

ومع اقرارنا واقرار كل الاوساط المثقفة لا سيما الاوساط المستقلة بالقانون بأن حيثيات الحكم في قضية السيارة الجيب هي احدى المعالم البارزة في تاريخ القضاء المصرى ، والتي نطق كبار رجال القانون في مصر حين اطلعوا عليها تعبيراً عن بالغ اعجابهم فقالوا : « ان في مصر قضاة » - مع اقرارنا بذلك وبأن الضربة الاولى نصف المعركة ، وبأن هذه الاحكام وما تبعها من حيثيات كانت مفاجأة مذهلة للجميع ، فقد أذهلت السلطات القائمة لانها نسفت كل ما خططوا وارسوا بناءه في سنين ، وأذهلت الشعب نفسه لانه لم يكن يتصور أن في أبنائه بعد - من تصل به الجراة الى هذا الحد من مناطحة أكبر رؤوس الدولة بمثل هذه الشجاعة المنقطعة النظير .

مع اقرارنا بذلك كله نقول : لو أن الظروف أتاحت لقضية حامد جودة والاوكار أن يستمر نظرها دون العوائق التي عوقتها ، لسمعنا وراينا العجب العجاب في احكامها وحيثياتها . . ذلك أن هذه القضية - وقد جاءت بعد قضية سيارة الجيب - لم يدخل القضاء فيها على طريق مسدود - كما كان الشأن في قضية الجيب ، بل وجد القضاء امامهم بعض منافذ أنشأتها المحكمة السابقة . وقد استطاع الدفاع بمهارته أن يوسع من هذه المنافذ شيئاً فشيئاً

حتى صارت طرقا سلكها القضاة فكشفوا فيها عن مواقع لم يكن المتآمرون يعتقدون أنها تكشف في يوم من الايام .

ففي هذه القضية - الاوكار وجودة - كشف عن شخصية العسكري الاسود ، الذي كان الفضل في كشفه لجريدة « الجمهور المصري » والى الصحفيين المحررين بها سعد زغلول والبعثي . وقد رأينا البوليس السياسى - حين علم بعثور المحكمة على هذا العسكري - قد شمر عن ساقه ووضع خطة للالتقاء به قبل أن يمثل أمام المحكمة . ووصل اهتمام البوليس السياسى بهذا اللقاء الى حد تطويقه الصحفي سعد زغلول في منزل أحد أصدقائه ومنعه من الخروج حتى لا يمثل أمام المحكمة شاهدا . . . ولم يكن اهتمام البوليس السياسى هذا الاعتماد البالغ الا دفاعا عن انفسهم لانهم أيقنوا أن هذا العسكري اذا صرح أمام المحكمة بالحقائق فانهم سيوضعون جميعا في قفص الاتهام .

وفي هذه القضية شهود التعذيب ، شهود عيان كالشاهد الذى كان جارا لقسم مصر القديمة والذى وصف ما رآه بعينه وبمنظاره المقرب وما سمعه بأذنيه من تعذيب ظل طول الليل داخل هذا القسم للمتهم مصطفى كمال عبد المجيد ، وكالشهود الذين كانوا ضباطا بالقسم السياسى ثم تركوه .

ولكن الحدث الجلل ، والمفاجأة المذهلة ، والطامة الكبرى على المتآمرين هى شهادة اثنين من رجال القضاء والنيابة ممن باشروا التحقيق فترة في هذه القضية ، أحدهما من رجال النيابة والآخر قاض . . . وناهيك بشهادة رجال القضاء ، ان كلمة واحدة منها ترجح في ميزان العدالة عشرات الشهادات .

ومما يؤسف له أن الاخوة المتهمين في هذه القضية غد صدر قرار بالافراج عنهم أو العفو عنهم على الاصح في سنة ١٩٥٤ - وكم كنا نؤد لو أن محكمة الجنايات التى كانت تحاكمهم في سنة ١٩٥١ أصدرت أحكامها قبل قيام الثورة في سنة ١٩٥٢ ونشرت حيثيات هذه الاحكام ، اذن لسجلت لدعوة الاخوان المسلمين مجدا أروع مما سجلته لها محكمة سيارة الجيب ، ولسجلت على الطرف الآخر المتآمر خزيا وعارا - لا مجملا كما جاء في أحكام قضية الجيب وحيثياتها - بل مفصلا تفصيلا ، لان هذه المحكمة قد كشفت من مخازيهم ما يركم الانوف . ويجرح الصدور ، وتتقزز منه النفوس .

□ مجلس الدولة اعتمد في أحكامه على حيثيات قضية الجيب :

وان كنا لا ننكر أن للمحكمة الاولى الفضل في أنها هتكت أول حجاب تنكرى كان المتآمرون يظهرون به أمام الشعب ليخدعوه ، وكانت حيثياتها

مما اعتمدت عليه حيثيات محكمة مجلس الدولة في حكمها ببطلان الامر
العسكري بحل الاخوان والغائه .

أما حيثيات مجلس الدولة نفسها فانها قواعد قانونية حددت لسلطة
الحاكم نطاقا لا تتعداه ، وقررت لحرية الشعب في تكوين الجمعيات المدى
الذى لا يطمح عشاق الحرية فيما هو أبعد منه .

وقد رأينا أن نثبت نصوصا كاملة من هذه حيثيات حتى يستثير
القارئ بقراءتها فيعرف حقوقه المخولة له بنصوص الدستور فيحرص على
السهر عليها ، والمطالبة بها ، والنزود عنها ، بهذه الحجج القاطعة الدامغة التى
قررتها أعظم هيئة للقانون الادارى فى الدولة .

ولقد كان الاخوان يطمعون فى أن يستردوا مركزهم العام وممتلكاتهم
وأن يباشروا عملهم الرسمى لدعوتهم بقرار تصدره الحكومة ، ولكن شاعت
أراد الله - وهو الذى يختار لدعوته - أن يختار لهم الموقف الاكرم ، والرجوع
الاشرف ، عن طريق حكم القضاء حتى لا يتحملوا بجميل لاحد سوى القضاء
الذى هو ملجأ كل مظلوم .



وبعد .. فما نحن الآن نؤرخ لفترة مضى عليها أكثر من ربع قرن .
تطورت فيها الامور ، وتغيرت خلالها الاحوال - كدأب الايام وطبيعة الزمن -
انقضى فى آنائها ما انقضى ، ومضى فى خلالها من مضى فصار بين يدي الله
» ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى « .

فمن الذى ربح من الرجال الذين مروا بهذه التجربة القاسية ممن وضع
الله فى أيديهم مصائر الناس ومن الذى خسر ؟ .. هل ربح الذين التحقوا
بركب الطغاة أملا فيما عندهم من القاب ومناصب ، فرحوا بها حيناً من الزمن
ثم تركوها مخلفين وراءهم عارا لا يذكرهم مواطنوهم الا به ، وسجلوا على
أنفسهم فى صفحات التاريخ خزيا لا يمحي ؟ ثم أفضوا الى ربهم الذى لا يضل
ولا ينسى .

أم هؤلاء الذين كان من قدرهم أن يعتلوا منصة القضاء فى تلك الفترة
العصيبة ، وزين لهم الشيطان - كما يزين لكافة الناس - ما ينتظرهم من
متع الحياة ومباهجها ، والحظوة لدى أصحاب السلطان، فهموا بالتعلق
بها - كدأب سائر البشر - لولا أن رأوا برهان ربهم فتذكروا أنهم بين يدي
امتحان رهيب : متع زائلة يعقبها ذكر سىء وبنىء فى الدنيا وعذاب اليم فى
الآخرة ، واعراض عن هذه المتع يعقبه ذكر عطر فى الدنيا ونعيم مقيم فى الآخرة

فأتثروا الآخرة على الدنيا .. فلم يخسروا شيئاً وكسبوا الدنيا والآخرة .
وخسر هنا لك المبتلون . « اعلّموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج
فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً . وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله
ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » .

ألا رحم الله رجالاً اتبوا منصب القضاء فعلموا أنهم خلفاء الله في
الارض ، كلمتهم فاصلة في المال والاعراض والدماء .. فلم يستوحسوا
الا ضمائرهم ، ولم يستلهموا الا ربهم ، ولم تقتنهم عن كلمة الحق رغبة ولا
رهبة ، فقالوها مدوية رائحة .. تاركين لانفسهم ولامتهم ذكراً في الخالدين
« فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين » .

ختم الباب

وقد يجمل بنا بعد ذلك ، وفي ختام هذا الباب المتضوع باريج نزاهة
القضاء المصري أن ننقل للقراء تحقيقاً صحفياً أجرته صحيفة أخبار اليوم
في ١٢-٧-١٩٥٢ مع رئيس المحكمة التي أصدرت حكمها في قضية السيارة
الجيب . رهاكم نص هذا التحقيق الذي نشرته الجريدة تحت هذا العنوان :

المستشار الذي حاكم الاخوان المسلمين

أصبح واحداً منهم

الاسكندرية - مكتب « أخبار اليوم » ،

بدأ الاخوان المسلمون في تعديل لائحة الجماعة ، وذلك على أثر صدور
حكم مجلس الدولة ببطلان الامر العسكري الصادر بحل الاخوان .
وقرر مكتب الارشاد العام اتخاذ الاسكندرية حفلاً لاول تجارب
اجتماعية من نوعها تقوم بها الجماعة . حتى اذا ما نجحت التجربة عممت
هذه المشروعات في جميع بلاد القطر .

وقد اختيرت الاسكندرية بالذات لاجراء هذه التجارب الجديدة بعد أن
انضم الى الجماعة سعادة أحمد كامل بك الرئيس السابق لمحكمة جنائيات
مصر ، الذي أصدر حكمه في قضية سيارة الجيب . وقد اختير سعادته رئيساً
للجنة الاستشارية للاخوان في العاصمة الثانية ، لبحث وينظم هذه التجارب
على ضوء دراساته وتجارب الماضية .

وسيشرف سعادته على تنفيذ هذه المشروعات التي وضعت لصالح
الجماعة وهي :

- ١ - الضمان الاجتماعي .
- ٢ - التأمين الصحى والعلاجى .
- ٣ - تنظيم جباية الزكاة وانفاقها في وجوهها الشرعية .

□ الرجل الذى غير مصير الاخوان :

وقبل عامين كان أحمد كامل بك هو الرجل الوحيد في مصر كلها ، بل في العالم العربى كله ، الذى يتحكم في مصير الاخوان المسلمين . وكانت كلمة منه كفيلة بالقضاء على المستقبل السياسى للجماعة ، واغلاق فروعها وشعبها في كل قرية ومدينة وفي سوريا ولبنان والباكستان ، وفي كل قطر اسلامى وقفت عنده او امتدت اليه الدعوة الجديدة .

... كلمة واحدة فقط كان يمكن ان تغير مصير الدعوة ، وكان يمكن ان تؤدى الى نشر يد كل من يدين بمبدأ الاخوان .. وأبقى الرجل على الجماعة حتى قدر له أن يصبح واحدا منها ، يساهم بجهده من أجلها ، بعد أن ظل مصيرها كله معلقا به .

□ من فوق المنبر العالى :

وجلس الرجل فوق المنصة العالية أربعة شهور متتالية ، يدرس برامج الجماعة ، ويتعمق في تحليل حقيقة أهدافها ومراميها ، وتلقت أسماعه أقوالا متناثرة في ساحة القضاء .. ليصدر بعد ذلك حكمه بأن الاخوان المسلمين جمعية اسلامية تهدف الى اقامة مجتمع اسلامى مثالى يحكمه الدين .

□ اذاعة السر :

هذه المراحل الثلاث المتضاربة بقيت سرا مكتوما في ضمير القاضى . حتى فتح تلبه « لاختبار اليوم » هذا الاسبوع ليروى القصة كامله .. قصة القضية التى غيرت مصير الاخوان ، وغيرت أيضا مصير القاضى نفسه . بحيث نقلته الى الصف الاول من صفوف المكافحين ، يجلس بينهم ، بعد أن كانوا جميعا يقفون بين يديه ، وكان ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم رهن كلمة منه .

□ قصة الماضى :

وتبدأ القصة مع الرجل في ماضيه البعيد عام ١٩٣٠ ، عندما خلع الاستاذ أحمد كامل روب الحمامة بعد ستة عشر عاما ليرتدى وشاح القاضى . وفي المنيا سمع لأول مرة عن هيئة دينية جديدة تسمى « الاخوان المسلمين » وكان يظنهم جماعة صوفية تشجع أفرادها بالتعصب الدينى

وكراهية الاجانب • وتخيل أن عملهم مقصور على حفلات الذكر • ولم يحاول أن يصل الى الحقيقة في هذا الامر ، فلم يكن يعنيه منه شيء • وما خطر بباله يوما أن الوصول الى حقيقته سيكون شغله الشاغل •

□ كانت الفكرة تطاردنى :

وانتقلت نفس الفكرة معه من الدنيا الى بنى مزار • وكلما تقلب بين بلاد القطر كانت الفكرة لا تزال مهيمنة عليه ، أو كما يروى « كانت تتبعنى دائما بل كانت تطاردنى • هربت منها فى اسنا ولكنها لحقتنى فى أسبوط • وتعبت خطواتى كلما ارتقيت درجة فى السلك القضائى ، كانت معى فى طنطا ودمنهور والقاهرة • • ولم أكن أعرف أنى سألتقى بهذه الفكرة التى رسبت فى أعماقى فى معركة حاسمة فى محكمة جنايات القاهرة » •

□ اللقاء الاول والاخير :

وسرح الرجل بفكره وهو يذكر قصة لقائه الاول بحسن البنا ، وهو اللقاء الاخير أيضا • وكان ذلك فى الزقازيق عام ١٩٤٥ وقد أضحى القاضى الشاب مستشارا فى محكمة الجنايات وأقيم حينذاك احتفال بالمولد النبوى •

□ بين العقل والقلب :

واستمع فى هذا اليوم الى حسن البنا وهو يتحدث عن العالم الاسلامى كما ينشده الاخوان المسلمون ، وعن المجتمع المثالى كما يتخيلونه اذا نفذت برامجهم •

وشعر حينئذ أن الرجل خطيب ممتاز يؤثر فى سامعيه • ولم يحاول أن يفاضل بين الخاطر الذى استقر طويلا فى عقله ، والخاطر الجديد الذى بدأ يطرق زوايا قلبه طرقا رقيقا هينا ولكن فى نغم حلو •

وبين العقل والقلب قام الكفاح أربعة أشهر حتى انتهى الاثنان الى رأى واحد ، بعد أن جمعت أمامه ، بل حشدت له جميع بيانات حسن البنا وخطبه وأحاديثه الدينية ومذهبه السياسى ، جمعتها له النيابة كمستندات ضد اثنين وثلاثين شخصا من الاخوان المسلمين ، أو « الاعضاء الارهابيين فى الجماعة المنحلة » كما أطلق عليهم فى ذلك الحين •

□ الفكرة السجينة :

وحلقت خواطر القاضى السابق بعيدا وهو يذكر تلك الايام من شهر ديسمبر ١٩٥٠ : « كانت أمامنا أوراق كثيرة ، ربما عشرة آلاف صحيفة ، وربما تزيد على ضعف هذا العدد ، وكنا مطالبين بأن نقرأها جميعا •

واقولها مخلصا . لم يكن يعنينا كثيرا في هذه الايام أمر هؤلاء الاثنين والثلاثين منهما ا-نين وقفوا يحملون فينا من وراء القضبان . بل كان بعنينا كثيرا تلك الفكرة السجينة خلف هذه القضبان ، ما هي ؟ ما حقيقتها ؟ ما وراءها من آمال ومطامع ؟ ان صح أن للدعوة مطامع على الاطلاق عدا انثالية في مجتمع مأساته الاولى أخلاق بنيه .

كانت الفكرة السجينة هي هدف المحاكمة الاول . كنا نريد أن نحكم لها او عليها . فاما أن يتاح لها أن تطل برأسها على مصر والعالم من جديد ، واما ان تلفظ أنفاسها صريعة داخل القضبان ، حيث يطويها العدم والفناء .

كان يعنينا كثيرا مصير عشرات الالوف بل ومئات الالوف من « رهبان النيل وفرسان النهار » كما قالت عنهم الصحف ووكالات الانباء . وكان علينا أن نقرر مرة واحدة والى الابد : هل هؤلاء جميعا يسعون الى قلب نظام الحكم واتلاف أسدحة الجيش المصرى وتخريب المنشآت الحكومية ونسف الطرق والكبارى والسرقه المسلحة ؟ . وما أكثر ما وجه الى هؤلاء الابرياء . الذين اصيحت واحدا منهم .

□ الحقائق مطلقة للقاضى :

ان الحقائق نسبية لجميع البشر الا للقاضى ، فانه لا يعرف الا حقيقة واحدة مطلقة . وأقل شك لديه يغير مصير حياته والخيارات الاخرى المنعقة بكنمة القدر التى تنطق بها شفاته .

كنت حريصا على أن أقرأ كل شيء . فتنبعت نشأتهم وأحسست اذ ذاك بروحي تجوب معهم شوارع الاسماعيلية في عام ١٩٢٨ ، ثم تترك المدينة الضيقة لتضىء كل مكان في مصر ، وحتى في ميدان القتال على أرض فلسطين .

واستمعت الى أحد الشهود . ولم أستطع أن أنسى شهادته الى الآن . ما أكثر ما نافشته في تلك الايام . وكنت أنا وهو حريصين على ان نصل الى الحقيقة كاملة . وعرفنا الحقيقة الكاملة ، أنا وزميلي اللواء أحمد على المواوى بك تائد حملة فلسطين ، اذى انضم الى الاخوان المسلمين في الشتاء الماضى عضوا في اللجنة الاستشارية ، ليضع خطوطا جديدة لتحركات الاخوان في الميادين الاجتماعية والرياضية .

□ من كان يدري ؟

هل كنت أستطيع في ذلك الوقت أن اتنبأ بأننى سأضيف الى مشروعاتهم

صفحة جديدة ؟ لا أحد يدرى .. وربما كان الاثنان والثلاثون متهما الذين كنت قاضيتهم هم آخر من يتوقع ذلك .

□ القصة غيرت مجرى القضية :

ان قصة « العسلوج » غيرت كثيرا من مجرى القضية .. لقد روى الماوى بك القصة كاملة ، قصة الذين قيل عنهم انهم ارادوا ائتلاف أسلحه الجيش المصرى ... لقد نفذت ذخيرة ألف وخمسمائة جندى من الجيش ، ولم يستطيعوا التقدم للاستيلاء على الموقع .. وتقدم خمسة وعشرون من فرسان الليل من كتيبة المرحوم أحمد عبد العزيز ليستولوا على الموقع ونجحوا في ذلك .. حقيقة كانوا قلة ، ولكن كان لهم شعارهم الخالد ، شعار الاجيال : « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » .

□ تحررت :

وبدا فكرى يتحرر من رواسب سبعة عشر عاما ، وبدأت خواطرى انقديمة عنهم تتلاشى ، وبدأ حسن البنا يفقد فى ناظرى شخصيه سيخ الطريقه المتصوف الذى يعقد حلقات الذكر ، لتحل محلها شخصيه قائد الدعوة

□ قاضيتهم ومحاميتهم :

كنت مطالباً بأن أكون عقيدة لنفسى قبل أن أكون عقيدة لغيرى ، وكان يجب أن أعيش فى القضية مكان المتهمين ومكان أعضاء الجماعة ومكان قائد الدعوة ، لاومن بما يؤمنون به ، أو لاكفر بما يعتقدون أنه الحق .. وبين الايمان والكفر كانت تنظر قضية سيارة الجيب ، لتحدد والى الابد .. مصير الاخوان المسلمين .. ولتحدد بعد ذلك مصيرى . فانى أعتقد أن هذه القضية هى وحدها التى هدتنى اليهم ، وهى التى دفعتنى الى أن أصبح عضوا عاملا فى الجماعة ، أسير معهم ، وأدافع عنهم عندما يحين لقضية « الاوكار » أن تعرض أمام القضاء .

ملحوظة . قصة « العسلوج » التى جاء ذكرها فى حديث الاستاذ أحمد كامل بك هذا ، كنا قد تناولناها بشئ من التفصيل فى الجزء الاول من كتابنا هذا فى صفحة ٤٢٦ تحت عنوان « بطولات خارقة لحماية انسحاب الجيش المصرى » .

البابُ الرابع

نظرة أخيرة إلى حسن البنا

- تاريخ أرادوا طمسـه
- حسن البنا بين مختلف الطوائف والأفكار •
- حسن البنا والطائفة الخامسة أو موقفه من
السياسة والحكام
- آخر ما كتبه حسن البنا بخط يده للنشر
- حسن البنا وكبار الدعاة في العالم الإسلامي في
العصر الحديث

الفصل الاول

تاريخ أرادوا طمس

□ بعد حسن البنا :

حسن البنا صاحب دعوة أفنى حياته في نشر لوائها ، فقد وصل بها الى أعماق الريف بعد أن غزا بأفكاره عقول الطائفة الرائدة في البلاد من طلبه لجامعه والازهر ، فهز بهذه الطائفة أرجاء مصر من أقصاها الى أقصاها . . وظل يزحف بدعوته هذه يوما بعد يوم حتى ضيق الخناق على كل فكر زائف ، سواء أكان عقديا أو اجتماعيا أو سياسيا . . مما دعا أصحاب هذه الافكار الزائفة - مع ما بينهم من خلاف مرير - الى تناسي خلافاتهم ، واجتمعوا كيدهم ثم اتوا صفا لضرب هذا الزحف الهادر ضربة رجل واحد . . فاتحدت الشيوعية الدولية مع الصهيونية العالمية مع الاستعمار الغربي مع الخونة من المصريين ، ووجهوا الضربة القاضية الى صاحب الفكرة ، وباعث الحركة ، ومنشئ الدعوة ، وقائد الزحف فأردوه قتيلا ، وسط مؤامرة محبوكة الاطراف وراح حسن البنا شهيد فكرته وضحية دعوته .

ولما تم لهم ما أرادوا من اغتياله ، فوجئوا بما لم يكونوا يحتسبون . . اذ وجدوا أنهم لم يظفروا بما كانوا يأملون من الامن . . فقد ظل شبحه يلاحقهم ويقتض مضاجعهم ، ويبعث الرعب والفرع في نفوسهم . . فجنحوا كل امكاناتهم من أقلام كتاب ، الى حناجر خطباء ، الى محرري صحف ، الى أبواب دعاية ، الى ملفقى تهم ، الى مزورى تحقیقات ، الى محترفي تمغيب لمطاردة هذا التسبح . . وظلت هذه المطاردة عاما كاملا لا تهدأ يوما واحدا ولا ساعة من ليل أو نهار . . ولكنها مع ذلك فشلت في مطاردته وتغلب عليهم - فاضطروا الى تغيير الاسلوب ، ولجأوا في المطاردة الى اسلوب الخداع والمداينة عن طريق سن انقوانين . . ففشلوا كذلك . . ولما سقط في أيديهم سلموا بالامر الواقع راغمين .

استشهد حسن البنا في ١٢ فبراير ١٩٤٩ . . ولكن كلمة انصاف واحدة في حقه لم تخطها يد كاتب في صحيفة الا في ١٤ فبراير ١٩٥٢ حيث كتبت جريدة « المصرى » معبرة عن رأى أصحابها ، فنشرت صورة له ، وتحت عنوان « ذكرى الامام الشهيد المغفور له الشيخ حسن البنا » كتبت ما يلى :

« صادف يوم تعطيل « المصرى » (الجمعة ١٢ فبراير حيث كانت

عطلتها الاسبوعية وكان لكل جريدة يوم عطلة في الاسبوع) الذكرى السنوية
للإمام الشهيد المغفور له الشيخ حسن البنا (بخط كبير) • والحق ان
الشهيد العظيم باق في قلب كل مصرى • ويلتف المسلمون في مصر والبلاد
العربية حول دغونه الكريمة لانها كانت وما زالت نورا أي نور •

واذا كان الفقيد الكريم قد انتقل الى دار البقاء ، فان دعوته خالده
ممتنعة على الزوال • وحسب الفقيد أن تلك الدعوة تنظم الناس في جميع
الظروف ، وأن حياته المجيدة كانت جهادا في سبيل إعلاء كلمة الله •

رحم الله الفقيد وعاشت ذكراه الوضيئة مثلا من الانسانية المكافحة في
سبيل الحق ، أ هـ

□ تناقض مريب في تقييم حسن البنا :

والآن •• وبعد ثلاثين عاما من استشهاده ، تخللتها أحداث جسام كان
من أبرز سماتها أنها أحداث متناقضة ، يقف المؤرخ أمامها مشدوها حائرا •••
كيف يعلل هذا التناقض ؟

فقسم من الناس ينفي على حسن البنا أجمل نناء ، وقسم آخر يغض
من قدره •• بل وصل التناقض الى حد أذهل المؤرخين ، فجأة واحدة مجدت
شخصيته وشهدت له بالفضل في إيقاظ الأمة من سباتها ، وفي بعث الوعي
الإسلامي فيها حتى صارت مهيأة للانتفاضات التي تخلصت فيها من معوقى
نهضتها - ثم رأى المؤرخون أن هذه الجهة نفسها - بعد ان استقرت لها
الامور - انقلبت في عنف ونزق فسلبت حسن البنا كل فضيلة وألصقت به حل
رديلة •• فوقفوا أمام هذا التناقض ذاهلين •• كيف يكون هذا ؟ وبماذا
يعللونه ؟

واذا كان بعض الأذكياء من الجيل الذي كان معاشا هذا التناقض قد
استطاعوا أن يلمحوا في ثنايا الأحداث ما يلقي بعض الضوء على هذا
التناقض ، فماذا يكون وقع هذا التناقض على أجيال لم تعايش هذه الأحداث؟
لا سيما وأن ستارا كثيفا قد أسدل على الحقائق التي جرت طيله هذه التلاني
عاما •• وكان مما زاد هذا المستار كثافة ان اللسنة والاقلام التي سمح لها
بالتعبير كانت مأجورة من الجهة التي وقع منها التناقض •

□ الشعب أخطاه التوفيق في اختيار القيادة :

اننى أتمس العذر لهذه الاجيال - بعد أن لقنت ما لقنت - فذهبت بها
الظنون في أمر حسن البنا كل مذهب ، وانتهى بها الامر الى اطراح هذه
الشخصية جانبا ، والجري وراء شخصيات أخرى أرادت لها هذه الجهة

المتسلطة أن تبدو براقة أخاذة ، فركزت عليها أضواء باهرة لتملأ في نفوس الشباب الجديد فراغا باعتبارها الزعامة والقيادة .

ولكننا اليوم - وقد أوشك هذا الستار أن ينقشع - هل نترك هذا الجيل وما يليه من أجيال في هذا التيه الذي لا نهاية له الا الضياع الذي نعاني اليوم من بواده وأخف ما فيه . ومع ذلك فقد ضاق الشعب بمصائبه ذرعا ، ويئس الجميع من أن يجدوا لمعضلاته حلولاً ، وبات الناس وقد بلغت القلوب الحناجر . فكيف إذا دهمنا من معضلات هذا التيه ما هو أدهى وأمر ؟

ان أول الطريق للشعوب دائماً هو الايمان بقيادة . فاذا وفق الشعب الى قادة صالحة ، لم ينتقل من حال الى ما هو أحسن منها . أما اذا أخطأه التوفيق في اختيار القيادة فالتدهور المتلاحق هو نصيب الشعب لايفيق منه لحظة واحدة .

والشعوب الحية قد تخطئ الاختيار ، لكنها لا تتماهى في خطئها ، بل تعيد النظر وتقلب الطرف الفينة بعد الفينة ، على أساس من تقييم واضح وحساب دقيق . وبهذا الاسلوب تقيل نفسها من عثرتها ، وتسترد رشدها ، وتعديل اختيارها ، فتصحح بذلك مسارها . ولا يتأتى ذلك الا اذا اخترقت بثاقب نظرها سحائب الاوهام ، وبددت بحرارة ايمانها ضباب الشكوك فرأت الحقائق المستورة مجردة واضحة .

وقد اتينا في الفصول السابقة من هذا الكتاب على سرد تاريخي مدعوم بالادلة والاسانيد ، مشحون بالاقتوال والنصوص . وكان هدفنا من وراء هذا العناء كله أن نستخلص من بين حطام المارك التاريخية في عهود مظلمة ما أخفى عن هذا الشعب - لاسيما الاجيال الحديثة منه - من ظروف غامضة وقرائن محجوبة ، وأسرار مكتومة ، وحقائق مغلقة باغلفة كثيفة من الباطل . حتى يتمكن هذا الشعب - باعادة النظر في تاريخه - من تصحيح أخطائه ، ومن وضع عناصر هذا التاريخ - لاسيما الرجال والقادة - كل منهم في وضعه الصحيح الجدير به . وربما ارتفع بذلك رجال ، وهبط الى الحضيض رجال كانوا في نظره في الذروة .

□ نموذج لمسح التاريخ :

رأى المسيطرون على مصائر البلاد ان يصوروا حسن البنا في صورة مغفرة حتى ينفذ الناس عن دعوته . ولا نستطيع في عجلة كهذه ان

نستوعب ذكر جميع الصور التي صوره فيها ، لا سيما بعد استشهاده وبعد اعتقال انصاره واعتقال جميع الانسنة الحرة والاقلام الحرة في البلاد ، فان هذه الصور قد حوتها نشرات وكتيبات ومجلات وصحف لو أنها جمعت لكانت في حجمها أضعافا مضاعفة لحجم هذا الكتاب ٠٠ ولكننا نجتزئ منها جميعا بصورة واحدة تمخضت عنها قريحة كاتب كبير ، وأديب عظيم ، يضعه الجيل الحالي - مخدوعا - موضع الاجلال والتكريم ، ويفكرون في تخليد ذكره بتمثال يجعله في صف القادة الخالدين .

كتب عباس محمود العقاد - الاديب العملاق - في احدي صحف ذلك العهد مقالا ، وقامت الحكومة بطبعه ونشره وتوزيعه مجانا على الناس ٠٠ ويتلخص المقال في ان الاديب العملاق والكاتب المحقق قد اكتشف أخيرا أن حسن البنا دجال من أصل يهودي قام لتخريب الدولة الاسلامية ٠٠٠٠

وقد اخترت هذه الصورة لانها كانت من أجراً الاكاذيب على الحق ٠٠ وحين قرأت هذا المقال تعجبت أشد العجب لاستهتار هذا الكاتب بعقول الناس ، فحسن البنا لم يكن شخصية قديمة موعلة في القدم مضى عليها عشرات القرون حتى يختلف الناس في أصلها ونسبها ٠٠ وانما هو رجل من جيلنا نعرفه ونعرف أباة وأمه وأخوته وأعمامه وأخواله وعماته وأجداده للابوين الى سابع جد كما يقولون ونعرف مسقط رأسه وهي قرية شمشيرة من أعمال مركز فوه محافظة كفر الشيخ - وكان والده من العلماء العاملين يرتزق من تصليح الساعات في محل له بالحمودية التي نزع اليها في مقتبل أيامه طلبا للرزق ، ويشهد لهذا الوالد بالعراقة في الدين وطول الباع في العلم كتابه « الفتح الرباني في شرح مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني » الذي يقع في أكثر من عشرين مجلدا .

ولكن بلادنا الاسيفة قد ابتليت بطائفة من ابنائها استحلوا الاتجار بضماثرهم ، فهم مع الغالب على المغلوب ، مهما كان الغالب ظالما والمغلوب مظلوما . فهذا الكاتب العقاد الذي طالع القارىء في كتابنا هذا من قبل كيف كان يتزلف الى حسن البنا ويعدده الامام المنقذ والقائد الملهم ، ويتمنى أن يظفر بالجلوس اليه - حيث كانت أسهمه في ارتفاع ٠٠ استباح - حين رأى الحكومة الباغية قد اضطهدته وصادرت دعوته واغتالته - أن يرتع في عرضه ، وأن يكذب على نفسه وعلى الناس وعلى الحقائق الماثلة وعلى التاريخ لقاء دريهمات من خزائنة هذه الحكومة الغادرة استمتع بها حيناً من الدهر .

واذا كان « الاديب العملاق » قد انحدر الى هذا الحد ، فكيف بمن هم
دونهم علما وأدبا وثقافة ممن كانوا معاشين ذلك العهد الانكد ؟

على أن الذى يعنينا الآن هو أن نأخذ بيد المنصفين من أبناء هذا الجيل
الجديد الذين لا زالوا فى حيرة من أمرهم حين يحاولون تقييم شخصية حسن
البناء . . . وسنحاول أن شاء الله فى الصفحات التالية أن نعرض عليهم شخصيته
مقيسة بمختلف المقاييس المتعارف عليها ونترك لهم بعد ذلك تقييمها والحكم
عليها .

الفصل الثاني

حسن البناء بين مختلف الطوائف والأفكار

إذا أردنا أن نقسم المسلمين في مصر في ذلك العهد الى طوائف حسب أفكارهم ومواقفهم من الدين رأينا أنهم طوائف خمس :

- ١ - طائفة المنتسبين الى التصوف
- ٢ - طائفة الداعين الى التزام السنة ومحاربة البدع
- ٣ - طائفة الصالحين من غير الطائفتين السابقتين
- ٤ - طائفة الذين لا يبالون بالدين لجهلهم به
- ٥ - طائفة المترفين المنحرفين عن الدين المتمردين عليه ومنهم أكثر الساسة والحكام .

ونحاول ان شاء الله في السطور التالية تجلية موقف حسن البناء من كل من هذه الطوائف حتى يخرج القارىء بتقييم واضح المعالم لشخصيته .

حسن البناء والتصوف .

إذا ذكر لفظ «التصوف» انقسم الناس في تصوره أربعة أقسام :

القسم الاول يتبادر الى اذهانهم هذه الصور وتلك المظاهر التي نشاهدها في الاحتفالات الرسمية والاعياد الدينية ، فيرون موكبا يتقدمه حيالة الشرطة تتبعها طوائف من الناس على رؤوسهم عمام خضراء وسوداء وحمراء ، ويتوشحون بأوشحة ذات أشكال واللوان ويرفعون أمامهم ألوية كتب على كل منها اسم الطريقة - وقد يتبين للناس أن أكثر هؤلاء المشتركين في هذه المظاهر لا يتخلقون في حياتهم الخاصة بخلق الاسلام ، ولا يلتزمون في مسلكهم مع الناس أحكامه وأدابه . ومن هنا ييشأ في خواطر الناس ازدراء للتصوف ، وانصراف عنه ، واستنكار له ولقائمين به والمنتسبين اليه

والقسم الثانى تقفر الى مخيلتهم صورة أولئك الذين اعتزلوا الحياة وانعزلوا عن الناس ، واحتجبوا داخل الزوايا والتكايا ، عاكفين على العبادة والذكر ، لا يعنيه من أمور بلادهم ومواطنيهم شئ ، حتى السعى على المعاش قعدوا عنه ، وعاشوا على صدقات الناس ، ظنا منهم أن مسلكهم هذا هو الزهد الذي حث عليه الدين .

والقسم الثالث وهم عادة من ذوى الثقافات الغربية ، فهموا التصوف على انه أسلوب فلسفى للحياة ، اشتقه المسلمون من نظريات فلسفية قديمة ، ونقلوه الى الاسلام . فلم تعد العبادة معه عبادة بقدر ما انقلبت الى فلسفة . . وينتقل المتصوف بهذه النظريات الى مناهات لا حدود لها ، وتنتهى به عادة الى الضلال والزندقة .

هذه هى نظرات أكثر الناس الى التصوف . ولكن نظرة حسن البنا اليه نظرة تختلف عن هذه النظرات . فهو يرى التصوف أخذ النفس بأسلوب تربوى قويم ، يصفىها من أدرانها ، ويرتفع بها عن المطامع والشهوات . . على أن يكون هذا الأسلوب مستمدا من القرآن الكريم والسنة النبوية ، ولا حاجة بنا الى الاستعانة فى ذلك بما سواهما ففيهما الكفاية والغناء ، والامن من التفريط والافراط ، والنبلامة من التورط والانحراف .

وقد مارس حسن البنا التصوف بهذا المفهوم ممارسة عملية ، فتربى منذ صغره على أيدي شيوخ علماء أتقياء صالحين ، ويقرر فى مذكراته أنه أفاد من هذه الممارسة أعظم الفوائد . ويثنى على التصوف والمتصوفين بهذا المفهوم فيقول : « وهذا القسم من علوم التصوف وأسميه « علوم التربية والسلوك » لا شك أنه من لب الاسلام وصميمه ، ولا شك أن الصوفية قد بلغوا به مرتبة من علاج النفوس ودوائها والطب لها والرقى بها لم يبلغ اليها غيرهم من المريين ، ولا شك أنهم حملوا الناس بهذا الأسلوب على خطة عملية من حيث أداء الفرائض لله واجتناب نواهيه وصدق التوجه اليه » ثم يردف ذلك قائلا :

« وإن كان ذلك لم يخل من المبالغة فى كثير من الاحيان تأثرا بروح العصور التى عاشت فيها هذه الدعوات ، كالمبالغة فى الصمت والجوع والسهرة والعزلة . . ولذلك كله أصل فى الدين يرد اليه : فالصمت أصله الإعراض عن اللغو ، والجوع أصله التطوع بالصوم ، والسهرة أصله قيام الليل ، والعزلة أصلها كف الاذى عن النفس ووجوب العناية بها . ولو وقف للتطبيق العملى عند هذه الحدود التى رسمها الشارع لكان فى ذلك كل خير » .

ويقول أيضا « ولا شك أن التصوف والطرق كانت من أكبر العوامل فى نشر الاسلام فى كثير من البلدان وايصاله الى جهات نائية ما كان ليصل اليها الا على يد هؤلاء الدعاة ، كما حدث ويحدث فى بلدان أفريقيا وصحاريها ووسطها وفى كثير من جهات آسيا كذلك - ولا شك أن الاخذ بقواعد التصوف فى ناخية التربية والسلوك له الاثر القوى فى النفوس والقلوب ، ولكلام الصوفية فى هذا الباب صولة ليست لكلام غيرهم من الناس » .

ثم يتحدث عن بعض الطرق الصوفية المعاصرة وما دخل عليها من المغالاة

والانحراف فيقول « ومن واجب المصلحين أن يطيلوا التفكير في اصلاح هذه الطوائف من الناس ، واصلاحهم سهل ميسور . وعندهم الاستعداد الكامل له ، ولعلمهم اقرب الناس اليه لو وجهوا نحوه توجيهها صحيحا ، وذلك لا يستلزم أكثر من أن يتفرغ نفر من العلماء المصلحين العاملين ، والوعاظ الصادقين المخلصين لدراسة هذه المجتمعات والإفادة من هذه الثروة العلمية وتخليصها مما علق بها ، وقيادة هذه الجماهير بعد ذلك قيادة صالحة » .

أما نحن فنقول : لعل اتصال حسن البنا في مستقبل حياته بالصوفية ، وأخذة نفسه بأساليبهم في تطهير القلب وتزكية النفس ، وحملها على السهر وتعويدها على التقشف والصبر .. هو الذي هيأه للقيام بأعباء الدعوة بعد ذلك .. وهي أعباء ثقال - كما أن اندماجه هذا في الصوفية ، وخوضه بنفسه بحارها ، ومعاناته أساليب التربية الروحية المكثفة فيها .. هو الذي جعله أهلا لتربية أتباعه بعد ذلك حين قام بالدعوة تربية روحية قوية كان لها أكبر الأثر في نجاحها نجاحا أذهل الأقربين والابعدين على السواء - ولا نعتقد أن حسن البنا كان قادرا على تحقيق هذا النجاح في دعوته لو أنه لم يكن مؤهلا هذا التأهيل الصوفي القوي ، فان تكوين الفرد كان هو أساس نجاح هذه الدعوة ، والركيزة العظمى في تكوين الفرد هي تربيته تربية روحية ، وفائق الشيء لا يعطيه .. ولعلنا قد جلينا أسلوب حسن البنا في تربية أتباعه فيما قدمنا في الجزء الاول من هذا الكتاب .

□ حسن البنا والسنة :

كما أن عوامل الإهمال والتخريف قد فعلت فعلها بمرور الزمن في الصوفية حتى حرفت عن أصلها وبعدت بها عن حقيقتها ، وأصبحت بها ما ليس عنها ، فكذلك فعلت هذه العوامل نفسها فعلها فيما يتصل بالمعتقدات والعبادات فدخل فيها من التخريف ما بعد بها عن السنة الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكما قام دعاة - حين ركن الناس مع اتساع عمران الدولة الإسلامية إلى الرفاهية والترف - يدعون إلى الزهد والتقشف الذي سمي فيما بعد بالتصوف ، فكذلك قام دعاة - حين بعد الناس عن السنة في العبادات والمعتقدات - يدعون إلى الرجوع إلى السنة ومحاربة ما أدخل على الدين من البدع والخرافات .

وحمل لواء هذه الدعوة في عصرنا الحديث الامام محمد بن عبد الوهاب الذي قام في نجد ، وكان لدعوته أصداء في بعض البلاد الإسلامية لا سيما في مصر ، حيث نادى بالرجوع إلى السنة ومحاربة البدع الشيخ محمود خطاب

السيكى فأنشأ لهذا الغرض الجمعية الشرعية ، ثم نشأت بعد ذلك انفس الغرض جمعية أنصار السنة المحمدية كما أشرنا الى ذلك بشئ من التفصيل من قبل .

وغنى عن البيان أن نذكر أن شابا كحسن البنا نشأ في حجر والد متضلح في علوم السنة النبوية عكف طيلة حياته على ترتيب أحاديث أكبر المسانيد الصحيحة فيها وتخريجها وتبويبها وشرحها والتعليق عليها وهو مسند الامام أحمد بن حنبل ، الذى يضم بين دفتيه أربعين ألف حديث – ولعل هذا الشاب قد شارك والده في بعض المراحل في هذا المجهود الكبير . . . شاب نشأ هذه النشأة لا بد أن يكون حب السنة قد اختلط بمهقته وامتزج بدمه وملك عليه له . . . وسوف يرى القارى بعد قليل ان شاء الله الى أى مدى وصل به هذا الحب .

حسن البنا بين طائفتي

المتسعين الى التصوف والداعين الى محاربة البدع والطائفتين الحايثيتين

تبيين مما سبقناه أننا ان التصوف والسنة باعتبارهما فكرتين ، قد اقرهما حسن البنا واعتقدتهما اعتقادا راسخا ، واخذ نفسه بهما ، وارتوى منهما وتضلح – لكن موقفه باعتباره داعية للفكرة الاسلامية الشاملة كان شيئا آخر ، اذ انه في هذه الحالة لم يكن يواجه التصوف والسنة باعتبارهما فكرتين مجردتين ، وانما هو مواجههما باعتبارهما دعوتين . . . وفي هذه الحالة يدخل العنصر البشرى في الفكرتين على أساس أنه المكيف للفكرة والمحدد لها والموجه . . . وهذا التكيف والتحديد والتوجيه هو الذى يخرج بالتصوف والسنة من كونهما فكرتين الى صيرورتها دعوتين . . . ومن هنا ينشأ الخلاف .

فالتصوف – كفكرة مجردة – يدخل في الفكرة الاسلامية الشاملة على أساس أنه أحد عناصرها المكمل لشمولها . والسنة ايضا كفكرة مؤداها الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم واتخاذة اسوة هي كذلك أحد عناصر الفكرة الاسلامية الشاملة ولا غنى عنها .

أما أن يحمل هاتين الفكرتين طائفتان ، وتدعى كل منهما ان الاسلام مقصور على فكرتها لا يتعداها ، فيدعى الدعاة الى التصوف، أن التصوف هو الاسلام وأن الاسلام ليس الا التصوف ، ويدعى الدعاة الى السنة ان محاربة

البدع التي دخلت على المسلمين في عباداتهم هي الاسلام وأن الاسلام ليس الا محاربة البدع - وادعاء الفريقين أن ما سوى ذلك من شئون الدنيا من جهاد في سبيل تحرير الوطن الاسلامي من الاستعمار ، والعمل على اقامة الدولة الاسلامية التي تتخذ القرآن الكريم دستوراً لها .. ان هو الا احكام للاسلام فيما لا يعنيه .. هنا رأى حسن البنا أن يكون له موقف آخر .

كان للطرق الصوفية في مختلف الانحاء أتباع كثيرون ، كما أن بعض الناس قد استجابوا لدعوة الرجوع الى السنة ومحاربة البدع .. ولكن نوعاً من التحدى قد نشأ بين الطائفتين ، فتعرضت كل منهما للآخرى بالنقد اللاذع والتجريح الشديد . وتربص كل طرف منهما بالطرف الآخر ، يشهر به ، وينفر منه ، ويعلن الحرب عليه .. حتى رمى كل منهما الآخر بالكفر .. فتحول الامر من دعوة الى التمسك بالدين الى اشاعة التقاطع والتباغض ونشر الفرقة والعداء بين المسلمين ..

وفي خلال هذا التلاحى والتخاصم بين هاتين الطائفتين قام حسن البنا بدعوته .. ولما كان أساس دعوته الاخوة ، فانه توجه بها اول ما توجه الى الطائفتين المحايدتين الثالثة والرابعة ، ممن لا تشغل بالهم قضايا الخلاف - وهما يضمنان أكثر أفراد الشعب - فالتف حوله جم غفير منهما .. فنهض بهم متخطياً حماة الخلاف ورقاب المتناحرين ، وواصل السير بعيداً عن هذا الخلاف يدعو المسلمين الى التآخي والتآزر للوقوف في وجه المد الاستعماري الذي بسط نفوذه على الامة الاسلامية فأذلها وسخرها لمصالحه بعد ان نشر فيها الفساد والانحلال وقضى فيها على الدين والاخلاق .

أحنق هذا الاسلوب في الدعوة الطرفين المختلفين ، اذ رأيا حسن البنا لا يعير مواطن الخلاف بينهما اهتماماً ، في حين يرى كل منهما أنه يدعو الى الاسلام كله لبله وجوهره ، وأن اعتقاده هو الحق وأن اعتقاد الطرف الآخر هو الباطل ... فرماه دعاة السنة بأنه يدعو الى السفساف والتافه من أمور الاسلام ويدع العظيم والخطير منها وهو العقيدة الصحيحة وتطهيرها من البدع والخرافات ... ورماه الصوفيون بأنه تنكب الاسلوب الاسلامي بدعوته الناس الى التدخل في شئون الدنيا ، وحسبه لو كان يريد الدعوة الصحيحة الى الاسلام حقاً أن يقتصر على دعوة المسلمين الى الانتظام في سلك الطرق الصوفية ليتربوا في احضانها تربية روحية ، مبتعدين عن التدخل في شئون لا دخل لهم فيها ، فما لهم وللاستعمار . ولا يقع في ملكه الا ما يشاء ، وليس في الامكان أبدع مما كان ..

وقد يقع هذا الكلام من قرائنا اليوم موقع الاستغراب ، فالحال الآن

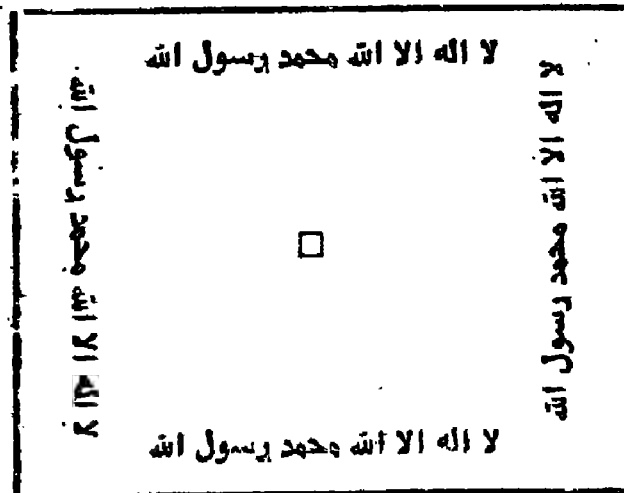
مقايير للحال التى نتحدث عنها ، ولكننى أؤكد لهم أن هذا الوصف الذى أوردنا طرفا منه كان هو الامر الواقع فى ذلك ، فلقد كنا - نحن دعاة الاخوان المسلمين - بتعرضنا هذه الافكار حين نوجه دعوتنا الى زملائنا بالكليات - وحين كنا نغشئ المجتمعات الشعبية خارجها من عامة الناس فى القاهرة والاقليم .. وقد أشرت فى مكان سابق فى الجزء الاول من هذه المذكرات الى مواقف لى شخصيا مع زملاء لى فى الكلية من السننيين وأخرى مع أحد مشايخ الطرق .

وقد أوما حسن البنا نفسه الى مثل هذه المواقف فى أدب جم حين كتب فى « مذكرات الدعوة والداعية » يقول « واستمرت صلتنا على أحسن حال بشيخنا السيد عبد الوهاب الحصافى حتى أنشئت جمعيات الاخوان المسلمين وانتشرت ، وكان له فيها رأى ولنا فيها رأى ؛ وانحاز كل الى رأيه . ولا زلنا نحفظ للسيد - جزاء الله عنا خيرا - أجمل ما يحفظ مريد محب مخلص لشبيخ عالم عامل تقى ، نصح فأخلص النصيحة ، وأرشد فأحسن الإرشاد » .

□ طريقته فى الدعوة :

وتوضيحا للطريقة التى انتهجها حسن البنا فى الدعوة الى الفسكرة الاسلامية ، وفى صدد ما وجه اليه من عاتين الطائفتين من نقد شديد كتب - رحمه الله - فى مجلة « الاخوان المسلمون » فى أواسط الثلاثينيات مقالا يرسم فيه مربعا كبيرا كتب على حوافه الاربعة من الداخل « لا اله الا الله محمد رسول الله » ورسم فى مركز هذا المربع مربعا صغيرا .

وكتب يقول : ان اخواننا الذين ينتقدوننا يحرصون دعوتهم فى حدود المربع الصغير الذى يقع فى مركز الدائرة . وهم بذلك يقصرونها على الثنتين اكتمل فيهم كل ما يرون أنه العقيدة الصحيحة .. وهذا عدد ضئيل .



أما نحن فنتوجه بالدعوة الى كل من يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله مهما كان مقصرا، فيما سوى ذلك من تعاليم الاسلام وافكاره - وكل ما نطلبه به - أن يرتبط معنا برياط الاخوة الاسلامية للعمل على استعادة مجد الاسلام .

وهذه الدعوة غير المشروطة بشيء، الا بالاقرار بالشهادتين يستجيب لها طوائف على درجات متفاوتة من الايمان بالتعاليم الاسلامية والعمل بها ، تبدأ من مجرد الايمان بالشهادتين وتنتهي بالعاملين بجميع التعاليم الاسلامية الفاقهين لاسرارها .

وفي ظل روح الاخوة التي تجتمع بين كل هذه الطوائف ، وتحت لواء الملائكة على العمل لاستعادة مجد الاسلام ، وعلى ضوء توجيهات قيادة الدعوة الممزوجة بروح الحب والمودة .. تنصهر كل هذه الطوائف في بوتقة هذا المجتمع فتزقي كل طائفة في ايمانها وعملها وعقيدها وفقهها ... ويتقبل الفرد من هذه الطوائف - عن طيب خاطر بل وبمسارعة - من النصائح والتوجيهات والافكار ما لم يكن ليتقبله وهو خارج نطاق هذا المجتمع الذي تسوده روح الاخوة والتضامن والمحبة والود .

وأعود الى وصف الحال الذي كان فأقول : ان هجوم الطائفتين على حسن البناء كان يزداد شدة كلما ازدادت دعوته انتشارا .. فلما وصل الانتشار الى الحد الذي أحسنا فيه أنه أخذ يغزو معسكريهما رفعتا درجة الهجوم حتى شككوا في عقيدة الاخوان وفهمهم للاسلام ... وهنا أصدر حسن البناء رسالة هامة من رسائله التي كان يصدر كلا منها بمناسبة من المناسبات .

□ فهمه للفكرة الاسلامية :

وكانت هذه الرسالة هي رسالة « التعاليم » التي حدد فيها رؤية الاخوان المسلمين للتعاليم الاسلامية الاساسية ، ورأيهم في مواطن الخلاف بين الطوائف ، كما تشتمل على توجيهات عملية كثيرة . ولكن بيت القصيد فيها هو ما صدرت به من رسم للصورة التي يرى الاخوان الفكرة الاسلامية في اطارها ، وهما هذه الصورة - يقول حسن البناء رحمه الله :

« أيها الاخ الصادق ... انما أريد بالفهم :

أن توفقن بأن فكرتنا اسلامية صميمة ، وأن تفهم الاسلام كما نفهمه في حدود هذه الاصول العشرين الموجزة كل الايجاز :

١ - الاسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعها ، فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة ، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة ، وهو ثقافته وقانون أو علم وقضاء ، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى ، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة ، كما هو عقيدة صادقة وعبادة .

٢ - والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الاسلام . ويفهم القرآن طبقا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف . ويرجع في فهم السنة المطهرة الى رجال الحديث الثقات .

٣ - وللايمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب كل من يشاء من عباده . ولكن الالهام والخواطر ، والكشف والرؤى ليست من أدلة الاحكام الشرعية ، ولا تعتبر الا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه .

٤ - والتمائم والرقى والودع والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة الغيب وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته « الا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة » .

٥ - ورأى الامام ونائبه فيما لا نص فيه وفيما يحتمل وجوها عدة وفي المصالح المرسلة معمول به مالم يصطدم بقاعدة شرعية ، وقد يتغير بحسب الظروف والعرف والعادات . والاصل في العبادات التعبد دون الالتفات الى المعانى ، وفي المعاديات الالتفات الى الاسرار والحكم والمقاصد .

٦ - وكل احد يؤخذ من كلامه ويترك الا المعصوم صلى الله عليه وسلم . وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقا للكتاب والسنة قبلناه ، والا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع . ولكننا لا نعرض للأشخاص - فيما اختلفوا فيه - بطعن أو تجريح ونكلهم الى نياتهم وقد افضوا الى ما قدموا .

٧ - وعلى كل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الاحكام الفرعية أن يتبع اماما من أئمة الدين ، ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلة امامه ، وأن يتقبل كل ارشاد مصحوب بالخليل ، متى صح عنده صدق من ارشده وكفايته . وأن يستكمل نقصه العلمى ان كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر .

٨ - والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سببا للفرق في الدين ولا يؤدي الى خصومة ولا بغضاء ، ولكل مجتهد اجره . ولا مانع من التحقيق العلمى النزيه في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله والتعاون على الوصول الى الحقيقة من غير أن يجر ذلك الى المراءى المذموم والتعصب .

٩ - وكل مسألة لا ينبغي عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعا ، ومن ذلك كثرة التفريعات للاحكام التي لم تقع ، والخوض في معانى الآيات القرآنية الكريمة التي لم يصل اليها العلم بعد ، والكلام في المفاضلة بين الاصحاب رضوان الله عليهم وما شجر بينهم من خلاف ، ولكل منهم فضل صحبته وجزاء نيته وفي التأول مندوحة .

١٠ - معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه هي أسنى عقائد الاسلام . وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يتعلق بذلك من التشابه فؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل ، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء ، ويسعنا ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه « والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » .

١١ - وكل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسناها الناس بأهوائهم سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه - ضلالة تجب محاربتها وإقصاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها .

١٢ - والبدعة الاضائية والتركيبية والالتزام في العبادات المطلقة خلاف مقهى لكل فيه رأي ، ولا بأس بتحميمص الحقيقة بالدليل والبرهان .

١٣ - ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله سبحانه وتعالى . والاولياء هم المذكورون في قوله تعالى « الذين آمنوا وكانوا يتقون » والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية ، مع اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا في حياتهم أو بعد مماتهم ، فضلا عن أن يهبوا شيئا من ذلك لغيرهم .

١٤ - وزيارة القبور أيا كانت سنة مشروعة بالكيفية الماثورة . ولكن الاستعانة بالمقبرين أيا كانوا ، ونداءهم لذلك ، وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد ، والخفر لهم ، وتشبيد القبور وسترها . واضاعتها والتمسح بها ، والحلف بغير الله ، وما يلحق بذلك من المبتدعات ، ذبائر تجب محاربتها ولا نتاول لهذه الاعمال سدا للذريعة .

١٥ - والدعاء اذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعى في كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة .

١٦ - والعرف الخاطيء لا يغير حقائق الالفاظ الشرعية ، بل يجب التاكيد من حدود المعانى المقصود بها والوقوف عندها . كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحى الدنيا والدين ، فالعبرة بالمسميات لا بالاسماء .

- ١٧ - والعقيدة أساس العمل • وعمل القلب أهم من عمل الجارحة •
وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعياً وإن اختلفت مرتبتا الطلب •
- ١٨ - والاسلام يحرم العقل ويحث على النظر في الكون ، ويرفع قنطرة العلم والعلماء ، ويرحب بالصالح النافع من كل شيء ، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها •
- ١٩ - وقد يتناول كل من النظر الشرعى والنظر العلمى ما يدخل في دائرة الآخر ، ولكنهما لن يختلفا في القطعى ، فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة ، ويؤول الظنى منهما ليتفق مع القطعى ، فان كانا ظنيين فالنظر الشرعى أولى بالاتباع حتى يثبت العقلى أو ينهار •
- ٢٠ - لا نكفر مسلماً أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاها وأدى الفرائض - برأى أو معصية - إلا أن أقر بكلمة الكفر أو أنكر معلوماً من الدين بضرورة أو كذب بصريح القرآن ، أو فسر على وجه لا تحتمل أساليب اللغة العربية بحال ، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر •

□ تعليق على بعض البنود :

يلاحظ القارئ أن السمة العامة لهذا الفهم ببوده العشرين سمة الداعية الذى يريد أن يجمع ولا يفرق ، ويريد أن يغلب روح الاخوة على جموع التعصب ، ويريد أن يبرز سماحة الاسلام ورحابة افقه ومرونة أسلوبه وكفائته العالية في تكوين الشخصية المؤمنة القادرة على تعمير الحياة واصلاحها وجعلها الامة المثالية الجديرة بالقيادة والريادة •• وإذا أردنا أن نتناول البنود العشرين بشيء من التوضيح طال بنا الحديث وتفرع ولذا نكتفى بتعليق مقتضب على البنود التى تتصل بما نحن بصدده في هذا المقام فنقول :

أولاً - قرر البند الثانى أن مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الاسلام ليس القرآن وحده بل السنة المطهرة معه ، وأن فهم السنة المطهرة يرجع فيه الى رجال الحديث الثقات •

ووراء هذا الحرص على الجمع في النص بين القرآن الكريم والسنة قصة وموضوع خطير ، ذلك أن من الاساليب التى بيثها المتآمرون على الاسلام وأحكموا تدبيرها حتى وجدت طريقها الى أفئدة بعض المسلمين وعقولهم دون أن يقدروا خطورتها ودون أن يعلموا أنها كافية أن تأتى على بنيان الاسلام من القواعد ، وتنسفه من أساسه ان نجحت - أن يلقوا في روع المسلمين أن في القرآن وحده الغناء في معرفة أحكام الدين ، فالقرآن وحده هو

الكتاب الذي تكمل الله عز وجل بحفظه ، أما السنة فاتها لم تحظ بمثل هذا التكفل فهي لذلك غير موثوق بها .

ولكى تتضح خطورة هذه المؤامرة يستعرض القارئ ما يعرّمه من أحكام الإسلام الأساسية في العبادات والمعاملات فيجد أن أكثرها مأخوذ من السنة ولم يتعرض له القرآن إلا بالإشارة المجملّة . فالصلاة بعددها ومواقيتها وهيئاتها وأركانها وشروطها ومبطلاتها كلها جاء من السنة المطهرة ، والزكاة بمواعيدها ومقاديرها وأنواعها كذلك ، ورجم الزاني المحصن وغير ذلك من الأحكام الأساسية في الإسلام كلها أخذت عن السنة النبوية . . والقرآن الكريم نفسه يقرر وجوب الأخذ بالسنة في قوله « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » وقوله « وان تطيعوه تهتجوا » وقوله « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

□. أهنية أحسن. البنا :

كان الكثيرون من أصدقاء حسن البنا من عارفى فضله من العلماء يحثونه على تأليف مكتب فى التفسير وفى مختلف فنون الاسلام ، ويلحون عليه فى ذلك حرصا منهم على تزويد المكتبة الاسلامية بنظرات عميقة وافكار غير مسبوقه مما يسمعون منه فى بعض دروسه وفى مجالسه الخاصة معهم .. ولكنه كان يقول لهم :

« دعوني من تأليف الكتب ، فمهما حوى الكتاب من نظرات وأفكار فإن هذه النظرات والأفكار ستظل حبيسة دفتيه ، رهينة صفحاته حتى تصادف قارئاً أهلاً لفهمها قادراً على الانتفاع بها .. » ولما تصادف الكتب هذا اللون من القراء .. فأكثر المؤلفين لذلك لا تسعفهم ظروفهم باقتناء الكتب ولا بقراءتها .. أما أكثر الذين يقتنونها فإنهم يقتنونها ليزينوا بها أثاث بيوتهم - والمكتبة الإسلامية متخمة بالمؤلفات في جميع العلوم والفنون ، ومع هذا فإنها لم تغن عن المسلمين شيئاً حين تعدت همهم وثبطت عزائمهم وركنوا إلى الدعة والخمول ، واستكانوا القرب فركبهم الاعداء من كل جانب .. »

والوقت الذي أضيّعه في تأليف كتاب أستغله في تأليف مائة شاب مسلم ،
يصير كل شاب منهم كتابا حيا ناطقا عاملا مؤثرا ، أرمى به بلدا من البلاد
فيؤلفها كما ألف هو ، ٠٠٠ وقد أثبت حسن البنا انه كان على صواب في
نظريته هذه ٠٠ وقد حققها تحقيقا لمسّه العالم كله ، ولا زال العالم يعيش
هذه الحقيقة .

أقول : انه - رحمه الله - مع عزوفه هذا عن تأليف الكتب ، فإنه كانت .

له أمنية يسر بها الى بين الحين والحين في مناسبات معينة ، أنه يتمنى أن
تتيح له الظروف وضع كتاب واحد هو الوحيد الذي تفتقر اليه المكتبة الاسلامية
وهو كتاب في « اثبات حجية السنة النبوية » (١) .

وكان يقول لي : ان عدم سد هذه الثغرة في المكتبة الاسلامية مدخل خطير
للشيطان على الامة الاسلامية ، فعن طريق هذه الثغرة يستطيع الشيطان أن
يفسد على المسلمين دينهم .

ويقول في هذا الصدد : ان أوثق الاخبار التاريخية التي نتلقاها في
مدارسنا ومعهدنا المتخصصة باعتبارها قضايا مسلمة وحقائق لا يأتيها
الباطل من بين يديها ولا من خلفها . لا تدانى في موازين روائها ولا في مقاييس
نصوصها درجة الحديث الضعيف عند علماء الحديث ، فلقد وضع هؤلاء العلماء
من المقاييس والموازين لرواة الاحاديث ما جعل أدنى شبهة حول تصرف واحد
لراو واحد من سلسلة رواة حديث كافيا لاسقاط هذا الحديث ورميه بالضعف
واعتباره مما لا يعتد به .

اقول : ولما كان وضع كتاب في مثل هذا الموضوع يقتضى تفرغه
بضعة اشهر - ولم تكن مطالب الدعوة لتمهله يوما واحدا - فانه لجأ أخيرا الى
اسلوب الصحافة العلمية لعله يتناول فيها الموضوع مجزئاً ، كلما سنحت له
فرصة كتب مقالا كل شهر أو كل شهرين . وقد بدأ هذه المحاولة حين أسندت
اليه رئاسة تحرير مجلة المنار ، ولكن الاحداث لم تمهلها طويلا فاحتجبت بعد
أشهر ، فأصدر بعدها مجلة « الشهاب » التي لم تكن أحسن حظا من أختها
« المنار » اذ لحقت بها بعد بضعة أعداد . ثم طغت الاحداث الداخلية
والخارجية على النحو الذي وضناه من قبل فلم تدع لتحقيق هذه الأمنية
سبيلا .

ثانيا - وضح مما قدمناه في هذه العجالة مدى اهتمام حسن البناء
بالسنة ، وتقديره لمكانتها في الاسلام باعتبارها الركن الاساسي الذي لا يقوم
الاسلام الا به . لكنه أراد بعد ذلك أن يبين أن الانتفاع بالقرآن الكريم
والسنة النبوية في تكوين الشخصية المسلمة المتوخية الكمال لا يكون الا بأخذ
النفس بأساليب التربية الروحية المستمدة منهما ، فنص في البند الثالث
على أن للايمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نورا وحلاوة يقذفها

(١) لعل مما يثلج الصدور في هذا الصدد صدور كتاب « السنة ومكانتها
في التشريع الاسلامي » لفضيلة الدكتور مصطفى السباعي المراقب العام
للاخوان المسلمين بسوريا الشقيقة .

في قلب من يشاء من عباده - ثم الحق ذلك بتحذير من المبالغة التي قد تؤدي الى الانحراف .

وبذلك يكون حسن البناء قد جمع في فهمه للإسلام بين التعاليم في ذاتها وبين تطبيق هذه التعاليم في نفس الفرد المسلم . وهو المعنى العملي الشامل الذي قصد اليه القرآن وحثت عليه السنة . وبدون هذا التطبيق لا تتكون الشخصية المسلمة التي هي نواة الأمة المسلمة . وقد يعبر عن هذا الفهم بالاصطلاح المعصري أنه جمع بين الالتزام بالسنة وبين النصوص . . ويذكرني هذا بما كان يحاوله - رحمه الله - من تدريس كتاب « أحياء علوم الدين » للإمام أبي حامد الغزالي ووضع شرح له . وقد بدأ في ذلك كما أشرت من قبل ولكن الظروف حالت دون تحقيق هذه المحاولة أيضا . . ورحم الله الإمام مالك ابن أنس اذ يقول : من تصوف ولم يتفقه فقد ترندق ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تنفسق ، ومن تصوف وتفقه فقد تحقق .

ثالثاً - الإمام الذي يشير اليه البند الخامس هو رئيس الدولة حين يكون للمسلمين دولة - أما موضوع أن الأصل في العبادات التعبد دون الالتفات الى المعاني ، وفي العاديات الالتفات الى الاسرار والحكم والمقاصد فقد جليناه في المدخل الى الجزء الاول من هذا الكتاب .

رابعاً - ويقول البند السابع « وعلى كل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الاحكام الفرعية أن يتبع اماما من أئمة الدين » ويجدر بنا في هذا المقام أن ننبه الى أن الدعوة الى الرجوع الى الكتاب والسنة قد فهمها بعض الناس لا سيما الشباب الذي نال قسطا من العلم فهموها على غير وجهها غراحوا يهاجمون المذاهب والتمذهبين ويرمونهم بتكذب طريق السنة ، واعتقدوا في انفسهم - رقد استطاعوا مجرد أن يقرأوا القرآن وأن يقرأوا في كتب الاحاديث انهم يستطيعون أن يستنبطوا الاحكام دون حاجة الى اتخاذ مذهب أو اتباع امام . . مع أن درايتهم باللغة العربية نحوها وصرفها وبلاغتها لا تعموا دراية سطحية ، فهم لا يعرفون وجوه الاعراب ولا اشتقاق الالفاظ ولا الشواهد التي استند اليها علماء اللغة من كلام العرب ، كما أنهم لا يعرفون النسخ والمنسوخ ، ولا امام لهم بعلوم أصول الحديث وأصول الفقه ولا بعلوم التعديل والتجريح ولا بتاريخ الرجال وغيرها من العلوم التي لا يكفي مجرد الامام بها بل لابد من التضلّع فيها لمن يريد أن يستنبط من القرآن والسنة .

□ **انموذج يوضح معنى المذاهب في الاحكام الفقهية :**

وتوضيحا لهذه النقطة من البحث ، وتقريبا للازمان من فكرة المذاهب

في الفقه الاسلامي ووجوب وجودها ، لانها هي الدليل على مرونة هذا الفقه ،
ورحابة صدره وهي وليدة هذه المرونة والدليل عليها . . . وسعياً وراء هذا
التوضيح نتناول موضوعاً قريباً من مهم أكثر الناس هو موضوع عرائض
الموضوعات الشارحين الكيفية التي تم بها استنباط هذه الفرائض ، مستنبطين
ما-نعرض في هذا الموضوع من كتابي ادين الخالص وتفسير القرطبي . . .
ومنه يتبين كيف نشأت المذاهب والاسس التي قامت عليها هذه المذاهب . . .
فنقول :

إن النص الذي رجع إليه كل من ادلوا بدلائلهم في هذا الاستنباط هو
قوله تعالى في سورة المائدة « يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا
وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين » . . .
هذا النص هو المعين الذي اشتق منه ائمة الفقه فخرج كل منهم للامة
الاسلامية بشراب ، فكانت اشربة مختلفة طعومها- ولكنها جميعاً اشربة حلوة
غنية شهية سائغة لذيدة . . .

والقرآن الكريم - كما هو مقرر - حمال أوجه . . . ولكنها أوجه لا تبين
للسذج الجاهل ولا للمتقفين السطحيين ، وإنما تبين لاصحاب البصائر من
أفذاذ العلماء المزودين بزاز لا ينفذ على طول البحث وتشعب سبل النظر ومهما
ضجبت بهم أسباب الاستقصاء . . .

والمذاهب في الفقه الاسلامي كثيرة متعددة يقتر ما انجبت هذه الامة
من علماء أفذاذ وائمة فضلاء ، ولكننا في هذه العجالة ، وفي معالجة هذا
الموضوع نقتصر في تجليته على المذاهب الاربعة التي انتشرت وتعلق بها
أكثر المسلمين فنقول :

مع أن الآية الكريمة لم تشتمل من التكليف الا على أربعة هي : غسل
الوجه وغسل اليدين الى المرفقين والمسح بالرأس والارجل الى الكعبين . . .
مع هذا فقد كانت نظرات هؤلاء الائمة الى الآية أكثر عمقا وانفذ بصراً واوسع
اخاطة . . . وكان لهم أمامها ست وقفات :

الوقفة الاولى - النية :

فقد اضاف مالك والشافعي النية الى هذه الاربعة المفروضة في الآية ،
مستندين الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما الاعمال بالنيات »
وأحمد بن حنبل وإن كان لم يقتنع بجعلها ركناً او فرضاً في الموضوع فإنه
جعلها شرط صحة له . . .

ولكن أبا حنيفة اقتصر على الأربعة الواردة بآلية حيث لا ذكر للنية فيها ، وقال ان الحديث حديث آحاد يقبل التأويل .

الوقف الثانية - المسح بالرأس .

ثم كانت لهم وقفة . أمام قوله تعالى « وامسحوا برؤوسكم » واختلفت نظراتهم الى هذا التركيب القرآني العربي المعجز . . . ورجوعا منهم الى رعييد لهم بالغ الثراء في علوم اللغة وآدابها وشواهدهما رأى مالك أن الباء هنا مؤكدة زائدة ، وأن الرأس هي الجملة التي يعلمها الناس ضرورة ومنها الوجه . قلنا : فذكره الله تعالى في الوضوء وعين الوجه للغسل ، بقي باقية للمسح . ولو لم يفكر الغسل للزوم مسح جميعه ما عليه شعر من الرأس وما فيه العينان والانف والفم .

وبناء على ذلك قرر مالك ان الغرض هو مسح الرأس كله . وقد سئل عن الذي يترك بعض رأسه في الوضوء فقال : رأيته ان ترك غسل بعض وجهه أكان يجزئه ؟ . . . وحان من دليل مالك على أن الرأس هي محوى كل ما ذكره قول الشاعر القديم :

إذا احتملوا رأسي وفي الرأس أكثرى . . . وعودر عبد الملحمي ثم سألني .

واتفق رأى احمد بن حنبل في هذه النقطة مع رأى مالك . . . ولكن انشأني رأى أن الباء هنا للتبعيض فيجزي ولو مسح سعرة بعد الرأس . لأن الباء الدخلة على متخذ كما في قوله تعالى « وامسحوا برؤوسكم » تكون للتبعيض . . .

وقال مالك : لو كان معنى الباء للتبعيض لافادته في انبيم في قوله تعالى « فامسحوا بوجوهكم » وورد التيفاعى على ذلك قائلا : ان مسح الوجه في النيمم بدل من غسله فلا بد ان يأتى بالمسح على جميع موضع الغسل منه . ومسح الرأس أصل . فهذا ما بيتهما . . . وورد في السنة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بناصرته . فزد مالك قائلا . لعل النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك لعذر ، فقد فعل ذلك في السفر وهو مظنة الاعذار وموضع الاستعجال والاختصار .

اما أبو حنيفة فقال ان المفروض قدر الريح : لأن الباء باء الالتصاق ، اذا دخلت على المحل تعدى الفعل الى الآلة - والآلة هنا هي اليد - فيكون التقدير « وامسحوا بأيديكم برؤوسكم » وهذا يقتضى استيعاب اليد دون الرأس . واستيعابها ملصقة بالرأس لا يستغرق غالبا غير الربع - ويستند أبو حنيفة أيضا في ذلك الى حديث انس بن مالك قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يثوضاً وعليه عمامة قطرية فأدخل يده من تحت العمامة ومسح مقدم رأسه .

الوقفه الثالثة - ما يخص الرجلين:

ثم وقف الائمة مرة أخرى في الآية الكريمة أمام قوله تعالى « وأرجلكم الى الكعبين » حيث ورد فيها ثلاث قراءات : الاولى - وهي التي نقرأها في مصر - بنصب اللام والثانية برفعها والثالثة بخفضها - وقد اجمع العلماء على الاخذ بالقراءة الاولى حيث تكون « أرجلكم » معطوفة على « أيديكم » والعامل في هذه الحالة هو « اغسلوا » ويكون التقدير هو « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأرجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤوسكم » ويعضد هذه القراءة فعل النبي صلى الله عليه وسلم .

أما قراءة الخفض فالعامل فيها الباء ، ويكون المعنى في هذه الحالة هو مسح الرجلين لا غسلهما ، وروى عن أنس بن مالك أنه قال : نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل ، وكان اذا مسح رجله بلهما - وقال عامر الشعبي : نزل جبريل بالمسح ، الا ترى أن التيمم يمسح فيه ما كان غسلاً ويلقى ما كان مسحاً - وذهب ابن جرير الطبري الى أن فرضهما التخيير بين المسح والغسل وجعل القراءتين كالروايتين أى يعمل بهما اذا لم يتناقضا .

الوقفه الرابعة - الدالك :

ورأى مالك أن الدالك أحد فرائض الوضوء لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة في الغسل : « ادلكي جسدي بيدك » والاصل في الامر الوجوب ، ولا فرق بين الوضوء والغسل ، وأيضا فان الدالك من مسمى الغسل أو شرط فيه - ولحديث حبيب بن زيد أنه سمع عباد بن تميم عن عمه عبد الله ابن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فجعل يقول هكذا يدلك .

ولكن الائمة الثلاثة الآخريين قالوا : ان الدالك سنة لا فرض لعدم التصريح به في الاحاديث الكثيرة الواردة في صفة الوضوء والغسل، وهو قرينة على صرف الامر بالدلك للندب . ودعوى أن الدالك من مسمى الغسل أو شرط فيه ، محل نظر . والمقرر أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم لا يفيد الفرضية .

□ الوقفه الخامسة - الموالاة :

وفي هذه المرة وان اتخذوا الآية قاعدة لهم الا أنهم لجأوا الى السنة لتوضيح حجتهم . والموالاة أو الفور هي التتابع بان يطهر العضو الملاحق قبل جفاف السابق - وقد استنبط مالك وأحمد أن الموالاة فرض من فرائض الوضوء لحديث عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى رجلاً

يصلى وفي ظهر قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء ، فأمره أن يعيد الوضوء والصلاة .

أما أبو حنيفة والشافعي فقد رأيا في سند هذا الحديث بقية بن الوليد وقد ضعفه غير واحد ، فقررنا أن الموالاة ليست فرضا مستنديين الى حديث عمر بن الخطاب أن رجلا توضأ فترك موضع ظفر على قدمه ، فأبصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ارجع فأحسن وضوءك . مرجع ثم صلى . رواه مسلم . قالوا . فلو كانت الموالاة فرضا لقال صلى الله عليه وسلم « ارجع فأعد وضوءك » وانما قال « أحسن وضوءك » واحسان الوضوء اكماله .

الوقفه السادسة - الترتيب :

واستنبط الشافعي ووافقه احمد أن النص القرآني بتركيبه يوحى بأن الترتيب فرض من فرائض الوضوء ، بحيث لا يجوز تقديم عضو من أعضاء الوضوء على آخر بل لأبد من الالتزام بالترتيب الذي جاء في الآية الكريمة - وكان حجتهم في ذلك أن الله تعالى أدخل ممسوحا بين مغسولين ، والعرب لا تقطع النظير عن نظيره الا لفائدة ، وهي هنا الترتيب . والآية ما سيقف إلا لبيان الواجب . ولأن من حكى وضوء النبي صلى الله عليه وسلم كان عربيا .

ولكن مالكا وأبا حنيفة رأيا أن الترتيب في الوضوء ليس بواجب لأن الله تعالى أمر بغسل الأعضاء الثلاثة ومسح الرأس ، وعطف بعضها على بعض بالواو ، وهي لا تقتضي الترتيب فكيفما غسل كان ممثلا . ووضع الممسوح بين مغسولين لا يدل على أن الترتيب فرض بل فائدته ادلالة على استحباب الترتيب .

وعلى ذلك كانت أركان الوضوء أو فرائضه عند هؤلاء الائمة كالآتي :

عند أبي حنيفة : أربعة : غسل الأعضاء الثلاثة ومسح ربح الرأس .

وعند الشافعي : ستة : النية وغسل الأعضاء الثلاثة ومسح بعض الرأس ولو شعرة والترتيب .

وعند مالك : سبعة : النية وغسل الأعضاء الثلاثة ومسح الرأس كلها والدلك والموالاة .

وعند أحمد : ثمانية : غسل الأعضاء الثلاثة والمضمضة والاستنشاق باعتبار الفم والانف من الوجه ومسح الرأس والترتيب والموالاة - اما اذنية فجعلها شرط صحة .

هذا . . . وقد أوردت هذا القدر المقتضب غاية الاقتضاب لاعرض على شبابنا الناشئ صورة مصغرة لكننية استنباط الاحكام من الكتاب والسنة، والآلات اللازمة لها، والمؤهلات الضرورية أن يرشح نفسه لها، من حفظ مستوعب للقرآن الكريم والسنة النبوية وأحاطة كاملة بفنون اللغة العربية وآدابها وشواهدا وأوجه الأعراب فيها وأقوال العرب ولهجاتهم، والمسامح في التسمية النبوية في أدق تفاصيلها، وعلوم السند والرواية وتاريخ الرجال والتعديل والتجريح، وعلم القراءات وعلم النسخ والمنسوخ وغيرها من العلوم التي تقصر دون الاحاطة بكل علم واحد منها الأعمار فما بالك بالاحاطة بها جميعا؟ ثم المقخرة على استعمال كل معروفة من معارفها في الموضوع الذي يحتاج اليها وتؤتي ثمرتها فيه من أساليب الاستقصاء والاستنباط .

على أن تكون كل هذه المواهب مرتكزة على فكر ثابت، وعقل ناضج، وقريحة وقادة، وبديهة حاضرة وأفق فسيح، وقدرة على الابتكار، وبصيرة مستنيرة واعية - ومع كل هذه المؤهلات فلا اعتبار لها ما لم يكن صاحبها ذا قلب عامر بالإيمان، مترع باليقين، مفعم بالخوف من الله، فهو يصعد بالحق ولا يخشى في الحق لومة لائم .

وهؤلاء الأئمة الذين نروى عنهم هم وأضرابهم . . هم من هذا الطراز الذي جمع إلى المواهب الفائقة النادرة القلب الخاشع والنفس الزاهدة الثابتة العازمة عن متاع الدنيا، فمن هؤلاء من حفظ القرآن لسبع، ومنهم من كان يصلي الصبح بوضوء العتاء، وكلهم أودى في الله وجلد وسجن ومثل به جهرا بكلمة الحق عند سلطان جائر . . فهل في اتباع هؤلاء - الا اتباع للكتاب والسنة؟ وهل عاش هؤلاء وماتوا الا حفاظا على الكتاب والسنة؟ وهل تراثهم الذي خلفوه لنا الا الكتاب والسنة؟ وهل كانوا بالنسبة للامة الاسلامية الا من أولى الامر الذين قال الله تعالى فيهم « ولو ردوه الى الرسول وإلى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا » .

وعلى اخواننا الذين يرغبون في الاستنباط من الكتاب والسنة مباشرة ان كانوا من أهل العلم حقا أن يتوفروا على دراسة هذه العلوم التي أشرنا اليها حتى يستوعبوا جميعا فيكونوا بذلك أهلا للاستنباط . وان كان دون الوصول إلى هذه الغاية خبط الفتاد - وأما من كان هذا الشوط عليهم بعيدا - وهو بعيد فعلا - فحسبهم أن يتبعوا اماما، وأن يحاولوا فهم أدلته، لعل ذلك ينمي موهبة البحث فيهم . ويكونون بذلك قد ساروا في اتباعهم على بصيرة، وهو ما يجدر بكل مسلم . . والا فانهم يكونون كالذين يقدمون انفسهم في الحرب بلا سلاح .

خامسة - أشار البند الثامن الى الخلاف الفقهي في الفروع وما يؤدي اليه عادة من خصومة وتفرق نتيجة المراء وهو الجدال بدافع الانتصار للرأى . وكان حسن البنا رحمه الله كثير التحذير من المراء ٠٠ ولا زلت أذكر الحديث الذى كان كثيرا ما يردده والذى ينهى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم عن المراء ويغلظ في النهى حتى انه ليقول في نهايته « أنا كفيل بببيت في وسط الجنة لن ترك المراء وهو محق ، وببيت في ربضها لمن تركه وهو مبطل » .

سادسة - وفي البند التاسع ينهى عن الخوض في الامور التى لا ينبغي عليها عمل ، وعن الخوض في معانى الآيات القرآنية الكريمة التى لم يصل اليها العلم بعد - وكان حسن البنا - رحمه الله - يستشهد على ذلك بقول الله تعالى في سورة الكهف « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ، رجما بالغيب ، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ، قل ربي أعلم بعثتهم ما يعلمهم الا قليل . فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا » .

ففى هذه الآيات نهى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن المصاراة مع سائليه عن عدد اهل الكهف كما نهاه حتى عن الاستفسار من هؤلاء السائلين وهم اهل الكتاب عن هذا العدد - ذلك أن معرفة عددهم لا جدوى من ورائها ، ولا ينبغي عليها عمل أو تجنى فائدة ، وحسب المراء أن يزداد من سياق القصة ايمانا بقدرة الله على الامامة والاحياء وعلى البعث ٠٠٠ أما مدة لبثهم في الكهف - لانها موضع العبرة - فقد حددها القرآن تحديدا واضحا بالسنين الشمسية والسنين القمرية فقال « ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سفين واذا دعوا تسعاً » .

وزيادة في ايضاح هذين البندين نورد خلاصة تجربة عملية عاناها حسن البنا بنفسه في ابان قيامه بالدعوة في مدينة الاسماعيلية نقلها من « مذكرات الدعوة والداعية » تحت عنوان : « في زاوية الحاج مصطفى بالعراقية » يقول رحمه الله :

« كانت هذه الزاوية الثانية هي الزاوية التى بناها الحاج مصطفى تقربا الى الله تبارك وتعالى ، وفيها اجتمع هذا الفر من طلاب العلم يتدارسون آيات الله والحكمة في أخوة وصفاء تام » .

ولم يمض وقت طويل حتى ذاع نداء هذا الدرس - الذى كان يستغرق ما بين المغرب والعشاء ، وبعده يخرج الى درس القهاوى - حتى قصد اليه كثير من الناس ومنهم هواة الخلاف واحلاس الجدل وبقابا الفتنة الاولى .

وفي احدى الليالى شعرت بروح غريبة ، روح نحفز وفرقة ، ورايت المستمعين قد تميز بعضهم من بعض ، حتى في الاماكن ، ولم اكذ أبداً حتى فوجئت بسؤال : ما رأى الاستاذ في مسألة التوسل ؟

فقلت له : يا أخى أظنك لاتريد أن تسألنى عن هذه المسألة وحدها . ولكنك تريد أن تسألنى كذلك « في الصلاة والسلام بعد الاذان ، وفي قراءة سورة الكهف يوم الجمعة ، وفي لفظ السيادة للرسول صلى الله عليه وسلم في التشهد ، وفي أبوى النجى صلى الله عليه وسلم وأين مقرعما ، وفي قراءة القرآن وهل يصل ثوابها الى آيت أو لا يصل ، وفي هذه الحلقات التى يقيمها أهل الطرق وهل هى معصية أو قرينة الى الله » . وأخذت أسرد له مسائل الخلاف جميعا التى كانت مثار فتنة سابقة وخلافه شديد قيما بينهم - فاستغرب الرجل وقال : نعم أريد الجواب عن هذا كله .

فقلت له : يا أخى انى لست بعالم ، ولكنى رجل مدرس مدنى أحفظ بعض الآيات وبعض الاحاديث النبوية الشريفة وبعض الاحكام الدينية من المطالعة في الكتب ، وأتطوع بتدريسها للناس . فاذا خرجت بى عن هذا النطاق فقد أخرجتنى ، ومن قال لا أدري فقد افتنى . فاذا أعجبك ما أقول ، ورأيت فيه خيرا فاسمع مشكورا . واذا أردت التوسع في المعرفة فسل غيرى من العلماء والفضلاء المختصين ، فهم يستطيعون افتاءك فيما تريد ، وأما أنا فهذا مبلغ علمى ولا يكلف الله نفسا الا وسعها - فأخذ الرجل بهذا القول ولم يجد جوابا ، وأخذت عليه بهذا الاسلوب سبيل الاسترسال ، وارتاح الحاضرون أو معظمهم الى هذا التخلص .

ولكنى لم أرد أن تضيق الفرصة فالتفت اليهم وقلت لهم : يا اخوانى .. أنا أعلم تماما أن هذا الاخ السائل . وأن الكثير من حضراتكم ، ما كان يريد من وراء هذا السؤال الا أن يعرف هذا المدرس الجديد من أى حزب هو ؟ أمن حزب الشيخ موسى أو من حزب الشيخ عبد السميع ؟ .. وهذه المعرفة لا تفيدكم شيئا . وقد قضيتكم في جو الفتنة ثمانى سنوات وفيها الكفاية . وهذه المسائل تختلف فيها المسلمون مئات السنين ولا زالوا مختلفين . والله تبارك وتعالى يرضى منا بالحب والوحدة ويكره منا الخلاف والفرقة . فأرجو أن تعاهدوا الله أن تدعوا هذه الامور الآن وتجاهدوا في أن نتعلم أصول الدين وقواعده ، ونعمل باخلاقه وفضائله العامة وارشاداته المجمع عليها ، ونؤدى الفرائض والسنن ، وندع التكلف والتعمق حتى تصفو النفوس ، ويكون غرضنا جميعا معرفة الحق لا مجرد الانتصار للرأى . وحينئذ نتدارس هذه الشئون كلها معا في ظل الحب والثقة والوحدة والاخلاص ، وأرجو أن تتقبلوا منى هذا الرأى ويكون عهدا فيما بيننا على ذلك .

وقد كان • ولم نخرج من الدرس الا ونحن متعاهدون على ان تكون وجهتنا التعاون وخدمة الاسلام الحنيف ، والعمل له يدا واحدة ، وطرح معاني الخلاف ، واحتفاظ كل برأيه فيها حتى يقضى الله امرا كان مغفولا •

واستمر درس الزاوية بعد ذلك بعيدا عن الجور الخلاف فعلا بتوفيق الله • وتخيرت بعد ذلك في كل موضوع معنى من معاني الاخوة بين المؤمنين اجعله موضوع الحديث اولا تثبيتا لحق الاخاء في النفوس ، كما اختار معنى من معاني الخلافات التي لم تكن محل جدل بينهم والتي هي موضع احترام الجميع وتقدير الجميع ، أطرقه واتخذ منه مثلا لتسامح السلف الصالح رضوان الله عليه ، ولوجوب التسامح واحترام الاراء الخلافية فيما بيننا •

مثل : وأذكر أنني ضربت لهم مثلا عمليا فقلت لهم : ايكم حنفي المذهب ؟ فجأني أحدهم فقلت : وايكم شافعي المذهب ؟ فتقدم آخر • فقلت لهم : ساصلى اماما بهذين الاخرين فكيف تصنع في قراءة الفاتحة ايها الحنفي ؟ فقال : أسكت ولا أقرأ • فقلت : وانت ايها الشافعي ما تصنع ؟ فقال : أقرأ ولا بد - فقلت : واذا انتهينا من الصلاة فما رأيك ايها الشافعي في صلاة اخيك الحنفي ؟ فقال : باطلة لانه لم يقرأ الفاتحة وهي من اركان الصلاة • فقلت : وما رأيك انت ايها الحنفي في عمل اخيك الشافعي ؟ فقال : لقد أتى بمكروه تحريما فان قراءة الفاتحة للماموم مكروهة تحريما - فقلت : هل ينكر احكما على الآخر ؟ فقالا : لا • • • فقلت للمجتمعين : هل ندرون على أحدهما ؟ فقالوا : لا • فقلت :

« يا سبحان الله !! يسمعكم السكوت في مثل هذا وهو امر بطلان الصلاة او صحتها ولا يسمعكم ان تتسامحوا مع المصلي اذا قال في التشهد اللهم صل على محمد أو اللهم صل على سيدنا محمد • وتكملون من ذلك خلافا تقوم له الدنيا وتقع » •

وكان لهذا الاسلوب اثره فأخذوا يعيدون النظر في موقف بعضهم من بعض • وعلموا ان دين الله اوسع وايسر من ان يتحكم فيه عقل فرد أو جماعة وانما مرد كل شيء الى الله ورسوله وجماعة المسلمين وامامهم ان كان لهم جماعة وامام ، ا ه •

سابعة - البندان الثالث عشر والرابع عشر يتناولان الاولياء في حالتى الحياة والموت • وهذا التناول وان كان يغضب بعض المتغالين من المتصوفة فانه يقرر حقائق قررها القرآن الكريم بصريح آياته « قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء » - ولكن المعتدلين المتفقهين من الصوفية لا يجدون غضاظة في عموم هذا الفهم •

ثامنا - والبند السادس عشر يحذر من التلاعب بالالفاظ وخداع الجماهير بالالفاظ الجوفاء والخداع الفقهي والدجل السياسى معا الذى يحرف الكلم عن مواضعه ، ولا يكون نصيب الشعوب منه الا الضلال والا العبارات المغرية الجوفاء كالحرية وحقوق الانسان ، دون أن تستمع هذه الشعوب فعلا بشىء من هذه الحقوق « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام » « يأبىها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون • كبر مقتنا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » •

تاسعا - مع اقرار البند الحادى عشر أن البدعة التى لا أصل لها فى الدين تجب محاربتها والقضاء عليها ، فانه قيد هذه المحاربة بسلوك أفضل الوسائل التى لا تؤدى الى ما هو شر منها - والذى هو شر من البدعة هو أن تؤدى وسيلة محاربتها الى الخصومة والعداء والقطيعة بين المسلمين • وهذا هو ما كان الاخوان حريصين على تفاديه ولو أدى الامر الى التفاضى بعض الوقت عن البدعة والدوران حولها من بعيد ، بدعوة صاحبها الى الالتحاق بالركب الاخوانى ، فاذا التحق لم يلبث الا قليلا حتى يرى نفسه قد ألق - مقتنعا - من تلقاء نفسه عن بدعته •

كما أن البند الثامن كما أشرنا قد قرر مبدأ متفقا عليه هو أن الخلاف الفقهي فى المروع لا يكون سببا للتفرق فى الدين ولا يؤدى الى خصومة ولا بغضاء - وجاء البندان الثانى عشر والخامس عشر فقررا أن البدعة الاضافية - وهى التى تضيف شيئا لم يكن موجودا كالاحتفال بانهجرة النبوية والولد النبوى - والبدعة التركبية وتكون بترك سنة كان معمولا بها ، والالتزام فى العبادات المطلقة ، كالتزام نافلة فى وقت معين وان كان مسموحا بالتنقل فيه الا أن السنة لم تنص على التزام نافلة معينة فيه ، والدعاء اذا قرن بالتوسل الى الله بأحد من خلقه ••• كل هذه يعتبر !!خلاف بشأنها خلافا فقهيya فى الفروع لا يكون سببا للتفرق فى الدين ولا يؤدى الى خصومة ولا بغضاء •

وهنا أقول : أن نقل البدع التى أشير اليها من اضافية وتركبية والالتزام وتوسل من جانب الامور الاساسية الخطيرة المتعلقة بالعفيدة والتى تمس كيان الدين الى جانب الخلاف الفقهي فى الفروع ، والاقتصار فى محاربة البدعة على الوسائل التى لا تؤدى الى ما هو شر منها •• هذا للنقل - وان كان قد أغضب طائفة من الداعين الى السنة ومحاربة البدع - فانه فتح الباب على مصراعيه امام أقواج ضخمة من قوى الممارب المختلفة من المسلمين للحاق بالركب الاخوانى الذى تولاهم باسلوبه الخاص •

وهكذا استطاع حسن البناء بهذا « الفهم » وبانتهاج هذا الاسلوب أن ينقل فى صمت وهدهد - الى صفوف العباد قوام الليل صوام النهار المجاهدين

في سبيل الاسلام بالنفس والمال - مئات الآلاف من الشباب والشباب الذين كانوا يعيشون عيشة الضياع على هامش الحياة في الليل واللعب - بل ان مجموعات كبيرة من صفوف شباب هذه الطوائف التي كانت تعترض عليه في فهمه وأسلوبه قد استجابت أخيراً لدعوته ، بعد أن افندوا بأن فهمه هو الفهم الأمثل ، وأن أسلوبه هو الأسلوب الأقوم ، لجمع شمل الأمة الإسلامية وسط الظروف القاسية التي تحيط بالمسلمين في هذا العصر .

□ توسيع الدائرة :

إذا كنا قد اعتبرنا المنتسبين للتصوف والداعين إلى الرجوع إلى السنة ومحاربة البدعة طائفتين دب بينهما خلاف ، فانهما في الحقيقة بانسبة للطوائف على مستوى العالم الإسلامي ينتميان إلى طائفة واحدة هي طائفة أهل السنة حيث الطائفة الأخرى على هذا المستوى العام هي طائفة الشيعة . ولا كان المجال العملي لحسن البنا حين قام بدعوته هو مصر ، فلما عالج أخذ في توسيع دائرة عمله فاتجه إلى معالجة الطوائف على مستوى العالم الإسلامي ، حيث تنتشر طائفة الشيعة في الشام والعراق وإيران وتركيا وغيرها .

وكانت هذه الطائفة - على كثرتها - تعيش في عزلة تامة عن طائفة أهل السنة كأنهما من دينين مختلفين ، مع أن هذه الطائفة تضم أقواماً من أكرم العناصر المسلمة ذات التاريخ المجيد والغيرة على الإسلام والذود عن حياضه . . . ووجه الخلاف بينهم وبين أهل السنة ينحصر في أنهم يتغالون في حبائل الجبوت رضوان الله عليهم . . . وإذا كان فيهم من تطرف فإن في المنتسبين إلى أهل السنة من تطرف . . . ولكن هل تظل هذه القطيعة قائمة بين طائفتي المسلمين والإسلام في أمس الحاجة إلى جهد كل فرد مناسب إليه للوقوف في وجه الغارة المطبقة عليه ؟

رأى حسن البنا أن الوقت قد حان لتوجيه الدعوة إلى طائفة الشيعة ، فمد يده إليهم أن هلموا إلينا فأنتم إخواننا في الإسلام . وعياً فتعاون معنا على إقامة صرحه واستعادة مجده . . . وقد وجدت دعوة هذه من الشيعة أذناً صاغية ، إذ اسعدهم أن يسمعون لأول مرة منذ مئات السنين صوتاً ينضح بالحب ويدعو إلى الأخوة الإسلامية . . . فقدم إلى مصر شيخ من كبار مشايخهم في إيران هو « الشيخ محمد تقى قمي » والتقى بحسن البنا وحسن التفاهم بينهما . . . وثمره لهذا التفاهم أنشئت في القاهرة دار ترمز إلى هذه المعاني السامية اسمها « دار التقريب بين المذاهب الإسلامية » وقامت هذه الدار بجهد مشكور في سبيل هذا الهدف .

ولو كانت الظروف قد أهملت حسن البنا لثم مزج هذه الطائفة بالطوائف السنية مزجاً عاد على البلاد الإسلامية بأعظم الخيرات - ومع ذلك

فقد وضع أساس التقارب وأنجز شيء منه ، اذ زالت القطيعة الى حد ما ، وتوحد الصوت في المطالبة في مختلف البلاد الاسلامية بالرجوع الى الحكم الاسلامي .

والذي أعلمه أن هذه الدار « دار التقريب » لا تزال موجودة بالقاهرة لكنها فقدت العنصر الفعال والرجل الذي كان قادرا على حسن توجيهها والافادة منها لخير العالم الاسلامي أعظم افادة . ولكن حسب حسن البنا أنه اقتحم الباب المغلق ، وأرسى أساس التقارب والاتصال .

حسن البنا :

بين القومية والاسلامية :

كان لابد لنا من عرض موقف حسن البنا من هذا الموضوع ، لان كل الزعامات التي قامت في هذه البلاد اتخذت لها مواقف محددة منه . وقد أبانوا عن هذه المواقف ، فبعضهم أبان عنها في خطب ومفالات ، وبعضهم أبان عنها في رسائل وكتيبات وكتب وفلسفات . وما كان لزعيم من هؤلاء أن يغفل الابانة عن موقفه من هذا الموضوع لان حكم الموضع والروابط الطبيعية والانسانية توجب هذه الابانة .

وقبل أن نعرض لموقف حسن البنا من هذا الموضوع ، نشير الى أن مواقف الزعماء الذين سبقوه والذين جاءوا من بعده لم تكن، الا وليدة مصالح مادية ومنافع مأمولة ، ثم انها على كل حال لم تكن مبنية الا على آراء شخصية ونظر شخصي وتقدير شخصي ، مما يجعلها موافق محتملة للصواب والخطا - أما حسن البنا فبالرغم من تفوقه على سابقيه ولاحقيه من الزعماء في القدرة على إصدار الرأي ، وفي سعة الافق ، وبعد النظر ، ورجاحة العقل ، وحسن التقدير . فإنه لم يعتمد في تحديد موقفه على ما هو مستمتع به من هذه الميزات ، بل اعتمد مع كل هذا على أصل ثابت وركن ركين لا يحتمل الخطأ ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فبعد أن عرضنا لفهم حسن البنا للفكرة الاسلامية وأوضحنا تصوره لابعادها ، نعرض لتصوره للوحدة القومية والوحدة العربية والوحدة الاسلامية . وقد تولى هو بنفسه توضيح ذلك بأجلى عبارة - لما كان يلم من أهمية هذا التوضيح - في بيانه الذي ألقاه في المؤتمر الخامس فقال :

« كثيرا ما تتوزع أفكار الناس في هذه النواحي الثلاث : الوحدة القومية ، والوحدة العربية ، والوحدة الاسلامية . وقد يضيفون الى ذلك الوحدة الشرقية . ثم تنطلق اللسان والأفكار بالوازنه بينها وامكان تحققها أو صعوبة ذلك الامكان ، ومبلغ الفائدة أو الضرر منها ، والتشجيع لبعضها

دون البعض الآخر فما موقف الاخوان المسلمين من هذا الخليط من الافكار والمناحي ؟ ولا سيما وكثير من الناس يغمزون الاخوان المسلمين ووطنيتهم ، ويعتبرون تمسكهم بالفكرة الاسلامية مانعا اياهم من الاخلاص لئناحية الوطنية . والجواب على هذا أننا لن نحيد عن القاعدة التي وضعناها أساسا لفكرتنا ، وهي السير على مدى الاسلام وضوء نعاليمه السامية - فما موقف الاسلام نفسه من هذه النواحي ؟

□ الوطنية أو القومية الخاصة :

ان الاسلام قد فرضها فريضة لازمة لا مناص منها ، أن يعمل كل انسان لخير بلده ، وأن يتفانى في خدمته ، وأن يقدم في ذلك اكبر ما يستطيع من الخير للامة التي يعيش فيها ، وأن يقدم الاقرب فالاقرب رحما وجوارا ، حتى انه لم يجر ان تنقل الزكوات أبعد من مسافة القصر الا لضرورة ، ايثارا للاقربين بالمعروف .

فكل مسلم مفروض عليه ان يسد اثغرة التي هو عنها ، وان يخدم الوطن الذي نشأ فيه . ومن هنا كان المسلم أعمق الناس وطنيه وأعظمهم نفعا لوطانيه - لأن ذلك مفروض عليه من رب العالمين - وكان الاخوان المسلمون أشد الناس حرصا على خير وطنهم ، وتفانيا في خدمة قومهم . وهم يتمنون لهذه البلاد العزيزة المجيدة كل عزة ومجد ، وكل تقدم ورفق ، وكل فلاح ونجاح ، وبخاصة وقد انتهت اليها رئاسة الامم الاسلاميه بحكم ظروف تصافرت على هذا الوضع الكريم . وان حب المدينه ثم يمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحن الى مكة ، وان يقول لاصيل وقد اخذ يصفها : يا اصيل دع القلوب تفر ، وان يجعل بلالا يهتف من قرارة نفسه :

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة
بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياها مجنه
وعمل يبكدون نى سامة وطفيل ؟

فالاخوان المسلمون يحبون وطنهم ، ويحرصون على وحدته القومية بهذا الاعتبار ، ولا يجدون غضاضة على أى انسان ان يخلص لبلده ، وان يغنى في سبيل قومه ، وان يتمنى لوطنه كل مجد وفخار . هذا من وجهة القومية الخاصة ، ا هـ

وتعليقا على حديث حسن البنا رحمه الله عن الوطنية أو القومية الخاصة أحب ان اذكر انه لولا أن طبيعة دعوة الاخوان المسلمين تقوم على أساس من التربية الروحية الاسلامية ، حيث يطالب العضو فيها بدراسة عقيدة معينة واداء عبادات محددة - مما لا يجوز ان يطالب به غير المسلم - لولا هذا لفتح حسن البنا باب انعضوية في جماعته لغير المسلمين من المصريين .

ولذا فقد كان له - رحمه الله - أصدقاء من مفكرى الاقباط وذوى الثقافات الواسعة منهم ، حتى انه لما كرن في عام ١٩٤٦ لجنة استشارية للشئون السياسية للاخوان المسلمين ضم الى اعضائها بعض كبار السياسة من الاقباط وكان منهم الاستاذ وهيب دوس عضو مجلس الشيوخ آنذاك .

□ انقومية العربية :

واستأنف حسن البنا حديثه فقال :

« ثم ان هذا الاسلام الحنيف نشأ عربيا ، ووصل انى الامم عن طريق العرب ، وجاء كتابه الكريم بلسان عربى مبين ، وتوحدت الامم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين ، وقد جاء في الاثر : « اذا نزل العرب نزل الاسلام » وقد تحقق هذا المعنى حين دال سلطان العرب انسياسى ، وانتقل الامر من ايديهم الى غيرهم من الاعاجم والديلم ومن اليهم . فالعرب هم عصبية الاسلام وحراسه .

واحب هنا ان انبه الى ان الاخوان المسلمين يعتبرون العروبة كما عرفهم النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل رضى الله عنه « ألا ان العربية اللسان . ألا ان العربية اللسان » ومن هنا كانت وحدة العرب أمرا لا بد منه لاعادة مجد الاسلام ، واقامة دولته . وأعزاز سلطانه ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها . وهذا هو موقف الاخوان المسلمين من الوحدة العربية » .

□ الوحدة الاسلامية تمهيدا للوحدة العالمية :

ثم انتقل الى الوحدة الاسلامية فقال :

« بقى علينا أن نحدد موقفنا من الوحدة الاسلامية - والحق ان الاسلام كما هو عقيدة وعبادة هو وطن وجنسية . وانه قد فضى على الفوارق النسبية بين الناس نال الله تبارك وتعالى يقول « انما المؤمنون اخوة » والنبي صلى الله عليه وسلم يقول « المسلم أخو المسلم » و « المسلمون تنكأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم »

فالاسلام والحالة هذه لا يعترف بالحدود الجغرافية ، ولا يعتبر الفوارق الجنسية الدموية ، ويعتبر المسلمين جميعا أمة واحدة ، ويعتبر الوطن الاسلامى وطنا واحدا مهما تباعدت أقطاره ، وتناعت حدوده . وكذلك الاخوان المسلمون يقدسون هذه الوحدة ، ويؤمنون بهذه الجامعة ، ويعملون لجمع كلمة المسلمين ، وأعزاز أخوة الاسلام . ينادون بان وطنهم هو كل شبر ارض فيه مسلم يقول لا اله الا الله محمد رسول الله » .

ثم يختتم - رحمه الله - هذا البيان الرائع المحدد الواضح الصريح بقوله :

« وضح اذن أن الاخوان المسلمين يحترمون غويميتهم الخاصة باعتبارها الاساس الاول للنهوض المنشود . ولا يرون بأسا بأن يعمل كل انسان اوطنه ، وأن يقدمه في الوطن على سواء . ثم هم بعد ذلك يؤيدون الوحدة العربية باعتبارها الحلقة الثانية في هذا النهوض . ثم هم يعملون للجامعة الإسلامية باعتبارها السياج الكامل للوطن الاسلامي العام - ولي أن أقول بعد هذا : أن الاخوان يريدون الخير للعالم كله ، فهم ينادون بالوحدة العالمية ، لان هذا هو مرمى الاسلام وهنقه ومعنى قول الله تبارك وتعالى « وما أرسلناك الا رحمه للعالمين » .

وانا في غنى بعد هذا البيان عن أن أقول انه لا تعارض بين هذه للوحدات بهذا الاعتبار ، وبأن كلا منها تشد أزر الاخرى ، وتحقق الغاية منها . فاذا أراد قوم أن يتخفوا من المفاداة بالقومية الخاصة سلاحا يميمت الشعور بما عداها فالاخوان المسلمون ليسوا منهم . ولعل هذا هو انفارق بيننا وبين كثير من الناس » .



وبعد ما نقلناه الى القارئ من هذا البيان الشامل انراض نقول : لعل قد صار جليا أن حسن البنا لا يرى الوحدة القومية أو انقومية اخاصة في الانتماء - على سبيل المثال - الى الفراعنة ولا الى الفينيقيين ولا الى الاشوريين ، فينتهي المنتسبون الى الفراعنة على المنتسبين الى الفينيقيين . ويتناول المنتسبون الى الاشوريين على المنتسبين الى الفراعنة وهكذا . . .

ولا يرى الوحدة العربية في الانتماء الى يعرب بن قحطان ، ولا في الانتماء الى مكان محدد أو زمان معين ، فيتفاخر سكان اقليم على سكان أقاليم اخرى - او يستطيل الاقدمون عهدا بالعروبة على الاحثين عهدا بها . بل يرى أن اللسان العربي هو مقياس العروبة ، مالتكلمون باللسان العربي حيثما كانوا هم عرب وكلهم سواء .

كما أنه لا يرى أن الوحدة القومية الخاصة والوحدة العربية هما في ذلنهما غايتان ، بل هما وسيلتان وخطوتان في سبيل تحقيق الهدف الاصيل وهو الوحدة الاسلامية ، تلك الوحدة التي يقربنا تحقيقها من تحقيق لوحدة العالمية .

حسن البنا والراسمالية والشيوعية والاشتراكية :

وقد يختلج في صدور بعض القراء سؤال عن موقف حسن البنا فيما

يتصل بالمبادئ السياسية والاقتصادية والاجتماعية انحصاراً ، والتي تتجاذب الشعوب في عصرنا هذا من رأسمالية وشيوعية واشتراكية . فنقول: انه كان رحمه الله يرى في الفكرة الاسلامية غناء عن كل ما في هذه الافكار من مزايا ، مع تنزه الفكرة الاسلامية عما يشوب هذه الافكار والمبادئ من عيوب .

اما أسلوبه في مواجهة هذه المبادئ والافكار فكان أسلوباً يبدو للنظر السطحي كأنه أسلوب سلبي ، اذ هو لا يهاجم هذه المبادئ ، وإنما يفرغ جهده كله في نشر فكرته في أوسع نطاق ، وفي تعميق معانيها وأهدافها ومراميها في نفوس أكبر عدد ممكن من أفراد الشعب . . وهو بذلك يرى أنه قد أوصد الابواب في وجه هذه المبادئ وفي وجه كل فكر دخيل .

وما من شك في أن أسلوبه هذا الهادي الرزين قد أثمر أينع الثمر ، وأتى أكله ، وحقق ما كان يرجو منه ، فلقد أحس أصحاب هذه المبادئ الدخيلة فعلا أن الطريق أمامهم مسدود ، وقد حاقت بهم خسائر جسيمة : الامر الذي حملهم - مع ما بينهم من تناقض كبير - على أن يتحدوا ضد هذا الداعية الصامت الجسور

على أن المبدأ الذي كان متسلطاً على مصر في تلك الحقبة من الزمن من هذه المبادئ الثلاثة كان للرأسمالية ، حيث الاقطاعات الزراعية الشاسعة والمصانع الضخمة ، والاسلام لا يمنع الاقتناء والتأصل ولكنه لا يرضى عن الظلم .

وليس معنى أن أسلوب حسن البناء في مواجهة هذه المبادئ كان أسلوباً هادئاً انه لم يكن هناك احتكاك بين معسكرات هذه المبادئ وبين معسكره ، بل كانت هناك احتكاكات واصطدامات في مواطن تجمعات العمال في مصانع الاسكندرية وشبرا الخيمة وفي بعض الاقطاعات الزراعية الواسعة في الريف المصري . . لكن الاحتكاك في كل هذه المواطن لم يكن من جانب معسكر حسن البناء وإنما كان دائماً من جانب المعسكر الآخر . فالمعسكر الآخر يعتبر مجرد استجابة نفر من العمال العاملين في إحدى وسايه أو في أحد مصانعه الى دعوة الاخوان المسلمين والثقافتهم حول فكرتهم ، يعتبرون ذلك تحدياً لسلطتهم ، وتقويضاً لنفوذهم ، فيسئون على هؤلاء العمال حرباً لا هوادة فيها ، ويستعدون عليهم سلطات الحكومة التي كانت في ذلك الوقت طوع اشارتهم ، خادمة لمصالحهم . . ومن شاء أن يقرأ عن هذه الاصطدامات فليرجع الى صحف تلك الايام وان كان العرف عند هؤلاء القوم في تلك الايام أنهم كانوا يعتبرون المظلوم ظالماً والظالم مظلوماً .

ومن هذا القبيل ما جاء في المذكرة التفسيرية للأمر العسكري رقم ٦٣ لسنة ١٩٤٨ بجل الاخوان المسلمين في البنود « عاشرا وحادي عشر وثاني عشر » فليرجع اليها القارىء ان شاء ثم ليرجع الى ما جاء عنها من تنفيذ في مذكرة الاستاذ الامام في الرد عليها .

ونحب ان نلفت النظر الى ان موقف حسن البنا من هذه المبادئ وقد احتك بها أو بتعبير أدق احتكت هي به احتكاكا شديدا - وإن كانت فترة الاحتكاك على شدته لم تطل اذ عاجلته المنية - لم يكن هدفه من ذلك الاحتكاك مجرد القضاء على هذه الافكار ثم يجلس بعد ذلك يبحث عن بديل - كما فعل غيره - بل ان البديل بكل قواعده وأصوله وتفصيله كان بيده . . ولم يكن هذا البديل ملفتا ولا مستعارا ، كما أنه لم يكن فكرة مخترعة لم يسبق لها ان وضعت موضع التجربة . . وانما كان البديل الذي بيده كاملا شاملا مجريا مضمون النجاح ، فضلا عن ذلك فانه بديل قريب الى النفوس تنبض له القلوب .

ولا شك في ان القوى العالمية صاحبة هذه المبادئ والافكار ، متضافرة مع القوى المصرية حاملة نفس هذه المبادئ والافكار - هي التي دبرت المؤامرة التي راح ضحيتها حسن البنا .

الفصل الثالث

حسن البنا والطائفة الخامسة أو موقفه من السياسة والحكام

نوع السياسة الذي كان سائدا في مصر :

قامت دعوة الاخوان المسلمين منذ قامت ومقاليذ الامور في البلاد في أيدي طبقة من السياسة والحكام يتداولونها بينهم ، فيختلفون حولها تارة ويتفقون أخرى . ولكن لهم سمة عامة تميزهم عن بقية طبقات الشعب أنهم أشبه بالاجانب المستعمرين منهم بأهلهم وشعبهم . فهم لا يعرفون عن تاريخ قومهم مثلما يعرفون عن تاريخ هؤلاء الاجانب من الاوربيين ويجيدون الحديث بلغات هؤلاء الاوربيين في الوقت الذي يجهلون فيه لغة بلادهم . ويعتقدون أنهم خلقوا ليكونوا هم وشعوبهم مسودين ، وأن هؤلاء الاوربيين خلقوا ليكونوا سادة . ولا يشعرون في ذلك بغضاضة .

وقد لقنهم هؤلاء المستعمرون فيما لقنوههم أن الدين معوق للتقدم عدو للحضارة والرقى . . وإذا فالدين - ان كان لابد من تدين - ينحصر في نظريتهم بين جدران المساجد ، والطبقة من الناس الذين انقطعت بهم السبل . ولا يجوز للدين ان يخرج عن هذه الحدود ليتصل بامور الدنيا ، فللدين قوانينها التي سنها هؤلاء السادة الغربيون

وإذا كان الغربيون معزورين في فهم الدين على هذه الصورة لطبيعة دينهم ، ولما عانوه في خلال تاريخهم الطويل من غت الكنيسة وتدخلها . شئوا الناس بخير مبرر ، ومحاولة رجال الدين عندهم أن يحملوا الناس على آرائهم الشخصية بعد أن يلبسوها مسوح القداسة فوقوا بذلك حائلا بين الغرب وبين نور العلم بضعة قرون ، ولم يستطع نور العلم ان ينفذ اليهم الا بعد حروب ضروس شنها على الكنيسة حتى قضوا على نفوذها والزموها حدودها التي حددتها المسيحية لها .

إذا التمسنا للغربيين العذر بعد كل هذه المعاناة ان ينظروا لدينهم هذه النظرة ، فما عذر هؤلاء السياسة المسلمين في انتحالهم هذه النظرة نفسها الى الاسلام وطبيعة الاسلام تختلف عن طبيعة المسيحية ؟ والاسلام هو الدين

المخاتم الذى جاء بعد أن بلغت الانسانية رشدها لينظم للناس حياتهم تنظيما يربط بين الدنيا والاخرة ، وهو دين العلم والحضارة والحياة ، ويشهد بذلك تاريخه على مدى ألف عام ، وكتابه الذى نزل من عند الله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون دستوراً مهيمناً على كل شئون الحياة « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

قام حسن البنا بدعوته والوضوح في أمر السياسة والحكم على ما وصفنا . فسلك بدعوته الطريق الذى واجه فيه طوائف الشعب الرابع بالاسلوب الذى كفل لها السلامة والنجاح والتفوق . مع جمع الشمل وتشر الوعى وإيقاظ الامة . ولم يبق بعد ذلك أمامه من طوائف الشعب إلا الطائفة الخامسة . . الطائفة المترفة - طائفة الساسة والحكام . . فماذا كان له معهم من موقف ؟

لم يخرج في موقفه منهم عن أسلوبه الذى اتبعه مع الطوائف الأخرى . . موقف من يريد تقويم الاعوجاج ، وتصحيح النظرة ، وتطهير النفوس مما علق بها من النفاق والضعف والانانية والتخاذل . . وإذا كان قد توجه بهذا الأسلوب الى طوائف الشعب الرابع الأخرى فإن توجهه به الى طائفة الساسة والحكام ادعى والأزم . . قبيح نفوس هذه الطائفة على فسادها قد يحبط كل ما تم من اصلاح في نفوس بقية الشعب ، إذ أن هذه الطائفة - على قلة عددها - بيدها أن تفرق السفينة بكل ما فيها ومن فيها ، فهي التى تتحكم في توجيهها حيث شئت لأنها هى التى تمسك بدفتها وتقبض على زمامها .

وتوضيحا لما أشرنا اليه من أخلاق هذه الطائفة من الساسة في ذلك الوقت نقتبس سطوراً من مقال كتبه الاستاذ مصطفى صادق الرافعى - رحمه الله - يصف فيه هؤلاء الساسة فيقول :

« كان (م) باشا - رحمه الله - داهية من دهاة السياسة المصرية . يلتوى في يدعا مرة التواء الحبل ، ويستوى في يدعا مرة استواء السيف . ولا يرى أبداً إلا منكشاً متحرزاً كان له عدوا لا يدرى أين هو ولا متى يقتحم عليه . ولكنه كغيره من الرؤساء ، الذين كانوا آلات للكذب بين طالب الحق وغاصب الحق - يعرف أن عدوه كامن في أعماله .

وكان نكياً أريباً ، غير أن ملابسته للسياسة الدائرة على محورها ، جعلت نصف ذكائه من الذكاء ونصفه من المكر ، فكان في مراوغته كان له ثلاثة عقول : أحدها مصرى ، والآخر انجليزى ، والثالث خارج من الحاليين .

وبهذا تقدم وعاش أثيرا عند الرؤساء من الانجليز ، واستمرت مجاريه مطردة لديهم حتى بلغوا به الى الوزارة ، اذ كان حسن الفهم عنهم ، سريع الاستجابة انيهم ، يفهم معنى الفاظهم ، ومعنى الذية التي تكون وراء الفاظهم ، ومعنى آخر يتبرع هو به لالفاظهم ٠٠٠ فكان هو وأمثاله في رأى تلك السياسة القديمة ، رجالا كالأفكار : يوضع أحدهم في مكانه من الحكم كما توضع صيغة الشك لافساد اليقين ، أو صيغة الوهم لتوليد الخيال ، أو صيغة الهوى لايجاد الفتنة .

وكان صديقي (فلان) رحمه الله صاحب سره (سكرتيره) ، وقد وثق به الباشا حتى انه كان يعالنه بما في نفسه ، ويبثه همومه وأحزانه ويرى فيه حنيا حرة يخرج اليها كلما ضاقت به دنيا وظيفته ، ويسنعير منه اليقين أحيانا بأنه لا يزال مصريا لم يتم بعد تحويله في الكرسي ٠٠٠ .

□ نوع السياسة الذى دعا اليه حسن البنا :

أراد حسن البنا أن يدعو الى سياسة تقوم على أساس وطيء من القوة والبصراحة والظهر والشرف والكراة وعلى المبادئ الخلقية الرفيعة - سياسة تقوم على التضحية والبذل من قبل الحاكم ، لا على الاستغلال والتأثُل - سياسة كتلك التى سأل النبى صلى الله عليه وسلم أحد عماله (حكام الاقاليم) عن مال عنده فقال : انه مال اهدى الى . فامر بعزله وقال قوله التى وضع بها قاعدة الحكم الصالح « لو تعد أحدكم في بيت أمه هل كان يهدى اليه ؟ » .

سياسة لا تجامل في الحق ، ولا تتهاون في العدل ، ولا تخشى في الله لومة لائم - سياسة يحكمها دستور منزل من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لا يرضى للمؤمنين به الذل ، ولا يقر أحداً أيا كان على الظلم ، وينعم الجميع في ظله حتى غير المؤمنين به « لا بنهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرعوا وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » .

فغير المسلمين من المواطنين متساوون في الحقوق مع المسلمين بحكم القرآن ، لا على أسس من النفاق السياسى والاهواء والمداهنة ، فاذا رضى حاكم انصفهم واذا غضب عليهم سلبهم حقوقهم - واذا قامت الدولة على قواعد مقررة بصريح القرآن - وهو الدستور المحفوظ والمقروء والمسموع في كل بيت وفي كل يوم - سادها الامن والطمانينة والاستقرار والسلام الاجتماعى المنشود - وليس سلام اجتماعى يقرره القرآن الكريم ، كذلك السلام الاجتماعى الذى يقرره بشر تكتنفه الاهواء من كل جانب .

سياسة لا تقبل أن يعطى المسلم الدنية في دينه ولا في وطنه مهما اقتضاه ذلك من تضحيات براحتة وماله ومصالحة ودمه « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كُنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا»
ولسائل أن يسأل : لما كان حسن البنا يعلم من خطورة بقاء هذه الطائفة على فسادها ما يعلم ، فلم لم يسارع بالتوجه بدعوته اليها من أول يوم ؟

فنقول : انه كان يعلم هذا ونم يتوان عن توجيه الدعوة اليها في كل مرحلة من المراحل ، ولكنه حين كان يفعل ذلك كان يفعله مجرد الاعذار الى الله واقامة الحجة عليهم ، فانه كان يعلم أن قوة صوته مرعونة بقدر القطاع الشعبى الذى يتكلم باسمه ويعبر عن مشاعره - فكان صوته في أول الامر يصل الى هؤلاء السادة في بروجهم الشديدة خافتا ضعيفا لا يكاد يسمع ، ثم أخذ في الارتفاع حتى صار آخر الامر قويا مجلجلا . وكان هذا هو السبب في تساؤل كثير من الناس لم سكت حسن البنا عن التوجه بدعوته الى هذه الطائفة البالغة الاهمية طيلة هذه المدة الكبيرة ؟ فهؤلاء الناس لم يسمعوا صوته موجها الى هؤلاء الا يوم قوى صوته فاسمعهم وأسمع الجميع معهم فظنوا انه قصر في الاتصال بهم حتى اتصل بهم فجأة آخر الامر .

□ من مراحل توجيه الدعوة الى هذه الطائفة :

فمنذ لم تكن دعوته شيئا مذكورا عمل على الاتصال بهذه الطائفة ، منتهزا الفرص العارضة والمناسبات . وناخذ ان شاء الله في عرض صور من هذه الاتصالات مؤيدة بتواريخها . . . وقد يلاحظ القارىء ان كل صورة من هذه الصور مرتبطة بزمانها معبرة عن مرحلتها .

١ - المطالبة ببناء مسجد للبرلمان :

في ١٧-١١-١٩٣٤ أرسل باسم الجماعة خطابا الى رئيس الوزراء ووزير الاشغال يستنكر فيه « انصراف النية عن بناء مسجد البرلمان الذى قد تقرر انشاؤه » . فرد عليه وزير الاشغال بان الوزارة قررت بناء المسجد المذكور ، وأعطت المقابلة الى عبد الحميد محمد عبد الله المقاول بتاريخ ٣٠-١١-١٩٣٤ .

٢ - احتجاج على النحاس باشا لتأييده اتاتورك :

وفي ١٤-٦-١٩٣٦ أرسل الى مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء خطابا يحتج فيه على تصريحه الذى نشر بجريدة « الاهرام » ، والذى

يقرر فيه « اعجابه بلا تحفظ بكمال أتاتورك الذى صاغ بعبقريته تركييا الحديثة » ويقول فى سياق اعجابه : « ولست أعجب فحسب بعبقريته العسكرية بل أعجب أيضا بعبقريته الخالصة وتفهمه لمعنى الدولة الحديثة التى تستطيع وحدها فى الحالة العالمية الحاضرة أن تعيش وأن تنمو » .

وفى سياق خطاب الاحتجاج يقول حسن البنا :

« وبعد .. فقولتكم أكبر زعيم شرقى عرف الجميع فيه سلامة الدين وصديق اليقين . وموقف الحكومة التركية الحديثة من الاسلام واحكامه وتعاليمه وشرائعه معروف فى العالم كله لا لابس فيه ، فالحكومة التركية قلبت نظام الخلافة الى الجمهورية ، وحذفت القانون الاسلامى ، وحكمت بالقانون السويسرى مع قوله تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، وصرحت فى دستورها بأنها حكومة لا دينية ، واجازت بمقتضى هذه التعاليم أن تتزوج المسلمة من غير المسلم ، وأن تترك المرأة مثل الرجل واصططحت فى ذلك بقوله تعالى « للذكر مثل حظ الانثيين » . وهذا قليل من كثير من موقف الحكومة التركية من الاسلام » .

وأما موقفها من الشرق ، فقد صرحت فى وقت من الاوقات بلسان وزير خارجيتها بأنها ليست دولة شرقية ، وقد قطعت صلتها بالشرق حتى فى شكل حروفه وفى أزيائه وعاداته وكل ما يتعلق به .

ثم يقول حسن البنا : لهذا كان وقع تصريح دولتكم للمراسل الخاص لوكالة الاناضول التلغرافية بالقاهرة غريبا على الذين لم يعرفوا دولتكم الا زعيما شرقيا مسلما فخورا بشرقيته متمسكا باسلامه فى امة تعتبر زعيمة الشرق جميعا .

ولقد اخذ الكثير ممن طالعوا هذا التصريح يتساءلون : هل يفهم من هذا ان دولة النحاس باشا وهو الزعيم المسلم الرشيد يوافق على ان يكون لامته - بعد الانتهاء من القضية السياسية - برنامج كالبرنامج الكمالى يتولى كل الاوضاع فيها ، ويفصلها عن الشرق والشرقيين ، ويسقط من يدها لواء الزعامة ؟ - وانا لنعيذ دولة الرئيس من هذا المقصد الذى نعتقد انه أبعد الناس عنه .

لهذا يا صاحب الدولة .. نتوجه اليكم بهذه الكلمة ، وهى كلمة الولاء المحض والنصح الخالص والاشفاق الكبير رجاء ان تتفضلوا بالحقاق هذا التصريح بما بطنن نفوسا قلقة ، ويقر افئدة مضطربة ، ويسد الطريق امام الظنون والاهام ، .

٣ - معارضة المعاهدة ومطالبه الحكام بالرجوع الى الاسلام :

لما وقعت المعاهدة بين مصر وبريطانيا في أغسطس ١٩٣٦ وقف الاخوان منها موقف المعارضة - ولما كانوا في ذلك الوقت لا يزالون نبتة صغيرة ، فقد اكتفوا بمجرد المعارضة ، واتجهوا الى الاصلاح الداخلى باعتباره أساس بناء الامة . فوضع حسن البنا رسالة « نحو النور » وبعث بها الى الملك والى رئيس الوزراء والوزراء والى أعضاء مجلس النواب والشيوخ والى ملوك وأمراء وحكام العالم الاسلامى والى كثير من كبار المسئولين في مصر وفي خارج مصر . . يطالبهم فيها بالعودة الى نظام الاسلام .

ورسالة « نحو النور » هي أولى الرسائل التي خاطب فيها حسن البنا الحكومة ببرنامج كامل للاصلاح في جميع مرافق الحياة . بدأها بهذه العبارة :
يا صاحب ...

ان الله وكل اليكم أمر هذه الامة ، وجعل مصالحها وتثونها وحاضرها ومستقبلها أمانة لديكم ووديعة عندكم . وأنتم مسئولون عن ذلك كله بين يدي الله تبارك وتعالى . ولئن كان الجيل الحاضر عندكم ، فان الجيل الآتى من غرسكم . وما أعظمها أمانة وأكبرها تبعة أن يسأل انرجل عن أمة : « وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » وقديما قال الامام العادل : « لو عثرت بغلة بالعراق لرأيتنى مسئولا عنها بين يدي الله تبارك وتعالى لم لم أسو لها الطريق » ؟ وصور الامام عمر بن الخطاب عظيم التبعة في جملة فقال : « لوحدث أن أخرج منها كفافا لالى ولا على » .

□ من مزايا النظام الاسلامى :

وبعد أن اشار الى أن هذه الفترة من تاريخ الامة هي فترة انتقال وهي من أخطر الفترات في حياة الامم ، بين أن امام الامة أحد طريقين ، اما طريق الاسلام واما طريق الغرب . ثم أخذ في توضيح مزايا الاخذ بنظام الاسلام فقال : « واننا اذا سلطنا بالامة هذا المسلك استطعنا أن نحصل على فوائد كثيرة ، منها أن المنهاج الاسلامى قد جرب من قبل وشهد التاريخ بصلاحيته ، وأخرج للناس أمة من أقوى الامم وأفضلها وأرحمها وأبرها وأبركها على الانسانية جميعا ، وله من قدسيته واستقراره في نفوس الناس ما يسهل على الجميع تناوله وفقهه والاستجابة له والسير عليه متى وجهوا اليه ، فضلا عن الاعتزاز بالقومية والاشادة بالوطنية الخالصة ، إذ أننا نبني حياتنا على قواعدنا وأصولنا ولا نأخذ عن غيرنا . وفي ذلك أفضل معاني الاستقلال الاجتماعى والحيوى بعد الاستقلال السياسى . »

وفي السير على هذا المنهاج تقوية للوحدة العربية اولا ثم للوحدة
الاسلامية ثانيا ، فيمدنا العالم الاسلامي كله بروحه وشعوره وعطفه وتأييده،
ويرى فينا اخوة ينجدهم وينجدونه ويمددهم ويمدونه ، وفي ذلك ربح انجى
كبير لا يزهد فيه عاقل .

وهذا المنهاج تام شامل كفيلا بتقرير أفضل النظم للحياة العامة في الامة
عملية وروحية . وهذه هي الميزة التي يمتاز بها الاسلام ، فهو يضع نظم
الحياة للامم على أساسين مهمين : اخذ الصالح وتجنب الضار .

فاذا سلطنا هذه السبيل استطعنا أن نتجنب المشكلات الحيوية
التي وقعت فيها الدول الاخرى التي تعرف هذا الطريق ولم تسلكه ، بل
استطعنا أن نحل كثيرا من المشكلات المعقدة التي عجزت عن حلها النظم الحالية
وانا لتذكر هنا كلمة برنارد شو : « ما أشد حاجة العالم في عصره الحديث إلى
رجل كمحمد يحل مشكلته القائمة المعقدة بينما يتناول فجانا من القهوة » .

وبعد ذلك كله فاننا اذا سلطنا هذا السبيل كان تأييد الله من ورائنا
يقوينا عند الوهن ، وينقذنا في الشدائد ، ويهون علينا المشاق ، ويهيب بنا
دائما إلى الامام « ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألون قانهم يألون كما
تألون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما » .

□ الدور الآن دورنا :

وبعد أن تحدث عن المدنية الغربية وفشلها في اسعاد أهلها قال : « لقد
كانت قيادة الدنيا في وقت ما شرقية بحثة ، ثم صارت بعد ظهور اليونان
والرومان غربية ، ثم نقلتها النبوات الموسوية والعيسوية والمحمدية إلى
الشرق مرة ثانية ، ثم غفا الشرق غفوته الكبرى ونهض الغرب نهضته الحديثة
فكانت سنة الله التي لا تتخلف وورث الغرب القيادة العالمية .. وما هو ذا
الغرب يظلم ويجور ، ويطغى ويحار ويتخبط ، لم يبق الا أن تمتد يد
« شرقية » قوية يظلها لواء الله ، وتخفق على رأسها رؤية القرآن ، ويمددها
جند الايمان القوى المتين ، فاذا بالدنيا مسلمة هانئة ، واذا بالعالم كلها
هاتفة « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » .

ليس هذا من الخيال في شيء ، بل هو حكم التاريخ الصادق ، اذا لم
ينحقق بنا « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أفئدة على المؤمنين أعداء
على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء » .. بيد أننا نحرص على أن نكون ممن يحوزون هذه الفضيلة
ويكتبون في ديوان هذا الشرف « وربك يخلق ما يشاء ويختر » .

□ الاسلام يهد الامة بكل ما تحتاج اليه :

ثم اخذ في اثبات أن الاسلام كفيلا بامداد الامة الناهضة بما تحتاج

اليه ، فهو يمدّها بالامل ويبعث فيها العزة القومية ويبث فيها روح القوة والجهاد ويحثّها على تصحيح الابدان كما يحفّعها الى التزود بالعلم ويغرس في نفوسها الاخلاق وينظم اقتصادها وينشر الرخاء في ربوعها .

□ الاسلام والامل :

فتحدث عن الاسلام والامل فذكر قول الله تعالى « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض » وقوله تعالى « هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر، ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا يا أولي الابصار » . . أن أضعف الامم اذا سمعت هذا التبشير كله وقرأت ما اليه من قصص تطبيقية واقعية ، لا بد أن تخرج بعد ذلك اقوى الامم ايماناً وأرواحاً ، ولا بد أن ترى في هذا الامل ما يدفعها الى اقتحام المصاعب مهما اشتدت حتى تظفر بما تصبوا اليه من كمال .

□ الاسلام والعزة القومية :

ثم تحدث عن الاسلام والعزة القومية وذكر أن ادعاء الامم المختلفة بأنها أعظم الامم وشعار كل جنس أنه « فوق الجميع » هو تعصب للجنس وفخر كاذب ليس له ما يسنده ، لكن الامة الاسلامية اذا هي حققت الاهداف الاسلامية متسامية في شعورها عن التراب والجنسية فانها تستحق أن تكون بحكم الله خالق الناس « خير أمة أخرجت للناس » .

□ الاسلام والقوة والجنديّة :

ثم تحدث عن الاسلام والقوة والجنديّة فذكر قوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم » وقوله تعالى « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » . . ويوضح شرف غاية الجندي المسلم ونداء غاية الاعداء فيقول « الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفاً » . ثم وضع أن ثمن النصر للمسلمين ليس استعباد الناس بل هو نشر لواء الفضيلة فقال « ولينصروا الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور .

□ الاسلام والصحة :

ثم تحدث عن الاسلام والصحة العامة فذكر الاسس التي وضعتها القرآن لاختيار القواد والزعماء فقال « ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف » وقوله « ان لبدنك عليك حقا - كما أن تعليماته صلى الله عليه وسلم في تناول الطعام والشراب تضمن للمسلم الصحة والعافية . وكذلك حثه على السباحة والفروسية .

□ الاسلام والعلم :

ثم تناول الحديث عن الاسلام والعلم فذكر قول الله تعالى « عل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ثم ان الاسلام قد وزن مداد العلماء بحكم الشهداء . ثم لفت النظر الى أن القرآن لا يفرق بين علم الدنيا وعلم الدين بل أوصى بهما جميعا وجمع علوم الكون في آية واحدة وحث عليها وجعل العلم بها سبيل خشية وطريق معرفته فذلك قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ؟ وفي ذلك اشارة الى الهيئة والفلك وارتباط السماء بالارض . ثم قال « فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها » وفي ذلك الاشارة الى علم النبات وغرائبه وعجائبه وكيميائه : ثم قال : « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » وفي ذلك الاشارة الى علم الجيولوجيا ثم قال « ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك » وفيها الاشارة الى علم البيولوجيا والحيوان بأقسامه من انسان وحشرات وبهائم ، فهل ترى هذه الآية غادرت شيئا من علوم الكون ؟

ثم يردف ذلك كله بقوله تعالى في نهاية الآية : « انما يخشى الله من عباده العلماء » .

□ الاسلام والخلق :

تكلم بعد ذلك عن الاسلام والاخلاق فذكر قول الله تعالى « قد افلح من زكاهما وقد خاب من دساها » وقد جعل القرآن تغيير حال الامم مقوقا على تغيير اخلاقها وصلاح نفوسها فقال « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا : ما بانفسهم » - وليس كالاسلام عاملا على ايقاظ الضمير واحياء الشعور . واقامة رقيب على النفس من النفس وذلك خير الرقباء ، وبغيضه لا ينتظم قانون ما الى اعماق السرائر وخفيات الامور .

□ الاسلام والاقتصاد :

وانتهى بالحديث عن الاسلام والاقتصاد فذكر قوله تعالى « ولا تؤثثوا

السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما ، ويقول في موازنة الاتفاق والدخل « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم المال الصالح للرجل الصالح » ويقول « ما عال من اقتصد » .

وبعد أن انتهى من توضيح مزايا النظام الاسلامى أخذ في تحذير المساسة من الانحراف عن الاسلام واختيار تقليد الغرب . وشرح لهم أن الاسلام يحمى الاقليات ويصون حقوق الاجانب ولا يعكر صفو العلاقات مع الغرب . كما شرح لهم كيف أن أصول النهضة في الشرق غير أصولها في الغرب ، وأوما الى الفرق بين دين الغرب والدين الاسلامى وأن رجال الدين غير الدين نفسه .

وانتهى من ذلك الى حث هؤلاء الحكام والمسؤولين في مصر وفي العالم الاسلامى كله على المبادرة باتخاذ الخطوة الجريئة في اختيار المنهج الاسلامى القويم لحكم البلاد .

وحتى لا تكون الرسالة مجرد مقال انشائي مقد ذئها بخمسين مطلباً عملياً تطبيقياً من مطالب الإصلاح الداخلى : عشرة منها تناولت الفاحية السياسية والقضائية والادارية ، وثلاثون منها تناولت الناحية الاجتماعية والعلمية ، والعشرة الباقية تناولت الناحية الاقتصادية .

وقد ختم حسن البنا الرسالة بهذه العبارة « وبعد .. فهذه رسالة الإخوان المسلمين نتقدم بها ، وانا لنضع أنفسنا ومواهبنا وكل ما نملك تحت تصرف أية هيئة أو حكومة تريد أن تخطو بأمة اسلامية نحو الرقى والتقدم ، نجيب النداء ، ونكون الفداء . وترجو أن نكون قد أدينا بذلك أمانتنا وقلنا كلمتنا ، والدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابهِ ولائمة المسلمين وعامتهم وحسينا الله نعم الوكيل . »

وفي خلال هذه المراحل الثلاث التى أتينا على صور مصغرة لكل منها لم ينفطع عن حث الحكومات المتتالية على مساندة قضية فلسطين مساندة فعالة ، وعلى الوقوف بجانب قضايا الشعوب الاسلامية في العرب العربى والشرق العربى عن طريق الخطب والمحاضرات والخطابات والمنشورات والمقالات التى تملأ صفحات ما كان يصدره الإخوان من مجلات وكتب ونشرات .

ولكن هل كان لهذه التوجيهات من اثر في اتجاه هؤلاء المساسة والحكام ؟

الواقع التاريخى يلزمننا أن نقرر أنه حتى هذه المرحلة من مراحل الدعوة لم يكن لنداءات حسن البنا بمختلف صورها من اثر يذكر في اتجاه الحكومات المتتالية التى كان يتناولها المساسة المصريون .

٤ - المؤتمر الخامس أو من أعلى مذئنة :

ولكن حين قويت شوكة الدعوة ، واشتد ساعدها بعد أن دارت رحى الحرب العالمية الثانية كما بينا من قبل - أخذ صوت حسن البنا يجلجل فأيقظ النائمين وأقضى مضاجع السادة المترفين . . ولأول مرة اخترق صوته آذانهم حين وقف على منصة المؤتمر الخامس بسراى آل لطف الله بالجزيرة في عام ١٣٥٧ هـ الموافق ١٩٣٨ يلقي ببيانته الذى وضع فيه موقف الإخوان المسلمين من جميع الجهات والأفكار والهيئات فى الداخل والخارج . وتعرض فيه للسياسة المصرية فقال :

« والإخوان المسلمون يعتقدون أن الأحزاب المصرية جميعا قد وجدت فى ظروف خاصة ولحوائج أكثرها شخصى لا مصلحى ، وشرح ذلك تعلمونه حضراتكم جميعا . ويعتقدون كذلك أن هذه الأحزاب لم تحدد برامجها ومناهجها إلى الآن ، فكل منها سيدعى أنه يعمل لمصلحة الأمة فى كل نواحى الإصلاح ، ولكن ما تفاصيل هذه الأعمال ، وما وسائل تحقيقها ، وما الذى أعد من هذه الوسائل ، وما العقبات التى ينتظر أن نقف فى سبيل التنفيذ ، وماذا أعد لتخليها ؟ كل ذلك لا جواب عليه عند رؤسا- الأحزاب وإدارات الأحزاب ، فهم قد اتفقوا فى هذا الفراغ كما اتفقوا فى أمر آخر هو التهاك على الحكم ، وتسخير كل دعاية حزبية ، وكل وسيلة شريفة وغير شريفة فى سبيل الوصول إليه .

ويعتقد الإخوان كذلك أن هذه الحزبية قد أفسدت على الناس كل مرافق حياتهم ، وعطلت مصالحهم ، وأتلفت أخلاقهم ، ومزقت روابطهم ، وكان لها فى حياتهم العامة والخاصة أسوأ الأثر . »

ثم قال : « إن الإخوان لا يضمرون لحزب من الأحزاب أيا كان خصومة خاصة به ، ولكنهم يعتقدون من قرارة نفوسهم أن مصر لا يصلحها ولا ينقذها إلا أن تنحل هذه الأحزاب كلها ، وتتألف هيئة وطنية عاملة تقود الأمة إلى الفوز وفق نعاليم القرآن الكريم . »

« وبهذه المناسبة أقول أن الإخوان المسلمين يعتقدون عقم فكرة الائتلاف بين الأحزاب ، ويعتقدون أنها مسكن لا علاج ، وسرعان ما ينقض المؤتلفون بعضهم على بعض فتعود الحرب بينهم جذعة على أشد ما كانت عليه قبيل الائتلاف - والعلاج الحاسم الناجع أن تزول هذه الأحزاب مشكورة فقد أدت مهمتها وانتهت الظروف التى أوجدتها ، ولكل زمان دولة ورجال كما يقولون »

ثم تناول بعد ذلك موقف الاخوان من الدول الاستعمارية فقال :

«الاسلام كما قدمت يعتبر المسلمين أمة واحدة تجمعها العقيدة، ويشترك بعضها بعضا في الآلام والآمال . وأن أى عدوان يقع على واحدة منها أو على فرد من المسلمين فهو واقع عليهم جميعا - أضحكنى وأبكاني حكم فقهي رأيته عرضا في كتاب « الشرح الصغير » على أقرب المسالك ، قال مؤلفه « مسألة امرأة مسلمة سببت بالمشرق وجب على أهل المغرب تخليصها واقتداؤها ولو أتى ذلك على جميع أموال المسلمين » ورأيت مثله قبل ذلك في كتاب « مجمع الانهر في شرح ملتقى الأبحر » نقلا عن كتاب « البحر » في مذعب الاحناف - رأيت هذا غضحك وبكيت - وقلت لنفسى : أين عيون هؤلاء الكتاتيب لتنتظر المسلمين جميعا في أسر غيرهم من أهل الكفر والعدوان ؟ »

« أريد أن أستخلص من هذا أن الوطن الاسلامي واحد لا يتجزأ ، وأن العدوان على جزء من أجزائه عدوان عليه كله ، هذه واحدة . . والثانية أن الاسلام فرض على المسلمين أن يكونوا أئمة في ديارهم . سادة في أوطانهم - بل ليس ذلك فحسب ، بل ان عليهم أن يحملوا غيرهم على الدخول في دعوتهم والاهتداء بأنوار الاسلام التي اهتموا بها من قبل . »

« ومن هنا يعتقد الاخوان المسلمون أن كل دولة اعتدت وتعتدى على أوطان الاسلام دولة ظالمة لابد أن تكف عن عدوانها ولابد من أن يعد المسلمون أنفسهم ويعملوا متساندين متحدين على التخلص من نيرها » .

وبعد أن تناول الدول المستعمرة دولة دولة وما فعلته كل منها بالمسلمين ختم هذا الموضوع بالعبارة الآتية :

« أيها الاخوان المسلمون - هذا كلام يدمى القلوب ويفتت الأكباد ، وحسبى هذه الفواجع في هذا البيان ، فتلك سلسلة لا آخر لها ، وأنتم تعرفون هذا ولكن عليكم أن تبينوه للناس ، وأن تعلموهم أن الاسلام لا يرضى من أيائه بأقل من الحرية والاستقلال فضلا عن السيادة وإعلان الجهاد ، ولو كلفهم ذلك الدم والمال ، فالوت خير من هذه الحياة : حياة العبودية والرق والاستذلال . وأنتم ان فعلتم ذلك وصدقتم الله العريضة سلايد من النصر ان شاء الله « كتب الله لاغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز » . »

هـ - بيان أشبه بانذار في المؤتمر السادس :

وبعد المؤتمر الخامس بسفنتين أى في عام ١٩٤١ عقد حسن البنا المؤتمر السادس . وقد وعدنا الاخوة القراء - في الجزء الاول من هذا الكتاب في سياق الحديث عن مؤتمرات الاخوان - انه اذا يسر لنا الحصول على مرجع للمؤتمر

السادس سنسقل لهم فقرات مما جاء في كلمة الاستاذ الامام فيه ٠٠ وقد يسر لنا ذلك والحمد لله ٠٠ فهاكم هذه الفقرات :

يقول - رحمه الله - في مستهل خطابه :

« وانكروا جيذا أيها الاخوة أن دعوتكم أعف الدعوات ، وأن جماعتكم أشرف الجماعات ، وأن مواردكم من جيوبكم لا من جيوب غيركم : ونفقات دعوتكم من قوت أولادكم ومخصصات بيوتكم ٠ وأن أحدا من الناس ، أو هيئة من الهيئات ، أو حكومة من الحكومات ، أو دولة من الدول ٠٠ لا تستطيع أن تجد لها في ذلك منة عليكم ٠ وما ذلك بكثير على دعة اقل ما يطلب من أهلها النفس والمال » ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، ٠

ويعرض لغاية الاخوان المسلمين فيقول :

« يعمل الاخوان المسلمون لغايتين : غاية قريبة يبدو هدفها وتظهر ثمرتها لاول يوم ينضم فيه الفرد الى الجماعة ٠٠٠ وغاية بعيدة لا بد فيها من ترقب الفرص وانتظار الزمن وحسن الاعداد وسبق الخوئين ٠

فاما الغاية الاولى فهي المساهمة في الخير العام ايا كان لونه ونوعه ، والخدمة الاجتماعية كلما سمحت بها الظروف ٠

اما غاية الاخوان الاساسية ٠٠ اما هدف الاخوان الاسمي ٠٠ اما الاصلاح الذي يريده الاخوان ويهيئون له أنفسهم ٠٠ فهو اصلاح شامل كامل تتعاون عليه قوى الامة جميعا ، وتتجه نحوه الامة جميعا ، ويتناول كل الاوضاع القائمة بالتغيير والتبديل ٠

ان الاخوان المسلمين يهتفون بدعوة ، ويؤمنون بمنهاج ، ويناصرون عقيدة ، ويعملون في سبيل ارشاد الناس الى نظام اجتماعي يتناول شئون الحياة جميعا اسمه (الاسلام) ٠

والاخوان المسلمون يعملون لينايد النظام بالحكام ، ولتحيا من جديد دولة الاسلام ، ولتشمل بالنفاد هذه الاحكام ، ولتفرم في الناس حكومة مسلمة ، تؤيدها امة مسلمة ، تنظم حياتها شريعة مسلمة أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم في كتابه حيث قال « ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون ٠ انهم لن يغفوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين » ٠

ثم أخذ - رحمه الله - في تناول النظام الاجتماعي في مصر وما فيه من فساد مستعرضا بعض نتائج هذا الفساد ٠٠ وهنا بذت نظر السادة القراء

الى ان الامتاز الامام كانه يلقي هذا الخطاب في عام ١٩٤١ فهو يصف ما كان موجودا في ذلك الوقت مما كان يجعله الشعب كل الجيل ولا يعلم عنه شيئا - وهذا الجزء من كلمة الاستاذ - رحمه الله - هو الذي استغرق تحضيره جهدا كبيرا وبحفا مستفيضا ووقتا طويلا اياما ذات عدد اذ يمكن من الحصول على مظان ومراجع لم تكن متداولة بين عامة الناس . وقال رحمه الله :-

بعض نتائج فساد النظام الاجتماعي (الحالي) في مصر (١)

أيها الاخوسان ..

اننا في أخصب بقاع الارض ، وأعقبها ماء . وأعدلها هواء ، وأيسرها رزقا ، وأكثرها خيرا ، وأوسطها دارا ، وأقدمها مدنية وحضارة وعلماء ومعرفة وأحفلها بأثار العمران الروحي والمادى والعلمى والفنى . وفي بلادنا المواد الاولى والخامات الصناعية والخيرات الزراعية وكل ما تحتاج اليه أمة قوية تريد ان تستغنى بنفسها وأن تسوق الخير الى غيرها . وما من أجنبي هبط هذا البلد الامين الا صبح بعد مرض ، واغتنى بعد فاقة ، وعز بعد ذلة ، وأترف بعد البؤس والشقاء .

فماذا أفاد المصريون أنفسهم من ذلك كله ؟ لا شيء .. وهل ينسبر الفقر والجهل والمرض والضعف في بلد متمدن كما ينتشر في مصر الغنية مهد الحضارة والعلوم وزعيمة أقطار الشرق غير مدافعة ؟ !

اليكم أيها الاخوان بعض الارقام التى تنطق بما يهددنا من أخطار اجتماعية ماحقة ساحقة ان لم يتداركنا الله فيها برحمته فسيكون لها أفدح النتائج وأفظع الآثار :

١ - الفلاحون في مصر يبلغون ثمانية ملايين . والارض المنزرعة نحو ستة ملايين من الأفدنة ، وعلى هذا الاعتبار يخص الفرد الواحد نحو ثلثي فسدان .

فاذا لاحظنا الى جانب هذا ان الارض المصرية تفقد خواصها لضعف المصارف وكثرة الاجهاد ، وانها لهذا السبب تأخذ من السماد الصناعي أضعاف غيرها من الارض التى تقل عنها جودة وخصوبة ، وأن عدد السكان يتكاثر تكاثرا سريعا ، وأن التوزيع في هذه الارض يجعل من هذا الحد اربعة ملايين لا يملكون شئاً ، ومليونين لا يزيد ملكهم عن نصف فسدان ، ومعظم الباقي لا يزيد ملكه على خمسة افدنة ... علمنا مبلغ الفقر الذى يعانى به

(١) في عام ١٩٤١ .

الفلاحون المصريون ودرجة انحطاط مستوى المعيشة بينهم درجة ترعب وتخيف ..

ان أربعة ملايين من المصريين لا يحصل أحدهم على ثمانين قرشا في الشهر الا بشق النفس ، فاذا فرضنا ان له زوجة وثلاثة أولاد وهو متوسط مايكون عليه الحال في الريف المصرى بل في الاسر المصرية عامة .. كان متوسط ما خص الفرد في العام جنيهين ، وهو اقل بكثير مما يعيش به الحمار ، فان الحمار يتكلف على صاحبه (١٤٠ قرشا خمس فدان برسيم و ٣٠ قرشا حملا ونصف الحمل من التبن و ١٥٠ قرشا أردب فول و ٢٠ قرشا أربعة قراريط عفش ذرة ومجموعها ٣٤٠ قرشا) وهو ضعف ما يعيش به الفرد من هؤلاء الادميين في مصر . وبذلك يكون أربعة ملايين مصرى يعيشون اقل من عيشة الحيوان .

ثم اذا نظرت الى طبقة الملاك وجدتهم مكبلين بالديون اذلاء للمحاكم والبنوك . ان البنك العقاري وحده يحوز من الرهون قريبا من نصف مليون فدان . ويبلغ دينه على الملاك المصريين ١٧ مليونا من الجنيهات الى اكتوبر سنة ١٩٣٦ . وهذا بنك واحد .

وقد بلغ ثمن ما نزع ملكيته للديون من الارض والمنازل في سنة ١٩٣٩ (٢٥٦٢٤٦٠٠ جنيها) فعلى أى شيء تدل هذه الارقام ؟

٢ - العمال في مصر يبلغون (١٢٧١٨٠٥٠٠) أى نحو من ستة ملايين عامل ، يشكو التعلل منهم (١١٩١٠٥٠٠) أى أكثر من نصف مليون لا يجدون شيئا . وهناك الجيوش من حملة الشهادات العاطلين .

فكيف يشعر انسان هذه حاله بكرامته الانسانية او يعرف معنى العاطفة القومية والوطنية وهو في بلد لا يستطيع ان يجد فيه القوت ؟ ولقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من الفقر ، وقديما قيل : يكاد الفقر ان يكون كفرا .. فضلا عن أن المشتغلين من العمال مهددون باستغلال اصحاب رأس المال وضعف الاجور والارهاق في العمل . ولم تصدر الحكومات بعم التشريع الكافي لحماية هؤلاء البائسين . وقد ضاعفت حالة الحرب القائمة هذا العدد من المتعطلين وزادت العاملين بؤسا على بؤسهم .

٣ - شركات الاحتكار في مصر قد وضعت يدها على مرافق الحياة والمنافع العامة . فالنور والمياه والملح والنقل ونحوها كلها في يد هذه الشركات التي لا ترقب في مصرى الا ولائمة والتي تحقق أقصى الارباح وتضيق حتى باستخدام المصريين في اعمالها .

لقد بلغت أرباح شركة المياه بالقاهرة منذ تأسست في ٢٧ مايو سنة ١٨٦٥ الى سنة ١٩٣٣ عشرين مليوناً من الجنيهات . وقد بلغ التفريط والتهاون بالحكومة المصرية أن باعت حصتها في أرباح الشركة في عهد وزارة رياض باشا (وكان ناظر الاشغال حينذاك محمد زكى باشا) بمبلغ ٢٠ ألفاً من الجنيهات مع أن حصتها في صافي الربح من تاريخ البيع وهو ١٠ يوليو سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٣٤ فقط بمليونين ونصف مليون من الجنيهات .

ان في مصر ٣٢٠ شركة أجنبية تستغل جميع مرافق الحياة . وقد بلغت أرباحها في سنة ١٩٣٨ الماضية (٧٦٣٧٤٨٢ ر) (١) جنيهاً كلها من دم المصريين الذين لا يجد نصفهم انقوت . ولقد ربحت شركة مياه الاسكندرية وحدها سنة ١٩٣٨ (١٢٢٨٥٠ ر) جنيهاً (وشركة مياه القاهرة (٢٨٤٨٩٢ ر) جنيهاً . وهذه الشركات جميعاً تخالف نصوص العقود في كثير من التصرفات ثم لا يكون التصرف معها الا متراحياً ضعيفاً يفوت الانشادة على الحكومة وعلى الجمهور معا .

ولعل من الظريف المبكى أن نقول ان عدد الشركات المصرية الى سنة ١٩٣٨ بلغ احدى عشرة شركة فقط مقابل ٣٢٠ ثلاثمائة وعشرين شركة أجنبية .

٤ - لقد استقبلت العيادات الحكومية سنة ١٩٤٣ (٧٤٢١٣٨٣ ر) مريضاً . منهم مليون باليلهارسيا ، وأكثر من نصف مليون بالانكلستوما ، ومليون ونصف بالرمد . وفي مصر ٩٠ في المائة مريض بالرمد والطفيليات ، وفيها (٥٥٥٧٥ ر) من فاقدى البصر . ويكشف لنا الكشف الطبى في المدارس والمعاهد والجامعة ومنها الكلية الحربية - حقائق عجيبة عن ضعف بنية الطلاب وهم زهرة شباب الامة . وكل ذلك في أمة علمها نبيها أن تسأل الله أن يعافئها في أبدانها وفي سمعها وفي بصرها .

ثم عرض بعد ذلك - رحمه الله - للامية ومدى نذشها وعن انحطاط المستوى الخلقي وانتشار الجرائم التى يعاقب عليها القانون والجرائم التى لا يعاقب عليها القانون مما يخالف تعاليم الاسلام كشرب الخمر والقمار واليانصيب والسباق والعبث وغيرها . ثم قال :

□ الداء والدواء

أيها الاخوان . . هذه لغة الارقام ، وهذا قليل من كثير من مظاهر البؤس والشقاء في مصر . فما سبب ذلك ؟ ومن المسئول عنه ؟ وكيف . . . فتخلص منه ، وما الطريق الى الاصلاح ؟ . . .

(١) ند يقدر القارئ، ضخامة هذا الربح اذا تذكر ان ميزانية الدولة في ذلك الوقت لم تكن تتجاوز اضعاف هذا الرقم .

أما سبب ذلك ففساد النظام الاجتماعي في مصر فسادا لا بد له من علاج فقد غزتنا أوروبا منذ مائة سنة بجيوشها السياسية وجيوشها العسكرية وقوانينها ونظمها ومدارسها ولغتها وعلومها وفنونها ، وإلى جانب ذلك بنخمرها ونسائها ومتعها وترفها وعاداتها وتقاليدها ، ووجدت منا صحورا رغبة وأدوات طيبة تقبل كل ما يعرض عليها . ولقد أعجبنا نحن بذلك كله ، ولم نقف عند حد الانتفاع بما يفيد من علم ومعرفة وفن ونظام وقوة وعزة واستعلاء ، بل كنا عند حسن ظن الفاصبين بنا فاسلمنا لهم قيادنا ، وأهملنا من أجلهم ديننا ، وقدموا لنا الضار من بضاعتهم غافلين عننا ، وحجبوا عنا النافع منها وغفلنا عنه . وزاد الطين بلة أن تفرقنا على الفتات شيئا واحزابا يضرب بعضنا وجوه بعض ، وينال بعضنا من بعض ، لانتبين هدفا ولا نلتجئ على منهاج .

أما المسئول عن ذلك فالحاكم والمحكوم على السواء . الحاكم الذي لانت ثقته للغامزين ، وسلس قياده للخاصيين ، وعنى بنفسه أكثر مما عنى بقومه حتى فشيت في الادارة المصرية أدواء عطلت فائدتها وجرت على الناس بلاءها . فالاثانية والرشوة والمحابة والعجز والتكاسل والتعقيد كلها صفات بارزة في الادارة المصرية - والمحكوم الذي رضى بالذلة وغفل عن الراجب وخدع بالباطل وانقاد وراء الأهواء ، وفقد قوة الايمان وقوة الجماعة فأصبح نهب الناهيين وطعمه الطامعين .

أما كيف نتخلص من ذلك فبالجهاد والكفاح . ولا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة ، فننتخلص من ذلك كله بتحطيم هذا الوضع الفاسد وأن نستبدل به نظاما اجتماعيا خيرا منه ، تقوم عليه وتحرسه حكومة حازمة تهب نفسها لوطنها ، وتعمل جاهدة لانقاذ شعبها . . . ولئن فقدت الامم مصباح الهداية في أحوار الانتقال فان الاسلام الحنيف بين ايدينا مصباح وعاج نهتدى بنوره ونسير على هداه .

ثم تحدث - رحمه الله - عن وسائل الاخوان العامة وذكر انها تتلخص في الاقتناع ونشر الفكرة الاسلامية بكل وسائل النشر حتى يفقهها الراى العام يناصرها عن عقيدة وايمان . ثم الفضال الدستوري ثم قال :

• اما ما سوى ذلك من الوسائل فلن نلجا اليه الا مكرهين . ولنسن نستخدمه الا مضطرين . وسنكون حينئذ صرخاء شرفاء ، لا نحجم عن اعلان موقفنا واضحا لا لبس فيه ولا غموض معه . ونحن على استعداد تام لتحمل

نتائج عملنا أيا كانت ، لا نلقى التبعة على غيرنا . ولا نتمسح بسوانسا ، ونحن نعلم أن ماعند الله خير وأبقى ، وأن الفناء في الحق هو عين البقاء ، وأنه لا دعوة بغير جهاد ، ولا جهاد بغير اضطهاد ، وعندئذ تدنو ساعة النصر ويحين وقت الفوز ، ويتحقق قول الملك الحق المبين « حنى إذا استياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » .

ثم تحدث - رحمه الله - بعد ذلك عن الاخوان والسياسة ووضح نوع السياسة الذي يباشره الاخوان ثم اخذ في توضيح موقف الاخوان من الهيئات والاحزاب والحكومات المصرية ، ونجّزى بفقرات من مما جاء في خطابه عن موقف الاخوان من الحكومات المصرية حيث هو عنوان هذا الفصل وهو القضية التي نحن بصدد معالجتها مما اقتضانا أن نذكر ست مراحل لحظنا فيها مدى نفاية الاخوان المسلمين بتوجيه الدعوة الى الطائفة الخامسة وهم السياسة والحكام . وكان سادس هذه المراحل هو عقد المؤتمر السادس وخطاب المرشد العام فيه . واليك فقرات من الخطاب مما جاء بهذا الصدد :

« فاما موقفنا من الحكومات المصرية على اختلاف أنوانها فهو موقف الناصح الشفيق ، الذي يتمنى لها السداد والتوفيق ، وأن يصلح الله بها هذا الفساد . وإن كانت التجارب الكثيرة كلها تقنعنا بأننا في واد وهي في واد ، وياويح الشجى من الخلى .

لقد رسمنا للحكومات المصرية المتعاقبة كثيرا من مناهج الاصلاح . وتقدمنا لكثير منها بمذكرات ضافية في كثير من الشئون التي تمس صميم الحياة المصرية . .

لقد افقنا نظرها الى وجوب العناية باصلاح الاداة الحكومية نفسها باختيار الرجال وتركيز الاعمال وتبسيط الاجراءات ومراعاة الكفايات والقضاء على الاستثناءات .

والى اصلاح منابع الثقافة العامة باعادة النظر في سياسة التعليم ومراقبة الصحف والكتب والسينما والمسارح والاذاعة ، واستدراك نواحي النقص فيها وتوجيهها الوجهة الصالحة . .

واصلاح القانون باستمداده من شرائع الاسلام ، ومحاربة المنكر ومقاومة الاثم بالحدود وبالعقوبات الزاجرة الرادعة .

وتوجيه الشعب وجهة صالحة بشغله النافع . من الاعمال في اوقات الفراغ . .

فماذا أفاد كل ذلك ؟ ٠٠ لاشيء ٠٠٠ وستظل (لاشيء) هي الجواب لكل المقترحات ما دمنا لا نجد الشجاعة الكافية للخروج من سجن التقليد والثورة على هذا « الروتين العتيق » وما دمنا لم نحدد المنهاج ولم نتخير لاتخاذ الأكفاء من الرجال ٠٠٠٠ ومع هذا فسنظل في موقف الناصحين حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الفاتحين .

ثم نختم مقتطفاتنا من هذا الخطاب القوي الجامع بفقرة عنوانها - رحمه الله بكلمة حق ، وهي كلمة أراد أن يؤكد بها ما بدأ به خطابه وما كان هو أشد الناس حرصا عليه وهو سلامة بناء الدعوة وطهارته وتساميه عن كل ما يشوب الهيئات والدعوات فقال :

□ كلمة حق :

نحب بعد هذا أن نقول كلمة صريحة لأولئك الذين لا زالوا يظنون أن الاخوان يعملون لحساب شخص أو جماعة : اتقوا الله أيها الناس ، ولا تقولوا ما لا تعلمون . واذكروا قول الله تعالى : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً » . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وإن أبغضهم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثمناون بالنميمة » ، المفرقون بين الاحبة ، الملتمسون للبراء العيب ، وليعلموا تماما أن اليوم الذي يكون فيه الاخوان المسلمون مطية لغيرهم أو أداة لمنهاج لا يتصل بمنهاجهم لم يخلق بعد : ٠٠٠ وأذكر أننى كتبت في إحدى المناسبات خطابا لأحد الياشوات جاء في آخره :

« إن الاخوان المسلمون يا رفعة الباشا لا يقادون برغبة ولا برهبة . ولا يخشون أحدا الا الله ، ولا يغريهم جاه ولا منصب ، ولا يطمعون في منفعة ولا مال ، ولا تعلق نفوسهم بعرض من أعراض هذه الحياة الفانية . ولكنهم يبتغون رضوان الله ويرجون ثواب الآخرة ويتمثلون في كل خطواتهم قول الله تبارك وتعالى « ففروا الى الله . انى لكم منه نذير مبين » فهم يفرون من كل الغايات والمطامع الى غاية واحدة ومقصد واحد هو رضوان الله . وهم لهذا لا يشتغلون في منهاج غير منهاجهم ، ولا يصلحون لدعوة غير دعوتهم ، ولا يصطيغون بلون غير الاسلام « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » . فمن حاول أن يخدعهم خدع ، ومن أراد أن يستغلهم خسر ، ومن طمع في تبخيرهم لهواه أخفق . ومن أخلص معهم في غايتهم ووافقهم على متن طريقهم سعد بهم وسعدوا به ، ورأى فيهم الجنود البسلاء والاخوة الاوفياء ، يفدونه بأرواحهم ، ويحيطونه بقلوبهم ، ويرون له بعد ذلك الفضل عليهم . اكتب لكم يا رفعة الباشا لارجاء معونة مادية لجماعة الاخوان المسلمين ،

ولا رغبة في مساعدة نفعية لاحد اعضائها العاملين ، ولكن لادعوكم الى صف هؤلاء الاخوان بعد دراستهم دراسة جدية صحيحة تتفحصكم بمنهاجهم ، وتنتج تعاونكم معهم في اصلاح المجتمع المصرى على أساس متين من الخلق الاسلامى وتعاليم الاسلام « والله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون • ينصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » •

بمثل هذا الاسلوب نخاطب الناس ، ونكتب لرفعة النحاس باشا ومحمد محمود باشا وعلى ماهر باشا وحسين سرى باشا ، وغيرهم ممن نريد أن نعذر الى الله بابلاغهم الدعوة وتوجيههم الى ما نعتقد أن فيه الخير والصواب لهم والناس •

أفيقال بعد هذا ان الاخوان المسلمين يعملون لحساب شخص أو هيئة كبر ذلك أم صغر ؟ قل أم كثر • • • لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين ، ومعاذ الله أن نكون في يوم من الايام لغير دعوة القرآن وتعاليم الاسلام • •

وبعد أن أنهينا مقتطفاتنا من الخطاب نقول . ان بيان حسن البنا في هذا المؤتمر كان شواظا من نار ، حيث تحدث لأول مرة – بتفصيل مثير – عن الاستعمار الاقتصادي في مصر • فكيف بذلك من عورة الاستعمار ما كان مستورا بواجهة مصطنعة من سياسة مصريين •

والمستعمرون قد يسكتون وقد يتغافلون وقد يغفرون • • اذا هاجمهم مهاجم في سياستهم الاستعمارية فيما يمس الحريات • • بل نهم قد يتحملون اذا هاجمهم المهاجم في احتلال جيوشهم أرضا غير أرضهم •

أما الذى لا يتحملة المستعمرون ولا يتغاضون عنه ولا يسكتون عليه ولا يغفرونه فهو أن يهاجموا في استغلالهم الاقتصادى • • انهم حينئذ يحسون أنهم قد طعنوا في سويداء قلوبهم ، ويشعرون أنهم أصبحوا في موقف من يدافعون عن حياتهم • • فيستبشرون جميع الوسائل المتاحة لهم للتعجيل بضرب هذا المهاجم والقضاء عليه قبل أن يقضى عليهم •

ذلك أن جميع أساليب الاستعمار ووسائله من احتلال الارض ، وافساد الخلق ، وبث الفرقة ، وشراء الضمائر ، وحجب العلم ، ونشر الجهل والمرض والاذلال • • كل هذه الأساليب والوسائل ما هي الا مقدمات وممهّدات وخطا للوصول الى الغرض الاصيل من الاستعمار . وهو وضع يد المستعمر على مقدرات البلاد ، والتمكن من استنزاف خيراتها وحرمان أهلها منها •

لقد صبر المستعمر على حسن البنا حين هاجمهم من قبل في اعتدائهم على حريات الشعب واحتلالهم لأرضه ، واغسادهم الختم والاخلق مع اشارة

مجملة الى استغلالهم الاقتصادى ٠٠ واقتصر ردهم عليه على الحد من حريته
ويضع العراقيل في طريقه - أما حين سمعوه في المؤتمر السادس يهاجم
استغلالهم الاقتصادى بتفصيل يفهمه ويتأثر به جميع الناس حتى العوام
منهم - مما كانوا حريصين أشد الحرص على حجبها عن سائر الشعب -
حينئذ قرروا فيما بينهم أن لا مناص من وضع خطة اللقضاء على شخصه -
ولكن الحرب العالمية الثانية كانت تستغرق كل جهودهم مما لا يدع لهم فرصة
التفكير فيما سواها فاجلوا وضع الخطة وتنفيذها حتى تضع الحرب العالمية
أوزارها .

٦ - زيادة الزحف الشعبى ضد الاستعمار :

وماكادت الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها بعد أن حاول دخول مجلس
النواب مرتين - حتى رأوا حسن البنا يتقدم صفوفه المطالبين بحرية مصر
واستقلالها ، ويتزعم حركة مواجهة صريحة لا تعرف هوادة ، ثم راوه يفتحم
على اليهود في مستعمراتهم المفتصة ، ويذيقهم بأذى رجاله ما أذيق أبائهم
من قبل بأذى الرعيل الاول من الصحابة الكرام في حوارى يثرب وازقتها حين
خانوا وفكثوا اليهود .

تلقى العالم الغربى بيانى حسن البنا في المؤتمرين الخامس والسادس
على أنهما إعلان حرب مقدسة عليه وعلى ما هو مستمتع به من نفوذ في العالم
الاسلامى المستكين المهلهل المقطع الاوصال ٠٠ وأثبتت لهم الاحداث بعد ذلك
انه كان جادا في كل كلمة أعلنها .

كما رقت هذه البيانات وما صاحبها وتلاها من خطوات عملية من
الاساسة الحاييين موقع الصاعقة المازلة ، حيث هددت بنسف مطامعهم ومصح
تواطئهم ٠٠ فوافق شن طبقه كما يقول المثل ، وتلاحمت مصالحهم مع مصالح
ساداتهم المستعمرين ، واتحدت ارادتهم جميعا على سحق هذه الدعوة ، ومحو
قائدها من الوجود ٠٠٠ وكانت المؤامرة العالمية التى اتينا في الفصول السابقة
على ملامح منها .

وبعد :

فعودا الى السؤال الذى قد يتلجلج في صدور كثير من الناس واندى
وضعناه في اول هذا الفصل ونصه : لما كان حسن البنا يعلم من خطورة بقاء
هذه الطائفة (الساسة والحكام) على فسادها ما يعلم ، فلم لم يسارع
بالتوجه بدعوته اليها من اول يوم ؟

نقول : بعد أن يستعرض السائل المراحل الست التي أتينا على لمحات
خاطفة مما قام به حسن البنا من جهود في خلالها ٠٠ هل يجد السائل بعد
ذلك في نفسه حرجا من أن حسن البنا قد أولى هذه الطائفة من العناية ما هي
حديرة به ، وهل كان هناك فضل من عناية أو مزيد من جهد حتى يكون قد أعذر
إلى الله في شأنها ؟

إن جهود حسن البنا حيال هذه الطائفة من الساسة والحكام تذكرنا
بقول الله عز وجل في كتابه الكريم : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما » .

الفصل الرابع

آخر ما كتبه حسن البنا بخط يده للنشر

نشرت جريدة « المصرى » في عددها الصادر في اول اكتوبر ١٩٤٩ وبملاء صفحتها الاولى حديثا تحت العنوان التالى :

**الحديث الذى ادلى به الشيخ حسن البنا
بعد حل الجمعية ومقتل النقراشى باشا وقبيل مقتله ببضعة ايام**

وتحت هذا العنوان كتبت : « صادف غياض حرب فلسطين سلسلة من الانفجارات الداخلية والحوادث أدت الى توتر الحالة فى مصر ، وانتهت بان أصدر المغفور له دولة النقراشى باشا أمرا عسكريا بحل جمعية الاخوان المسلمين .

وزاد الامر العسكرى الحالة توترا ، وباتت البلاد ونذر الشر تخيم عليها ، واذا بحادث اليم يقع فيهز أركان الوادى وهو حادث اغتيال دولة النقراشى باشا .

وجاء هذا الحادث ليزيد الامور تعقيدا ، واشيع فى هذه الآونة ان الاستاذ الشيخ حسن البنا مهدد بالاغتيال ، ولذلك رأى « المصرى » ان يستوضح فضيلته رايه فى موقفه وموقف جمعية الاخوان المسلمين بعد حلها وما يتبع الحل من حوادث جسام . فادلى البنا رحمه الله بالحديث الخطير التالى مكتوبا بخطه ، ووقع فضيلته على كل اجابة . وقد امتنعنا عن نشره فى حينه لظروف لعلها لا تغيب عن ذهن كل قارى » .

وجاءت الجريدة فى صدر الصفحة الاولى بنص سؤال منقول بالزنكوغراف واجابة الاستاذ المرشد عليه ، والاجابة مكتوبة فعلا بخط يده وخطه ليس غريبا على ، وبجانب التوقيع ٩-١-١٩٤٩ .

وقد نشرت « المصرى » فى عددها الصادر يوم ٢ من اكتوبر (اليوم التالى) ان الرقابة ارسلت مندوبا بعد ان ارسلت اعداد اول اكتوبر الى المحطات لشحنها الى البلاد - لمصادرة الذى طبع . ومع ان « المصرى » استصدر امرا من النيابة بالغاء امر الرقابة ، فان اكثر الاعداد لم تصل الى البلاد وتسبب ذلك فى خسائر فادحة ، وقد أبرقت « المصرى » الى رئيس الحكومة محتجة .

نص الحديث

● السؤال الاول :

كان لما حدث للاخوان المسلمين أخيراً صدهاء في مختلف الدوائر السياسية التي كانت ترقب باهتمام حركات الجماعة وأثارها في مختلف الشئون الإسلامية والعالمية - لذلك رأينا أن نستوضح فضيلتكم في الاسباب التي دفعت بالمسؤولين في مصر الى اتخاذ تلك الاجراءات ؟

□ الإجابة :

لا يمكن بالتحديد أن أحصر الاسباب التي دعت الذين أصدروا هذا القرار الى إصداره - ولكن يقال ان من هذه الاسباب التحول الذي طرأ أو في النية ان يطرأ على اتجاهات السياسة البريطانية في الشرق - ومن المعلوم أن بريطانيا تعتبر الاخوان المسلمين قوة وطنية متطرفة ، وتعزو الى دعايتهم تعطيل مشروعات الاتفاق بينها وبين مصر .

كما يقال ان من هذه الاسباب العوامل الحزبية التي تصاحب قرب موعد الانتخابات النيابية ، اذ أنه من المعروف أن الحزب السعدى يريد أن يظهر بأغلبية برلمانية تمكنه من الاستمرار في الحكم - ومن المعروف أن الاخوان المسلمين هم قوة شعبية ينتظر منها الصمود في هذا الموقف ، فمن التكتيك الحزبي أن يتسوه موقفهم بمثل هذا العمل قبل حلول موعد الانتخابات الذي سيكون في أكتوبر ١٩٤٩ مالم تطرأ عوامل على الموقف .

ويقال كذلك ان رغبة الحكومات العربية في انهاء قضية فلسطين ولو على غير ما تريد الشعوب كان من العوامل التي أوجت الى الحكومة المصرية بهذا الموقف .

ويقال أيضا انه كان هناك من الضغوط الأجنبية مالم تستقطع معه الحكومة المصرية الا أن تتخذ هذا الاجراء . وعلى كل حال فهو موقف يؤسف له ، وقد أدى الى عكس المقصود منه ، وما لم يعدل في وقت قريب فان الامور الداخلية والخارج لا يمكن أن تستقر على هذا الاساس من الضغط والظلم والتحدى والارهاق .

● السؤال الثاني :

هل نختصرون فضيلتكم أن تقتدى الحكومات الإسلامية الاخرى بمصر في اتخاذ اجراءات مماثلة مع فروع الجماعة ومنظماتها في شعوبها ، أم انما هي اجراءات محلية لا تمتد الى الاخوان المسلمين بصفتها هيئة عالمية ؟

□ الإجابة :

لا أنتظر ذلك ، فإن الاخوان المسلمين يقومون في كل حكومة من هذه الحكومات ولكل شعب من هذه الشعوب بأجل الخدمات . ولولا أن لطبيعة دولة النقراشي باشا رحمه الله وبعض العوامل النفسية والتصورات الخاصة التي استولت عليه أكبر الاثر في هذا العمل لما حدث في مصر نفسها ، ولهذا اعتقد أنها اجراءات محلية بحتة ، وسوف لا تلبث أن تزول بإذن الله .

● السؤال الثالث :

هل ترون أن الاجراءات التي اتخذت كانت من وحي تفكير مصري خالص أو أن هناك يداً أجنبية كان لها في ذلك تأثير ، واذن فلمن تكون هذه اليد ؟

□ الإجابة :

يقال ان هناك ضغوطاً أجنبية دفعت الحكومة المصرية ، وانه كان السفير البريطاني والسفير الفرنسي والقائم بأعمال السفارة الأمريكية اثر في ذلك . وإن كانت الحقيقة أن الاخوان المسلمين لا يضمرون لدولة من الدول ولا لشعب من الشعوب ولا لطائفة من الطوائف عدا الصهيونيين المحاربين إلا الخير .

● السؤال الرابع :

ما هو مصير قوات الاخوان المسلمين المجاهدة في فلسطين فيما لو قررت الحكومات العربية الانسحاب منها ، ومهادنة اليهود أو مصالحتهم . وهل تحارب هذه القوات تحت اشراف قوة من قوى الدول العربية أم تعمل مستقلة؟

□ الإجابة :

لا تزال القوات تجاهد في مراكزها ببسالة وشجاعة وإيمان . وهي تحارب الآن تحت اشراف الجامعة العربية ، ولا يمكن الآن تحديد موقفها في المستقبل ، وإن كانت القاعدة العامة أن الاخوان المسلمين جميعاً قد عاهدوا الله على أن يظلوا مجاهدين في سبيله حتى تتحرر فلسطين من عصابات الصهيونية المعتدية وتعود الى أهلها العرب .

● السؤال الخامس :

يشيع خصومكم في الاوساط السياسية أن الاخوان المسلمين علاقة بالشيوعيين ، ويستدلون على ذلك بالتشابه الموجود بين بعض التشكيلات والاتجاهات في كلتا الهيئتين . فما هو نصيب ذلك من الصحة ؟ وفيما يزعم البعض من أن دولة أجنبية تساعد الاخوان مادياً ؟

□ الإجابة :

لقد قيل مثل هذا كثيرا ، واتهم الاخوان بأنهم على صلة بالنازية من قبل ، وأن أسبابهم منظم على نسق شباب هتلر ، وأن بعض تشكيلاتهم تشبه هذه التشكيلات الخ . . . ولكنى أؤكد كل التأكيد أن الاخوان لم يتصلوا بأحد ، ولم تساعد أي دولة أجنبية بشيء مادي أو أدبي ، وأنهم يسيرون على نمط إسلامي عربي مبين ، ويعتمدون على إيمانهم ومواردهم الخاصة . وهذا هو في الحقيقة سر نجاحهم وثبات دعوتهم وجماعتهم للعواصف والأعاصير .

● السؤال السادس :

بعد الحوادث الأخيرة هل جرت اتصالات من جانبكم أو من جانب خصومكم اتسوية الموقف . وهل أنتم مستعدون للاستجابة لشيء من ذلك ؟ وما هي الأسس التي ترونها لازمة لتسوية الموقف ؟

□ الإجابة :

نعم جرت اتصالات بيننا وبين الحكومة المصرية - ولا أقول خصومنا - فاننا لم نفكر في يوم من الأيام بعقلية تستسيغ إشعال العداوة بين الوطنيين . وكل الذي نطلبه هو رفع هذه المظالم عن الاخوان ، والسماح لهم بمزاولة نشاطهم المشروع بالأسلوب الذي يستفيد منه الوطن ويخدم الإسلام . وأظن أن الاستعداد من جانب الحكومة المصرية لا بأس به ، إذ أن في هذا الطريق وحده استقرار الأمور ، وبعث الطمأنينة في نفوس الأجانب والوطنيين على السواء .

وأجب أن أنتهز الفرصة فأوجه لنزلاء مصر من الأجانب المدنيين والسياسيين منهم هذه الكلمة :

« انهم يخطئون أشد الخطأ حين يعتقدون أن الاخوان خصوم لهم أو يتعصبون عليهم أو يريدون بهم شرا أو سوءا . وكل هذه دعايات سخيفة باطلة لان دعوة الاسلام تتنافى مع التعصب والاعتداء - ودعوة الاخوان هي دعوة الاسلام . . وكل ما هنا لك أن نشوب الحرب بين مصر وبين الصهيونيين - وموقف الكثير من اليهود المصريين أو الأجانب المقيمين في مصر من هذه الحرب وما تميز به من برود وشماتة ووقوف عن المساعدة - تنأى عن حالة من التوتر بين الاخوان المتحمسين للجهاد وبين هؤلاء اليهود الذين يصرون على مساعدة الصهيونية ويطفنون مصر في ظهرها وهي تحارب .

أما من عداهم من الأجانب أو الوطنيين غير المسلمين - مهما كانت عقيدتهم - فلم يفكر احد في أن يمد اليهم يده أو لسانه بسوء . . وعلى هذا فمن الخير لهؤلاء الأجانب أنفسهم أن يكونوا عوامل وفاق لا عوامل خصومة وخلاف بين الحكومة والاخوان . وفي هذا الخير للجميع .

● السؤال السابع :

ماذا تنوون عمله في المستقبل ؟ وهل تعتقدون أنه من الممكن أن يرجع الاخوان الى صيغتهم الشرعية ونشاطهم العلني السابق ؟

□ الإجابة :

من الممكن جدا والميسور جدا كذلك ان يعود الاخوان الى صيغتهم الشرعية ونشاطهم العلني باذن الله ، وسيكونون حينئذ من أقوى العوامل في تربية الشعب المصري تربية فاضلة ناضجة تقوم على أساس الايمان الصافي وتقدير الواجب ومعرفة الحقوق والتمسك بالفضيلة والمثل الانسانية العليا المستمدة من الاسلام الحنيف ، وهو خلاصة ما جاء به الانبياء والمرسلون والكتب من سرائع وتعاليم .

● السؤال الثامن :

ماذا تنتظرون من آثار في قضية فلسطين لما انكشف للحلفاء الغربيين أخيرا وكان له تأثير على الرأي العام في الشعوب الديمقراطية من مساعدة الروسيين ومن يدور في فلكهم لليهود بالمال والسلاح ؟

□ الإجابة :

ننتظر أن تعدل حكومات الغرب عن خطتها في معاونة الصهيونيين . ولو أن هذا التنبيه جاء بعد فوات الفرصة . وهذا اذا كان المنطق والمصلحة الحقيقية - لا الدعايات الصهيونية واغراءات اليهودية العالمية المختلفة - مما اللذان يؤثران في هذه الحكومات .

● السؤال التاسع :

حدثت تغييرات في الحكومات العربية أخيرا في وقت كان المنتظر فيه استقرار الحكم في البلاد العربية . فما رأيكم في ذلك ؟ وعلام يدل ؟

□ الإجابة :

أظن أن ذلك من الامور الطبيعية في مثل هذه الظروف ، فان تطورات قضية فلسطين ومفاجأتها وشدة حساسية الشعوب بكل ما يطرا من هذه التطورات ، مع مفاجآت السياسة البريطانية الدائبة - كل ذلك يجعل مثل هذه التغييرات امورا عادية . وهو لا يدل على شئ ، فيما نعتقد الا على أن سياسة الحكومات العربية ما زالت الى حد بعيد مرتجلة ، وخاضعة للتأثير البريطاني ، بعيدة عن مطالب الشعوب ومشاعرهم الحقيقية . . . وهو ما يؤسف له . . ولا بد من النظر في علاجه بوضع سياسات ثابتة مستقرة تستمد من روح الشعب وحسن توجيهه والاعتماد عليه . .

الفصل الخامس

حسن البنا وكبار الدعاة في العالم الإسلامي في العصر الحديث

لا ينبغي في القاء نظرتنا الأخيرة على حسن البنا أن نغفل أمرا ذا بال .
هو أن نقيم أسلوبه في الدعوة مقيما بأساليب كبار الدعاة الذين قاموا بأعباء
اندعوات في أنحاء العالم الإسلامي في خلال هذا القرن الذي نعيشه . . . وقد
يكون أبرز هؤلاء الدعاة هم :

أولا - السيد جمال الدين الأفغانى :

وهو رائد الدعاة في هذا القرن ، وأحد أفاض العلماء وأئمة الدعاة - نشأ
في القطاع غير العربى من العالم الإسلامى ، وحمل لواء الفكرة الإسلامية الى
كثير من الاقطار الإسلامية وغير الإسلامية - وحضر الى مصر وأقام بها مدة
. . . وتعلم على يديه ، وتلقى عنه فكرته رجيل من كبار المفكرين وعلية القوم ،
منهم الشيخ محمد عبده وسعد زغلول والامير محمد توفيق الذى صار بعد ذلك
خديوى مصر وتذكر لاستاذة وناصبه العداء وأخرجه من مصر .

وانتقل السيد جمال الدين أخيرا الى الاستانة حيث يقال انه قد دس
له السم في طعامه بتدبير من الطبقة الحاكمة فذهب الى ربه يشكو ظلم الظالمين
. . . وكان - رحمه الله - آية من آيات الله حاد الفكاه ، قوى الحجة ، سريخ
الخاطر ، عميق الايمان بفكرته - وقد اصدر مجلة « العروة الوثقى » التى
جعل تلميذه محمد عبده رئيسا لتحريرها .

ثانيا - الشيخ محمد عبده :

واذا ذكر الشيخ محمد عبده لزم ذكر الثورة العربية ، فلقد كان أحد
أركانها ، وقد نفى مع من نفى من قادتها الى خارج مصر - واشترك محمد
عبده في ثورة عرابى يدل على أن الفكرة التى تلقاها تلامذة السيد جمال الدين
منه عن شمول الفكرة الإسلامية لكل شئون الحياة هى التى جعلت هؤلاء
والتلاميذ يرون أن الشئون العسكرية جزء من هذه الفكرة .

ولا شك في أن الثورة العربية فى ذاتها لم تكن الا ثمرة من ثمرات
التعاليم الإسلامية التى بثها السيد جمال الدين فى أذهان الصفوة من القادة
انفذين كانوا يلوذون به ويستمعون الى أحاديثه .

وهذه الثورة بعد أن فشلت - لأسباب ليس منا موصح ذكرها - قد تناولها الكتاب والمؤرخون تناولاً مشبوهاً ، إذ أخذوا ما أخفوه عنها من أنواء الأعداء المغرضين ، الذين كان مهمهم الأول أن يفصلوا هذه الثورة عن الفكرة الإسلامية التي أوحى بها ٠٠ مع أن قائد هذه الثورة - أحمد عرابي - قد وضع كتاباً سجل فيه أطوار حياته منذ ولد ٠٠ وقارىء هذا الكتاب حين يقرأه يشعر بأن الفكرة الإسلامية كانت قوام حياة هذا الرجل ، وبأن كل ما تمخضت عنه حياته من أعمال لم تكن إلا من وحى هذه الفكرة . وحسب القارىء أن يعلم أن الكلمة التي أثرت عن أحمد عرابي والتي أجمل فيها كل ما يضطرم في نفسه من مشاعر دنته الى هذه الثورة هي قوله مخاطباً الحكام في شخص الخديوى « كيف استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » وهي نفس الكلمة التي قالها عمر بن الخطاب لعمر بن العاص أمير مصر حين ضرب ابنه ابن المصرى بغير جريرة .

ونرجع الى السباق فنقول : ان محمد عبده - بعد أن عاد من منفاه - عاد بفكرة جديدة ، متأثرة بما لقيه في منفاه من اذلال واعنات ، تلك أنه صار يرى أن السبيل الاقوم لتحقيق الفكرة الإسلامية هو تعليم الشعب وتربيته دون اقتحام ميادين أخرى ٠٠ وأخذ في العمل لهذه الفكرة حيث أنشأ هو وتلميذه السيد محمد رشيد رضا مجلة « المنار » التي أدت دوراً لا ينكر في توضيح الفكرة الإسلامية ، وتثقيف طبقة من الشعب ثقافة إسلامية مستنيرة .

كما حاول اصلاح الازهر بإخراجه عن جموده في بعض مناهجه الدراسية التي كادت تقطع الدارسين فيه عن المناهج الاصلية من القرآن والسنة والوقوف بهم عن آراء المتأخرين ومؤلفاتهم ٠٠ وقد آتت هذه المحاولة بعض الثمار .

ثالثاً - مصطفى كامل :

أنشأ مصطفى كامل « الحزب الوطنى » الذى - مهما اختلفت الصور التى فى أذهان الناس عن فكرته - فان فكرته الاصلية التى قام على أساسها ، وظل مصطفى كامل - ما عاش - ملتزماً بها ، لا يحيد عنها - هي الفكرة الإسلامية ٠٠ وقد أشرت الى ذلك ببعض التوضيح فى موضع سابق من هذا الكتاب .

وبدا مصطفى كامل فى تنفيذ فكرته بجمع أكبر عدد من كبار الوطنيين فى القاهرة : حيث كون منهم ادارة الحزب . واعتمد على خطب قوية رنانة واجه فيها الاستعمار مواجهة صريحة لا هوادة فيها ، وعلى مقالات ناريسه تعتبر صدى لهذه المواجهة فى جريدة اللواء التى أنشأها - كما أنه اعتمد أيضاً

على جولات له في فرنسا وبعض البلاد الأوروبية التي خلالها خطبها مثيرة عن فضائح الاستعمار البريطاني أملا في كسب رأى عام للقضية المصرية ضد إنجلترا .

ولم تتح له - رحمه الله - فرصة أن يولى مختلف أقاليم البلاد نفس العناية التي أولاهها العاصمة . . ومع ذلك فقد كان لخطبه ومقالاته وجريدته تأثير كبير في الرأى العام في الأقاليم . ولكن هؤلاء المستجيبين والمعجبين لم يجدوا من ينظم صفوفهم ، ويثقف عقولهم ، ويتعهد نفوسهم ، وينشئ منهم أمة متراصة واعية ذات عقيدة راسخة . . فلما مات مصطفى كامل أو بالآخرى لما اغتاله الاستعمار في عنفوان شبابه ، لم يجد أتباعه ومحبيه ما يعتصمون به من فكرة بلغت من نفوسهم مبلغ العقيدة . . فتفرقوا وتوزعتهم الانكسار الأخرى والمبادئ البراقة المزيفة .

رابعاً - سعد زغلول :

وهو ممن تلقوا عن السيد جمال الدين أيضا ، غير أنه اتخذ لنفسه أسلوبا بعيد به عن فكرة استاذة ، حيث اكتفى بالناحية السياسية المجردة متفصلا عن الدين - مع أن سعدا كان أزهريا - ففقدت هذه الناحية بذلك روحها ومسخت . . فبعد أن كانت السياسة نضالا ومواجهة وتضحية صارت استجداء وقناعة بفتات موائد العدو - وقد سبق أن جلينا وصف هذا الانحراف في فصول سابقة .

خامساً - الدعوة الوهابية :

وقد تلام باعابها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد بالجزيرة العربية . وقد رأى أن الناس في العالم الاسلامي قد انتشرت بينهم البدع والخرافات حتى كادت تحجب حقيقة العقيدة الاسلامية وتذهب بوضاعتها ، وكادت تنحرف بهم الى الشرك . . فدعا الى الرجوع للكتاب والسنة والى تطهير العقيدة الاسلامية مما علق بها من خرافات . فاستجاب له خلق كثيرون من أهل نجد . وكان ممن استجابوا له أمير نجد في ذلك الوقت وكان من آل سعود ، الذين آل اليهم بعد ذلك ملك الجزيرة العربية . . فاكتمست دعوته بذلك قوة اد صارت لها دولة تقوم على أساس من فكرتها .

ومع أن فكرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فكرة سليمة ، فإن ما نهجه قلة من غير الناضجين من دعائها من وسائل تجنح الى التغالى في بعض الأحيان والى التطرف ، وعدم سلوك أساليب تقوم على التفاهم والود . . قد نفر الكثيرين منها في أول الامر حتى رمى بعضهم بعضا بالكفر ومما يؤسف له أن القلة المتطرفة تجنى دائما على الدعوة المنتسبة اليها وتشوه سمعتها

وتكون حائلا بين الناس وبين معرفة حقيقة الدعوة ٠٠٠ ولكن بمرور الايام تضاعلت هذه القلة غير الناضجة حتى لم يعد لها وجود الآن بين الدعوة .

سادسا - الدعوة في المغرب العربي :

في الوقت الذي كان المشرق العربي تتنازعه تعاليم الافغانى من ناحية ، واغراء الحضارة المادية الاوروبية من ناحية أخرى ، تحت وطأة الاحتلال البريطاني في مصر والسودان والعراق ، والاحتلال الفرنسي في بلاد الشام - كان المغرب العربي يبرز تحت وطأة أقدام ثقيل من احتلال فرنسي وإيطالي غاشم مصر على القضاء على الإسلام عن طريق قطع انصلات بين هذه الشعوب المسلمة وبين القرآن والتراث الاسلامي ، بانساء هذه الشعوب اللغة العربية واحلال اللغتين الفرنسية في الجزائر وتونس ومراكش والايطالية في ليبيا ٠٠٠ فقام مصلحون لمقاومة هذا التيار المخرب وكان على رأسهم :

١ - في الجزائر : عبد الحميد بن باديس :

كانت وسيلته انشاء المدارس لتعليم الشعب اللغة العربية والقرآن - وقد لقي هو وأعضاء الجمعية التي يرأسها - في سبيل النهوض بهذا المشروع - عنتا وظلما ومطاردة من السلطة الفرنسية ٠٠ ولكنهم بثباتهم ومواصلة الجهود والتضحيات استطاعوا أن يحفظوا لهذا الشعب المغربي هويته وعرويته وشخصيته المسلمة .

وقد يجهل أكثر القراء اسم عبد الحميد بن باديس ولا يعرفون الا أسماء أحمد بن بيلا وبومدين واخوانهم ٠٠ وهؤلاء ممن لا يجحد فضلهم في تحرير الجزائر ٠٠ لكن هؤلاء جميعا قد نشأوا في مدارس عبد الحميد بن باديس ، واشربوا الروح الاسلامية فيها . ولولا تنشئتهم في هذه المدارس لما أحسوا بالانتماء الى الاسلام والعروبة ٠٠ هذا الانتماء الذي كان المحرك الاول للثورة ٠٠ ولولا هذه التنشئة لفقدوا هم وجياهم الشخصية المستقلة عن فرنسا ، وإن كان بن بيلا وبومدين قد حادا بعد ذلك عن الطريق الصحيح واتجها نحو دخيلة سموها الاشتراكية .

٢ - في ليبيا - الدعوة السنوسية :

قامت في ليبيا الدعوة السنوسية ، وهي في مظهرها طريقة صوفية تأخذ المنتسب اليها بأسلوب يجمع بين التربية الروحية والنربية العسكرية . وتقوم بأشاء « زوايا » وهي مساجد صغيرة في الاماكن النائية وخارج المدن . وفي هذه الزوايا يتلقى الريدون عن شيوخهم البرامج المعدة لتربيتهم التربية التي اشرنا اليها .

وقد انتشرت هذه الزوايا في أنحاء ليبيا انتشارا أفض مضاجع المستعمرين الإيطاليين الذين كانوا يستظلون في احتلالهم هذه البلاد بظل وارف من الرعاية البريطانية المجاورة لهم في مصر ، ففهم الاستعماران الإيطالي والبريطاني بشن حرب غادرة على هؤلاء المجاهدين حتى قضوا عليهم ، بعد أن استباحوا الحرمات ، وارتكبوا أفظع الجرائم الوحشية .. وقد أبلى المجاهدون في خلال هذه الحرب غير المتكافئة أعظم بلاء ، وسجل التاريخ لهم بطولات خارقة .

وكان أشهر رجال الاسرة السنوسية التي انشأت الدعوة وخرجت هؤلاء الابطال السيد أحمد الشريف السنوسي الذي كان الاستعمار انبريطاني يعتبره في ذلك الوقت الد أعدائه .

□ موقف حسن البنا من هؤلاء الدعاة :

ليست القيادات التي أتينا على ذكرها في هذه العجالة هي كل القيادات التي حملت اللواء في العالم الاسلامي خلال هذا القرن ، بل هناك قيادات أخرى لها وزنها تامت بحركات عظيمة في المغرب وايران والهند والقارة الافريقية . ولكننا اجتازنا بمن ذكرنا من قيادات باعتبار أن الاماكن التي قامت فيها هذه القيادات هي منابر ترنو اليها أنظار العالم الاسلامي كله ، ولها صدى في أذان المسلمين في كل مكان .

والآن ، وعلى ضوء ما ألحنا اليه من هذه الدعوات والافكار والاساليب ، نستطيع أن نتيين أين هي دعوة حسن البنا بين هذه الدعوات ، وما وضع شخصيته بين هذه الشخصيات ... انه عاصر بعضها في صخره ، وقرأ عن البعض الآخر ، ودرس هذه وتلك دراسة عميقة واعية ، بعقلية الداعية المؤهل الموهوب ، زعرف مواطن القوة في كل منها ، والم بمواطن الضعف .. وأخذ بعد ذلك في تحديد خطته ، مستلهما توجيه القرآن ، وخطوات النبي صلى الله عليه وسلم ، غير متجاهل الاوضاع العالمية وواقع الشعب الذي يعيش فيه .. فجنب في خطته التي رسمها مواطن الضعف في تلك الدعوات وأخذ بنواحي القوة فيها ... وقد نستطيع تصوير هذه الخطة في النقاط التالية :

الاولى - وجد أن اقتصار السيد جمال الدين - في توجيه دعوته - على القادة وكبار القوم ، دون توجيهها الى جماهير الشعوب ، ند جعل نجاح الدعوة أو فشلها متوقفا على مزاج هؤلاء القادة والكبراء ، الذين يعيشون - عادة - في حماة الفتنة : أمام تلويح المستعمر لهم باغراء المناصب والمال وبعض الانذار والارهاب . وقلما يستطيع الفرد منهم - في بلد مستعمر - أن يتحرر من هذا الشعور المسلط عليه بين اونة وأخرى .. وقد وضع ذلك في انقلاب الأمير محمد نوفيق على السيد جمال الدين بعد أن خلع الانجليز والده اسماعيل

عن العرش ونصبوه بعده - كما وضع في انحراف سعد زغلول عن خطة استاذة حين بهرته أبهة الزعامة فهادن العدو وميع قضية الاستقلال .

وتوجيه الدعوة الى القادة والكبراء ليس مما يعاب على السيد جمال الدين ، فكل صاحب دعوة يتمنى أن يختصر الطريق ، ويتصور أنه إذا أقنع عليّة القوم فقد أقنع من وراءهم . حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم تمنى ذلك وحاوله حتى عاتبه القرآن في اهتمامه بالكبراء وتقديهم على الضعفاء من غمار الناس بقوله تعالى « عبس وتولى أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتفتنعه الذكرى . أما من استغنى فأنت له تصدى . وما عليك أن لا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى . كلا إنها تذكرة . فمن شاء ذكره » .

فخالق الناس يعلم أن الاعتماد على الكبراء - مع ما يتنازعهم من أهواء وآمال وفتن - لا يحقق ما يتمناه الدعاة الى الخير من اختصار الطريق في نشر دعوتهم بل قد يؤدي الى عكس ما يتمنون .

لهذا ركز حسن البناء جهوده على الاتصال بال جماهير ، فوجه الدعوة اليهم وخالطهم وتفاعم معهم وأقنعهم وامتزج بهم وكون منهم قاعدة عريضة لدعوته وإذا كانت سيطرة المستعمر وعملائه على الكبراء وذوى المناصب سهلة الخال ، فإن مؤلاء المستعمرين قد يعجزون عن بسط سيطرتهم على هذه القطاعات العريضة من الجماهير في مختلف البلاد ومختلف الطبقات .

الثنائية - لم يقتصر في اتصاله بال جماهير على أسلوب الخطابة الذي - مهما كان بليغا - فان اثره لا يعدو أن يكون سطحيا ومؤقتا ، بل قد أولى الجانب الاكبر من اهتمامه أسلوب الاتصال الشخصي بأولئك الذين تأثروا بخطابته ، فجلس معهم ، وتناقش وإياهم ، وتوسع في الحديث معهم ، وآخى بينهم ، وربطهم بمكان يجتمعون فيه ومواعيد يلتقون فيها - فعالج بذلك النقص الذي فكك أوصال الحزب الوطني بعد وفاة مؤسسه مصطفى كامل . . . ولا ننسى أن نذكر أن برنامج مصطفى كامل رحمه الله وإن كان هدفه اسلاميا فانه لم يكن للتربية الروحية فيه الموضع الذي يتناسب مع أهميتها .

الثالثة - لم ير حسن البناء في أسلوب التعليم والتثقيف الوسيلة الوحيدة للنهوض بأعباء الدعوة الاسلامية ، بل اعتمده ضمن مجموعة من الاساليب التي لا غنى عنها . فقد رأى في الاقتصاد على هذه الناحية حوز المشاركة في جميع مسؤوليات الامة ومشاكلها في مختلف الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية جنوحا بالثقافة والعلم الى الفلسفة والعقم ، وحرمانا للامة من جهود أبنائها في مطالبتها الملحة - بخالف في ذلك الشيخ محمد عبده بعد رجوعه من المنفى .

ويجدر بنا هنا أن نلفت نظر القارئ الى أن حسن البناء حين اختلف مع محمد عبده في اقتصاره على أسلوبه التعليمي لم يكن متناقضا مع نفسه حين أيد عبد الحميد بن باديس في أسلوبه التعليمي ، ذلك أن الظروف في الجزائر كانت مختلفة عن الظروف في مصر . فلقد كان الاستعمار الفرنسي يحاول فرنسية الشعب الجزائري وجعله جزءا من الشعب الفرنسي وأن تكون الجزائر امتدادا أرضيا لفرنسا . ورأى هذا الاستعمار أن السبيل الوحيد لتحقيق هذا الهدف لا يمكن الا بالقضاء على اللغة العربية وإحلال اللغة الفرنسية محلها باعتبار اللغة العربية هي لغة القرآن فإذا قضى عليها انقطعت الصلة بين الشعب الجزائري وبين القرآن وهنا تسهل الفرنسية .

وأمام هذا الأسلوب وهذا الهدف كانت الوسيلة الوحيدة لمراقبة الأسلوب الفرنسي وإحباطه هي العمل على نشر اللغة العربية ، وتعليمها للشعب بإنشاء المدارس لهذا الغرض . وهو ما فعله عبد الحميد بن باديس وواجه في سبيله الأهوال ، ولكنه نجح فيه واستطاع أن يحفظ بذلك للشعب الجزائري عرويته وإسلامه .

ولهذا فإن حسن البناء كان يؤيد هذه الخطة في الجزائر وكثيرا ما يعث بالرسائل والبرقيات لشهد أزر السيد عبد الحميد كما كان يكتب المقالات الضافية في مجلة الإخوان لهذا الغرض ويعلن الاحتجاجات على السلطات الفرنسية لمصادرتها لمدارس السيد عبد الحميد واضطهاد رجاله العاملين معه . وفي ذلك الوقت لم يكن أحد من المصريين شعبا وحكاما يحس بما يجري في الجزائر ولا يعير ذلك أدنى اهتمام .

وغنى عن الذكر أن نقول أن الأسلوب البريطاني في استعمار مصر كان مغايرا للأسلوب الفرنسي في الجزائر إذ كان الأسلوب البريطاني يولي جل اهتمامه الى تغيير النفس المصرية من داخلها بطرق مغرية هادئة تتسرب اليها دون أن تحس ودون أن تشعر هي ولا غيرها بقسر أو ارغام . وهذا الأسلوب أخطر في آثاره من الأسلوب الفرنسي ومقاومته أصعب بكثير من مقاومة الأسلوب الفرنسي .

الرابعة - تجنب حسن البناء الفصل بين السياسة والدين ، حتى لا تتحول السياسة الى أشكال ومظاهر قائمة على أهواء الزعماء وأغراض الحكام . بل جعل السياسة نابعة من الدين ، متفرعة عنه . فحاطها بذلك بسياسات متينة كان وقاية لها من الانحراف والتفريط والخداع ، فصارت السياسة بذلك سياسة ذات حدود وأخلاق ، لا تعطي الدنيا في الدين ولا في

الاهل ولا في الوطن - فعدل بذلك مسار السياسة - بعد أن انحرف بها سعد زغلول - فصارت مع العدو مواجهة وعداء بعد أن كانت تذلاً واستجداء .

الخامسة - سبق أن تحدثنا عن موقف حسن البنا من موضوع البدع وطريقته في تنقية الدين منها بالانتفاف حولها وتطويقها من باب خلفي ، دون الوقوف من أصحابها موقف التحدى والرمى بالشرك والنعت بالكفر الذى يطلق العناد والتعصب ، ويقطع الصلة ، ويقضى على فرص التفاهم بينهما - وبذلك تجنب العيب الذى شاب طريقه بعض دعاة الوهابيين التى أوجدت دعوتهم عند كثير من الناس حجبهم هذا النفور عن أن يدرسوا هذه الدعوة ليعرفوا حقيقتها .

السادسة - أخذ من الطريقة السنوسية أسلوبها في التربية الروحية المزوج بروح الفتوة والقوة . أو بمعنى آخر بأسلوب تربوى ، يطره النفس ويزكيها ، تطهيرا يعدها لحمل أثقل التبعات ، ويؤهلها للتضحية بالنفس والمال في سبيل الله .

السابعة - بقى أن نقول ان هناك طائفة من أرباب اللسان والقلم الذين ألهبوا المجتمعات بخطاباتهم ودبجوا مقالات وألفوا الكتب وأنشؤوا القصائد التى انكت نار السخط على المستعمرين فقامت ثورات وهبت انتفاضات في عدة أنحاء من العالم الاسلامى ، وكان على رأس هؤلاء محمود سامى البارودى والامير شكيب أرسلان ومحمد اقبال ورفيق العظم وعبد الرحمن الكواكبي ومصطفى لطفى المنفلوطى وعبد الله النديم وعلى الغاياتى ومصطفى صادق الرافعى وأحمد شوقى وحافظ ابراهيم وأبو القاسم الشاذلى .

وهؤلاء وإن استطاعوا اشعال هذه الروح فقرة من الزمن ، فانهم كانوا مجرد عنصر مساعد لاقادة بالمعنى المفهوم ، فكان هؤلاء عادة يعملون في ركاب كبار الدعاة باعتبارهم أحد العناصر الفعالة في نشر الافكار واثارة العواطف واعداد النفوس والعقول لتلقى التوجيهات والاخذ بالبرامج التى تصدر عن القادة .

وعناية حسن البنا بهذه الطائفة كانت عناية فائقة ، فهو نفسه كان خطيبا مفوها وكاتبا مبينا وأديبا مفتنا . وقد طالع ما كتبه هؤلاء الرجال ودرس ما تركوه من آثار ثم جعله ضمن برنامج الدراسة لاعضاء كتائب الاخوان .

وقد نشأ في ظل دعوة الاخوان المسلمين جيل لا حصر له من الكتاب والخطباء والشعراء . ولا أعتقد ان دعوة من الدعوات أيا كان هدفها قد أثرت

بمثل هذ العدد الذى بلغ الشاؤ فى فنون الادب بأنواعها ، ولم يكن ذلك كله إلا بوحى من هذه الدعوة التى ملكت على المؤمنين بها مشاعرهم .. وقد أظلم نفسى وأظلمهم إذا أنا حاولت أن أسرد أسماءهم فى هذه العجالة .. وإذا كانت الدعوات الأخرى قد اقتصر وجود طائفة أرباب القلم واللسان فيها على القاهرة ودمشق والاسكندرية وغيرها من العواصم ، فإن هذه الطائفة فى دعوة الأخوان المسلمين قد نبتت وأينعت وأثمرت فى كل مكان نفذت إليه أشعة هذه الدعوة حتى فى أحشاء القرى والساكنين .. وما أخرج هذه الطائفة إلى من يجمع ثمرات قرائحها وينشرها كما نشرت ثمرات قرائح سابقينهم .

وهكذا جاءت دعوة حسن البنا مزيجا من محاسن كل ما سبقها من دعوات متجنبة كل مواطن الضعف فيها . فكانت دعوتة كما وصفها بنفسه فى خطابه فى المؤتمر الخامس عام ١٩٣٨ .

« دعوة سلفية ، وطريقة سنية ، وحقيقة صوفية ، وهيئة سياسية ، وجماعة رياضية ، ورابطة علمية ثقافية ، وشركة اقتصادية ، وفكرة اجتماعية » .

موجهة إلى جماهير الشعب ، وقائمة على أساليب من التفاهم والتأخى والاعداد والتكوين والتوجيه .

□ أسلوب عف كريم :

وقد يلتحق بهذا الفصل أن نشير إلى أسلوب حسن البنا فى التعامل مع سلف هذه الأمة الإسلامية من القادة فنقول : إنه - رحمه الله - لم يكن ممن يحرصون على تتبع عورات الرجال ، ولا ممن يسعون إلى عد مساوىء الناس . وكانت نظرته إلى هؤلاء السلف من الدعاة النظرة العامة المجلة قياخذ الرجل منهم بمجمل حياته لا بتفاصيلها ، أعنى بذلك أنه كان حين يعلم بمواطن ضعف فى أحدهم لا يتخذ ذلك فريعة إلى التشهير به والتبديد بهذا الوطن فيه ، وإنما هو يتجاوز ذلك مبرزاً مواطن القوة ونواحي الخير فيه . « أخذا بما جاء فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « من ستر مسلما ستره الله » وقوله « من تتبع عورات الناس تتبع الله عورته » وقول الشاعر الحكيم :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

ومما لا حاجة بنا إلى التذليل عليه ، أن إنسانا أيا كان ذلك الإنسان لا تخلو حياته من مواطن ضعف . ولولا أن الأنبياء قد عصمهم الله لما خلوا من ذلك .. فحسب الذين يبحثون فى تاريخ الأمم - والأمر كذلك - أن يأخذوا رجالاً هذا التاريخ بمجملهم لا بتفاصيل حياتهم ودقائق خصوصياتهم . حتى لا يخرجوا من بحوثهم صفرة اليزدين . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول « لو تكاشفتهم ما تدافنتهم » .

ان النظرة المسددة الى المساوىء ، المتقبعة المستقصية في حياة الرجال ، تدمر التاريخ ، وتحطم بنيان الامم . . وما أينسر الهدم ولكن ما أخطر عواقبه . . وان القرآن الكريم ليفترض وجود مواطن الضعف في كل انسان حتى في المؤمنين ، فحين يشيد بالاخوة بين المؤمنين فيقول «انما المؤمنون اخوة» لا يقف عندها حتى يذكر بهذه المواطن فيلحق الاشادة الحاقا مباشرا بقوله « فأصلحوا بين أخويكم » والاصلاح لا يطلب الا لتلافي خلل موجود .

وقد يكون تتبع عورات رجال التاريخ – في بعض الاحيان – واطالة البحث عن مثالبهم ، والنشهير بهم ، نوعا من أنواع التمرد النفسى ينتاب الاجيال الصالحة التى تعاني من افتقاد قيادة صالحة ، ولا يجدون بين أيديهم الا قيادات تافهة مغرصة متقلبة مزدوجة الشخصية . . فهذا الافتقاد وهذه المعاناة تبعث في نفوس هؤلاء الصالحين من هذه الاجيال سوء الظن بالقيادات ، وتؤجج في صدورهم نار التمرد والغضب ، وتطبعهم بطابع التبرم والتشاؤم . ونحب أن نلفت النظر الى أن هذه النغمة التى يضرب على أوتارها هؤلاء المشككون هي نغمة يطرب لها الكائدون للتاريخ الاسلامى لانهم هم مخترعوها ومؤلفوها وهم مروجوها وهم صانعوا أوتارها – ويسعدهم كل السعادة أن يروا من يضرب على أوتارها ماجورا أو متطوعا . فاذا كان الضارب متطوعا طاروا فرحا ، لان هذا معناه أن فكرتهم السمعة التى سهروا على بثها قد تسلت حتى وصلت الى عقول صالحى المسلمين وأفندتهم فتبنوها وهم لا يشعرون – وهل كان لهؤلاء الكائدين من هدف الا هذا الهدف ، ولا من أمل الا هذا الامل ؟ !

على أننا حين نعى على الذين يذيعون بمثالب القيادات لا نقصد بذلك تلك المثالب التى هي نفسها قد أعلنت عن نفسها على حد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل أمتى معافى الا المجاهدين » وانما نقصد المثالب التى يبذل الباحث وراء الوصول اليها جهدا ، والتى يتصيد الشبه من هنا وهناك ليجمع منها دليلا عليها ، والتى يحاول تاويل المواقف والالفاظ والعبارات حتى تشير اليها .

مزيد بيان وتحذير من تدبير خطير

تجريح قادة الدعوة الاسلامية

اسلوب خبيث لهدم هذه الدعوة في نفوس المسلمين

ولما كان لهذا الموضوع شأن خطير فيما نحن بصدده من بحث فقد يقتضى المقام أن نزيده توضيحا مستطردين فنقول :

□ حبال المستشرقين :

هناك قوم قد اعدوا انفسهم ، واعدتهم اجهزة خاصة في حكوماتهم . للبحث عن ائسد الاساليب فعالية في هدم الاسلام في نفوس امله ، وتقويض

أسسه باعتباره دعوة قائمة ٠٠ على أن يتوخوا في هذه الأساليب المناخ ذا
النسمة العلمية - وهؤلاء القوم ، والذين سموا بالمستشرقين لان أعدادهم لهذه
المهمة التخريبية اقتضى تعليمهم اللغة العربية ، وإيفادهم لقضاء فترة من
حياتهم وسط هذه الشعوب لدراسة معتقداتها وعاداتها ومواطن القوة
والضعف فيها .

هؤلاء المستشرقون ٠٠ انتهزوا فرصة انشاء الجامعة المصرية ، وتطلع
الاجيال الاولى من الدارسين فيها الى الاستزادة من العلم لا سيما في التاريخ
الاسلامى ٠٠٠ ولما كانت امهات الكتب التى بين يدي هؤلاء الدارسين من
تراث الامة الاسلامية في التاريخ لا تغرى بالقراءة ، لانها ليست سهلة المأخذ
ولا قريبة التناول ٠٠ فقد وضع هؤلاء المستشرقون مؤلفات تناولت هذا
التاريخ بأسلوب عصرى أكثر مما فيه من التعليق والتحليل ٠٠ وقد أذابوا في
هذا التعليق والتحليل كل ما في نفوسهم من حقد وضغينة على نبي الاسلام
وصحابته وعلى البطولات الاسلامية التى هى مفخرة المسلمين .

ولما كانت أحداث التاريخ مما لا يسهل تناوله بالتغيير والتبديل ، فقد
لوا منها ما تمكنوا من ليه ، وحرفوا منها ما استطاعوا تحريفه ٠٠ وما لم
يستطيعوا ليه ولا تحريفه وجدوا مجالهم فيه في التعليق والتحليل ٠٠٠ ولكن
هذا كله صاغوه في مجلدات ناصعة أنيقة ، وفي أسلوب طلى لبق رشيق ،
تغطى فيه مهارة الكاتب ومقدرته الادبية على ما دسه في سطور من زيف
وسموم .

واقبل المتطلعون لدراسة التاريخ الاسلامى على هذه المؤلفات ، سواء
مذهبهم من تلقوها عن مؤلفيها انفسهم في بلادهم حين أوفدوا في بعثات علمية
اليها ، ومن درسوها هنا على يد من تلقوها عن مؤلفيها - ولقد أغرام بها
أسلوبها التحليلي الذى يجمع بين الطرافة والجدة والتشويق .

ونجحت خطة الاستشراق بهذا الاسلوب ردحا من الزمن ، حين صارت
مؤلفاتهم مرجعا يتبارى دارسو التاريخ الاسلامى في الاقتباس منه ، وفي حمل
افكاره والتباهى بها واذاعتها والدعوة اليها ٠٠ وتسرب هذا الزيف الى
الكثيرين من المثقفين عن طريق الصحف والمجلات والندوات والمحاضرات ٠٠
وقد لا نفكر ان قليلا من هؤلاء الحيلة كانوا يحملون هذه الافكار عن غفلة
وحسن نية ، اذ لم تكن لهم خبرة سابقة بالتاريخ الاسلامى ، واعتقدوا أن
الامانة العلمية اقدس من أن يجرؤ عالم على تخطي جيدها واستغلالها في غرض
ذنى .

ثم نبت البعث الاسلامى من جديد بعد غيبة طال أمدها ، وكان متمتلا هذه المرة في دعوة الاخوان المسلمين - ولقيت هذه الدعوة في ابانها عنقا شديدا على يد هذا الرعيل الحامل لهذا الزيف . وكانوا هم وتلامذتهم عقبة كاداء في سبيل هذه الدعوة . ولكن ثبات هؤلاء الدعاة ، وأصالة الامة الاسلامية ، سرعان ما كشف القناع عن وجه هذا الزيف وأبرزه على الملأ عاريا كالحا بشعا على حقيقته .

وبدأ المستشرقون يشعرون بحرج موقفهم ، وبأنهم لم يعودوا صالحين للظهور بعد ذلك أمام العالم الاسلامى بالمظهر الذى انتحوه لانفسهم أمامه من قبل باعتبارهم علماء يتوخون الحقيقة ليس لهم من رائد سواها .
فماذا فعلوا ؟ ...

□ بدائل المستشرقين :

لقد نعلوا ما أثبت أنهم كانوا جديرين لما انتخبوا له من تخريب انهم اعترفوا بالأمر الواقع ، وبطغيان الموجة الاسلامية على باطلهم ، وانتحوا جانبا بعيدا عن الانظار ، وكفوا عن أسلوبهم الذى انكشف ، وشرعوا يبحثون عن أسلوب آخر يتناسب والبيئة الجديدة والجو الاسلامى الغامر الجديد . . . ولكنه يؤدي نفس الدور ويحقق اصابة الهدف التخريبي العتيد الذى رصدوا له جهودهم ووقفوا على حياتهم .

أخذوا يرقبون في حذر ومن وراء ستار الجيل الذى منه دعاة الدعوة الاسلامية النابتة - وكان أكثرهم في ذلك الوقت طلابا بالجامعة - وأخذوا يقتبعون أفرادا من هذا الجيل رأوا أن فيهم من الصفات والاخلاق ما يؤهلهم لان يحملوا عنهم هذا العبء . . على أن يكونوا هم من ورائهم يمدونهم بالافكار ، ويتعهدونهم بالرعاية من وراء ستار ، غيهيئون لهم الطريق حتى ينبأوا مناصب تثقيفية مرموقة تتيح لهم أن يصدروا تحت أسمائهم مؤلفات تؤدي المهمة التى كانوا يؤدونها هم من قبل . . ولكن هذه المؤلفات الجديدة ستكون أوقع في النفوس ، وأقرب الى أن تسيغها العقول ، وأبعد ما تكون عن الشبهات ، لانها صادرة من أساتذة مسلمين يشغلون أعلى مناصب التوجيه .

ولقد استطاع المستشرقون أن يعثروا على طلبتهم دون مشقة ، اذ كان مجال الاختيار منحصرا في مكان محدود ، من السهل مراقبته . . ذلك هو الجامعة المصرية التى كانت وحيدة في ذلك الوقت .

ومن حق القارىء أن لا اكتمه اننى انا نفسى - بعد أن دار الزمان دورته ، وشبت أجيال جديدة ، سمعت من اصلح صلاحاتها آراء ذهلت لسماعها ، وكادت

لخطورتها تهصر قلبي مصرا ٠٠٠ وعجبت كيف يحمل هؤلاء الصالحون هذه الآراء التخريبية التي تقوض الدعوة الإسلامية من أساسها ٠٠٠

فتجريح قادة الدعوة الإسلامية واحدا واحدا ورميهم بالانتساب الى شيء سرى مجهول يسهل نسبة أي انسان اليه ٠٠ واغقاد المسلمين بهذه الطريقة - الثقة في قادتهم ٠٠ يهدم الدعوة الإسلامية ، ويحيلها الى مجرد خثرة لا فعالية لها ٠٠٠ وهذا تحقيق للحلم الذي طالما بات أعداء الاسلام يحلمون به ويخططون لتحقيقه ، أن يحولوا الاسلام الى فكرة مجردة ، يستنفد صالحى المسلمين جهودهم وأعمارهم في التوسع في دراستها ، وانهيما ن بها في أفاق الفلسفة والخيال وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ٠٠٠ ولقد جاء على أسلافنا من المسلمين حين من الدهر فعلوا باسلامهم مثل ذلك - ولكن المؤرخين قد التمسوا لهم بعض العذر فلقد فعلوا ذلك حين بلغت دولتهم من الازدهار والتمكن في الارض ما لم تبلغه دولة من قبل ٠٠ فاذا ركنوا الى الدعة ونسوا أن الاسلام دعوة قائمة وهداية نابضة وشعلة مضيئة في حاجة الى من يحملها الى المحرومين من النور في أنحاء الدنيا الى يوم القيامة - اذا نسوا ذلك في تلك الظروف ونظروا الى الاسلام نظرة علمية بحتة فتوقفوا على دراسته وقضوا أعمارهم في فلسفة نظرياته ٠٠ وأنتجوا في هذا الميدان انتاجا كان بعضه كافيا لسد نهر دجلة ٠٠٠ ولكن هذا الانتاج - مع التقاعس عن حمل لواء الدعوة الإسلامية لم يغن عنهم شيئا في أول صدام مع ألباطل يوم أغارت عليهم جيوش التتار ٠٠٠ فكيف يكون حال المسلمين اذا هم فقحوا ثقتهم في قيادات الدعوة الإسلامية فأسلمهم ذلك الى الدوران حول أنفسهم وانتهوا من ذلك الى العكوف على الدراسة والاطلاع والتزود من ذلك لمجرد النقد والتشكيك والتجريح ٠٠ هذا في الوقت الذي لا زالت الامة الإسلامية فيه تحاول أن تنفض عنها غبار نوم ثقيل طويل ١٩٠

وأصدق القارىء القول فاقول ، اننى لم أفق من ذهولى من سماع هذه الآراء المخربة الهدامة الا حين علمت من هؤلاء الصالحين المصادر التي استقوا منها هذه الآراء ٠٠ فقد ذكرتني هذه المصادر بزملاء كانوا معاصرين لنا بالجامعة ٠ وكانوا بطبيعة نشأتهم وبما عرف عنهم من شذوذ في الخلق والسلوك ، كانوا أعداء حقراء للدعوة الإسلامية وللإسلام المجرد وللأخلاق والفضائل في ذاتها ٠٠ وكانوا بذلك أهلا لان تهينهم الايدى الخفية التي أشرنا اليها لحمل أعباء العملية التخريبية بالنيابة عنها ٠

ولما كانت هذه الاجيال الجديدة لا تعرف شيئا عن تاريخ هؤلاء الا ما يروونه بين ايديهم من مناصب لامة ، ومؤلفات فخمة ضافية وأساليب معسولة رتبت بطريقة تستهوى الصالحين من هذه الاجيال ٠٠ لهذا راجت بينهم هذه المؤلفات واحسنوا الظن بها ووقعوا ضحايا سمومها ٠

فالصائد الماهر الخريت هو الذى يعد لكل نوع من الاسماك طعاما خاصا به عرف الصائدون بالتجربة أنه يشتهي ويجذبه الى آلة الصيد - فيقبل على الطعم ويلتهمه عن آخره ٠٠ حتى اذا فرغ من التهامه أسلمه هذا الطعم الشهي الى آلة الصيد نفسها ليكون تحت رحمة الصياد يفعل به ما يشاء ٠

وارتداء مسوح الرهبان لا يغير من نفوس المرتدين بهذه المسوح قليلا ولا كثيرا ، ولكنه قد يفتن الكثيرين ممن يجهلون حقيقة هؤلاء المرتدين ٠٠٠ وهؤلاء الذين فتنتهم المسوح لا يزالون معذورين حتى يصادفوا خبيرا بحقيقة المرتدين ، يفتح عيونهم على ما تحت هذه المسوح من ثياب كاسرة ضارية ٠ أما نحن وقد جربنا بأنفسنا ٠٠ ورأينا كيف يجنزى أناس - وهم متسنمون أعلى مراكز التبوجيه في بلادنا - على الحق وعلى التاريخ ، ويستحلون الكذب والاختلاق ، وينسجون من خيالهم وقائع وأحداثا يفسبونها - زورا وبهتانا ووقاحة - الى حسن البنا ٠٠ وتنشر الصحف هذه الاكاذيب وتقدمها للشعب على أنها حقائق ٠٠٠ ومع ذلك فلا يزال هذا الشعب ينظر الى هؤلاء الكاذبين نظرة الاجلال والاكبار ٠٠ وما عباس محمود العقاد في هذا المجال عنا ببعيد ٠

بعد أن جربنا ذلك بأنفسنا لم نعد فريسة سهلة لأولئك الكذابين الجدد الملتهمسين للبراءة العيب ٠٠ مهما جاعونا اليوم يزجون الثناء العاطر لحسن البنا ولدعوته ، مقدمة يستدرجوننا بها لتقبل ما هدفوا اليه ووضعوا مؤلفاتهم من أجله مما يقوض ثقتنا في كل من سوى حسن البنا من قادة الدعوة الإسلامية ٠

وإذا سمح بعضنا اليوم لانفسهم أن يتقبلوا هذه المفري على هؤلاء القادة السابقين فلا يلومن هؤلاء المتقبلون أجيالا تأتي من بعدهم تتلقى ما اختلق على حسن البنا من اغتراءات بالتصديق والقبول ٠

□ مرونة وسعة أفق وسعت الجميع :

ونرجع الى ما كنا بصدده من الحديث عن حسن البنا فنقول : وكما أن هذا كان أسلوب حسن البنا - رحمه الله - مع من سبقه من القادة ، فقد كان هذا أيضا أسلوبه مع سائر الناس ٠٠ فلقد كان له من الفطنة ونفاذ البصيرة ما لا تخفى عليه معهما حقائق الاشخاص ودخائل نفوسهم ، كالذى قال فيه الشعراء ٠

الامى الذى يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمع
ولكنه مع ذلك كان قديرا على أن لا يجعل لما كشفت فطنته اثرا يقعد به

عن الاقتراب من هؤلاء الاشخاص والاتصال بهم . . . وحين يتصل بهم ويتحدث اليهم لا يجدون في حديثه ما يشعرون منه أنه مطلق على عورات منهم، ولا أنه على علم بما هم متورطون فيه من مساوئ . . . انه كان يجالس هذا النوع من الناس ، ويقبل عليهم ، ويفسخ لهم في مجلسه ، ويخصهم بمجاملات ترضى عواطفهم لا ويتحدث اليهم ويتطلف معهم في الحديث، ولا يهاجم عواطف الضعف فيهم ، ولا يمس شعورهم من قريب ولا من بعيد . . . ولكنه يريهم من تصرفاته وتصرفات اخوانه من ادب الاسلام وسعه صدره، ورحابة افقه ، ما يشوقهم الى هذا الاسلام الرقيق الحاشية الجديد الذي لاعد لهم بهذه الصورة المثيرة فيه من قبل . . . فيخلو هؤلاء الى انفسهم حين يخلون، فيستعرضون ما راوا وما سمعوا ، فيسلمهم هذا الاستعراض الى لون عن النقد الذاتي ، الذي ينتهي بهم عادة - بعد تكرار الزيارات وتعدد الجلسات . . . الى أن يجد الواحد منهم نفسه وقد حملته قدماه - دون أن يحري - الى حيث يقدم نفسه الى حسن البناء خلقا آخر قد تنزه عن كثير مما كان متلخذا به من مساوئ .

لقد افاد حسن البناء لدعوته بهذا الاسلوب اعظم افادة ، فقد اصلح الكثيرين من المنحرفين دون أن يهاجم معتقداتهم او ينتقد مسالكهم فيقطع خط الرجعة عليهم ، بل تركهم لانفسهم فراجعوا انفسهم بانفسهم واتوا تائبين . . . وبعد أن كانوا عقبة في سبيل الدعوة صاروا لبنات في بنائها ، وصدق الله العظيم « ولو كنتم فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

كان حسن البناء يرضى من العاملين معه في ميدان الدعوة من يعطى الدعوة كل نفسه ، ومن يعطيها نصف نفسه ، ومن يعطيها ربع نفسه ، ومن لا يعطيها شيئا الا مجرد الابتسامة والاعجاب . . . ولا يشعر انسانا من هؤلاء بشيء من التبرم به أو الضيق بوجوده ، بل يفسح لهم جميعا مجالا من نفسه ومجالا في الدعوة ، بحيث يشعرون جميعا بالرضا والسرور ، مما ينقل الواحد منهم دون أن يشعر من درجة من درجات الايمان الى ما هو أعلى منها .

وشعوره بأنه داعية لفكرة هو مؤمن بها اعمق الايمان . ومقتنع بسلامتها وجدارتها وتفوقها ، جعله مستعدا دائما بل متشوقا لاستقبال كل ذي فكرة مهما اختلفت عن فكرته وللسعى اليهم ، ولا يجد في نفسه حاجا نفسيا يحجاء عن الاتصال بكل انسان - مهما كان موقف هذا الانسان - ذلك انه يعتقد أن في كل انسان جانبا من الخير يحتاج الى من يكشف عنه ويحركه ويبعث طاقته الكامنة ، وقد يائس الداعية اذا هو تخلف عن الكشف عن هذا الخير واطلاق هذه الطاقة . . .

ومن هنا كان اتصاله بمن اشتهر عنهم انهم اعداء للفكرة الاسلامية .. وكان يرضى من هؤلاء بعد لقائه معهم مجرد عدولهم عن خططهم المعادية حتى ولو لم يلتزموا بعد ذلك بالخط الاسلامى الواضح .. فهو يحمد لهم هذا الموقف ، وينسى لهم سابق تاريخهم ويجب أن يكون هذا موقف الاخوان منهم . ويعد ذلك نوعا من النصر للدعوة يجب أن يحرص عليه .

هذا هو أسلوبه فيما يتصل بالاشخاص ، أما أسلوبه فيما كانت تتخذه الحكومات المتعاقبة مما كانت تسميه اصلاحات ، فانه كان يعتبر هذه الاصلاحات تلاحات جزئية ويتقبلها على أنها اسعاف مؤقتة لجرد الاحتفاظ برمق الحياة .. أما العلاج عنده فهو معرفة أصل الداء الذى تفرعت عنه كل الامراض التى استشرت في جسم الامة حتى شلت جميع الاعضاء ، ثم اعداد البعده الكافية لاستئصال اسبابه ، ثم يوضع المريض امام العلاج الشامل وهو المنهج الاسلامى الكامل . واعداد العدة هو نشر لواء الفكرة الاسلامية وتثبيتها في نفوس الشعب حتى تنبثق عن هذه النفوس حكومة تضع المنهج الاسلامى في جميع مرافق الحياة موضع التنفيذ .

□ أسلوبه في المناقشة :

وكان رحمه الله ذا مقدرة فائقة في مناقشاته أن لا يدع لمناقشة فرصة ينقل فيها المناقشة من الموضوع الاصيل في نظرة وهو صلب الدعوة الاسلامية الى نقط خلافية فرعية تافهة .. ونذكر في هذا المقام لقاءه مع الصحفي البارز البنكر مصطفى أمين في اواسط الاربعينيات بالمركز انعام بالحمية الجديدة ، حين أراد مصطفى أمين بمهارته الصحفية أن يوجه المناقشة ويحدد موضوعها بأن استهل اللقاء بتقديمه سيجارة الى حسن البنا وهو يعلم أنه سيرفضها ، وكان قد رتب في خاطره نقاشا يديره معه على أساس التحليل والتحرير يبتقى على نتائجه رأيا عن مدى تزمّت الاخوان المسلمين .

ولكن الذى حدث هو أن حسن البنا بفطنته والمعيته تنبّه الى ما رتبّه زائره في خاطره ففاجأه برد أم يكن يتوقعه ولم يخطر له على بال اذ رفض السيجارة معتذرا شاكرا قائلا : اننى لا أدخن عادة لا عبادة - فسأبت هذه المفاجأة مصطفى أمين ميزة المبادأة ونقلتها الى يد حسن البنا الذى ادار المناقشة على الوجه الذى يريده (١) .

(١) أرجو أن لا يفهم القارئ من هذا أن حسن البنا كان يبيح التدخين : ومن أراد استقصاء هذا الموضوع فليرجع الى أعداد مجلة النار حين كان رحمه الله يبرأس تحريرها ففي أحد هذه الأعداد بحث ضاف له في موضوع التدخين كذبه ردا على سؤال وجهه اليه أحد القراء في ذلك الوقت .

وقد عبر مصطفى أمين في ذلك اليوم عن فهمه لدعوة الاخوان المسلمين بما نشره في « أخبار اليوم » فقال : « ان حسن البنا قد استجاب له مئات الالوف في أنحاء القطر وقد استطاع أن يؤاخي بينهم بحيث لو عطس عضو منهم في الاسكندرية قال له عضو في أسوان « يرحمك الله » » .

□ قدرته الخارقة على الاقتناع :

أما قدرته الخارقة على الاقتناع فحسب القارئ أن أقص عليه بصدها ما سمعته قريبا في جلسة عارضة ضمت مجموعة من ثوى الثقافات العالية ، وكان أحد حاضريها اللواء شرطة بالمعاش سيد عبد النبي الذي قص علينا القصة التالية :

قال : كان الاستاذ محمد حياتي ياورا للنقراشي باشا حتى أواخر عام ١٩٤٧ ثم استبدل به الاستاذ اسماعيل المليجي شقيق إبراهيم عبد الهادي باشا . وظل الاستاذ حياتي يعمل في وزارة الداخلية حتى جاءت وزارة التوقد سنة ١٩٥١ فقررت التخلص من موظفي عهد السعديين الذين يشغلون وظائف حساسة ، فقررت نقل الاستاذ محمد حياتي نائبا للأمور مركز ايتاي البارود . يقول اللواء سيد عبد النبي : وكنت في ذلك الوقت معاونا لمركز ايتاي البارود - وكنا بحكم الزمالة في العمل نتحدث معا في مختلف الشؤون لا سيما فيما يتصل بالاحداث التي وقعت بعد حل الاخوان المسلمين حيث كان الاستاذ حياتي أقرب الناس من هذه الاحداث - وكان مما حدثنا به الاستاذ حياتي في هذا الصدد قوله :

قبل صدور أمر حل الاخوان سنة ١٩٤٨ - لما شعر الاستاذ البنا بأن أمر الحل يعد فعلا ، حاول مقابلة النقراشي باشا ، فقابل عبد الرحمن عمار بك وكيل الداخلية وطلب منه مقابلة النقراشي باشا فاعتذر له عمار بك بمشغولية النقراشي باشا ، فكلفه بتحديد ميعاد فتظاهر عمار بك بالاستجابة ولكنه بعد خروج الاستاذ البنا فهمنا منه أنه لن يتيح للاستاذ البنا هذه المقابلة .

يقول الاستاذ حياتي : وكنت حاضرا وسمعت ما تم بين الاثنين وما كان من عمار بك . . فسألته لم كان منه هذا التصرف ؟ فقال : احنا لو تركنا الاستاذ البنا لمقابلة النقراشي باشا فلن يصدر أمر الحل ، لان هذا الرجل قادر على اقناع النقراشي باشا ، وبذلك تحدث أزمة بين الحكومة والسراي

وتعقيبا على هذه القصة أقول : ان حسن البنا كان من اتساع الافق بحيث لا يعدم أن يجد بديلا مهما بدا لجميع الناس ان الامور قد ضاقت

واستخدمت حقائقها حتى صار الطريق مسدودا لامنغذفيه-وكان هذا هو السبب في أن كثيرين من أعدائه كانوا يتحاشون لقاءه لانهم كانوا واثقين من أنه سوف يلزمهم الحجة ويكسبهم الى جانبه وهم لا يريدون ذلك حسدا من عند أنفسهم .

□ حسن البنا في صلواته :

كان حسن البنا رحمه الله داعية يلتزم أسلوب الداعية في كل تصرفاته مع نفسه ومع الناس حتى في صلواته - فلقد كنت - كما قدمت من قبل في أوائل أيام اتصالي بالاخوان المسلمين حريصا على مراقبة كل ما يدور في مركزهم العام لا سيما ما يصدر من مرشدهم من حديث وأعمال وتصرفات . .

وقد لفت نظري أن صلاة المرشد-وكان دائما هو الامام- لا تكاد تختلف عن صلاة كثير من الناس ، فهي وإن كان صلاة خاشعة مضمثلة ، لكن رائيتها لا يمكن أن يصفها بأنها صلاة مطولة كذلك التي تمارس في مساجد بعض الجمعيات . . وكان اعتقادي أن هذا الرجل ذا اللحية السوداء لا بد أن يكون ملتزما في صلواته ما يلتزمه أصحاب اللحي من المنتسبين الى هذه الجمعيات .

ولقد تقدمت اليه وسألته في ذلك سؤالا مباشرا فأجابني قائلا : انني حريص على أن لا أطيل في الصلاة حتى لا أدع الفرصة لمن خلفي أن يشرد أفكارهم .

وقد ناقشت نظريته هذه مع نفسي فوجدت أنه فعلا مصيب كل الاصابة، وخبير بطبيعة النفوس وبطبيعة المجتمع الذي يتعامل معه وأنه طبيب يعطي مريضه الدواء بالقدر الذي لو تجاوزه لاضرربه . فالأمامون - والمأموم عادة بالقرآن قليل - اذا قرأ الواحد منهم سورة من قصار الصور التي يحفظها ثم انتظر ساكتا حتى يفرغ امامه من قراءة الكثير الذي يحفظه من القرآن . . ماذا يكون منه في الوقفة الطويلة التي هي بالنسبة له فراغ الا أن يغلت منه الزمام فيشرد فكره في مختلف الشئون ؟

أما في الصلوات الجهرية فكان له فيها رحمه الله أسلوب آخر . . كان يطيل فيها من قراءة القرآن . . ولكن هذه الاطالة لم تكن مجرد اطالة ولا القراءة مجرد قراءة ، وانما كانت قراءة هادفة ، كانت قراءة من مواضع مختارة . . يتناول في كل صلاة منها معالجة موضوع معين من المواضيع الحساسة التي تمس النفوس وتعالج مشاكل المجتمع . . ففي صلاة يستعرض على المأمومين اصناف الناس ، وفي صلاة أخرى يستعرض طبائع النفوس ، وفي ثالثة يعرض صورة لغرور السلطة وعواقبه ، وفي رابعة يستعرض مواقف الحسبي

الاعزل من الباطل المسلح ، وفي خامسة يستعرض دلائل قدره الله من مخلوقاته
•• وهكذا من المواضيع التي يخرج المأمومون من كل منها بتوجيهات محددة
وتعاليم معينة •

وعبر خاف على القارئ المجرب أن سماع المؤمن القرآن وهو واقف في
الصلاة بين يدي الله ذو أثر في النفس أشد عمقا وأعظم وقعا من سماعه القرآن
في غير هذا الوضع •• وقد يفهم من القرآن في هذا الموقف مالا يفهمه منه في غيره من
المواقف •• لا سيما إذا كان القارئ أستاذًا مربيا يفهم ما يقرأ ، ويعرف
كيف يتلو الآية تلاوة تبرز ما خفى من معانيها فهو يعرف كيف يكون الموقف
ويعرف كيف يكون الوصل •• ولا يمر بآية وعيد وعذاب إلا استعاذ في سره
بالله ، ولا يمر بآية من البشريات إلا طلب في سره من الله المزيد - وهكذا كانت
الصلاة إحدى وسائل حسن إبننا في تثبيت أفكار دعوته في النفوس وفي تربية
من وراءه وتوجيههم •

وعلى العموم ، فقد كنا نعتبر صلاة حسن إبننا الجهرية بنا تكملة
لدروس التكوين التي كنا نقلقها على يديه والتي أشرنا إليها في الجزء الأول
من هذا الكتاب •

وينبغي هنا أن أكشف القارئ بشعور داخلي خاص انتابني وأنا
أكتب مسودة هذه السطور التي يقرأها الآن ، فقد كان في خاطري - كما هي
طبيعة الكتابة عن عادات الزعماء وأساليبهم في الحياة - أن يكتب الكاتب عن
أساليبهم مع المجتمع ، ثم يكتب عن أساليبهم في حياتهم الخاصة •••
واندفاعا بهذا الشعور وصفت صلاته التي كان يؤديها أمامنا •• ثم تهيات
للكتابة عن صلاته الخاصة التي كان يؤديها وحده بعيدا عن أعين الناس ،
وفي هداة الليل ، بين جدران منزله •• ففوجئت بأنه - رحمه الله - لم تكن
له حياة خاصة أمام تكاليف الدعوة التي لم تدع له فرصة من ليل أو من نهار
دون أن تشعلها ، فإذا كان في القاهرة فهو في المركز العام ، في لقاءات واجتماعات
ودروس ومحاضرات وندوات وجلسات إدارية وتربوية •• حتى إذا انتصف
الليل ، فإذا كانت هناك كتيبة في المركز العام أو في إحدى شعب القاهرة أكمل
معهما بفيه الليل ، وإذا لم تكن وقلمًا لا تكون - كان آخر من يغادر المركز العام
إلى بيته لينام ساعتين أو ثلاثا ثم يقوم لصلاة الفجر ليبدأ الأعداد ليومه
الجديد ليكون أول قادم في الصباح الباكر إلى المركز العام الذي كثيرا ما كان
يبيت فيه - وإذا كان خارج القاهرة فهو مع الإخوان لا يفارقهم ولا يفارقونه
لحظة من ليل أو نهار حتى يغادروهم إلى بلد آخر •••• فاني لمثل هذا أن تكون
له حياة خاصة ؟

لقد أتاحت هذه الحياة الخاصة تقوم من أئمة هذا الدين فسمعوا بساعات طوال في بطون الليالي تفرغوا فيها للعبادة وللمناجاة ربهم فزروا بهذه المناجاة ظمأ نفوسهم ، كالذى أثر عن الامام أبى حنيفة أنه كان يصلى الفجر بوضوء العشاء .. وكالذى أثر عن الامام على كرم الله وجهه حين كان يقف في سكون الليل في محرابه يناجى ربه ويقول للدنيا : يادنيا غرى غبرى .. الى تعرضت .. أم الى تشوقت .. لقد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها ...

ولكن الله في خلقه شئون .. لقد شاءت ارادة الله أن ترشح حسن ابننا لدور بحرم فيه حتى لذة الظفر بمثل هذه الليالي « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة » ورحم الله الرجل الصالح الذى قال : ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك في الاسباب ، من الشهوة الخفية .. وارادتك الاسباب مع اقامة الله اياك في التجريد ، انحطاط عن الهمة العلية .

وخلاصة القول ، اننى نظرت فاذا الرجل لم تكن له حياة خاصة حتى أصف عبادته فيها كما وصفت عبادته وسط المجتمع .. على اننى لا أذكر أنه كان له من قرص أرضى فيها بعض ما كانت تتوق اليه نفسه من استمتاع باطالة في الصلاة الا ما كان يؤديه في شهر رمضان وفي المركز العام عادة من صلاة القيام التى كان يقرأ فيها كل يوم بجزء من القرآن بحيث يتم القرآن بنمام رمضان .

خاتمة الباب

موقف من اللغات ذو دلالة

هناك ناحية في حياة حسن البنا ينبغي أن توضع بين يدي القراء: موضع البحث والتأمل ، تلك هي نظرتة الى اللغات وموقفه منها . فهؤلاء القادة الذين اتينا على ذكرهم في هذه العجالة منذ قليل ، والذين كانوا حملة الشعلة في العالم الاسلامي خلال قرنهم ، كانوا جميعا ملهمين بمختلف اللغات . فالسيد جمال الدين الافغانى كان يتقن التحدث بجميع لغات الدنيا الحية في أيامه تقريبا ، والشيخ محمد عبده وسعد زغلول وهما أزهريان درسا اللغة الفرنسية دراسة خاصة حتى أجاداها ، ومصطفى كامل كانت دراسته الحقوقية دراسة فرنسية ، والدعاة الذين قاموا بالمغرب كانوا يحكم الاستعمار على معرفة بلغة المستعمر . ومن المألوف والمسلم به أن على كل من يهيم نفسه للقيادة في الشرق العربي أن يتزود أول ما يتزود بدراسة لغة أجنبية أو أكثر . باعتبار ذلك مؤملا لا بد منه بل وسلاحا يتسلح به في نشر أفكاره . .

ولكن حسن البنا لم يكن ملما بلغة من اللغات الا اللغة العربية . . وليس هذا هو موضع الاستغراب . . ولكن موضع الاستغراب أن حسن البنا كان أقدر الناس على تعلم اللغات ، فلقد كانت مواهبه النادرة تسعفه أن يتعلم أصعب اللغات وأن يجيدها ويتحدث بها كما يتحدث أهلها في أشهر معهودات . . غير أنه مع ذلك لم يتعلم أية لغة من اللغات .

فهل كان هذا مقصودا أم جاء عفوا ؟

لقد كان حسن البنا يبحث أتباعه على تعلم اللغات واجادتها والتفلسف منها ، لكنه هو لم يول هذه الناحية في نفسه أدنى اهتمام ، وكان يقرأ أكثر ما يترجم الى العربية من مؤلفات كتاب الغرب لا سيما في علوم التربية .

فهل كان ضيق وقته هو الذي حال دون تعلمه اللغات ؟

أم أنه كان يرى لنفسه شخصا أن الاعتصام باللغة العربية وحده هو شعار له معناه وله مغزاه ، ذلك المغزى الذي أشرنا اليه في الجزء الاول من هذا الكتاب عند الكلام على ترجمة القرآن الكريم . . أنه كان يرى أن تترجم الدنيا بما فيها من شعوب وأمم الى القرآن والى لغة القرآن .

انه كان يعلم أن الغرب لن يقيم وزنا لاية دعوة في الشرق مهما ملأت الدنيا كلاما مكتوبا ومسموعا بكل لغات الدنيا ، ولكنه يقيم وزنا للدعوة التي تستطيع أن توقظ الشرق من سباته ، وتبعثه من رقاده ، وتقوده لاستخلاص حقه ، وتخلق من شعوبه جيلا يسترخص الحياة في سبيل الكرامة الانسانية

وفي سبيل استرداد الحقوق المغتصبة ٠٠ مهما اقتضت هذه الدعوة على لغة بلادها
ان هذا الغرب المتعجرف لا يفهم الا لغة القوة ، ولا يسمع الا صوت
الاقوياء ٠٠ ولقد كان حسن البنا - رحمه الله - كثير التمثل ببيتين لمصطفى
صادق الراقعي وكثيرا ما كان يردد هما :

لو كل مزمار لهو عندنا خنث لنابه مدفع فنانه بشبح
اذن لكانت لنابيين الوري لغة متى تقل قولها في العالم استمعوا

لقد استطاع حسن البنا بلغته العربية وحدها ان ينشر دعوته في أرجاء
العالم الاسلامي ، وسالت انهر الصحف في أوروبا وأمريكا بالكتابة عن دعوته ،
وأرسلت هذه الصحف مندوبيها للحصول على أحاديث منه ، وعقدت المؤتمرات
بين أساطين السياسة الاوربيين والامريكيين لدراسة هذه الاحاديث
وتخصص الدارسون الاوروبيون والامريكيون في دراسة دعوته ، فحضروا
الى القاهرة وأقاموا بها شهورا ، وحصلوا بذلك على الدرجات العلمية العليا
في جامعاتهم ٠ ولا زالت دعوته هذا وضعتها في الجامعات الاجنبية ، كما أنها
صارت عنصرا أصيلا يحسب حسابه سياسة أوروبا وأمريكا وروسيا حين
يخططون لسياستهم في الشرقين العربي والاسلامي ٠٠ كل هذا قد تم دون أن
يحتاج حسن البنا الى التحدث بلغة غير لغته العربية ٠

ولقد أدى محمد صلى الله عليه وسلم رسالته التي قلبت موازين العالم
كله ، ولا زالت رسالته سارية حتى اليوم والى أن تقوم الساعة ٠٠ دون أن
يتحدث بغير لغته العربية ٠٠



حقا ٠٠ لقد كان حسن البنا لغز هذا الزمان وأعجوبته ٠٠ كان رجلا ٠٠
ولكنه كان أعلى من أهل زمانه فكرا ، وأوسع منهم أفقا ، وأرحب منهم أملا ٠٠
لا تستعصى عليه معضلة مهما بلغ تعقدها ، ولا تعجزه مشكلة مهما أظلمت
جوانبها ٠٠ كان أقوى شكيمة ، وأصلب عودا من أحداث الزمان ، فهي لا تقوى
على قهر نفسه مهما ادلهمت ظلماتها ، وأحاطت خطوبها ، وتفاقت مصائبها
٠٠ فهو كالشعلة مهما نكستها تصويت حتى تحرق اليد التي نكستها ،
وتنزل في مشعلة مصوبة ٠٠ انظر اليه حين يبدي شاعر الشبان المسلمين
محمود جبر اشفاقه عليه ، وتخوفه على حياته وقد تعاظمت الاحداث من حوله
وأحاطت به من كل جانب قبيل استشهاده بأيام فيرد عليه مبتسما ويقول :

انى لارنو الى الاحداث مبتسما والبحر حين يرى الاحداث يبتسم

وانظر اليه حين ساله وكيل قضاياه الدكتور عزيز فهمي الحامي - وكان

هو الآخر وطنيا من فلتات الايام - أين سلاحك ؟ فيجيبيه : السلاح أخفوه
والاخ الشفيق اعتقلوه . . فيبدي الدكتور عزيز جزعه وملعه وبالح ارتياحه
وكانه يقول له : وكيف تأمن على نفسك بعد هذا وتخرج من بيتك ؟ فيرد عليه
متمثلا بما تمثل به في مثل هذا الموقف الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه:

أى يومى من الموت أفر يوم لا يقدر أم يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهيه ومن المقدر لا يتجو الحذر

★ ★ ★

لقد حير حسن البنا أعداء الاسلام ، فلم يجدوا في دعوته ولا في شخصه
ولا في بنائه الذى شيده معمزا يعمزونه منه ، ولا ثغرة ينفذون منها ، فقرروا
في شأنه ما قرره عتاة كفار قريش في شأن صاحب الدعوة الاول صلى الله عليه
وسلم ، ولكن صاحب الدعوة الاول كان قد تكفل الله عز وجل له بقوله « والله
يعصمك من الناس » .

الباب الخامس

الدعوة في محبّ الرّايح

- الدعوة تنبت من جديد
- شبهة خطرة هالكرة
- عقبات من أولى القوة
- شبهة تثار حول المرشد العام الجديد

الفصل الاول

الدعوة تنبت من جديد

ظلت الدعوة بعد اغتيال الامام الشهيد عامين كاملين بغير مرشد عام . وهذه الفترة هي التي اخترنا لها عنوان هذا الباب ، لانها كانت فترة حرجية امتازت بسمات خاصة ، وكانت الدعوة في خلالها في مهب الرياح . وهذه الفترة هي التي كان أعداء الاسلام يعملون عليها في أن تنتهي بالاخوان الى التشتت والتناحر والزوال - فاذا تذكرنا خطتهم الاجرامية التي قدموها بين يدي هذه الفترة حكمنا - بحسب التقدير البشري - بنجاح تخطيطهم وبزوال الدعوة الاسلامية من الوجود - ولكن هذه الدعوة متصلة بالخالق الذي تكفل لها بالبقاء ، ولقد سبقنا كلمتنا لعبادنا المرسلين . انهم لهم المنصورون . وأن جندنا لهم الغالبون ، فانها خيبت آمال أعدائها ، وأفسدت عليهم حساباتهم وخلق الله لها من الاسباب ما لم يدر بخلدكم ولم يخطر ببالهم .



فوجيء المخططون بعد سقوط عبد الهادي بأن الدعوة اخذت تلم شعنها من جديد وكان شيئاً مما حدث لها لم يحدث وبدأت تزاوّل نشاطها بحيويتها انتى هي سمة من سماتها ، ولم يعد يختصها الا مرشد عام يقودها ، والا دورها التي اغتصبتها الحولة .

كانت هذه أول تجربة لهؤلاء المخططين الصغار ، ومن ورائهم اصحاب السرح - المخططون الكبار - الذين يباشرون دورهم - في عجلة الزمن الدائرة - في تخطيط العالم بالصورة التي يريدونه عليها . . . وهي صورة مشوهة المعالم كريمة النظر ، لان أسس تخطيطها أسس جشعة ذنيئة نابعة من الطامع والاستغلال . . والهدف منها هو اخضاع العالم تحت أقدامهم - ولعلهم بهتوا حين راوا الاخوان المسلمين بعد أن طحنوا في سجون الظلم ، وتحت كلال الارهاب ، يخرجون ويتجمعون ويعيدون الكرة دون تائف أو ضجر ، ودون ذكر لما أصابهم أو شكوى مما ألم بهم .

ولعل فشلهم هذا فيما خططوه جعلهم يعيدون النظر في هذه الخطط بحثاً عن مواطن الضعف فيها ليتلافوه فيما بعد .

وقد هيأت مجموعة القيادة المؤقتة في ذلك الوقت رابطتين يتجمع الاخوان حولهما هما :

رابطه الكلمة المسموعة ورابطه الكلمة المقروءة - واذا قلنا « هيات » فان في هذا القول بعض التجاوز ، لان التهيئة انما كانت في حقيقة امرها هداية من الله وتوفيقا ، لا تحدى كيف هيئت وكيف تمت « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم » :

□ رابطه الكلمة المسموعة :

كان الاخوان - المطلقو السراج منهم والمفرج عنهم من المعتقلات - في فترة الفراغ هذه دائبى البحث عن شئ، يجتمعون حوله ، ويكون بمثابة معلم يأتون اليه من كل صوب .. ولما كانت هذه الدعوة تحمل حيويقتها في نفسها ومعالمها هي جزء منها لا ينفصل عنها ، فان هذا المعلم الذى تطلع اليه هؤلاء الاخوان كان قريب المزال ، فان بيوت الله هي معالم هذه الدعوة لا تنفصل عنها ولا يحاول فصلها الا ظالم ، ولامر ما كان قوله تعالى « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ، أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين ، لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم » .. واذا كانت بيوت الله في كل مكان هي مشابهتهم .

ولو أن ماتعرض له الاخوان من القهر والارهاب تعرض له أصحاب الدعوات الاخرى ذات الافكار البشرية لزالوا من الوجود ، لان وجودهم مرهون بمكان يجمعهم ، فاذا زال المكان زالوا ، واذا طال عليهم الامد نسوا أنفسهم ونسيهم غيرهم .

ولما كانت القاهرة قلب البلاد ، فكان لابد من مشابهة في القاهرة . وما أكثر بيوت الله فيها .. لكن الثابتة التى يتطالع الاخوان اليها لا يكفى أن تكون بيتا من بيوت الله دون أن يكون فيها لسان رطب بذكر الله ، مردد لكلمات الله ، مناد بحكم الله ، حتى يؤدي هذا البيت دوره الذى يرتضيه صاحبه جل ذكره ... ولم يحرم الله دعوته من هذا اللسان الرطب ، وهذا الصوت الجمهورى ، فقد كان ممن أفرج عنهم أخ كريم وداعية واع مؤمن ، هو الاخ الاستاذ الشيخ أحمد الشرباصى ، الذى كان صдах الدعوة في مسجد المنيرة ، الذى صار كعبة الاخوان في القاهرة ، لا يفد اليه الاخوان من أنحاء القاهرة فحسب ، بل يفدون اليه من أنحاء القطر كله .

كانت صلاة الجمعة في هذا المسجد مؤتمرا اسلاميا جامعاً يحثى موات القلوب ، ويبعث في النفوس القوة والحياة . وكانت خطب الشرباصى شواظا من نار يلهب ظهور محترفي الاجرام من الحكام ويفضح جرائمهم .. حتى اذا قضيت الصلاة رايت الالوف من المسلمين يعانق بعضهم بعضا ، ويقبل بعضهم بعضا . ثم ترى الاخوة المسئولين في القاهرة يتعرفون احوال اخوانهم .

في الاقاليم من مندوبين يفسدون كل اسبوع لاداء صلاة الجمعة ، ولسماع الشيخ الشرباصى ، وللقاء اخوانهم الوافدين من الاقاليم الاخرى ، ثم لقاء الاخوة المسئولين في القاهرة ، وتبادل الانباء وتلقى التعليمات .

انه مسجد واحد ، وليس من أكبر مساجد القاهرة ولا أشهرها ، ولكنه كان في دعوة الاخوان المسلمين معلما من أعظم معالمها ، وقد أدى في خلال هذه الفترة دورا خطيرا . . . ولولا أن الطغمة الحاكمة كانت قد استغرقت جهدها كله حتى لم يبق منه شيء ، لاطبقت على هذا المسجد من كل جانب ، وبطشت بخطيبه وأغلقت بالشنع الاحمر . . . لانه كان غصة في خنقها ، وصداها مستمرا في رأسها ، وتحطيمها متجددا لاعصابها ، وعنوان فشل واخفاق لسياساتها وجهودها ، وبرهانا على خطأ نظرياتها وتصوراتها . . . كان البوليس السياسى يحيط بالمسجد ، ويحاول الاندساس بين المصلين . . . ولكن لان دعوة الاخوان أساسها التآخي ، والتآخي أساس التعارف ، فكل أخ يعرف اخوانه ، فكان رجال البوليس في هذا الوسط المتعارف مفضوحا أمرهم .

□ رابطة الكلمة المقروءة :

أما الكلمة المقروءة ففي الوقت الذي كانت تؤدي ذلك فيه مجلة « المباحث القضائية » التي استأجرها الاخوان لاصدارها في خلال هذه الفترة ، ورأس تحريرها الاخ الاستاذ صالح عشاوى وظلت تصدر من قول يونيو ١٩٥٠ حتى ٢٣ يناير ١٩٥١ - في هذا الوقت نفسه . . . تطوعت جريدة « منبر الشرق » للاستاذ على الغاياتي ان تكون لسان حال للاخوان ومعبرة عنهم في خلال هذه الفترة العصيبة . . . والاستاذ على الغاياتي مجاهد قديم من الرعيل الاول الذين فهموا معنى الوطنية - في بلد محتل - على أنها تضحية وفداء ، فلم يخلوا بشيء في سبيل بلادهم ، فواجه بقلمه الحر صنيعه المستعمر الجالس على العرش مواجهة ألقت به في غياهب السجن ، فكان بذلك من شباب الحزب الوطني الذين جعلوا لهذا الحزب في التاريخ ذكرا . وخرج على الغاياتي من مصر مطاردا وهو شاب ورجع اليها وهو شيخ . ويبدو أنه حين رجع الى مصر أخذ يبحث عن ميدان يواصل فيه جهاده فلم يجد الا رجالا وراء أسوار السجون والمعتقلات ديست كرامتهم بالنعال . . . ولكن بنعال من ؟ انها بنعال من قال فيهم المتنبي - كما قدمنا - :

واذا أنتك مغمى من ناقص فهي الشهادة لى بأنى كامل

كان الذين هم وراء الاسوار هم طالبته التي كان عليه ان ينتظرها ، حتى اذا لاح بصبح ضوء تلقاهم بالترحاب تلقى الحبيب لحبيب طال غيابه . .

وقد يجمع الله الشيتيتين بعد ما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا .

ووضع نفسه وجريدته في خدمة الدعوة المضطهدة المطاردة ، وهو يعلم أنه يراهن ماديا على الفرس الخاسرة ، فالاخوان أفقر الناس جيبا ، وابغضهم الى رجال المال والاعمال الذين كانوا اذ ذاك صنائع المستعمر . فمن أين لجريدة وضعت نفسها في خدمة هؤلاء المضطهدين أن تجد لنفسها ايرادا ؟ ومع ذلك رضى الرجل كل الرضا ، بل كان يحس بسعادة غامرة أن تحقق له - وأن كان في آخر أيامه - أمل طالما راوده الاشتياق اليه .

وقد أنشأ جريدته هذه « منبر الشرق » في جنيف عام ١٩٢٢ وخصصها « للدفاع عن الشعب الناهض » وجعل شعارها بيتين من قصيدة له كتبهما وجعلهما ملازمين لاسم الجريدة وهما :

باسم الكنانة باسم شعب ناهض لا باسم أحزاب ولا زعماء
كل يزيل وينقضى الا الحمى فـوديعه الآباء للابناء

لعبت «منبر الشرق» هذه دورا أساسيا في ربط الاخوان ببعضهم ببعض، وأبرزت صورتهم ، وأسمنت الرأي العام الداخلى والخارجى صوتهم . . . وأخذ « على الغاياتى » رحمه الله يدبج بقلمه مقالات ينتصف فيها للدعوة المظلومة من ظالميهها ، ويهاجم الظلم الحكومى والارهاب ، ولكن بأسلوب الرجل المؤمن الشائر المجرب الحريص على أن يظل هذا اللسان قائما بمهمة الدفاع عن الحق دون توقف ، راضيا بما يحيق به من خسائر مادية ، متغاضيا عما يوجه اليه من انذارات حكومية تتهدد جريدته وشخصه .

هذا وقد ظلت « منبر الشرق » بجانب « المباحث القضائية » هما الكلمة المقروءة للاخوان حتى أصبح الاخوان في ٣٠ يناير ١٩٥١ مجلة خاصة بهم هي « مجلة الدعوة » .

الجو السياسى خلال هذه الفترة :

وقعت جريمة حل الاخوان المسلمين وما سبقتها من مقدمات وما تلاها من مؤامرات في أثناء حملة حزب الوفد على الاخوان حملة وصفنا طرفا منها . وكان المتوقع أن يواصل الوفد حملته بعد أن أوقع بالاخوان . ولكن الذى حدث كان غير ذلك ، اذ أمسك الوفد عن مهاجمة الاخوان وتوقف عن حملته عليهم . ولست أدري ما الذى دفع الوفد الى اتخاذ هذا القرار . . . أهو النبل أم هو دافع آخر ؟ ولا زال الدافع الى ذلك سرا لا يعرفه الا الذين قرروا اتخاذه . . . ولكن الاخوان على كل حال حمدوا للوفد هذا الموقف أياما كان الدافع اليه . ولقد

كان لهذا الموقف أثره حين أجريت انتخابات عامة سنة ١٩٥٠ جاءت بالوفد الى الحكم .

□ لماذا غير الملك موقفه ؟

ولابد في هذا المقام من اثاره موضوع هام هو الانقلاب الذي انقلب عليه الملك على انصاره السعديين في ايام حكم زعيمهم ابراهيم عبد الهادي ، ثم تدرجه في اسناد الحكم الى اشخاص ممن يسمون بالمستقلين وان كانوا يدينون له بالولا، حتى انتهى في تدرجه الى الوفد . ما السر في هذا الانقلاب المفاجي ؟

أهو كشفه أن السعديين خونة ؟ أهو أمر جاءه على سبيل النصيحة من الإنجليز ؟ أهو اعتقاده أن الإخوان المسلمين - وقد صاروا من غير قيادة - أصبحوا جماعة لا يخشى بأسها ؟ أهو مراجعته نفسه حين فعل بالإخوان ما فعل ، واغتال مرشدهم - ثم رآهم بعد ذلك كله قوة منماسة ، لم يفل من قوتها كل ما فعل - وهو أقصى وأقصى ما يستطيع أن يفعل - فأراد التقرب اليهم ، ملصقا كل ما اتخذه ضدهم من إجراءات ظالمة بالسعديين الذين طردهم من الحكم شر طردة ، مدعيا أنهم خانوه بما فعلوا بالإخوان ؟

قد يكون السر واحدا من هذه الفروض أو هو خليط مما حوته هذه الفروض . ولكن الأرجح هو أن الفرضين الآخرين قد غره أولهما فتعلق به وظل متعلقا به حتى وجد نفسه بعد غير كثير من الزمن وجها لوجه أمام الفرض الأخير .

□ لماذا غير الوفد موقفه ؟

أما من ناحية الوفد نفسه فموقفه من الإخوان في هذه الفترة يستحق البحث والتحقيق . فهو بعد أن تولى الحكم نكث بوعوده للناخبين وجرب أسلوب التحدي مع الإخوان في صورة قانون تنظيم الجمعيات ، وأسلمته تجربته الى الفشل ، فنفذ هذا الأسلوب واخذ التقرب والتصالح .

فهل نسي الوفد أنه قبل سنتين كان قد أعلن الحرب على الإخوان، حربا لا هوادة فيها ، ولا ترعى الا ولا ذمة ؟ ما هذا التطور الذي طرأ على سياسة الوفد ازاء الإخوان ؟ ما هذه المهادنة ؟

صحيح أن فؤاد سراج الدين كان ينتهج سياسة تتسم بشيء من التجديد والبرونة ، كان هدفها أن يحتوى ما يستطيع احنائه من الاشخاص والحركات . واستطاع أن يحتوى فعلا بعض الهيئات التي كانت موجودة اذ ذاك في الحقل السياسي . فهل كان اتجاه سراج الدين نحو الإخوان المسلمين هو نفس الاتجاه وب نفس الهدف ؟ اذن يكون أشبه بالفار الذي

بحاول أن يبتلع قطا بل نمرا ٠٠ ومثل هذا لا يخطر ببال رجل عاقل مثل سراج الدين مهما اتسع أفق آماله ٠٠

ولكن الذى أرجحه هو أن سراج الدين كان واقفيا ، حين قيم الاخوان حق التقويم. غرأهم على حقيقتهم التى أثبتتها الاحداث - سلمها وحربها - ٠٠ وآهم هيئة ذات عقيدة فى قلوب معتنقيها أثبت من الجبال الرواسى ، وأن هذه الهيئة من القوة الذاتية بحيث لا تقهر ، وأن كسب ودها أنفع له ولحزبه من معاداتها وقطع الحبال بينه وبينها •

وكان الصراع الحزبى حافظا لجرائد الوفد أن تسيل أنهارها بالكتابة عن الاخوان وما لا قوه على يد السعديين من اضطهاد وتعذيب • وكانت المادة التى تعتمد عليها فى ذلك قضايا الاخوان التى كانت فى ذلك الوقت تعرض على القضاء. وتتكشف عن مخازى حكومة السعديين ٠٠ وقد أنشأ الوفد فى ذلك الوقت جريدة أسبوعية سماها « الجمهور المصرى » كان رئيس تحريرها أبو الخير نجيب ، وتكاد تكون هذه الجريدة قد خصصت لهذا الموضوع • وكان لها تأثير عميق فى نفوس الناس الذين كان محولا بينهم وبين معرفة الحقائق طيلة عام أو أكثر •

□ حيرة :

لست أذكرى حتى الآن هل كان حسن البنا - رحمه الله - مؤسس هذه الدعوة ومرشدها العام - يعتقد أن ستكون نهاية حياته فى هذه الدنيا على الصورة التى انتهت عليها ، وأن ستكون النهاية قريبة الى هذا الحد حيث انتقل الى جوار ربه ولما يبلغ الخامسة والاربعين ؟

انه كان كثير التبصير للاخوان فى مواقف كثيرة بما ينتظرهم من أوقات عصيبة يحال فيها بينه وبينهم ، وبأحوال سيخوضونها مع أهل الباطل • ويدعوهم الى الصبر والثبات حيث العاقبة لهم ٠٠ ولكن ذلك التبصير والحيلولة بينه وبينهم ٠٠ هل كان يتصورها على الصورة التى تمت بها ، حيث صارت حيلولة مفاجئة ليست كحيلولة السجن والاعتقال ؟

ان ثقة حسن البنا فى الله كانت ثقة لا حدود لها • فلم يكن يهاب الموت ولا يرهبه • وقد كانت لى معه تجربة فى هذا الصدد فى أوائل أيامنا بالدعوة أشرت إليها فى الجزء السابق ، وقد أذهلتنى هذه التجربة لاننى لم أكن أتصور انسانا يستهين بالموت كما رأيته يستهين به ويقدم عليه ٠٠ ولكن هل معنى هذا أنه كان يتوقع أن تكون نهاية حياته على الصورة التى انتهت بها؟ •

لا أعتقد ٠٠ : لانه لو توقع ذلك لاعد للاخوان ما يعينهم على اختيار من يخلفه ٠٠ وهو الانسان الذى يخطط للمستقبل - بالهام من الله وتسديد -

كما يخطط للحاضر الذي بين يديه ٠٠ ولا تجد في تخطيطه ثلثة تنفذ منها الى خطأ ، ولا تشعر على خطوة أخرها يتبين أن الخير كان في تقديمها ، ولا على خطوة قدمها يتبين أن الخير كان في تأخيرها ، فهو المسدد دائما كما جاء في قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا » ٠

فمثله لو أنه توقع لخطط للاستخلاف ، أو على الأقل لآثار لمن بعده الطريق ٠٠ فاذا أضفت الى ذلك كله شدة حرصه على دعوته ، فهي عنده أثر من أبنائه وأحب وأقرب ٠٠ والمرء حين يتوقع النهاية يوصي أبنائه أو يوصي بأبنائه ٠٠ ولو أنه - رضى الله عنه - توقع لاوصي أبنائه في الله ولاوصي بهم ولكنه - رحمه الله وعوض العالم فيه خيرا - مع ما كان يعرفه عن أعداء الدعوة من سوء الخلق وموت الضمير ، فانه لم يكن يجردهم من الانسانية أو يضعهم في مصافه الوحوش المكاسرة ، بل كان دائم الامل في أن يستطيع في يوم من الايام أن يحرك بقية من انسانية في نفوسهم لعلها تروظ ضمائرهم فيستجيبوا الى ما ينفعهم ٠٠٠ وقد جرب نفسه مع كثيرين من كبار الاشقياء وعناة المجرمين فاستطاع بفضل الله أن ينقلهم من حضيض الضلال الى سماء الهدى والنور ، وأن يجعل منهم أبطلا يحمون ذمار الحق ، وأئمة يهدون بأمر الله ٠

ما كان يغيب عنه رحمه الله أن تكون نهايته كنهاية سابقيه من أصحاب الدعوات أمثال ابن تيمية والافغانى ، وكثيرا ما كان يردد ذكرهم ويذكر نهايتهم وهو سعيد بهذه الشهادة التي هي أمل كل مؤمن ٠٠ ولكن النهاية التي انتهت بها حياة هؤلاء الرجال لم تكن كالنهاية التي انتهت بها حياته ٠٠٠ كان يتصور أن يعتقل وأن يسجن وأن يطول اعتقاله وسجنه ، ويتصور أن تلق له تهمة ليتخلص منه فيقدم الى القضاء ، ويؤتى بشهود الزور ويحكم عليه بالاعدام ٠٠ كل هذا كان يتصوره وكان يتوقعه ٠٠ ولكن هذا كله وأعنف منه لم يكن ليحول بينه وبين أن يستخلف أو يشير بشئ يعين على اختيار من يخلفه ٠٠ لم يكن الرجل يحسن الظن بخصوم الاسلام ، ولا يهون من كيدهم ومكرهم ، ولكنه كان يعتقد مع ذلك أن ستكون لديه الفرصة الكافية لوصية تنير الطريق ٠

لكن النهاية جاءت مخلفة كل ظن ، مناقضة لكل تصور ، مباغطة للعقل والنطق والقياس والنظر بل والخيال أيضا ٠٠ لم تكن لها سابقة تقاس عليها ، ولم يحدثنا التاريخ عن مثيل لها حتى كنا ادخلناها في خيالنا ، ولكنها كانت نسيج وحدها ، وأعجوبة زمانها بل وزمان غيرها ٠٠٠ ولا ننكر أن الظلم كان موجودا في كل زمان وكل مكان ، وأن الطغاة والظالمين لم يخل منهم زمان ولا مكان ٠ ولكن هؤلاء كانوا اذا ارتكبوا جريمة القتل ضد أعدائهم

ارتكبوها جهرا وعلانية ، كما كان يفعل الحجاج بن يوسف الثقفي ، أو كانوا يستغلون القضاء ، أو أن يسجنوا عدوهم حتى يموت في السجن مثلا
أما أن تقوم الحكومة بجميع سلطاتها بدور المتآمر الذي يبيت الجريمة في خفاء ، ويحاول الاستخفاء في الظلام ، وتقتل عدوها الاعزل غيلة وقد أعطته الامان . . فهذا ما ليس له في التاريخ مثيل ، وهذا عار قد يأباه حتى الطغاة المستبدون .

على أي حال . . فان الجريمة وقعت . . وكان خروجها عن المؤلف ، ويعدها عن تصور العقل وتخيل الخيال حائلا بين الرجل وبين أن يعين من بعده فيما كان هو بغير شك حريصا على اعانتهم فيه . . وهذا هو ما جعلهم في حيرة من أمرهم .

□ قيادة مؤقتة :

كان التصرف الطبيعي وقد غاب قائد الدعوة أن تتصدى لقيادتها المؤسسات التي كانت تعاونه في القيادة وهي مكتب الارشاد والهيئة التأسيسية . . ولما كان أكثر أعضاء هاتين المؤسستين في المعتقلات ، فقد تولى هذه المهمة الأعضاء الذين أطلق سراحهم ، ثم صار ينضم اليهم من يطلق سراحه . . وقد باشر هذه المهمة منهم الأعضاء المقيمون في القاهرة خير قيام ، وكانوا يتخفون من منزل الاخ الكريم الاستاذ منير الدلة مكانا لاجتماعاتهم . . وينبغي أن نشير هنا الى الدور الذي أداه الاخ الاستاذ الشيخ أحمد حسن الباقوري الذي كان عضوا بمكتب الارشاد العام ، والذي كان الاستاذ الامام رحمه الله يخصه بكثير من الحب مع ما كان يعرف من سطحاته . . كانت ظروف الباقوري - التي أشرت من قبل الى طرف منها - قد أعفته من أن يمتثل أو أن يحجر على حريته ، وكان ذلك نافعا للدعوة في هذه الظروف العصبية .

فهذه قيادة الدعوة في خلال تلك الفترة كانت مجموعة من الشباب ، متقاربة السن ، متقاربة الثقافة ، متقاربة المنزلة الاجتماعية ، ليس لها من الخيرة نصيب ذوبال اذا قيس بما كان لقائدهم منها . . وقد ترك القائد الدعوة وهي في أخرج مواقفها . . في موقف لا تحسد عليه ، أخطاء من داخلها . أعطت لاعدائها سلاحا بقارا أعمدوه في ظهرها ، وأحقاد من حكام هذا البلد استغلها من الخارج دول كانت تتربص بهذه الدعوة الدوائر .

وقد استطاعت هذه القوى الداخلية والخارجية أن تشوه وجه الدعوة امام الرأي العام الداخلي والخارجي . . وهذا أسلوب أخطر على الدعوة من أسلوب القتل والاعتقال والسجن والتشريد . . وهو ما سوف نتناوله بالحديث والمناقشة في فصل قادم ان شاء الله .

تياران :

إذا كانت الدعوة الإسلامية بعد قائدها الأول صلى الله عليه وسلم - مع أنه قيل اختياره الرفيق الأعلى قد أثار إن بعده الطريق إلى حد ما - قد تعرضت لتيارات متناقضة متعارضة كادت تعصف بها ولولا لطف الله وحصافة أبي بكر وعمر ومع أيما كان لا يزال غضا يعمر القلوب . . . كان هذا والناس بعد قريبو عهد بالوحي ينزل بينهم . . . فما بالك بالدعوة نفسها بعد ثلاثة عشر قرنا ، وقد حالت الظروف دون أن ينير قائلهم لهم الطريق لاستخلاف من يلي الأمر فيهم ؟ . . . انهم لعذرون إذا اختلفوا وتضاربت آراؤهم ، وتوزعتهم الآراء والاتجاهات . . . ولكنهم مع ذلك قد عصمهم الله ، وربط على قلوبهم ، فلم يطف على سطح هذا الخضم المتلاطم الا التياران اللذان انتابا الدعوة الاولى .

□ التيار الاول - أولو القربى :

أول ما يتبادر إلى أذهان الناس عادة أن أحق الناس بخلافه قائد دعوة ما بعد وفاته هم أهله وعشيرته . . . وقد يكون الأهل والعشيرة أشد الناس إيمانا بهذه النظرية باعتبارها حقا شرعيا كالميراث الشرعى في المال ، لا سيما إذا كان منهم من كان في طليعة العاملين في الدعوة ومن ذوى السابقة والبلاء فيها . . . وإذا ما أخطأهم الاختيار وأسند الأمر إلى غيرهم اعتبروا ذلك هضما لحقوقهم وتخطيا لرقابهم .

وكان من أكرم العاملين في دعوة الإخوان وذوى السبق والبلاء فيها اثنتان من أهل الاستاذ الامام رحمه الله وعشيرته : هما الإخوان عبد الرحمن الساعاتى (البنا) وعبد الحكيم عابدين - الاول شقيقه والآخر زوج شقيقته أما عبد الحكيم عابدين - بما يغلب عليه دائما من صبغة صوفية نشأ في أحضانها منذ صغره - فقد كان عازما عن ذلك وأعلن أنه لا يؤمن بهذه النظرية من حق ذوى القربى . . . وأما الاستاذ عبد الرحمن الساعاتى - بما كان يغلب عليه من تشيع لأهل البيت رضوان الله عليهم ومن مقالة في هذا التشيع - فإنه رأى نفسه ورآه أشقاؤه وبعض أهله وعشيرته أحق الناس بمكان أخيه وشقيقه في الدعوة . . . ومع أن الاستاذ عبد الرحمن كان يرى هذا الرأي ويعلمه فإنه لم يرفع راية العصيان في وجه الجماعة حين رأت غيب رأيه . . . وإن كان بعض من لا دور لهم في الدعوة قد شغبوا فلم يجدوا إلنا واحدة صاغية .

□ التيار الآخر - أولو القوة :

ولم يكن بروز هذه الفئة من رجال الدعوة في المطالبة بهذا المنصب بدعا ، فقد وقف أمثالهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يطالبون بأن تكون

الخلافة فيهم ٠٠ والانصار في الرعيل الاول من الدعوة الاسلامية انما هم
الفئة التي بايعت على حماية الدعوة وحماية صاحبها بالسيف من أي اعتداء
عليها ٠٠ وقد كان اخواننا العاملون في - النظام الخاص ، في دعوة الاخوان
يرون أنفسهم يمثلون فريق الانصار رضوان الله عليهم في الرعيل الاول ٠٠
ولذا فقد رأوا أنفسهم أحق الناس بأن يكون صاحب هذا المنصب بقرشيهم ٠

وقد رجع الانصار بعد قليل الى ايمانهم ، واقتنعوا بأن دعاءهم هذا
الحق هو نوع من النكوص في بيعتهم التي لم تكن الدنيا ولا المناصب غايتها
ولا هدفها ، فنزلوا - راضين - على ما استقر عليه رأى المسلمين في اختيار
أبي بكر رضى الله عنه وسمعوا له وأطاعوا ٠٠٠ أما اخواننا هؤلاء فقد اتخذوا
موقفا نتناول الحديث عنه بعد قليل ان شاء الله ٠

الفصل الثانى

شبهة خطيرة مأكرة

يتشعب التخطيط الدولى فى حبك المؤامرات تشعبا عجيبا ، فبينما يهيب^٥ أسبابا للايقاع بين الهيئة التى يتأمر عليها وبين حكومة بلدها فتضربها الحكومة بكل قوتها لتشتت شملها وتضعف قوتها ، مما قد يرضى أعداءها من بين فئات الشعب - يتجه التخطيط فى الوقت نفسه الى محبى هذه الهيئة والمتعاطفين معها من بين فئات الشعب فيلقون بذور الشك فى نفوسهم تجاه الهيئة بأسلوب يحار اللب فيه ، ويدل على براعة أولئك المخططين ، وعمق تفكيرهم ، وواسع درايتهم بالخصائص النفسية للامم التى يخططون لها .

وإذا كان الايقاع بين الاخوان وبين الحكومة قد أسفر عن توضيحات وخسائر لمسها القارىء فى سياق الابواب والفصول السابقة ، فان اصلاح ما أفسده الايقاع أمر يسير متدارك تكفلت به أحكام القضاء - أما اللقاء بذور الشك فى نفوس محبى الاخوان والمتعاطفين معهم بالاسلوب البارع الذى يتسرب الى النفوس دون أن تشعر كيف تسرب اليها ، بحيث يجدون أنفسهم وقد تغيرت نظرتهم الى الاخوان المسلمين ، فبعد أن كانوا سعداء بهم ، مناخرين بقيادتهم ، مباركين خطواتهم . . اذا بهم وقد صاروا منشككين فى توفيق قيادتهم ، مرتابين فى أهدافهم ، معترضين على تصرفاتهم

ان الاسلوب الذى بث به التخطيط الدولى الشك فى نفوس صالحى المسلمين فى كل بقاع الارض ، لم يتعرض لدعوة الاخوان المسلمين بذم ، ولم يفتقص من قيمة الاخوان وتفانيهم وشجاعتهم ، ولكنه يقرر - أسفا حزينا متحسرا على هذه الهيئة العظيمة - أن قيادة الاخوان قد تسرعت فى خطاها أخيرا اذ تعجلت قطف الثمرة قبل تمام نضجها، بتدخلها فى السياسة . . فحدث لها مع الحكومة ما يحدث لكل متعجل . ولو أنها صبرت وتركبت السياسة فى ذلك الوقت لاربابها لما حدث لها ما حدث .

ونجح هذا الاسلوب أيما نجاح ، وغزا العقول والنفوس والقلوب ، فكنت لا تسمع من اقرب الناس للاخوان الا هذه النغمة من العتب الشديد ، واللوم اللاذع ، والتقريع العنيف . . لماذا تسرعتم ؟ . . لماذا تعجلتم ؟ . . لقد اضعتم الدعوة وقضيتم عليها بهذا التسرع . . .

ما كدنا نَحْرِجَ مَنْ مَحَنَّا التي عصرتنا عامين كاملين حتى فوجئنا بأهلينا وأصدقائنا باستقبال حافل باللوم والتقريع ، فكان هذا الاستقبال أشد على نفوسنا مِنْ كُلِّ مَا لَقِينَا فِي مَحَنَّنَا .

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

وخطورة هذا الأسلوب أنه أفقدك ثقة الناس فيك . وأنتك مضطر - لكى تمتعبد ثقتهم - الى أن تبدأ محاولات لاقتناعهم من جديد . . . وقد يكون اقتناع خلاة الازهان أيسر من اقتناع أمثال هؤلاء . . . ولهذا فقد كان نجاح المتأمرين فى بث الشك فى النفوس عقبة كاداء أماننا - نحن دعاة الإخوان - فى تلك الفترة الحرجة ، وكان علينا أن نذلها قبل كل شئ حتى نسوى الطريق بين يدى الدعوة لتنتقل فيه الى سابق مسارها .

ولا شك فى أن محاولة اخراج شعب من أمية فى شئون الحياة ، وتبصيره بما يدبر له ، أمر من أشق الأمور ، فإذا كانت هناك عوامل قوية دائبة النشاط ، مهمتها أن تعمل على إحباط هذه المحاولة - فإن نجاح المحاولة يحتاج الى أضعاف الوقت وأضعاف الجهد . وقلما تصل المحاولة الى نهايتها إلا اذا كان المحاول مستميتا لا يجد اليأس الى نفسه سبيلا .

وكان هذا هو حال الإخوان مع هذا الشعب المسكين الذى طال رقادهم ، وطال أمد تشربه أفاويق الخداع والتضليل ، فبات وعلى بصره أسداف من الغشاوات ، كلما رفع الإخوان غشاوة وجدوا تحتها أخرى ، فلما صاروا قاي قوسين أو أدنى من كشفها جميعا ، أطفأ حكام مصر الأنوار ، وتركوا الشعب يعيش فى ظلام دامس ، فهو يسمع ولا يرى - وببكميم أفواه الإخوان بالقبائهم خلفه الاسوار لم يعد الشعب يسمع الا نعيق هؤلاء الحكام ، وما زيفوه عليه من أنباء ، وما قلوبهم من حقائق ، وملأوا به سمعه من أكاذيب ومفتريات .

سنة كاملة اعتقلت خلالها اللسنة ، وألجمت الأفواه ، وحطمت الأقلام . ولم يعد الشعب المصرى والعربى والاسلامى فى أنحاء العالم يسمع أو يقرب إلا تهما تختلق ، وأكاذيب تنمق ، حتى شك المؤمنون فى إيمانهم ، وارتاب الناس فى أقرب الاقربين اليهم . وسرت موجة الشك هذه فى أوساط الأمة الاسلامية ، فاخذت تعيد النظر فى تقييم الإخوان ودعوتهم ومدى التزامهم بأهداف الدعوة ومسائلها على ضوء الشكوك والريب التى تسربت الى نفوسهم .

صار أقرب الناس الى الإخوان يعتقدون أن الإخوان قد اعتسفوا الطريق ، وتسرعوا فخرجوا عن الجادة . وعزوا ما ووجه به الإخوان من ظلم وقهر وأذى الى أنه جزء وفاق للتسرع والتعجل .

وإذا سألت أحد المعترضين عما يراه خروجاً من الإخوان عن جادة دعوتهم لاجبك قائلًا : انهم تدخلوا في السياسة • فإذا سألته : إذن فماذا كنت تريد منهم أن يفعلوا ؟ قال : كان عليهم أن يكتفوا بالدعوة إلى العبادات والأخلاق •• وأن يرجئوا ما سوى ذلك إلى وقت آخر •••• فإذا ما سألته : ومتى يأتي هذا الوقت الآخر ؟ أرتج عليه واعتصم بالصمت لأنه قد وصل إلى طريق مسدود ••

□ دحض هذه الشبهة :

ولما كانت هذه الشبهة المضلة مما تتعرض له الدعوة على مر الأيام حين تصطدم مع هوى الحاكمين ، فقد رأينا أن نتصدى لها تصدياً فكرياً مستمدين أسلحة هذا التصدى من صميم الفكرة الإسلامية ومن واقع الحياة العامة التي تعمل فيها هذه الفكرة باعتبارها دعوة ، فنقول :

أولاً - ان الإخوان منذ اليوم الأول لقيام دعوتهم كانوا يقدمون دعوتهم للناس • ويحرصون على إبراز معنى شمول الإسلام لكل نواحي الحياة من عبادية واجتماعية واقتصادية وسياسية ، وان الإسلام دين ودولة •• وإبراز هذا المعنى الشمولي للإسلام كان هو الدافع الوحيد لقيام حسن البنا بالدعوة •• والأفما كان هناك ما يدعو لقيامه ، فقد كانت مصر وغيرها من الدول الإسلامية تعج بالجمعيات والهيئات التي تدعو إلى الإسلام ولكن بمعناه المجتزأ •• وتحت يدنا مطبوعات كنا نوزعها على طلبة الجامعة في عام ١٩٣٦ تدعو بأصرح عبارة إلى نفسه ما كان يدعو إليه الإخوان في أعوام ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ •

ثانياً - ان الإخوان يوم قرروا النهوض بأعباء الدعوة إلى الإسلام بمعناه الشامل كانوا يعرفون ان إبراز الإسلام بمعناه الشامل لن يرضى المستعمر ولا تابعيه من الحكام لان ذلك سيحد من سلطتهم ويقتضى على أطماعهم ••

ثالثاً - ان حسن البنا لتيقنه من ذلك كان حريصاً على أن يطمئن هؤلاء الحكام بين الفينة والفينة وفي مختلف المواقف إلى ان الإخوان ليسوا طلاب حكم ، ولكنهم أصحاب فكرة ، يقدمونها إلى الحكام المقتسبين إلى الإسلام ليحكموا على أساسها ، وسيكون الإخوان في هذه الحالة في ركابهم •• وعلى حد قوله « يتسلون على أيديهم » •• وقد وصل في حرصه على طمأننة الحكام إلى ذلك أن أعلن في المؤتمر السادس - وكان الإخوان في أوج قوتهم ان الإخوان ليسوا أعداء الملك ، وانما هم أصحاب دعوة ، في الحكم بها انقاذ البلاد وصلاح العباد •• يتقدمون إليه بها لتكون دستور الحكم •• واستشهد

رحمه الله في ذلك بقول الامام مالك بن أنس : لو كانت في دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان فانه اذا صلح صلح بصلاحه خالق كثير .

رابعا - ان الاخران حين اعلنوا شمول دعوتهم من اول يوم حتى وخر يوم لم ينقصوا من شمولها شيئا ولم يزيديا عليه شيئا . . . الا ان صوتهم في هذا الاعلان كان متناسبا في درجة اسماعه للآخرين مع ما وصلوا اليه من قوة ، فليس صوتهم في الاسماع وهم مئات كصوتهم وهم الالف ، وليس صوتهم وهم الالف كصوتهم وهم عشرات الالوف ، وليس صوتهم وهم عشرات الالوف كصوتهم وهم مئات الالوف وهكذا . . . وكلما ازداد صوت التحذير قوة صار أشد ازعاجا للصوص وهم يسرقون في هدأة الليل وسكون الظلام . . . وقد يدعوا هذا اللصوص الى انتضاء السلاح . . . واذا بلغ بهم الازعاج كل مبلغ تركوا المتاع الذي يسرقونه وتفرغوا أولا للقضاء على مصدر الازعاج ليباشروا بعد ذلك سرقاتهم في امان واطمئنان . . . مع علمهم بان هذا المصدر لا يهدف من وراء ازعاجهم الى فوزه بنصيب عما يسرقون - وقد كان يسعدهم ان يشركوه معهم لو كان في اشراكه ما يقنعه ويوقفه عن الازعاج - ولكنهم تيقنوا من أن هدفه الوحيد من وراء الازعاج هو ايقاظ أصحاب المتاع للحيولة دون سرقة متاعهم .

هل كان امام الاخوان مندوحة تعفيهم من المسئولية امام الله والناس والتاريخ اذا هم تعاملوا عما يرون ، وأدعوا الصمم عما يسمعون ، وسكتوا لتقم السرقة تحت سمعهم وبصرهم . . . ان أيسر الطرق امامهم كانت هي هذه الطريق ، أن يسكتوا . . . ولكن ليست أيسر الطرق دائما هي الطريق القويم . . . نعم لقد أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما مالم يكن اثما . . . ولكن ليس السكوت في هذه الحالة اثما ؟ . . . انه اثم كبير لا حدود لكبره . . .

ثم اين تجد هذه الآية الكريمة من يحققها في مثل هذه الحال حين يقول الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » اذا لم يلجأ الاخوان وهم الذين قاموا من اول يوم يدعون الناس الى تحقيق هذا الامر الالهى ؟ . . . احين يجد الجد ، ويصبح السكوت اعدارا لحقوق الشعب في الحرية والاسنقلال . . . ينكصون على أعقابهم ، ويعتصمون بالصمت ، ويلجأون في تبرير نكوصهم الى أذليل يغشون بها الناس ، فيحق عليهم قول الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ، ؟ !

خامسا - ان الاستاذ لامام - رحمه الله - كان اعرف الناس كيف

بضع الشيء في موضعه أو كما يقولون « يضح الهناء مواضع النقب » ، لم يكن رحمه الله ممن يرمون بالتسرع في أية مرحلة من مراحل الدعوة ، بل إنه كان لشدة توخيه الاناة ، ولشدة حرصه على أن يقدر لرجله قبل الخطو موضعها - كان منافسوه يرمونه بإيثار العافية ، وقد اشرنا الى طرفه من ذلك في الحديث عن « الاخوان ومصر الفتاة » وفي الحديث عن بعض مواقفه مع حزب الاحرار الدستوريين وحزب الوفد .

وما كانت « الفتنة الاولى » التي افضنا في الحديث عنها في الجزء الاول من هذا الكتاب ، والتي كادت تستاصل الدعوة من جذورها ، وفقدت الدعوة من جرائها عددا كبيرا من اكرم الاخوان . ما كانت الا احتجاجا على التباطؤ في خطوات الدعوة والتقاعد - في عرفهم - عن العمل الجريء الشجاع الذي كانوا يصرون عليه . ولقد أشاد الاستاذ الامام الى ذلك وقرر استمساكه بهذا الاسلوب مهما رمى بالضعف والتخاذل ، ومهما خرج عليه الخارجون . فقال في المؤتمر الخامس الذي عقد بعد هذه الفتنة بأكثر من سنتين « أيها الاخوان المسلمون وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم : اسمعوا مني كلمة داوية من فوق هذا المنبر في مؤتمركم هذا الجامع - ان طريقكم هذا مرسومة خطواته ، موضوعة حدوده ، ولست مخالفنا هذه الحدود التي اقتنعت كل الاقتناع بأنها اسلم طريق للوصول . . . أجل . . . قد تكون طريقا طويلة ، ولكن ليس هناك غيرها - وانما تظهر الرجولة بالصبر والثابرة والجِد والعمل الدائب . فمن اراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فليست معه في ذلك بحال . وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة الى غيرها من الدعوات - ومن صبر معي حتى تنمو البذرة ، وتنبت الشجرة ، ونصلح الثمرة ، ريحين القطاف فأجره في ذلك على الله ، ولن يفوتنا وايه أجر المحسنين : اما النصر والسيادة واما الشهادة والسعادة » .

افمثل هذا الرجل يرمى أخيرا بالتسرع الذي هو ليس من طبيعته ، وليس من دأبه ، بل ويتعارض مع ما جبل عليه من الاناة والحرص والحذر والمرونة وبعد النظر وحسن التقدير .

ولكن ماخذب الحمل اذا كان الذئب قد قرر اقتراسه فادعى انه عكر عليه ماء البحر الذي لا يعكره ألف حمل . . .

سادسا - لقد كان حسن البنا - رحمه الله - أبخل الناس بدم الاخوان ووقتهم وفي مواقف كثيرة كان يتصرف فيها تصرفا يصادم عواطف الاخوان ، حيث كانوا يرون في انفسهم القوة الكافية لقهر الموقف . . . ومنح ذلك يروونه بتفاداه . . . وكان يشرح لهم خطته التي تتلخص في انه اضن الناس بقطرة من

دم الاخوان أو بدقيقة من وقتهم مالم يكن ذلك امرا لا مفر منه . . لكن ما دام امامه مندوحة لتفادي ذلك فسيتفادها مهما رمى بالضعف والمسالمة . . فهل انسان كهذا يرمى بالتسرع وتعجل النتائج ؟

سابعاً - كان من المأثور عنه في خطبه العامة وفي دروسه الخاصة انه كان يقول : نحن الاخوان ليس هدفنا نصرة الاسلام ، وانما هدفنا الحصول على رضا الله عز وجل . ولولا أن الحصول على رضا الله عز وجل هو في نصرة الاسلام لما عملنا على نصرته .

انسان هذه عقيدته وهذا هدفه ، عقيدة وهدف استبعدا كل ما يحجب صاحبهما عن وجه ربه ، من بريق لحلاوة النصر أو تطلع الى العلو في الارض فهو لا يرى دائما الا وجه ربه الكريم . . . ومن علامات اعتصام انسان بمثل هذه العقيدة أنك تراه مهما واقتته الظروف ، وأفسحت له الايام من سعتها ، ثابتا على ما ألزم به نفسه من أول يوم من عيشة الكفاف ، والبعد عن الرفاهية والمتع . . . وهذا الرجل كان يعيش في آخر عهده بالحياة الدنيا - وقد صار أتباعه بمئات الالوف ، وصار اسمه تهتز له العروش ، وصار يجري بين يديه مئات الالوف من الجنيهاات - نفس عيشة الكفاف التي كان يعيشها وهو شاب مجهول لا يعرفه أحد ، ولا يجري بين يديه الا اثنا عشر جنيها هي مرتبه في الشهر .

ولو كان الرجل يميل الى الاستمتاع بالمال أو يتشوف الى الاستئثار بالسلطة لكان امامه مندوحة ، فكل ذلك كان متاحا له ماثم يكن متاحا لرئيس حكومة ولا لملك . . ولكنه رحمه الله كان يؤثر عيشة الكفاف ، ويزهد في السلطة ، ويرى سعادته في الجلوس بين اخوانه على الارض ، يؤاكلهم اخشن الطعام ، ويلبس اخشن الثياب وارخصها ثمنا ، ويبادلهم الرأي كأحدهم ، ولا يحملهم على رايه بل يحاول اقناعهم بالحجة والبرهان - مع انه لو أمر لسارع الجميع الى طاعته ، ولكن شهوة الحكم والتسلط لم يكن لها في نفسه مكان . .

وكان اذا سافر من بلد الى آخر ركب في الدرجة الثالثة من القطار ، مع أن الذين ينتظرونه على محطة الوصول أكثر عددا ممن ينتظرون رئيس حكومة ، والذين يودعونهم عند العودة مثل مستقبلييه عددا . والكل مدفوع الى ذلك - لا خوفا من بطش ولا أملا في غنم - بل حب وتفان وأخلاص وإيمان .

فهل مثل هذا الانسان يرمى بالتهالك على مظاهر الحكم والتعجل في الجرى وراء المغام ؟ !

□ من واقع الاحداث :

قد تكون النقاط السبع الماضية التي ناقشنا فيها هذه الشبهة الزائفة تجنح المناقشة في أكثرها الى الناحية النظرية ، مما يتصل بطبيعة الفكرة وخصال الداعية الذي كان يقود مسيرتها ويرتاد لها الطريق . ونرى أن اتمام المناقشة يقتضى أن نشفع ذلك باستنتاج الاحداث البارزة التي شغلت أكثر الوقت من الفترة التي هي موضع العتب ، ومحل اللوم ، ومثار انشبهه ، ومبعث الاقاويل .

ومع أن هذه الاحداث قد ناقشناها من قبل في مواضعها على أوسع نطاق فاننا هنا وفي هذا السياق نجمل مناقشتها على ضوء الشبهة المفتراة فنقول :

□ المواقف التي ابرزت الاخوان في المجتمع الدولي :

يمكن اجمال المواقف التي ابرزت الاخوان في المجتمع الدولي في هذه الفترة في ثلاثة مواقف :

- (أ) موقفهم من ثورة اليمن .
- (ب) موقفهم من حرب فلسطين .
- (ج) موقفهم من تطورات الاحداث في مصر .

□ موقف الاخوان من ثورة اليمن :

لأنرى داعيا لاعادة القول في اليمن وطريقة حكم الامام يحيى فيه والحياة التي كان يعيشها الشعب اليمني التي جعلت كتاب الغرب الذين زاروا اليمن في ذلك الوقت يقولون ان اليمن يعيش في عهد ما قبل الثورة فهل اذا قام احرار من مثقفي أهل اليمن بثورة على هذه الاوضاع التي يأبأها الاسلام ، وتنفر منها الانسانية - وقد بايع الشعب هؤلاء المثقفين - واستقاث هؤلاء المثقفون بالاخوان باعتبارهم الهيئة الاسلامية المستنيرة التي تدعو الى الحكم الاسلامي الصحيح ، يطلبون منها معاونتهم في ارساء حكم اسلامي في بلادهم - وهم حكومة بيدهم مقاليد الامور - فهل يتنكر الاخوان لدعوتهم ويتقاعسون عن اعانتهم وهم اقدر الناس على هذه الاعانة وهم لم يطلبوا من الاخوان جيشا ولا أسلحة وانما طلبوا منهم تأييدا معنويا ، ومعاونة بالرأى في تدبير الامور على أساس من النظام الاسلامي ؟

وينبغي هنا أن يتذكر القارئ ما جاء في ختام رسالة « نحو النور » التي بعث بها الاخوان في عام ١٩٣٧ الى حكام الدول الاسلامية وأصحاب الراى فيها اذ يقول الاخوان « وبعد . . . فهذه رسالة الاخوان المسلمين نقدم بها ، وانا لنضع انفسنا ومواهبنا وكل ما نملك تحت تصرف اية هيئة او حكومة

تريد أن تخطو بأمة اسلامية نحو الرقى والتقدم ، نجيب النداء ، ونكون
الفداء . ونرجو أن نكون قد أدينا بذلك أمانتنا وقلنا كلمتنا . والدين النصيحة
ﷺ ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وحسبنا الله ونعم الوكيل .

لقد كان الاخوان مخيرين بين أمرين لا ثالث لهما ، إما أن يستجيبوا
لطلبهم ، وفي ذلك ارضاء لله ورسوله وانقاذ لشعب مسلم مغلوب على أمره ،
وفي ذلك أيضا تجاوب مع دعوتهم وصديق لما عاهدوا الله عليه . واغاثة
الملهوف هي أدنى ما يطلب من المسلم للمسلم بل من المسلم لاي ملهوف .
هذا لانقاذ فرد فما بالك اذا كانت الاغاثة لانقاذ شعب بأسره ؟ . . .
واما أن يقعدوا عن اجابة طلبهم ، ويتخاذلوا عن اغاثتهم - كما فعلت الجامعة
العربية والمسيطرون عليها في ذلك الوقت - فيسكون في ذلك ما يثبت للناس
وللاخوان أنفسهم أنهم كانوا كاذبين في ادعائهم حمل لواء الدعوة الاسلامية .

ولو أنهم فعلوا ذلك لفقد الناس ثقتهم فيهم ، ولفقد الاخوان ثقتهم في
أنفسهم ، وقضوا بذلك على الدعوة الاسلامية بتقاعسها عن اجابة أول نداء
وجه اليها وفشلها في أول تجربة تعرضت لها . والقضاء الحقيقي على أية
فكرة أو دعوة - كما قدمنا - هو القضاء عليها في نفوس الناس . وكل
الخطوب تهون أمام هذا الخطب .

□ موقف الاخوان من حرب فلسطين :

وقد لا يحتاج الاخوان الى من يجادل عنهم في هذا الموقف ولا الى مزيد
بيان ، فان هذه الحرب لا تزال هي موضوع الساعة في مصر وفي البلاد العربية
وفي العالم كله واذا كان الاخوان هم أول من خف الى أداء واجب الدفاع عن
هذه الارض المقدسة - ولم يكونوا في هذا طارئيين على الموقف ولا مدعين - فقد
كانوا منذ كانت دعوتهم نبأ صغيرا حرس هذه الارض والذائدين عن
حياضها

واذا كان تطوعهم للدفاع عن فلسطين واستبسالهم في الذود عنها قد
أظهر للعالم بطولات قلما يجود الزمن بمثلها وصارت حديث الاعداء قبل
الاصدقاء واذا كان ذلك قد أحنق حكاما وأصحاب عروش في قلوبهم مرض،
فنظروا الى هذه البطولات نظرة حقده وضغينة فما ذنب الاخوان في ذلك
وهم يؤدون واجبا ما تخلفوا عن أدائه يوما من الايام ؟

على ان المجد الذي اكتسبه الاخوان من هذه الحرب لم يكن هو هدفهم
يوم تطوعوا لها وتركوا وظائفهم واعمالهم وبيوتهم ونجارتهم وأولادهم . .
وانما كان هدفهم أداء الواجب ، وتحقيق امل طالما تشقوه وهو أن يحوزوا
شرف الموت في سبيل الله . .

وإذا كانت هذه الحرب لم تحقق ما كان يأمله كل عربي ومسلم من تحرير الأرض المقدسة من دنس الصهيونية ، وكانت الهزيمة لأسباب لم يكن للاخوان يد فيها ، ولم يكن في استطاعتهم دفعها ، فإن تقدم الاخوان الصفوف قد هز مشاعر المخلصين من أبناء الأمة الاسلامية ، وأخرج صدور المستوزرين وأصحاب السلطة والنفوذ في الحكومات العربية .

وعلى المعارضين على تطوع الاخوان في فلسطين - ناسبين كل ما حدث من تألب أصحاب النفوذ في العالم عليهم الى بروزهم في هذه الحرب - على هؤلاء المعارضين أن يستعرضوا تاريخ هذه القضية ، وكيف استطاع الاخوان أن ينقلوها من عالم الجهولات في أوائل الثلاثينيات الى قمة المعلومات في أواخر الأربعينيات . وما كانوا ليحققوا ذلك بالجلوس في بيوتهم ونواحيهم وإرسال الحشرات على فلسطين وأهلها كما كان يفعل أخص المخلصين من غير الاخوان .

ماذا كان يريد اللاثمون أن يكون موقف الاخوان ازاء هذه القضية غير ما كان لهم من موقف ؟ هل كانوا يريدونهم أن يفتنوا موقف الجبن والتخاذل خوفا من أن يزداد الملك وذيوله والمستعمرون من ورائهم حثدا عليهم ؟ انهم لو فعلوا ذلك لكانوا كالذي حفر لنفسه قبراً وواد نفسه فيه خشية أن يراه أعداؤه ومنافسوه فيحققوا عليه ويحسدوه . . . ولكن الاخوان قد استجابوا لنداء الواجب ، ووطنوا أنفسهم على تلقي ضربات الحاقدين ، موقنين بأن لكل تضحية ثمنها في الدنيا والآخرة ، وبأن العقوبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين . . فضحوا بأعز ما يملكون ، فأحييت هذه التضحية قضية فلسطين حياة لن تموت بعدها . . أحييتها في ضمائر جيل يورثها الاجيال من بعده . . وأحييت الفكرة الاسلامية وخلقتها بحيث صارت واضحة في نفوس الناس وعقولهم وبحيث صارت الثقل الراجح في ميزان السياسة العالمية . . وعن طريق هاتين تمخض تاريخ هذه البقعة من العالم عن أحداث جسام لا زلنا نعيش حتى اليوم في حلقة من حلقاتها .

□ موقف الاخوان من تطورات الاحداث في مصر :

وقد جلبنا الكثير من هذا الموقف وافضنا في الحديث عنه من قبل ، ونستطيع الآن أن نوجزه اذا تصورنا أن محاور هذه الاحداث كانت ثلاثة هي الانجليز والملك والاحزاب . اما الانجليز فقد كان الاخوان يعلمون أنهم أصل البلاء ، وأنهم من وراء كل فساد واضلال وخيانة ومحاولات للقضاء على القيم وطمس معالم الدين ، كما كان الاخوان يعلمون أن الانجليز من أقدر الناس على بث الدسائس وحبك المؤامرات . . فكانت سياسة الاخوان قائمة على أساس من الاستخفاء بالدعوة طالما هي في مهدها ، حتى لا تتنبه لها عيون

الانجليز فتقضى عليها قبل أن ترى نور الحياة ، فلما شبت الدعوة واشتد عودها انتبه الانجليز لأول مرة فأروها في طور لا يسهل اقتلاعها فيه ، فلجأوا الى أساليب أخرى من الدس والوقية والضرب بيد الغير ، ولكن الاخوان كانوا في يقظة فلم تنفلح مكاييد الانجليز ولم يستطيعوا أن ينالوا من الاخوان نيلا يوقف تيار دعوتهم أو يحد من مداهم الغامر .

وهنا فوضوا صديقهم المقرب في ذلك الوقت (١) - أمين عثمان باشا وكيل وزارة المالية - في الالتقاء بالمرشد العام . وبناء على طلب أمين عثمان تم اللقاء ، وكان لقاء في منتهى الوضوح والصراحة من الجانبين . فقال أمين عثمان : ان الانجليز قوم عمليون . فهم قد خدعوا بقيام دعوة الاخوان في غفلة منهم ، وقد أصبحت هذه الدعوة أمرا واقعا لا يمكن تجاهله . فهم يريدون أن يتفاهموا مع هذه الدعوة . فماذا يريد الاخوان ؟

وكان رد الاستاذ البنا هو أن الاخوان ليسوا طلاب حكم ، ولا هواة مناصب ، وانما هم أصحاب فكرة ولهم برنامج محدد . وليس هذا البرنامج من وضعهم حتى يستطيعوا أن يعدلوا فيه أو ينقصوا منه أو يزيحوا عليه - لانه من رضع الله خالق الكون . وشرح الاستاذ البنا هذا البرنامج بايجاز . وقال لأمين عثمان : انك بلا شك قد لاحظت أن هذا البرنامج لا يهدف الا الى اصلاح الناس وخير الانسانية ، وأنت باعتبارك مختلطا بالانجليز سمعتك تقول انهم يريدون الخير والاصلاح ، فماذا يضيرهم أن تأخذ الدولة في مصر بهذا البرنامج ؟

ولما كان قصد الانجليز من التفاهم هو التلويح بمناصب الحكم ، باعتبار أن هذه المناصب هي اسمى ما يتطلع اليه الزعماء ، وأن مجرد بريقتها والتلويح بها كاف لاسالة لعاب أعظم الزاهدين . ولما كان الاستاذ البنا يفهم قصد الانجليز ، فقد جاء رده جامعا مانعا كما يقولون أو بمعنى أدق جاء رده مؤثرا ، فلم يجد الانجليز ثلما يخلون منها الى البناء الاخواني ليخربوه من داخله ، وهي الوسيلة التي يعلم دهاة الانجليز أنها الوحيدة التي يمكن عن طريقها احداث التخريب الذي يستحيل معه الاصلاح . وكان هذا هو هدفهم من طلبهم التفاهم مع الاخوان .

ومنذ ذلك اليوم - وقد يئسوا من الحصول على فرصة تخريب الاخوان من داخلهم - وضع الانجليز خطة جديدة على أساس انوافع الذي لمسوه - على حد القول السائر : مالا يدرك جله لا يترك كله . واذ فاتتهم فرصة التخريب من الداخل . . . وهي الفرصة المثلى - فلا يفوتهم فرص التخريب من الخارج ،

(١) عام ١٩٤٢ .

وان كانت ليست حاسمة ولا قاصمة لكنها معرقة ومعوقة ٠٠ وقد استطاع الانجليز عن هذا الطريق وضع العراقيل - كما شرحنا ذلك من قبل - في طريق مشروعي الجريدة اليومية والمطبعة وبأساليب التآمر الاخرى ، وأصروا على ابقاء جيش احتلال لهم في قلب القاهرة ٠٠ ورد الاخوان على ذلك كله بأعمال ايجابية أشرفنا اليها أيضا مما اضطر الانجليز أخيرا الى سحب جنودهم من القاهرة الى ثكناتهم الضخمة في القنال ٠٠ فتنبهم الاخوان بغارات على هذه المعسكرات أشاعت القلق فيهم ، وبثت الرعب في جنودهم ، وجعلتهم يشعرون لأول مرة أنهم مهددون غير مستقرين ٠٠ وهذا الشعور أوجد عندهم استعدادا للتفاهم على الجلاء .

ومن هنا يتبين أن النضال بين الاخوان وبين الانجليز ليس وليد اعوام ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ كما يعتقد كثير من الناس وإنما هو قد بدأ بصورة جدية في أوائل الاربعينيات حين يؤس الانجليز من اصطياد الاخوان والايقاع بهم في شرك مناصب الحكم التي أوقعوا فيه كل زعماء البلاد ٠٠ وكان النضال من جانب الاخوان في صورة نشر الوعي الوطني والاسلامي في جميع الاوساط الشعبية ، في صورة توضيح القضايا التي تعاني منها الشعوب الاسلامية في أنحاء العالم ، وتجميع القوى الشعبية من ورائها ، وفي صورة فضح أساليب الاستعمار البريطاني في المشرق العربي ، وأساليب الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، وفي صورة متابعة قضية فلسطين بكل أساليب المتابعة التي وضعتها من قبل .

أما نضال الانجليز ضد الاخوان فكان في صورة دسائس ومؤامرات لا تكاد تفشل واحدة حتى تتبعها بأخرى مستخدمة في ذلك صفاتها من حكام مصر .

فلما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها في عام ١٩٤٥ ، وكانت الفرصة التي لا تعوض لمطالبة كل شعب بحقوقه المسلوبة ، وجاء دور المطالبة بحقوق مصر في الحرية والاستقلال ، انتظم الاخوان في صف المناضلين عن هذه الحقوق .

فهل كان يريد اللاثمون أن يقف الاخوان من الانجليز غير هذا الموقف ؟ هل كان على الاخوان أن يسالموا الانجليز أو يهادنهم ؟ وطبيعة الانجليز التي وصفهم بها أحد كبار ساستهم أنهم اذا احتلوا بلادا لم يغادروها الا اذا وجدوا أن خسائرهم فيها تفوق مكاسبهم منها ؟ !

ان الاخوان لو كانوا فعلوا ذلك لكانوا خونة لدعوتهم ولبلادهم ، ولكانت جريمتهم في ذلك تكون جريمة تاريخية يرونها التاريخ مثالا للجبن والفاق والتخاذل والتفريط .

هذا ما كان من شأن الاخوان مع الانجليز ٠٠ اما الملك والاحزاب - ولقد أشبعناهما من قبل درسا وتمحيصا - فان ايجاز موقف الاخوان منهما يتلخص في أن الاخوان لم يقفوا منهما في يوم من الايام موقف المهاجم ، لكنهما مع ذلك اعتبرا مجرد دعوة الاخوان هجوما عليهما ، على حد القول المأثور : «يكاد المريب يقول خذوني » .

وكم يكون جميلا من اخواننا الذين يعتبرون على الاخوان أنهم تسرعوا . ٠٠ أن يراجعوا صفحات التاريخ ، وليس هذا التاريخ ببعيد ثم يخبرونا : هل هاجم الاخوان الملك أو الملكية في جرائمهم أو في منشوراتهم أو خطبهم ؟ هل وجهوا الى الملك شتما أو سبا أو أعزوا الى من يسبه كما فعل آخرون؟ ٠٠ ان شيئا من ذلك لم يحدث ، وما كان ليحدث من دعوة تقوم على عفة اللسان وطهارة القلب والجوارح .

كما أرجو أن يراجعوا صفحات التاريخ ليرى هل هاجم الاخوان حزبا معينا؟ ٠٠ انهم لن يجدوا هذا الهجوم قط ، لان الاخوان دعاة بناء لدعاة هدم ٠٠ كل جهودهم موجهة الى توضيح فكرتهم لينضم الى صفوفهم من يقتنع بها ٠٠ وكانوا يتمنون أن تقتنع هذه الاحزاب بالفكرة الاسلامية فيكونوا عوامل بناء واصلاح ٠٠ فلما يئس الاخوان من اقناعهم توجهوا بفكرتهم الى أفراد الشعب فاستجاب لهم الكثيرون ٠٠ وقد اعتبرت الاحزاب هذه الاستجابة من أفراد الشعب الى دعوة الاخوان هجوما عليهم .

فهل كان على الاخوان أن يصدوا الناس عن دعوتهم لارضاء هذه الاحزاب ؟

وهل اذا أنس أحد السياسيين المحترفين في الاخوان قوة تحمي ، فالتجأ اليهم طالبا حمايتهم ، معاهدا على أنه حين ينولى الوزارة سيطلب الانجليز بالجلاء ، واذا لم يستطع اجلاءهم فانه يستقيل ٠٠ هل اذا طلب مثل هذا السياسى الحماية من الاخوان على هذه الشروط يرفضونه ويتخلون عنه أم يمنحونه فرصة يتبين في خلالها صدقه من كذبه ؟ ٠٠ هذا ما فعله الاخوان مع اسماعيل صقلى ٠٠ ويوم تبين لهم أنه لم يف بما تعهد به ، وأنه يريد الترشح بأهداب الحكم أرغموه على تركه .

هل يعد هذا مأخذا يؤاخذ به الاخوان والله تعالى يقول « ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا ، فالاخوان ليسوا طلاب مناصب ، ولا هواة سلطة ، وانما هم من وراء كل من يعمل على تحرير البلاد من ربة الاستعمار ايا كان هذا العامل .

وبعد ٠٠٠ فلعل هذه المناقشة السريعة قد أوضحت بإجلى بيان أن الاخوان حتى آخر يوم قبل الحل كانوا يسيرون في حدود الطريق الذى رسموه لدعوتهم منذ كانت مجرد أمل في النفوس ، لم يحددوا عن هذه الحدود ، ولم يقصروا عنها ، ولم يقفزوا فوقها شبرا واحدا ، ولا قيد أنملة ، وإنما كان التشكيك في هذا الالتزام هو من حبائل الشياطين ومكائدهم - شياطين الانس الذين تفوقوا في دسائسهم ووساوسهم على شياطين الجن - . وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن ، يوحى بعصم الى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون .

حتى أئمة الدعوة الاسلامية في اقاصى الارض

حاصرتهم الشبهة اللعينة

كان هذا في النصف الاخير من عام ١٩٥٠ ، حين يسر الله لى أن أؤدى فريضة الحج في رفقة والدى ووالدتى وسيدة كانت صديقة لوالدتى .

□ من مشاهداتى في رحلة الحج :

وهنا أبيح لى - قبل أن أوصل الحديث فيما نحن بصدد - والشئ بالشئ يذكر - أن استنرد قليلا فأعرض على القارىء بعض مشاهداتى في هذه الرحلة المقدسة فأقول :

ان استعداد المسلم لاداء فريضة الحج ، وتوفر كل أسبابه لديه . لا يكفى وحده لادائها الا أن يشاء الله . فقد كنت أحد أفراد أول بعثة أوفدتها الجامعة المصرية في عام ١٩٣٧ لاداء فريضة الحج ، وقدمت الى ادارة البعثة ما حدثته من رسوم ، واعدت كل ما يلزم الحاج في رحلته من لوازم ، ولكن لم يشأ الله أن أؤدى الفريضة لسبب غاية في الغرابة ليس هنا مجال الاشارة اليه .

ولكننى في عام ١٩٥٠ بعد أن أنهيت عملى في موسم القطن في الصعيد نزحت الى بلدنى رشيد لقضاء فترة من اجازة الصيف ، ففوجئت حين وصلت بوالدى وقد أعدا نفسيهما للحج ، وطلبا أن أرافقهما فقبلت في الحال - وما كان لى أن أتخلف عنهما . غير أنى باعتبارى داعية من دعاة الفكرة الاسلامية لم يكن هدفى مجرد أداء الفريضة ، وإنما كان هدفى أبعد من ذلك مدى ، فقد عزمتم على استغلال هذه الرحلة المقدسة في دراسة المجتمعات الاسلامية التى تكاد تجتمع كلها في خلالها .

وكان السفر عن طريق البحر . وقد رغبتنا في حجز امكنة لنا في الدرجة

الثانية على السفينة ، ولكن يبدو أننا تأخرنا في طلب هذه الأماكن فقد حجزت جميعا ، ولم يكن بد من السفر في الدرجة الثالثة . وكان هذا متوائما مع هدفى الذى اشترت اليه . ففى الدرجة الثالثة تستطيع أن ترقب القلة القليلة من أهل الدرجتين الأولى والثانية ، وكذلك تختلط وتعيش مع الغالبية الغالبة وهم أهل الدرجة الثالثة الذين يمثلون جمهور الشعب بكل ما فيه .

والى القارئ بعض ما صادفنى فى هذه الدراسة :

أولا - بعد أن تقدمنا بطلب التصريح لنا بالحج ، بلغنى أن بعض المسئولين من رجال الادارة يتقاضون رشوة فى مقابل ادراج الطلب المقدم ضمن الطلبات المصرح لها . فساءنى ذلك ، وأعلنت أمام الناس أننى لن أدفع رشوة ولو أدى ذلك الى سحب طلباتنا - ويبدو أن اعلانى ذلك بعث الخوف فى نفوس المرتشسين فمرروا طلباتنا دون رشوة . ولعمري انها لكارثة أن يبدأ المسلم عبادته بارتكاب اثم عظيم .

ثانيا - لما كانت هذه هى المرة الأولى التى نقوم فيها بهذه الرحلة المقدسة ، فقد رأينا أن نستأنس بمصاحبة بعض ممن سبق لهم القيام بها من قبل ، فتعرفنا على ثلاثة اشخاص من أهل الاسكندرية سبق أن حجوا ثلاث مرات ، وكانت تربطنا بأحدهم صلة نسب .

وقد اثبتت لنا هذه الرحلة أن الاختبار الصحيح الذى يكشف حقيقة الاصدقاء هو مرافقتهم فى رحلة شاقة وطويلة ، فانك تسمع من أكثر الناس ما يثير اعجابك ، وما يثلج صدرك . حتى اذا جمعت بينك وبينهم رحلة شاقة سقطوا من عينك واحدا بعد الآخر ، ولم يثبت فى مكانه منهم الا أقل التليل . هؤلاء الثلاثة الذين ملأوا الدنيا وعودا أنهم سيحملون عنا كل الاعباء طول فترة الحج تخطوا عنا من أول يوم أقلتنا واياهم السفينة .

وقد ساعنا هذا ، لكنه عاد علينا بفوائد كبيرة ، فان تحمل المرء مسئولية نفسه يبعث فيه قوة يواجه بها الواقع ، ويجابه بها المشاكل وينتصر عليها . وان كان فى ذلك اقتطاع من الوقت والجهد الا أن الانسان يشعر بلذة ومساعدة تعوض هذا الوقت وتنسى هذه المشقة ، اذ يخرج بحصيلة من فهم للامور ، وكسب لاصدقاء ، وبث لافكار . وقد كان لى ذلك كله والحمد لله .

ثالثا - قطعت بنا السفينة المسافة بين السويس وجدة فى ثلاثة أيام قضيتها - الا فترات النوم - على ظهر السفينة اتصل بجميع الراكبين ، اغشى مجالسهم ، واستمع الى أحاديثهم ، وأنتقى منهم من أتوسم فيه الخير فأنقضى به جانبا ، وأعقد معه ما يشبه الصداقة .

رابعاً - كان أحد الذين انتقيتهم رجل فارغ الطول ، عريض المنكبين
جهورى الصوت ، مرهوب الجانب ، لكننى احسست أن هذه الهيئة المتسمة
بالعنف انما تطوى على قلب سليم . . . وحين جلست اليه اخبرنى باسمه الذى
نسيته الآن ، واخبرنى أنه تاجر مواش من طنطا . . . وفهمت منه أنه لا يعرف
من أمور الدين شيئاً ، وأنه يقوم بأداء الحج كما يقوم زملاؤه حتى لا يكون
أقل مكانة منهم فى نظر أهل بلده - وكانت صراحته معى دليلاً عندى على أنه
منطو على قلب سليم .

وهذا الصنف من الناس هم كالخامة الثمينة الفيت فى القنر حتى
تلوث وطمس جمالها وشاهت وبدت بشعة مرفولة : تعافها النفوس . . . فاذا
وجدت من تحامل على نفسه ، ويغالب اشمئزازها ، نيتناولها ويزيل ما عليها
من القنر ، فإنه سيكشف عن حقيقتها ، ويبرز معدنها فتبدو متألقة اخاذة .

وهكذا كنت مع هذا « الحاج » . ما كنت اتحدث اليه فى شأن الحج
ومعانيه حتى اقبل على ، وتعلق بى ، الى حد أننى كنت اذا غبت عنه بهت
عنى ليستمع الى . . . ولم أكن فى كل مرة اطيل معه الحديث عملاً بما اثر عن
المصاحبة رضوان الله عليهم من قولهم « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتخولنا بالموعظة » . . . وقبل أن تصل السفينة الى الشاطئ فى جدة - حيث
يفترق الحجاج - عاهدنى الرجل على التوبة .

خامساً - مكثنا فى المدينة اسبوعين قبل الحج ، وكانت دورة المياه
الخاصة بالحرم النبوى منفصلة عنه ولكن مبناها قريب من مبنى الحرم . ولم
أكن دخلت هذه الدورة طول مدة اقامتنا بالمدينة ، فرأيت فى آخر يوم أن التى
نظرة على هذه الدورة - ودخلتها فاذا هى محتشدة - وبينما أنا واقف أقلب
نظرى فى الناس اذا بصوت ضعيف ينادى باسمى ، وكان الذى ينادى ينادى
من قريب . ولما كان اسم « محمود » من الاسماء المنتشرة بين المسلمين ،
ونظرت فاذا المنادى شخص لا أعرفه ، فقد اعتقدت أنه ينادى شخصاً غيرى . . .
وكرر المنادى النداء ولم أرد عليه ، حتى رأيت يتجه نحوى حتى صار قبالتى ،
ومد يده الى مصافحاً فصافحته وأنا لا أعرفه . فقال لى : ألا تعرفنى ؟ فلما رأى
فى وجهى علامة الاستغراب قال : أنا أعزك فى عدم معرفتك اياى ، فقد تغيرت
تغيراً تاماً . . . اننى أنا فلان - فاذا هو صديقى تاجر المواشى ، غير أنه قد
انتحل جسمه حتى صار جلداً على عظم ، وشحب لونه ، وبرزت عظامه . . .
فهللتى ما به ولكنه سارع قائلاً :

لا تحزن لما حل بى ، فوالله اننى أسعد الناس بهذا . . . فبعد أن افترقنا
فى جدة ودخلت المدينة ، دخلتها وأنا عازم على التوبة . . . ولم يمر على بعد
ذلك يوم واحد حتى مرضت واشتد على المرض حتى فطحت وعيى ، ويئس

زملائى منى بعد أن بذلوا جهدهم فى علاجى ، وظللت أعالب سكرات الموت أياما ،
ويغمرنى شعور بالسعادة أن ألقى ربي تائبا ٠٠ ولم تكن لى أمنية الا أن أراك
قبل أن أموت لأنك صاحب الفضل فى هدايتى ٠٠ ولكننى كنت يائسا من
تحقيق هذه الامنية ٠٠ وشاء الله لى أن أبرأ من المرض منذ يومين ، فعزمت على
أداء الصلاة فى الحرم ٠٠ فاذا بأمنيتى تتحقق والفاك الآن ٠

فقلت له : أبشرك فقد ذكرتني هيئتك التى أنت عليها الآن بالحديث
القدسى الشريف الذى يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه
« إذا مرض عبدى فلم يشكنى الى عواده ، فلا بدلنه لحما خيرا من لحمه ودما
خيرا من دمه » قال الصحابة : وما لحم خير من لحمه ودم خير من دمه ؟ قال
« لحم لم يذنب ودم لم يذنب » ٠

سادسا - قفلنا الى مكة لنقيم بها حتى يحين موعد الحج ، ونزلنا فى
منزل المطوف ، وهو منزل كبير ينزل به أكثر من خمسين حاجا من مختلف
بلاد مصر ٠٠ فرأيت فى خلال نسرة اقامنا هذه عجبا ٠٠ رأيت من هؤلاء الحاج
انذين حجوا المرات ذات العدة من يسبون الدين ، ورأيت منهم من لا يؤدى
الصلاة ، ويتقصون أوقاتهم فى الطعام والشراب واغتيايب الناس والتناوب
بالالقاب والتباهى بعدد الحجات ٠

أما خارج بيت المطوف وفى شوارع مكة ، فقد كنت أرى صعاليك
المصريين يتناولون على الحاج الهنود ، ويسخرون منهم ، ويتغامزون
عليهم ، ذلك أن الحاج الهنود يأخذون بالطريق الأشد فيهلون - عند وصولهم
من بلادهم لأول ميقات - يهلون بالحج ٠ ومعنى ذلك أنهم يدخلون لأول
حضورهم من بلادهم - مكة محرمين ، ويظلون ملتزمين بشروط الاحرام مدة
تزيد على الشهر قبل أن يحل موعد الحج ، فتطول شعورهم ، وتتظم لحاهم
وتتشعث ، وتتسخ ملابس احرامهم - قاصدين بهذا التقشف والحرمان وجه
الله ٠٠ فلا يكون من سفهاء المصريين الذين لا يفهمون معنى الحج الا التندر
عليهم ، والسخرية منهم ، ورشقهم بالفاظ نابية ٠٠ وحتى الحاج الهنود
أو الماليزيون غير المحرمين - وملابسهم الوطنية تختلف عن ملابسنا -
لا يسلّمون من السنة الحاج المصريين الجهلة ، فلقد كنت واقفا مع وكيل
وزارة التعليم فى باكستان أتحدث معه ، فمر بنا نفر من هذا الصنف أخذوا
بستهزئون بالرجل ويضحكون منه ، معتمدين على أنه لا يفهم ما يقولون ٠

سابعا - كان أكثر همى منصبا على الاتصال بالحجاج من البلاد
الإسلامية غير العربية ، لاسيما الباكستان التى كانت فى ذلك الوقت دولة
ناشئة لم يمض على انشائها الا نحو ثلاثة أعوام ٠٠ وقد أتيح لى الاتصال
بحجاج باكستانيين من مختلف الطبقات ، وقد فهمت من لقائى معهم وحديثى

اليهم عن حقيقة أحوال بلادهم ما لم أفهمه من قراءتي ومطالعاتي في الصحف والمجلات .

ومما كان يقربني الى نفوس هؤلاء القوم من المسلمين غير العرب ويفتح لى قلوبهم ، أننى فى خلال حديثي اليهم باللغة الانجليزية كنت أصدع بالآية والآيتين من كتاب الله - باللغة العربية طبعاً - فالح فى بريق عيونهم وتآلق جبينهم حين يسمعونها كل معانى الاخوة والمودة والحب - وكان هذا بمصداق ما حدثنا به استاذنا الامام - رحمه الله - مرجعه من حجته الاولى عام ١٩٣٦ وأشرنا اليه فى الجزء الاول من هذا الكتاب من أن بقاء القرآن الكريم بألفاظه العربية صار هو الرباط الوحيد بين المسلمين فى أنحاء الارض. مهما اختلفت ألسنتهم ، وتعددت ألوانهم ، وتباينت لغاتهم ، وهو الرباط الوحيد الذى أعىى المستعمرين بعد أن قطعوا أوصال الامة الاسلامية ولم يبقوا منها على شىء .

ثامناً - لاحظت أن أكثر الذين يعزمون على أداء فريضة الحج يستعدون لذلك ويعدون لها كل ما يلزم الحاج من زاد وعتاد مادى ، فهو يحضر النقود التى يحتاجها السفر والانتقال والسكن وشراء الهدايا ، ويعد الملابس التى يرتديها هناك من زى عادى وملابس للاحرام ، وربما أعد لنفسه زاداً من الطعام بكفيه طيلة الرحلة . . ولكن لا يخطر بباله أن يعد نفسه روحياً لهذه الرحلة المقدسة التى هى من اولها لآخرها رحلة روحية عبادية . .

فأكثر الحجاج المصريين الذين قابلتهم لا يعرفون من مناسك الحج شيئاً ، ويعتمدون فى ذلك على من يسمون فى مكة والمدينة « بالمبدعين أو المطوفين » الذين يقودونهم لاداء المناسك كما يقاد القطيع . . ولكثرة عدى هذا النوع من الحجاج الذين يفدون الى مكة والى المدينة اعتقد المطوقون الجهل فى جميع الحجاج .

ولا أنسى أننا حين نزلنا من المدينة الى مكة محرمين ، دخلنا مكة فى ساعة متأخرة من الليل ، فلما دخلنا منزل المطوف سألته عن الطريق الموصل الى البيت الحرام فلم يرد على سؤالى ، ونادى على أحد موظفيه وهو شاذى يكاد يكون أمياً وقال لى : سيروا خلفه ورددوا كل ما تسمعون منه . فأغضبنى كلام الرجل وقتلت له : يا سيدى لسننا جهلة حتى نحتاج الى مثل موظفك هذا . ولعلم موظفك هذا أن مهمته تقتصر معنا على أن يدلنا على طريق البيت الحرام . أما المناسك وأما الادعية فنحن أعلم بها منه . .

تاسعاً - لا زالت تطن فى اذنى حتى اليوم عبارة كررها والدى - رحمه الله - على سمعى مرات كثيرة فى أثناء قيامنا بأداء مناسك الحج من احرام

وطواف وصلى ووقوف بعرفة ورمى للجمرات .. تلك هي قوله لى : يامحمود
أنا لم أنعم على شيء كما فدمت على أن أجلت أداء هذه الفريضة حتى كبرت
وومن عظمى ، فإن الحج عبادة الاقوياء .

عاشراً - عندما عاد الاستاذ الامام - رحمه الله - من الحج أخذ يصف
لنا المواقف التى وقفها ، وكان الموقف الذى أسهب فى وصفه ، وأطال الحديث
عنه ، وحلق بأرواحنا فى سماء شعوره ، موقف صعوده على جبل الرحمة
بعرفات ، حين أخذ يدعو ربه ، ويبتهل اليه ، ويستمطر فضله .. حتى قال
لنا : أنفى أحسست برحمة الله ورأيته بعينى ولستها بيدي ...

وقد وقع منا هذا الوصف اذ ذاك موقع الاستغراب .. فاننا لم نجرب
فى الاستاذ المبالغة ولا الادعاء ولكننا لم نتصور ما يقول .. ولهذا كنت شديد
الشوق الى رؤية هذا الجبل ، والى صعوده ، والى مناجاة الله عز وجل
والابتetal اليه وأنا على قمته ...

فلما انتقلنا الى عرفة ، وقاربت الشمس الغروب ، صعدت على هذا الجبل
الصخرى الوحيد فى أرض عرفات الرملية المنبسطة الشاسعة حتى صرت على
قمته ، وأخذت أدعو وأبتهل وألجأ الى الله وأستمطر رحمته ، وأرجو فضله ،
حتى نمرنى ما غمر الاستاذ رحمه الله ولست ما لمس ، وأحسست بما أحس به ،
ونعمت بما نعم به « وما راء كمن سمعا » .

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانىها

□ بيت القصيد :

الحادى عشر - وهو بيت القصيد فيما قصدنا اليه من عنوان هذا
الموضوع .. فبعد أن سعدنا بزيارة النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة
المنورة ، استقر بنا المقام فى مكة المكرمة قبل الوقوف بعرفة بنحو شهر ،
استمتعنا فى أوله أياما بما يطمح اليه كل حاج من ملازمة المسجد الحرام
ودوام الطواف ، ثم ابتلينا بمرض أحساب الرفقاء جميعا سوى ، فكان على
أن أقضى فى تمريرهم طول اليوم ، فكنت لا أكاد أسعد بانصلافة فى المسجد
الحرام الا هلاتى المغرب والعشاء .. واستمر هذا الحال حتى انتهى الحج
ورجعنا الى ديارنا .

وقد لاحظت فى أيام متتالية بعد صلاة المغرب أن أفرادا من الحجاج يلقون
دروسا ويلتف بعض الحجاج حولهم يستمعون لما يقولون ، ويتقدمون اليهم
بالاسئلة فى نهاية الدرس فيجيبون عليها . وكل محاضر يتخذ له عمودا من
أعمدة المسجد يجتمع بالناس حوله .. ورأيت فى ليلة من الليالى أن أستمع

الى درس من هذه الدروس . وكان الذي يلقيه شابا هندية يتكلم العربية الفصحى . وقد راعنى ولفت نظرى ان أسلوبه فى الحديث وأهدافه التى يهدف اليها قريبة جدا من أسلوب الاخوان وأهدافهم . حتى اذا انتهى من درسه أبدى استعداداه للإجابة على أسئلة الحاضرين ، وسأله أكثر من واحد وأجابهم ثم تقدمت اليه بسؤال ، فالتفت الى قائلها : اننى لا أستطيع الإجابة على سؤالك هذا ، فرجائى أن نلتقى بعد صلاة العشاء لأقابلك بمن هو أوسع منى علما من اخوانى ليجيبك على سؤالك .

وبد صلاة العشاء قابلنى الشاب المحاضر بشاب أكبر منه سنا ، ذكى لحيه ، ويرتدى بزى العلماء الازهريين وعرفنى به وقال لى انه أمير جماعتنا فى فترة الحج . ودار الحديث بيننا طويلا ثم قال فى نهاية اللقاء : يا أخى . ان سؤالك هذا ينبغى عن أن المسائل ليس شخصا من غمار المسلمين ، وإنما هو صاحب دعوة وانسان له دراية وتاريخ ، ولسنا جميعا هنا إلا تلاميذ لا ينبغى لنا أن نتصدى لمناقشة أساتذة . وسيحضر أستاذنا الأكبر فى يوم كذا (حده) ان شاء الله ، وسنقدمك اليه لتتناقش معا - ثم طلب الى أن أقوم بالقاء درس كما يقومون ، فاتخذت لى عمودا وصرت ألقى درسا حوله كل ليلة .

وفى احدى الليالى بعد انتهائنا من صلاة العشاء أخبرونى بأنهم سيقومون برحلة دعوة فى صباح اليوم التالى الى ضاحية من ضواحي مكة تسمى « وادى فاطمه » وطلبوا الى أن أرافقتهم فاعتذرت بالظروف التى أشرت اليها آنفا . وسألتهم عن وادى فاطمة هذا فقالوا : ان سكان هذه الضاحية - بالرغم من مجاورتها لمكة - خلاة الأذهان عن أبسط قواعد الاسلام ، حتى ان كثيرين منهم يعتقدون أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو الاله . وقالوا - عن تجربة لهم سابقة فى هذه الضواحي - ان أهل هذه الضواحي فى أمس الحاجة الى من ينشر الاسلام بينهم كأنهم من أهل الفترة .

□ السيد أبو الحسن على الندوى :

وفى الليلة التى تعرفت فيها على أمير الجماعة أعطانى مجموعة من الرسائل المطبوعة ، وقال لى انها من وضع أستاذهم . وهى رسائل صغيرة الحجم لا تعدو الواحدة منها بضع ورقات . وقد طالعت هذه الرسائل فوجدتها قريبة الشبه برسائل الاخوان فى الأسلوب والمحف والروح ، منها رسالة بعنوان « الانسانية وأصدقائها » ، وأخرى بعنوان « بين الصورة والحقيقة » ، وثالثة بعنوان « معقل الانسانية » فزادنى ذلك شوقا الى لقاء هذا الأستاذ .

لا سيما وقد لاحت في أتباعه وتلامذته روح الاخوان فهم مجموعة من الشباب طلاب الجامعات في الهند يتدفقون حماسا وايمانا .

وفي اليوم المحدد لحضور « الاستاذ » بادرت بالذهاب الى المسجد للالتقاء به . . . وحين اقبل رايت شابا في سن الاستاذ الامام رحمه الله ، ذا لحية غير كثيفة ، يرتدى بعباءة سوداء ، وهو نحيل الجسم ، يبدو عليه آثار السهر والجهد وطول العبادة ، ومع كل هذا ينبثق من بين عينيه شعاع من نور وذكاء وفطنة . . . وقد استقبلني بالعناق ، ثم صعدنا الى طابق علوي (كان يتصل بالمسجد في تلك الايام بيوت من عدة طوابق ، ابوابها من داخل المسجد يسكنها الجاورون . وبها مكتبة المسجد الحرام ومرافق أخرى) في بيت من البيوت المتصلة بالمسجد . وكان الاخوة تلامذة الاستاذ قد صفوا مقاعد في ردمة فسيحة ، وامتسلات الردمة ، ووقف السيد أبو الحسن على النضوى فتحدث بالعربية الفصحى حديثا رائعا كدت أحس معه أننى أستمتع الى حسن البناء ، فهو يستشهد بآيات القرآن في مواقعها لا يتلعثم . . . يتحقق تدفق القلب المقم يفيض من أحاسيسه على سامعيه . . . انسان ملك الاسلام عليه لبه فقرا القرآن وحفظه وتغلغل في بحار معانيه وتشربته نفسه حيث صادف قلبا ذكيا ، ودرس التاريخ الاسلامي والادب العربي ، فتسمعه كما كنت تسمع حسن البناء ينشد من الشعر القديم البيت او البيتين فكانما يضرب اوتار قلبك .

وبعد انتهاء خطابه قام جميع الحاضرين فصافحوه وأنصرفوا لكنه استبقاني ، ثم جلسنا معا هو وأنا وحدثنا دون أحد من تلاميذه وأخفنا في الحديث فقال لى : ان اخوانى حدثونى عنك حديثا فهمت منه من أنت . . . فقلت له : وماذا فهمت ؟ قال : فهمت أنك من قادة الاخوان المسلمين في مصر . . . فقلت : نعم . . . قال : اننا في الهند كنا نتابع الاخوان في مصر ، ونعتبرهم قيادة وأملا ، وقد كنت حريصا على أن ألتقى بالاستاذ البناء للتعارف ولايجاد صلة بين حركتنا في الهند وبين الاخوان في مصر . ولكن الظروف الاخيرة وما حدث للاخوان في مصر كان صدمة لنا .

قلت : وما رأيكم في هذه الاحداث ؟

قال : ان الاخوان تسرعوا ، وما كان لهم أن يتسرعوا . وهذا التسرع هو الذى أوردتهم هذا المورد وحرم العالم الاسلامي من أعظم هيئة كان يعقده آماله عليها .

فقلت : لقد كنت حريصا ان أسمع منك هذا الكلام . . . واذا كان هذا الذى تقول يقوله المقيمون في مصر فما كان لانسان بعيد كل البعد عن مصر ، ولم تتح له فرصة واحدة للالتقاء بالاخوان - الا ان يتكلم بما وقع عليه بصره

في الصحف أو قرع سمعه في الاذاعات • وكل هذا المقروء والمسموع هو من طرف واحد ••• وإذا كان المقيمون في مصر لا يكادون يعرفون حقيقة ما جرى في بلادهم ، فأنتم – وبيننا وبينكم آلاف الاميال – معذورون أن لا تعرفوا حقيقة ما يجري في بلادنا •

ثم أخذت أشرح له أطوار الدعوة في مصر ، وحقائق المواقف بها ، وناقشت معه كل موقف منها •• ثم أخذ هو يشرح لى أسلوبهم في الدعوة في الهند وأنه أسلوب هادى ، ولا يمضى يوم الا ويحذل في الاسلام عشرات ومئات من غير المسلمين – فقلت له : ان وضعكم في الهند لا يقتضى أكثر من ذلك ، لانكم أقلية وسط أكثرية من غير المسلمين ، أما الاخوان في مصر فهم مسلمون في بلد مسلم ، ثم ان هذا البلد هو طليعة البلاد الشرقية والاسلامية على الاطلاق •• وطال الحديث بيننا حتى انتهى باقتناع الرجل بعد أن تكشفت له الحقائق التى طمسها المغرضون •

وبعد أن استعرضنا معا أحوال العالم الاسلامى وافقت وجهتنا نظرنا ازاء كل مشكلة من مشاكله ، رأيت في الرجل من صفات القيادة الاسلاميية ومؤملاتها ما قد يندر وجوده – ولم نكن بعد في مصر قد انتهينا الى رأى في هذا الموضوع – فعرضت عليه فكرة ترشيحه لمنصب المرشد العام للاخوان المسلمين • فشرح لى وجهة نظره في هذا الموضوع شرحا مستفيضا وهى تدور حول النقاط التالية :

١ – أنه غريب عن مصر ، وليس ملما بأحوال أهلها ولا بظروف الحكام ولا المحكومين •

٢ – أن الظروف الحاضرة في مصر لا تسمح لرجل مثله باقتحامها •

٣ – أن الدعوة في الهند في أمس الحاجة الى قيادة بل الى أكثر من قيادة لاتساع رقعة البلاد وكثرة الناس •

٤ – أن انتقاله الى مصر في مثل هذه الظروف ربما كان ذا أثر سىء على سير الدعوة في الهند ، في الوقت انذى لا يضمن أن تواتيه الظروف في مصر •

وقد وافقته على ملاحظاته ، ولكننى طلبت اليه أن يحضر الى مصر لبتصل بالناس فيها وليعرف أحوالها عن قرب • وقلت له • اننا نحن الاخوان سنكون بمذاقك حتى لا تقيد خطواتك أو تمنع من البقاء فيها ••• وقد وفى الرجل بوعده وحضر فعلا الى مصر ، واتخذ مقره دار الشبان المسلمين بالقاهرة ، وألقى بها عدة محاضرات جذبت اليه أنظار الكثيرين •• وأذكر أنه طبع – في فترة اقامته بها – كتابه الذى سماه « لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم » •

الفصل الثالث

الاتجاه الى الاستاذ الهضيبي

أدت بحوث اخوان مكتب الارشاد المتواصلة الدائبة الى العثور على الضالة المنشودة ، والشخصية المثالية المتقدمة ، التي تحقق كل الآمال ، ونسب جميع الثمرات في البناء الاخواني وفي علاقاته مع المجتمع المصري . وكانت هذه الشخصية هي الاستاذ حسن اسماعيل الهضيبي . وقد أيد الاخوان في جميع نواحي القطر عن طريق مندوبيهم الذين كانوا يفدون الى القاهرة كل أسبوع .

لقي هذا الاتجاه ارتياحا من جماهير الاخوان لانهم مع اقتناعهم بجداره الرجل باعتباره رجلا ذا تاريخ ناصح ، وله مواقف مشرفة في الدفاع عن الاسلام والشريعة الاسلامية ، فانهم كانوا يرون في اختياره مصالحة مع القضاء الذي يعتبرون التصالح معه رد اعتبار للدعوة ، وتصحيحا لوضعها امام الناس .

وكان الاستاذ الهضيبي اذ ذاك مستشارا بمحكمة النقض والابرار وفي السنتين الاخيرتين له قبل الاحالة الى المعاش . وكان قد أصيب بانفجار في شرايين المخ وعولج منه لكن زملاءه أعفوه من العمل الشاق حتى لا يعاوده المرض اذا أرقه العمل .

وقد اتصل به بعض أعضاء مكتب الارشاد وفاتحوه في الموضوع فاعتذر بحالته الصحية . ومع تقديرهم لظروفه الصحية فانهم يرون أنه مع ذلك هو أنسب من يصلح لهذا المنصب ، ولذا فانهم ظلوا على اتصال به ، وجمعوا بينه وبين مجموعات من مختلف المستويات في الاخوان ، بعضهم من القاهرة ، وبعضهم من اخوان الاقاليم ، محاولين بذلك التقريب بينه وبينهم ، وإطلاعه على واقع الاخوان . وقد حضرت - عرضا - إحدى هذه اللقاءات في الدار التي اشترت اليها بحى العباسية أو بحى الظاهر على الادق - ويبدو أن هذه الزيارة كانت الزيارة الاولى لهذه الدار ، وكانت عقب جلاء اخوان اجهاز عنها - وأحسست بأن الرجل كان سعيدا بهذا اللقاء . لكننى أخبرت بعد ذلك أنه أصر على الاعتذار ، وأن إصراره هذا لم يكن للقاءاته الكثيرة مع جمهور الاخوان ، وإنما كان صدى لاجتماعه بأعضاء مكتب الارشاد ، الذي كانت آثار التيارين اللذين نوهنا عنهما بادية فيه ، مهيمنة على مناقشاته .

□ في بيته بالاسكندرية :

عجز اخواننا المتصلون بالاستاذ الهضيبي من أعضاء مكتب الارشاد عن

أن ينهضوا من غرب أصراره . وشاع نبي هذا الفشل بين جماهير الاخوان في كل مكان . وكان لهذا النبا أسوأ الأثر في نفوس الاخوان ، لان ترك هذا المنصب شاغرا يتيح الفرص لفتن لا يعلم مداها الا الله ، وسيؤوبه جمهور الشعب بأن القضاء يرى هذه الدعوة غير جديرة بتقديره .

وكان الوقت صيفا ، والتقيت في الاسكندرية بمجموعة من أكرم الاخوان من مختلف البلاد . . . ولا أدري والله كيف اتفق لهذه المجموعة أن تلتقى في وقت واحد وفي مكان واحد الا أن تكون تفسيراً لقول الحى تبارك وتعالى « ولو تواعدتم لاختلقتم في الميعاد ولكن ليقتضى الله أمراً كان مفعولاً » نعم انه التوفيق الذى جاء على لسان شعيب عليه السلام حين قال « وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب » .

أراد الله للدعوة أن تخرج من ورطتها فوق لهذا اللقاء ، وكان العدد غير قليل فقد كنا نحو العشرين ، ولكننى لا أكاد أنكر منهم الآن الا أفراداً قلائل منهم الاخوة عبد العزيز عطية ومختار عبد العليم وعبد القادر عوده ويوسف طلعت وعبد العزيز كامل . وقد قررنا أن نذهب بجمعنا هذا الى بيت الاستاذ الهضيبي بالمنصرة .

وتلقانا الرجل وأبناؤه بالترحاب ، ثم أخذنا في الحديث معه فتكلم الاخوان عبد العزيز عطية وعبد القادر عوده ، وشرحا الظروف المحيطة بالدعوة وشدة حاجتها الى قيادته - وتحدث كثير من الحاضرين من مختلف البلاد معبرين عن رغبة بلادهم فى قيادته . . ثم تكلم هو فشرح حجته فى أنه لا يستطيع أن يتسلم قيادة دعوة ، أقرب معاونيه فيها متفرقو القلوب والاهواء ، وضرب لذلك أمثلة لا داعى لذكرها الآن - ولكن تبين فيما بعد أنه كان ملهما وكان بعيد النظر - ثم قال : اننى مريض ولا أستطيع تحمل مسئولية دعوة كهذه وأنا فى الحالة التى وصفتها لكم . . .

وكانت بعد ذلك هدأة . . هى هدأة الخيبة واليأس الذى أحسسنا جميعاً بممارزته فى خلوقنا . . وما أجمل أن يذكر اليائسون وهم فى حماة اليأس قول الله تعالى « فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا » فإذا بنا ونحن فى هذه الحال نسمع صوت أخ منا ينطلق صارخاً باكياً هو الاخ الكريم يوسف طلعت يقول للاستاذ الهضيبي :

« اننا نعلم ما تعانیه ، ولكن الدعوة أعز علينا وعليك من أن نتركها بلا قيادة . وقد اتفقنا على أن تكون قائدها . وإذا كنا قد بايعنا على افتدائها فلتفتدها أنت كذلك . والله قادر على شفافك اذا استجبت لدعوته . . ولن نخرج من هذا المكان الا بنزولك على رأى الاخوان الممثل فينا » .

ولقد كانت لكلمات الاخ يوسف ولدمعه المنهمر فعيل السحر في قلب
الاستاذ الهضيبي وقلوبنا ، حتى اننا انهمرت دموعنا ، ووجدنا انفسنا قد
انتقلنا الى جو روحى غامر ، لم يملك معه الاستاذ الهضيبي الا أن يبتسم
والدموع تترقرق في عينيه ويقول :

« لقد نزلت على رأيكم – وأسأل الله تعالى أن يعيننى » •

وقمنا جميعا نعانقه ويعانق كل منا أخاه .. وكانت جلسة قصيرة عابرة
ولكنها كانت جلسة تاريخية فاصلة لهما ما بعدها •

الفصل الرابع

مشة تار حول المرشد الجديد

يبدو أن الذين كان لهم رأى يخالف رأى الجماعة فى اختيار المرشد الجديد ، أخذوا فى اشارة الشبه حول الرجل الذى أجمعت عليه الجماعة . وقد يسر لهم ذلك أن الناس فى ذلك الوقت لم يكونوا يعرفون عن الرجل شيئاً أكثر من أنه قاض كبير . وهذه المعلومات وحدها لا تكفى أن تكون كل المؤهلات لرجل يقود أعظم دعوة فى العالم الاسلامى ، وجاء ليخلف حسن البنا الذى كان أقوى زعيم فى الشرق ، بشهادة الاعداء قبل الاصدقاء .

ونرى لزما علينا ازاء هذه الشبه المثارة ، والتى وجدت من بعض الناس أذانا صاغية ، أن نكشف للناس عن حقيقة هذا الرجل وعن مؤهلاته الاسلامية والعلمية والاجتماعية والسياسية التى لم يكن الرجل حريصا على الكشف عنها ايثارا لما عند الله وحده ، الذى كان هو هدفه وغايته ومبتغاه فى كل قول يقوله وكل عمل يعمل .

وقد تناولت الشبه المثارة شخصية الرجل فى نواح ثلاث هى :

١ - خبرته فى الشؤون السياسية والاجتماعية .

٢ - مدى اتصاله ومدى سابقته فى الدعوة .

٣ - مدى استعداد الخطابى أو اللسانى .

أولا - خبرته فى الشؤون السياسية والاجتماعية :

كان الاستاذ حسن الهضيبي مستشارا محكمة النقض والابرار ، وكان من القلائل الذين اشتهروا بين رجال القضاء بالجمع بين العلم والنزاهة والحصافة وقوة الشخصية وبعد النظر . . وله تاريخ عريق فى المطالبة بجعل الشريعة الاسلامية قانون البلاد ، ولا زالت مضابط مجلس الشيوخ المصرى تسجل أروع دفاع له عن التشريع الاسلامى أمام أساطين علماء القانون فى مصر الذين كان يضمهم هذا المجلس - حين كان المجلس فى صدد مناقشة تعديل القانون المدنى وانتخب اثنين من كبار رجال القضاء للاشتراك فى هذه المناقشة ، فانتدب رئيس محكمة النقض والاستاذ حسن الهضيبي . . وكنت احتفظ فيما احتفظ به بنسخة من مصبغة هذا المجلس بها جزء مما دافع به هذا الرجل عن الشريعة الاسلامية . وقد كان جل همه أن يقتنع المجلس بأن التشريع الاسلامى هو أوفى تشريع بمصالح الناس ، وأنه يجب أن يكون هو تشريع البلاد .

ومما يجب أن يستحضره القارئ في خاطره اذ يقرأ هذا الذى اكتبه الآن أن مجرد الحديث في ذلك الوقت عن التشريع الاسلامى كان أمرا مستغربا ، بل أستطيع أن أقول انه كان أمرا مستهجنا ، لأن الفكرة الاسلامية بوجه عام كانت لا تزال فكرة مشوهة في أذهان الناس عامة ، وفي أذهان قادة البلاد خاصة ، نتيجة الجهود المتواصلة التى بذلها المستعمر طيلة ما يقارب القرن من الزمان . ولذا كان حديث الاستاذ الهضيبى في مجلس الشيوخ يعده الاكثرون في ذلك الوقت ضربا من الخرافة والرجعية ، ولولا أن الرجل كان على ايمان راسخ بما يقول ، ولولا أنه كان شخصية قوية ما استطاع أن يجهر بهذه الآراء .

والاستاذ الهضيبى ينحدر من أسرة عربية تقطن في مركز شبين القناطر . وقد تدرج في السلم القضائى من أول درجة فيه حتى وصل الى أعلى درجاته ، وقد أثرت عنه مواقف قضائية مشرفة في مختلف هذه الدرجات . وقد وضع الاستاذ محمد شوكت التونى - وهو محام كبير - كتابا يعد الفريد في بابيه ، وعمله أول كتاب باللغة العربية في موضوعه ، وهو كتاب « المحاماة فن رفيع » وقد أتاحت لى فرصة قراءته في الايام الاخيرة من معتقل سنة ١٩٥٤ . وهو يقع في أكثر من خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، وقد اسنعرض كل مايتصل بالمحاماة التى سماها القضاء الواقف في جميع دول العالم ، كما تحدث بافاضة عن القضاء الجالس . وكانت الشخصية الوحيدة التى اتخذها مثالا لاسمى صور العدالة وانزاهة والشجاعة والادب والعلم وبعد النظر ووسعة الافق هى شخصية الاستاذ حسن الهضيبى .

وقد سجل في نفسى أول لقاء مع هذا الرجل - وكان ذلك في الجلسة التى كانت في بيته في المندرة والتى أشرت اليها آنفا - أن هذا الرجل يجتمع في شخصيته صفتين هما أشبه بهما وصف به المؤمنون الاقوياء من أنهم « رهبان بالليل فرسان بالنهار » فقد كان هذا الرجل مع صلابة عزمه رقيق القلب سريع الاستجابة للضعفاء بقدر ما هو عنيد لا يئنحنى أمام الاقوياء ، فلقد طأطأ ونسى عناده وانثنى أمام دموع يوسف طلعت بعد أن كان مصرا على عناده أمام اخوان القاهرة وأعضاء مكتب الارشاد حتى أدخل اليأس في قلوبهم .

ومعلوماتنا عن هذا الرجل في مدى احتسكاكه بالاحداث الاجتماعية والسياسية لبلاده قد استقيناهما من مصادر مختلفة ، بعضها وثائق مطبوعة ، وبعضها الآخر من زملاء له وأصدقاء . أما الرجل نفسه فقد كان حريصا على أن تظل هذه المعلومات في طي الكتمان لانه قد يرى في الافضاء بها نوعا من من التباهى والتفاخر الذى كان يتجافى عنه ويكرهه .

وقد كنت في مسودة هذه المذكرات قد سردت هذه المعلومات سردا ، ولكن لما حان وقت تبليغ هذه المسودات ، كان قد ظهر في السوق كتاب الاستاذ مصطفى أمين « سنة ثالثة سجن » قرأت فيه بابا ضم هذه المعلومات نفسها لكن ميزته أنه أوردها عن لسان المرشد العام نفسه . فأتت أن أوردها كما جاءت عن لسانه حيث جاءت أوضح وأكثر تفصيلا

ولقد عجبت كيف استطاع مصطفى أمين أن ينتزع هذه المعلومات من بين شفاتي الرجل الكتوم الشديد الحرص على أن لا يبيح بشيء يتصل بنفسه ، ولكن يبدو أن براعة مصطفى أمين الصحفية بالاضافة الى الظروف التي كانت محيطة بهما في السجن من طول المدة والفراغ الذي لا حدود له هي التي هيأت الفرصة للحصول على هذه المعلومات الدفينة في أعماق النفس . .

والى القارىء نص ما نقله الاستاذ مصطفى أمين عن لسان الاستاذ الهضيبي في هذا الشأن تحت عنوان :

السرا الذي أخفاه المرشد العام الجديد

ليمان طره في ٨ سبتمبر سنة ١٩٦٧ .

أمضيت وقتا طويلا مع الاستاذ حسن الهضيبي المرشد العام للاخوان المسلمين وجاري في الزنزانة . وتحدث عن رأيه في الاغتيال السياسي فقال : انه من حق الشعب عندما يحتله جيش أجنبي أن يقاومه بالرصاص ، ولكنه لا يوافق على ان يقتل الناس خصومهم في الرأي .

وروى لي أنه دخل الازهر ومكث فيه سنة واحدة ولم يستفد شيئا . ثم دخل مدرسة باب الشعرية الابتدائية ثم مدرسة الخديوية الثانوية ، وكان في أول الامر تلميذا منطويا على نفسه ، يتفرج على الاحداث ولا يشترك فيها . وبعد أن حصل على شهادة البكالوريا التحق بمدرسة الخديوية ، وقد سميت كذلك نسبة الى الخديوى عباس . وذات يوم اتصل به زميله الطالب أمين صدقى وحدثه عن دخول جمعية سرية تعمل ضد الانجليز . ورحب بأن يدخل الجمعية ، وأقسم على القرآن والمسحس أن لا يفشى أسرارها لاي مخلوق . وكانت هذه الجمعية تنقسم الى عدة خلايا وكانت الخلايا لاتعرف بعضها . وكانت الخلية السرية مؤلفة من خمسة أشخاص : رئيس وأربعة أعضاء . وكان زملاء الهضيبي في الخلية الطالب حسن مختار رسمى الذي أصبح فيما بعد وكيلا لوزارة المالية ورئيسا لمجلس ادارة شركة غزل المحلة ، والطالب مغازى البرقوقي الذي أصبح بعد ذلك قاضيا ونائبا وهديا ووكيلا لمجلس النواب ، وأمين صدقى الذي أصبح بعد ذلك محاميا وحصل على

دكتوراة في الحقوق ، والطالب عبد الخالق عطية الذى أصبح وكيلا لمجلس النواب ٠٠ وكان الزعيم محمد فريد هو رئيس الجمعية السرية .

وكان كل عضو من أعضاء الجمعية السرية مكلفا بأن يجند عضوا آخر ، وكان لحسن الهضيبي زميل في الفصل يأتّمنه ويثق به ، فعرض عليه الامر أن ينضم للجمعية السرية فوافق بعد أن سأل عن غرضها ، فقال له الهضيبي ان غرضها قتل الانجليز وعملاء الانجليز . ورحب الصديق بالفكرة . ولكنه في اليوم التالي عاد يقول انه رأى نفسه في المنام في الليلة السابقة يخنق أخته ففرغ ، ولهذا فهو قد عدل عن الانضمام الى الجمعية السرية - وأسقط في يد الهضيبي وأسرع الى رئيس خليته يبلغه ما حدث . وأسرع رئيس الخلية الى قيادة الجمعية يبلغها بما جرى . وعقدت القيادة محكمة لمحاكمة حسن الهضيبي ٠٠ أخذوه الى شقة في بيت مهجور ، في حي سحيق ، وأدخلوه غرفة مظلمة . وجلس ثلاثة شبان الى مائدة فوقها قرآن ومسحس وبدأ القضاة السريون يحاكمون حسن الهضيبي ، يوجهون اليه أسئلة ويجيب عليها ٠٠ ثم أصدروا حكمهم أنهم تبينوا من التحقيق الذى أجروه أن حسن الهضيبي لم يفش لصاحبه سر الجمعية ، وأنهم لو كانوا شعروا من المحاكمة بأنه أقضى أسرارها لقتلوه على الفور رميا بالرصاص ، وأنهم لهذا يصدرون عليه حكم البراءة .

وتنفس الهضيبي الصعداء . وكان من حسن حظه أن زميله كان كتوما فلم يفش سر صاحبه لاحد . ولكن الهضيبي تعلم من هذا درسا لم ينسسه طوال حياته : أن يكون حذرا وأن يكون كتوما .

وذات يوم أصدرت قيادة الجمعية أمرا الى الخلية السرية بأن تستعد للقيام بعملية هامة ، وهي الهجوم على قسم شرطة السيدة زينب والاستيلاء على كل ما فيه من أسلحة وتسليمها الى قيادة الجمعية .

وعقدت الخلية السرية اجتماعا وضعت فيه خطة الهجوم على قسم الشرطة ، ووزعت على أفرادها الادوار التى سيقوم بها كل واحد منهم . وذهب أعضاء الخلية وعابنوا مكان القسم ، واختاروا الوقت الملائم للهجوم وهى الساعة التى عرفوا أن عدد الجنود في القسم فيها يقل الى حده الأدنى . وتحددت ساعة الصفر للانقضاض ٠٠٠ وقالت لهم الجمعية انها عملية انتحارية قد يموتون فيها جميعا .

وعاد الهضيبي ليلتها الى بيته في حارة سليم بالسيدة زينب وأحرق كل اوراقه ، وبدأ يصلى استعدادا لكى يموت شهيدا ٠٠٠

وعند منتصف الليل دق الباب ، وتصور الهضيبي أن المؤامرة انكشفت وأن البوليس جاء ليقبض عليه ٠٠ وتقدم الى الباب يفتحه . وإذا بأحد زملائه

أعضاء الخلية السرية يبلغه ان قيادة الجمعية قررت تأجيل العملية الانتخابية
٠٠ وسأل عن السبب فقليل له انه ليس من حقه أن يسأل عن السبب . وسأل
عن موعد التنفيذ القادم فقال له صاحبه ان الاوامر ستصدر في الوقت المناسب .

وبعد ذلك أطلق ابراهيم الورداني الرصاص على بطرس باشا غالى
رئيس الوزراء لانه اتفق مع الانجليز على الحكم الثنائى فى السودان وأراد
تجديد اتفاقية قناة السويس .

وسقط رئيس الوزراء قتيلا ، وقبض على عدد من أعضاء الجمعية .
وعرف الهضيبي عندئذ أن جمعيته هى التى اغتالت بطرس غالى . فهل كانت
الفكرة فى أول الامر هى مهاجمة قسم السيدة زينب والاستيلاء على أسلحته
ليستعملها أعضاء الجمعية فى هجوم جماعى على مجلس الوزراء يقتلون فيه
رئيس الوزراء ، ثم رأى ابراهيم الورداني أن يقوم بهذه العملية وحده بغير
سركاء ، وأن يقتل رئيس الوزراء عند خروجه من رئاسة مجلس الوزراء وحده
بدل عشرة أشخاص كان المفروض أن يقوموا معا بهذه العملية . ان حس
الهضيبي لم يعرف هذا السر أبدا . كل ما يعرفه أن أحد أعضاء جمعيته قتل
رئيس الوزراء ، وأن العملية الانتخابية التى كان مكلفا بها لم تتم .

ولم يقبض البوليس على حسن الهضيبي بين عشرات من أعضاء
الجمعية الذين قبض عليهم للاشتباه ، ولم يتطرق الشك الى أحد أن هذا
التلميذ المنزوى الطيب المطيع هو عضو فى الجمعية السرية التى أمر الانجليز
بالقبض على جميع أعضائها .

وانفرط عقد الجمعية ، ولم يعرف الهضيبي كيف انفرطت ، ولماذا
انفرطت ، ولكنه عرف أن خليته لم تعد تتلقى أوامر أو تعليمات .

ثم حدث أن حكمت المحكمة بإسـلـجـن لمدة ستة أشهر على الزعيم محمد
فريد لانه كتب مقالا هاجم فيه الخديوى والانجليز . وهرب محمد فريد الى
أوروبا . واختلف رأى الشبان فى قرار الزعيم الوطنى ، كان من رأى فريق أنه
بعد أن قيدت الصحافة عقب مصرع بطرس غالى ، وبعد أن بدأت مطاردة
الوطنيين – أصبح مجال العمل ضيقا أمام محمد فريد ، فهو سوف يكون فى
أوروبا مطلق اليد ، يهاجم الاحتلال البريطانى والخديوى كما يشاء
ويقلب العالم ضد الاحتلال والفساد فى مصر .

وفريق آخر كان يرى أن واجب محمد فريد كان يقضى عليه أن يدخل
السجن ولا يتخلى عن مكانه داخل المعركة ، وأن يبقى ليقاوم ويؤلب الشعب
على الاحتلال .

وكان الهضيبي يؤيد هذا الرأى الأخير . . . فقد شعر أن الجيش أصبح

بلا قائد ، وأن العلم الذى كان يجمعهم اختفى فجأة • وزاد في إيمانه أنه رأى أفراد خلتيه السرية حيارى تائهين ، ثم لم يلبث أن رآهم نفرقوا ، لا يجتمعون ولا يتناقشون •• كأن محمد فريد عندما خرج من مصر أخذ مع حقائبه روح مصر ••

وفي سنة ١٩١٤ أعلن الانجليز الحماية على مصر • وخلصوا الخديوى عباس حلمي وأعلنوا الامير حسين كامل سلطانا على مصر •

وشعر الهضيبي كأن خنجرا أغمس في ظهره ، ثم ما لبث أن أحس أن خنجرا أكبر يغمس في قلبه •• أعلن الانجليز الحماية على مصر •• ولم يتحرك أحد من المصريين ، لم تقم مظاهرة واحدة ، لم يلق حجر واحد على الجنود الانجليز الذين ساروا في موكب من قشلاق قصر النيل الى قصر عابدين يذفون السلطان الجديد الى عرش مصر على أسنة حراب الاحتلال •

وأسرع الهضيبي الى زملائه أعضاء الخلية السرية ، واذا بالفجعية تمزق قلوبهم ، العمل الوحيد الذى قام به بعض المتحمسين منهم أن وضعوا في عنقهم أربطة سوداء •• كانت الكرافطة السوداء هى العلم الوحيد الذى رفعوه • شعر الشباب المصرى في تلك الايام الريرة بالشقاء والذل والخزى والعار • أحسوا أن شرف كل واحد منهم لطم بالوحد والطين •• أحذية الجيش البريطانى داست على رؤوسهم جميعا •• أحسوا أكثر بالحاجة الى القائد ••• راحوا يقولون : لو كان محمد فريد موجودا في مصر لعرف كيف ينظم المقاومة وكيف يرد على صفقة الاحتلال •

وأوقف أمين الرافعى اصدار جريسته ، فضل أن يحطم قلمه على أن ينشر في جريدته نبأ أن مصر أصبحت تحت الحماية البريطانية •• أما جريدة المقطم التى كان يصدرها الدكتور فارس نمر ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس فقد أصدرت ملحقا بعناوين ضخمة في الصفحة الاولى « بشرى للامة المصرية • إعلان الحماية البريطانية على مصر » وكان هذا العنوان المخزى أشبه بكفن وضعت فيه جريدة المقطم جثة الشباب الوطنى في مصر •• ولكن شباب مصر دفن ولم يموت •• الصدمة المفاجئة جعلته يتسمر في مكانه بلا حراك • واختفاء محمد فريد من مصر كان أشبه باختفاء المنارة التى كانت تضىء للسفن الهائمة في أثناء العاصفة •

وأعلن السلطان الجديد تغيير اسم مدرسة الحقوق الخديوية الى اسم « مدرسة الحقوق السلطانية » •• وأذاع قصر عابدين أن عظمة السلطان قرر أن يشرف مدرسة الحقوق السلطانية بزيارته • وكان بناء مدرسة الحقوق مجاورا لقصر عابدين • وتحدد يوم الزيارة •• وفرشت ممرات المدرسة بالرمال الاحمر ، ورفعت الاعلام استعدادا لمقدم السلطان •

وفي يوم الزيارة تلقى طلبه مدرسه الحقوق بطاقة مطبوعة بأن فلانا الطالب بالمدرسة توفي الى رحمة الله وستشيع جنازته من منزله رقم ١١ شارع المناخ في الساعة الحادية عشرة صباحا . وعلى جميع انطلبة الاشتراك في تشييع الجنازة .

وكانت الساعة الحادية عشرة هي الموعد المحدد لزيارة السلطان .
وكان العنوان المكتوب في البطاقة هو عنوان محل جروبي في شارع عدلى الان .

وترك الطلبة المدرسة ، وذهبوا لتشيع الجنازة الوهمية ، وفي جروبي تناولوا الجاتوه والحلوى على روح الفقيد المرحوم ودخل السلطان حسين الى المدرسة فلم يجد فيها طالبا واحدا .

وجن جنون السلطان ، وهاج وماج وثار . . وعرف أن طلبة أكبر مدرسة عالية في مصر في ذلك الوقت أرادوا أن يلطموا السلطان لطمة علنية عقابا له على توليه عرش مصر في ظل الحماية البريطانية .

وقام السلطان ولم يقعد ، وقام الانجليز ولم يقعدوا . وقامت الحكومة ولم تقعد . . هذه ثورة ضد السلطان وضد الانجليز وضد الحكومة . وقبض على عدد كبير من طلبة مدرسة الحقوق ، وقبض على صاحب المطبعة الذى طبع بطاقة الدعوة لحضور الجنازة .

وعرض النائب العام على صاحب المطبعة كل طلبة مدرسة الحقوق ليتعرف على الطالب الذى طبع بطاقة الجنازة . . ولم يتعرف صاحب المطبعة على واحد منهم ، وقال أن الشخص الذى جاء لطبع البطاقة كان أكبر عمرا من هؤلاء الطلبة . . وهنا عرضت النيابة أساتذة مدرسة الحقوق على صاحب المطبعة فقال ان المجرم الاثيم ليس واحدا منهم .

والواقع أن المجرم الاثيم لم يكن طالبا ولا مدرسا فى مدرسة الحقوق وانما كان عربجيا . . كان العربجى الذى يقود العربية الحنطور التى تملكها اسرة الطالب فؤاد حمدي وتحمله كل يوم الى المدرسة .

واصدرت الحكومة قرارا بفصل عدد من طلبة الحقوق نهائيا ، وعدد آخر لمدة عامين ، وعدد ثالث لمدة سنة واحدة . وكان حسن الهضيبي أحد الذين فصلوا لمدة سنة واحدة .

وحاول الطلبة أن يتظاهروا فوجدوا أن كل الابواب مغلقة في وجوههم . لا احد يجرو على أن يتوسط لهم والسلطان ناثر ، والانجليز حانقون .

والحكومة غاضبة ٠٠ ثم سمع الهضيبي من زملائه المفصولين أن سعد زغلول باشا وكيل الجمعية التشريعية التي عطلها الانجليز يتعاطف معهم ٠ وذهب مع بعض زملائه وقابلوه ، فاذا به يهنئهم لانهم أعادوا الاعتبار للشعب المصرى عندما لطمه السلطان ٠٠ واذا به يقول انه سيبذل كل ما يستطيع لرفع الظلم عنهم ، وأنه لا يملك أى سلطة ، ولكنه يعتبر نفسه ممثل الشعب الذى انتزعت سلطاته باعلان الحماية ٠٠ ودهش الهضيبي لان رجلا فى الستين من عمره يتكلم بلغة الشباب ٠٠ وبعد خروجه من بيت سعد زغلول قال لزميل له ٠ هذا الرجل يستطيع أن يقود مصر بدلا من محمد فريد ٠

قال له زميله : مستحيل ٠٠ مستحيل ٠

وبعد أربع سنوات قامت ثورة سنة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول ، وصدقت نبوءة الهضيبي ٠٠٠ وكان طلبة الحقوق المفصولون هم أول الذين مشوا وراء سعد زغلول وأشعلوا الثورة ٠

ثانيا - هل الهضيبي طارئ على الدعوة ؟

ان الذين يريدون أن يقصروا صفة الاخوان المسلمين على الاشخاص الذين ضمت سجلات العضوية الرسمية أسمائهم ، والذين يؤدون اشتراكاتهم والذين ينتظمون فى تشكيلاتهم - يريدون أن يضيّقوا واسعا ويحجروا سهلا ميسورا ٠٠ فالاخوان المسلمون ليسوا شيئا مخترا ، ولا فكرا مبتكرا ، ولا دعوة مبتدعة - وانما هى الفكرة الاسلامية : من اعتنقها وعمل لها وجاهد فى سبيلها فقد صار من الاخوان المسلمين ، له كل حقوقهم ٠٠٠ وعلى هذا الاساس من المعنى الفسيح الذى أرساه القرآن الكريم بقوله « انما المؤمنون اخوة » تحدثت فى مكة المكرمة - كما سبق أن ذكرت - الى السيد أبى الحسن على الندوى فى أخطر ما يتصل بالاخوان المسلمين ٠٠ ولم يشعر الرجل بغربة فى حديثي معه فى هذا الشأن ، لان هذا المعنى الفسيح الرحب الجامع للاخوة الاسلامية هو أمر مقرر فى نفس كل من فهم الاسلام، وهو احدى البديهيات فيه ٠

وقد أثبت فى الصفحات السالفة كيف كان الاستاذ حسن الهضيبي عريقا فى فهمه للفكرة الاسلامية وفى جرأته فى التقدم بها وفى شرحها وفى الدفاع عنها أمام أعلى هيئة تشريعية فى البلاد ٠٠ فهل يكون رجل كهذا غريبا على الدعوة الاسلامية ، دخيلا على الجماعة التى رصحت نفسها لنفس الفكرة ولشرحها والدفاع عنها ٠٠٠ واذا كان مثله يعد دخيلا فمن اذن يكون فيها أصيلا ؟ ٠

ومع ذلك فقد أثبتت الاحداث ان الاستاذ الامام كان نقادا ماهرا ، وكان قديرا فى وزن الرجال ووضعهم فى مواضعهم ، فقد رأى أن الاستاذ حسن

الهضيبي كنز ثمين يجب الحرص عليه والانتفاع به .. ولكنه رحمه الله كان يراعى ظروف بعض قوى الوظائف الحساسة فيعفيهم من الظهور في أوساط الاخوان ، ويجعل اتصاله بهم اتصالا شخصيا ، فهو يتبادل معهم الرأي ، ويشاورهم في الخطير من الامور ، ويظهرهم على مواقف الدعوة وما يحيط بها من ظروف .. وكان هذا هو دأبه مع الاستاذ الهضيبي .. ولذا فلم يكن يعرفه علاقة الاستاذ الهضيبي بالاخوان الا من كانت الظروف تدعو الى هذه المعرفة من قلة من الاخوان . كما كان يعرف هذه العلاقة قلة من غير الاخوان .

فلقد قرأنا في ثنايا أحداث الايام السوداء من عهد ابراهيم عبد الهادي أن الاستاذ الهضيبي كان الرجل الوحيد الذي كان بجانب الاستاذ الامام في أشد هذه الايام حلوكة ، وأن الاستاذ الامام قد اتخذ صفيه ومستشاره وموضع سره ، فقد كانا يجلسان معا في دار جمعية الشبان المسلمين على انفراد ... ويبدو أن الاستاذ الامام قد أفضى اليه بكل ما عنده ، وشرح له جميع المواقف ، وحل له كل الشخصيات ، بدليل أنه منذ أول يوم ففتح فيه . خلافة الاستاذ الامام تحدث عن بعض شخصيات الاخوان حديث العليم الخبير ، مع أنه لم يسبق له اتصال بهم .

وانقل للقارئ في هذا الشأن فقرة جاءت عرضا في شهادة الاستاذ محمد الليثي رئيس قسم الشباب بجمعية الشبان المسلمين أمام محكمة الجنايات في أثناء نظر قضية اغتيال الاستاذ الامام وذلك في يوم ١١-١١-١٩٥٣ حيث قال :

« ولما أحس البوليس السياسي بأن الشيخ البنا يتردد على الجمعية أخذ يراقبه لمعرفة المتصلين به .. وكنا قد اتفقنا على رموز للتفاهم بها .. حتى انه حدث أن حضر الاستاذ الهضيبي ، ونظرا لعدم معرفتي به انكرت معرفتي بالشيخ البنا لاعتقادي أنه من البوليس السياسي .. وعرفت أخيرا من الشيخ البنا أنه هو الاستاذ الهضيبي » .

وفي ١٨-١١-١٩٥٣ وفي أثناء شهادة الاستاذ مصطفى مرعي أمام نفس المحكمة وفي نفس القضية ، وجه اليه الاستاذ عبد القادر عوده - أحد أفراد هيئة الدفاع - سؤالا ، ودار النقاش على الوجه الآتي :

الدفاع - ألم تفهم الاسباب التي من أجلها كان الشيخ البنا يمهلك في الرد عليك ؟

مصطفى مرعي - كان لديه مستشار .

الحكمة - من المستشار ؟

مصطفى مرعى - الاستاذ الهضيبي .

هذا هو الاستاذ حسن الهضيبي الذي اشاع المفروضون أنه غريب عن
الاخوان المسلمين .

ثالثا - القدرة الخطابية أو بين عهدين :

لقد وضع تمام الوضوح أن الله تعالى يصنع لدعوته - وهو أعلم بما
يصلح لها - فلقد علم أن هذه الدعوة في العشرينيات والثلاثينيات قد طمست
معالمها ، وشوه وجهها ، وغابت تحت الاضاليل قسماتها ، حتى أضحت غريبة
على أهلها ، مجهولة لا تقرب الناس اليها - فاختر لها داعية من الشباب قوى
البدن ، ذكى الفؤاد ، ذاق اللسان ، ذا بسطة في العلم والجسم . لا يمل ولا يكل .
فهو واعظ وكاتب وقائد ومعلم ومتنفسك وفارس وخطيب . . . اذ كانت الدعوة
في ذلك الوقت في حاجة الى من يجالس الناس في المقاهي ، والى من يربى من
يستجيب له تربية حانية في خفاء ، والى من يؤم الناس في المسجد ، ويخطب
فيهم خطبة الجمعة والعيد ، والى من يكتب للناس شارحا لدعوته ، مفندا
ما علق بالاسلام من شوائب . . . والى من يبيت في الشباب روح الفداء فهو
يرتدى الملابس العسكرية ويقف معهم في الصف ويقودهم في الطابور . . .

كانت الدعوة في حاجة الى من يواصل في سبيلها الاسفار ، فهو كل يوم
في بلد ، وكل أسبوع في مدينة ، يغشى مجانس الناس ، ويجلجل صوته وسط
جموعهم ، بأساليب تناسب هذه الجموع . . . ففي جمع من هذه الجموع يناقش
شئون الدولة العليا على ضوء الفكرة الاسلامية . . . وفي جمع آخر يخاطب
الناس فيقول : ان الناس قد قسا قسما فيهم الجهل بالدين حتى ان رجلا مسلما كان
يقرأ الفاتحة فيقول : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين . الرحمن
الرحيم . مالك يوم الدين اياك نعبد و اياك نستعين . اهدنا الصراط
المستقيم » ويعلق على لفظ « اهدم » تعليقا يجعل هذه الجموع تضحك ملء
أشداقها . . . فيقودهم وقد تفتحت قلوبهم بهذا الضحك الى معالجة هذا الجهل
بالاقبال على كتاب الله وهو ما يدعو اليه الاخوان .

وهكذا فهو يخاطب كل قوم بأسلوبهم . . . وقد يضطر في جمع واحد أن
يخاطب في حديث واحد كل الحاضرين بمختلف مستوياتهم الثقافية بحيث
لا يشعر أى منهم أنه غريب وسط هذا الجمع .

كانت الدعوة بادرة صغيرة ، ونبتة ضعيفة ، في أمس الحاجة الى من
بحوطها ويطردها عنها الهوام والحشرات والحيوان من حولها حتى لا يفتك بها
أو يفترسها . . . كانت في أمس الحاجة الى من ينكفي فؤتها . . . يداريها من
الرياح والعواصف والحر والبرد والنصيع .

كان حسن البنا هو الداعية الذي أهله الله تعالى بكل هذه المؤهلات ..
فأدى دوره أحسن أداء ، ثم ذهب الى ربه بعد أن بهر العالم بإيمانه وصبره
ولسانه وقلمه وعلمه وسعة أفقه وقدرته على التكوين وصنع الرجال - وترك
وراءه دعوة قد اكتمل شبابها ، ورسخت أقدامها ، وآنت أكلها كل حين باذن
ربه .

لم تعد الدعوة في حاجة الى كبير عناء لشرحها للناس فقد فهمها الجميع
لكثرة ما خطبوا بحججها باللسان والقلم ، ثم اقتنعوا بها بعد أن رأوا
بأعينهم الفاسدين من الشباب وقد صلحوا ، والهازلين وقد جدوا ، والجاهلين
وقد تعلموا ، وبعد أن رأوا في نهاية الامر رعيلا كالرعيلا الاول من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسابقون الى الموت هاتفين « وعجلت اليك
رب لترضى » .

لم تعد الدعوة في حاجة الى من يذرع البلاد شرقا وغربا ، ويجوبها
شمالا وجنوبا ، لا يبيت في بيته قدر ما يبيت في القرى والمدن ، فلقد استجابت
البلاد للدعوة من أقصاها الى أقصاها . ولم تعد فيها مدينة ولا قرية ولا عزبة
الا وفيها شعبة للاخوان ، وفيها قلوب تنبض بحب الدعوة وتفتديها .

لم تعد الدعوة في حاجة الى من ينكفئ فوقها ليقبها غوائل البرد
والصقيع أو صفعات الرياح والعواصف ، فلقد نمت وترعرت وثبتت
جنورها ، وأخرجت شطاها فأزرها واستغلظت واستوت على سوقها .

لم تعد الدعوة في حاجة الى ما كانت تحتاج اليه من قبل من حماية ،
واكنها وقد أزهرت وبانت ثمارها جنية شهية تسيل اللعاب .. أضحت في
حاجة الى من يكف أصحابها أنفسهم عنها من أن يسيل لعابهم فيمدوا
أصابعهم الى ثمارها ليقطفوها للاستمتاع الشخصي بها .. أضحت في حاجة
الى من يقنع الاخوان أنفسهم بأن يعلموا أن ثمار هذه الدعوة ليست ملكا لهم
يستمتعون به ، وانما هي من حق الامة الاسلامية جمعاء .. والا لما كان
هناك داع لتقديم الدماء والارواح التي قدمت عن رضا وطوعية لتروى هذه
الشجرة العزيزة ...

ما أشبه الدعوة في عهدها بالدرجتين العليين المشهورتين : الفقير
الصابر والغنى الشاكر ... الاول كان في حاجة الى كفاح مستمر ، وكد
متواصل ، وجهد لا يفتتر ، ومواصلة الليل بالنهار للحصول على الرزق
الكفاف الذي يحفظ عليه الحياة - أما الآخر فقد توفر له الرزق بكل أشكاله
والوانه ، تجبى له الثمرات من كل مكان ، فهو لا يحتاج الى كد ولا كفاح ولا

سعى ، ولكنه يحتاج الى أن يكف شهواته عن الانطلاق ، والى أن يكبح جماح نفسه ، ويقف بها عند الحدود .

وقد استطرذ فأقول ، ان نمو الدعوات لا يعمل فيه الزمن عملا متناسقا مطردا - كما قد يخطر بالبال - فتخمو الدعوة في سنتين ضعف نموها في سنة وفي ثلاث سنوات ثلاثة أمثال وهكذا . . بل ان من السنين ما يوقفه النمو ومنها ما يضاعفه أضعافا مضاعفة . . ففي السنتين الاخيرتين قبل استشهاده الاستاذ الامام انطلقت الدعوة انطلاقا لم نعد نستطيع معه ملاحظتها كأنما نشطت من عقال . . ولعل هذا كان هو الذى دفع بالمستعمرين وأذئابهم الى التعجيل بخطتهم للقضاء عليها .

وأذكر أنه قبيل السنتين الاخيرتين هاتين كنت مع الاستاذ الامام فقال لى : « يا محمود . . لقد شارفت الاربعين . . وآن لكم أن تتولوا عنى الكثير مما أقوم به . . فحسب صاحب الاربعين أن يكون مرجعا يشير بالرأى ويشترك بالتوجيه ، .

وقد رأيت اثبات هذا الحديث لابين أن الاستاذ الامام - رحمه الله - كان يتأهب لدور هو أشبه بالدور الذى تقلده ونهض به الاستاذ الهضيبي . . ولا شك في أن الدعوة يوم تسلم قيادتها الاستاذ الهضيبي كانت قد وصلت الى الوضع الامثل لهذا الدور .

وأعتقد لو أن حسن البنا - أوسع الله له في جناته - كان على قيد الحياة في سنى الخمسينيات ما واصل النهج الذى كان ينتهجه ، بل كان يعمل عن كثير من هذا النهج ، ولسلك نفس الاسلوب الذى سلكه الاستاذ الهضيبي ، فما عادت الدعوة محتاجة من قائدها الى خطب ومحاضرات بقدر حاجتها الى قائد قادر على اتخاذ القرار .

والهضيبي وان لم يكن من اهل الخطابة واللسن - وعد بعض البسطاء هذا عيبا فيه - فان الاخوان المسلمين - وهم أدرى الناس بما تفتقر اليه دعوتهم - لم يروا ذلك عيبا فيه . . بل أحسوا بأن هذا الرجل بعزوفه عن الكلام ، مع قدرته الفائقة على اتخاذ القرار ، وجراته في الحسم ، وجلاء بصيرته في النظر الى الامور ، وبعد نظره في الحكم عليها . : أحسوا بأن هذا الرجل هو رجل الساعة . . لان الظروف التى أحاطت بالدعوة في تلك الحقبة من الزمن كانت أحوج الى تلك الصفات في القيادة منها الى ذلاقة اللسان وبراعة البيان ، لا سيما وجماهير الاخوان كانت تعج بالخطباء والشعراء والكتاب والمحاضرين الذين لا يشق لهم غبار .

ومما يعد برهاناً على أصالة هذا الرجل في الدعوة الإسلامية ، وعلى اكتمال عناصر القيادة فيه ، أنه في خلال أقل من عام استطاع أن يحتل قلب كل أخ مسلم ، لافي مصر وحدها بل في أنحاء العالم العربي والإسلامي . . . ومحال أن يستطيع ذلك انسان عادى أو انسان مخادع أو انسان ضعيف الشخصية أو انسان تفتابه نوبات الاثرة والانانية ، أو تتجانبه رياح الاهواء والشهوات . . . لا سيما وجمهور الاخوان المسلمين - مع اتساع نطاقه ، وكثرة عدده ، واختلاف مستوياته المادية والاجتماعية - جمهور يقظ مستنير ليس من السهل خداعه ولا التمويه عليه . .

□ هل سخر الهضيبي الدعوة لأغراضه الشخصية ؟

وقد أثار المغرضون حول هذا الرجل أخيراً أنه رجل سياسى استغل الدعوة للوصول الى كراسى الحكم . . وسوف يرى القارئ أن شاء الله في سير الاحداث التى عاشها هذا الرجل ، ومواقفه فيها ما يدحض هذه المفتريات ويقوضها من أساسها ، وما يكشف عن حقيقته التى كان هو حريصاً على اخفائها ، ولكن الايام تكفلت بإظهارها ، وأثبتت أن الرجل كان من أزهـد الناس في دنيا الناس .

والى هؤلاء المغرضين الذين رموا الرجل بأنه سخر الدعوة لأغراضه السياسية الخاصة نسوق القول فنقول :

ان الطريق الذى سلكه حسن الهضيبي كان هو نفس الطريق الذى سلكته الدعوة من قبل ، لا في أواخر أيام حسن البنا فحسب ، بل منذ أوائل أيامها . . ففى عام ١٩٣٩ ورد في البيان الذى ألقاه حسن البنا في المؤتمر الخامس ما يلى :

« ان انجلترا لا تزال تضايق مصر رغم محالقتها اياها . ولا فائدة في أن نقول ان المعاهدة نافعة أو ضارة أو ينبغي تعديلها أو يجب أنفاذها . فهذا كلام لا طائل تحته ، والمعاهدة غل في عنق مصر ، وقيد في يديها ما في ذلك شك . . وهل نستطيع أن نتخلص من هذا القيد الا بالعمل وحسن الاستعداد ؟ فلسان القوة هو أبلغ لسان ، فلنعمل على ذلك ولنكتسب الوقت اذا أردنا الحرية والاستقلال » .

وفي رسالة وجهها الاستاذ الامام في منتصف الاربعينيات الى رئيس الحكومة وأعضاء الهيئات النيابية ورؤساء الهيئات الشعبية السياسية والوطنية والاجتماعية والى الامة تحت عنوان « مشكلاتنا في ضوء النظام الاسلامى » جاء فيها :

« لقد فاوضنا فلم نصل الى شىء لتعنت الانجليز ونصلبهم ومناورتهم
•• واحتكمنا فلم نصل الى شىء كذلك أمام تغليب المصالح الدولية والمطامع
الاستعمارية • ولقد قال لى كاتب فاضل : أننا وصلنا الى كسب أدبى عظيم
بالدعاية الواسعة لقضيتنا بطرحها أمام العالم كله ، وأخراجها من حيز
القاهم الثنائى الضيق الى حيز التحاكم الدولى الواسع •• وذلك صحيح -
ولكن هذا الكسب الادبى لن يغنى عن الحقيقة الواقعة شيئاً وهى أننا ما زلنا
مع الانجليز حيث كنا ، لم نتقدم خطوة ، بل ان هذا الركود مدعاة الى
التساؤل والبلبله •

لم يبق اذن الا « النبذ على سواء » بأن نعلنهم بالخصومة الصريحة
السافرة ، ونقرر فى صراحة الغاء ما بيننا وبينهم من معاهدات واتفاقات ،
ونعلن اعتبار أمة الوادى معهم فى حرب - ولو سنيية - وننتقم خيانتنا على
هذا الاعتبار : اقتصاديا بالاكْتفاء والاقتصاد على ما عندنا وعند اخواننا
ان عرب والمسلمين والدول الصديقة - ان كانت - واجتماعيا بتشجيع روح
العزة والكرامة وحب الحرية - وعمليا بتدريب الشعب كله تدريباً عسكرياً
حتى يأتى أمر الله ، وتهياً نفوس الشعب لذلك بدعاية واسعة تامة كاملة ،
كما تفعل الامم اذا واجهت حالة الحرب الحقيقية ، وتتغير كل الاوضاع
الاجتماعية على هذا الاساس •

وهذا العمل لا يتسنى بالافراد ولا للهيئات ابتداء ولكن الحكومة هى
المسئولة عنه أولاً وآخراً • والعجيب أن رئيس الحكومة (النقراشى) أعلن
هذا صراحة فى مجلس الامن ثم عاد فلم يعمل شيئاً ، ولم يتقدم فى هذا السبيل
خطوة •••• وهذا واجب الحكومة قطعاً •

وأما الشعب ، فنحن نقولها فى صراحة ووضوح وثقة ، انه على أتم
استعداد لبذل كل شىء لو سلكت الحكومة هذا السبيل •• انه مستعد ليجوع
وليعرى وليموت ويناضل ويكافح بأشد أنواع الفضال والكفاح • ولكن على
شريطة أن يكون ذلك فى سبيل حريته واستقلاله لا فى سبيل ارتباك اللجان
الحكومية وضعف الوسائل الادارية • والتخبط فى السياسة الاقتصادية ،
والوقوف أمام مكاييد الانجليز وضغطهم موقف المستسلمين العاجزين •

لقد سمعت عاملاً فقيراً يقول حين صدرت الاوامر بخاط الخبز : اننى
مستعد أنا وأولادى أن نأكل كل يوم مرة واحدة ، اذا وثقنا من أن عذا فى
سبيل الحرية والتخلص من الانجليز •••

فالشعب على أتم استعداد للبذل ، ولكن فى طريق واضحة مرسومة تؤدى

الى الحرية أو الشهادة ، بقيادة حكومة حازمة ترسم له في قوة وإخلاص
مراحل هذا الطريق - أما اذا استمرت الحكومة في تردها وتراخيها
واضطرابها فلن يؤدي ذلك بالشعب الا الى أحد أمرين : اما أن يثور واما أن
يموت • وكلاهما جريمة وطنية لا يغتفرها أبدا التاريخ •

« هذه هي الطريق فاسلكوها في ضوء الاسلام والله معكم ألا هل بلغت ؟
اللهم فاشهد » •

ليت شعري اليس هذا هو كلام حسن البنا ، أو ليست هذه هي الطريق
التي شرحتها وفصلها وطلب من الاخوان المسلمين سلوكها ؟ •• فهل سلك
الهضيبي سبيلا غير هذا السبيل ؟ أم كان كل ما عمله هو مواصلة السير في
نفس الطريق دون أن يحيد عنها ؟ !

على الذين يتهمون الرجل بأنه خرج بالدعوة عن مسارها الذي رسمه
لها قائدها الاول ، وبأنه حاد بها عن هذا المسار ، وسلك بها نهجا مبتدعا
لاطماعه الشخصية •• على هؤلاء أن يقرأوا ما اقتطفناه من توجيهات القائد
الاول ليعلموا أن الهضيبي لم يكن في قيادته للدعوة الا مواصلة للخط الذي
رسمه هذا القائد الاول ، لم يحد عن ذلك قيد أنملة •

وسوف يرى هؤلاء - بعد قليل ان شاء الله - أنه - بمواصلة هذا الطريق
المرسوم - قد وصل بالدعوة الى الوضع الذي صارت فيه مناصب الحكم لا في
قبضة يده فحسب بل صارت تحت أقدامه ، ولكنه عزف عنها ، وترفع بالدعوة
الظاهرة عن أن يلحق بها دنس الحكم في ظل عرش آثم •• وليس هذا فحسب ،
بل انه - مبالغة منه في الاحتفاظ بالدعوة بنقائنها ، وبعدا بها عن مواطن
الشبهات - قرر منع الاخوان من الاشتراك في الانتخابات منعا قاطعا مع أن
غوز الاكثرين منهم كان مضمونا •

فهل مثل هذا الرجل يرمى بأنه حاد بالدعوة عن طريقها المرسوم ، وسلك
بها طريقا آخر سخرها فيه لمآربه الشخصية ، وجريا وراء مناصب الحكم ؟
••• ألا فليتيق الله ، وليرعوا أولئك الذين لا هم لهم الا أن يتلمسوا للبراءة
العيب ••

الباب السادس

المرشد العام الجديد تبنوا منصبه
والبلاد أمام تطورات جديدة
الدعوة تحتل مكان الصدارة

- الضغط الشعبي للأخوان يبلغ أقصى مداه
- الحكومة تلتفي معاهدة سنة ١٩٢٦ •
- مقابلة الملك للمرشد العام الجديد •
- حريق القاهرة أو الخطة الجهنمية لاحتياط
- المقاومة •
- الشعب يفيق من النضوبة الجهنمية
- ويستأنف جهاده •

مقدمة

كان مفروضاً أن يكون أول عمل يستهدفه المرشد العام الجديد حين يتولى قيادة الدعوة أن يتفرغ تفرغاً تاماً لإعادة تنظيم صفوفه أتباعه وجنوده، بعد أن عدت عليهم يد الظلم، وعملت بكامل طاقتها على تشتيت شملهم، وتفريق جمعهم، وتقطيع أرحامهم، وتمزيقهم كل ممزق ٠٠٠ وقد يستغرق ذلك في الدعوات الوضعية أقصد الدعوات غير الربانية الاعوام والسنين حتى يلم الشعث، وترتق الفتوق، وتضمد الجروح، ويرمم ما تهدم، ويرفع البناء.

والمرشد العام حين أقيمت إليه مقاليد الأمور، وجد نفسه أمام سيل جارف من المطالبات الخطيرة تلج عليه بذعاءات مدوية من كل جانب ٠٠ كلها بنت ساعتها، لا تحتمل التأجيل ولا تقبل التأخير ٠٠ فاسترداد سمعة الدعوة التي لطخها المفترون، والحشد الكبير من الشباب الذين ألقى بهم عهد الظلم في غياهب السجون، ومنشآت الدعوة ومؤسساتها في آلاف الشعب من دور ونواد رياضية ومدارس ومعاهد ومساجد ومطابع وصحف ومستوصفات وأراض زراعية ومناجم ومحاجر وغيرها ٠٠ وقد اغتصبتها السلطات الغاشمة ودمرت أكثرها ٠٠٠

لكن نداء واحداً جد أخيراً وكان في سمع المرشد العام أعلى صوتاً، وأقوى دويماً من كل النداءات، لأنه صادر من الوطن المسلوب الحرية، المهضوم الحقوق، المقهور الشخصية، وقد استيقظ أخيراً حراسه الرسميون بعد أن فرطوا طويلاً في حقه ٠٠٠٠٠ فأى هذه الفداءات يجيب؟

أما الإخوان المنخنون بالجراح من أثر المحنة الجائحة فقد اعتادوا أن يضمدوا جراحهم بأيديهم، فأتاحوا بذلك لمرشدهم الجديد أن يستجيب للنداء الطارئ الجديد.

والمرشد العام الجديد رجل يميل بطبيعته إلى الهدوء والتفكير ومناجاة ربه ٠٠ وكان يحلم بتلك الأيام التي ينهى فيها عمله بالقضاء لينعم بما حرمة منصبه القضائي منه طول حياته - بالانتظام في كتائب الإخوان في الجو الروحي الخالص، ويستمتع بالليالي الربانية التي تنوب فيها متاعب الحياة وتتلاشى في بحار القرب من الله والتضرع إليه في وقت السحر مع هذه الصفوة المختارة الذين يقضون هذه الليالي بين راكم ومساجد وضارع وخاشع ٠٠٠ لقد كان الرجل يحلم بتلك الأيام، وجاءت تلك الأيام ولكن الحلم لم يتحقق فما كادت تتاح له الفرصة حتى وجد نفسه أمام أمور جسام لم تمهله لحظة ٠٠ رأى نفسه مطالباً بأداء حقوق نحو الوطن الغالي الذي يهتف كل أخ مسلم مهما ناله من ظلم يقول الشاعر :

ببلادی وان جارت على عزيزة وقومى وان ضنوا على كرام

وهكذا نزل الرجل الى الميدان من أول يوم ، ونفسه ثائقة الى الجو الروحاني الغامر .. ولكن الميدان لم يدع له فرصة الى ما تقتوق إليه نفسه الا خلسا ... أما المتلمسون للبرءاء العيب ، والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، فيرمون الرجل بأنه قد نقل الاخوان من صميم دعوتهم الى ميدان السياسة .. ويستدلون على ذلك بأنه منذ اليوم الاول لتوليته منصب المرشد العام قد نزل بالاخوان الى ميدان السياسة ولم يدعها لحظة من نهار *

والى هؤلاء نعيد توجيه القول فنقول : ماذا كنتم تريدون أن يكون موقف الاخوان - وقد كانوا يحثون الحكام دائما على منابذة المستعمر العداء - وجاءت حكومة آخر الامر وأخذت بنصيحتهم ، ودعتهم الى المشاركة في حمل اللعب معها في نتائج هذه المنابذة .. هل كنتم تريدون أن يتخلف الاخوان ويتنكروا لدعوتهم ويقولوا للحكومة : دعونا نعكف على الخطب والمحاضرات والعبادة وذهبوا أنتم وحدكم واجهوا العدو ١٩٠٠!

وقد نكون في غنى عن أن نذكر هؤلاء وغيرهم بأن العمل على تحرير البلاد من ربة الاستعمار - بالنسبة لدعوة تريد للبلاد أن تحكم حكما اسلاميا - هو الخطوة الاولى التي لابد منها ولا مفر من العمل على تحقيقها بسببين:

الاول - أن الاسلام دين لا يرضى للمنتسبين اليه أن يعيشوا تحت سيطرة غيرهم من الامم ، والا كانوا آثمين « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الارض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » .

الثاني - أن المستعمر بطبيعة هدفه من الاستعمار يحتل البلاد التي يحتلها ليستغل خيراتها لنفسه ، وليسخر أهلها لخدمة أغراضه .. ولا يتأتى له ذلك الا بحجب أسباب القوة عن هذه البلاد ، وبنشر وتمكين أسباب الضعف فيها من فقر وجهل ومرض وفساد ، حتى لا تقوى في يوم من الايام فتفكر في مقاومته - والمستعمرون على اختلاف نزعاتهم الاستعمارية يحولون بكل الوسائل بين الشعوب الاسلامية التي يستعمرونها وبين الحكم الاسلامي

لهذا فان دعوة الاخوان المسلمين - بعد أن استوى صفها واكتملت تكويناتها - قد جعلت أول خطوة تخطوها لتحقيق برنامجها الاسلامي ، هي تحرير الوطن الاسلامي من ربة الاحتلال ، وإطلاقه من أسر الاستعمار .

ثم نرجع الى ما كنا بصدده من مواجهة العائبين بالموقف الذى وجد
المرشد العام الجديد نفسه امامه فنسألهم هل كان امام الرجل من خيار وقد
وجد نفسه فى هذا الموقف من أول يوم ٠٠ وظل هذا الموقف على أشده أعواما
مفتالية لم يهدأ له أوار ٠٠ واذا كان من وجه للعجب ، فعجب أن رجلا أبل من
مرض خطير وهو فى سن ما بعد الستين استطاع أن يتحمل هذا العبء الثقيل،
ويضطلع بهذا الجهد المصنى المتصل طيلة تلك المدة دون كلل أو اعياء .

الفصل الاول

الضغط الشعبي للاخوان يبلغ أقصى مداه الحكومة تلغى معاهدة سنة ١٩٣٦

اقترن انتخاب المرشد العام الجديد انتخاباً رسمياً بحدث جزل في تاريخ مصر السياسى هو اعلان الحكومة المصرية الغاء معاهدة ١٩٣٦ . فقد أعلنت الحكومة الغاء المعاهدة يوم ١٠-١٠-١٩٥١ وأعلن انتخاب المرشد العام يوم ١٩-١٠-١٩٥١ .٠٠ فهل كان لهذا الاقتران محلول معين أم أنه جاء بمحض المصادفة ؟

والذى نعلمه - وقد علمه القراء من الفصول السابقة - أن حكومة الوفد منذ وليت الحكم وهى دائبة البحث عن وسائل التعويق وأساليب المماطلة لتسد بها الطريق أمام استرجاع الاخوان المسلمين حقوقهم القانونية التى سلبهم اياها أمر الحل الغاشم .٠٠ وكانت هذه الحكومة فى خلال تلك المدة منذ آل اليها الحكم فى منتصف يناير سنة ١٩٥٠ حتى هذا التاريخ يداعبها الامل فى أن تستطيع الحصول على حقوق البلاد فى الحرية والاستقلال بطريق التفاهم والمفاوضة مع الانجليز ، ولكنها وصلت آخر الامر الى طريق مسدود .٠٠ ولم يعد أمامها الا طريق انتزاع هذه الحقوق انتزاعاً .٠٠٠ ولما كان لكل ميدان رجال ، فقد صارت الاستعانة بالاخوان المسلمين أمراً لا مفر منه .٠٠ واذن فليخطبوا ودهم .٠٠٠

هذا من جانب الحكومة . أما من جانب الاخوان فانهم ما كادوا يلحقون فى الحكومة الاتجاه الجاد الى نبذ المفاوضة مع الغاصب - وهو مطلب طالما طالبوا به كل الحكومات السابقة - حتى نسوا مواقف هذه الحكومة منهم ، وهبوا لهذا الاتجاه مؤيدين .٠٠ فنشرت الصحف فى اليوم التالى لاعلان الغاء المعاهدة ما يلى :

« يسر الاخوان المسلمين أن تنجز الحكومة وعدها فى الغاء المعاهدة . ويستقبلون بالتقدير تلك الخطوات المباركة التى تتمثل فى مراسيم الغاء المعاهدة واتفاقيتى السودان وفى اصدار الدستور السودانى ، وتغيير لقب الملك الى ملك مصر والسودان .

وينتظر الاخوان المسلمون كما تنتظر الامة جمعاء الخطوات الايجابية الحاسمة التى ينبغى أن تسارع الحكومة الى اتخاذها لصيانة الاستقلال

وتحقيق آمال البلاد ، مؤكدين لها أن الشعب كله من ورائها ، يشد أزرها في
الجهاد المقدس لتطهير البلاد من آخر أثر للاحتلال » .

ثم عقدوا مؤتمرا بدارهم المؤقتة بحي الظاهر للطلاب بمناسبة بدء العام
الدراسي . ونشرت الصحف عن هذا المؤتمر قائلا : انهم أصدروا قرارات
بصد الغاء المعاهدة واتفاقيتي السودان .

وفي ١٩ من الشهر نفسه ، وفي نفس يوم انتخاب المرشد العام أصدرت
الهيئة التأسيسية البيان التالي :

« بسم الله الرحمن الرحيم » الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا
لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا
بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم»

يؤكد الاخوان المسلمون ما جاء في بيانهم السابق من تقدير للخطوات
الوطنية المباركة التي تتمثل في مراسيم الغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتي
السودان ، ولما كانت الحكومة بسبيل اتخاذ اجراءات ايجابية لتنفيذ هذه
المراسيم ، والرد على اعتداءات الانجليز الاخيرة ، فان الاخوان المسلمين
يعلنون اسنعدادهم التام لمؤازرة الحكومة والتعاون معها في كل عمل ايجابي
يؤدي الى الاستقلال ووحدة الوادي والتخلص من كل آثار الاستعمار .

وان الاخوان يحثون الشعب على أن يثق بنفسه ، ويؤمن بحقه ، ويعلم
أن مستقبله بيده لا بيد غيره ، وأن التضحية والجهاد هما طريق الحرية ، وأن
الاتحاد والتعاون هما السبيل الى الغاية ، وأن التنازع والفرقة يبددان قوى
الامة ، ويذهبان بريحا « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان
الله مع الصابرين » .

والاخوان يدعون الامة الى التذرع بالجلد والحكمة واجتناب الحركات
الفردية وغير المنظمة ، فانها لا تؤدي الى خير . وما ينفع الامة في هذا الموقف
العصيب الا الروية والاعداد والتنظيم ووقوف الحكومة والشعب صفا واحدا .

ألا وان الاخوان ليهيبون بالامة والحكومة أن ترجع الى الله ، وتعلم أن
ما عنده من النصر لا ينال بالمعاصي ولا يدرك بالقعود ، وأن تستمد منه العون
فيما اعتزمته من جهاد صادق وكفاح مرير .

« وليخصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » الذين ان مكناهم في
الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله
عاقبة الامور » .

رحم الله امامنا الشهيد وشهداء الامة جميعا ، وايد بالقوة والعافية
جرحانا واثابنا فتحا قريبا ،
وبعد يومين أى فى ٢١-١٠-١٩٥١ ظهرت جريدة المصرى وفى صدرها
العنوان التالى :

المرشد العام للاخوان المسلمين يتحدث الى « المصرى » الظروف الحاضرة تستوجب الافراج عن المسجونين السياسيين فقد كان سبب سجنهم هو العداء المباشر للانجليز

قال المرشد العام : وجهة نظرنا فى أننا نرى أن الظروف التى تجتازها
البلاد تستوجب أن تصدر الحكومة عفوا عن المسجونين السياسيين ، فالقانون
يبيح العفو عن المسجون بسبب أى جريمة - ومع ذلك فقد كان عداء هؤلاء
المسجونين للانجليز هو السبب المباشر للحكم عليهم بالسجن . ونحن
لا نريد أن نلج على الحكومة فى ذلك لان الالحاح فيه ينفص من الشعور
بادراكها لهذه الحقيقة .

□ الاخوان تعودوا النظام :

وسأله المنوب عن حملة الصحف الانجليزية على الاخوان المسلمين
وتحميلها اياهم مسئولية الحوادث التى وقعت بالقنال فقال : نحن لا نهتم
بما تنشره الصحف الانجليزية لانه بعيد عن الحق . وقد عمل الانجليز دائما
على محاربة الاخوان . وعلى أى حال فان موقف الاخوان من الحالة الحاضرة
مبين فى القرارات التى صدرت عن المركز العام والتى تتلخص فى أننا نؤيد
الحكومة فيما أصدرته من مراسيم . ونحن ننتظر الخطوات التى ستتخذها
فى سبيل تحقيق الغاية المرجوة . وما زلنا ننتظر - أما ما وفع فى
الاسماعيلية وبور سعيد فلم يصدر أصلا عن الاخوان ، وحسبك أنك لا تجد
فى المعركة جريحا واحدا أو حتى ذا ثوب مقطوع من الاخوان . والاخوان
المسلمون تعودوا النظام ، ولا يمكن أن يصدر عنهم حركة طيش أو تسرع .

□ فى انتظار ما تقرره الحكومة :

يقول المنوب : وقد أجاب على سؤال وجهته اليه عما اذا كان الاخوان
يستعدون لكفاح عملى ضد الانجليز كما حدث فى حرب فلسطين قائلا : نحن
فى انتظار ما تقرره الحكومة . والكفاح العملى قد يأخذ صورا مختلفة غير
القتال ، كالمقاطعة الاقتصادية . وانما اذا قررت الحكومة القتال فالامة
كلها من ورائها ولن يحيد الاخوان بطبيعة الحال .

□ لا كتائب حتى الآن :

وسألته عما اذا كانوا ينوون تكوين كتائب أسوة بما فعلته الهيئات
الآخري فكان رده : ليس عندنا كتائب ، ولم ندرس بعد هذه المسألة •

□ لا اعتماد على الدول الأجنبية :

ثم وجهت اليه سؤالاً عما أبداه البعض من رأي بشأن الاستعانة بدول
أجنبية في كفاحنا ضد الانجليز فقال : اننا لا نؤمن بمعاونات من الدول
الأجنبية لانها جميعا ذات مصالح ، ورأينا أن تعتمد الأمة على نفسها فقط •
واستطرد سعادته يقول : انه كان من الواجب أن يعاون المصريون الانجليز
منذ تاريخ احتلالهم لبلادنا ، وأن لا يعمل مصري واحد في معسكراتهم ، فقد
أدى ذلك الى رسوخ أقدامهم في البلاد وامتناعهم عن الجلاء على وجه الإطلاق
•• ولكن مع ذلك فان الامر لا يزال في أيدينا •• ونستطيع أن نمنع عنهم
جهود عمالنا ، ونقطع عنهم جميع معاوناتنا الاقتصادية ، وأن نتبع دستور
القرآن ففيه كل وسائل حريتنا •

وفي ٢٢-١٠-١٩٥١ نشرت « المصري » ما يلي تحت هذا العنوان :

جواسيس انجليز لراقبة الاخوان

الاسماعيلية - لندوب المصري - علمت أن السلطات الانجليزية في
الاسماعيلية قد أوفدت جواسيس الى القاهرة ، مهمتهم الوحيدة هي تقصى
أندباء الاخوان المسلمين وجمعها ورفعها في تقارير الى مركز القيادة العسكرية •
وقد عاد أحدهم اليوم بعد أن جمع المعلومات • وكان ضمن ما قام به من جولات
زيارة منطقة جبل الجبوشي •

وفي ٢٧-١١-١٩٥١ نشرت « المصري » عنوانا بعرض صفحاتها الاولى
هذا نصه :

كتائب الاخوان المسلمين تخوض المعركة في الاسماعيلية

وكتبت تحته ما يلي :

أذاعت وكالة الاسوسيتيبرس العالمية نبأ من الاسماعيلية تقول فيه :
قيل اليوم ان الاخوان المسلمين بدأوا يشتركون في المعركة بدليل أن
بعض الفدائيين كانوا يتكلمون اللغة الانجليزية بطلاقة لا يمكن أن تتوفر
لجمهور الشعب •

وقد أوردت هذه المقتطفات مما نشر بالصحف في تلك الحقبة من الزمن
لا سيما ما نشر في جريدة « المصري » لسان حال الحزب الحاكم ، لانقل الى

القارئ احساس الحكومة واحساس الشعب واحساس المستعمر نحو
الاخوان المسلمين باعتبارهم معقد الرجاء ومناطق الامل والعنصر الفعال .
فالمستعمر قد عرف قوة الاخوان من قبل في غسطين . وعجم عودهم ، فهو عليم
بأنهم العنصر الوحيد الذى يخشى بأسه ، ويرهب جانبه ، لانهم فداثيون
حقا لا يبالون بالاموت ، ولا يعرفون النكوص على الاعقاب .

□ موقف ساذج للحكومة :

ولما كانت الحكومة حديثة عهد بمواجهة مثل هذا الموقف الذى وجدت
نفسها فيه فجأة ، نتيجة اعلانها الغاء المعاهدة ، فانها ظنت أن على القوات
الشعبية أن تحشد نفسها حشدا لتقف مع الجيوش البريطانية في القتال
وجها لوجه . . ولكن تجارب الاخوان أثبتت أن المناوشة وحرب العصابات
هى مهمة القوات الشعبية ، واذ صارت الحكومة على رأس قوى النضال
فعليها أن تخطط لهذه القوى وتنظمها . . وهذا هو ما أشار اليه المرشد العام في
حديثه الى جريدة « المصرى » وهو نفس ما أشار به الاستاذ الامام ونقلناه
عنه في آخر الباب السابق . . وقد أدى عدم فهم الحكومة لدورها هذا وعدم
قيامها بهذا التنظيم الى سلوك بعض هذه القوى سلوكا معيبا شكك منه
الاهلون .

وكان المستعمر يريد أن يستدرج الاخوان ويستغل حماسهم ويستغل
جهل الحكومة بطرق المقاومة . . . فالحكومة - بسذاجة منها وعن طريق
صحفها - تخرج الاخوان فينزلون الى ميدان المعركة نزول جيش لجيش
فتحصدهم مدافع الجيش البريطانى حصدا . ويتخلص الانجليز بذلك من
العنصر الخطير - كما حدث حين تركت الحكومة قوة الشرطة بالاسماعيلية
بسلاحها العاجز البدائى طعمة لنيران العدو فحصدتهم دون رحمة - ولكن
المرشد العام كان احصاف من أن تجوز عليه هذه الخدعة ، وأصر على مواصلة
المقاومة بطريقة حرب العصابات ، التى كان ضحاياها اقل عدد ممكن ، ولكنها
سببت للقوات المحتلة أفدح الخسائر ، وسلبتهم الشعور بالامن ، وشتتت
النوم من عيونهم ، حتى اضطروا الى ترحيل أسرهم .

ودعا المرشد العام في نفس الوقت الى تنظيم عملية هى في ظاهرها
سلبية ، لكنها أدت بهذه القوات الى الشعور لأول مرة بالحرمان والارهاق
والجوع ، وهى تتلخص في حث الشعب على عدم التعاون مع قوات الاحتلال .
. . وكان دور الحكومة في هذا الحث أن تتكفل بالحق من يستجيب لهذا الحث
من العمال والمقاولين بأعمال في دوائر الحكومة .

□ وموقف متناقض أيضا :

وكان المتبادر الى خاطر أن الحكومة - وقد اتجهت اتجاهها جادا - أن يكون اتجاهها هذا اتجاهها متوائما مع روح الدين وخلقه ، فتعلق أماكن العبث واللغو الحرام ، وتأخذ بالاحكام الاسلامية في المال والعرض والنفس ، حتى يزول من الصدور الحرج من التناقض الصارخ في الحياة المصرية ، فبينما شباب يركبون الخطر ، ويواجهون الموت في ساحات القتال مع العدو يرى آخرون يثمرغون في أعطاف اللغو والمجون .

ولقد شيع الاخوان في خلال الخمسة عشر يوما الاولى من شهر يناير ١٩٥٢ ثلاثة شهداء من طلبة الجامعات هم « عادل محمد غانم » الطالب بكلية طب عين شمس و « عمر شاهين » الطالب بآداب القاهرة ، و « أحمد المنيسي » الطالب بطب القاهرة - وكا تشييع جنازة الشهيد الاخيرين في مدينة الزقازيق ٠٠ وأترك لجريدة « المصري » بعد أن وصفت روعة الجنازة ، واشترك جميع الطوائف فيها ، ونشرت صورة للمشيعين يتقدمهم المرشد العام أترك لها أن تذكر ما حدث في أثناء سير الجنازة اذ قالت :

« ومن المفارقات أنه في أثناء تشييع الجنازة في الزقازيق ٠٠ ، والجنازة الجليلية تسير الهوينى لتوديع الشهداء الأبطال الى مكانهم في الخالدين - حدث أن دخل الى الصفوف عمال إحدى السينمات لتوزيع اعلانات عن عرض الافلام بها .

واذا كان القارئ الآن قد امتلأ حقدا على هؤلاء العمال وعلى الذين أرسلوهم لتوزيع الاعلانات في هذه اللحظات الخاشعة ، فانه لا محالة يعذر المشيعين اذا كانوا قد اعتدوا على هؤلاء العمال بالضرب وعلى دار السينما ببعض التلف ، .

هذا هو ما كتبه الجريدة ٠٠ ونحن لاننظر الى الحادثة في ذاتها ، وانما ننظر الى ما توحى به الى النفوس من معان تتبط الهمم وتهد العزائم ٠٠ واذا كان هذا هو ما يحدث في الاقاليم - التي من طبيعتها التمسك الى حد ما بالقيم - فما بالك بما يحدث في القاهرة والاسكندرية في نوادي القمار ودور السينمات والمسارح والكباريهات ؟ !

واذا لم تذكر المحن القاسية الشعب والحكومة بالله الذي بيده وحده النصر فمتى يذكرون الله ويرجعون اليه ، ومتى يحكمون شريعته ومتى يلتزمون حدوده ؟

المرشد العام يضبط المشاعر ويحدد الموقف بحزم :

والاخوان بطبيعتهم - كما قدمنا - اذا ذكر الجهاد والاستشهاد نسوا كل شيء وخفوا الى ساحة الموت

ركضوا الى الله بغير زاد الا التقى وعمل المعاد

ولكن المرشد العام - وهو الرجل الذى حتكته التجارب ، والذى اجتمعت في يديه كل الخيوط - كان هو الرجل القادر على ضبط هذه المشاعر وحسن توجيهها ، فهو لا ينسى أنه - قبل كل شيء - صاحب دعوة شاملة هدفها ارساء قواعد الحكم الاسلامي في البلاد ، ولا ينسى أن القابضين على زمام الامور في البلاد لازالوهم أعداء هذا الهدف ، والغارقين في بحار اللهو والعبث والمجون . . . وفي الوقت الذى يرى أن دعوته تلزمه باجلاء المستعمر عن البلاد يرى أنها تلزمه أيضا بتطهير أداة الحكم من أئمة الفساد والمجون .

فبينما كان كل أخ من الاخوان المسلمين يتحفز فرحا وجذلا للذهاب الى الميدان ، كان المرشد العام مشغولا بايجاد حل لهذه المعادلة الصعبة التى تجمع بين الاحتلال الخارجى والفساد الداخلى وكيفية التخلص منهما معا . . . والمشقة الكبرى أمام الرجل كانت تتمثل في أنه يعد العدة فعلا لحل المعادلة ولكنه لا يستطيع أن يبوح لاحد بما يعد ، ولا حتى للاخوان أنفسهم .

واكتفى هنا بهذه الاشارة العابرة ، فتوضيح هذا الموضوع ليس هذا موضعه ، وانما يأتى موضعه في الجزء الثالث من هذه المذكرات ان شاء الله . . . ولكننى أورد هنا بعض نصوص نشرت في صحيفة « المصرى » في تلك الحقبة، قد تلقى قراءتها بعض الضوء على الموضوع ، لا سيما بعد أن تكشفت الامور ووقعت الاحداث التى كان يحضر لها المرشد العام ، واصبحت بالنسبة للناس الآن تاريخا يحرس - وان كان محرفا - بعد أن كانت في الوقت الذى نؤرخ له آمالا في ضمير الغيب .

وهذه النصوص تتصل في مجموعها بأمر كان يشغل بال الشعب والحكومة والمحتل نفسه ، وهو ابراز موقف الاخوان المسلمين محددا مفصلا من أحداث الساعة . . . وقد تصدى بعض الاخوان المسئولين لتحديد هذا الموقف : بعضهم مدفوع بالتشوف الملح الى احراز الشهادة . والبعض الآخر - ممن يعيشون في معمة المعركة ورأوا بأعينهم المآسى الدامية التى خلفها الاعتداء البريطانى الآثم على السويس - مدفوع بالامل في منح فرصة للمكوبين من اهل تلك المدينة وضواحيها لاصلاح بعض شأنهم . واعداد انفسهم ليكونوا في موقف افضل للدفاع عن انفسهم .

وقد نشرت الصحف رأى الامستاذ محمد طاهر منير رئيس شعبة
الاخوان بالسويس وهو يمثل نظرة أهل المنطقة التى جنت عليها نظرة
الحكومة السانجة لطريقة المقاومة وتركها الحبل على الغارب للاهالى العزل
المجردين من كل سلاح ومن كل خبرة لمواجهة جيوش الاحتلال المجهزة بأحدث
وسائل التجهيز .

ثم نشرت بعد ذلك رأى الاخ الشيخ محمد الغزالى عضو مكتب الارشاد
فى ذلك الوقت وهو يمثل الفئة الأخرى فى كلمة له بعنوان « لن تبلى أمة
هدفها الا اذا نظفت جبهتها الداخلية » رأى الاخوان المسلمين فى الموقف ،
هذا نصها :

« ان الاسلام الذى يعمل الاخوان المسلمون فى حدوده ، له توجيهات
واضحة بازاء الموقف الحاضر . فلأول مرة التقى القانون الشرعى والقانون
الوضعى على اعتبار الانجليز فى هذا الوادى محاربين لا أمان لهم ولا عهد .
وكان من بشائر الخير أن اتفقت الحكومة والشعب على تحمل هذا الموقف ،
ومواجهة تبعاته بروح من الاصرار الواجب والكفاح المحمود ، والاسلام
لا يظاهر هذه الحركة فحسب بل يؤجج نارها ، ويرمى لها بوقودها من
الفدائيين والشهداء .

ويجب أن يعلم أن الاسلام كما يقوم على كلمة التوحيد ، يقوم كذلك
على توحيد الكلمة . ولن تبلى أمة أهدافها الا اذا نظفت جبهتها الداخلية من
المنتهزين والمصطادين فى الماء العكر ، فان الالتواء بعناق الأمة عن غايتها
التي اتحدت عليها قد يصيب نهضتها بانتكاس وخيم العاقبة . ولذلك وضع
الاسلام له أشد العقاب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أتاكم
وأمركم جميع يريد أن يشق عصاكم فاضربوه بالسيف كائنا من كان » .

وفى حدود تعاليم الاسلام السابقة يمكن أن نعرف حقيقة السياسة التى
لا يتخلى عنها الاخوان المسلمون غير ناظرين الى أحزاب أو أشخاص . ومن
الحقائق المقررة فى أذهان الاخوان المسلمين جميعا :

١ - أنه لا يجوز بقاء أى جندي انجليزى لا فى مصر وحدها ، بل فى ربوع
العالم الاسلامى كله .

٢ - أن الاخوان المسلمين يسوون فى نظرهم بين أخطار الشيوعية
الوافدة ، والخل الاجتماعى القائم ، لانهم ينادون بالاشتراكية الاسلامية(١)،
وفىها وحدها الانقاذ مما نعانيه ومما نتوقعه .

(١) تعبير « الاشتراكية الاسلامية » تعبير دخيل استعاره الكاتب .
والاخوان حين ينادون ينادون « بالاسلامية » دون موصوف .

٣ - ولما كانت مصر طليعة الكتلة الاسلامية التي يدور النزاع العالمى على استقلالها ، فان الاخوان يرفضون الارتباط بأية كتلة معتدية ، وهم يحاربون فقط من يعتدى على أرضهم .

ذلك ومن البديهي أن الاخوان الداعين الى تحكيم كتاب الله ليسوا هم الذين يشاركون في الحكم بغير ما أنزل الله . وقد أدى الاخوان واجبهم في معركة القنال . وللامه أن تعتمد على رجولتهم دائما في ردالاذى ودفع العدوان .

وقد يلحق بهذا المعنى الذى نحن بصدده مقال للاستاذ احسان عبد القدوس نشره في مجلة روز اليوسف في نفس هذه الفترة نقتطف منه الفقرات التالية :

« لا أستطيع أن أتحدث عن القوى الشعبية ، وانسى جماعة الاخوان المسلمين . . . وأنا أحد المؤمنين بأن الدعوة الدينية هي دائما أقرب الدعوات الى نفوس الطبقة الشعبية . . »

والاخوان المسلمون اليوم - كما كانوا بالامس - هم الذين يمثلون دعوة الدين الى الجهاد ، وبفضل دعوتهم هذه شهدت ساحات فلسطين أبطالا منهم وقفوا وقفة العمالقة ، وهتفوا باسم الله ، فاذا بالبطل منهم وفي صدره عشرة أبطال . . . ولا يستطيع ضابط ممن اشتركوا في حملة فلسطين أو مراقب ممن راقبوا معاركها ، أن ينكر فضل متطوعي الاخوان المسلمين فيها ، أو ينكر بطولتهم وجسارتهم على الموت ، والعبء الكبير الذى تحملوه منها راضين فخورين مستشهدين في سبيله . . »

اين هم اليوم في ساحات القنال ؟ . . لنكن منصفين . . لقد عاد الاخوان من حملة فلسطين وفي ظهر كل منهم خنجر مسموم . . عادوا ليشردوا ويعتقلوا وليروا رجلهم الاول يغتال في ظلام - فهل تتكرر عليهم المأساة لو اشتركوا في حرب التحرير ؟ وهل من حقهم أن يسألوا أنفسهم مثل هذا التساؤل ؟

وهل كفر نبي بدينه وتخلي عن دعوته لمجرد انه خدع في فريق من انصاره ، أو أودى من بنى قومه ؟ ! أقولها وفي القلب أمل لا يزال قويا . . فيوم أن يتحرك الاخوان المسلمون ، ويعرفون كيف يتحركون والى أين ، فيومئذ اكتملت لمصر قواها الشعبية وضمنت لايام الجهاد الاستمرار . .

ولما كانت الصورتان اللتان أبرز الفريقان موقف الاخوان فيهما ونشرتهما الصحف يبجوان كأنما هما مختلفتان . . فقد أشفق بعض محبى الاخوان عليهم وكتبوا يريدون أن يسمعوا من المرشد العام القول الفصل .

وهنا تقدم الاستاذ سيد قطب - وكان حتى ذلك الوقت لا يزال في صفوف المتعاطفين مع الاخوان - تقدم بطلب الكلمة الفاصلة من المرشد العام، فنشر له « المصرى » في اول يناير ١٩٥٢ الكلمة التالية تحت عنوان « رأى الاخوان ورأى الاسلام » وهذا نصها :

« . سرنى أن أقرأ في « المصرى » أمس كلمة الاخ الاستاذ محمد الغزالى عن موقفه الاخوان المسلمين من الكفاح الشعبى فى هذه الايام ، بعد ذلك اللبس الذى وقع عند الكثيرين من قراءة كلمة الاخ الحاج طاهر منير رئيس شعبة الاخوان بالسويس ، والتي أشار فيها الى السلم لو جنح الانجليز الى السلم .

ان حساسية الناس شديدة فى هذه الايام . وكل اشارة الى مساواة الانجليز ، ولو كانت مشروطة بشرط أن يكفوا هم عن العدوان بالجلء عن البلاد - تقابل من الناس بانتشكك وعدم القبول ، مما يدل على عزيمة هذا الشعب أن يكافح الى النهاية ، وبلا هوادة .

ولكن هناك كلمة صريحة يجب أن تقال للاخوان المسلمين . وأحسبني أقدر الناس على أن أقولها لهم بحكم ما بينى وبينهم من صداقة وثقة وتعاون .

انه لا الاخ الحاج طاهر منير رئيس شعبة الاخوان بالسويس ولا الاخ الاستاذ محمد الغزالى عضو مكتب الارشاد يملك أن يقول كلمة الاخوان الرسمية . فقانون الاخوان يجعل هذه الكلمة الرسمية من حق المرشد العام .

وهذه الكلمة الصريحة الواضحة التى قالها الاستاذ الغزالى كان يحسن أن تكون هى الكلمة الرسمية التى يقولها الاخوان ، فالناس فى حاجة ماسة الى كلمة صريحة واضحة رسمية من الاخوان فى هذه الايام ، لان هناك ما يدعو الى قولها . . وأصدقاء الحركة الاسلامية من أمثالى هم أحرص على سماع هذه الكلمة فيما تواجهه البلاد من أحداث .

ان دور الاسلام فى الكفاح الشعبى دور ايجابى دائما . والشعب يكافح اليوم من أجل غايتين جليتين : التحرر المطلق من كل استعمار أجنبى . والعدالة الاجتماعية المطلقة من كل استغلال . ورأى الاسلام فى هاتين الغايتين واضح . . فما هو رأى الاخوان ؟

ومعذرة اذا سألت هذا السؤال ، فان رأى الاخوان يجب أن يكون واضحا فى مناهج وبرامج محدودة ، لا يحيل احانة غامضة الى رأى الاسلام بل ان تقول وتعلن : ما هو رأى الاسلام الذى يراه الاخوان .

ان الاسلام ليس هو الاشتراكية وليس هو الشيوعية كما أنه بكل تأكيد

ليس هو الرأسمالية • وعندما توازن هذه المذاهب بالنظرية الاسلامية تبدو محاولات صغيرة قاصرة ، وأوضاعا وقتية محدودة ، فهي لا تعالج الا الجانب المادى فى حياة الانسانية ، بينما يتولى الاسلام علاج البشرية بكل مقوماتها الانسانية •

غير أن آراء الاسلام فى كل حقل من حقول الحياة يمكن أن تصور تصويرا مغرضا مشوها اذا تركت بغير تحديد واضح فى صورة مناهج وبرامج محددة فى كل جانب من جوانب الحياة • وبما أن دعوة الاخوان تمثل دعوة الاسلام فانه ينبغى أن يعلنوا للناس هذه المناهج المحددة وهذه البرامج الواضحة • وليست العلاقة بيننا وبين الاستعمار الا جانبا واحدا تشمله هذه البرامج على أساس صريح •

ان أصدقاء الاخوان - قبل منافسيهم - هم الذين يطلبون هذا الايضاح • • وهذا وقته ، بعد ما استرد الاخوان نشاطهم واستأنفوا جهادهم • « ان أريد الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله » •

□ المرشد العام يحسم الموقف :

وهنا رأى المرشد العام أن يقول الكلمة الفاصلة ، فلفت النظر الى أمور ذات بال هى صلب الموضوع ، ولكنها غائبة عن أذهان الشعب والحكومة ، الذين ظنوا أن النصر ينتزع من الله انتزاعا مع مخالفتهم عن أمره واعراضهم عن شريعته وهو الذى يقول « وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » ويقول : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » - وقد نشرت كلمة المرشد العام فى جريدة « المصرى » فى ٣-١-١٩٥٢ تحت عنوان : « الاخوان - الاخوان » وهذا نصها :

« كثر تساؤل الناس عن موقف الاخوان المسلمين فى الظروف الحاضرة • • كأن شباب مصر كله قد نفر الى محاربة الانجليز فى القنال ولم يتخلف الا الاخوان المسلمون • • وكأن دور اللهو والمجانة أغلقت وحرمت على اللاهين والمجانين • • وكأن الجالسين فى ظل ظليل ، وعيش رغد ، وأمن لا خوف فيه ، ومكاسب لا يدري أحلال هى أم حرام • • • • تركوا ذلك كله وأخذوا فى الجد من العمل والمر من الكفاح • • • ولم يجد هؤلاء وأولئك للاخوان عذرا واحدا يجيز لهم الاستبطاء بعض الشيء ، ولم يفتن أحد الى أنهم كانوا الى وقت غير بعيد مقيدون بقيود لا تسمح لهم بالحركة ، ولا يزال شبابهم المكافح رهن السجون •

وأيا كان غرض المتسائلين من تساؤلهم فإن الاخوان لن يتكلموا الا اذا شاءوا ، ويحبون أن يؤدوا واجبهم في صمت • وخير لهم ولامة أن تنطق أعمالهم وهم لا ينطقون ، ولا يريدون أن يقولوا ما قال واحد منهم - ليس له حق التعبير عنهم - انهم قد أدوا واجبهم في معركة القتال • فان هذا غلو لا جدوى له ولا خير فيه • ولا يزال بين ما فرضه الله عليهم من الكفاح وبين الواقع أمد بعيد • والامور الى أوقاتها « ولا يستخفك الذين لا يوقنون » •

قال الكاتب الجليل الاستاذ سيد قطب : « ان دور الاسلام في الكفاح الشعبي دور ايجابي دائما ، والشعب يكافح اليوم من أجل غايتين جيليتين: التحرر المطلق من كل استعمار أجنبي ، واعدالة الاجتماعيه من كل استغلال، ورأى الاسلام واضح •• فما رأى الاخوان ؟ »

فاذا كان رأى الاسلام في ذلك واضحا فما معنى السؤال ؟ •• ان رأى الاخوان كذلك واضح ، فهم يطلبون أن يحكم الاسلام تحكيما تاما في حياة الامة كلها ، فهو دين متكامل غير قابل للتجزئة ، يسير بالحياة في نظام عجيب ، كلما دقت فيه النظر وجدته مما لا يمكن أن ينقص منه شيء أو يزداد عليه شيء • وقد أخذ الاخوان المسلمون أنفسهم فنفذوه فيما في طوقهم تنفيذه •• والكاتب الجليل يعلم أن أساس النظام الاجتماعي التربوي والتعليم ، وهما حق للامة وواجب عليها •

وقد مضى الاخوان في ذلك شوطا بعيدا فأصلحوا النفوس الشاردة في الجامعة والمدارس وفي المدن والقرى وردوها الى الله ، وأدخلوا الايمان في قلوب المضالين ، وأقاموا المستشفيات والمستوصفات لتصحيح الاجسام ، وأنشأوا المدارس • وكانت كل شعبة من شعبهم مبعثا للنور وإلهاديه • وافوا التشرکات المختلفة لتدعيم الحياة الاقتصادية التي تسير على هدى الاسلام ، ذك الى غيره من المنشآت التي صادرتها الحكومة ، ولم تنبثق منها الا غنى ما لم يتسع لها الوقت لافساده • وقد نهضوا على قرب عهدهم باسترجاع نشاطهم لمثل هذه الاعمال وأتموا منها الشيء الكثير •

وأما رفع مستوى المعيشة فلعل الكاتب يعلم من رأى الاخوان المسلمين فيه ما لا يعلم غيره من وجوب توفر السكن والملبس والغذاء والعلاج لكل فرد في دولة الاسلام ، ويعرف أن هذا مبسوط في كتبهم ورسائلهم ، ويعرف أنه مبسوط في كتابه « العدالة الاجتماعية في الاسلام » الذي يدرسه الاخوان فيما

يُدرسون من كتب بدفة وعناية ، ويعلم أن ما يلزم ذلك من مال يؤخذ من
الاغنياء ويرد على الفقراء ، فتضيق المسافة بين الغنى والفاحش والفقير المذل -
فإذا كان بعض المترفين الذين يريدون أن يجعلوا بينهم وبين الإسلام سدا
لا يقرأون أمثال هذه الكتب ، وإذا كان من بيدهم الأمر لا يهتمون بأن يفتظروا
فيها - ولو على سبيل حب الاستطلاع - فليس الذنب في ذلك ذنب الاخوان .

أما أن الكاتب يريد منا أن نضع مناهج محدودة وبرامج واضحة ، فإن
هذا من التفصيل الذي نعتزمه حين تتوفر لنا أسباب النشر كما توفرت لنا
أسباب القول فيه ، ولعل ذلك يكون قريبا إن شاء الله .

الفصل الثاني

مقابلة الملك للمرشد العام الجديد

نشرت الصحف في ٢١-١١-١٩٥١ النبأ التالي :

في الحضرة الملكية

المرشد العام للاخوان المسلمين

قصد سعادة الاستاذ حسن اسماعيل الهضيبي بك المرشد العام للاخوان المسلمين الى قصر القبة العامر في الساعة السادسة من مساء أمس ، حيث تشرف بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك . وقد دامت المقابلة ٤٥ دقيقة . ولم يشأ سعادته أن يفضى بشيء عما تم في هذه المقابلة .

وفي ٢٨-١١-١٩٥١ نشرت الصحف ما يلي :

المرشد العام في الاجتماع الاسبوعي

قال المرشد العام في الاجتماع الاسبوعي الذي اعتاد الاخوان اقامته في مساء الثلاثاء من كل أسبوع انه ليس من اللائق التحدث عما جرى في مقابلاته مع الملك ، ووصف ما أشارت اليه بعض الصحف بصدد هذه المقابلة من استتراطات وتعهدات بأنها مجرد تكهنات لا أصل لها من الصحة .

تعقيبنا على هذه المقابلة

هذا هو ما نشرته الصحف اليومية الكبرى عن هذه المقابلة . وكانت مقابلة الملك في تلك الايام لشخصية غير رسمية تعتبر حدثا تاريخيا ، وتعد مفخرة لهذه الشخصية ، تتحدث عنها جميع الاوساط ، وتعلق عليها ، وتتكهن بما سوف يعقبها ، وما يترتب عليها ، اذ هي شرف لا يداني ، وأمل لا يتال ، وأمنية يحلم بها رؤساء الاحزاب المستوزرة ، ويقطعون على أنفسهم بين يديها عهدا أن يكونوا الخدم الامناء للحضرة الملكية ولاوامرها ولآربها . ومع ذلك قلما يظفرون بها .

فاذا كانت المقابلة للمرشد العام للاخوان المسلمين ، فانها لا تعتبر حدثا تاريخيا فحسب ، بل تعتبر انقلابا اجتماعيا وسياسيا تعجز التكهنات عن تقدير مدى نتائجها ، وما قد يترتب عليه ، لا سيما وأن هذه المقابلة قد حاولها من قبل غير مرة المرشد العام الاول . ولكنه حيل بينه وبينها . فما

الذى حدث وما الذى طرأ على مسرح الحياة السياسية فى مصر حتى تمت
المقابلة فجأة دون مقدمات تمهد الاذهان لتوقعها ؟

وقد أوردنا كل ما كتبتة الصحف اليومية الكبيرة عن هذه المقابلة من
نشر نبدأ حدوثها ومن تعليق المرشد العام على ما نشر فى مختلف الصحف ،
وهو تعليق يزيد النبا غموضا ، ويشجب التكهّنات التى دارت فى الاوساط
الصحفية الاسبوعية ، ولكنه لا يلقى أى ضوء على ما كان من شأن المقابلة
وما تم فيها .. ولذا فقد رأينا أن نعرض بتعليق على المقابلة وأن نحل
الظروف التى أحاطت بها فى السطور التالية ان شاء الله .

وقد غلبت على الرجل طبيعته فى الكتمان التى اكتسبها منذ كان طالبا
بالحقوق وعضوا فى جمعية اليد السوداء ، فظلت هذه المقابلة وما تم فيها سرا
مكتوما يجهله جميع الناس بل ويجهله أكثر الاخوان المسلمين أنفسهم ..
حتى ان هذا الجهل بحقيقة ما تم فيها قد استغله بعض الحكام المغرضين فيما
بعد استغلالا ذنيئا للنيل من دعوة الاخوان المسلمين ومن المرشد العام مما يأتى
تقصيله فى الجزء القادم من هذه المذكرات ان شاء الله .

وأرى من حق التاريخ على ، وبراء لذمتى نحو الحقيقة التى انطمرت
تحت ركام الاحداث وتوالى الايام ، أن أفضى الى شعبنا الذى طال أمد
تضليله - بما أعرف عن هذه المقابلة وما دار فيها وما سبقتها وما تلاها ..
ومعذرة حين أسرد معلوماتى اذا أنا سردها وسط الظروف التى تم وصولها
الى فيها ، وبالاسلوب وبالالفاظ التى سمعتها بها ، ون كان فى ذلك بعض
الاستطراد وبعض معلومات لا تتصل بالمقابلة لكنها لا تخلو من فائدة ان
شاء الله .

كان ذلك فى مقتبل ربيع عام ١٩٥٢ ، ولم أكن فى تلك الاثناء قريبا من
القاهرة حيث كنت لا أزال فى عملى الخاص فى الصعيد ، فلما انتهى موسم
القطن فى الصعيد - وهو ينتهى مبكرا - ذهبت الى رشيد لاستجم بضعة أيام،
فوصلنى من الاخوان بالقاهرة خطاب يطلبون الى فيه أن أكون فى دمنهور فى
يوم كذا لان الاستاذ المرشد يقوم برحلة فى الوجه البحرى وسيكون فى هذا
اليوم ان شاء الله فى دمنهور ، « وهو يريد أن يلقاك هناك » .
ولم تكن الظروف قد أسعفتنى بشئ من المعلومات عن مقابلة الاستاذ
المرشد للملك الا ما قرأته فى الصحف التى اعتبرت هذه المقابلة حدثا تاريخيا
لم يكن متوقعا ، وعدت ذلك شرفا عظيما يضاف على الاخوان المسلمين .

□ من أخطار الربا :

وسعدت بوجودى فى دمنهور فى ذلك اليوم ، فقد غبت عنها زمنا طويلا

منذ غادرتها منقولا عقب اغتيال الاستاذ الامام • فقابلت اخوانا بها أعزاء منهم الاخ الحاج عبد القادر عثمان المضيف المرشد العام وصحبه في منزله ، والذى استقبلنى بالعناق الحار ، وبأدنى بقوله : لقد كنت حريصا على لقائك لأقول لك اننى لم أخالف نصيحتك الا مرة واحدة ، وكادت هذه المخالفة الواحدة أن تؤدى الى اهلاك الحرث والنسل - فقد كنت نصحتنى باعتبارى تاجرا أن لا أتعامل مع البنوك •• ولكن صديقا لى يعمل وكيلا لبنك التسليف الزراعى بالمحمودية أغرانى وألح على بكمية من الفول لم يكن معى ثمنها •• وكان الذى أغرانى أن أسعار الفول كانت فى ارتفاع مستمر •• ولكن بعد أن أصبحت هذه الكمية باسمى أخذت الاسعار فى الهبوط بل فى الانهيار فطالببنى البنك بالتغطية - أى بأن أدفع للبنك الفرق بين الثمن الجديد والثمن الذى اشتريته به - فدفعته الى كل ما كان معى من نقود •• ثم هبط السعر - وليس هناك مشترون كدأب الاشياء اذا كانت أسعارها فى انخفاض مستمر - فطالببنى البنك بتغطية أخرى •• وهكذا حتى اضطررت الى بيع أثاث بيتى وكل شىء عندى حتى هذا المنزل عرضته للبيع •• ولكن الله سلم •

ويبدو أن الله تعالى قد اكتفى هذه المرة بتأديبى الى هذا الحد وقد علم منى حسن التوبة وصدق الله العظيم « يمحى الله الربا ويربى الصدقات » •

□ حديث خاص وخطير :

لم أكن حتى تلك اللحظة قد جلست الى الاستاذ المرشد العام حسن الهضيبي أو تحدثت معه أو استمعت اليه الا المقابلتين العارضتين اللتين أشرت اليهما قبل أن يتم انتخابه •• وكنت أعجب لرجل هذا حالى معه يطلببنى بالذات لاقبله بدمنهو •• وكنت حين وصلت الى منزل المضيف قد اتخذت - فى غرفة فسيحة من غرفاته - مجلسى بين الاخوان مؤتفسين بوجود الاستاذ المرشد معنا • ولكن الاستاذ المرشد نادانى وطلب الى أن أجلس بجانبه ففعلت •• وأنا أعرف أن الرجل قليل الكلام • وكانت هذه صفة من صفاتى أنا الآخر ••• وكنت حريصا - بعد أن حييته ورحبت بمقدمه الى عاصمة محافظتنا - على أن لا أبدأه بكلام حتى يبدأ هو لاعرف السبب الذى دعانى من أجله لمقابلته وأنا لم أخالطه من قبل ••

وبدا الرجل بالكلام فرد على ما فى نفسى من سؤال فقال : « اننى لا أهتم بالاخوان المظهريين ، ولا بذوى اللسنة ، ولا بالمتحمسين • ولعلك تعلم أننى كنت رافضا هذا المنصب لعدم ثقى فى هؤلاء ، ولولا دموع يوسف طلعت وهؤلاء الاخوة البسطاء ما قبلت •

وقد علمت بعد ذلك بما كان من أمر النظام الخاص وتمرده على الدعوة •

وعلمت بما كان من محاولات لاقتناعهم ، وكبح جماحهم ، وبيان هذه المحاولات لم تجد معهم ٠٠ وقد كدت أرجع الى رفضي ، لاتي لا أقبل أن أكون على رأس دعوة يتسلط عليها مركز قوة من داخلها ، فان هذه المراكز هي ديناميت ينسف الدعوة فلا يبقى منها على شيء - ولولا أن قيل لى :أمهلنا حتى نرسل في طلب أخ يحبه اخوان هذا النظام ويحترمونه ليكون ذلك آخر ورقة في جعبتنا ٠٠ ثم قال : ولم تكن هذه أول مرة أسمع فيها عنك ، فقد حدثني الاستاذ الامام عن كثير من شخصيات الدعوة - وقد بلغنى ما كان من حديث بينك وبين هؤلاء الاخوة وما انتهى اليه الامر من اذعانهم وانهاء تمردهم ٠٠ وقال : اننى اريد الاخوان الذين يعملون ولا يتكلمون ، والذين يعملون ويرجون وجه الله »

ثم قال : اننى أحب أن أعرف رأيك في بعض الاشخاص ٠٠٠ حتى جئنا الى شخصية هامة جدا في الدعوة فوجدت وجهة نظره فيها متفقة مع وجهة نظرى - مع أنها وجهة غائبة عن أكثر الاخوان - والعجيب أن كلينا قد قرر أن هذه الشخصية هي في أسمى الدرجات ايماننا وعلمنا واخلاصا لكنها لا تحسن تقدير المواقف ، وقد عبر الاستاذ المرشد عن ذلك المعنى بكلمة فرنسية وقد أثبتت الاحداث الجسام بعد ذلك أن تقييمنا كان صحيحا

ودقيقا •

لقد طال الحديث بينى وبين الاستاذ المرشد حتى خشيت أن يخرج ذلك صدور الاخوان الجالسين ، ولكن أمام أهمية الحديث رأيتنى في حل من مواصلته معتمدا على ثقة الاخوان في مرشدهم وحسن ظنهم بى •

ثم التفت الاستاذ الى وقال : هل علمت ما كان من أمر مقابلة الملك فاروق؟

قلت : لا أعلم الا ما نشرته الصحف •

قال : هذا ما كنت أتوقعه من رجل مثلك ليس من طبيعته أن يتحشر ويتسقط الاخبار ٠٠ ولهذا حرصت على أن أقابلك وأفضى اليك بتفاصيل هذه المقابلة ، فمثلك لا ينبغي أن يجهلها •

□ تفاصيل المقابلة مع الملك :

وبعرد على الاستاذ المرشد تفاصيل هذه المقابلة ومقدماتها وملحقاتها ساعة بساعة ولحظة بلحظة ، لكننى بعد مضى خمسة وعشرين عاما لا أستطيع أن ادعى اننى لا زلت أعى كل هذه التفاصيل ، لا سيما وهذا أول يوم منذ ذلك التاريخ أمسك بالقلم لاسجل ما سمعته ، ولذا فانى لن أثبت هنا الا ما بقى في خاطر - وهو قليل - لكن الذى أثبته هو النص الذى لم يتفلت من خاطرى منه شيء ٠٠ أما ما سوى ذلك من التفاصيل مما لم يبق في الذهن منه الا ظله

فسأضرب عنه صفحا حتى لا أخلط الحق الصريح بما هو دونه .

قال الاستاذ المرشد في يوم كذا اتصل بى الصديق فلان (أنسيت اسمه وتاريخ اليوم) وقال لى ان كريم نائب المستشار الصحفى لجلالة الملك يريد أن يقابلك . فلم أمانع . وحضر كريم ثابت وأخبرنى بأن جلالة الملك يريد أن يقابلنى ، فأمهلته حتى عرضت الامر على مكتب الارشاد ووافق . وحدد الميعاد . وقال لى الاستاذ . اننى فى اجتماع مكتب الارشاد حاولت أن أهون من شأن هذه المقابلة مهتديا بالحكمة التى تقول : متى يستقيم الظل والعود أعوج

وفى اليوم السابق للميعاد اتصل بى كريم ثابت وسألنى : هل لديك ردنجات (بدلة من أثمان أنواع الصوف الانجليزى الاسود ذات سقرة طويلة ولها هى وبنطلونها شكل خاص وتفصيل خاص وتكاليفها باهظة ، ولا يسمح لاحد بمقابلة الملك الا اذا كان مرتديا بها) فقلت له : ليس عندى . فقال : سأبعث اليك بواحدة . قال الاستاذ : فلما رجعت الى المنزل وجدت بدلتين من الردنجات قد بعثوا بهما لاختار أنسبهما لجسمى .

فلما كان يوم المقابلة قررت أن لا ألبس الردنجات . وحين جاء الميعاد حضر كريم (على ما أذكر أنا) ليصحبنى الى القصر . فوجدنى ببذلتى العادية . فسألنى : ألم تصلك البدلتان الردنجات ؟ فقلت : قد وصلتا ، وسلمتهما له وقلت له : اننى قررت أن لا أقابل الملك الا بملابسى العادية هذه . واذا لم يكن مسموحا به فأرجو الغاء المقابلة ، لاننى لم أطلبها حتى تشترطوا على شروطا . قال : فظهر الحرج على وجه كريم . ولكن يبدو أنه كان مكلفا من الملك باتمام هذه المقابلة على أى وضع وبأى ثمن ، لانه مع ما أوقعته فيه من حرج قال : ما دمت متمسكا بذلك فلا مانع . وهذه أول مرة يقابل فيها الملك شخصا لا يرتدى الردنجات .

قال الاستاذ : وكان عندى مجموعة من الاخوان فى ذلك الوقت ، وقد حاولوا أن يزعجونى عن رأى لاجراج كريم من حرجه ، لكننى أصرت على رأى وصممت عليه متمنيا أن تلغى المقابلة .

ولما وصلنا الى الفصر ، وجدت فى استقبالى الموظفين الرسميين الذين يستقبلون السفراء وأمثالهم حتى دخلنا مكتب سكرتير الملك (أو كبير الامناء لا أذكر) فاذا بالملك يدخل ويلقى على السلام ويصافحنى فصافحته كما أصافح أى انسان . ثم أخذنى ويده فى يدى ودخلنا مكتبه الخاص فجلس الى مكتبه وجلس الى جانبه فى الفتيل المجاور . ثم أخذ يرحب بى ويوجه الى الحديث ويقول لا ادرى لم ييسر الاخوان الظن بى ؟ فلم أرد عليه .

فقال : اننى رجل مسلم وأحب الاسلام وأتمنى له الخير ، وقد أمرت بإنشاء مساجد كذا وكذا .. فلم يكرهنى الإخوان ؟ فلم أرد . فقال : ان الإخوان قد أفهموا خطأ أننى الذى أمرت بحلهم واعتقالهم وباغتيال الشيخ البنا .. هذا والله العظيم خطأ ، ولم أفعل من هذا شيئا .. ان الذين فعلوا هذا هم السعديون .. النقراشى وابراهيم عبد الهادى .. وفى اللحظة التى تمكنت فيها أقلت ابراهيم عبد الهادى وأمرت الوزارة التى عينتها بالافراج عن الاخوان .

وقال لى الاستاذ المرشد : لقد طال حديث الملك نحو ساعة استعرض خلالها تاريخه وما عمله من خير ، ونسب كل عمل سىء الى غيره .. وبين الفينة والفينة كان يلقى السؤال نفسه « لم يكرهنى الإخوان اذن ؟ وأنا لا أرد .. » ثم قال لى الاستاذ : ويبدو أننى سهوت عن نفسى بعد قليل من بدء الحديث ، وتنبت فوجدت نفسى فى وضع عجيب .. وجدتني جالسا فى الفوتيل واضعا احدى رجلي على الاخرى ، ففكرت فى الرجوع الى الجلسة المناسبة ، ولكننى قررت أن لا أغير هذا الوضع ، فظللت فى هذا الوضع حتى نهاية المقابلة حين سألتنى بعد أن أشعرنى أنه قال كل ما عنده : ما رأيك اذن يا حسن بك فيما قلته ، وفى أننى على استعداد أن أعمل للاسلام ؟ فرددت عليه قائلا : اننى سأعرض ذلك على الإخوان ونسأل الله التوفيق .

قال الاستاذ فقام الملك وصافحنى وصافحته ، ووصلنى الى باب مكتبه حيث تلقانى كبار رجال القصر حتى رجعت الى المركز العام .

وقال لى الاستاذ : ووالله يا فلان لقد كنت أشعر وأنا أصافح ذلك الرجل ثم وأنا أجلس معه أننى أمام طفل صغير ، لا أشعر نحوه لا برهبة ولا حتى باحترام .. وبهذه العبارات ختم الاستاذ حديثه معى فى تلك الليلة أو فى ذلك اليوم .

□ لقا أحباب ذكرنا بالايام الخطوة الخائية :

كان فى صحبة الاستاذ المرشد فى هذه الرحلة عدد من اخوان القاهرة ومن غير القاهرة ، غير أننى لا حظت أن المرافق الاصيل الملازم له طول هذه الرحلة التى رصد لها نحو شهر هو الاخ الاستاذ أحمد حسن الباقورى ، ذلك أننى وجدت الاستاذ المرشد كلما سئل عن شىء يتصل ببرنامج الرحلة أحال السائلين الى الاخ الشيخ أحمد .. ولقد أثار هذا الامر عجبى لان الشيخ الباقورى - وهو من لا يشك فى اخلاصه ووفائه - لم يكن - مع ما يعلم من حب الاستاذ الامام له - يلزم نفسه أن يكون مرافقا له فى رحلة طويلة ، مع أنه كان اذ ذاك خفيف الظهر قليل المسئوليات .. فما هذا الذى أراه الآن

بعينى ؟ ... لقد لا حظت أكثر من ذلك أنه على غير ما تعودت أن أراه ، اذ لم يكن يحفل بأن يأخذ نفسه بأسلوب تعبدى شاق ٠٠ لكننى أراه الآن آخذاً نفسه بهذا الأسلوب ، فهو صائم النهار ، كثير التسبيح بالليل ، كأنما هو شخص آخر غير الباقورى الذى عرفته فى بواكير أيام الدعوة ٠

على كل ، فان عجبى لم يطل اذ تذكرت طبيعة الباقورى ٠٠ طبيعة الشاعر الذى تستبد به مشاعره ، فهو طبع لها توجهه حيث تشاء دون أسباب ولا مقدمات ٠٠ غير أن هذا الوضع الأخير الذى رأيته عليه من تمام الجسد فى الدعوة وقوة الاخذ بأسباب التبتل والعبادة ، أشاع فى نفسى السرور وشرح صدرى ، وحبب الى المبيت معه ، حيث دعانى الى ذلك لنقضى ليلة طاماً افقتناها بعد أن أنهينا مرحلة الطلب ٠

وليس غريباً أن يطول الحديث فى مثل هذه الليالى المختلصة من الزمن بين صديقين باعدت بينهما الايام أمداً طويلاً ، وأن تتشعب شجونهم ٠ ولكن بيت القصيد ، وما يهم القارىء مما دار بيننا من أحاديث ، هو ما كان منها فى شأن الموضوع الذى نحن بصدده ٠٠ فقد قلت له : يا أحمى أحمد ٠٠ انك تعلم أن ظروفى ونأى مكان عملى قد حرمنى أن أكون على مقربة من هذا الرجل الاستاذ حسن الهضيبى ٠ وقد تكون أنت من أقرب الناس اليه ، ومن ألصق الاخوان به ، وأنا أحب أن تحدثنى عنه حديثاً صريحاً يكشف لى عن حقيقة شخصيته ٠

فقال الباقورى : أنت محق فى استفسارك هذا ٠ ومن حقك أن تعرف عن دخائله قبل أن تعرف عن ظواهره ٠ ولقد تعرفت على هذا الرجل وجالسته وحادثته وناقشته فسررتى وأعجبنى وملاً نفسى فى جميع الجوانب التى ننشدها فى قائد الدعوة - غير أن شيئاً بقى فى نفسى جعلنى لا أجروء على أن اخلطه بنفسى وإن اخلط نفسى به ، ذلك أننى كنت أحس أن الرجل من طبقة الارستقراطيين بحكم منصبه ومكانته الاجتماعية ٠ (ينبغى أن يعلم القارىء أن كبار رجال القضاء فى ذلك الوقت - وكانوا قلة - كان الشعب ينظر اليهم باعتبارهم أعلى طبقة فى الامة ، وكانت الدولة تعاملهم بهذا الاعتبار نفسه مادياً وأدبياً) - حتى دعانى فى يوم الى منزله ، فلما جاء وقت الطعام ، رأيت الطعام يقدم كما نقدمه فى بيوتنا ، ويجلس أبناؤهم معنا كأنهم اخوتنا حتى انه بعد تناول الطعام اقترح على أن أقبل ساعة ، فاذا بى اعطى وسادة ، كما أخذ كل من أبناؤه وسادة ، ونمنا على أرض الحجرة - حجرة الجلوس - تماماً كما كنا نفعل فى المركز العام وفى بيوتنا وفى بيت الاستاذ الامام -

فعلمت أنني كنت على خطأ في سوء ظني بالرجل في هذه الناحية . ومذ ذلك اليوم وأنا أشعر أنه منا ونحن منه . كما كنا مع حسن البنا رحمه الله وكان معنا .

□ في أعقاب المقابلة الملكية :

بعد لقائي هذا مع الاستاذ المرشد ، التقيت في القاهرة بالاخ الاستاذ عبد الحكيم عابدين ، وقصصت عليه ما أنبأني به الاستاذ المرشد عن المقابلة . فأخبرني عبد الحكيم بأن الذي حدث بعد المقابلة كان أغرب . فقد حضر الى المركز العام - بعد المقابلة بيوم أو نحوه - الاستاذ كريم ثابت باشا يحمل معه صورة فاخرة للملك في اطار فاخر ، مهداة الى حضرة صاحب العزة الاستاذ حسن اسماعيل الهضيبي بك المرشد العام للاخوان المسلمين . وموقعة بتوقيع الملك . وقدمها كريم ثابت الى الاستاذ المرشد مقترحا عليه أن يعلقها فوق مكتبه بالمركز العام حيث كانا جالسين معا . ثم نهض الرجل وسلم وخرج .

ودخل الاخوان بعد ذلك قراوا الصورة ، وبهروا لفخامتها ، ومنهم من رأى جدارتها أن تعلق . ولكن الاستاذ المرشد طلب منهم ان يتركوا له اختيار مكان تعليقها . قال الاستاذ عبد الحكيم : وانتظرنا أن نرى الصورة معلقة في مكتب الاستاذ أو في أية حجرة أخرى بالمركز فلم نرها ، فسألناه فقال . اننى أخذتها في بيتي . قال الاستاذ عبد الحكيم : فذهبت الى منزل الاستاذ المرشد منتحلا سببا من الاسباب ولكن كان قصدي أن أرى أين عُلقت الصورة في بيته ، فدخلت حجرة الجلوس كالمعتاد فلم أرها . وترددت على المنزل أكثر من مرة فلم أرها . فعزمت على أن أذهب الى المنزل هذه المرة ولا أغادره حتى أعرف أين وضعت هذه الصورة . فدخلت البيت وتعمدت أن أتناول طعام الغداء فلم أرها في حجرة الطعام ، فانتحلت أسبابا لدخول كل غرفة البيت فلم أعثر عليها في أية غرفة . فبيئست وعزمت على أن ألج على الاستاذ ليحل لي هذا اللغز . حتى اذا حان وقت الصلاة طلبت أن أجدد وضوئي ، فدخلت دورة المياه . وكانت المفاجأة . فقد وجدت الصورة ملقاة على أرض الدورة مركونة على أحد جدرانها . فذهلت . ولما قابلت الاستاذ المرشد حدثته في ذلك فقال لي : « هذا هو مكانها » .

وقال لي الاستاذ عبد الحكيم : ولم يحفل المرشد بزيارات متكررة من أشخاص كان يعلم أنهم موفدون من قبل القصر ليروا أين وضعت الصورة .

الفصل الثالث

حريق القاهرة أو خطة الإجرامية لإجباط المقاومة

□ انتخابات نادى ضباط الجيش في ٣١-١٢-١٩٥١ :

هذه نقطة قد يظنها القارىء بعيدة عما نعالج من موضوع ، ولكنها في الحقيقة هي جزء منه لا يتجزأ ، اذ هي احدى معالم الطريق الذي قرر الشعب أن يمشكه ، وهي احدى ثمرات التوعية والجهاد الطويل الممتد منذ عشرين عاما في غمار الشعب وفي صفوف الجيش .. وهي ارهاص بأحداث جسام موشكة أن تقع في البلاد ، تغير سمات وجهها ، وتقلب موازينها .

نعم ان انتخابات نادى ضباط الجيش عملية دورية كانت تجرى دون أن يهتسب بها أحد ، ودون أن تثير اهتماما ، لانها في ذاتها امر عادي كانتخابات نادى ضباط البوليس وانتخابات نوادى التجاريين والزراعيين والاطباء ومن اليهم .

ولو ان هذه الانتخابات حدثت قبل هذا التاريخ بعام أو بعامين أو نحو ذلك لما كانت ذات دلالة خاصة ، ولا ذات أهمية تذكر .. ولكن وقوعها في هذا التاريخ جعلها وكأنها صدى للدوى الهائل الذي انبعث من صفوف الشعب واستجاب له الحكومة آخر الامر ، فآلهب المشاعر ، وفجر العواطف الوطنية .

ولقد تحفزت الجبهات المختلفة في البلاد لهذه الانتخابات ، وأعدت كل منها العدة لخوضها ، باعتبارها احدى جولات المباراة النهائية فيما بينها ، فالملك ومن ورائه النفعيون يحشدون أنصارهم ، ويقفون وراء مرشحيهم التقليديين بالمسال والنفوذ والوعود والاعراء - والاخوان ومن يؤن في فلهم بضباطهم الصغار يعدون العدة لاسقاط مرشحي الملك وانجاح رجل عرف بالشجاعة والنزاهة والتدين والوطنية هو اللواء محمد نجيب الذي كان الملك يعتبره عدوه اللدود .

ونظرا لاهمية هذه الانتخابات وخطورة نتائجها رأينا أن نرشد بها لهذا الفصل وسنورد هنا تفصيلات دقيقة لما تم في الاجتماع الذي وضع أسسها وتمخضت عنه نتائجها وهو اجتماع الجمعية العمومية . واليك القرارات والتفصيلات .

أولاً - ضم هذا الاجتماع نحواً من خمسمائة ضابط ومهم العريسي
عثمان المهدي باشا رئيس أركان حرب الجيش .

ثانياً - تقرر فيه ضم نادى سلاح البحرية الى ادارة النادى حتى تمثل
جميع أسلحة الجيش .

ثالثاً - رفض اقتراح بضم سلاح الحدود كسلاح منفصل حيث ان
هو الا فرع من فروع الجيش - ومما يجدر ذكره ان اللواء حسين سرى عامر
قد عين - بعد الحكم الذى أصدرته المحكمة ببوارته - مديراً لسلاح الحدود
محل اللواء محمد نجيب الذى نقل الى سلاح المشاة . وسرى عامر كان رجل
الملك ومن أقرب المقربين اليه - وبذلك استبعد سرى عامر من الانتخابات
نهائياً .

رابعاً - عدلت المادة السابعة من قانون النادى والتي كانت تقضى
بأن يكون رئيس النادى هو رئيس هيئة أركان الجيش ، اذ رأى أن يكون
رئيس النادى بالاقتراع - وينشأ منصب جديد هو رئيس شرف النادى
يتولاه القائد العام للقوات المسلحة ، باعتباره قائد جميع أسلحة الجيش لا
بصفته الشخصية ، على أن يعطى الرئيس المنتخب جميع حقوق الرئاسة ،
وبذلك تثول اليه الاختصاصات التى كانت منوطة برئيس أركان حرب
الجيش وهى التكلم باسم النادى وتمثيله .

خامساً - رفض اقتراح بأن يعين وكلاء شرف للنادى رئيس أركان
حرب الجيش وقائد الطيران وقائد البحرية .

سادساً - العدول عن قيام كل سلاح بانتخاب ممثليه فى مجلس
الادارة ، وتقرر أن تقوم الجمعية العمومية للنادى مجتمعة بانتخاب هؤلاء
الممثلين .

سابعاً - العدول عما جاء بالمادة الثامنة من أن يدير النادى مجلس
ادارة مؤلف من رئيس لا تقل رتبته عن أميرالاي وسكرتير وأمين صندوق
لا تقل خدمتهما عن ١٥ سنة وكذلك ١٩ عضواً يمثلون الضباط بتوزيع
الاسلحة - وتقرر الاستغناء عن شرط مدة الخدمة بالنسبة للسكرتير وأمين
الصندوق .

ثم أجرى الانتخاب فأسفر عن الآتى :

الرئيس - اللواء محمد نجيب ٢٧٦ صوتاً (انتخب) - اللواء سيد
محمد بك ٣٤ صوتاً - اللواء ابراهيم زكى الارناؤوطى ١٩ صوتاً - الاميرالاي
محمد نايل ١٣ صوتاً .

الجائزية العسكرية - بكباشى موري يحيى امام ٢٥٩ صوتا «انتخب»
البحرية - بكباشى انور عبد اللطيف ٢٩٨ صوتا (انتخب) -
بكباشى احمد عبد الغنى ٢٦٧ صوتا « انتخب » - أمير البحر أحمد ثروت
بك ٧١ صوتا .

الطيوان - قائد جناح محمد بهجت مصطفى ٢٨٤ صوتا « انتخب »
- قائد جناح عز الدين رمزي ٥٢ صوتا - قائد جناح جمال سالم ٣٧ صوتا
- قائد اسراب عمر شكيب ٢٧ صوتا - قائد اسراب حسن ابراهيم ٥٠ صوتا
المثناة - بكباشى زكريا محيي الدين ٣١٦ صوتا « انتخب » -
بكباشى احمد حمدي عبيد ٢٩٦ صوتا « انتخب » - صاغ محمد جمال الدين
٢٨٦ صوتا « انتخب » - بكباشى محمد صلاح توفيق ٥٨ صوتا - بكباشى
أسعد رفل ١١ صوتا - صاغ علام خالد علام ١٦ صوتا .

الدفعية - بكباشى محمد رشاد مهنا ٣٣١ صوتا « انتخب » -
بكباشى ابراهيم عاطف ٢٢٠ صوتا « انتخب » - بكباشى محمد فوزى ٣٧
صوتا - قائمقام ابراهيم فؤاد شرفه ١٦ صوتا - صاغ احمد كامل ٦١
صوتا - صاغ سراج الدين ٦ اصوات .

الفرسان - الاميرالاي حسن حشمت فاز بالتركية

الاشارة - يوزباشى محمد أمين شاكر ٢٥٦ صوتا « انتخب » - صاغ
محمد لاشين ٣٨ صوتا - الصاغ نوفل ٢٧ صوتا -

المهمات - قائمقام عبد الرحمن فوزى ٣٠١ صوتا انتخب « -
بكباشى أحمد حسنى السيد ٣٦ صوتا .

الصيانة - بكباشى عبد العزيز الجمل ٢٠٩ صوتا « انتخب »

المهندسين - ابراهيم فهمى دعبس ٣٢٤ صوتا « انتخب »

الطب - الاميرالاي عياد ابراهيم بالتركية

خدمة الجيش - بكباشى عبد الرحمن أمين ٢٨٦ صوتا « انتخب »

المحاربون القدماء - بكباشى جلال ندا ٢٤٥ صوتا « انتخب »

هذا وقد حاول الملك في خلال فترة الاعداد لهذه الانتخابات وفي اثناء
اجرائها وبعد اتمامها محاولات شتى ، منها أن يأمر باغلاق النادي ، ومنها
أن يصدر أمرا بالغاء الانتخابات ، ومنها أن يصدر أمرا بابعاد اللواء محمد
نجيب عن الجيش .. ولكن مستشاريه والمقربين اليه راوا أن أدنى

الاضرار هو أن يترك كل ما تم يأخذ طريقه ، وأن يعمل هو بكل الوسائل على التقرب من الجيش ، واسترضاء ضباطه بالاتصال بهم والاعداق عليهم . . . وقد أخذ الملك بهذه النصيحة وبنصيحة أخرى . ويرى القارىء في الصفحات القادمة ان شاء الله كيف كان ذلك .

حريق القاهرة

بعد القاء شعاع من الضوء على معلم من معالم هذه الفترة الحرجة مما قد يشبه أن يكون في ظاهره استطرادا نرجع الى السياق فنقول :

انطلقت المقاومة الشعبية بالرغم من بعض الاخطاء التي تخللتها ، والتي كان مبعثها بعض تصرفات من الحكومة ومن بعض فئات لم تخضع المعركة لخدمة القضية الوطنية ، بل لكسب الصيت والشهرة والتقرب الى الحكومة . ولكن أمثال هذه الفئات لم تستطع المواصلة ، وسار ركب المقاومة المنظمة في طريقه الى اخر الطريق ؟ فاشاع الذعر في اوساط الجيش المحتل ، وأدخل اليأس في قلوبهم من استطاعتهم وقف زحف هذه المقاومة او النيل منها أو حتى تخفيف وطأتها .

وليس أشد على العدو من مقاتلين يقاتلونه وهم يطلبون الموت . فهم لا يباليون بشيء ، ولا يوقف زحفهم سلاح ، ولا يحمى منهم دروع أو حصون . . . ومع ذلك فهم يؤثرون أن لا يعلم بجهودهم الا الله وحده حتى يحطوا غده بجزء الشهداء كاملا غير منقوص .

ولقد كافح هؤلاء الرجال كفاحا مريرا ، وتساقط منهم كثير من الشهداء دون أن يعرف الناس اسماءهم ، راضين بما ادخر الله لهم من جنات عرضها السموات والارض . . . ولولا أن الاخوان لم يروا بدا - لكى يلهبوا مشاعر الشعب ضد المحتل - من ابراز بعض الصور المثيرة ، لما سمحوا بتشجيع جنازات بعض شهدائهم على الهيئة التي شيعت بها شعبيا ونشرت عنها الصحف الوطنية - ومع ذلك فقد كان الاخوان حريصين على أن ينسبوا هؤلاء الشهداء الى جامعاتهم وكمالياتهم لا الى الاخوان .

□ السهم الاخير

□ اشعال النار في كنيسة السويس

« فرق تسد » هي السهم الاخير دائما في جعبة الانجليز ، وهي خطتهم المخرة . وبالرغم من خسة هذه الخطة وحفارتها فانهم يستبجحونها ويلجأون اليها حين تتعقد امامهم الامور ، وتنسد المسالك ويسقط في ايديهم - وهم يحتفظون دائما بفريق من الخونة يستعملونهم في تنفيذ هذه الخطة القذرة .

فلما يئسوا من وقف الزحف الاخوانى المكتسح لجأوا الى هؤلاء الخونة ، فأوعزوا الى عدد منهم يتسمون بأسماء المسلمين - والاسلام برى- منهم - أن يقوموا بإشعال النار فى كنيسة الاقباط فى السويس لتتجه الانتظار الى الاخوان المسلمين .

وتمت الخطة بنجاح ، وكادت تفسد حملة المقاومة ، لولا أن تنبّهت الحكومة والاخوان الى خطورة المؤامرة فقام المرشد العام بزيارة البطريك، ونشرت الصحف نبأ هذه الزيارة فى مكان بارز فى ١٩/١/٥٢ تحت عنوان « البطريك والمرشد يتعانقان - مسبة من البطريك للمرشد » وقالت :

« توجه الاستاذ حسن الهضيبي بك المرشد العام للاخوان المسلمين فى الساعة الخامسة من مساء أمس الى دار البطريكى حيث قابل غبطة البطريك الاكبر الانبا يوساب ، ودام الاجتماع نصف ساعة ، وقد حضره معالى مكرم عبيد باشا ونيافة مطران الجيزة .

وقد أكد غبطة البطريك للمرشد أنه لم يتهم الاخوان المسلمين ولن يفكر فى اتهامهم بشأن حادث كنيسة السويس ، لأنه يعلم مبادئ الاخوان المسلمين ومحافظتهم على حرية الاديان .

ودار الحديث حول الوحدة الوطنية بين الاقباط والمسلمين . . ومما قيل أنه على المسلم والقبلى أن يعبدا ربهما كل حسب تعاليم دينه ، ولكنهما فى الوطنية سواء . والكفاح من أجل مصر يقع على عاتق المصريين جميعا اقباطا ومسلمين - وقد كان هذا الاجتماع مظهرا من مظاهر الوطنية والاخاء بين العنصرين .

وعند خروج فضيلة المرشد أهداه غبطة البطريك مسبحة من الكهرمان ثم أوصله الى الباب حيث تعانقا على مشهد من جمع كبير من الاقباط والمسلمين - وودع غبطة البطريك فضيلة المرشد متمنيا له كل نجاح وتوفيق فى الدعوة للدين الاسلامى ، - ونشرت الصحف صورتها وهما يتعانقان .

وفشلت الخطة . وطاش السهم الاخير . وافتضح التدبير الاثيم . . ولم يعد أمام العدو الخاتل الا التسليم . . . ولكنه لم يسلم . . . كان شارع فؤاد الاول (شارع ٢٣ يوليو الان) فى ذلك الوقت اعظم شارع تجارى فى القاهرة .

وكانت اكثر المحلات التجارية فيه ملكا لاجانب من البريطانيين وغيرهم من مختلف الجنسيات .

وفي يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ - حيث كانت المقاومة الشعبية ضد الجيش البريطاني المحتل قد بلغت ذروتها . ولم يجد بريطانيا نفعا تدخل دول حليفة لها مثل الولايات المتحدة ودول غرب أوروبا محاولين وقف سيل المقاومة - في صبيحة ذلك اليوم شبت النيران في هذا الشارع على حين غرة وفجأة ودون مقدمات . وكان الاشتعال من الفضاة بحيث ان كل قسوات الإطفاء في القاهرة وضواحيها لم تستطع حصر النيران ولا وقف امتدادها الا في المساء بعد أن أتت على كل شيء . . فكان حريق هذا الشارع بما فيه وفيه ثروة البلاد - من الحرائق التاريخية العالمية ، وسمى بحريق القاهرة

□ حول هذا الحريق :

وحريق القاهرة هذا لم يكن أول حريق ولا آخر حريق ، ولكنه مع ذلك كان أغرب حريق ، فالامر المثير فيه هو أنه لازال حتى اليوم لغز التاريخ الذي لم يعرف له حتى اليوم حل ، ولم يعثر له على تعليل قاطع ، ولم يتوصل الى معلومات أكيدة عن فاعله .

ولقد وقع هذا الحادث الجسيم فجأة ودون مقدمات ، وبطريقة تنفى تمام النفي أن يكون قضاء وقدر . فقد يشب الحريق قضاء وقدر في منزل من المنازل أو في أحد المحال التجارية، وكثيرا ما يحدث هذا . . . أما أن يشب الحريق في أعظم شارع تجارى في القاهرة ، وفي جميع محاله في وقت واحد . . فهذا لابد أن يكون بتدبير مسبق وبخطة محكمة ، بل لابد أن يكون المدبرون وواضعو الخطة خبراء وذوى سلطة ونفوذ .

فشارع فؤاد الاول بالقاهرة شارع فسيح وطويل ويضم أعظم المحال التجارية في مصر . وليست هذه المحال محال لبيع البنزين أو البترول أو الكبريت أو المواد الملتهبة . كما أن هذه المحال لا تخزن فوق سطوحها حطب القطن أو قش الارز كما يحدث في القرى حتى نقول ان هذه المواد الملتهبة بداخل المحال والقش على سطوحها ساعدا الهواء على نقل النار من محل الى آخر .

اذن لابد أن يكون هذا الحريق بتدبير . ولابد أن يكون هذا التدبير تدبير قوى سلطة ونفوذ ، ولابد أن يكون للسياسة يد في احداثه وفي توقيته وأن يكون لفاعليه هدف أو أهداف تحقق لهم مآربا . . . ولكي يكون بحثنا وراء هذا الحادث بحثا مستقبلا يجب ان نلم بشيء من الظروف التي أحاطت بهذا اليوم الكئيب .

□ صورة الموقف السياسى قبيل الحريق :

كان الموقف فى تلك الايام فى مصر على الوجه الاتى .

أولاً - قبل أن يتم الافراج عن كثيرين من معتقلي الاخوان المسلمين . وقبل أن يلتئم شمل الدعوة ، كانت الانتخابات النيابية فى مصر قد تمخضت عن فوز حزب الوفد ، وتولت الحكم وزارة وفدية برئاسة مصطفى النحاس ، وكان فؤاد سراج الدين أبرز شخصية فيها - وقد تحدثنا عن موافقة هذه الوزارة بعد مفاوضات طويلة على إعادة الصفة القانونية للاخوان المسلمين لاسيما بعد أن صدرت أحكام قضائية فى صالحهم . وهذه الحكومة تعلم أن الاخوان المسلمين ليسوا ممن يشتركون أو يبيعون ، ولكنها اتخذت هذا الاجراء الصحيح أخيراً تقرباً الى الراى العام الذى كان فى ذلك الوقت قد تكشفت له حقائق الامور .

ثانياً - وكما ساءرت هذه الحكومة الراى العام فى إعادة الصفة القانونية للاخوان المسلمين ، فانها اضطرت الى مساييرته أيضاً فى أمر لا يقل خطورة عن ذلك هو الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ .

ومناداة حكومة الوفد فى تلك الحقبة من الزمن ، ومناداة غيرها من الحكومات التى وليت السلطة فى نفس الحقبة بسقوط معاهدة ١٩٣٦ لم يأت من فراغ ، ولم يكن وحياً هبط على هذه الحكومات فجأة ، وإنما كان وليد ضغط بدأه الاخوان منذ عام ١٩٣٨ . وقد أنضج هذا الضغط وبعثه حياً فى نفوس المصريين انتشار الوعى الاخوانى فى اوساط الناس مع اتساع دائرة غزوهم لافكار الشعب وقلبه - ثم حول هذا الضغط الى نار مشتعلة فى النفوس حرب فلسطين وما تلاها من أحداث جسام جعلت هذا الشعب الغافل يستقيظ على حقائق مريرة طالما أخفيت عنه .

أقول : ان وزارة الوفد لم تقرر الغاء المعاهدة الا راغبة تحت ضغط تيار شعبى جارف لا يقوى على مواجهته حزب ولا هيئة ولا حكومة ...

ثالثاً - الغاء حكومة الوفد لمعاهدة ١٩٣٦ اقتضى مواجهة بين هذه الحكومة وبين الانجليز العسكريين بمنطقة القناة . ولم تجد حكومة الوفد بدا من المواجهة . ولكنها حاولت أن تحصر هذه المواجهة فى أضيق نطاق ، وأن تجعلها مجرد مواجهة رمزية . لكن الحركات الشعبية انتهزت هذه الفرصة وحولت المواجهة الرمزية الى مواجهة حقيقية . واستطاعت هذه الحركات توحيد صفوفها وقامت بدور كبير أقض مضاجع الانجليز . وأخذت روح المقاومة تسرى فى اوساط الشعب - وكان الانجليز اول من

احس بخطورة هذه الظاهرة - ومن طبيعة الانجليز أن لا يواجهوا عدوهم إذا شعروا بمقاومة جادة منه ، ولكنهم يحاولون البحث عن وسيلة أخرى لافساد خطته قبل وقوعها .

رابعاً - من الاوساط التي سرت فيها روح المقاومة الجيش المصرى - وقد اشترك فعلا في المقاومة أفراد من ضباط الجيش . وأحس أفراد آخرون من الجيش بأن المقاومة إذا استمرت على الطريقة البطئية التي تسير عليها فان الامر سيطول وتكثر الضحايا ، وقد تقم الحكومة تحت ضغط لا تتحمله من العدو فتتراجع وتنكص على أعقابها . فبدأ هؤلاء الافراد سرا يخططون لانقلاب يستولون فيه على الحكم .

خامساً - بعد أن زالت الوحشة التقليدية التي كانت بين الملك وبين حزب الوفد ، على أثر التقارب الذى تم على يد سراج الدين ، لم يشعر الملك بغضاضة في تهئية الجو للوفد أن يحتل مناصب الحكم عن طريق اجراء انتخابات - ولا اعتقد أن الملك كان سيفكر في يوم من الايام في التخلص من الوفد بابعاده عن الحكم ، لانه في ظل الوفاق الذى نشأ بينهما استطاع أن يحظى بتحقيق قسط من مآربه أكبر مما كان يحظى به في ظل الحكومات الاخرى .

سادساً - ثم طرأ موضوع الغاء معاهدة ١٩٣٦ . ويبدو ان الملك لم يكن ينظر الى هذا الموضوع نظرة جادة في أول الامر ، كما اعتقد أن الوزارة نفسها لم تكن تتصور الامر يتعدى الاجراءات القانونية يصحبها احتكاك مع الانجليز في صورة مظاهرة شعبية ترضى عواطف الشعب ، ثم تهدأ الامور ، ويستقر الوضع كما كان ، على أن يعتبر وجود الانجليز في منطقة القناة غير قانونى . ويخرج الملك والحكومة من هذا الموقف ببطولية يتباهون بها أمام الشعب . ولكن الامور لم تسر في الطريق الذى رسموه لها ، وانما تعدته وخرجت عليه ، وتفرعت وتشعبت ، ووجد الملك نفسه وحكومته أمام معركة ضارية لا سبيل الى السيطرة عليها ولا أمل في انهاءها أما حكومة الوفد فانها خشيت ان تراجع ان تفقد ما بقى لها من رصيد لدى الشعب ، ولكن الملك يعلم أن لا رصيد له لدى الشعب وأن بقاءه في منصبه مرهون برضا الانجليز عنه .

سابعاً - ان الملك - بعد ان استنفد جميع الوسائل للقضاء على الاخوان ، ثم فوجئ برجوعهم أقوى مما كانوا ، ورأى جميع الخيوط قد صارت في أيديهم - حاول استرضاءهم كما بينا من قبل . وكان يظن أنهم

من السذاجة بحيث يتعاملون عن كل ما هو غارق فيه من المجون ويغترون له أذرعهم - فلما رأى عزوفهم عنه • وأعمالهم لشأنه ، لم يجد له سندا الا الانجليز •

من البنود السبعة السابقة قد يستطيع القارئ أن يرى - من خلال الظلام الحالك المحيط بهذا الحادث - اصبح اتهام تشير الى جهات معينة •• وقد يكون أبرز هذه الجهات وضوحا شخصية الملك فاروق وقد تبو من ورائها شخصية الانجليز •

□ صورة من جانب آخر للموقف قبيل الحريق :

أنا لا أدعى أن كان لدى الاخوان أية أثارة من علم بهذا الحريق قبل أن يشب ولا حتى بعد أن شب والتهم أعظم متاجر البلاد على جانبي هذا الشارع •• ولكن الاخوان كانوا على علم بكل الاحداث وبكل الاستعدادات التي كانت مختلف الجهات في البلاد تخطط لها ، والتي عرضت في السطور السابقة صوراً منها •

كان الاخوان يعلمون بأن حكومة الوفد ستقدم على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ وهي لا تقدر عواقب هذا الإلغاء • ويعلمون أن الملك فاروقا متضامن مع هذه الحكومة على أساس أنها لعبة لا خطر فيها ولكنها سترفع أسهمه لدى الشعب بعد أن وصلت الى الحضيض •

وكان الاخوان يعلمون مدى خطورة هذه الخطوة وهي إلغاء المعاهدة فان هذا الإلغاء اذا لم يقترن بحركة مقاومة شعبية تؤيدها الحكومة فانه سيكون مجرد حبر على ورق •• وان احراج الحكومة في اتخاذ هذه الخطوة ثم مفاجأتها بحركة مقاومة شعبية سيضعها هي والملك في مأزق ، وسيجعل تراجعهما أمراً مستحيلاً •• ولذا فان الاخوان كانوا اول المستجيبين لحركة المقاومة التي تطوع لها شباب من مختلف الهيئات في البلاد •• وقد وصلت المقاومة بالقضية الى الحد الذي لا يمكن لاي طرف فيها التراجع خطوة واحدة

وكان الاخوان يعلمون أن الملك فاروقا - نتيجة انتشار الوعي الصحيح في الشعب والجيش - يفقد كل يوم أرضاً •• وأنه حاول أخيراً تلافى هذا الفقد المستمر فلجأ الى تملق الجيش والاخوان •• أما الجيش فأسبغ عليه رقيات وانعامات تلفت النظر •• وأما الاخوان فالتقى بمرشدتهم الجديد وحاول تقديم نفسه اليه على أنه جندي من جنود الاسلام ، كما حاول أن يعقد معه صداقة •

وكان الاخوان يعلمون أن دور الاحزاب في مصر قد انتهى . وأن الملك يعلم ذلك ، ولذا فإنه كان يتحسس في الساحة لنفسه سندا آخر من الجيش ومن الاخوان - ويعلمون أن الملك في آخر المطاف قد فهم أن الاعتماد على كبار ضباط الجيش ليس الا وهما سخيفا ، فأخذ يتقرب الى صغار الضباط - وكان ضباط الاخوان في الجيش يعرفون زملاءهم من صغار الضباط الذين استمالهم الملك الى جانبه ، ولم تكن تكوينات الاخوان تخشى بأس هؤلاء لانهم لا يعملون بوحى من ايمانهم .

كان للاخوان في الجيش تكوينات تعمل وتعد العدة. كما كانت هناك تكوينات اخرى في الجيش على صلة بالاخوان تعمل هي الاخرى وتعد العدة . وكان الاخوان يفسحون الطريق لجميع التكوينات السليمة الهدف أن تعمل ، على أن يكون الاخوان سند الجميع وموئلهم في أثناء العمل وبعد العمل .

وكان الاخوان يعلمون أن الملك قد وضع له أن محاولته كسب الاخوان الى جانبه قد باءت بالفشل وأن لا أمل في محاولات أخرى - كما وضع له أن تملق الجيش لم يؤت ثماره المرجوة ، بل انه قد يكون أطمع فيه الوطنيين من الضباط حيث رأوا في هذا التملق دليلا جديدا على شعوره بالضعف فأخذ هؤلاء يعدون العدة لانقلاب ٠٠٠ وأخيرا وضع له أن لا أمل له في سبب الا أن يكون من الانجليز ٠٠ ولكن استرضاء الانجليز مع وجود المقاومة الشعبية أمر من المحال . وأحس في نفس الوقت أن حكومة الوفد لن تستجيب له اذا هو طلب اليها اجهاض المقاومة لان في ذلك القضاء على ما بقى للوفد من شعبية .

بعد أن وضع للملك كل هذا ، كان عليه أن يفكر فيما يواجهه به كل هذه الاوضاع ٠٠ وقد يتبادر الى ذهن القارئ أن أيسر الحلول لمقابلة هذه المعضلات هو أن يغير الملك طريقته في الحياة ، ويقطع عن حياة اللهو والمجون، ويمنتقيم على أمر الله ٠٠ ونقول : ان هذا هو أيسر الحلول وأجداها نفعا لان الشعب لم يكن يكره الملكية لذاتها ، وانما كان يكرهها للمثل السيئة التي كانت تشغل منصبها وما يقترن بحياتهم من الظلم والفسق والمجون ٠٠ ثم نقول . ان هذا الحل مع كونه حلا مجديا وهو أقصر الطرق فإنه لم يكن واردا لان الملك كان قد انحدر في حماة المجون انحدارا جعله كالمدمن الذي لا يفيق ٠٠

فما هو الحل إذن الذي هداه تفكيره اليه ؟

لم يكن الاخوان يتصورون ان يواجه الرجل هذه الاوضاع - وان كانت مؤنسة - بهذه الخطة الشيطانية التي لا نعتقد أنه هو الذي وضعها

وحده ، واثتى تذكرنا بما فعله نيرون بروما ٠٠ واعتقادنا أن هذه الخطة لابد أن يكون الانجليز واضعيها أو أن يكونوا على الأقل المشيرين بها ، لان مصلحتهم قد اتفقت تماما مع مصلحة فاروق ٠٠ ولان فاروقا لم يكن ليجرؤ على احراق بضائع بمئات الملايين يملكها جميعا رعايا انجليز وأوربيون الا أن تكون انجلترا قدأومأته بالتفاضى عن هذه الخسارة في سبيل انقاذهاوأنهم وأعظم قيمة من مصالح الامبراطورية .

□ حفل مريب في توقيته :

ثامنا - ومما يعزز هذا الاتهام ، تصرف عجيب فائق الغرابة ، وقف الجميع امامه مشدوهين ذاهلين حائرين ٠٠ هل حدث هذا التصرف مصادفة أم كان ترتيبا معدا ؟ !

ذلك هو أن يقيم الملك بقصر عابدين مأدبة غداء ابتهاجا بمولد ولي العهد ، ويدعو اليها ضباط الجيش والبوليس من مختلف الرتب ، وأن يحدد لهذه المأدبة ميعادا هو يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ ٠٠٠ والذين يعتقدون أنه كان ترتيبا معدا يقولون : انه كان وسيلة لاختلاء القاهرة في ذلك اليوم من الضباط ليخلو الجو لدبرى الحريق أن يبلغوا به أقصى مداء دون أن يعترضهم معترض ٠٠ ونثبت فيما يلي نص كلمة الملك التي ألقاها في هذا الحفل :

« ضباطى ٠٠ فكرت اليوم في الغاء هذه المأدبة بسبب الظروف الطارئة، ولكنى عدلت عن ذلك لما لكم في نفسى من مكانة ، ولرغبتى في أن أتحدث اليكم . ولم أجد مناسبة للاجتماع بكم والتحدث اليكم خيرا من مناسبة مولد ابنى ولي العهد - ويهمنى أن أوجه نظركم الى اهتمامكم بموضوع تحركون جميعا أهميته وفائدته في النظام العسكرى وهو موضوع « الضبط والربط » .

ومجرد قرءاءة هذه العبارات التى جاءت على لسان الملك مخاطبا الضباط تشعرق القارئ بأن هذا الرجل اما أن يكون أبله لا يقدر الظروف التى أظلت البلاد في ذلك اليوم ، واما أن يكون متواطئا ان لم يكن مدبرا لهذه الظروف ٠٠ فالعبارات من التفاهة بحيث لم تكن تستحق هذا الاعداد الضخم الذى حشد له هذا الحشد الكبير من ضباط الجيش والبوليس مالم يحشد مثله من قبل .

□ من نتائج الحريق :

(١) حول هذا الحريق بآثاره الحمرة الانظار عن منطقة قناة السويس وما كان يجرى فيها من تحرش بالجيش الانجليزى الى قضية جديدة هي

كيف وقع هذا الحريق ومدى الكارثة التي حاقت بالبلاد بوقوعه ، وكيف تتلافى البلاد هذه الآثار ، فقد كان من هذه الآثار ما يلي :

أ - قبض على ثلاثمائة شخص وأحيلوا الى النيابة للتحقيق معهم .

ب - قتل ثلاثة من كبار الموظفين الانجليز .

ج - تلقت وزارة الخارجية احتجاجات من جميع الدول لما وقع على رعاياها في الحوادث الاخيرة ووصل عدد هذه الاحتجاجات الى عشرين احتجاجا .

د - طالبت أمريكا وبريطانيا وفرنسا وسويسرا بتعويضات مادية عما لحق أفرادها ومصالحها من أضرار .

(٢) أتاح هذا الحريق للملك فرصة يسترد فيها أنفاسه ، ويدبر فيها أموره مع الانجليز الذين صاروا أملة الوحيد .

(٣) أجهض هذا الحريق حركات كانت قد أعدت عدتها كاملة للقيام بانقلاب عسكري في ذلك اليوم نفسه الذي شب فيه الحريق . وكان الاخوان على علم بهذا الاعداد للانقلاب وكانوا متأهبين لحمايته .

ويبدو أن مخابرات الانجليز ومخابرات الملك كشفوا سر هذا الاعداد قبل اليوم المحدد لتنفيذه حتى انهم اختاروا نفس اليوم لاشعال الحريق .

(٤) اتخذ هذا الحريق مبررا لاسقاط حكومة الوفد حيث نسب اليها الضعف والاهمال ، فكيف يشب حريق يلتهم أعظم شارع في القاهرة دون أن تستطيع بأجهزتها المتشعبة في كل مكان أن تضع يدها على المدبرين قبل أن يقوموا على تنفيذ جريمتهم . واذا فاتها ذاك وشب الحريق فلم لم تعمل بأجهزتها على حصره في أضيق نطاق وعلى سرعة اطفائه . . . مسامة يوجهها الى الحكومة أدري الناس باستحالة الوقوف في وجه السيل المنحدر .

□ تقييم حكومة الوفد تقييما منصفيا :

كان مجيء حزب الوفد الى الحكم هذه المرة - بعد طول غياب - مجيء انسان ضل الطريق في صحراء مجدبة شاسعة ، وقد نفذ زاده ، وأنهكه السنين ، واستبد به العطش حتى أشرف على الموت . . وقبل أن يسلم أنفاسه الاخيرة رأى يدا تمتد اليه بكوب ماء فتعلق بها . . فلما شرب ارتدت اليه روحه . . ولكنه ظل متعلقا بهذه اليد ، متشبثا بها حتى لا يقع فريسة العطش القاتل مرة أخرى .

كان الوصول الى منا صب الحكم ضرورة من ضرورات الحزبية في مصر في ذلك الوقت ، فأنصار كل حزب يناصرونه على أمل أن يثول اليه الحكم في يوم من الايام فيعوضهم عما بذلوه ، ويغدق عليهم لقاء ما شددوا أزره وناصروه . وكان نصيب الوفد من فترات تولي الحكم أقل نصيب . وكانت الاحزاب الاخرى غير الشعبية والمعروفة بأحزاب الملك تحظى من هذه الفترات بنصيب الاسد ، لأنها كانت تبيع للملك التصرف المطلق سواء في شئون الحكم أو في شئونه الخاصة الشخصية ، وهو مالم يكن يحظى بمثله في فترات حكم الوفد .

ويبدو أن الوفد - في خلال فترة ابعاده عن الحكم آخر مرة - فكر طويلا في هذه الظاهرة التي لازمته منذ انشائه ، واستقر رأيه أخيرا على أن يصل الى الحكم هذه المرة ويتجنب أسباب ابعاده مبررا ذلك بأن وجوده في الحكم يتيح له الفرصة لانجاز مشاريع ، واطمام خدمات تعود على الامة بالخير .

وولى الوفد الحكم ، واستتبشر كثير من الناس ، وانتظروا على يديه الخير . . . ومهما اختلف الناس في تقدير انجازاته فان الخطوة الجريئة التي اتخذها في القضية الوطنية كافية أن تعد وحدها أعظم انجاز ، وكانت جديرة أن تبوئه اعلى مكان في قلوب الشعب لولا أن خطته الجديدة في مجارة الملك قد أخرجت صدور الناس ، حتى ان أقرب أنصاره اليه وأخلص المخلصين من جنوده تمردوا عليه ، وجأهروا بعصيانه ، لانهم وجدوا هذه الخطوة الجديدة نشازا في أسلوب الوفد ، وخروجاً عن مساره ، وتلطixa لتاريخه ، وتناقضا مع مبادئه .

ولو أن الملك كان يفتجع في حياته الشخصية نهجا سليما ، لاغتفر الناس للوفد تغاضيه عما يجنح اليه الملوك عادة من تخطى لحدودهم في السلطة ومن تعد في بعض الاحيان على سلطة الحكومة . . . ولكن الذي أخرج صدور الناس أن الملك كان يسلك في حياته الشخصية مسلكا ميبيا ، حتى أن هذا المسلك كان موضع نقد لاذع بل وسخرية من الصحف الاجنبية ، وكانت المجلات التي تصدر في أوروبا وأمريكا تتحدث عن لياليه الحمراء وجولاته في نوادي القمار . . . ولقد كانت الحكومة المصرية تضطر الى ارسال المراسيم اليه ليوقعها في هذه النوادي في أوروبا . ولا نفسى انتقال الوزير عبد الفتاح حسن اليه حيث وقع بعض هذه المراسيم وهو على مائدة القمار في مونت كارلو وبدلا من أن تحتج هذه الحكومة على هذه التصرفات المهيئة اخذت في حمايتها والتستر عليها ، فمنعت دخول هذه المجلات الاجنبية الى مصر . ثم سجلت على نفسها بعد ذلك عارا لا يمحي باصدارها قانونا يمنع الصحف

المصرية من نشر أخبار القصر والاسرة المالكة الا بعد عرضها على وزير الداخلية واذنه اذنا كتابيا بنشرها .

٠٠ ولما كانت مجالس النواب والشيوخ في مصر أداة طيعة في أيدي رؤساء الحكومات فقد أجاز القانون ٠٠ ولم يعارضه علنا الا شابان من شباب الوفد جديران أن يسجل لهما التاريخ هذه المعارضة في صفحات الشجاعة والنزاهة والوطنية ، وهما الشابان أحمد أبو الفتوح والدكتور عزيز فهمي ، فقد هاجما المشروع مشروع القانون على صفحات جريدة « المصري » بمقالات نارية ملتهبة ، وكان ذلك في خلال يونيه سنة ١٩٥٠ .

وفي الوقت الذي رفضت فيه هذه الحكومة طلب اعتماد مبلغ من المال لانصاف رجال الازهر كانت مئات الالوف من الجنيهاات تعتمدوها الحكومة لرحلات الملك الماجنة الى موائد القمار في أوروبا .

وكانت هذه السيرة النثنة قد ازكمت الانوف حتى ان الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الازهر في ذلك الوقت نقلت عنه الصحف تعليقا على رفض الحكومة ما طلبه الازهر من اعتماد قوله : « تقتير في ناحية واسراف في ناحية أخرى » . وكان لهذا التعليق من شيخ الازهر صدى واسع النطاق في جميع أوساط الشعب ، فقد قابلته هذه الاوساط بالرضا والاستحسان . ولكن الحكومة - جريا على سياستها - اعتبرت هذا القول تعريضا بالملك فأصدرت قرارا باحالة شيخ الازهر الى المعاش .

وبعد عام من اصدار هذه الحكومة قانون منع نشر أخبار القصر والاسرة المالكة الا باذن كتابي من وزير الداخلية ، وفي شهر يوليه سنة ١٩٥٢ تقدمت الحكومة بمشروع قانون لتقييد حرية الصحافة ، وهو المشروع الذي تقدم به الى مجلس النواب النائب اسطفان باسيلي . وهنا قامت قيامة الامة على اختلاف أحزابها وطوائفها ، حتى ان جريدة « المصري » تزعمت هذه الحملة وأقامت الدنيا وأقعدتها حتى أحبطت هذا المشروع ، والحكومة مصررة عليه ومصممة على انفاذه ، حتى ان فؤاد سراج الدين في ٣١-٨-١٩٥١ وجه الكلام الى الصحفيين فقال : « حكومة الوفد آخر من يفكر في تقييد حرية الصحافة ، ولكن هذه الحرية ليس معناها اشاعة الفوضى والتطاؤل على أسمى مقام » .

وهكذا أرادت حكومة الوفد في هذه المرة أن تجمع بين الضدين ، وأن تسير في وقت واحد في طريقين متعارضين ، وأن تجعل المسجد مسجدا وما خورا في وقت معا . ومثل هذا الاسلوب لا ينتهي بصاحبه الا الى التمزق والتفتت والانهيال . وهو ما حدث للوفد فعلا .

لقد وقع حريق القاهرة وأسقطت حكومة الوفد ٠٠ وقد يظن بعض الناس أنه لولا وقوع هذا الحريق ما أسقطت هذه الحكومة ، ولكننا نقرر أن الشعب كان مصمما على إسقاط هذه الحكومة ، لأن حزب الوفد نفسه قد سقط من أعين الناس ، وأنهار قدره العظيم من نفوسهم - ولكنه - وقد تزعم حركة إلغاء المعاهدة - فقد رأوا أن يصبروا عليه ويمهلوه حتى يتم المنسوار ويكمل المهمة ثم يتفرغوا له بعد ذلك ويحاسبوه على ما قدم من تستر على مجون الملك وحماية لذواته ، وتهجم في سبيل ذلك على مقدسات الشعب وحرياته .

ويخيل الى أن وقوع حريق القاهرة كان من مصلحة الوفد في كل ناحية من نواحيه ، فانه وقف بتدهوره على منحدر الدمار في نفوس الشعب عند حد ، وترك للوفد فرصته بسقوط حكومته في تلك الوقت أن ينتحل لنفسه أعذارا فيما ارتكبته حكومته في خلال هذه الفترة من أخطاء جسيمة كما أن هذا الحريق قد أدرك هذه الحكومة في لحظة كانت مشرفة فيها تحت الضغوط النائلة من كل اتجاه - على التراجع عن الموقف الشجاع الذى سجلته لنفسها باعلانها إلغاء المعاهدة .

□ الى من وجه الاتهام القضائى فى الحريق ؟

كان على البوليس والنيابة أن يوجهوا الاتهام فى هذا الحريق الى أشخاص تبعث ظروفهم على الارتياح فيهم . ولم يكن امامهما الا تلك الفئة من الغوغاء والمحرومين الذين ينتهزون كل فرصة تتيح لهم السلب والنهب . وحريق يشب فى جميع المحال فى أكبر شارع تجارى فى القاهرة فى وقت واحد هو أعظم فرصة لامثال هؤلاء أن يتقاطروا على هذه المحال ليجمعوا لانفسهم وذويهم من بضائعها ما كانوا محرومين منه ٠٠٠ وهذه الفئة - وان كانت هى التى ظهرت على مسرح الحادث - فانها ليست هى التى دبرته ولايد لها فيه ٠٠٠ وقد أحالت النيابة هؤلاء - وهم عدد كبير - الى القضاء .

اما من السياسيين فان النيابة لم توجه اتهاما الا لهيئة واحدة هى الحزب الاشتراكى الذى يتزعمه الاستاذ أحمد حسين . ولم يكن ذلك لانهم ضبطوا أعضاء هذا الحزب متلبسين ، وانما بنوا ذلك الاتهام على مادأبت عليه جريدة هذا الحزب من مهاجمة للنظام الذى يحكم البلاد بأسلوب عنيف مكشوف . وقد اختفى الاستاذ أحمد حسين بعد الحريق فترة ثم قدم نفسه بعد ذلك الى النيابة التى امرت بالقبض عليه وحبسه على فمة تقديمه الى القضاء .

واحب أن أقول ، انه حتى لو كان الاستاذ أحمد حسين ورجاله قد

اشتركوا فعلا في هذا الحريق ، فانهم يكونون قد استغلوا دون أن يحسوا ودون أن يشعروا أن أحدا قد استغلهم . وهذا النوع من الاستغلال لا يمارسه إلا رؤوس كبيرة ذات آفاق واسعة ، وعلم غزير ، وقدرات فائقة . . . وهؤلاء في دولة كانجلترا - هم المخططون للأزمات ، والمحبرون للانقلابات ، يعرفون عن الزعماء والهيئات في كل بلد مواطن القوة ونقاط الضعف ، والطباع المميزة . . . وعليهم اصطناع الظروف المهيأة ، فيجد هذا الزعيم ، وتجد هذه الهيئة نفسها مندفعة لاتخاذ مكانها في هذه الظروف المواتية لطباعها ، فتعمل عملها ، معتقدة أنها مندفعة اليه من تلقاء نفسها ، وهي في الحقيقة مدفوعة بالأيدي الخفية لأصحاب هذه الرؤوس الكبيرة من المخططين .

الفصل الرابع

الشعب يفتق من إضربة القاضية ويستألف جهادُه

□ اقالة وزارة الوفد بعد توريطها في فرض الاحكام العرفية :

خرج الجميع من حريق القاهرة مبهوتين . اذ فوجئوا بما لم يكونوا يحتسبون . ثم ثاب كل الى رشده وأخذ يعيد النظر في حساباته من جديد، مدخلا هذا العنصر الجديد - وهو حريق القاهرة بظروفه وآثاره في حساباته وفي حفل الضباط الذي أشرنا اليه ، والذي أقامه الملك لهم في نفس يوم الحريق أصدر تصريحاً قال فيه : « ان البلاد تجتاز مرحلة دقيقة . وقد تمر بها مرحلة أقسى وأشد » . وهذا كلام يكشف عن ان قائله يتحدث عن أمور لم يكن هو منعزلاً عنها ولا مفاجئاً بها .

ويبدو أن الترتيب الذي وضعه المدبرون كان ترتيباً محكماً . فهو لا يقضى باقالة حكومة الوفد فحسب ، بل انه يرغبها قبل أن تقال على أن تعلن الاحكام العرفية ، مما يصممها بجريرة وعار - وهو هدف مقصود - كما أن من الاهداف المقصودة أيضاً أن يصدر اعلان الاحكام العرفية من حكومة شعبية مما يجعل وقعه على نفوس الشعب اخف وطأة . وهكذا أصدر النحاس باشا رئيس حكومة الوفد في نفس يوم الحريق البيان التالي الذي ظهر في الصحف صباح اليوم التالي :

« أيها المواطنون الاعزاء

لقد آلنى بالامس - كما آلكم - ما ارتكبه الانجليز المعتدون من وحشية باغية على ابنائنا في القنال ، وبخاصة في الاسماعيلية ، حيث روعوا الناس ، ودمروا المرافق ، وأراقوا دماء الابرياء . وقد زادنى ألماً الى ألم ، وحزناً الى حزن ، ما وقع اليوم من حوادث مزعجة دامية في عاصمة البلاد . فقد انتهزت عناصر من الخونة المارقين ، ودعاة الفتنة الهدامين ، الذين ينتهزون الفرص لمحاولة بث الذعر والاضطراب ، وإشاعة الفوضى في ربوع البلاد . انتهز هؤلاء الخونة فرصة اعلان غضبكم واستنكاركم لعدوان الانجليز الوحشى الغاشم في القنال ، وأخذوا يندسون في صفوفكم ، ويرتكبون جرائم منكرة مدبرة بالاعتداء على المتاجر والمنشآت والمنازل ، وإشعال النيران والتخريب والتدمير والنهب والسلب . فأثاروا موجة من الفتنة والاضطراب

تنزل بالبلاد أفدح الاضرار ، ونهى لاعداء البلاد فرصة للايغال في البغي والامعان في العدوان .

وقد اقتضى علاج تلك الحالة الشاذة الخطيرة التي تكاد تهدد كيان الوطن ، وتعرض حقوقه للخطر ، اعلان الاحكام العرفية مؤقتا في أنحاء البلاد حتى تتمكن الحكومة من القضاء على تلك الفتن المدبرة ، والمؤامرات المبيتة ، وتبادر الى اقرار الامن واشاعة الهدوء والطمأنينة في البلاد .

وفي اليوم التالي أصدر الملك أمرا باقالة وزارة الوفد بالصيغة الاتية :

« حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا
أن أشد ما نحرص عليه ونعمل له ، هو أن تنعم بلادنا العزيزة بحكم يحفظ سلامتها ، ويرعى الامن بين ربوعها . تسود فيه كلمة القانون ، ويستتب معه النظام ، وتتوافر في ظله طمأنينة الناس على أرواحهم وأموالهم ولقد أسفنا أشد الاسف لما أصيبت به العاصمة أمس من اضطرابات نتجت عنها خسائر في الارواح والاموال ، وسارت الامور سيرا يدل على أن جهد الوزارة التي ترأسونها قد قصر عن حفظ الامن والنظام .

لذلك رأينا اعفاءكم من منصبكم . وأصدرنا أمرا هذا لمقامكم الرفيع شاكرين لكم ولحضرات الوزراء زملائكم ما قمتم به مدة اضطلاعكم بأعباء مناصبكم .

هذا هو الخطاب الذي وجهه فاروق الى مصطفى النحاس يتضمن اقالته من الوزارة ، ويؤسس هذه الاقالة على تقصير الوزارة في حفظ الامن والنظام - ويتناسى هذا الحريص على حفظ الامن والنظام أنه احتجز في قصره ضباط الجيش والبوليس من مختلف الرتب في يوم الحريق .

ولا يستطيع المتتبع للاحداث الا أن يعتقد أن هذه الاقالة لم تكن الا حلقة من حلقات المؤامرة التي بدأت في السادس والعشرين من يناير ، وأن هذا الحريق إنما دبر ليتخذ مبررا للقضاء على المقاومة الشعبية باتخاذ إجراءات - في ظاهرها - منطقية أولها اقالة الحكومة التي كانت تؤازر هذه المقاومة .

وليس هذا منا دفاعا عن حكومة الوفد ، وإنما هو ادانة لاجراءات الملك التي تحمل في ظاهرها البراءة والطهر والحرص على مصالح الجمهور ، وهي في الحقيقة ليست الا املاء من المستعمر وتنفيذا لمخططة .

ومع ذلك ، فقد تكون هذه الاقالة مد صاومت هوى في نفس حوسسه
الوفد ، بل لعلها كانت أمنية تتمناها لخراجها هي الاخرى من ورطة تورطت
فيها ، ولم تكن تظن أن الاحداث ستصل الى الجسامة التي وصلت اليها . .
في حين أن الظروف قد حالت بينها وبين استطاعتها التراجع .

□ اسناد الوزارة الى على ماهر :

وفي اليوم التالي لصدور هذه الاقالة أصدر الملك أمرا باسناد الحكم
الى على ماهر باشا . . وجاء في صيغة هذا الامر العبارة التالية :

« ولما عهدناه فيكم من خبرة واخلاص ، واصالة رأى ومضاء عزيمة . .
رأينا أن نوجه اليكم مسند رياسة مجلس الوزراء »

وهذا الاطراء الذي ورد في صيغة التكليف لعلى ماهر لا يعد في الحقيقة
اطراء بل هي صفات أصيلة في هذا الرجل ، الذي أثبتت المرات التي أسند
فيها الحكم اليه أنه رئيس قدير ، ذو مواهب نادرة في الإصلاح الادارى
والاجتماعى والسياسى . . . ولكن هل كان اختيار الملك اياه خلفا لمصطفى
النحاس كان لسد نقص في هذه النواحي الاصلاحية عجز عنه مصطفى النحاس

اننا نعتقد أن اختيار الملك لعلى ماهر في هذه المرة وفي هذه الظروف
لم يكن لهذه الميزات ، وانما كان لما يعرفه الملك من أن على ماهر هو أقدر
رجل على مواجهة الوفد ، وعلى النيل منه ، وعلى منازلته وكشف عوراته . .
ولم يجاف الملك الواقع في اعتقاده هذا ، فان هذه حقيقة يعرفها الوفد ويعرفها
كل مصرى عاصر التطورات الحزبية في مصر خلال الثلاثينيات والاربعينيات
والنحاس يعتبر على ماهر أخطر أعداء الوفد على الاطلاق . . وقد سمعت ذلك
بأفنى من النحاس في النادي السعدي في سنة ١٩٣٦ في غضون فترة
المظاهرات التي كنا نقوم بها ونحن طلبة في ذلك الوقت احتجاجا على إلغاء
دستور سنة ١٩٢٣ .

□ على ماهر يخلف ظن الملك فيه :

تعم كان على ماهر رجل الملك وعدو الوفد حين كان الملك لا يزال مناط
رجاء الشعب وموضع أماله ، قبل أن تحيط به بظلمة السوء وحاشية المجون ،
وحين كان الجو السياسى والاجتماعى في البلاد خاليا الا من الجبهتين
التصارعتين القصر والاحزاب . . أما وقد تغيرت الاوضاع ، واقترحت هذا
الجو الجبهة الاسلامية ممثلة في هيئة الاخوان المسلمين بعد أن اثبتت وجودها
على أثر المعركة الرهيبة بينها وبين الجبهتين معا . . فما كان لعلى ماهر -
وهو الرجل الخبير العاقل المحنك - أن يتعامى عن الوضع الجديد ، لاسيما

والملك الذى كان يقف بجانبه فى الثلاثينيات وكان الشعب يحبه ويطلق عليه لقب « الملك الصالح » ليس هو الملك الذى انحدر الى هاوية انفسق والفجور وتلطخت سمعته فى الداخل والخارج ، ولما انتهى به سوء سلوكه واساليب نفاقه الى أزمة خانقة ومازق الجأء الشعب اليه وحصره فيه ، نادى حليفه القديم وسنده القدير ليخرجه من المازق ويواجه هو الشعب بدلامنه فهل يستجيب على ماهر لهذا النداء المشبوه ؟ ٠٠ انه استجاب ولكنه استغل استجابته هذه المرة لمصلحة الشعب وضد مصلحة المستعمر .

□ بيان من الاخوان المسلمين :

وفى نفس اليوم يوم السابع والعشرين من يناير أصدر الاخوان البيان التالى الذى نشرته الصحف يوم ٢٨ منه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ٠٠٠ روعت البلاد لما حدث بالفاهرة أول أمس من أعمال الفوضى والعنف والعبث بالملكيات واحراقها . والاخوان المسلمون يستنكرون هذه الاساليب التى لايمكن أن تكون وسيلة لتحقيق أهداف الوطن ، بل هى على التحقيق ضارة بقضيته ، وتفتح بابا خطيرا من أبواب الفتنة يصيب كثيرا من الابرياء . وكان الاجدر بمرتكبي هذه الحوادث أن يلجوا باب الجهاد الصادق الذى ولجته الامة ورأت أنه السبيل الوحيد لاكمال الانجليز على مغادرة البلاد .

ويخطئ من يتصور أن احراق حانة أو تدمير ملهى فيه قضاء على أسباب الشر والرذيلة ، مادامت القوانين القائمة يتيح قيامها وينظمه ، وقد حدث من قبل مثل هذا الاعتداء فلم تفد الامة منه شيئا ، وأعلن الاخوان أنهم لا يؤمنون بهذا الاسلوب ، وحذروا رجالهم أن يكون لاحدهم به صلة . - وطريق الاخوان المسلمين هو الجهاد بالوسائل المشروعة لتغيير هذه القوانين . وهم لم يدخروا وسعا منذ قامت دعوتهم فى توجيه المسئولين هذه الوجهة الصالحة . وقد أعلنت ذلك فى خطاب لى بمدينة الاسكندرية منذ أسابيع .

ويخطئ من يظن أن محاربة الانجليز اقتصاديا تكون عن طريق تدمير المتاجر والمؤسسات . انما طريق ذلك المقاطعة وحدها ، وتنظيمها داخليا ، والعمل على منع الاستيراد من الاسواق الانجليزية - ومما يساعد على القضاء على الفتنة أن تنفذ الحكومة ما وعدت به من مواجهة الموقف تجاه الانجليز بما يقتضيه من اصرار وتصميم . والله يتولانا جميعا بالرعاية والهداية والتوفيق والله أكبر والله الحمد .

حسن الهضيبي

المرشد العام للاخوان المسلمين

ويلاحظ القارئ أن هذا البيان قد قصد إلى أهداف ثلاثة :

الأول : أن الإخوان لا يرون في أسلوب تدمير المتاجر واحراقها - أن كان قد وقع من مواطنين مصريين - وسيلة مجدية في مجاهدة المحتلين .

الثاني : بين الإخوان الطريق المجدى بالوسائل المشروعة لتغيير القوانين الوضعية التي تحمى الرذيلة وابدالها بالقوانين الاسلامية - وبمحاربة الانجليز المحتلين اقتصاديا بمقاطعة بضائعهم وعدم الاستيراد من أسواقهم .

الثالث : حاولوا لفت نظر الحكومة الجديدة إلى الطريق الذى يجب عليها أن تختطه لنفسها ، وهو مواجهة الانجليز بإصرار وتصميم .

وهكذا أسقط الملك حكومة الوفد ، وهو يرى أن الوفد قد خان به الخطوة التى اتخذها في اعلان الغاء المعاهدة . ويعتقد أنه أخفى عنه أن هذا الالغاء قد يكون له من العواقب ماقد يهوى بعرشه نتيجة المواجهة مع الجيش البريطانى نفسه والحكومة البريطانية - وقد اعتبر الملك ذلك من الوفد جريمة لا يستحق عليها الابعاد عن الحكم فحسب ، بل أن توجه اليه بعد الابعاد حملة تأديبية قاسية . . وقد تناسى هذا الملك أن الوفد قد ضحى بالكثير من سمعته في سبيل التستر على استهتاره ومجونه .

وتولى على ماهر منصبه في رئاسة الوزارة التى ألفها من عشرة وزراء واحتفظ لنفسه بالرئاسة والخارجية والحربية والبحرية . وعكف على وضع خطة عمل لوزارته - وكان الرجل لبيبا ، ممن تكفيهم الإشارة عن العبارة ، فقد فهم ماأراده الملك منه وماجاء به إلى الحكم من أجله ، كما فهم ما جاء في بيان الإخوان المسلمين .

ولم يكتف الإخوان ببيانهم الذى أصدره في اليوم الاتالى للحريق ، بل شفعوه ببيان آخر نشر بالصحف يوم ٣٠ يناير طلبوا فيه من رئيس الحكومة سرعة الغاء الاحكام العرفية والافراج عن المعتقلين الذين سيقوا إلى المعتقلات دون محاكمة أو تحقيق ، كما طالبوا بالاصلاح العام الداخلى .

□ مهزلة :

في هذا اليوم نفسه . . يوم الثلاثين من يناير - ووسط هذا الجو المغم بالجد ، والمشحون بالتوقعات والمخاطر ، وبينما رجال السياسة في حيرة من أمرهم أمام الموقف المعقد الذى تمخضت عنه الاحداث الاخيرة ، وبينما ضباط الجيش يتناجون فيما بينهم ماذا يفعلون للخروج بالبلاد من هذا المازق ، وبينما وقف كل مصرى مبهوتا أمام ما دهم البلاد من مصائب

لم تكن تخطر على بال أحد ، مما أجهض المقاومة الوطنية التي كانت مواصلتها أملهم الوحيد في طرد المستعمر من أرض الوطن . . . بينما كل ذلك يحدث ، ووسط هذه الهموم التي أخذت بخناق كل الأوساط والطوائف . . . إذا بطائفة قد أهتمتهم أنفسهم فانفصلوا شعورا واحساسا عن مواطنيهم الشرقياء ، وباتوا لا تشغلهم قضية البلاد ، ولم تؤثر فيهم الدماء التي أريقت على ضفاف القنال ، ولا الأرواح التي أزهدت ، ولا الأموال التي بحدت ، ولا المؤامرات التي دبرت ، ولا المصائب التي حاقت بأعاليهم وببلادهم . . . وكان شاغلهم الوحيد أن يحظوا وسط أشلاء الشهداء وحطام المعارك بمكان مرموق عند الملك الفاسق الماجن .

والى القارىء صورة من هذا العبث المقيت الذي جاء على لسان واحد من أفراد هذه الطائفة . ومما يؤسف له أنه الضابط اللواء وحيد شوقي ابن أخت مصطفى النحاس - من كلمة نشرتها له الصحف في يوم الثلاثين من يناير المشؤوم تحت عنوان « على مائدة الملك » اذ يقول في وصف هذا الملك : « انه أكثر من ملك . . . فلقد عرفنا الملوك يقتعدون أريكة الملك ، ويستثمرون أبهة الحكم . . . غير هذه النوحة العلوية الخادرة التي نبتت وعلت ، وبذلت وضحت ، وأنهضت ونهضت . . . أما الفاروق العظيم فأبى الا أن يبز دوحته ، والا أن يأتى مزيدا ، وأن يختط جديدا ، رشيدا سديدا ، بل فتيا سديدا .

أى ملوك العالم والتاريخ ذلك انذى فاجأ مجلس وزرائه بالزيارة ليقول لهم « جئت لاطالب بحق الفقير » انه البطل ، أى والله انه انبطل ، بكل ما تحمله البطولة من آماد وهن آفاق ومن أبعاد ومن أعماق . انه البطل فى كل معنى كريم عظيم ، وفى كل مبنى سديد سليم . انه انبطل فى أكبر ما تحمل الكلمة من أوزان ، وأحلى ما ترتل من ألحان ، وأجمل ما تجلو من ألوان . انه البطل تتجسم فيه البطولة وكفى ،

وقد قصحت من ايراد هذا الا نموذج من انتقوس أن يعلم القارىء أن بلادنا حتى وهى فى معمران جهادها فى سبيل حريتها كانت تنوء على ظهرها بأحمال نعال من نفاق أبنائها ، وتجر فى أقدامها أغلالا من صغر نفوس بعض كبار المسئولين من رجالها .

□ مفاجأة :

قدمت فى السطور السابقة أن الملك أسند الحكم الى على ماهر باعتباره الرجل القادر على استثمار هذا الحريق فى اتمام القضاء على روح المقاومة الشعبية ، وتأديب الوفد على احراج الملك مع الانجليز . . . ولكن على ماهر

فاجأ الجميع بموقف كريم ، خيب آمال الملك والمحتلين ، وأرضى نفوس الوطنيين والمجاهدين . . ويمكن تلخيص هذا الموقف في النقاط التالية :

١ - أعلن تأييده لخطة حكومة الوفد في إلغاء المعاهدة . ولم يكتف بذلك بل قام بزيارة النحاس في بيته ورد النحاس له الزيارة . فكان هذا التصرف من على ماهر بمثابة خنجر أنفذه في صدر الملك . . وإمعانا منه في تحدى ارادة الملك والانجليز الذين كانوا يطمعون في حل البرلمان وإعلان انتخابات جديدة أعلن على ماهر ابقاءه على برلمان الوفد .

٢ - أبدى رغبته في الاجتماع بالمرشد العام ، وتم هذا الاجتماع في اليوم الثالث من فبراير ، واستغرق الاجتماع أكثر من ساعة ، ثم اجتمع المرشد العام بعد ذلك بوزير العدل .

٣ - نشرت الصحف بعد ذلك ما يلي : « استجابة لطلبات المرشد العام بادر رفعة على ماهر باشا رئيس الوزراء فاستصدر من مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة في ٥ فبراير ١٩٥٢ قرارا بأن يعهد بأمر التدريب العسكرى للشباب من كافة نواحيه اليه بصفته وزيرا للحربية والبحرية بدلا من وزير الدولة ، وله أن يتخذ جميع التدابير والاجراءات اللازمة لذلك . وستقدم وزارة الحربية والبحرية الاسلحة والادوات اللازمة لتدريب الشبان واقامة المعسكرات لهم .

٤ - توالت الاجتماعات بين المرشد العام ورئيس الوزراء .

٥ - كان الانجليز في كل مفاوضة في أمر الجلاء يقوم بها معهم رئيس وزارة مصرية ويشعرون أنهم أخرجوا وأنهموا وألزموا الحجة ، يلجأون الى اعتذار مخواه أنهم يريدون أن يقاوضوا رئيس حكومة مصرية مؤيدا من جميع المصريين ممثلين في أحزابهم وهيئاتهم - وكانوا يلجأون الى هذا الاسلوب ثقة منهم في أنهم يطلبون محالا ، فحكومة الوفد تشعب عليها الاحزاب الصغيرة الاخرى ، وحكومة هذه الاحزاب لا يرضاها الوفد - فأراد على ماهر أن يبطل حجة الانجليز بجمع الجميع حوله وتوحيد كلمتهم في تقويضه والثقة في تمثيلهم ، وتكوين جبهة وطنية منهم أمام الانجليز .

اما الوفد فقد أعلن تأييده له حين أعلن هو أنه مواصل طريق حكومته في التمسك بإلغاء المعاهدة .

اما الاحزاب الاخرى فانه دعا رؤساءها الى الاجتماع به فلبوا جميعا وأعلنوا تأييدهم له لاعتقادهم أنه يعمل لحساب الملك .

٦ - وأما الاخوان المسلمون - والانجليز يعلمون أنهم قد صاروا الثقل الأكبر في ميزان الوطنية المصرية - فقد كانت لقاءات المرشد العام بعلي ماهر دليلا على الثقة المتبادلة بين الرجلين .

□ فرط حرص يؤدي الى احراج :

وحرصا من رئيس الوزراء على ابراز معنى تضامن كل القوى الوطنية معه أمام العالم وأمام الانجليز وقع الاتي :

أ - كان هناك موعد لاجتماع المرشد العام برئاسة الوزراء في مكتبه في ساعة محددة من يوم ٢٧ فبراير .

ب - تبين بعد ذلك أن رئيس الوزراء دعا رؤساء الاحزاب للاجتماع به بمكتبه في نفس الموعد .

ج - ذهب المرشد العام الى مكتب رئيس الوزراء في الموعد المحدد . فلما دخل المكتب فوجيء بوجود جميع رؤساء الاحزاب .

د - ويبدو أن رئيس الوزراء - لشدة حرصه على ابراز المعنى الذي أشرنا اليه - كان قد دعا مصوري الصحف فالتقطوا صورة تضم المرشد العام مع رؤساء الاحزاب وفي وسطهم رئيس الوزراء . ونشرت الصحف هذه الصورة في صدر الصفحة الاولى بها .

هـ - توضيحا لهذا الموقف وما حدث فيه وما سببه من حرج ، أنقل للقارىء ما نشرته جريدة « المصرى » عنه في ٢٩ فبراير ، فقد كتب تحت عنوان يملأ صفحتها الاولى « تصريحات لفضيلة المرشد العام عن حل القضية المصرية ٠٠٠٠ » ما يلى :

« علم مندوب المصرى من مصادر مطلعة ان فضيلة حسن الهضيبي بك المرشد العام للاخوان المسلمين كان قد أبدى رغبته لرفعة على ماهر باشا منذ بدأ مشاوراته لتشكيل الجبهة السياسية في أن يبدي فضيلته آراءه لرفعته كلما شاء دون التقيد باجتماعات تضمه مع آخرين . ولذلك فقدفوجيء فضيلته أمس الاول حين دعى للاجتماع برفعة على ماهر باشا فاذا بمكتب رفعته يضم الجميع دفعة واحدة .

وعلم المندوب أن فضيلته حين دخل على رفعة على ماهر باشا أمس الاول في مجلس الوزراء كان يعتقد أن رفعته انتهى من مشاوراته مع بقية رؤساء الاحزاب ، وأن فضيلته سيجتمع برفعة على ماهر باشا وحده ، ولذلك فقد كان عقد الاجتماع من الجميع دفعة واحدة مفاجأة لفضيلته .

فلما سئل عن رأيه اثناء الاجتماع المذكور قال فضيلته « اننى سبق ان بينته لرفعة رئيس الوزراء » فقال هيكى باشا لفضيلته : هل تسمح ان تذكر لنا ما قلته لرفعته ؟ فقال « ان راينا صريح فى انه لا مفاوضه ولا اتفاق مع أحد » وقد اكتفى فضيلة المرشد بذلك مفضلا عدم الدخول فى مناقشة طويلة مع هيكى باشا .

وقد اتصل مندوبنا بفضيلة المرشد العام وسأله عن رأى الاخوان المسلمين فى الموقف بالتحديد فأجمله فى النقاط التالية :

١ - أن الاخوان المسلمين لا يقبلون المفاوضة فى مبدأ الجلاء فى ذاته وانما فى كيفية تنفيذه وتحديد مدته .

٢ - يرى الاخوان فيما يتعلق بالسودان أن مسألة خروج الانجليز من هناك أمر واجب لابد منه . أما فيما يختص بالصلة بمصر فقد أصبح من المتفق عليه أن يستفتى السودانيون فى ذلك .

٣ - أى اتفاق على الاشتراك فى أى نظام دفاعى أو اقليمى يجب أن لا يكون شرطا للمسألتين السابقتين أو مرتبطا بهما . وبعد تحقيق البندين الاولين فلمصر أن تعقد من المحادثات ما يتفق مع مصالحتها ومع من ترى فى الاتفاق معهم مصلحة لها .

وسأل المندوب فضيلته عن النسب فى اختياره للدلاء الى الصحفيين بنص البيان المشترك الذى نشرته الصحف أمس عن الاجتماع برفعة على ماهر باشا، وهل يفهم من هذا البيان أن المجتمعين فيه كونوا جبهة واحدة؟

فقال فضيلته : أن المجتمعين اتفقوا على أن تلقى هذه الكلمة على الصحفيين . واقترح مكرم باشا بأن ألقياها . ومادام قد تم الاتفاق عليها فأى منا يلقياها . والقارؤها لا يحمل أى معنى . ولكن ليس معنى ما حدث أننا كوننا جبهة واحدة . والاخوان المسلمون مستقلون فى ابداء آرائهم ولن يكونوا جبهة مع أحد .

ملحوظة : كان البيان الذى ألقاه المرشد العام هو « لقد تبادلنا انراى فى الموقف السياسى ، والجميع متفقون على تحقيق أهداف البلاد »

□ صبغة الله :

□ هكذا يكون فهم دعوة الاخوان المسلمين :

نعم . . ضم هذا الاجتماع الرجال الذين انتهت اليهم الرياسة فى هذا البلاد ، والذين تشرئب اليهم الاعناق فيه ، والذين يتمسح بهم من

يطلبون لانفسهم المكانة والشرف بين بنى قومهم .. ولكنهم على كل حال أصحاب مبادئ وضعية ، وأفكار بشرية ، وأهداف محدودة بالارض، وأغراض نابغة من هوى النفس .

فهل يستوى هؤلاء مع المنتسبين الى دعوة الحق ، والمعتصمين بأسباب السماء ، والمنطلقين بأهدافهم الى ما وراء المادة ، والمخضعين هوى نفوسهم لارادة بارى الكون ؟

قد يلتقى هؤلاء وهؤلاء عند أمر معين أو مسألة محددة أو مشكلة طارئة ولكن ينبغي أن يفهم الناس أن هذا الالتقاء ليس التقاء الشبيه بالشبيه، ولا القرين بالقرين ، بل هو التقاء عابر ... ولذا وجب أن يكون هناك تمييز يعين الناس على فهم هذه المعانى .. لابد للمعتصمين بأسباب السماء من التمييز عمن المخلدين الى الارض .

وابرازاً لهذا التمييز كان حرص المرشد العام أن يكون لقاءه مع رئيس الوزراء على انفراد ، فيفضى اليه بما عنده ، فى الوقت الذى لا يختلط الامر على الناس فيذهب بهم الظن كل مذهب . وقد يشرد بهم الظن فيعتقدون أن الاخوان صاروا حزباً من الاحزاب .

فلما فوجئ المرشد العام بوجوده فى اجتماع ضم الجميع غضب ، وظهر الغضب فى رده على من وجهوا اليه أسئلة منهم .. ثم شرح للناس أمر هذه المفاجأة على صفحات الجرائد ، فرد الى الناس اطمئنان نفوسهم ، وأزال ماحك فى صدورهم من حرج ، ورجع بدعوة الاخوان الى موضعها السامى فى قلوبهم « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون »

وهنا نحب أن نوجه القول الى الذين تتول اليهم مناصب السلطة فينسون فى غمار بهرجها أن الايام دول ، وأن الزمان قلب ، وأن الفلك حوار لا يهدأ ، وأن عجلة الايام تجرى ولا قبل لقوة فى الارض أن توقفها .. نقول .. هكذا دارت الايام ، وارتدت الروح الى الموعودة بعد أن أهيل عليها التراب . فنفضته عن نفسها ، وخرجت من تحته بشراً سوياً ، وعملقاً فنياً .. حتى أن الذين اشتركوا فى وأدها وقفوا أمامها ذاهلين .. ثم رغمت أنوفهم فالتقوا حولها متوسلين ، يخطبون ودها ، ويطلبون صفحها ، وينشدون رضاها ، وينتظرون كلمتها التى هى كلمة الحق والتى صارت القول الفصل فهل يتعظون ؟؟

« ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحيى الموتى ، وأنه على كل شئ قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور »

الباب السابع

آخِرُ المَحَاوِلِ لِصَدِّ الرِّخْفِ
الْأَخْيَارِ التَّامِ
النِّظَامِ الْمَلِكِيِّ يَلْفِظُ أَنْفَاسَهُ الْأَخْيَرَةَ

- الهلالي آخر محاولة يائسة لصد التيارات الوطنية
- الملك يفقد توازنه ويعيش في هلع
- المصير المحتوم

الفصل الاول

الهلالى آفرمچا ولثه يائسة لصد استييار الوطنى

لم يستطع الملك ولا الانجليز تحمل أكثر من ذلك من تصرفات على ماهر التى كانت الخطوة التالية فيها بلا شك هى استئفاف المقاومة من جديد . . ولكنها ستكون مقاومة أكثر تنظيما ، وأشد تأثيرا ، وأخطر نتائج ، فبادروا بأقالته بطريقة جعلت هذه الاقالة تأتى فى صورة استقالة .

ففى ٢ مارس ١٩٥٢ أى بعد خمسة وثلاثين يوما فقط فى الحكم استقال على ماهر على أثر اعتذار السفير البريطانى فجأة عن موعد مقابلة كان قد اتفق عليه - وقال على ماهر للصحفيين بعد أن قدم استقالته : اننى أشعر بعقبات فى سبيل مهمتى .

وأسند الملك الوزارة بعده الى أحمد نجيب الهلالي . وهو وفدى سابق ، كان أحد كبار أعضاء الحزب . وقد اعتزل على أثر اختيار فؤاد سراج الدين سكرتيرا عاما للوفد ، ورأى فى ذلك تخطيا له ولامثاله من قدامى الاعضاء ، وقوى السابقة فيه - واعتقد الملك والانجليز أن هذا الرجل هو خير من يستعان به على تقويض بناء الوفد ، وبالتالي خير من يخلص الملك من ورطة الغاء المعاهدة وما أدت اليه من احياء روح المقاومة فى الشعب ضد الانجليز .

وكان للاحتاث التى أدت الى اجهاض المقاومة الشعبية أثر عميق فى نفوس الشعب بمختلف طبقاته وطوائفه ، فلقد تنفوق الشعب لأول مرة منذ عام ١٩١٩ لذة الوقوف صفا واحدا فى وجه المستعمر ، وليس بعد وقت غير طويل من هذا الموقف أن هذا هو السبيل الصحيح لاسترداد الحقوق من الغاصبين . بل نستطيع أن نقول أن الشعب أحس بوجوده لأول مرة . . . وإذا أحس شعب بوجوده فقلما تجدى معه وسائل القمع أو أساليب التمييز والمداينة فى انسيائه هذا الاحساس أو اقناعه بشعور آخر .

وتصوير الموقف بعد اقالة وزارته الوفد وعلى ماهر كان على هذه الصورة : الشعب المصرى أحس بوجوده ، وذاق حلاوة الجهاد فى سبيل حقوقه وقوى داخلية وخارجية تحاول أن ترجع به الى الوراء . . . تحاول أن تنتقله من مجال الشعور الذى يسيطر عليه الى مجال شعور آخر معاكس لهذا الشعور . . . قويد

أن ترجع به الى طريق جربه ثلاثين عاما فما جنى منه الا الخيبة والتفكك والخسارة والنخم ، ولم يتقدم الى الامام شبرا واحدا .

ويبدو أن الاسلوب الذى تمخضت عنه أدمغة هذه القوى جاء هذه المرة ذا ثلاث شعب ، فهو يصوب الى أهداف ثلاثة ، وان كان الهدف الثالث يقع من تلقاء نفسه اذا ما أصيب الهدفان الاولان . وهذه الاهداف الثلاثة هي الوفد والاخوان والغاء المعاهدة . فاذا استطاعوا القضاء على الوفد وعلى الاخوان سقط الغاء المعاهدة قورا دون عناء ، لان هذين هما اللذان عملا على الغاء المعاهدة ، فالاول كان الجهة الرسمية التى أعلنت الالغاء ، والثانية هي الجهة الشعبية التى نقلته الى ميدان المواجهة والمقاومة وقدمت له الوقود . فلما أجهض هذا الميدان وقفت تحرسه بكل قوتها حتى لا تجرؤ جهة رسمية أخرى مهما كان لونها على مس هذا الالغاء من قريب أو من بعيد ، وهي تحرسه حتى تحين الفرصة لاستئناف المقاومة فيه من جديد .

وجاءت هذه القوى بهذا الرجل - نجيب الهلالي - الى الحكم على أنقاض الوزارتين المشار اليهما وله هدفان : هدف خفى وهدف ظاهر . أما الهدف الخفى فهو محاولة القضاء على حزب الوفد وعلى الهيئات المناهضة للملك والتى يمثلها الاخوان المسلمون ، والهاء الناس عن القضية الاصلية وهي اخراج الانجليز من مصر . وأما الهدف الظاهر فهو اعلان مواصلة سياسة المواجهة مع الانجليز - وما كان لرئيس يتولى الحكم فى مصر فى ذلك الوقت أن يجرؤ على اعلان غير هذا الهدف .

□ متى يستقيم الظل والعود أعوج ؟ :

وقد اتخذ الهلالي لتحقيق هدفه الخفى عدة خطوات ، منها أنه بدأ بحل مجلس النواب واعداد باجراء انتخابات فى أقرب وقت . ثم ماطل فى البر بوعده وأجل موعد اجرائها عدة مرات .

وكان تبريره للتأجيل والماطلة هو ما أعلنه من أول يوم تولى فيه الحكم من أنه انما جاء ليظهر البلاد مما تزخر به من فساد . فهو يؤجسل بدعوى أن سياسة التطهير لم تبلغ بعد مداها - وأنى لسياسة التطهير أن تبلغ مداها أو حتى أن يرجى لها أدنى نجاح فى بلد رأس الفساد فيه ومنبعه هو حاكمه الأعلى ، الذى يعين الحكام ويقيأهم حسب نزواته وأهوائه ، والكل يتفانى فى خدمته وارضاء نزواته ؟؟

ولعل القارئ الكريم لم ينس ما طالعه فى الصفحات القليلة الماضية من أن حكومة الوفد كانت ترسل الى الملك بالمراسيم ليوقعها وهو على مواسد

القمار في أوربا ٠٠ وهذا الملك هو الذي نقل الآن ما نشرته الصحف في السادس من مايو ١٩٥٢ في عهد هذه الوزارة التي جاءت لتطهير البلاد ، وقد وافق هذا اليوم يوم عيد جلوسه على العرش ٠٠ واليك نص ما نشر :

« أذاع فضيلة السيد محمد البيلالوي نقيب الاشراف وحسين الجندي باشا وزير الاوقاف الاسبق ، أنهما عثرا على مايثبت نسب الملك فاروق الى السلالة النبوية الشريفة عن طريق جده محمد شريف باشا »

ولن نتعرض في هذه العجالة لوضع هذا الاكتشاف المثير في ميزان التصديق والتكذيب ، ولكننا نكتفي بأن نتساءل عن الدوافع التي حملت المكتشفين على اعلان اكتشافهم في هذا الوقت وفي خلال الظروف التي يعلمها الناس في الداخل والخارج من سيرة هذا الرجل العفنة النتنة التي أزكت أنوف المسلمين وغير المسلمين على السواء في أنحاء الدنيا — هل يريد هؤلاء المكتشفون أن يقنعوا الناس في الداخل والخارج أن هذه السيرة تمثل الطهر والنقاء والسمو والعفاف والنبل ، تلك الصفات التي هي ديدن المفتسبين الى العترة النبوية الشريفة .

واذا كان فاروق بما هو متلطف به في حماة الرذيلة والفجور والمجون يجد من كبار رجال الدولة من يجهدون أنفسهم لينسبوه الى السلالة النبوية الطاهرة ، فما هو الفساد اذن الذي جاء الهلالي ليظهر البلد منه ؟؟

استنطاد على هامش التطهير :

وضح مما سبق أن عملية التطهير التي ادعى الهلالي أنه انما جاء ليباشرها لم تكن في حقيقتها الا تمويتها وخداعا والهاء للشعب . لكن مرفقا واحدا من مرافق البلاد كان اجراء التطهير فيه أمرا لابد منه ، ذلك أن هذا المرفق كان متصلا أوثق اتصال بالبلاد الاجنبية لاسيما بأوروبا عامة وبانجلترا على وجه الخصوص . وكان هذ المرفق هو القطن ٠٠ حيث كانت مصر تعتمد في تجارة القطن في ذلك الوقت على تصديره الى الخارج ، وكانت حصيلة تصديره هي قوام مالية الدولة وعصب دخلها ، حيث لم تكن مصانع الغزل المصرية اذ ذاك تستهلك عشر انتاج البلاد .

ولعل القارئ الكريم قد فهم عرضا مما سقته في صفحات سابقة أن تجارة القطن في مصر لم تكن تجارة نظيفة . وتوضيحا لذلك أقول : ان المتعاملين في تجارة القطن كانوا — كدأب غيرهم من التجار — يتوخون تحقيق اكبر ربح مستطاع من وراء تجارتهم ، مستحلين في سبيل ذلك الطرق الحرام

ولما كانت أصناف القطن على اختلافها متشابهة تمام التشابه بحيث لا يستطيع تمييز بعضها من بعض إلا الخبراء المتخصصون ، فتجد صنفين من هذه الاصناف متشابهين تمام التشابه في مظهرهما لكن سعر أحدهما ضعف سعر الآخر لتمييزه في صفاته الغزلية عن الصنف الآخر . ولهذا أنشأت الحكومة مراقبة تضم خبراء متخصصين في هذه الناحية على أعلى مستوى من الخبرة ، ووكات اليهم معاينة جميع الاقطان في جميع مراحلها منذ دخولها مصانع الحليج حتى تشحن على السفن في ميناء الاسكندرية الى الخارج . وقد سلحت هؤلاء الخبراء بقانون صارم يأخذون به من أقدم على خلط صنف بآخر .

ولما كانت المكاسب التي تعود على تجار القطن من خلط صنف بآخر مكاسب باهظة ، ولكنهم لا يستطيعون تحقيق هذه المكاسب الا بالتواطؤ مع خبراء الحكومة المتخصصين ، فانهم بسطوا أيديهم لهؤلاء الخبراء كل اليسر حتى لانت لهم مقادة أكثرهم . . وتحقق لهم بذلك ما يريدون .

وسارت الامور في هذه التجارة على هذا النحو ، وكل عام تزداد جراءة التجار عن العام السابق . وما دام خبير الحكومة قد أجاز عملية الخلط فان هذا الخلط لا يمكن اكتشافه الا حين تغذى آلات الغزل في مصانع الغزل بهذه الاقطان . ذلك أن الصفات الغزلية لكل صنف من الاصناف تقتضى معاملة خاصة ومقاييس خاصة تضبط على أساسها أجزاء آلة الغزل . فانا كان الصنف مخلوطا بصنف آخر اختلفت آلة الغزل ولم تنتج الغزل المطلوب فاما المقاييس المحددة .

وأخذ أصحاب مصانع الغزل في أوروبا يبعثون بشكاواهم من أن الاقطان التي تصل اليهم من مصر يشوب بعضها الخلط الذي يسبب لهم خسائر . . وكلما زادت نسبة الاقطان المخلوطة بمرور الاعوام زادت هذه الشكاوى . حتى جاء عام ١٩٥١ وكانت نسبة الخلط قد بلغت حدا لا يمكن تحمله ، فبعث أصحاب المغازل الأوروبية الى الحكومة المصرية انذارا بأنهم سيقرون مقاطعة القطن المصري .

ولما كان معنى هذا أن الدولة تعلن إفلاسها فقد بدأت الحكومة تتحرك . . ولم يكن أمامها الا أن تأخذ الامر بالحزم .

كنت في هذا الوقت مغضوبا على - كما قدمت من قبل - فكان مقر عملي في الصعيد . وقد انتهى موسم القطن وذهبت الى بلدتي رشيد لأقضى فيها فترة من أجازة الصيف التي كانت تمتد الى أربعة أشهر . . وبينما أنا في رشيد وضلني خطاب من الإدارة التي اتبعها في الصعيد بأننى قد تقرر إقتدابی

للعمل بالاسكندرية في الصيف - والعمل القطنى في الاسكندرية كان يستمر تقريبا طوال العام - واغراء لى بالاستجابة الى هذا الانتداب ذكروا في الخطاب أن هذا الانتداب ببديل سفر .

ولما كنت ناقما على كل الادارات التى ترأسنى في هذا العمل لعدم ثقتى في ذمتهم ، فقد رددت على الخطاب بأننى أرفض الانتداب مهما كان فيه من مزايا مادية - وبعد أيام وصلنى خطاب شخصى من زميل يكبرنى سنا ومنزلة في العمل ، ومن القلة الطاهرة اليد التى احترمها يرجونى فيه أن أستجيب للانتداب لانه خدمة وطنية لاينبغى لمثلنى أن يتخلف عنها ، وحدد لى يوما التقى به فيه في ادارة العمل بالاسكندرية .

وما كان لى أن أتخلف بعد ذلك ، فسافرت الى الاسكندرية ، والتقيت بهذا الزميل الكريم فأخبرنى بأن الحكومة - أمام تهديد أصحاب المغازل في أوروبا بمقاطعة القطن المصرى - قد قررت خطة حازمة . وبدأت بوقف المدير العام لمراقبة القطن ومفتشى المراقبة ببعض المحافظات ، وانتدبت سامى بك الهرميل مراقبا عاما للقطن ، الذى كان أول عمل قام به أن انتدب ستة من خبراء المراقبة ، منهم أنا وأنت ، لمعاينة جميع الاقطان التى تعد في مكابس القطن بالاسكندرية للتصدير ، وضبط المخطوط منها . وقال : ان سامى بك سيحضر اليوم من القاهرة لمقابلتنا نحن الستة هنا في ادارة الاسكندرية .

وحضر الرجل فعلا والتقىنا به . وكان اربعة من الستة من الزملاء الذين طرأت عليهم في دمنهور في عام ١٩٤١ وكانوا سندا لى اذ ذاك حين كنت أقوم بنشر الدعوة في مقاهى دمنهور كما قدمت في الجزء الاول من هذا الكتاب .

وتكلم الرجل فشرح لنا الموقف ، ومدى الدمار الذى يحيق بالبلاد اذا قاطع الغزالون الاوروبيون القطن المصرى . وقال : أجريت بحثا دقيقا في جميع العاملين بمراقبة القطن في القطر وانتهى بحثى اليكم انتم الستة الذين لاتحوم حولكم إثارة من شبهة ، فقررت انتدابكم لضبط الاقطان المخطوطة الواردة من الريف قبل تصديرها من الاسكندرية حتى نرد لبلادنا اعتبارها أمام الدول .

وبأشرنا مهمتنا، وضبطنا الاقطان المخطوطة، وأجرى تحقيق كان من نتيجته فصل المدير العام للمراقبة لاتهامه بأنه كان ضالعا مع المفتش العام لمحافظة القايوبية وخبيرى المراقبة بمحلج القناطر الخيرية ، الذى ثبت أنه كان مباءة لعمليات خلط رهيب - ولكن لما كانت الادلة القانونية غير كافية لاثبات التهمة على المفتش والخبيرين فقد اكتفى بابعادهم عن هذه المحافظة . . وكان لهذه الاجراءات الحازمة صدى في اوساط الغزالين بالخارج فعدلوا عن خطة المقاطعة

وانتهت فترة انتدابنا نحن الستة . ورجع كل منا الى مقر عمله ، كما
رجع سامى بك الهرميل الى عمله الاصلى وهو رئيس حسابات الخاصة
الملكية - وبهذه المناسبة أقول : لعل اهتمام الملك بهذا الموضوع هذا الاهتمام
الذى جعله ينتدب رئيس حسابات خاصته لمباشرته ، أنه أى الملك كان فى
ذلك الوقت أكبر منتج للقطن فى مصر . واذا قاطع الغزالون القطن المصرى
فسيبور قطنه وتحقيق به أكبر خسارة فضلا عن الخسارة العامة للبلاد .

وفيما أنا أتهيا للسفر الى مقر عملى بالوجه القبلى حيث أصبح موسم
القطن على الابواب ، اذا ببعض زملائى يزجون الى التهنئة بأننى سأنقل الى
محلج القناطر الخيرية أى الى القاهرة - واذا كنت ناقما كما قدمت على الزمرة
المشرفة على هذه المراقبة فقد أهديت لهم رضى البات لهذا النقل ، وكلفتهم
بنقل هذا الرضى الى المسئولين . . . ولما استفسر هؤلاء المسئولين عن سبب
رضى قلت لهم : انكم نفيتموتى الى الوجه القبلى ست سنوات كاملة ، ولم
أجد أحدا منكم قال كلمة انصاف فى حقى طيلة هذه المدة . . . وتأتسون الآن
لتطلبونى للعمل فى أقذر محلج فى القطر كله .

فإذا تكون ملمة أدعى لها
واذا يحاس الحيس يدعى جندب
وأصررت على الرفض . ولم أكن أعلم أن المفتش العام الجديد لمراقبة
القطن بمحافظة القليوبية هو أحد أصدقائى الحميمين الطاهرين الذين
تعلمت من القطن على أيديهم . . . وجاعنى هذا الصديق وبسط أمامى ظروف
الموضوع ، وتتلخص فى أن الحكومة قررت تطهير المراقبة فأسندت اليه منصب
الإشراف على هذه المحافظة فاشتترط لقبوله هذا المنصب أن يسند الى الإشراف
على هذا المحلج الذى كان سببا فى فصل المدير العام للمراقبة . . . وبالرغم من
حبى لهذا الصديق وتقديرى له فقد أصررت على الرفض متأثرا بما لقيته من
اضطهاد على يد المسئولين السابقين .

وبعد ذلك بأيام طلبت لمقابلة المرشد العام الذى بادرنى بقوله : أن
صديقك وزميلك فلان - وهو الذى نقل مشرفا على محافظة القليوبية فى القطن
- حضر هنا وقابلنى وشرح لى ظروف نقله ونقلك ، وأخبرنى بأنك مصر
على الرفض . وأنا أعرف وجهة نظرك وأقدرها حق قدرها ، ولكننى أرى أننا
باعتبارنا أصحاب دعوة لإصلاح المجتمع لا ينبغى لنا أن نتخلف عن العمل فى
أخرج المواطن ، ولتنس الماضى ولنعمل على تطهير هذه البؤرة من الفساد -
فلما سمعت ذلك من الاستاذ المرشد زال ما كان فى نفسى وانشرح صدرى
واستجبت لما كنت رافضه .

□ في بسوءة الفساد :

حين ذهبت لتسلم العمل في هذا المكان الجديد لاحظت ان كل من حولي متفكر لي ، وضائق بي ، ويتمنى أن لو نزلت على صاعقة فأراحتهم مني . . . وكادت تضيق نفسي لولا أن تذكرت أن وجودي في هذا المكان إنما هو من أجل الدعوة التي آمنت بها وعاهدت على العمل لها .

ووردت إلى المحط أقطان بأسماء تجار من عملائه فعابنتها وصادرت أكثرها . . . وبدأت إدارة المحط - وكانوا أجانب - تحتك بي على أساس أنهم لم يتعودوا أن يبروا من يقف في وجه مصلحتهم من قبل . وأبرقوا إلى الجهات الحكومية العليا بتهموني بتعطيل أعمالهم ويطلبون التحقيق معي ، فلم تأبه هذه الجهات بهم . . . ووقعت احتكاكات من مختلف التجار بي ، حتى وصل الأمر بأحدهم أن هددني بالقتل إذا لم أعدل عن خطتي . فكان ردي على ذلك أن الأجل بيد الله وحده ، وإذا أراد الله لي ذلك فأنها هي الشهادة التي أتمناها . . . وظل الحال على ذلك حتى ركن الجميع إلى اليأس من ناحيتي .

وقد دفعهم هذا اليأس إلى مراجعة عقولهم وتدبر أمورهم والثوب إلى رشدهم ، فجاءوني وقالوا : يا فلان . . . اننا جئنا نعتذر إليك مما فرط منا نحوك ، وعذرنا في ذلك أننا فوجئنا بأسلوب لم نعهده من قبل . . . ولكننا لما راجعنا أنفسنا وجدنا أننا قد تسرعنا وأننا مخطئون ، وأن الخطة التي تعاملنا بها هي أصلح لنا من الخطة التي كنا نعامل بها من قبل . . . ان التاجر مناحين يرسل إلى المحط رسالة من القطن يعرف عدد الاكياس السليمة منها وعدد الاكياس المخطوطة فيها ، ويبعث إلينا المحط بنتيجة فرز الرسالة فنجد أنك صادرت نفس العدد من الاكياس الذي نعرف أنه مخطوط ، وأجزت الاكياس الأخرى . . . وفي هذه الحالة لم نخسر شيئاً لأن الاكياس التي صادرتها قد اشتريناها بثمن بخس باعتبارها مخطوطة ، وستحج على أنها مخطوطة ، وتباع على أنها كذلك ، وستحقق من بيعها على هذا الأساس بعض الربح - والاكياس السليمة التي أجزتها ستحقق من بيعها ربحاً كبيراً .

أما الخطة التي تعودنا عليها من قبل ، فان كل رسالة ندخلها المحط كانت تصدر كلها سواء المخطوط منها والسليم ما لم ندفع لخبير الحكومة جنيتها عن كل كيس منها ، ولا يمكن أن نجد في السرق أقطانا مخطوطة تكفي لجعل كل الرسائل التي ندخلها المحط مخطوطة - وكان يتحتم على الواحد منا أن يحضر بنفسه مع كل رسالة ليقدّم هذه الرشوة حتى لاتصادر الرسالة كلها . . . أما الآن فنحن نرسل الرسالة ولا نكلف أنفسنا مشقة الحضور معها ، ونستغل وقتنا

في أعمالنا الأخرى ، ولا ندفع شيئا ، ولا يصادر منا الا ما يستحق أن يصادر .
• • وتم الصلح بينى وبين التجار وبين ادارة المحط على أن يبدأوا من جديد
حياة طاهرة نقيية .

ما أحوجنا في التطهير إلى القدوة :

وبعد أن سارت الامور على النحو الجديد ، وانقطع المدد الغامر الذى كان
الجميع من تجار وموظفين وعمال ينعمون فيه • • سألت العاملين الحكوميين
الذين يعملان معى وكانا يعملان من قبل مع السابقين سألتهما بعد أشهر عن
شعورهما ، وهل يشعران بالضيق والحرمان ويبكيان على الايام الخالية ،
ويتمنيان لو ترجع تلك الايام ؟ فكان ردهما عجيبا • • قالا : اننا حرمانا فعلا
من متع كثيرة ، ولكننا مع ذلك نشعر بسعادة ما كنا نشعر بها من قبل ،
فلم نكن من قبل يخطر على بالنا أن هناك الله مطلقا علينا وسيحاسبنا على
هذا الكسب الحرام • • أما الآن ، وبعد أن دللنا على الله ، فاننا نجد في
الاقيمات الجافة التى نفتات بها مع أولادنا لذة ما كنا نجد مثلها في الاطعام
الفاخر الشهي • • وننظر إلى الايام الماضية نظرة الضال بعد أن اهتدى ،
ونضرع إلى الله أن يغفر لنا هذا الماضى • •

وهكذا استقام العاملان كما استقام كل العاملين في هذا المحط من تجار
وموظفين ، وقد حبيب الله اليهم الايمان وزينه في قلوبهم وكره اليهم الكفر والفسوق
والعصيان ، وصاروا من الراشدين - وتوطدت العلائق بين هؤلاء الناس
وبينى حتى أن كثيرين منهم - بعد أن طوحت بى الايام بعيدا عنهم - كانوا
يزوروننى ، وأحسوا بفضل دعوة الاخوان المسلمين على وعائهم وعلى المجتمع
ولقد سقت هذه القصة مغفلا الكثير من تفاصيلها وعجائبها - لا بد أن
الاصلاح لا يتحقق الا على يد أفراد من الشعب صالحين - لان فائد انشئ
لايعطيه • • أما أن يشرد الصالحون كل مشرد ، ويعهد بالانصب الحساسة إلى
الفاستدين ، ثم تدعى الحكومة مع ذلك أنها بسبيل اصلاح البلاد وتطهيرها
• • فلا نقول ان هذا أسلوب خاطئ ، ووسيلة غير مجدية فحسب بل نقول انه
تضليل واحتيال وخداع •

الفصل الثانى

الملك يفقد توازنه ويعيش فى هلع

كان الاخوان يعرفون حالة الهلع التى يعيشها غذا الرجل مطاردا باشباح ما ارتكب فى حق الشعب من آثام ، وما ينتظره على ايدى المظلومين من عقاب ومع أنه كان يتمتع - بحكم منصبه - بحماية جميع أجهزة السلطة فى الدولة ، فإنه لم ير فى هذه الأجهزة كلها مايكفى لتهدئة روعه وتأمين خوفه فأنشأ جهازا سريا خاصا سماه « فرقة الحرس الحديدى » أنشأها له الدكتور يوسف رشاد زوج السيدة ناهد رشاد وصيفة الملكة . ومهمة هذه الفرقة هى حمايته . . وكانت هذه الفرقة مكونة من مجموعة من صغار الضباط ، بعضهم من الجيش وبعضهم الآخر من الشرطة ، ومعهم عدد من المدنيين الافاقين .

وقد قامت هذه الفرقة باغتيال الملازم اول عبد القادر طه بحى الروضة بالقاهرة يوم ٢٤ مارس ١٩٥٢ - وشاء القدر أن لا يسلم عبد القادر طه الروح الا بعد أن أدلى الى المحققين بالطريقة التى تمت بها الجريمة .

وقد اتهم - رحمه الله - اللواء حسن سرى عامر (وهو أحد كبار ضباط الجيش ، وكان من أقرب المقربين الى الملك ، وكان معروفا أنه رجله فى الجيش وصنيعته وقد نوهنا عنه فى حديثنا عن انتخابات نادى ضباط الجيش . وسيأتى ان شاء الله ذكره فيما بعد) وقال : ان صديقا لسرى عامر اسمه على محمد حسنين ألح عليه مرافقته بحجة زيارة مقر جماعة الاخوان المسلمين بالروضة . وماكادا يصلان الى نقطة التقاء شارعى الاخشىد بالملك اظفر حتى سلطت احدى السيارات عليهما ضوء مصباحها ووقفت فجاء وأطلقت عليه النار . . وتبين بعد ذلك أن على محمد حسنين كان أحد افراد الحرس الحديدى

وقد لمح القارىء من خلال هذه الواقعة أن الموقف فى مصر فى تلك الحقبة من الزمن قد تمخض عن انقسام البلاد الى جبهتين : جبهة الملك وأعوانه والمتوهمين أنه لا يزال القوة الغالبة التى يرجى الانتفاع الشخصى من ورائها وتتضمن هذه الجبهة أكثر السياسيين التقاعديين وعددا من العسكريين الماجورين أما الجبهة الاخرى فهى « الاخوان المسلمون » وهى الجبهة التى تضم الاكثرية الساحقة من الشعب لافى القاهرة وحدها بل فى جميع انحاء البلاد ، ويدعمها تنظيم واع مستقبر فى صفوف الجيش .

ولما كان عبد القادر طه - رحمه الله - من الضباط الواعين المستفيدين فقد رأى عميل الملك المكلف باستدراجه أن استدراجه لا يكون إلا بعرض مكان يرافقه إليه بحيث يكون هذا المكان مقبولا لديه ، فعرض عليه أن يرافقه إلى دار شعبة الإخوان المسلمين في حي الروضة .

وقد رأيت أن أثبت هنا واقعة اغتيال عبد القادر طه ، لأنها كانت إحدى معالم فترة الانهيار التي أفردنا لها هذا الباب ، إذ كانت أشبه بإعلان حرب من جانب بلغ به اليأس كل مبلغ . وقد حفز إعلان الحرب هذا الجانب الآخر إلى التعتيل بالضربة القاضية . وقد فهم هذا الجانب الآخر أن حالة الرعب التي يعيشها الملك صورت له أو لعله نمت إلى علمه عن طريق أجهزته أن هناك مؤامرة تقتله يشترك فيها عبد القادر طه والدكتور عزيز فهمي ، فأمر جلالته بوضع خطة لاغتيالهما ، فاعتيل الأول بالطريقة التي ذكرناها ، ودبر للآخر أن تصدم سيارته سيارة أخرى أدت إلى موته .

وبمناسبة ما ذكرنا من أن هناك فريقا كبيرا من المشتغلين بالسياسة كانوا يتوهمون أن الملك لازال الفرس التي يراهن عليها نقول :

إن النيابة وجهت الاتهام إلى الاستاذ أحمد حسين رئيس الجذب الاشتراكي وبعض أعضاء حزبه بالتحريض على ارتكاب حوادث ٢٦ يناير بدافع العداء للنظام السياسي والاجتماعي وذلك في يوم ١٢ / ٥ / ١٩٥٢ ، على أن تنظر القضية أمام محكمة الجنايات برئاسة المستشار حسين طنطاوي بك يوم ١٨ مايو وطالبت النيابة بتطبيق عقوبة الاعدام .

ولما كان الاستاذ أحمد حسين متهما من قبل بالعيب في انذاته الملكية ، فقد تخلى الحامون عن الدفاع عنه جبنا ونفاقا ، فقد انتدبت المحكمة الاستاذ على عبد العظيم للدفاع فاعتذر ، ثم انتدبت الاستاذ الظاهر حسن أحمت فاعتذر أيضا - وهنا تقدم للدفاع عنه الاستاذ شمس الدين الشناوي وهو من الإخوان والاستاذ عبد المجيد نافع وهو صديق للإخوان .

والطريف الذي لا يخلو من دلالة أن الاستاذ سليمان زخاري رئيس تحرير مجلة الاشتراكية وضع دفاعه عن نفسه بأن الاستاذ أحمد حسين كان مسيطرا على المجلة وعلى كل شيء في الحزب ، وقد اضطر هو للنشر خوفا من فصله - فرد الاستاذ أحمد حسين بأنه كان في يوم ٢٦ يناير طريح الفراش في بيته ، واستشهد بعدة أشخاص منهم على ماهر ومصطفى أمين ، وقد أيدوه في ذلك . فقال الاستاذ أحمد حسين أن زخاري اذن كان حرا في قبول النشر أو عدمه .

استغلال الاخوان الوقت

للاعداد لعمل خطير

قلنا ان الهلالي حاول التقرب الى الاخوان فأعلن أنه يرى اعادة التحقيق في قضية مقتل الامام الشهيد وغيرها من القضايا ، ودأب على استطلاع رأى الاخوان والاجتماع بالمرشد العام الذي ظل على اصراره أن يكون اجتماعه به على انفراد دون أن يضمه اجتماع برؤساء الاحزاب .

وبعد عدد من اللقاءات بين المرشد العام ونجيب الهلالي كون الاخوان فكرة عن الهدف من ابدال على ماهر بالهلالي . وبدأ لهم أن الهدف لا يدعو أن يكون محاولة لاضاعة الوقت ، وشغل الناس بما سموه التطهير واجراء انتخابات . فقرر الاخوان الاكتفاء - من اتصالهم به - باحراجه في القضية الوطنية بحيث لا يجد فرصة للتدخل مما أجمع عليه الشعب وسارت عليه وزارتان السابقتان . واتجهوا الى استغلال الوقت في ناحيتين :

□ الناحية الاولى : علنية

وهي تنظيم أنفسهم ، ونشر دعوتهم وتعميق فكرتهم في نفوس الشعب ومثالا لذلك قاموا بما يلي :

أ - رحلة المرشد العام : طاف المرشد العام في خلال هذه الفترة بشعب الاخوان في رحلة طويلة . وهي الرحلة التي التقيت مع المرشد فيها بجمعهور والتي أشرت اليها من قبل . وقد استغرقت هذه الرحلة أكثر من شهر . وقد زار خلالها الاخوان باالوجهين البحرى والقبلى .

ب - تقوية الروابط بالشعوب الاسلامية : وقد أولى الاخوان في خلال هذه الفترة اهتماما كبيرا لتقوية الروابط بالشعوب الاسلامية ، وابرز دعوة الاخوان المسلمين على أنها فكرة عالمية لا تحدها حدود اقليمية . وقد عملوا على عقد مؤتمر للشعوب الاسلامية بكرانتشى في باكستان في أوائل شهر مايو ١٩٥٢ . وقد مثل الاخوان فيه الاخ الاستاذ صالح عثمانى ، وألقى كلمة الاخوان .

ومن مقترحات الاخوان التي جاءت في سباق هذه الكلمة : اعادة النظر في نظام الملكية الزراعية وفي نظام الرعوية - ويقصد باعادة النظر في نظام الملكية الزراعية ما صار يفهمه الناس فيما بعد بالاصلاح الزراعى ، وهي لفظة تشعر انقارىء بأن الاخوان كانوا اول من دعا الى الاصلاح الزراعى وهي لفظة تشعر بل في جميع البلاد الاسلامية ، ولكن ليس على أساس ما يسمونه الاشتراكية وانما على أساس أنه جزء من الفكرة الاسلامية . وقد يحسن بنا في هذا المقام

أن ننبه القارئ الى أن صورة الإصلاح الزراعى التى أرادها الاخوان لم تكن هى الصورة التى تم بها هذا المشروع فى مصر وسيأتى تفصيل هذا الموضوع فى الجزء الثالث من هذا الكتاب ان شاء الله .

أما إعادة النظر فى نظام الرعوية فيقصد به اقتراح فتح الحدود المصطنعة بين البلاد الإسلامية بعضها وبعض ، واعتبار البلاد الإسلامية - مهما اختلفت مواقعها الجغرافية - أمة واحدة ودولة واحدة بحيث يكون الإسلام وطننا وجنسيته .

وإذا كانت دول أوروبا - ولا تربطها بعضها ببعض أية روابط - تسعى الى فتح الحدود فيما بينها محاولة تحقيق وحدة تامة فيما بينها . . لانها ترى أن هذا هو السبيل الوحيد لبرازها قوة عالمية مهيبة وقوة اقتصادية وسياسية متكاملة ومسيطرة ، فان الدول الإسلامية أولى بذلك وأحرى ، وكتاب هذا الدين يخاطب المسلمين حيث كانوا فيقول « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » ويقول « إنما المؤمنون إخوة » ويقول رسولهم « ليس منا من دعا الى عصبية » ويقول « وكونوا عباد الله إخوانا » . . . وإذا كان التاريخ يحدثنا عن هذه الدول الأوروبية حيث التناحر المستمر والعداء المستمر والحروب المتواصلة ، فان هذه الدول الإسلامية المقطعة الاوصال الآن كانت على مر التاريخ منذ نشأتها أمة واحدة ودولة واحدة . . فإذا رجعت كما يطالب الاخوان دولة واحدة فانما ترجع الى أصلها وتحقق وضعها الذى كانت عليه والذى يجب أن تكون عليه . وقد ختم مندوب الاخوان فى المؤتمر كلمته مرددا الحديث الذى أدلى به المرشد العام لجريدة « المصرى » فى أوائل شهر أبريل محذرا من الانحراف بالتجمع الإسلامى عن غايته حيث قال :

« وأحب أن أقول لك بهذه المناسبة انى قرأت فى بعض الصحف أنباء مرماها أن الحلف الإسلامى قد تطمئن اليه الدول الغربية لأنه سوف يكون مناهضا للشيعوية ، أو أنه سيعتخدم لهذه الغاية . . والحق ان الإسلام شىء قائم بذاته ، ونظام جمع الله فيه خير ما فى النظم جميعا ، فلا يصح أن يكون أداة فى يد أحد يستخدمها لغاياته . بل يجب أن تكون خادمة للنظم الإسلامية والمصالح الإسلامية وحدها ، بلا ميل الى أى نظام أو فكرة تخالفه سواء أكانت ما يسمى الديمقراطية أو الشيوعية أو الفاشية . »

فالاخوة والعدالة الإسلامية تجمع جميع الناس من جميع الالوان وجميع الأديان . ولا تحتبز العدالة مقصورة على المسلمين ، وإنما هى حق لكل من يعيش فى دولة الإسلام . ولا تكون الاخوة بين المسلمين وحدهم كشأنها بين الفرنسيين الذين يعتبرون أنفسهم اخوة ويعاملون التونسيين أسوأ معاملة .

والامريكان معاملتهم للهنود الحمر لا تخفى على أحد . أما عدل الانجليز فهو عدل لا يعرفونه الا في بلادهم ، فاذا خرجوا منها رأيت صورته العكسية في قتال السوييس والسودان وغيرهما »

ويبدو أن تحرك الاخوان في هذه الفترة نحو العالم الاسلامي ، واشتراكهم في هذا المؤتمر ، وكلمتهم التي ألقوها فيه ، قد أيقظت في الشعب المصري عواطف كانت نائمة فأخذ الشعب يسمي ويستفسر فقد نشرت جريدة « المصري » في ٢٣ مايو ١٩٥٢ تحت عنوان « المرشد العام يتحدث الى المصري » حديثاً طويلاً على هيئة أسئلة وجهها اليه مندوب الجريدة وأجاب عليها المرشد العام . نجتزئ منه ما يلي :

« أما عن فكرة تكوين كتلة اسلامية فنقول : كيف يتم ذلك والاحتلال الاجنبي بين ظهر انينا ؟ اننا لا نريد أن نكون العوبة في يد أحد . ومثل هذه الكتلة يصح أن تكون للتقريب بين الامم الاسلامية والعمل على انهاضها حتى تأخذ بكتاب الله ، وحينئذ يكون الاتحاد الشامل بينها . »

وختم المندوب الحديث بسؤال عن مبادئ الاخوان وهل تمنع أن يكون الانسان منضماً لحزب من الاحزاب وأن يكون في الوقت نفسه أخاً مسلماً ؟ فقال فضيلته : ان مبادئ الاخوان لا تمنع من ذلك اطلاقاً . ولكن الانسان حين ينضم اليهم سيجد نفسه منساقاً الى ترك الحزبية جانبا والتفرغ لدين الله »

ج - قضية السودان : - ساهم الاخوان بجهد كبير في قضية السودان التي اعتبرت جزءاً لا يتجزأ من قضية الجلاء عن مصر . ولكن نظرة الاخوان الى قضية السودان كانت نظرة مختلفة تمام الاختلاف عن نظرة الحكومة المصرية والاحزاب المصرية . فهؤلاء جميعاً كان همهم منصّباً على الحصول على اجراء قانوني لتحقيق وضع شكلي يتيح للملك أن يحمل لقب « ملك مصر والسودان »

والله وحده هو الذي يعلم هل كان هؤلاء الذين انحصرت مطالبهم آخر الامر في هذا الطلب المتواضع يهدفون من وراء ذلك الى ربط السودان بمصر عن طريق هذا اللقب أم أن هدفهم كان ارضاء الملك والتزلف اليه . وهو الهدف الذي كان طابع جميع سياسة مصر المحترفين في ذلك الوقت .

أما نظرة الاخوان الى قضية السودان فانها كانت تقوم على أساس الاخوة الاسلامية التي تستمد أصلها من القرآن الكريم في قوله تعالى « انما المؤمنون اخوة » . وقد التقى الاخوان بوفود من السودان أكثر من مرة ، بعضها في دار المركز العام وبعض آخر في أماكن أخرى . فكانت هذه الوفود تشعر

بشعور غير الذى تشعر به فى لقاءاتها مع رجال الحكومة ورؤساء الاحزاب .

كان حديث الاخوان معهم لا يتناول الروابط الجغرافية ، ولا المسائل القانونية ، ولا يتناول القاب الملك ولا شروط الاتحاد ، وانما كان الحديث حديث قلوب تفيض بالمحبة وتترع بالاخلاص ولا تشوبها شائبة من شوائب الخداع السياسى - كانت هذه الجلسات جلسات انصهار روحى فى بوتقة الاخوة الاسلامية ، تنسى فيها المطامع . وتذوب فيها الحزبيات والحزازات - ولو ترك الأمر فى موضوع السودان للاخوان ، وأتيحت لهم فرص اللقاءات بمصر والزيارات بالسودان ، وتفتحت الجهات المصرية الاخرى ورفعت يدها عن الموضوع لكان للسودان ولصر وضع آخر غير الذى تم على أيدي السياسيين المحترفين فى هذه الايام وفيما بعدها سن أيام ..

ولكن هذه الوفود السودانية كانت بعد انصهارها فى دار الاخوان فى بوتقة الاخوة الاسلامية ، كانت تلتقى بقوم لا صلة لهم بالمعانى الاسلامية فى قليل ولا كثير ، فتحس هذه الوفود كأنما هبطت من السماء الى الارض ، فالتعامل مادى ، والحديث مادى ، والمفاتيح مادية ، والمفاوضات أشبه شئ بصفقات البيع والشراء .. وتعرف هذه الوفود أن هؤلاء الذين يفاوضونهم - اذا كان هناك اتحاد فيما بعد - هم الذين سيتعاملون معهم لان بيدهم مقاليد الحكم وبيدهم بالتالى مفاتيح الخزائن .

□ الناحية الاخرى : سرية

وهى تنظيم صفوفهم من المدنيين والعسكريين . وهى تنظيمات كان يلجأ اليها كل ذى نفس تتوق الى الحق والحرية . وليس معنى ذلك أن البلاد كانت خالية الا من تنظيمات الاخوان ، فمن حق التاريخ أن نقرر أنه كانت هناك تنظيمات أخرى ولكنها كانت قاصرة على القاهرة ، وكان كل تنظيم منها قليل العدد ، غير قائم على أسس من المبادئ الدينية أو الخلقية ، ولا على تجانس فى الافكار والمعتقدات ، كما أنها جميعا لا تستند الى قاعدة شعبية ، فلا نصيب لى منها فى مثل هذه القاعدة

أما تنظيمات الاخوان فانها كانت تخضع لاساليب مركزة تجمع بين التربية الروحية والتدريبات العسكرية والبرامج الثقافية . وإذا فانها تقوم على أسس من المبادئ الدينية والخلقية ، وعلى تجانس تام فى الافكار والمعتقدات فضلا عن أنها تستند الى أوسع قاعدة شعبية قوية صلبة متماسكة .

وقد يبدو الفرق الشاسع بين هذه التنظيمات والتنظيمات الاخوانية فى الناحية الفكرية فى موضوع تحرير مصر الذى نحن بصدده . فالتنظيمات

الآخرى ترى تحرير مصر من الحكم القائم بها هو الهدف وهو الغاية . بينما ترى تنظيمات الاخوان أن تحرير مصر من الحكم القائم بها هو مجرد وسيلة لتمكين الحكم الاسلامى من القيام بها ، اذ ان تحريرها هو بمثابة ازالة العوائق من طريق المصلحين الذين يريدون رفع لواء هذا الحكم القرآنى بها ، ثم توسيع نطاق هذا الحكم حتى يعم العالم الاسلامى كله .

وبالرغم من هذه الفروق الشاسعة بين التنظيمات الاخوانية والتنظيمات الاخرى ، فان التنظيمات الاخوانية - لجرد التقائها مع التنظيمات الاخرى في نقطة واحدة وهى العمل على تحرير البلاد من الحكم القائم بها - فانها فتحت لهم صدرها ، وأوسعت لهم من حمايتها ، ومنحتهم من رعايتها ، وكسنت موئلا لهم كلما حزب الامر ، وملجأ اذا اشتد الخطب .

وقد يرى القارىء في هذا الكلام بعض الابهام ، ولا يحس فيه التوضوح الكافى . . وهذا صحيح . . ومع ذلك فلا نستطيع الآن أن نكون أوضح من ذلك ، فكل شئ مرهون بوقته . وسوف يأتى ان شاء الله في الجزء الثالث من هذا الكتاب توضيح ذلك وجلاء حقيقته وتفصيل مجمله .

وخلاصة القول هى أن الاخوان في خلال هذه الفترة أعدوا انفسهم في هذه الناحية ، وأعدوا الشعب تمام الاعداد ، وتلاقت عندهم كل الجهود العاملة على تغيير الوضع ، وأخذوا فعلا في وضع خطة العمل .

ومع أن أكثر الناس لم يكونوا يعرفون شيئا عن الاعداد السرى للاخوان ، فان الشعور العام في مصر كان متجها اليهم ، والانظار مصوبة نحوهم ، والآمال معقودة عليهم . والكل يترقب العمل المأمول من الاخوان المسلمين . وصار المرشد العام للاخوان المسلمين هو المحور الذى تدور حوله الاحداث ، والرجل الذى عنده الكلمة الفاصلة .

ولم يكن الطرف الاخر - أقصد الملك ومعاونيه - يجهل ذلك ، ولكنهم قد سقط في أيديهم وراوا أن الموجة الشعبية المستنيرة العارمة كادت تجرفهم ، ولا يستطيعون لها دفعا . . . ولعل الملك حين رأى الموجة الاخوانية العاتية ظن أن وجود جهاز سرى من العسكريين والمخنيين هو الذى أكسبهم هذا التفوق ، فدفعه ذلك الى انشاء جهازه السرى الذى سماه « الحرس الحديدى » عملا بالمثل المأثور « لا يفل الحديد الا الحديد » ولكن فات جلالته أن يذكر دلالة المثل الاخر الذى يقول « ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة » .

الفصل الثالث

المسير المحتوم

❏ آخر سهم في كنانتهم ولكنه مسمم :

منذ وليت الحكم وزارة الهلالى وحلت مجلس النواب الذى وافسق على إلغاء المعاهدة ، وهى تعلن عن عزمها على اجراء الانتخابات فى أقرب وقت ممكن . ودأب رئيس الوزراء على استطلاع رأى الاحزاب والهيئات فى موضوع الانتخابات وموقفهم منها . وقد تلقى اجابات من جميعها بالترحيب بالانتخابات وعزمهم على دخولها . الا الاخوان المسلمين فانهم أعلنوا أنهم لن يخطوا الانتخابات . وكان نص قرارهم الذى أعلنوه هو :

« عدم الاشتراك فى المعركة الانتخابية لا باسم الهيئة ولا بصفاتهم الشخصية . لان الاوضاع الانتخابية منذ عام ١٩٢٤ تقوم على أساليب تتنافى مع مثل الاخوان وطبيعة دعوتهم . كما دلت على ذلك تجاربهم العملية » .

وكان هذا القرار قد اتخذ وأعلن فى ٢٨ مارس ١٩٥٢ أى فى أوائل أيام تولى الهلالى مقاليد الحكم .

ويبدو أنه كان من الاهداف الاساسية التى جىء بهذه الوزارة الى الحكم من أجل تحقيقها أن تجر الاخوان المسلمين الى خوض المعركة الانتخابية . ودليل ذلك أن أول اجراء اتخذته هذه الحكومة هو حل مجلس النواب والاعلان عن اجراء انتخابات ، والاتصال برؤساء الاحزاب والهيئات لتحديد موافقهم منها . وهى تعلم والكل يعلم أن جميع الاحزاب تتمنى أن تجرى انتخابات حتى تنعم بالوصول الى كراسى الحكم ، ومن لم ينعم بكراسى الحكم فسينال ولو أقل القليل من مغائمه - فلما قرر الاخوان وحدهم - رفضهم خوض الانتخابات أسقط فى يد الحكومة وأعلنت - تحت ستار اتمام عملية التطهير - تأجيل موعد اجراء الانتخابات .

وفى العاشر من ابريل أعادت الحكومة الكرة فى عملية الاستطلاع ، وكلفت وزير العدل أن يطلب من الاخوان المسلمين ابداء الاسباب التى رفضوا من أجلها دخول الانتخابات . وأعاد الاخوان - فى مذكرة مكتوبة - الاسباب التى أعلنوا مجملها فى قرارهم السابق . ومما جاء فى هذه المذكرة : « أن من المأخذ التى يأخذها الاخوان على قانون الانتخاب أنه لايلزم الناخب باستعمال حقه ، ولذلك كان معظم الذين يستعملون حقهم الانتخابى ممن يسهل اغراؤهم

والتأثير عليهم ، وأنه لا يميز المتعلم الذى يستطيع أن يكون رأيا قائما على حكم شخصى باعطائه صوتين أو ثلاثة مثلا ، وأنه لا ينص على ضرورة حمل البطاقة الشخصية المعتمدة من الجهة الرسمية المختصة منعا للتلاعب ، وأنه ليست فيه الضمانات الكافية لوقاية المعركة من تدخل رجال الادارة ، وغير ذلك من المتأخذ . »

وعرضت هذه المذكرة على مجلس الوزراء الذى قرر بناء على ما جاء فيها تأجيل موعد اجراء الانتخابات الى شهر أكتوبر ١٩٥٢ حتى يمكن اجراء تعديلات فى قانون الانتخاب .

وينبغي على - وقد كنت ملابسا لهذه الظروف التى أتحدث عنها الان - أن أقرر أن كثيرين من الاخوان فى ذلك الوقت كان من رأيهم خوض المعركة الانتخابية باعتبار ذلك وسيلة من وسائل نشر الدعوة وتحقيق أهدافها ، مطمئنين الى ما يتمتع به الاخوان من تأييد شعبى واسع النطاق ولكن هؤلاء الاخوان - ثقة منهم فى مرشدهم - نزلوا على رأيه عن رضا وطوعية ، فخرج القرار قرارا اجماعيا لا رجعة فيه .

وقد وضع بعد ذلك أن هذا الرجل كان بعيد النظر ، يصدر عن قلب عامر بالايمان ، وعقل مستنير ، وأن قراره هذا قد وضع الدعوة فى موضعها اللائق بها من الطهر والسمو ، وربأ بها عن النزول الى مواطن الاسفاف وهجر القول والخداع والكذب .

ولعل فى هذا الموقف للاستاذ حسن الهضيبي أبلغ الرد على من يرمونه بأنه انحرف بالدعوة الى مزالق السياسة وأحوالها كما يدعون .

□ احباط الخطة الخطيرة أو رد سهمهم الى نحورهم :

ولقد تبين فيما بعد أن هذا الموقف الاخوانى قد احبط خطة محكمة محبوكة الاطراف ، قد دبرت بدقة وعناية ، ذاك أنه كان يراد القضاء على القوتين الشعبيتين فى البلاد : الوفد والاخوان . (وبصرف النظر عن الاختلاف الكبير بين الهيئتين فى المبادئ والوسائل والاهداف فانهما بحكم الواقع هما الهيئتان الشعبيتان الوحيدتان فى البلاد) فجاء بالهلالى باعتباره موقورا من الوفد لا سيما من عنصره الفعال سراج الدين ، ويتمنى أن تتاح له الفرصة للنيل من الوفد وتمزيقه .

ولا كان تحقيق هذا فوق طاقة أية حكومة ، فقد رسمت له الخطة بأن يحل مجلس النواب الوفدى ويعلن عن اجراء انتخابات عليه أن يجر الاخوان

اليها ٠٠ وبذلك تقف القوتان الشعبيتان الوفد والاخوان ، كل امام الاخرى ، فتقوم كل منهما بتصفية الاخرى - ويتحقق بذلك ما عجز عن تحقيقه اصحاب المصلحة من الانجليز والملك واعوانهم ٠٠ ويصفو لهم بذلك الجو ٠

عصم الله تعالى الدعوة من الوقوع في شباك هذه الخطة الجهنمية ، بفضل التفاف الاخوان حول مرشدهم ، وثقتهم فيه ، ونزولهم عند رأيه ، وتأييدهم لخطواته ٠ وقد كسبت الدعوة الكثير من هذا الموقف ولم تخسر شيئاً ٠ والانتخابات التي طنطنوا بها وحدوا لاجرائها الميعاد تلو الميعاد شاء الشلى التقدير أن لا تجرى ٠

□ اقضاء الهلالى :

ولما فشل الهلالى فى جر الاخوان الى الانتخابات أعفى من منصبه باستقالة قدمها فى آخر شهر يونيه ١٩٥٢ منتحلاً عذاراً لتغطية السبب الحقيقى الذى ظل محجوباً عن المصريين ، وإن كان المراقبون الاجانب فهموه وعلقوا عليه تعليق الخبراء الحائزين ، فقد نشرت جريدة النيويورك تيمس فى ٥ مايو ١٩٥٢ برقية مطولة عن موقف الاحزاب فى مصر بمناسبة قرب الانتخابات العامة فقالت :

« ان الوفد أقدم التهيئات فى مصر وأدقها تنظيماً صحيحاً قوياً حتى ان له لجاناً تنفيذية فى جميع أنحاء القطر حتى أصغر القرى - وقالت : لا شك فى أن الإخوان المسلمين قوة لا يستهان بها ٠ وقالت : انهم أثروا عدم خوض المعركة الانتخابية حتى يتم لهم تنظيم صفوفهم بالصورة التى يعتقدون أنها كفيلة بتحقيق أهدافهم »

وزارة حسين سرى

كان سقوط وزارة الهلالى فى ٣٠-٦-١٩٥٢ علامة واضحة لا على تدهور الموقف فحسب ، بل على انهياره انهياراً تاماً ، حتى ان الطبقة المثقفة من الشعب باتت فى قلق شديد ٠ وشملها شعور بأن البلاد مشرفة على تطور خطير - ولقد كنت فى ذلك الوقت منتدباً فى عملى الخاص بالاسكندرية ٠ وجمعتنى هذه الفرصة بعدد من أقربائى المثقفين الذين كان اشتغالهم بالسياسة طفيفاً ، وجلسنا فى احدى ليالى النصف الاول من شهر يوليو ١٩٥٢ فى شرفة منزل احدهم ، ودار الحديث حول حالة البلاد وما تعانى من تمزق وعدم استقرار ، فكان هذا الشعور شعورهم وشعور كل مجلس وكل مجتمع فى مصر

□ شعور عام باليأس من الاصلاح :

ساد هذا الشعور جميع اوساط الشعب سواء فى الناحية الخارجية والناحية الداخلية ، فالوزارة التى يشتم منها رائحة اتجاه عملى نحو اصلاح

خارجي أو داخلي لا يلبث الشعب أن يراها بطريقة أو بأخرى قد أردت ٠٠ فمما لا شك فيه أن وزارة على ماهر كانت جادة ومتأهبة لعمل ايجابي يتطابق مع الموقف ، ولكنها لم تمكن وأسقطت بأسلوب غير كريم ٠٠ ويؤتى بعدها بوزارة كل بضاعتها وعود ، ويكاد يقتصر عملها على التأكيد لحزب الوعد بدافع التسفي لا بهدف الإصلاح الذي كان يقتضى تتبع الفساد في كل الأحزاب والهيئات مهما علا مقامها ٠٠ وضاعت مصالح البلاد بين هذه الوزارات المتعاقبة .

ونموذجا لهذا اليأس الذى أحاط بالنفوس في تلك الفترة من الزمن - نورد حديثا لحافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى نشر بجريدة « أخبار اليوم » في ٢٦-٤-١٩٥٢ تحت عنوان « لماذا قررت اعتقال السياسة » جاء فيه : « وقتها صريحة في ٢٦ سبتمبر ١٩٥٠ ان الحالة الداخلية قد بلغت حدا من المفاصد لا مزيد عليه ٠ وكنت أول قائل في ٢٣ فبراير ١٩٥١ ان البلاد في حاجة الى عملية تطهير شاملة ٠ قلت ذلك كله وجهرت به فكان أغلبه يذهب أدراج الرياح ٠

بل ان ذات الحركات التى بدرت وأملت فيها تحقيقا للأمداء الصحيحة والافكار السليمة ، كإلغاء المعاهدة المشؤمة وما تلا الإلغاء ، والصيحة بحركة التطهير وما أعقب الصياح ٠٠ ما لبثت أن رأيتها صادرة عن ارتجال معيب أو سارية في تعثر ممقوت ٠٠

فالحكومة التى ألغت المعاهدة وصرحت في مظاهرة الإلغاء باتخاذها الحيلة لكل احتمال ، والعدة لكل حال ٠٠ اتضح أنها لم تقدر احتمالا ولم تفهم حالا ٠٠ والحركات التى تلت هذا الإلغاء تعثر جلها برغم صدق بعضها .

وحركة التطهير التى أملنا فيها بعض الخير الداخلى ، تسير في سبيل غير مطمئن ، وتثوح بينها تيارات أخشى معها أن تنقلب الى مجرد معركة حزبية أو شخصية أو انتقامية ، دون أن تسير كما ناديت أساسا لإصلاح شامل يطهر الأدوات والنفوس .

كل ذلك الذى أراه جعلنى أشعر بالفساد يفتاب جل نواحي الحياة السياسية في البلد ، وجعلنى أحس أن الوسائل المشروعة ، والمنطق المعقول والقيم الأخلاقية - وهى عدتى على ما أسلفت - لم تعد مجدية ٠٠ لهذا انسحبت الى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا ،

وفي خلال هذه التحقية أيضا نشرت نفس الجريدة حديثا للمرشد العام وكان في الاسكندرية ، على الوجه الآتى :

- قلت لفضيلة الاستاذ حسن الهضيبي بك المرشد العام للأخوان المسلمين : بعد في المدة الاخيرة من الاخوان المسلمين ظاهرة انكماش من النواحي السياسية ، فلم نجد نسمع لهم رأيا في احوال مصر السياسية كما كانوا من قبل - فكيف تطلون ذلك ؟

- فأجاب فضيلته : ان الاخوان يعتبرون الموقف السياسي في مصر بخرًا مضطربًا لا أمان لاحد فيه ، فهم يفتقون على شاطئه ينظرون من يفرق فيه ، ولا يريدون أن تعطى بهم العواصف مع العرقى . وهم بالتزامهم هذا الموقف إنما يلتزمون جادة الصواب . ويكفي في دفع اللوم عنهم أنهم يقدمون النصيحة للسامعين بالامر .

وقد اقلبت برأى الاخوان في سياسة مصر لرفعة على ماهر باشا ودولة احمد فخيج الهلالى باشا عندما توليا رئاسة الوزارة - وسيظل هذا هو موقف الاخوان الى أن يقضى الله امرا . كان مفعولا .

- هل يتغير موقف الاخوان بالنسبة للانتخابات القادمة ؟

- لا يزال الاخوان المسلمون عند رأيهم الذي اعلنوه من قبل . وهو عدم دخولهم الانتخابات القادمة اذا اجريت . ولم تعد هذه المسألة محل بحث احد منهم . وحى لا تشغل بالهم على الاطلاق ، فقد اتخذوا فيها قرارهم وافتتوا الامر بالنسبة لهم ،

ولكى يكون القارىء امام صورة واضحة المعالم لهذا الموقف وما كان يثيره في النفوس من قلق ، نرجع الى ما نشرته جريدة « اخبار اليوم » في ٥ يولييه ١٩٥٢ تحت عنوان « ٢ وزارات في ٤ أيام » فقد كتبت تقول :

« في يوم السبت استقالت وزارة الهلالى باشا . وكلف سرى باشا بمقتضى الوزارة . . . واثناء قيام رفعتة بمشاورات وزارته كان بهى الدين بركات باشا قد امسدهم لتأليف الوزارة - وهكذا كان في مصر ثلاث وزارات :

وزارة مستقيلة عليها أن تقوم باعباء الحكم لأن استقالتها لم تقبل بعد . . . ووزارة يؤلفها سرى باشا . . . ووزارة يؤلفها بركات باشا - واستمر هذا الوضع الذى واجهته مصر لأول مرة في تاريخها حتى بعد منتصف الليل . . . يوم الثلاثاء . . . وهذه قصة ثلاث وزارات في أربعة أيام .

وبعد أن كان الصحفيون تفتشهم حجرات منزل سرى باشا في الاسكندرية ، القتل الصخب والضجيج وعشرات السيارات والصحفيون الى منزل بهى الدين بركات باشا في منطقة مصطفى باشا قرب سيدى جابر .

• وبهـي الدين باشا يسأل الاستاذ على حمدي الجمال الحرير « بالاختبار » وهو منه بمنزلة الابن : ماذا يرضى الشعب يا على في هذه الظروف ؟
فيجيب الصحفي الشاب : الشعب يريد إلغاء الأحكام العرفية ، ووقف الرقابة عن الصحف ، والإفراج عن المعتقلين ، وإجراء الانتخابات والحكم النظيف .

□ لماذا عدل عن بهي الدين باشا ؟

ووقع الاختيار أخيراً على حسين سري باشا - وقد سبق بهذا الرجل أن تولي منصب الرياسة أكثر من مرة - كما تولي رئاسة الديوان الملكي عندما أجلي مكانه لوزارة الوفد الأخيرة .

ويعد أن استقر الرأي على حسين سري باشا تم اجتماع في الاسكندرية بين بهي الدين باشا وبين المرشد العام •• ولكننا لا ندري لم كان الاتجاه أولاً الى بهي الدين باشا ولماذا عدل عنه •• وقد يكون سبب العدول عنه أنهم تذكروا أن هذا الرجل معروف بالنزاهة المطلقة ، وبالدقة التامة في تحري الحقائق ، وبعدم المجاملة في مواجهة الفساد مما علا مركز الجهة التي نحمى هذا الفساد والقصر الملكي كان في ذلك الوقت ذا حساسية بالغة في هذه الفاحية وكان محتاجاً الى رجل يتقاضى •• وقد سبق أن تولي بهي الدين باشا منصب ريافة ديوان المحاسبة فلم يطيقوه وسارع هو بالاستقالة ••

وحسين سري باشا مع أنه كان مشهوراً بالصرامة والاستقامة ، إلا أن شغله المناصب التي شغلها والتي أشرنا إليها آنفاً ، قبيد دل على أنه من السياسيين المحترفين الذين جلاوا على اعتقاد أن القصر الملكي فوق القانون وفوق مستوى النقد •• فاختيار القصر لرجل سبق له أن جربه آمن له من اختيار رجل لم يجربوه •

□ وزارة تاريخية

□ مالبسات تأليفها تكفر باتييار العهد

ولما كانت وزارة حسين سري باشا هذه وزارة تاريخية ، وأعني بذلك أنها تعتبر معلماً واضحاً بين حقبتين قبايتين من التاريخ - وكانت طريقة تأليفها ذات دلالات معينة مرتبطة بالأحداث الجسم ارتباطاً وثيقاً ، فقد وجب وضعها موضع المناقشة والبحث والتحصيل .

١ - أول ما يتبادر الى خاطر انسان يريد أن يعرف أو أن يكون رأياً عن حكومة من الحكومات هو أن يستعرض أعضائها •• ومع أن تأليف هذه الوزارة قد مر بمراحل طويلة وشاقة وعى بيت القصيد في بحثنا هذا فانها تبهر باثبات الوضع الأخير لأعضاء الوزارة :

الخارجية والحربية والبحرية	حسين سرى باشا
الداخلية	الدكتور محمد هاشم باشا
الشئون البلدية	محمد على راتب باشا
الاشغال والمالية بالنيابة	نجيب ابراهيم بك
المعارف	سامى مازن بك
وزير دولة	كريم ثابت بك
المواصلات	سيد عبد الواحد بك
الشئون الاجتماعية	الدكتور أحمد زكى
الزراعة	الدكتور محمد على الكيلانى
التموين	الدكتور حسين كامل الغمراوى
التجارة والصناعة	الدكتور عبد المعطى خيال
الصحة	الدكتور محمود صلاح الدين
العدل	الدكتور على بدوى بك
الاوقاف	الشيخ فرج السنهورى

وكان النطق الملكى لهذه الوزارة هو : « أرجو أن تقدروا الظروف الدقيقة التى تمر بها البلاد، لا من الناحية السياسية وحدها بل من الناحية الاقتصادية »

٢ - مجرد نظرة سريعة على هذه الوزارة يفهم القارىء منها دون جهد أنها وزارة فنية غير حزبية جمعت عددا من أعظم العلماء الاختصاصيين ذوى السمعة الطيبة ، وأكثرهم لم يتول منصب الوزارة من قبل .

٣ - استغرق تأليف هذه الوزارة أربعة أيام ، طلب رئيسها فى أثناءها اعفاء من تأليفها أكثر من مرة ، وكان الملك يصبر عليه فى كل مرة .

٤ - كان فى هذه الوزارة مناصب وزارية معينة نشأ عن شغلها خلاف كبير بين سرى باشا والملك .

ومن هذه المناصب منصب وزير المالية ، فقد رشح سرى باشا لهذه الوزارة « حلمى بهجت بدوى » ورشح الملك شخصا آخر . وقد مرض حلمى بهجت فسوى بذلك الخلاف ، ولكن سرى رفض مرشح الملك وأسند هذا المنصب مؤقتا إلى نجيب ابراهيم بك بالنيابة . . وقد يحس القارىء من الخلاف على هذا المنصب أن فى التصرفات المالية للقصر الملكى عورات يحرص الملك على سترها عن الاعيين .

٥ - المنصب الآخر الذى كان مثار خلاف شديد ، وكاد يعصف بالوزارة كلها ، وقد مر بتطورات خطيرة ، وكانت هذه التطورات ذات أهمية تاريخية بالغة ، فقد كان لها ما بعدها ٠٠ وكانت هذه التطورات تجرى فى الخفاء ، ولم يكشف عنها الا بعد سقوط الوزارة وزوال العهد كله ٠٠ بل أن هذه التطورات هى التى عجلت بهذا الزوال ٠٠ ونوجز هذه التطورات فيما يلى ، مستقيين بعض الانتباه مما نشر بجريدة « أخبار اليوم » فى ٢ من أغسطس ١٩٥٢ :

١ - لعل القارىء يذكر انتخابات نادى ضباط الجيش التى أجريت فى ٣١-١٢-١٩٥١ والتى حرصنا على ذكرها واثبات تفاصيل ما جرى فيها وما أسفرت عنه فى فصل سابق ، وأومأنا الى أهمية هذه الانتخابات باعتبارها معلما من المعالم الأساسية التى كشفت دلالاتها عن تصدع بناء هذا العهد ، وأشرنا الى أن الملك أحس بخطورتها على عرشه ، وكاد يتخذ ازاءها اجراء عنيفا . ولكن مستشاريه أقنعوه فى ذلك الوقت بالتسليم بالامر الواقع، ورسوموا له خطة أخرى تعتبر بمثابة حركة التناف يطوق بها ماتم فى هذا النادى من اجراءات .

ب - يبدو أن الاحداث كانت أسبق من خطوات الملك فى هذا السبيل . وقد أحس بهذا السبق فقرر العدول عن نصيحة مستشاريه . وعزم على انتهاز سياسة التحدى لعله يعوض ما سبقته به الاحداث .

ج - كانت سياسة التحدى تتلخص فى اجراءين اثنين هما : حل مجلس ادارة نادى الضباط ، ونقل اللواء محمد نجيب وابعاده عن القاهرة - كانت هذه هى رغبة الملك ، ولكن صاحب الحق فى اصدار هذين القرارين هو القائد العام للقوات المسلحة الفريق احمد حيدر باشا ٠٠ ومع أن احمد حيدر كان من الشخصيات المقربة من الملك حتى انه كان يعد من صناعته فانه كان مشفقاً على نفسه من أن يصدر هذين القرارين .

د - فى أثناء فترة تأليف الوزارة ، وفى خلال احدى مقابلات حسين سرى باشا مع الملك ، طلب اليه الملك فصل حيدر من منصب القائد العام للقوات المسلحة ليحل محله الفريق حسين فريد رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، على أن يحل محل حسين فريد فى رئاسة أركان حرب الجيش اللواء حسين سرى عامر حبيب الملك وصنيعته ورجله المقرب ، وأذى دبر من أجله اغتيال الضابط عبد القادر طه - كما طلب الملك من رئيس الوزراء نقل اللواء محمد نجيب خارج القاهرة .

هـ - طلب رئيس الوزراء مهلة لبحث هذه المطالب مشعرا الملك بعدم

موافقته عليها لانه يحس أن في البلاد غليانا ، وأن في الجيش تذمرا • وقد عرف سرى باشا عن طريق زوج ابنته الدكتور محمد هاشم باشا أن الجيش كله ملتف حول اللواء محمد نجيب - وكان الدكتور محمد هاشم قد اجتمع - في الخفاء - باللواء محمد نجيب وعرف منه الحقائق ، وأبلغها لصهره المرشح للرئاسة الوزارة فاقنتع سرى باشا - بدافع الاخلاصه للملك - بأن ترشيح محمد نجيب لوزارة الحربية والبحرية هو الحل الامثل للخروج من الازمة التي يعمانيها الملك والتي تضطرم في البلاد ، لا باقصائه وابعاده ••••• وفعلًا قرر ترشيحه في قائمة الوزراء لهذا المنصب •

و - أرسل سرى باشا الى الملك يطلب منه معرفة أسباب طلبه فصل حيدر ، فجاءته ورقة من السراي مكتوب فيها بالقلم الاحمر : لكي لا يفصل حيدر فعليه في ظرف خمسة أيام أن يحل مجلس ادارة نادي الضباط، وينقل ١٢ ضابطا • فاستدعى سرى باشا حيدر وأطلعته على المذكرة وسأله عن الاثنى عشر ضابطا • فقال أنه لا يعرفهم • فقال له سرى باشا : ابحث هذا الموضوع ثم عد الي - فرجع اليه في اليوم التالي وقال : خلاص أصدرت أمرا بحل مجلس ادارة نادي الضباط - فقال له سرى باشا : لماذا تعجلت وأنا لم أكلفك باصدار هذا الامر وانما طلبت منك مجرد بحث الموضوع ؟ فرد حيدر قائلا : انما كنت نسأفصل من عملي •

ز - كان هذا القرار بمثابة صب البنزين فوق النار سواء في الاوساط الشعبية وفي الجيش •

ح - تقدم حسين سرى الى الملك بقائمة الترشيحات الوزارية وقدرشح فيها اللواء محمد نجيب لوزارة الحربية والبحرية • ورفض الملك القائمة لوجود محمد نجيب بها • وتمسك سرى بنجيب • وحدثت أزمة • وأصبح حسين سرى على الاستقالة وذهب الى بيته - وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي زاره حيدر موفدا من قبل الملك ، ودار بينهما الحديث التالي :

حيدر - يا باشا أنت تعرف حبي لك وتقديرى لشخصك ••••• فقطع عليه سرى الكلام وقال : احنا الآن في جد مش في هزل • الجيش في تذمر وهذا التذمر سينتهي الى ثورة تأكل الاخضر واليابس • وأنتم تعيشون من ساعة لساعة وبتقولوا دى زوبعة في فنجان وأن حكومتى حكومة جبناء •• وأحب أن أقول لك للمرة الأخيرة أن النصيح والاصرار ليس جبناء •• وأنا شايف أنها ثورة وأنتم شايفين انها زوبعة في فنجان ••••• وأنا شايف أن محمد نجيب محبوب في الجيش وأنتم بتقولوا العكس - وأنا بقول ان سرى عامر راجل وسخ وحرامى وأنتم متمسكين بيه • والذي لا يختلف عليه أن هناك

تذمرا ، ونحن مختلفون في تقدير مدى هذا التخمير ونتائجه . وأنا ألقى بحكم وشايف كل حاجة فمفيس محل للكلام ده وأنا مستقيل .

فلما عجز حيدر عن اقناعه أرسل اليه الملك حافظ عفيفى رئيس الديوان وقال له : ان الملك فى مأزق ، وهو يثق فيك كل الثقة ، ويرجوك أن تسأل الوزارة . واتفق معه على أن يتولى هو بنفسه مؤقتا وزارة الحربية والبحرية ٦ - كريم ثابت من رجال السراى ورجال الحاشية ووظيفته السكرتير الصحفى للملك . ويلاحظ أن الملك قد حشره فى الوزارة وزير دولة ليكون عيناً له على الوزارة ولعل سرى باشا قد أذعن لهذا الحشر تهدئة لسروع الملك وتخفيفاً من فزعه .

□ دلائل أخرى على الانهيار التام :

ومما يدل أيضا على خطورة الحانة فى مصر فى تلك الحقبة ما يأتى مما نقله من « أخبار اليوم » فى ١٩ يولييه ١٩٥٢ :

أولا - اجتمع سرى باشا منذ يومين بأحد أصدقائه المقربين اليه . وكان هذا أول اجتماع بينهما بعد تأليفه الوزارة - وبادر سرى باشا قائلا : لعلك تريد أن تسألنى كيف قبلت الحكم برغم تأكيدى لك أنى لن أتولى الوزارة ؟

فرد سرى باشا قائلا : لقد كنت أنت على حق . وكنت أنا أيضا على حق - كانت هناك محاولات لاقتناعى بقبول الوزارة ولكنى رفضت ذلك رفضا باتا .

وبعد ذلك صوّحت بحقيقة الموقف وبما آلت اليه مصائر البلاد، وكيف أصبح الأمر من الخطورة بحيث لا يسع أى مصرى إلا أن يتقدم لحمل الغبء ولو ناعت به كتفاه . ولما وجدت الأمر كذلك لم يسعنى إلا أن أقبل الوزارة لعلى أنقذ شيئاً .

ثانيا - لم يكن المصريون وحدهم هم الذين يحسون بخطورة الموقف فى البلاد وبأن البلاد مقبلة على أحداث جسام . . . واليك ما نشرته « أخبار اليوم » فى نفس اليوم تحت عنوان « أنوار كاشفة » وجاء فيه .

« وقد واجهت وزارة حسين سرى باشا بعض العقبات عند دلفها ، ولهذا فانه يمكن القول انها ولدت فى الاعاصير . وعادة أن المولود الذى يولد فى أثناء العواصف لا يتأثر كثيرا بتيارات الهواء . »

ومن الطريف أن كثيرا من السفراء والوزراء المفوضين السدين زاروا

الوزراء مهنتيين سألوهم : كم يعتقدون أن عمر الوزارة سيطول ؟ وهو سؤال ما كان يصح أن يوجه الى الوزراء . اذ المفروض دائما أن الوزير كالزوجة هو آخر من يعلم . . .

أما نحن فنقول :

لقد صدق حدس الشعب وحدس هؤلاء السفراء ، فقد مكثت هذه الحكومة في الحكم سبعة عشر يوما ، ثم خلفها وزارة أخرى برياسة المهاللى مكثت سبع عشرة ساعة .

وكانت الازمة المستحكمة تتناقص في أن البلاد صار يتنازعها تياران متعارضان : تيار متمسك بما أعلن من إلغاء المعاهدة ، ومصمم على مواصلة المقاومة ضد المستعمر المحتل حتى يجلو عن وادى النيل - والتيار الآخر يرى مصالحته في مصالحة المستعمر والاستسلام له والرجوع عما تم اقتضاه من خطوات ايجابية في إلغاء المعاهدة .

والتيار الاول من ورائه الشعب كله بجميع طوائفه وهيئاته . والتيار الآخر منبعت من القصر الملكى ومعه حفنة من السياسيين القدامى المحترفين من ذوى المصالح وعشاق مناصب الحكم ، ولكنهم مع ذلك لا يجرؤون . أمام اجماع الشعب - على الاعلان عن نواياهم ، فهم يلجأون الى أساليب ملتوية ، وخطط باهتة المعالم ، يخفون في ثناياها أغراضهم وأهدافهم - وكلما جربوا أسلوبا فخيبت آمالهم لجأوا الى أسلوب آخر . والشعب واقف لهم بالمرصاد

وكان الملك في ذلك الوقت في أشد حالات الذعر والهلع ، كالمجرم الذى عاث في الارض فسادا ثم وجد نفسه أخيرا وقد ضيق عليه الخناق ، وأحيط به من كل جانب . ورأى يد العدالة تمتد الى عنقه لتقتص منه - ولم يكن هذا الوصف لحالة الملك مجرد تصور أو تخيل ، بل لقد تبين فيما بعد أنه كان يفكر في ذلك الوقت في الهرب من البلاد .

الفهرست

الصفحة	الموضوع
٥٠	- القرينة الثانية
٥١	- القرينة الثالثة
٥٤	- بنسج إصبعه
٥٣	- القرينة الرابعة

الفصل الثالث

تفنيد أسباب الحل

٥٥	أولا - معاجة باللسان
٥٥	ثانيا - تفنيد مسجل بالكفاية
	- رد حجة الناطق بذكره صبار
٥٦	بك سجل الإخفاء
	- بطلان دعوى الإجرام
٥٦	والإرهاب
٥٧	- حقيقة الحوادث
٥٧	- الجناية رقم ٥٥٢
٥٨	- الجناية رقم ٦٦٩
٥٨	- ١٠ ديسمبر
٥٨	- الجناية رقم ٢٦٢
٥٨	- الجلالة ومأمور الخليفة
٥٩	- الجناية رقم ٥٤٢٦
٥٩	- في ١٩ يناير
٥٩	- الجناية رقم ١٤٠٧
٥٩	- الشيخ محمد قزغل
	- حوادث كفر بدواي - تفهيم
	مبت موسى خطابات التهديد - إثارة
٥٠	الشغب
٥١	- الحوادث لا تنجح ما أريد بها
٥١	- لمة حوادث ٦٤٤ ديسمبر
٥٢	- حادث سبارة الجيب
٥٢	- بين الدين والسياسة
	- الأوراق ليست حجة - الإخوان
٥٣	- وفلسطين -

الصفحة	الموضوع
	الباب الأول
	آخر ما كان في جمعة النتمر العالمي
	وهما : خطنا الإبادة

١٥ مقدمة

الخطوة الأولى للإبادة

الحل

الفصل الأول

١٩	سدور أمر عسكري بالحل
	- صورة تخطيطية لمئة الإخوان في
٢١	ذلك الوقت
	- نصي الأمر العسكري رقم ٦٣ لسنة
٢٢	١٩٤٤ ميل الإخوان المسلمين
٢٥	- المذكرة التفسيرية
٢٥	- إجراءات أحد فروعاً
٢٦	- خطورة هذا الإجراء
٢٢	- أفعال التفراس باشا
	- إبراهيم عبد الحادي باشا يخلف -
٢٣	التفراس باشا

الفصل الثاني

من هو الأمر الحقيقي بالحل؟

٢٥	وثيقة
٢٧	- وثائق أخرى
٢٧	- يستنصر الإنجليز
٢٨	- دليل حل لدخل الإنجليز
٢٨	- فرائض تؤيد صحة الوثيقة
٢٩	- القرينة الأولى

الفصل الثاني

التدبير الأثيم

- تطورات الأحداث حتى وصلت إلى نهايتها ٧٤
 مسارعة المرشد لتدارك الأمر على نفسها ٧٤
 جنت راقش - الحكومة تدفع الشاب إلى
 عمل أهوج ٧٤
 - الحكومة تخدع المرشد العباس -
 تصرف مربب إزاء هذا البيان ٧٥
 رئيس الحكومة يستدرج المرشد العام
 إلى حيث يقتاله ٧٥
 - مراقبة دائمة على منزل المرشد العام ٧٩
 - مواجهة - ارتكاب الجريمة ٨٠
 - بيان «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين»
 المدخّر ٨١
 - طرف الخيط أو الدليل الوحيد ٨٢
 - محنة الأستاذ الليثي برقم السيارة ٨٣
 - جبهات البوليس الضالعة في الجريمة ٨٤
 - الضابط محمد الجزائر ٨٤
 أ - محاولات في التأثير بالإغراء ٨٤
 ب - أسلوب فاجر لوصم الشرفاء ٨٧
 - الأمير الای محمد وصي بمثل الملك في
 الجريمة ٨٨
 - هذه الجبهات كانت تعد للجريمة
 منذ زمن طويل ٨٨
 - الدرك الأسفل من النذالة والحسنة ٨٩
 - عنصر الزمن ٨٩
 - طغيان منسعود ٩٢
 - اطمئنان إلى الخلود في الحكم ٩٥
 - في انتظار المكافأة ٩٦
 - وبدأ لهم من الله عالم يكونوا يحسبون ٩٧
 - رؤيا في نادرة ٩٨
 - هدية الملك إلى الشعب ١٠٠

الفصل الثالث

شخصيات ومواقف كشفت عنها
 المحنة القاسية

- جهد الإخوان ٥٣
 - الدوافع الحقيقية في موقف الحكومة -
 - التمسك في التنفيذ ٥٥
 - شركات لا صلة لها بالهيشة -
 والصحف أيضا ٥٦
 - أسلوب الحرب - حكم هذا الحل في
 فعله ولم آثاره ٥٦
 - الحل أوقف نهضة كبرى ٥٧
 ثالثاً - تقنين في صدد الاغتيالات ٥٧

الخطوة الأخيرة للإبادة

جريمة القرن العشرين

اغتيال المرشد العام

الفصل الأول

التمهيد للجريمة

- الخطوة الأولى للتمهيد - حل الإخوان
 المشككين ٦٥
 الخطوة الثانية - عدم اعتقال المرشد العام ٦٦
 الخطوة الثالثة - قطع الصلة بينه وبين
 الإخوان ٦٦
 الخطوة الرابعة - تجريده من الحماية الشخصية ٦٧
 الخطوة الخامسة - إغلاق جميع الطرق أمامه ٦٧
 مزيد من الأضواء على هذه التمهيدات
 أولاً - المرشد يطلب من الحكومة أن
 تعتقله ٦٧
 ثانياً - الشعب كله داخله شعور
 بالإرتياح ٦٨
 ثالثاً -
 - اللواء صالح حرب باشا يكشف عن
 خبث نيات الحكومة ٦٩
 - لقاءه بالأستاذ الينا بعد قرار الحل ٦٩
 - أساليب ملتوية كشفت نية الحكومة ٧٠
 شهادة محافظ القاهرة تلقى أضواء أكثر ٧١

الموضوع	الصفحة
هـ - الأستاذ مصطفى مرعى	
- كيف اختار عبد الهادى مرعى -	
وزيراً	١٢٦
- حكومة الوفد مكتبه الحبش من مسخ	
قضية الإمام	١٢٧
- المراحل التي مر بها التحقيق في القضية	
١٢٨	
- ادعاءات للأستاذ مرعى داخلية	
ومرية	١٢٨
- أخوان كاشفة على دور مرعى من	
شهادة الشهود ومن شهادته نفسه .	
- من شهادة الأستاذ عبد الكريم منصور	
١٢٩	
- ومن شهادة الأستاذ محمد الليثي	
١٣٠	
- ومن مقال للأستاذ الليثي مجريسة	
الأهرام	١٣١
- ومن مقال آخر للأستاذ الليثي	
١٣١	
- البيان لا يتشر في موعده	
١٣٢	
- خطاب مفترى بشأن تسليم الأسلحة	
لماذا لم ينشر الخطاب للزعماء ؟	١٣٢
- تهديد للشيان المسلمين	١٣٢
- ومن شهادة الأستاذ مرعى أمام المحكمة	١٣٣
- شهادة أجد الرقباء على الصحف في	
أيام عبد الهادى	١٣٥
و - جريدة «المصرى»	١٣٦
- شهادة مدير ومحرر «المصرى» أمام	
المحكمة	١٣٧
- «المصرى» تحاول كشف دور مرعى	
١٣٨	
- كيف دخل الجثمان منزله	١٤١

الفصل الرابع

لماذا سوار لطمتنى ؟

من هم السعديون ؟

أولا - فترة ما قبل الثورة
(١) مفسر يشرح كيف جرى الجهل

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١٠١
أولاً - شخصيات ومواقف خاصة	
- خطورة القرار	١٠٣
- من أضرار الحشيش	١٠٦
- في النار ولا يتحرق	١٠٦
- قلوب تطفئ صف القوانين	١٠٧
- وعي فوج مقلوب	١٠٨
- بعثة الأزهر للتوعية	١٠٩
ثانياً - شخصيات ومواقف عامة	
الأول : الهيئات الدينية	١١٠
الثاني : الملك	١١٠
- من شهادة الأستاذ فؤاد شيرين	١١١
- من شهادة الأستاذ حسن يوسف	
وكيل الديوان الملكي	١١٢
- من شهادة محمد حسن الأمين الخاص	
للملك	١١٣
- من شهادة أحمد كامل	١١٤
الثالث : الأحزاب	
أ - مصر الفتاة - ب - اللجنة	
العليا للحزب الوطني	١١٤
ج - حزب الأحرار الدستوريين	١١٥
د - الحزب الوطني	١١٦
- ماذا حقق الحزب الوطني بخروجه	
على مدته الأصيل	١١٧
- قصة الحزب الوطني مع الإخوان	
- مساجلة حزبية بين الوفد والحزب	
الوطني بصدد الإخوان	١٢٠
- الأستاذ فتحى درضوان يتصنّبى	
لكشف حقيقة موقف الحزب الوطني	
من الإخوان في محتهم	١٢١
- ملاحظات على بعض ما جاء في حديث	
فتحى	١٢٤

الموضوع	الصفحة
شهادة عبد الله خليل فواز - اعتراف	
السائق محمد محفوظ بار تكايب الجرمية ١٩٢	
شهادة محمد حسين عضو جمعية الشبان ١٩٣	
حرم الذقراشي تعطي القاتل بقشيشا ١٩٣	
اعتراف السائق محمد محفوظ مرة أخرى ١٩٤	
سابقا - رد هيئة المحكمة التي تنظر القضية ١٩٥	
ثامنا - هيئة جنابات أخرى تعمد نظر	
القضية ١٩٩	
تاسما - فهد جدد استمعت إليهم الهيئة	
الجديدة	
موظف بالداخلية يقرر أنه القبرين	
جاءوا من جرجا لجهة مريه ١٩٩	
شاهد آخر صبح اعتراف محمد محفوظ ١٩٩	
ومن شهادة الممول محمد الجبي عرفت ١٩٩	
جاءت الممول لسائق محمد محفوظ ١٩٩	
حائرا - مع مراعاة النيابة في القضية ١٩٩	
الحامض حفر - نص الحكم الذي أصدره	
الحكمة ١٧٠	

الباب الثاني

محاولات اغيرة للإجهاز على

الجرمية

الفصل الأول

قانون الجمعيات

مقدمة ١٧٥	
مفروح قانون الجمعيات في عهد عبد الحميد	
ومعدلات لجنة النواب عليه ١٧٧	
أصدرت إفتان - مقرر ثابت - قرار	
الحل ١٧٨	
رجال الضغط - القضاء لعمادى -	
تطع السبيل ١٧٩	
هذا ما أحده عبد الحميد لتقييد الحريات	
في الذي فعله الوفاة ؟ ١٨٠	

الموضوع	الصفحة
والأناية على قضية البلاد ١٤٤	
(٢) لتستمر على خيانة الجيش ١٤٦	
لنصايل التفتق	
(٣) حالة الجيش المصري عنده	
إدخاله فلسطين ١٤٨	
وهره - السيارات - بدء القتال -	
ووجع معوية ١٤٩	
عالية - أول هات - المودة ١٤٩	
المدو يشهد - ٢٥٪ - معركة ١٥٠	
سعيد - للديانة	
محطو جديد - هجر في هجات -	
الانعام - القصيدة الفاسدة ١٥١	
(٥) مولود أمداد البلاد ١٥٢	
(٥) الخروج على إجماع الأمة	
وتفقدت شعورها ١٥٢	
ثانيا - بعد قيام الثورة	
١ - لقصايف ثورة عبد الحميد مطهرة	
أفصاها ١٥٥	
٢ - الترح بالجنود في الحرب من أدنى	
لخصه ١٥٥	
٣ - لتبليغ البرهان ١٥٦	
٤ - إظهار التوسعات الشخصية ١٥٦	
٥ - نماذج من طريقهم في الحكم ١٥٦	
أ - يتركه أن يصح وأن واحد	
مائي بالثائرة ١٥٦	
ب - حيد الماده يصل مياصرة	
بالضابط السباط على معاجلا	
الحافظ ١٥٧	
ج - البوليس السياسى في عهدهم ١٦٠	
التفصيل الخامس	
هذه القضية .. تطورها الإجرائى	
أمام القضاء	
شامسا - إحالة القضية إلى غرفة الاتهام ١٦١	
سادهما - أولى دائرة جنابات تنظر القضية ١٦٢	

الموضوع الصفحة

- الجولة الأولى لمحاولة فرض هذا التشريع الخائى ١٩٥
- الخطوط العريضة للقرار المنقذ ١٩٧
- الجولة الثانية ١٩٨
- هل هناك جولات أخرى ١٩٩

الفصل الثانى
المحاكمات

- مقدمة ٢٠١
- قضية اغتيال الحازندار ٢٠٣
- أهم القضايا المسماة بتمضاي الإخوان ٢٠٥
- نبذة موجزة عن هذه القضايا
- ١ - قضية اغتيال النقرائى - قرار الاتهام ٢٠٦
- قائمة الشهود - طلب در رئيس المحكمة ١١٠
- ٢ - قضية محاولة نصف محكمة الاستئناف ٢١١
- ٣ - قضية السيارة الجيب ٢١١
- ٤ - قضية محاولة الاعتداء على حامد جوده ٢١٣
- ٥ - قضية الأوكار ٢١٤
- هيئات الدفاع ٢١٧

الفصل الثالث

معالم فى هذه القضايا

- أولا - فى قضية النقرائى ٢١٩
- تبجح عمار وأنحياز رئيس المحكمة له ٢٢٠
- أين قتلة حسن البنا ؟ شخصية حسن البنا ٢٢١
- ثانيا - فى قضية السيارة الجيب ٢٢٢
- علاقة هذه القضية بحرب فلسطين ٢٢٣
- أ - من شهادة الشهود ٢٢٣
- ١ - مصر جمهورية اسلامية ٢٢٣
- ٢ - شهادة إبراهيم عبد الهادى ٢٢٣
- طلب ممثل الانعام للشهادة ٢٢٦
- ٣ - شهادة الصاغ محمود لبيب ٢٢٦
- كيف سقطت رامات راحيل ٢٢٧
- محاولة لفك حصار الفالوجة -

الموضوع الصفحة

- أولا - تصريح مدهل ١٨٥
- ثانيا - الوفد يحمى ظهر عبد المسادى ، ويتحدى الشعب ١٨٥
- الوفد يستبق الأمر العسكرى بحل الإخوان ١٨١
- ثالثا - حادث تافه ولكنه ذو دلالة ١٨٢
- رابعا - الإخوان يبدون استيائهم من مشروع القانون ١٨٢
- خامسا - تواطؤ الأحزاب التقليدية ١٨٣
- اللجنة العليا للحزب الوطنى تشجب المشروع ١٨٣
- سادسا - مجلس الوزراء يصور ويقر مشروع القانون ١٨٤
- من مواد مشروع قانون الجمعيات لحكومة الوفد ١٨٥
- المذكورة الإيضاحية للمشروع ١٨٦
- سابعا - قانون الجمعيات أمام لجنى الشئون التشريعية والداخلية بمجلس النواب ١٨٧
- الحكومة تهدد أعضاء اللجنتين معارضة فى المبدأ ١٨٧
- شروط العضوية - القصر وعدم جواز اشتراكهم - حكم الحل غير نهائى - حق الالتجاء لمجلس الدولة ١٨٨
- الأحزاب السياسية - تسجيل رأى الأقلية ١٨٩
- ثامنا - موقف الإخوان من القانون - رفض العودة وإعداد مذكرة - نص مذكرة الإخوان ١٨٩
- أ - الشباب أحوج إلى التربية ١٩٠
- ب - ما شأن وزير الداخلية ؟ ١٩١
- ج - البوليس ١٩١
- د - شباب طلب الحل ١٩١
- هـ - الحل يحكم نهائى - و - لا حاجة بنا للقانون إخراجاً ١٩٢
- زادها - محاولة أخيرة للإنقاذ ١٩٢
- مناقشة فى المجلس بين أحرار قلائل وحكومة مستبدة ١٩٢
- تهقيب على هذا التشريع ١٩٤

الموضوع الصفحة

- الذى صدرت فيه الاعترافات ٢٤٠
- الحاكم العسكري استغل الأحكام
العرفية لمحاربة خصومه السياسيين ٢٤١
- من شهادة الأستاذ حامد جودة ٢٤٢

الفصل الرابع

البوليس السياسى والتعذيب

- مقدمة ٢٤٥
أولا :
- فى قضية النقراشى ٢٤٦
- المتهم محمد مالك ٢٤٦
- المتهم محمد نايل ٢٤٧
- عدم إثبات الإصابات - عمليات
تعرف مزيفة
- صمت نخجل ٢٤٨
- لا حياة فى القانون ٢٤٩
- المتهم عبد الفتاح ثروت شاهداً ٢٤٩
- أصبحت مجزماً - تعذيب أمام النائب
العام - وأمام إبراهيم عبد الهادى ٢٥٠
- الأستاذ على منصور يطالب المحكمة
بتحقيق التعذيب أو إيتاف المحاكمة ٢٥٠
- يتهم البوليس السياسى بقتل متهم
ودفته ٢٥١
- الدكتور عزيز فهمى يقول «هذا
التعذيب لم يقع مثله فى القرون
الوسطى» ٢٥١
ثانياً :
- فى قضية السيارة الجيب ٢٥١
- ضرب بونى بالحذاء فى وجهى - علقمت
كالذبيحة وشوونى بالسجائر أمام
عبد الهادى - جردونى من ملابسى -
الفلكة انكسرت ٢٥٢
- امر بالموت - اعتداء منكر - هاتوه
أخرس - أنا الحاكم العسكرى -
حفلة الأمن - نوبة عصبية ٢٥٣
- نافع يقول : اقسم إن عبد الهادى
كان يحضر التعذيب ٢٥٤

الموضوع الصفحة

- قطار اللاجئين - وسائل خاصة ٢٢٨
٤ - شهادة اللواء أحمد المواوى بك
جيش بلا معدات - عشرة آلاف
متطوع - متطوع فى المائة من عمره ٢٢٩
٥ - شهادة الحاج عبد الرحمن على ٢٣٠
- شهادة السيد أمين الحسينى مفتى
فلسطين ٢٣٠
- عشرة آلاف متطوع - لم يمكن
إرسالهم -
لا تتوسل بالعنف ٢٣١
- كيف يمكن إنقاذ فلسطين - لماذا
عدل عن هذه الخطوة ؟ ٢٣٢
٧-٨ شهادة صلاح الحسينى - تقرير
خير المخطوط
ب - من المرافعات
١ - من مرافقه الأستاذ عبد المجيد نافع ٢٣٣
- حسن قناوى والبواعث الوطنية ٢٣٣
- عهد ملوث - الموت لحسن البنا -
تنفيذ الوعيد - السيفان والمصحف ٢٣٤
- لن تقتلوا دعوته - الشيخ المراغى
ينظره - شهادة مكرم عبيد باشا -
رئيس المحكمة يطلب قانون الإخوان ٢٣٥
- الإسلام دين ودولة - الإنجليز
طلبوا حل الإخوان - ضحك
الأقذار ٢٣٦
٢ - من مرافقه الأستاذ هنرى فارس ٢٣٦
٣ - من مرافقه الأستاذ شمس الدين
الشناوى ٢٣٦
٤ - من مرافقه الأستاذ حنى عبود ٢٣٧
- الإنجليز يخافون - وثائق التاريخ -
عهد وصف نفسه بالفوضى ٢٣٧
٥ - من مرافقه الأستاذ طاهر الخشاب ٢٣٨
٦ - من مرافقه الأستاذ فتحى رضوان ٢٣٨
ثالثاً - فى قضية جودة والأوكار ٢٣٨
- طلب ضم قضية اغتيال الإمام ٢٣٩
- طلب ضم نسخة من جريدة «المصرى
المصادرة ٢٣٩
- قضية الأستاذ الإمام تصور الجسو

- شهادة رجال القضاء والنيابة
- شهادة القاضي محمد أسعد محمود ٢٦٩
- شهادة الأستاذ عصام الدين حسونه ٢٧٠
- قصة وكيل النيابة عدلى بك بغدادى ٢٧٠
- مفاجأة ٢٧١
- صدام بين الدفاع والمحكمة ٢٧١
- الجلسة الأخيرة والحاسمة - تأجيل ٢٧١
- القضية لدور مقبل ٢٧٢
- عود إلى البوليس السياسى ٢٧٣
- الدفاع يطالب حكومة الوفد بإلغاء البوليس السياسى
- سؤال في مجلس النواب ٢٧٤
- استجواب لوزير الداخلية ٢٧٥
- الحكومة تمالء البوليس السياسى ٢٧٦

الباب الرابع

أخيراً المؤامرة تتحطم على صخرة
صلدة من نزاهة القضاء المصرى

الفصل الأول

مكانة القضاء فى الأمم وموضعه

فى الإسلام

- من كتاب على رضى الله عنه إلى مالك
- بن الحارث الأشر ٢٨٢
- القضاء المصرى ٢٨٣
- صفحة مجيدة للقضاء مع الإخوان ٢٨٤

الفصل الثانى

من الأحكام الخالدة

أولاً :

- الحكم فى قضية السيارة الجيب

٢٨٧ مقدمة

- إلى متى هذا البوليس السياسى ٢٥٤
- ثالثاً :
- فى قضية قضية جودة وأوركار
- أمر عسكري بإخضاع سجن الاستئناف للبوليس السياسى ٢٥٥
- مكافأة المتواطئين - رئيس النيابة
- زور التحقيق - وزير الزراعة مع
- متهم ٢٥٧
- البوليس يقيم فى مسكنه مع أمه وأخته ٢٥٨
- النائب العام يامر بعدم إثبات الإصابات ٢٥٨
- المطالبة بتحقيق التعذيب ٢٥٩
- تهافت البوليس على المكافأة الحكومية ٢٥٩
- والدة متهم تربط بغيره واحد مع
- إحدى العاهرات ٢٥٩
- الدفاع يطلب سماع شهادة محققين فى
- هذه القضية ٢٦٠
- هل هناك أدلة قانونية على التعذيب؟ ٢٦٠
- اغتيال البوليس السياسى أحمد شرف
- الدين ٢٦١
- خداع البوليس السياسى للشيخ جبر
- وعبد الرحمن عثمان ٢٦١
- عبد الرحمن عثمان شاهداً ٢٦٢
- جريمة خلقية - اتهام عبد الهادى
- بقتل حسن البنا - دماء على الحائط
- النيابة تنتقل ٢٦٣
- العسكري الأسود ٢٦٤
- اعترف بالتعذيب - شبكة وشبكة ٢٦٦
- شهادة الضابط مصطفى كمال صدق
- برؤيته التعذيب ٢٦٧
- شهادة جابر لقسم مصر القديمة
- كشف كل ما جرى بداخله ٢٦٧
- جهنم الحمراء - البوليس السياسى
- يمنع إسعاف المعتذبين ٢٦٨
- شهادة اليوزباشى كمال صدق برؤيته
- التعذيب ٢٦٩

الموضوع الصفحة

- حكم مجلس الدولة في القضية ٣٠٣
- حيثيات حكم مجلس الدولة بإلغاء الأمر العسكري بحل الإخوان المسلمين وببطلانه ٣٠٣
- دفع الحكومة ورد المجلس عليها ٣٠٣
- الدفع بعدم جواز مباح الدعوى ٣٠٤
- الدفع بعدم الاختصاص ٣٠٤
- لماذا يجب أن تكون لإجراءات الحاكم العسكري خاضعة لرقابة القضاء ؟ ٣٠٥
- الدفع بعدم القبول ٣٠٦
- موضوع الدعوى : الأمر العسكري رقم ٦٣
- المجلس يستعرض حجج الدفاع ٣٠٧
- المحكمة تناقش مذكرة الأمن العام للنقراشي ٣٠٨
- المحكمة تستأنس بحيثيات حكم قضية السيارة الجيب ٣٠٨
- مناقشة أمر الحل نفسه والحكم بأنه على غير أساس من القانون ٣١٠

الفصل الثالث

تعقيب وتحليل لهذه الأحكام الخالدة

- القضية أمام طريق مسدود ٣١٥
- براعة المحكمة في جر عبد الهادي للشهادة ٣١٥
- كان الحكم سيكون أروع لو تم نظر قضية الأوكار ٣١٩
- مجلس الدولة اعتمد في أحكامه على حيثيات قضية الجيب ٣٢٠
- المستشار الذي حاكم الإخوان أصبح واحداً منهم ٣٢٢
- الرجل الذي غير مصير الإخوان ٣٢٣
- كانت الفكرة تطاردني - اللقاء الأول والأخير ٣٢٤
- القصة غيرت مجرى القضية - قاضيه ومحاميهم ٣٢٦

الموضوع الصفحة

- نص الحكم في قضية السيارة الجيب ٢٨٩
- تعليق الدكتور محمد هاشم باشا على الحكم ٢٩٠
- حيثيات الحكم في هذه القضية ٢٩١
- اعترافات مصطفى كمال - عدم تعرف المعترف - اعترافات صنمها التعذيب - سبع نذب بعد عدة شهور - في قبضة البوليس ٢٩٢
- حيموتوف يا باشا - إستغاثة لها دلالتها - من فم عبد الهادي باشا - المحكمة تعفن ثبوت التعذيب ٢٩٣
- وتعلن بطلان الاعترافات - تعذيب فصالون - تحليل النيابة غير معقول ٢٩٤
- خفايا المحافظة - الاعتداء أقل ما يقال ٢٩٥
- اعترافات فاسدة ٢٩٦
- جماعة الإخوان المسلمين ٢٩٧
- درس رموف ٢٩٨

ثانيا :

- الحكم بوقف بيع المركز العام وممتلكات الإخوان ٢٩٨
- السنهوري يتنحى ٢٩٨
- الوفد ينكث وعده - تحت ضغط الظروف فاه الوفد إلى رشده أخيراً ٢٩٩
- مجلس الدولة بوقف بيع المركز العام ويقران جمعية الإخوان المسلمين موجودة قانوناً ٣٠٠
- حق تكوين الجمعيات ٣٠٠
- هيئة استوفت عناصرها ٣٠١
- الإخوان يفتحون مركزهم العام بعد تسلمه ٣٠١

ثالثا :

- الحكم بطلان أمر الحل وإنائه ٣٠٢
- كلمة الأستاذ عبد الحكيم عابدين أمام المحكمة ٣٠٢

الباب الرابع

نظرة أخيرة إلى حسن البنا

الفصل الأول

تاريخ أرادوا طمسه

- د حسن البنا ٣٢٩
القض مرّيب في تقييم حسن البنا ٣٣٠
شعب أنبطاء التوفيق في اختيار القيادة ٣٣٠
نموذج لمسح التاريخ ٣٣١

الفصل الثاني

حسن البنا بين مختلف الطوائف

والأفكار

- حسن البنا والتصوف ٣٣٥
حسن البنا والسنة ٣٣٧
حسن البنا بين طائفتي المنتسبين إلى التصوف
والداهين إلى محاربة البدع ، والطائفتين
المحايدتين ٣٣٨
طريقته في الدعوة ٣٤٠
فهمه للفكرة الإسلامية ٣٤١
- حليق على بعض البنود ٣٤٤
- أمنية لحسن البنا ٣٤٥
- أنموذج يوضح معنى المذاهب في
الأحكام الفقهية ٣٤٧
- توسيع الدائرة ٣٥٧
حسن البنا بين القومية والإسلامية ٣٥٨
- الوطنية أو القومية الخاصة ٣٥٩
- القومية العربية - الوحدة الإسلامية
تمهيداً للوحدة العالمية ٣٦٠
حسن البنا والرأسمالية والشيوعية
والاشتراكية ٣٦١

الفصل الثالث

حسن البنا والطائفة الخامسة أو موقفه

من السياسة والحكام

- نوع السياسة الذي كان سائداً في مصر ٣٦٥
نوع السياسة الذي دعا إليه حسن البنا ٣٦٧
من مراحل توجيه الدعوة إلى هذه الطائفة : ٣٦٨
١ - المطالبة ببناء مسجد للبرلمان ٣٦٨
٢ - احتجاج على النحاس باشا لتأييده
أثاتورك ٣٦٨
٣ - معارضة المعاهدة ومطالبة الحكام
بالرجوع إلى الإسلام ٣٧٠
- من مزايا النظام الإسلامي ٣٧٠
٤ - المؤتمر الخامس أو من أعلى مثذنة ٣٧٥
٥ - بيان أشبه بإنذار في المؤتمر السادس
٣٧٦
٦ - زيادة الزحف الشعبي ضد الاستعمار ٣٨٥

الفصل الرابع

آخر ما كتبه حسن البنا بخط يده

للنشر

- الحديث الذي أدلى به بعد حل الجماعة ،
ومقتل النقراشي وقبيل مقتله ببضعة أيام ٣٨٧

الفصل الخامس

حسن البنا وكبار الدعاة في العالم

الإسلامي في العصر الحديث

- أولاً - السيد جمال الدين الأفغاني ٣٩٣
ثانياً - الشيخ محمد عبده ٣٩٣
ثالثاً - مصطفى كامل ٣٩٤
رابعاً - سعد زغلول ٣٩٥

الموضوع	الصفحة
المواقف التي أبرزت الإخوان في المجتمع الدولي ٤٣٥	
- موقف الإخوان من ثورة اليمن ٤٣٥	
- موقف الإخوان من حرب فلسطين ٤٣٦	
- موقف الإخوان من تطورات الأحداث ٤٣٦	
في مصر ٤٣٧	
حتى أئمة الدعوة الإسلامية في أقاصي الأرض	
حاصرتهم الشبهة العينية ٤٤١	
- من مشاهداتي في رحلة الحج ٤٤١	
- بيت القصيد ٤٤٦	
- السيد أبو الحسن البدوي ٤٤٧	

الفصل الثالث

الاتجاه إلى الأستاذ الهضيبي

في بيته بالإسكندرية ٤٥١	
-------------------------	--

الفصل الرابع

شبه تثار حول المرشد الجديد

أولاً :

- خبرته في الشؤون السياسية والاجتماعية

٤٥٥

- السر الذي أخفاه المرشد العام الجديد ٤٥٧

ثانياً :

- هل الهضيبي طارئ على الدعوة ؟ ٤٦٢

ثالثاً :

- المقدرة الخطابية أو بين عهدين ٤٦٤

- هل سخر الهضيبي الدعوة لأغراضه الشخصية ؟ ٤٦٧

الباب السادس

المرشد العام الجديد يتبوأ منصبه

والبلاد أمام تطورات جديدة

الدعوة تحتل مكان الصدارة

٤٧٣

مقدمة

الموضوع	الصفحة
خامساً - الدعوة الوهابية ٢٩٥	
سادساً - الدعوة في المغرب العربي : ٢٩٦	
١ - في الجزائر : عبد الحميد بن باديس ٢٩٦	
٢ - في ليبيا : الدعوة السنوسية ٢٩٦	
موقف حسن البنا من هؤلاء الدعوة ٢٩٧	
أسلوب عف كريم ٤٠١	
مزيد بيان وتحذير من تدبير خطير - تجريح قادة الدعوة الإسلامية أسلوب خبيث لهدم هذه الدعوة في نفوس المسلمين ٤٠٢	
- حباثل المستشرقين ٤٠٢	
- بدائل المستشرقين ٤٠٤	
مرونة وسعة أفق وسعت الجميع ٤٠٦	
أسلوبه في المناقشة ٤٠٨	
مقدرته الخارقة على الإقناع ٤٠٩	
حسن البنا في صلواته ٤١٠	
خاتمة الباب - موقف من اللغات ذودلالة ٤١٣	

الباب الخامس

الدعوة في مهبط الرياح

الفصل الأول

الدعوة تثبت من جديد

رابطه الكلمة المسموعة ٤٢٠	
رابطه الكلمة المقررة ٤٢١	
الجو السياسي خلال هذه الفترة ٤٢٢	
- لماذا غير الملك موقفه ؟ ٤٢٣	
- لماذا غير الوفد موقفه ؟ ٤٢٣	
حيرة ٤٢٤	
قيادة مؤقتة ٤٢٦	
تياران : أولو الارب - أولو القوة ٤٢٧	

الفصل الثاني

شبهة خطيرة ماكرة

دحض هذه الشبهة ٤٣١	
- من واقع الأحداث ٤٣٥	

الفصل الأول

الضغط الشعبي للإخوان يبلسغ
أقصى مداه - الحكومة تلغى معاهدة
سنة ١٩٣٦

المرشد العام يتحدث إلى «المصري» :
الظروف الحاضرة تستوجب الإفراج عن
المسجونين السياسيين فقد كان سبب سجنهم
هو العداء المباشر للإنجليز ٤٧٩
جواسيس إنجليز لمراقبة الإخوان ٤٨٠
موقف ساذج من الحكومة - وموقف
متناقض أيضا ٤٨١
المرشد العام يضيئ المشاعر ويحدد الموقف
بحزم : ٤٨٣
محمد الغزالي وطاهر منير وسيد قطيب
وإحسان عبد القدوس في تصوير الموقف ٤٨٤
المرشد العام يحسم الموقف ٤٨٧

الفصل الثاني

مقابلة الملك للمرشد العام الجديد

تمهيتها على هذه المقابلة ٤٩١
- من أخطار الربا ٤٩٢
تفاصيل المقابلة مع الملك ٤٩٤
- لقاء أصحاب ذكرنا بالأبام الحلوة
الغالية ٤٩٦
- في أعقاب المقابلة الملكية ٤٩٨

الفصل الثالث

حريق القاهرة

أو الخطة الجهنمية لإحباط المقاومة

انتخابات نادي ضباط الجيش في ١٢/٣١

٤٩٩

١٩٥١

السهم الأخير - إشعال النار في كنيسة السويس ٥٠٢
حول هذا الحريق (حريق القاهرة) ٥٠٤
صورة الموقف السياسي قبيل الحريق ٥٠٥
صورة من جانب آخر للموقف قبيل الحريق ٥٠٧
حقل مريب في توقيته ٥٠٩
من نتائج الحريق ٥٠٩
تقييم حكومة الوفد تقييماً منصفاً ٥١٠
إلى من وجه الاتهام القضائي في الحريق ٥١٣

الفصل الرابع

الشعب يقيق من الضربة القاضية

ويستأنف جهاده

إقالة وزارة الوفد بعد توريطها في فرض
الأحكام العرفية ٥١٥
إستاد الوزارة إلى علي ماهر - علي ماهر
يخلف ظن الملك فيه ٥١٧
بيان من الإخوان المسلمين ٥١٨
مهزلة ٥١٩
مفاجأة ٥٢٠

- صيغة الله : هكذا يكون فهم دعوة
الإخوان المسلمين ٥٢٣

الباب السابع

آخر المحاولات لصد الزحف ..

الأنهار التام - النظام الملكي

يلفظ أنفاسه الأخيرة

الفصل الأول

الذلال آخر محاولة يائسة

لصد التيار الوطني

٥٢٩

استطرد علي هامش التطهير

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
— الناحية الأخرى : سرية	٥٤٠	— في بؤرة الفساد	٥٣٣
الفصل الثالث .		— ما أخرجنا في التظهير إلى القدوة	٥٣٤
المصير المحتوم .		الفصل الثاني	
آخر سيم في كنانتهم ولكنه مسم	٥٤٣	الملك يفقد توازنه ويعيش في هلع	
إحباط الخطة الخطيرة أو رد سيمهم في		استغلال الإخوان الوقت للإعداد لعمل —	
نحورهم	٥٤٤	خطير	٥٣٧
إقصاء المهمل — وزارة حسين سرى	٥٤٥	— الناحية الأولى : علنية	٥٣٧
لماذا عدل عن بهي الدين بركات — وزارة		أ — رحلة المرشد العام .	
تاريخية		ب — تقوية الروابط بالشعوب	
ملايسات تأليفها تنذر بانهايار العهد	٥٤٨	الإسلامية	٥٣٧
دلائل أخرى على الانهيار التام	٥٥٢	— قضية السودان	٥٣٩